

عبد الله أوجلان
من دولة الكهنة السومرية
نحو
الحضارة الديمقراطية

عبد الله أوجلان
من دولة الكهنة السومرية
نحو الحضارة الديمقراطية

شليير للطباعة و النشر

قامشلو ٢٠١٧

weje.vejin@gmail.com
weshanashiler@gmail.com



المرافعات المقدمة
إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية

الجزء الثاني

المحتويات

المقدمة.....	١٣
الفصل السادس.....	٢١
القضية الكردية في الشرق الأوسط وسبل الحل المحتملة.....	٢٣
المدخل.....	٢٣
أ. بعض المصطلحات الأساسية.....	٢٧
١. المجتمع.....	٢٧
٢. العشيرة والعشائرية والانتماء الأثني.....	٢٨
٣. الأمة والدولة القومية.....	٣٠
٤. الحل العسكري والسياسي.....	٣١
٥. المنهج الديمقراطي والحقوق.....	٣٢
٦. المواطنة وانتماء الأمة.....	٣٣
٧. المجتمع الرسمي والمجتمع التقليدي والمجتمع المدني.....	٣٣
٨. الوطنية والأمية.....	٣٤
ب. بعض المواقف المتعلقة بالظاهرة الكردية ومشكلات الأسلوب.....	٣٥
ج. إطار التاريخ الكردي.....	٤٢
١. العصر النيوليتي والكرد.....	٤٢
٢. الكرد والعصر العبودي.....	٤٧
٣. الكرد في العصر الإقطاعي.....	٦٢
٤. الكرد في عصر الرأسمالية.....	٧٩
د. حركة الكرد الديمقراطية الوطنية الأثنية.....	٩١

١ . مرحلة القومية الإقطاعية البدائية	٩٤
٢ . مرحلة النزعة القومية البرجوازية	٩٧
٣ . النزعة التحررية الشعبية	٩٩
٤ . حزب العمال الكردستاني ميلاده وتطوره ومستقبله	١٠٠
هـ . نحو حل القضية الكردية	١٢٢
١ . القضية الكردية في تركيا والحل الديمقراطي	١٢٥
٢ . المشكلة القومية في إيران والحل الإسلامي الديمقراطي	١٣٥
٣ . القضية الكردية والعرب والحل العراقي	١٣٩
٤ . مشكلة امتلاك كرد سورية للهوية، وحل المشاركة الديمقراطية	١٤٣
الفصل السابع	١٤٧
أن تكون محارب الحرية لأجل شعب في طوق المؤامرة	١٤٩
مدخل	١٤٩
أ . تاريخ المؤامرات والدروس التي يجب استخراجها	١٥٣
١ . تأمر العصور الأولى والمثيولوجيات المخادعة	١٥٣
٢ . العصور الوسطى والمؤامرات بالأقنعة الدينية	١٥٧
٣ . القومية الرأسمالية والفاشية هما أكثر أشكال التآمر تطوراً	١٥٩
يمكننا إظهار عصور التآمر القومي على عدة مراحل بنحو أفضل:	١٦٢
ب . حقيقة المؤامرة التي تعرض لها حزب العمال الكردستاني	١٦٥
١ . من الولادة وحتى الإعلان الرسمي	١٦٧
٢ . التآمر الداخلي والتصفية بين عامي ١٩٧٨ - ١٩٨٨	١٦٩
٣ . مرحلة العصابات والتدخل الإمبريالي على النطاق العالمي من ١٩٨٨ - ١٩٩٨	١٧٣
ج . المؤامرات التي فرضت على قيادة حزب العمال الكردستاني هي اعتراف بالخوف من الهوية الحرة للشعب ..	
١٨١	
١ . فترة الولادة القيادية لأجل الشعب ١٩٧٠ - ١٩٨٠	١٨٥
٢ . التفتت الاجتماعي في الشخصية وإعادة البناء	١٩٠

د. كيف يجب فهم الوجه الداخلي لمؤامرة العصر..؟.....	١٩٥
١. المؤامرات التاريخية لا توقف التطورات، بل تسرعها.....	١٩٥
٢. يمكن تحويل مؤامرة ١٥ شباط إلى ديمقراطية وسلام دائم لأجل الشعوب	٢١٥
الفصل الثامن.....	٢٢٥
هل يتمكن نظام الحقوق الأوروبي من إيجاد إمكانية لحل القضية الكردية..؟.....	٢٢٧
١. ميلاد الحقوق وتطوره	٢٢٨
٢. دور الحقوق في حل القضايا الاجتماعية.....	٢٣٠
٣. القضية الكردية والجمهورية التركية ونظام الحقوق الأوروبي	٢٣١
٤. مرحلة محاكمة إيمرلي، ومعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، ومحكمة حقوق الإنسان الأوروبية.. ٢٤٠	٢٤٠
الفصل التاسع	٢٥٧
هوية آبو: من القبيلة نحو التحول إلى شعب	٢٥٩
١. الميلاد الطبيعي، وتششت الثقافة القبلية، والدخول إلى غابة الحضارة:	٢٥٩
٢. المجتمع البرجوازي، والتعرف على الجمهورية، الشكوك والموقف الثوري	٢٦٨
٣. خلق الذات من خلال الحرب، ولكن إلى أي مدى؟.....	٢٧٤
٤. البحث عن السلام، وممارسة النقد والنقد الذاتي	٢٨٣
الخاتمة الاولى	٢٩٧
الخاتمة الثانية.....	٣٠٣
عبد الله أوج آلان	٣١٤
١١. نيسان إلى ٢٨. آب ٢٠٠١ م.....	٣١٤

الإهداء

“أهدي مرافعتي هذه إلى شهدائنا الذين افتدوا

أرواحهم ببطولة في سبيل تحرر الجغرافيا التي احتضنت ميلاد البشرية وشعبهم العزيز”

عبد الله أوجلان

المقدمة

لقد أظهرت ظروف مرحلة محاكمة إيمرالي حاجة ماسة لبذل جهود، تساهم في قطع الطريق وبسرعة أمام العنف الذي نتج عن اعتقاله، الذي تم على شكل مؤامرة، وعدم إتاحة الفرصة لتحقيق

آمال المتآمرين وحلفائهم، والقيام بما هو صحيح للتوجه نحو السلام المشرف حتى ولو كان محدوداً.

ان التقرب العملي من ذلك جاء على شكل تقديم الدفاعات على أساس الحل و " السلام والوحدة الديمقراطية". ولا يمكننا أن ننسى سيطرة البطش السياسي على الأجواء في هذه الظروف. واعتقاد بان الأوساط صاحبة التفكير السليم والمسؤولة في تركيا كانت بعيدة عن فهم منطق تطور المؤامرة في تلك الظروف، وكانت غير مستعدة لمواجهة مجرى الأحداث وتطوراتها، وظروف اتخاذ قرار سليم لم يلاح في الأفق وعلى جميع المستويات أو أنه كان محدوداً.

لقد كانت المؤامرة بمثابة هدية سقطت من السماء على الشوفينية التي أصابها مس هستيري، وتم إعداد اللعبة الرومانية للقرن العشرين أي تقديم الضحية للأسد في الحلبة، وهذا كان عرضاً للعنف الأعمى الذي لا يمكن الخروج منه، والذي يتجاوز جميع أهداف حزب العمال الكردستاني ويتناقض معها. مع الأسف الشديد دخل الجميع في الموقع المضاد ضد بعضهم، معتقدين بأن العمليات الانتحارية والمواجهة والمقاومة هو حقهم المشروع، وأسوأ ما في الأمر هو ترك الأطراف بعيداً عن فهم اللعبة.

إن إحدى أكبر الخيانات للعصر، هي أنها لازالت تظهر نفسها وكأنها صديقة ومؤيدة للحرية من جهة، وتحاول نسيان وإزالة أصحاب الموقف المظلوم والبطل دون رحمة من جهة ثانية. فكان الميدان سينفتح أمام جميع الخونة والعلماء المتربصين في الكمين، الذين ظهروا مرات عديدة. في الحقيقة كان قد تم إعداد وضبط كل شيء حسب موتي، وكان الهدف هو إزالي جسدياً على الأرجح، وإذا لم يحدث ذلك فالهدف هو إزالي معنوياً، ولا أعتقد أن هناك هدفاً آخر غير ذلك رغم تفكيري بالمسألة مطولاً.

كانت المؤامرة عميقة وملينة بالاستفهامات لدرجة يتطلب إفشالها انطلاقة إنسانية متقدمة جداً لا تقل قيمتها عن قيمة القيام بمعجزة.

كان كل شيء معداً وفق قدرٍ لا يرحم، جعل العالم برمته في الموقع المضاد، ولم ينتظر الأصدقاء المقربين وحتى الرفاق أكثر من "موت مشرف" كارتباط بالقيم العقائدية والمعنوية، وكان هذا منطق العصر، ومنطق الصديق والعدو أيضاً، في هذه النقطة بالذات تتجمد العواطف والمعتقدات، وكان كل شيء يفرض العزلة. لن أقول أن الرمي بالرصاص كانت عقوبة بعيدة حسب قواعد الحرب، لكنهم لم يمنحوا هذا الحق رغم رؤيته كحق، إذ كانت الحضارة ترغب بالانتقام بشكل آخر.

لم ألعب في أي وقت من الأوقات من أجل البطولة، كما أنني لم أكن بذاك الشجاع كما يعتقد، ورغم رغبتني بأن يعرفوني كما أنا، إلا أنني لم أشهد ذلك حتى لدى أكثر رفاقي المقربين، ولكن كان لدي جانب لم أخنه، وكنت سأستمر أن أكون ذاك الطفل الذي لا يخون أحلامه، ولا أعترف بأهله الحضارة، ولا أنحل في مؤسساتها، ولم أكن سأصبح رب أسرة زوجاتها. لقد حقق ديالكتيك شخصيتي تطوراً من هذا النوع، وكانت المسألة قد خرجت من أن تكون مسألة تناقض داخلي بسيط لتتركها منذ أمد طويل، كان موقعي يفرض عليّ أن أكون بروما توس Prometheus العصر. إن صليبي على حجر إيمرالي لم يكن يختلف عن صلب بروما توس في جبال القوقاز كما جاء في الأسطورة، وكم كان ذلك محزناً ومؤملاً، فقد قام بذلك أيضاً أحفاد إله أثينا زيوس Zeus .

أن موسكو التي تعتبر إحدى أهم المراكز الحضارية، لعبت لعبة دنيئة لا مثيل لها ضد اشتراكية الملايين حتى وإن لم يكن لهذه الاشتراكية دعائم كافية، فإنها في مسألتي أيضاً، لم تكن ستشعر وبدون أي خجل بالانزعاج من المشاركة باللعبة، وذلك مقابل بضعة مناقصات وقرض بضعة مليارات من صندوق النقد الدولي. أما روما مجلبتها العبودية الكلاسيكية، وحساباتها الدقيقة للرأسمالية الحديثة فإنها لم تكن ستعترف بالقيم القانونية والمعنوية. وكانت تجربتي على حوض حرب كبيرة من أجل الشرف، بإرهاب نفسي لا يمكن وصفه، وكنت سأضطر للقيام بما تطلبه. أما أثينا فقد كانت تستغل باسم الصداقة الثقة الممنوحة لها بأكثر الأشكال دناءة، حتى أن عاهرة لا يمكنها التفكير والتجرب على القيام بذلك وترسلني إلى عاصمة كينيا، موطن أكلي لحوم البشر. لقد كان يتضح الوجه الحقيقي لحضارة القرن العشرين مع كل دقيقة تمر حيث الخسة والتعذيب والبعد عن المشاعر، ذاك الوجه القبيح الذي لا مكان للقيم الإنسانية فيه وسوى منطق المنفعة، وكنت سأظل جامداً تجاه ذلك. هذا هو الواقع الذي جمدت فيه ردود أفعالي، وهذه هي الحقيقة، فالذين ينتظرون موقفاً مختلفاً لن يستخلصوا النتائج الفكرية والمعنوية اللازمة فيما إذا لم يدركوا الحقيقة بكل جوانبها ولن يشعروا بها حتى النخاع.

ما آمنت بالقدر أبداً، لكن كنت سأنتظر لوحدي في الصليب الحديث للقرن العشرين، والذي صنعتته لي قوى القدر في سكون القبور، وكنت أدرك بأن استخدام آخر نبضة لقلبي وآخر جزء من معرفتي لصالح الإنسانية هو فضيلتي ومعناتي الجوهرية، وكنت سأترك الأمور تأخذ مجراها الطبيعي.

في الوقت الذي أقوم فيه بهذا التعريف القصير لمن يريد فهم وقفتي في إيمرالي، فإن الشيء الذي سيتطور ليس نقداً أو نقداً ذاتياً عادياً، أو آمالاً بالعفو، أو أمل العيش بشكل أو بآخر، إن التطورات بهذا الاتجاه، لا يمكن أن تكون فضيلة ومعنى ما عشته. إن الوضع مختلف ويتطلب فهماً حقيقياً وجوهرياً وبلا تردد، لأنني لا أشك أن موقف السلام والأخوة. حتى لو كان محدوداً هو سمة جوهرية من الأعماق، لذا لم أكن سأعطي الأولوية لمسألة الموقف السياسي الذي يحتل موقعه في المرتبة الثانية والواجب اتخاذه، أو لم أكن سأصبح جواباً للأمال المنسجمة حسب اليمين واليسار الحضاري، ولم أكن سأجعل نفسي أداة لها. وكنت سأبحث هنا عن السمو، ولم أكن سأجعل نفسي تليق بلعنة الحضارة المعاصرة.

كنت سأعطي قيمة لأي رأي سياسي يعطي مكانة للعيش الأخوي بشراكة والتي تمر عبر السلام المشرف والحرية، وكنت سأفضل الاتحادات التي تعتمد على التعبير الحر في جميع المستويات، لأنني لا أؤمن بالجزر السياسية الصغيرة والتي تنطوي على قيم الفقر والافتقار والطوباوية. وكما حدث دائماً، فإنني كنت سأواصل وقفتي ذات المعنى إلى درجة لن أفع

في . بقدر موقف الوحدة الإجبارية . موقف الانفصالية الإجبارية.

هذا هو جوهر مرافعاتي في إيمرالي، وكلني أمل أن تفهم قيمتها بشكل أفضل يوماً بعد يوم، إذا كنا قد استطعنا إيقاف الإرهاب الحقيقي قليلاً والذي كان ثمرة الحظ الأعمى الملعون لتركيا لبعض الشيء، وأبطأنا استغلال السمسة الظلمة، وأظهرنا سريان مفعول النهج الديمقراطي للنضال السياسي بقدر ما هو ذو معنى، وساهمنا في تحديد كيفية الدفاع المسلح المشروع ضد القوى التي ترفض السلام، كل ذلك يعني بأننا أصبحنا أصحاب موقف تاريخي يثمنه ذوي العواطف الواقعية والعدالة والجمهورية. وعلى هذا الأساس، فإنني أعرف بأن استخدام حق الدفاع أمام محكمة حقوق الإنسان الأوروبية (AIHM)، من خلال الدفاع الذي أعدته على أساس الأيمان بأنه سيعبر عن قيم تاريخية، يعني في الدرجة الأولى دفاع الشرق الأوسط تجاه الغرب، ودفاع ثقافة الشرق الأوسط تجاه الحضارة الأوروبية، وتقييم المخفل القانوني الديمقراطي الذي يتطلب التحدث فيه عن المواضيع التي أصبحت كونية وباسم الشعوب بهذا الشكل، وارتباطاً بكل ذلك قمت بتسليط الضوء وبشكل صحيح على التاريخ، كمهمة لي، وإنني أرى بأن استخدام هذه الحق الذي بلغ مستوى ليكون لغة حل كافة المشاكل الاجتماعية والتي أضحت حالة شاملة، وعلى الرغم من انه ينبع من مصالح القوى الحاكمة، وحتى لون كان متأخراً، ومن أجل تجاوز الحالة التي ارتبط كل شيء بالاوليغارشية والتي تتناقض مع حدث تأسيس تركيا ومنطقها، وهذا المخفل الذي يرتبط بحل الاتحاد الديمقراطي والسلمي ولو بشكل محدود، والذي سيحد مساندة للانضمام إلى عضوية الاتحاد الأوروبي، وهذا ليس بخطأ، ولا يصيني عقدة من جراء ذلك.

إن أوروبا في موقع متقدم، ودون فهم الجوانب التي أغنتها، من غير الممكن تحقيق تطور مرحلي لثقافات الشرق والشرق الأوسط والتي أمنت بجهورها دائماً. وإن معرفة الاستفادة من قيم الاتحاد الأوروبي حسب المصالح العادلة للقوى الاجتماعية، لا تعني العمالة الرخيصة أو مفهومها المعروف، والوقوف ضد ذلك لا يعني التقدمية أيضاً، بل ليس له معنى سوى التخلف المتفلسف، ونظراً للظروف التي مهدت السبيل أمام اعتقالي، والقوى التي نفذت ذلك هي قوى حاكمة الحضارة المعاصرة، فمن الجلي بأنه يتوجب عليّ أن أضع مرافعاتي بهذه النوعية، ومن الضروري أن نضع في الأولويات كشف النقاب عن مغامرتي الأوروبية والتي يجب أن نستخلص منها الدروس. في هذه النقطة، لا يمكننا رؤية الحقيقة بكاملها فيما إذا انغمسنا في واقع تركيا وحده وحتى في واقع الشرق الأوسط. فإن البحث عن الحل في الواقع الحضاري الأوربي بمقدار منبع المشكلة يكتسب أهمية بارزة.

أصبحت أغلب الحركات التي يطلق عليها حركات التحرر أسيرة سبل حل أضحت عائقاً، نتيجة لمساعيها في البحث عن الحل في إطار ضيق، وقد تجاوزتها الحضارة الأوروبية منذ أمد بعيد وعلى أعلى المستويات، أو أن هذه الحركات تعيش اختناقاً تحت ضغط سياسات "فرق . تسد". إن التعصب القومي والتطرف الديني والبقاء بعيداً عن الديمقراطية هي مفاهيم تجاوزتها أوروبا منذ زمن طويل، وأثر التماسس فوق القوميات والعيش في التعددية الثقافية والنظام الديمقراطي الذي وصل حتى إلى حقوق الفرد، عن قيماً كونية معاصرة أثبتت نفسها.

هذا الموقف الأساسي يتطلب حلاً يعتمد على التحليل الحضاري. والسبب الهام الآخر، أن التراجيديا التي عشتها شخصياً هي أبعد من أن تكون مسألة فردية، بل هي تعبير صادق لواقع يعيشه الشعب الكردي كما رأينا ذلك على أرض الواقع. إن تعريف الواقع الكردي بشكل صحيح، سيمهد السبيل أمام تشخيص سليم لقضية تحتل تأثيرها جدول

أعمال أوروبا منذ الآن، ويكتسب هذا التشخيص أهمية تحدد مصير الديمقراطية في تركيا، وسيساهم الحل الديمقراطي في تركيا بهذا المعنى، في تطوير حلول حياتية لقضايا الشرق الأوسط والقوقاز وآسيا الوسطى وحتى البلقان. وتنبع الأهمية العالمية الكبرى للمشكلة من هذه الحقيقة، وستؤدي الآراء التي تنكر المشكلة، أو التي تضخمها، أو التي تدافع عن ضرورة عدم إيجاد الحلول، إلى تأزم المشكلة وإدامتها، وستسد الطريق على الآراء التي قد تساهم إيجابياً في حلها.

لي دور كبير في إيصال القضية الكردية الى هذا المستوى، وفي الوقت الذي تدور فيه نقاشات هامة حول الموضوع الكردي، فإن تقدم مرافعتي على أساس حل علمي وشامل يتمتع بأهمية كبيرة. ولذلك سأقوم بتحليل تاريخي. وإن لم يكن بشكل معمق. للحضارة بخطوطها العامة، وإلى جانب سيرنا أغوار المشكلة القائمة، فإننا سنربط حل المشكلة بهذا التحليل بحيث يصبح دليلاً للحل.

لم تستطع الآراء التي تنكر للمشكلة أو التي تفتقر إلى القيمة العلمية والمتضمنة لعواطف شوفينية، أن تخطو أية خطوة في سبيل حل المشكلة، وهي من الأسباب الأساسية للسلبات التي خسرتها بسببها الكثير. واعتقد أن أسوأ أسلوب متبع هو ترك القضايا حتى التعفن. قد يكون لمنطق نفي شيء قيمة ما، لكن لا توجد أية قيمة منطقية للتعفن.

إن تعريف واقع الشعب الكردي وتشخيص أمراضه، وإيجاد طرق المعالجة الصحيحة، كما كان الأمر في قضايا سائر الشعوب التي عانت من مشاكل اجتماعية أساسية، مرتبطة بشكل وثيق بهذا الرأي. إن القيام بالنضال اللازم والذي لم يتم أثناء انطلاق حزب العمال الكردستاني بسبب المواقف المرسومة للاشتراكية المشيدة، إلى جانب التأثيرات العاطفية للمفهوم القومي الكردي البدائي، والمآزق والخسائر والآلام الكبيرة التي لا معنى لها، بات مهمة ملقاة على عاتق الجميع وكل وفق قوته مهما كان ذلك مؤلماً ومتأخراً، وطبعاً لم تأخذ هذه المهمة حقها إلا إذا قام بها من يمتلكون القوة والشعور بالمسؤولية.

هذا هو معنى محاولة تحليل الحضارة بالخطوط العريضة. ويمكن أن يكون ذلك قد أصبح واضحاً للكثير من الشعوب أو المجتمعات، التي جعلت نشاطاتها التاريخية والاجتماعية الشاملة تلك ممكناً، وذلك ضروري من أجل الموضوع الكردي وينتظر اكتساب المعنى، وعند القيام بذلك، يجب أخذ التاريخ أساساً أيضاً، إذ يوجد تاريخ كردي حتى وإن لم يكن بخط ساطع وعريض، ولم يعد مرئي اليوم، ولا يمكن تشخيص ومعالجة الواقع الذي وصل إلى مرحلة لا يمكن تجاوزها دون تسليط الضوء على التاريخ، وعند النجاح في النمط التاريخي، تظهر على الساحة قوة حل لا مثيل لها، وتؤدي إلى انفراج دقيق بنفس النسبة.

إن إتمام المنظور التاريخي الأساسي بالمراحل الأساسية، سيظهر إمكانية تحقيق منظور حل غني وفهم يومنا هذا، وتحويل الظلمة إلى نور، وسيتم استيعاب كم أعمت المواقف الدينية والقومية المتطرفة العيون وضخمت المواقف الخيالية والتي ذات بعد واحد، سيجعل ذاك الرأي ذو معنى أكثر، ولذلك لا نعتبر أن الوقت متأخر. ومع مقارنة هذه القضية بالقضية الفلسطينية والقضايا المشابهة لها، حينها يجب التخلي عن النمط القومي الذي يستمر لعصور مع جذوره الدينية ويعتقد مع مرور الزمن الى جانب وقوعه في مأزق، وذلك كضرورة للموقف الديمقراطي الحضاري والعلمي.

إن رؤية ذلك النمط الجديد من قبل القطاعات والمؤسسات المعنية، وإصلاح مواقفها يكتسب أهمية حيائية. إن بنية الأزمة الشاملة القائمة في تركيا تجعل من هذا الأمر مهمة لا يمكن تأجيلها.

لا شك أن أبعاد العلاقات التركية . الكردية هي من أبرز العلاقات في الواقع الكردي تاريخياً وعلى صعيد العلاقة اليومية، وإن تناول هذا البعد بعمق وشمولية يكتسب أهمية حيائية أيضاً. إذا كان الحل المنتظر سيكون في إطار بنية وحدة الدولة على أساس الوحدة الديمقراطية، سيجعل ذلك التحليل العلمي للعلاقات التاريخية أكثر أهمية. وهنا يجب علينا تذكير الذين لا يريدون الاعتراف بالقضية الكردية . لنندع جانباً الاتحاد تحت سقف دولة مشتركة مع عدة دول تركية ومجموعة دول تركية. فحتى تضامن محدود يشترط استيعاب حقيقته التاريخية واليومية بشكل صحيح. إن الآراء العاطفية أدت بالنتيجة إلى ردود فعل، وهذا حقيقة نراها بشكل جلي في يومنا هذا، وهو نمط خاطئ وغير كاف، ولذلك يجب أن تشهد العلاقات الكردية . التركية إصلاحات ديمقراطية شاملة كمهمة عاجلة، وسنقيم ماهية هذه العلاقات وجوانبها المنحرفة واتجاهاتها الإيجابية مجدداً، وستشهد إصلاحات متينة وجديدة. ولا شك أن الإصلاحات تنبع من الديناميكيات الذاتية، لكنها تدخل في إطار التكامل مع واقع الاتحاد الأوروبي، الذي تحاول تركيا الانضمام إليه، والتي تعتبر نفسها جزءاً منه، وإن مواصلة هذه الجهود يضاعف أهميتها، ويجعل تلاحم الوضع الداخلي مع الوضع الخارجي بالإصلاحات ليست عبئاً بل فرصة للخروج من بنية الأزمة الكبيرة.

يكتسب بعد حزب العمال الكردستاني في مرافعي أهمية كبيرة، إذ إن تقييم حزب العمال الكردستاني بشكل علمي عمل ضروري ليس من جانب أعضائه وقاعدته الجماهيرية فحسب، بل من جانب الموجودين في الموقع المضاد له أيضاً. والاكتماء بوصفه إرهابياً ليس حلاً، وبالمقابل فإن قولنا أن كل ما قمنا به كان مقدساً، يجرنا إلى أخطاء كبيرة. وتعرض حزب العمال الكردستاني والكردي إلى ماهية متداخلة، ليس في الواقع الملموس لتركيا وحسب، بل في الجغرافيا المتعلقة بالشرق الأوسط أيضاً. ولذلك فإن تحليل حزب العمال الكردستاني بدقة، بقدر ما يمهّد السبيل أمام نقد ذاتي بناء، إنه يمهّد السبيل أمام الحلول المحتملة أيضاً.

يكتسب شرح مصطلحي "الإرهاب" و "الانفصال" واللذان يعتبران من أكثر المواضيع أساسية ويدخلان جدول الأعمال عند ذكر PKK أهمية كبيرة. ومما لا شك فيه، أنه يجب رؤية أبعاد المخطط التاريخي والاجتماعي المتعلق بمحذرين المصطلحين بشكل جيد وما يقصد من وراء ذلك، وإعادة النظر في الإيديولوجيات الثورات الحديثة وتطبيقاتها. والشيء الأهم من ذلك، هو ضرورة القيام بتحليل علمي للضغط الإرهابي الذي يمارس كل يوم، والذي طوّر عبر التاريخ ووضع الواقع الكردي تحت المكبس. وإن تقييم موقف إرهابي لم يكشف يمنع التطور الحر في المجال الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والسياسي، بل تجاوزته إلى حد منع اللغة دستورياً، سواء من الناحية السياسية والعسكرية أو من الناحية القانونية والديمقراطية، يتمتع بأهمية حيوية. لذلك فإنه من المهم توضيح بعض التقييمات النظرية والمفاهيمية التي تنطلق من الموقع المضاد والتي جسدت أرضية لحزب العمال الكردستاني. وعلى هذا الأساس، فإنه من المهم جداً توضيح نظريات ومفاهيم الاشتراكية والاستقلال والحرية والديمقراطية والقومية والعنف والإرهاب والوطنية والاتحاد والانفصال من الناحيتين السياسية والقانونية، ووضعها على طاولة البحث بجوانبها الصحيحة والخاطئة. وسيساهم وضع الجوانب العملية والنظرية لحزب العمال الكردستاني والذي أخذ نصيبه من الشكل السطحي لهذه المفاهيم والنظريات، على طاولة البحث والوصول

الى الحلول الإيجابية للمرحلة.

يبدو واضحاً أن المواقف الاتهامية المتطرفة، أو الدفاعية المتطرفة لا تخدم الحل، وعند تقييم PKK من الداخل أو الخارج، حتى وإن كان هذا التقييم مضاداً أو مؤيداً، فإنه يجب الأخذ بعين الاعتبار الوضع الخاص للقضية الكردية والمشحون بالعنف والآلام، وعدم منحها حقها من العلم والتطور الاجتماعي، وخصائصها التي تمتاز بالمنع والضغوطات، وسيبقى أي تقييم ذاتياً إذا لم ير علاقة الضغط برد الفعل وهذا سيؤدي إلى نتائج سياسية خطيرة ولن يساعد على الحل، بل هو جوهر المواقف الذي يؤدي إلى المأزق. وإني أرى تجاوز ذلك أمر مهم جداً، وأعرف بأن القيام بما يقع على عاتقي في هذه النقطة، بقدر ما هو مسؤولية كبيرة فهو مهمة تاريخية أيضاً، لأن المهمة صعبة جداً، ويصعب على الآخرين القيام بها. إن تقييمات كهذه بصدد PKK ذات معنى وستساهم في الحل، وستتيح فرصة تقديم النقد الذاتي اللازم. أما المواقف والاتهامات التي تنطوي على الشجب فقط، فإنها ستضعف فرص أي تحول قد يحدث، وستقوي المواقف والمفاهيم الصلبة والمحافظة. عندما نأخذ بعين الاعتبار الممارسة العملية للمواقف التي تغلق أبواب السياسة الديمقراطية في تركيا أمام الاتجاهات الدينية واليمينية أو اليسار، فإنها لا تؤدي إلا إلى حلقة مفرغة وفقدان القيم لدى الأطراف، فإن أهمية هذا الموقف المذكور تزداد أكثر.

إن التفوق الأوروبي في هذه النقطة نابع من بلوغها سياسة ديمقراطية بعد تجاربها الطويلة، وفتح أبوابها أمام جميع أشكال التعبير الحر. إن الإيمان بصحة هذا الأسلوب وإعطاء الفرصة لذلك، هو الطريق الواقعي والمعاصر لحل المشكلة.

إن استبعاد العنف من كونه سبباً لحل القضية الكردية أمر مرتبط بشكل وثيق بتجاوز سياسات الإنكار والقمع ولو بشكل محدود، وفتح الطريق أمام الخيار الديمقراطي بما يتناسب مع جوهره. فمثلاً يشكل الحظر المفروض على اللغة والثقافة والنشر والتعليم شكلاً متطرفاً من الإرهاب، فهو في الوقت نفسه توجيه دعوة إلى العنف المضاد باستمرار. فإننا نجد أن PKK قد لجأ إلى العنف دون التحكم به، وبشكل تجاوز مفهوم الدفاع المشروع، ونجد أن الكثير من الحركات في يومنا هذا قد لجأت إلى طرق أكثر تطرفاً. وبالمقابل فإن وقف إطلاق النار من طرف واحد، والبقاء في موقع الدفاع المشروع خارج الوطن على الأغلب، يجعل الاتهام "بالإرهاب" باطل المفعول. ما يجب القيام به هو إدخال الآراء التي تترك الأبواب مفتوحة أمام مرحلة الحوار والوحدة الديمقراطية على الخط، ومن ثم تحقيق عملية ترك السلاح.

إن تقييم موقع PKK في هذا الإطار يقدم فرصة هامة من منظور سد الطريق أمام التطورات التي قد يصعب تجاوزها في المستقبل. ويعتبر ترك الأبواب مفتوحة أمام PKK على الساحة التركية لتحول ديمقراطي قانوني، الطريق الصحيح لحل سياسي يمكن تطبيقه، وواقعي أكثر من طريقة المنع كلياً والدخول في مرحلة التصفية، وهو فرصة للتوجه نحو الحل السياسي.

لقد رأيت ضرورة إتباع هذا الموقف المرن في دفاعي كأسلوب أساسي يجب أخذه بعين الاعتبار دائماً، وإني قيمت الاتحاد الديمقراطي الذي يمر طريقه من الاعتراف بالحريات ضمن حدود كل دولة شرق أوسطية تشهد فيها المشكلة الكردية، كموقف سياسي واقعي جداً تجاه الفقر، ولتحقيق السلام وأخوة الشعوب،

لقد أثبتت التجارب المعاصرة أن الصراع والاشتباكات التي نتجت عن "القوميات الصغيرة" أدت إلى فقدان

الحلول وظهور مشاكل أكثر مما كان في الماضي، بل وأدت إلى مزيد من التعقيد في القضايا التي يمكن حلها، ويمكننا أن نشهد ذلك بكل سهولة. إن عدم تحول الجغرافيا الكردية التي تمتلك قوة كامنة كبيرة للصراع إلى وضع يشابه وضع فلسطين وإسرائيل يتطلب جهوداً ومسؤولية كبيرة. ويجب أخذ خيار الشرق الأوسط الديمقراطي بعين الاعتبار دائماً كهدف إستراتيجي.

تتيح لنا محكمة حقوق الإنسان الأوروبية فرصة من أجل اختبار إمكانيات الحل القانوني. إن معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية والتي ترتبط تركيا بها قانونياً هي عمومية ولا تخصني شخصياً. وتعترف معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية بشمولية الحقوق الشخصية "الفردية" والمدنية والاقتصادية والاجتماعية وحقوق تحديد كيان الشعوب والثقافات بشكل حر والتي وافقت عليها الأمم المتحدة، وتفرض على جميع أعضائها الالتزام بالواجبات المذكورة. وترى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية خلال الدعاوى التي نظرت فيها في إطار هذا المضمون ضرورة تناول المشكلة جذرياً، وتحقيق مقاييس قانونية تتجاوز الأشخاص، ولم تكن القرارات المختلفة لآلاف الدعاوى واقعية، أو أصبح من الضروري موافقة أو مصادقة البرلمانات الوطنية على قانونية هذه القرارات. إن تركيا هي العضو الوحيد في المجلس الأوروبي الذي لا ينفذ ما يقع على عاتقه بهذا الصدد وفي مقدمتها مادة حق الحياة ولم تلب متطلبات معايير "كوبنهاغن" التي تعتبر انفتاحاً آخر لمعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية حتى في مرحلة الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

أتمنى لقضيي الشخصية أن تخلق عاملاً مسرعاً، فإذا ما أرادت تركيا ذلك، فأنا أؤكد بأي منفج على الحل الودي، وقيم هذا الجانب من دفاعي إمكانية مساهمة القانون لإيجاد الحل السياسي بشكل صحيح. باختصار أرى من الأهمية بمكان إتاحة الفرصة للحل ضمن دولة القانون الديمقراطي بدلاً من اتباع الطرق العسكرية والسياسية الشديدة التي استخدمت بكثرة في الماضي؛ ويتطلب من تركيا تقييم حاجتها هذه بمسؤولية، وتوسيع الحل الودي وأتمنى أن يكون ذلك سبباً لفتح الباب أمام الحوار السياسي. من منطلق المسؤولية التاريخية أتناول مسألتني بكل تفاصيلها. وإن تناول بعض الأوضاع التي شهدناها إلى أبعد من الضرورات التقنية للمحكمة حتى لو كان لها جوانب أدبية هامة جداً، وتسليط الضوء على الحقائق الكامنة في الدعوى، تعتبر مهمة لا بد منها. وأني اضطررت لأن أتعلم في هذا الجانب في مرافعتي، ليس لأجل مصادقية الحقوق الدولية فقط، بل لأنه تم خرق الكثير من القيم المعنوية، ومن خلال وضعي الشخصي يمكن إلقاء الضوء ليس فقط على المأساة اليومية التي يجيها الشعب الكردي، بل وعلى الانعزال الكبير الذي أدى إليه التاريخ الملعون وجعل الشعب الكردي آلة للمؤامرات باستمرار وحدثت الخيانات غير المعقولة أيضاً، واطهار كل ذلك إلى النور. والهدف من ذلك، هو وضع حد لهذه المأساة على الأقل والدخول إلى طريق الحضارة المعاصرة. ويمكن تقييم هذا الجزء على أنه خلاصة للمرافعة ونهاية لها.

هذه المقدمة التي أبني عليها مرافعتي قد تتضمن الكثير من النواقص. فبالإضافة إلى الأسباب الأخرى هناك السنوات الثلاث التي قضيتها في إيمرالي بمفردي. مما كان لها تأثير بالغ على تعرض ذاكرتي ولغتي للتآكل. ولكنني انطلاقاً من إيماني الكبير بأن الدروس المستنبطة من تلك الممارسة الظالمة التي تعرضت لها، وكثافة الخبرة، تشكل خدمة كبيرة للأوساط المعنية بهذا الأمر، إذ قمت بالكتابة لأول مرة منذ زمن طويل لأؤدي هذه المهمة الملقاة على عاتقي.

الفصل السادس

القضية الكردية في الشرق الأوسط وسبل الحل المحتملة

المدخل

القضية الكردية هي من أشد القضايا تعقيداً في الشرق الأوسط، تتخذ طابعها من نمط تكون الواقع الذي تستند إليه، ولا مفر من أن تشابك القضية الكردية بنحو أكثر في المستقبل. مثلما كان في التاريخ وحتى يومنا هذا. سيؤدي إلى كثير من المشكلات الجديدة إذا لم يجر تناولها بطريقة صحيحة، وتمتلك القضية الكردية صفة أكثر شمولية من قضية الصراع العربي - الإسرائيلي التي تشغل العالم كثيراً، كما أنها وجدت في موقع أكثر عمقاً منها من حيث الشكل، ويؤدي عدم ظهور هذه المشكلة كلياً إلى تقييمات ناقصة وخاطئة، نظراً لوجودها في أكثر المناطق استراتيجية من زاوية تعداد السكان والجغرافيا والظروف الاجتماعية والسياسية، وتأني في المقدمة من حيث نوعية القضايا وثقلها.

ويؤدي تقسيمها بين الفرس والعرب والأتراك كقوميات أساسية في المنطقة، إلى تأثير واسع لها على مستوى المنطقة بأكملها، وحل هذه المشكلة في جزء من الأجزاء يسفر عن الضغوط على الدول لحلها في الأجزاء الأخرى، مثلها مثل الأواني المستطرقة، ويكون التأثير مشابهاً في حال حدوث عكس ذلك. إن الظروف الجغرافية الوعرة جعلت عامل الكفاح المسلح مندرجاً على جدول الأعمال دائماً، فقد خلق الاحتلال الذي حدث في جميع مراحل التاريخ مقاومة بشكل أو بآخر، وكأن الحياة تسير مع حالة نفسية التمرد الطبيعية، وقد وصل تعداد السكان إلى أربعين مليون نسمة لوجود الامكانيات الطبيعية المتطورة، ويشكل هذا الرقم كماً كبيراً من أجل إقامة الحسابات الاستراتيجية عليه.

لقد أدى توجه العشائرية التي كانت شكلاً تقليدياً عبر التاريخ نحو الانحلال المكثف، وإلى تجدييدات عدة في البعد الاجتماعي لأول مرة، إذ حول حرمان المشكلات الاجتماعية من طرق الحل الحديثة لتلك التجدييدات إلى أرضية لظهور أزمات ثقيلة، ففي الوقت الذي تجددت فيه الكثير من المجتمعات وتخلصت من مشكلاتها، تطور التجديد الكردي باتجاه معاكس، وأضاف إلى التعقيدات التاريخية تعقيدات جديدة، ناهيك عن الحل، فإنكار الوجود الكردي أو عكسه بصوره مختلفة تكاد تكون السياسة المسيطرة، ومن جانب آخر فإن الإمكانيات التقنية المتزايدة والمعرفة في العالم تؤدي إلى انفجار الوعي والمطلب، وعدم تطور طرق الحل الديمقراطية في كافة أنحاء الشرق الأوسط يؤدي إلى انفجارات غير متوازنة، تجلب معها الكثير من الأحداث المأساوية، لقد جعل انسداد طرق الحل الدينية التقليدية وطرق الحل الحديثة، خيار العنف طريق الخلاص الوحيد الذي بقي دائماً على جدول الأعمال، ويعني ذلك سفك الدماء والمأساة وتعمق المأزق في أجواء عدم توازن القوى، والأسوأ والأكثر سلبية من ذلك هو أن المؤسسات الدبلوماسية الإقليمية والدولية، تظن أن إنكار وتأجيل هذه القضية بدلاً من الاهتمام بها رغم كبرها واحتلالها مكاناً أوسع من القضايا المشابهة لها سياسة عقلانية، وأدت المصالح المتبادلة على الموقع الجغرافي الاستراتيجي، إلى ظهور المواقف اللاإنسانية من خلال دبلوماسية سرية كمنهج سياسي أساس من دون أن يتم الالتزام بأية قيمة أخلاقية.

لا شك في أن الأسباب الداخلية تؤدي دوراً هاماً في وصول القضية الكردية إلى هذه الحال أكثر من الأسباب الخارجية، لقد تم إيصال القضية الكردية إلى وضع متشابك وغير معروف لدرجة أن أصحاب المواقف الحقيقيين وفي مقدمتهم الكرد أنفسهم بقوا حيالها عاجزين عن كيفية إظهار مواقف منسجمة وذات نتيجة مرضية.

لذلك فإن ما يجب القيام به قبل كل شيء هو تناول الظاهرة الكردية بكل جوانبها، لفهم ما يقال عن هذه الظاهرة من جميع الجهات، بدءاً من أصحاب الرأي الذين ينكرون هذه الظاهرة، وصولاً إلى أصحاب المواقف العاطفية، وتوحيدها في تعريف أقرب إلى الصحة، وحتى إذا لم يتم تحقيق ذلك فيجب دفع هذه الظاهرة والقضية إلى جدول أعمال الأوساط المعنية بموقف أكثر علمية وبأبعاد واضحة ومفهومة، فالنقاش المستند إلى الظواهر العلمية سيزيد على الأقل القاسم المشترك المتعلق بكيفية الوصول إلى طرق حل سلمية، إلا أنه من الواضح أنه لا يمكن الوصول إلى أي هدف من خلال حوار الطرشان مثلما حدث حتى الآن. إن المنطق الذي يقول "قمت بذلك وانتهى" بمبادرات أحادية الجانب، قد بات معروفاً على أنه أسوأ منطق، يجب الالتزام بنهج الحوار عبر التاريخ وفي يومنا هذا أيضاً كأفضل طريق للحل في جميع أنحاء العالم، وجعل ذلك أساساً لهذه القضية، حيث لم يربح أي طرف من فرضه الأمر الواقع على الطرف الآخر، ولن تتم إزالة هذه الظاهرة كما لم يتم إخراجها من كونها مشكلة، ولم يجر الوصول إلى أية إمكانية للحل من خلال تلك الممارسات.

وفي هذا الوضع فإن تعريف الظاهرة الكردية يحظى بأهمية كبيرة، وأكبر خلاف يتمركز حول كيفية تعريف هذه الظاهرة، هو بقاء العرب تسمية الكرد بـ "عرب اليمن"، والأتراك يسموهم بـ "أتراك الجبل"، والفرس يعدونهم من أنفسهم، أو أن يرى الكرد أنفسهم أصفى الشعوب وأنقاها، لا يمكن أن تكون هذه المواقف السياسية الناتجة عن ذلك مختلفة عن غيرها، ولا مفر من أن تجلب المواقف السياسية المميزة معها ممارسات مميزة، إذ لا يؤمل سوى أن تجلب معها صراع العميان ومآسي ومآزق لا يمكن الخروج منها.

إن ممارسة واقع التمرد وحملات التنكيل التي تمت حتى الآن تؤكد صحة هذا التقييم، وحتى الانطلاقة العملية بقيادة حزب العمال الكردستاني PKK الذي لم يستطع أن يتخلص من هذا التطور الأحادي الجانب، ومن تقيمه هكذا من قبل الآخرين على الرغم من جهوده وادعاءاته العلمية.

لا شك في أن الظاهرة الكردية لم تنزل من السماء، إنما تظهر قريباً هاماً مع القضايا المشابهة في العالم، لكنها تحمل مزايا بارزة خاصة بها، وما يجب القيام به هو سبر جوانبها الخاصة بما بمقدار تشابهها مع القضايا الأخرى، ويمكن أن تؤدي السياسات المستندة إلى التشبيهات العامة فقط، إلى نتائج لا يمكن الخروج منها، كما يمكن الوصول إلى النجاح عند الممارسة الواقعية التي تتيح إمكانية الوصول إلى نتائج مستنبطة من الخصائص الأصلية بنحو جيد، حيث لم تتم تجربة ذلك حتى الآن، ولهذا لم يتخلص أي طرف من الأطراف من الفشل في هذا الموضوع.

لقد تم إظهار مواقف مشابهة ومعاكسة حيال القضية الكردية في التاريخ وفي يومنا هذا، ويمكن تقييم هذه المواقف في ثلاثة فئات عند أخذنا لخصائصها العامة.

الأولى: هي المواقف الناكرة لوجود الظاهرة الكردية، وبحسب هذه المواقف لا يوجد شيء اسمه كردي، أو أنها قضية شيطانية مصطنعة من قبل أعداء البلد الذي يوجد فيه الكرد، ولذلك فإن ما يكتب ويقال باسم القومية الكردية أو

الوطنية الكردية هو نوع من الاعتداء وموضوع محرم، لذا يجب نفي وجود هذه المشكلة، بل ويجب إزالتها، ومع الأسف أن القرن العشرين الذي تطورت فيه الموضوعية والعلمية، يشهد هذه الآراء أكثر من أي عصر مضى نتيجة لوجود قوميات حاکمة، إلا أنها واقعة لا مفر من قبولها حتى لو كانوا عميان، كونها منطقة تحمل خصائص اقتصادية وسياسية واجتماعية وبنية لغوية مميزة حتى ولو تم اعتبارها من القومية نفسها، ويراد عدم استيعاب المناطق والثقافات البعيدة من أن تحمل تكاملاً ضمن قوميات عدة كالأوروبية والأمريكية المتطورة، إن المواقف التي تقول: "نحن مجتمع واحد إلا أن الأجانب يقومون بالتمييز على الرغم من وجود الفروقات الكبيرة هي بصفة أحكام إنكار ينذر ما نرى رؤية مثيلاً لها في التاريخ، ولكن أصحاب هذه المواقف يفقدون الثقة والمصادقية، سواء من خلال الأنشطة المتواصلة، أو من خلال التطور التقني والعلمي الذي لا يعرف الرقابة، إن الظاهرة التي تستند إليها القضية قد أرغمت حتى المتكبرين لها إلى تطوير مواقف مميزة، وإلى قبول أهون الأمور من دون رغبة.

أما أصحاب الرأي الثاني فهم يفتقون في موقع معاكس، يحاولون تطوير سياسة من خلال مواقف وسلوكيات ليس لها علاقة بهذه الظاهرة كثيراً، عبر مواقف تفتقر إلى العاطفة والموضوعية، وهذا ما نسميه بأسلوب أدب الحماسة، لنترك جانباً حل القضية الكردية التي تعد قضية متداخلة يصعب الخروج منها بهذه الطريقة، فإن هذا الأسلوب يؤدي دوراً سلباً في تعقيد المشكلة، وبعضهم يحاول تطبيق هذا المنهج من خلال المفاهيم القومية البدائية أو المنظور الديني، ويعتقد بعضهم الآخر أنه يطبق ذلك باسم اليسار والثورية، إن كردية القرن العشرين قد أفنت عمرها بهذه المناهج وأصبحت أكثر تعقيداً، ووقعت في وضع يخلو من أية تطلعات، هذا الموقف ألقى كل الذنب على قوة الدولة أو الموقع الذي يشكل حاجزاً للطرف المضاد، ولا يشعر بضرورة النقد الذاتي الجذري للتعرف على أخطائه ونواقصه، وما وصلت إليه هذه الشريحة هي الشخصية والروح التي فقدت طموحاتها وتطلعاتها والتردي إلى وضع الاستعداد للاستسلام لكل الظروف، وهذا يعد استسلاماً للعبودية، ولمفهوم القدرة الذي يقول "هكذا جاء وهكذا سيستمر" المتوارثة من أيام الأجداد.

يجب أن نتحدث عن شريحة أخرى تؤدي دوراً بين هذين الرأيين، وهي الشريحة التي تؤدي دوراً منذ أقدم مراحل التاريخ على شكل عمالة تقليدية، وهي التي تعرف كيف تقوم بتجديد نفسها حسب المرحلة، وقد أصبح ممثلوها ماهرين في كيفية اتخاذ مواقف مؤيدة للطرف الأقوى، وهم يظهرون مهارة في جعل الأسرة والسيالة باقية في الطبقة العليا، ويجعلون مصالحهم دائمة بالتخاذ مواقف إلى جانب الطرف المترفع على السلطة، من خلال توظيف أعضائهم في جميع مراكز القوى المحتملة كشركة لأسرة، ويواصلون ذلك كسياسة أساسية لهم.

المهم بالنسبة هؤلاء ليس الرأي والمبدأ والأخلاق، فمبدؤهم وكل ما يملكونه مرتبط بإمكان وجود مصالحهم، إن هذه الشريحة الوسطى هي التي سمت القضايا الاجتماعية وجعلت الخروج منها مستحيلاً، هؤلاء يمتلكون القوة ولديهم تجاريم التاريخية، ويعرفون مع من وكيف يقيمون علاقاتهم... وكيفية إبراز أنفسهم، ولا يعرفون احترام أية قيمة معنوية ومبدئية متينة للمجتمع، لأن ذلك لا يتوافق مع مصالحهم، وربما تكمن ظاهرة أكثر خصوصية في هؤلاء ولا يمكننا رؤيتها في العالم، فهذه الشريحة هي المسؤولة عن وجود الظاهرة الاجتماعية وعن كل المشكلات الناتجة عنها، وإن هؤلاء موقعاً يمكن معه إفشال أية خطوة إيجابية، لأنهم يخدمون الدولة بأبخس ثمن، هم ماهرون في التلاعب بنجاح مع كلا الطرفين، وحتى أنهم يواصلون علاقاتهم مع أحد الطرفين في الخفاء ويستطيعون الإفادة من الطرف الآخر، وإذا لم نقم بالكشف عن هذه

الشريحة بكل جوانبها وتحليلها وإذا لم نستطع تحييدها، فلا يمكن استيعاب وفهم الظاهرة بنحو صحيح، كما لا يمكن إيجاد أي حل صحيح للقضية.

كرأي ثالث يمكننا أن نشير إلى مواقف الشريحة التي تدعي أنها علمية، إذ لا تمتلك هذه الشريحة إمكانية الاستيعاب للقدرة العلمية، رغم أن لديها نوايا حسنة، والظواهر التي تحددها مجزأة وبعيدة عن أن تكون منتظمة، وضعها يشبه من يحاول وصف الفيل من خلال تلمس شعرة منه، ولهذا يمكن أن تؤدي هذه الشريحة دوراً سلبياً يماثل دور أصحاب الآراء الأخرى في الأقل، إن نصف الرأي ليس أقل خطورة من رأي خاطئ منظم، ويحتاج الموقف العلمي إلى تركيز جاد على مستوى متقدم، ولا يمكننا أن نتظر من النهج العلمي نتيجة دون تحقيق تراكم يعتمد على النظرية والبحث والتدقيق والملاحظة، وتوجد عدة نتائج لمواقف نظرية تعتمد على الملاحظة ولكنها لم تتجاوز أكثر من أن تكون معلوماتية، لأنها لم تخلص نفسها من الجوانب الدوغمائية واليوتوبية كونها لا تستهدف الحل، ويعتقد أصحاب هذا الاتجاه أن وجودهم في موقع لا مسؤول، كعدم إمكانية الحل بالطرق العلمية، هو أمر علمي أكثر من أن يعملوا من أجل سياسة واقعية قابلة للتطبيق، إلا أن العلمية هي الأداة الواقعية الوحيدة لإيجاد حل للمشكلة، فإذا كان حل كل المشكلات المشابهة في العالم ممكناً، لا يمكن تحميل ذنب عدم الحل للمنهج العلمي، إن ذلك لا يعبر سوى عن عدم استخدام هذا المنهج بهدف الحل بطريقة مقتدرة ونزيهة، فكما لا يجوز القول: لا يمكن مداواة مرض معروف وقد تمت معالجته سابقاً، فلا يمكن القول أيضاً: لا يوجد حل لمشكلة اجتماعية ناضجة ومشابهة لذلك، وفي هذه الحال لا يمكن التحدث إلا عن أطباء غير مؤهلين وغير مقتدرين، وعدم كفاءة الطرق العلاجية أو الخطأ في استخدامها، ولذلك فإن الإصرار على المنهج العلمي هو طريقة الحل الصحيحة والوحيدة.

لم تؤدِ المواقف القومية والاشتراكية التي بدت علمية، إلى أية نتيجة إيجابية تذكر على أرض الواقع حتى يومنا هذا، بل كان لها دور كبير في السلبات، وبات واضحاً مدى الربح والخسارة في النتائج التي نجمت عن الشرائح التي تتبنى مواقف الرأي الرسمي والرأي العميل، ولا توجد أية شريحة تستطيع التحدث عن إيجابية على مستوى الساحة الإقليمية كما في عموم البلاد، إن القضية الكردية مع القضايا الأخرى هي السبب الأساس في الأزمات التي تعاني منها الدول الموجودة في الساحة الإقليمية، ما يعني إفلاساً لمناهجها السياسية.

لا يمكن التحدث عن النتائج التي أدت إليها المفاهيم السياسية التي تعمل بالتستر على المشكلة وتعمل على جعلها تهرأ، وتجعل من ذلك أساساً للحل لأنها بعيدة عن سبل الحل، بالإضافة للوضع المتأزم الذي تشهده الدول المعنية، حيث أن هذا الوضع المتأزم له علاقة مباشرة بالذهنية السياسية الحاكمة في الشرق الأوسط، فإذا كنا نتحدث عن تفوق الحضارة الأوروبية، فإن ذلك نابع من مواقفها العلمية نحو حل مشكلاتها وتجربتها في استخدام طرق الحل الديمقراطية حتى النهاية.

إن حزب العمال الكردستاني الذي أظهر موقفه المؤمن بالاشتراكية العلمية تجاه الظاهرة والمشكلة الكردية، يواجه ضرورة ممارسة النقد الذاتي في الواقع التطبيقي له، بعيداً عن الوصول إلى الحل رغم تحقيقه تطورات هامة، حيث يجب أن نفهم جيداً أن الإيمان بنزاهة الاشتراكية العلمية والالتزام بها بنحو قريب من النمط الدوغمائي لا يكفي لوحده، حيث لم يستطع الحزب أن يكون علمياً بما فيه الكفاية، إن العلمية نفسها تأخذ الشكوك ذات المضمون والمعنى أساساً لها وليس الإيمان، وأدى استبعاد النحو العلمي عن النهج. لأن الإيمان كان موجوداً منذ البداية. إلى سهولة الانزلاق إلى الدوغمائية،

فمن الواضح أن الإيمان إذا وصل إلى مستوى الدوغمائية يصبح كالستار الذي يحجب رؤية الحقيقة حتى ولو كان له أساس علمي، ناهيك عن سهولة دخول الشخصيات التي تنتمي إلى المجتمع الإقطاعي غير المتطور باتجاهاتهم العاطفية والدوغمائية رغم أنها تعرضت لتربية علمية بسيطة تحت تأثير ثقافة الشخصية الحاكمة التي تهيم الأرضية لتشكيل عوائق مهمة أمام الموقف العلمي.

يظهر وضع أشبه بخداع النفس عندما تتوحد المغالطة بالمعرفة وعدم الكفاءة العلمية مع هذه الأرضية، ومهما كانت التضحيات والشجاعة كبيرة، يتم استغلال النتيجة بأسوأ الأشكال من لدن الآخرين، فهي تصل إلى وضع التحول إلى أداة يدهم، وهذا ما ظهر في واقع حزب العمال الكردستاني بكثافة، وهذا الوضع يتطلب إعادة النظر في كل المواقف والمناهج الإيديولوجية والسياسة والتنظيمية والممارسة والأساليب بنحو شامل ليتم تجاوز السلبيات عن طريق النقد الذاتي وتصبح الإيجابيات مهيمنة.

ما يجعل قيام حزب العمال الكردستاني بدراسة واقعه العملي أمراً ضرورياً لاستخلاص النتائج من الدروس والتجارب الماضية لأزمة الاشتراكية المشيدة وأزمة الحضارة الرأسمالية في جميع أنحاء العالم، مما يجعل استكمال وتفعيل الخطوات التي اقدم عليها في هذا الاتجاه في المؤتمر السابع الطارئ واستكمالها في المؤتمر الثامن أمراً مصيرياً، فالطريق الأساس يقتضي إظهار الموقف المطلوب وإنجاحه من خلال معرفة كيفية الوصول إلى النتيجة السياسية الأكثر حلاً والأكثر احتمالاً بالمنهج العلمي.

لقد قمت بوضع التحليل التاريخي والعصري والإقليمي في الجزء الأول من مرافعتي، وسأحاول توضيح الظاهرة أو القضية الكردية عن كتب في الجزء الثاني، ويمكن اعتبار ذلك إطاراً عاماً، وهي محاولة القيام بالتحليل النظري لأهم مشكلة على أرض الواقع، وسأحاول الوصول إلى حل سياسي ممكن وأكثر واقعية حسب الأسس العلمية في العالم والمنطقة وتركيا، ولذلك يجب البدء ببعض المصطلحات الأساسية:

أ. بعض المصطلحات الأساسية

١. المجتمع

يعبر عن ماهية النوع الإنساني الذي خلق الوسيلة وتوحد مع جنسه وازداد وعياً ليسير نحو هدف مشترك، وانسلخ عن أقرب نوع حيواني ليحيى في حيز واحد، إن المهم في هذا التعريف هو العمل من خلال الأدوات وتحقيق ذلك حول هدف مشترك لجميع أفراد النوع البشري عن إدراك ومعرفة، لا يمكن لشخص واحد أن يشكل مجتمعاً بمفرده، ولا يمكن بناء المجتمع من دون أدوات، إن التجمع يجعل تحقيق الإنتاج المشترك وتحقيق الأمن ضرورياً لمواصلة الحياة المادية، وهذا الأمر يجعل المعرفة المشتركة ضرورية أيضاً، لقد تم الوصول إلى مجموعات بشرية لا تتجاوز العشرات وإلى أسرة العشيرة، ومن ثم إلى مجتمع العالم في يومنا هذا، وأثبت المجتمع منذ خلقه حتى الآن الدخول في تكوينات كبيرة وجعل نفسه متفوقاً كضرورة لتعريف ذاته، إن إمكانية وجود عالم المجموعات البشرية تكون واقعية بمقدار عالم الجماد والنبات والحيوان هي جوهر ذلك بالذات، مما يعني أن الإنسان لا يمكن أن يكون موجوداً من دون مجتمع، فكما أن عالم الجماد والنبات

والحيوان هو حقيقة قائمة، فإن المجتمع أيضاً حقيقة بالدرجة نفسها، لا يمكن إنكارها لأن ذلك يماثل الإدعاء القائل " لا توجد طبيعة ولا يمكن أن يكون القمح أو الغنم حقيقة ".

من الواضح أنه لا يمكن إنكار الظاهرة التي تسمى بالكرد على أنها حقيقة اجتماعية من خلال وجودها بنحو ملموس في يومنا هذا، فعندما ننظر إلى الأركولوجيا "علم الآثار" والتاريخ المدون، وحتى لو تم الإدعاء بأنه لم تكن لهم دولة ولم يصلوا إلى وضع القومية بما فيه الكفاية وتمت إزالتهم منذ زمن بعيد، يجب توجيه السؤال التالي إليهم: يتركز الملايين منهم في جغرافية معينة، ويتحدثون بلغة مثلهم مثل المجتمعات البشرية الأخرى حتى لو كان ذلك بلهجات مختلفة، ويعيشون على شكل مجموعات عشائرية قوية منذ آلاف السنين، وحتى لو لم يصلوا إلى مستوى المجتمع القومي أو الدولة، فقد سكنوا في الكثير من المدن والقرى وقاموا واضطهدوا وحوكموا لكنهم ظلوا مصممين على البقاء، ولم يقطعوا الأمل في العيش بحرية، أعتقد أننا لا يمكن أن نجد دلائل أكثر من هذه الوقائع، وإن موقفاً عكس ذلك لا يحمل أي معنى سوى جعل غاليلو يعترف مكرهاً أن الكرة الأرضية لا تدور حول الشمس مثل ما كانت تريده المحاكم الدينية في القرون الوسطى، ولهذا فإن الشرط الأساس لتناول القضية الكردية، هو أن الكرد لهم واقع اجتماعي خاص بهم، بينما عدم وجود دولة لهم، وبعدهم عن أن يكونوا دولة والتعرض للصهر والذوبان والافتقار إلى تكوين وحدتهم، لا يغير من هذه الحقيقة المذكورة شيئاً، حتى ولو كانوا مجموعات في مزارع صغيرة أو على شكل الرحل الذين وجدوا في العصر النيوليتي قبل عشرة آلاف سنة، إن هذا الوضع يكفي لتقييم الكرد كمجتمع، وهذه الحقيقة تؤدي بنا إلى عدم إنكار الظاهرة الاجتماعية الكردية، وتدلل هذه الظاهرة على أنهم يعيشون مشكلة كبيرة، أما إنكارها أو إظهارها بنحو مختلف، فلا يمكن أن يكون بنمط المحاكم الدينية في العصور الوسطى، ولنترك جانباً نجاح هذا النهج الذي لم يكن ناجحاً حتى في عصره، يمكننا الإدعاء وإثبات أنه سيتم القبض على هذا النهج بالجرم المشهود من قبل التقنية العلمية ومجتمع المعلومات الذي لا يعرف حدوداً في يومنا هذا، ولن يتخلص من المحاكمة أمام القانون الكوني الذي يتجاوز القوميات.

٢. العشيرة والعشائرية والانتماء الأثني

دخل الكيان الاجتماعي مرحلة الحياة المستقرة والتزايد السكاني منذ الألف الثاني عشر قبل الميلاد بعد أن عاش نسبة ثمان وتسعين بالمائة من عمره قبائل بدائية لا تتجاوز ثلاثين شخصاً، وبعد الدخول إلى المرحلة الاجتماعية التي تعتمد على زراعة النباتات وتدجين الحيوانات، أصبح الدخول إلى مرحلة القبيلة التي تعتمد على عدة عائلات أمراً ممكناً، مع هذه الظروف المادية فإن هذا المجتمع الذي أصبح واقعاً على ضفاف دجلة والفرات التي تسمى بمزوبوتاميا العليا، قد أدى إلى الدخول إلى المجتمع العشائري والانتماء الأثني الذي يتكون من قبائل عدة منذ الألفية السادسة قبل الميلاد، ولا شك أن تأسس المجتمع الزراعي المستقر قد أدى دوراً أساسياً في هذا الأمر، وتحققت قفزة على صعيد الوصول إلى عشائرية أكثر تطوراً من الظاهرة العشائرية السابقة بعد ظهور القوى الخارجية الغازية والانتقال من مرحلة الدفاع للدخول إلى مرحلة الاعتداء والغزو، لقد استمرت هذه المرحلة منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الآن، وزيادة و نقصاناً حسب المرحلة، إن الظاهرة العشائرية هي قالب اجتماعي كوني وكل مجتمع يتطور لا بد أن يشهد هذه الظاهرة، ربما يكون مستقراً أو رحالة، كما لا يمكن الدخول إلى التكوين السياسي على مستوى دولة من خلال ظاهرة العشائرية، إن أعلى مستوى لها هو

تأسيس كونفدرالية العشائر، وتعبير العشيرة عن المجتمع السياسي قبل الوصول إلى دولة، لقد عاشوا مرحلة الأمومة في البداية، ثم المرحلة الأبوية مع ازدياد تأثير الحضارة، والتحول إلى دولة ضمن العشيرة يخلق تمايزاً طبقياً وتعرض الروابط العشائرية للانحلال مع الفرز الطبقي لتترك مكانها لعلاقة الحاكم والمحكوم، حيث تسود العلاقات السياسية البيروقراطية وليس روابط الدم والقرابة.

اكتسبت الظاهرة القومية المعنى كصورة اجتماعية جديدة بعد هبوط النحو الاجتماعي العشائري إلى درجة ثانوية، وفي الحقيقة لم تسقط العشائرية تماماً بل تعرضت للتغيير، وتم خلق الكثير من العشائر الجديدة على نفس الأساس الثقافي، وحدث نمو عامودي وأقوي في الوقت نفسه، وتم فرض الدولة التي تضم الطبقات في داخلها، وأطلقت تسمية القوم أو القومية على المجموعات العشائرية الواسعة التي تنتمي إلى اللغة والثقافة المتشابهة في ظل هذا الواقع والتي تقطن المكان الجغرافي نفسه، والتي يتم السيطرة عليها بالاحتلال الخارجي أحياناً وبالمؤسسات السياسية التي تشكلها من داخلها أحياناً أخرى، وفي حين كانت الهيئة الاجتماعية الغالبة في عصر الحضارة العبودية هي العشائر البسيطة، فإن الهيئة الغالبة في مجتمع القرون الوسطى هي القوم أو القومية، وأصبحت الشريحة العليا للعشيرة التي تعرضت لفرز طبقي، هي السلالة الحاكمة بينما تحولت الشريحة السفلى إلى فقراء تضم الكادحين والمستعبدين، وبذلك فقد الانتماء العشائري أهميته وأكتسب الانتماء الطبقي الأولوية والأهمية.

إن أقوى شكل للظاهرة الكردية هو القالب العشائري الذي ما زال قوياً، بدأ الكرد العيش بالنحو العشائري في الخطوط الداخلية والخارجية في القوس الجبلي لطوروس وزاغروس منذ عشرة آلاف سنة قبل الميلاد على شكل مجتمع نيوليتي، ونلاحظ أن العشائر الكردية قد ازدادت معرفتها أكثر من الماضي بعد الألفية السادسة قبل الميلاد، وقد ادى تماسك المجتمع النيوليتي دوراً مصيرياً في ذلك، وتم الدخول في موقع المقاومة العامة بسبب الاستيطان السومري الذي تطور منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد، فقد أدت المقاومة والغزوات إلى تطور المعرفة والتضامن العشائري مبكراً، فتواصل الغزوات الخارجية مع الجغرافيا الملائمة قد أدى إلى تكوين الكرد على شكل قوالب مجتمع عشائر جبلية، لكن استمرارية هذه الغزوات المتشابهة حتى يومنا هذا لم تتح إمكانية التحول إلى ظاهرة المجتمع الكردي، بل تؤدي إلى المحافظة على كيانها كمجموعات دفاعية صغيرة، وتلك هي القضية الأساس، إن هذا الوضع قد أدى بالكرد إلى اكتساب شكل اجتماعي غير متطور كثيراً، وبقاءهم في قوالب قومية ضعيفة من الناحية السياسية في القرون الوسطى، فقد شكلت الضغوطات الخارجية حواجز دائمة أمام تحولها إلى مجتمع متطور وقوة سياسية، أما الإيديولوجية الدينية التي تم فرضها من الخارج منعت تطورهم من الناحية المعنوية والروحية، وكأن المجتمع يحيا ظاهرتين معاً: أي المجتمع الحاكم الرسمي الذي يتكون من الذين قدموا من الخارج والمتعاملين معهم والشريحة العشائرية الفوقية، والشريحة غير الرسمية التي تمثل أغلب أعضاء العشيرة والكادحين، وهكذا تولدت القضية الكردية إنطلاقاً من هذا الأساس لتستمر بعمق إلى يومنا هذا، وهكذا نجد أن هناك أسباباً تاريخية وسياسية لتجذر قوة المزايا العشائرية الراسخة والتي تشكل حواجز أمام التحول إلى مجتمع حديث معاصر حتى يومنا هذا، وإن استمرار وجود الكرد كشعب وقومية على شكل العشائر له علاقة مباشرة بهذا الواقع التاريخي والسياسي.

٣ . الأمة والدولة القومية

تعبّر عن تحول العشائر والأقوام المتشابهة التي اكتسبت شكلاً قومياً كهوية فوقية، وتمتعت بجوية حول السوق الداخلية التي خلقها نمط الإنتاج الرأسمالي لتتحول إلى دولة، تؤدي السوق المشتركة واللهجات والثقافات المحلية إلى شكل لغة وثقافة قومية مشتركة، وبذلك يتم الانتقال من الملكية المطلقة التي توحد مصالح الأرستقراطية الإقطاعية المستندة إلى السلالات إلى نظام سياسي جديد على شكل جمهورية تمثل وحدة سياسية لجميع شرائح الشعب التي اتحدت مصالحها بقيادة البرجوازية، مع تحقيق الوحدة الاقتصادية واللغوية والثقافية، يكون النمط السياسي الرأسمالي مسيطراً في النظام الجمهوري بنحو عام، وتتحول الروابط القومية والعشائرية إلى روابط قومية بقوة السوق القومية، وتسرع الدولة من القومية في هذه المرحلة بدرية وتخطيط أو بفرض ذلك أحياناً، وهكذا تخلق الأنظمة الجمهورية تعبيرها السياسي كتعبير عن القومية التي تعد شكلاً أساسياً للمجتمع المعاصر، إن تكون قوى السوق في جميع أنحاء العالم الذي فرضته العولمة لا سيما التطورات العلمية والتقنية الحديثة، قد جعل السوق القومية ودولتها عائقاً أمام هيمنة العولمة، ولذلك بدأت القومية ودولتها تؤدي دوراً أشبه بالدور الذي أدته السلالات الإقطاعية التي كانت في الأمس، وتبرز الوحدات السياسية والقانونية والاقتصادية فوق القومية مع مرور الزمن، وتكتسب التشكيلات الاقتصادية والسياسية على المستوى الإقليمي أهمية كبيرة، ويشهد المجتمع الدولي مرحلة تطور قوية في التاريخ.

تشهد الظاهرة الاجتماعية الكردية ظروف القرون الوسطى أمام تطورات الأمة والدولة القومية، ولم تستطع تكوين سوق قومية مستقلة، كما لم تستطع التوجه إلى الدولة القومية بسبب الروابط العشائرية القوية والروابط العميلة الفوقية، ويؤدي موقع الكرد الاستراتيجي دوراً سلبياً بالنسبة لهم في هذا التوجه، حيث لم تعط الدول الحاكمة فرصة للتطور سواء للسوق الداخلية أو للروابط السياسية القومية المتقدمة، ولذلك يتم الدخول إلى الظروف الاجتماعية الحديثة بمشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية صعبة، كما لم تتح الفرصة من أجل تطور اللغة والثقافة القومية بالوسائل المعاصرة، بينما تتيح المجموعات القومية الحاكمة ميزات مادية ومعنوية كافية للغاتها وثقافتها، وامكانات تطور كثيرة الاتجاهات، وبفضل الدولة تبقى حصة اللغة والثقافة الكردية هي المنع والإنكار، كما يسري الوضع نفسه على الأنشطة القومية والاقتصادية والعلاقات السياسية الحرة والمؤسسات، فنهايك عن إعطاء فرصة لاقتصاد مستند على المصالح والمصادر الذاتية للمجتمع، نرى أن التماسسات الفكرية والسياسية التي تعمل بالتعبير الحر أساساً لها، تتعرض لأشد العقوبات، وجرّت ممارسات عنف مشاهمة ضد الأنشطة التي تستهدف إحياء الهوية الثقافية بنحو حر، وتم ممارسة سياسات الإنكار والصهر بنحو أكبر من الإجراءات التي كانت في القرون الوسطى، فتعقيد الظاهرة الكردية والقضية المستندة إليها إلى هذه الدرجة يعود إلى الإجراءات القسرية التي تتناقض مع العصر.

تظهر هذه الحقيقة التي يشهدها الموضوع الكردي صعوبات الوصول إلى الأمة والدولة القومية على أساس قومي، ومن جهة أخرى فإن فقدان القومية والدولة القومية لأهميتها كخيار حديث ووحيد وبروز الديمقراطية كنمط للسياسة والدولة والمجتمع، يظهر أن طريق الحل الديمقراطي سيكون مجدياً أكثر من غيره، ويكون العيش كمجموعة قومية حرة في إطار الدولة الديمقراطية من دون التحول إلى دولة قومية حلاً مناسباً وأكثر غنى، إن كثيراً من الدول القومية تتوجه نحو اتحادات فيدرالية، كما تبرز الصفة الفيدرالية للولايات المتحدة الأمريكية كأقوى دولة في العالم، والتوجه الجديد لأوروبا باتجاه

فيدرالية على شكل الاتحاد الأوروبي يظهر مدى أهمية هذا التوجه، إن هذا الوضع العالمي يتيح إمكانية طرق الحل للقضية الكردية استناداً إلى الوحدة الديمقراطية مع الدول التي يقطن فيها الكرد، ويمكن لوسائل السياسة الديمقراطية أن تشكل مشروعاً مجتمعياً مدنياً واسعاً يستهدف الوصول إلى الحل بالسبل السلمية، دون إعطاء الفرصة للحكم المسبق للقومية أو اللجوء إلى أساليب العنف، إن هذه الطريقة التي تتطور بعيداً عن العنف القومي والانفصال، تعطي جميع المجموعات الأثنية فرصة الحفاظ على كياناتهم الثقافية وحياتهم الحرة، وهذا هو الحل الذي سيتخذه العالم أساساً له مع مرور الزمن.

٤ . الحل العسكري والسياسي

إن الكثير مما نراه في التاريخ هو محاولة المجتمعات حل مشكلاتها الصعبة التي تتعرض إليها بالعنف الموجه للداخل أو الخارج، وقد جعلت الدول الطبقة العنف نهجاً لها لتحقيق كل شيء تحتاجه، أي جعلت الاعتماد على القوة العسكرية نهجاً تقليدياً لها، أما اختراع الحجة أو الذريعة فهي مهمة دبلوماسية، والدولة التي تملك قوة عسكرية أقوى من غيرها، هي التي تقوم بتحديد النظام العالمي في نهاية المطاف، وعندما كان فائض الإنتاج محدوداً في المراحل التي شهدت خللاً كبيراً من الناحية العسكرية، كانت الدولة تتجه نحو مرحلة إنشاء إمبراطورية عالمية كلما نجحت عسكرياً، والدولة التي تأتي بدلاً عن الأولى تقوم بالدور نفسه، وهذه هي الحقيقة التي شكلت القاعدة الأساسية للتاريخ حتى أواسط القرن العشرين. بعد التوازن النووي الرهيب، أصبح لا بد من تطوير مواقف تلتزم بالمناهج السياسية غالباً حيال المشكلات والقضايا، كما جعلت الثورات العلمية والتقنية الحلول العسكرية قاصرة وعديمة الجدوى، حيث لن يكون هناك أي معنى للانتصار أو الهزيمة في أي حرب عالمية محتملة، ولذلك بات التركيز على مناهج الحل السياسي أحد أبرز قواعد العصر، ولا شك أن كلفة الأساليب العسكرية وعدم جدواها يؤدي دوراً أساسياً في هذا التوجه، ولذلك فإن حل المشكلات الاجتماعية القائمة سيكون بالمقاييس الديمقراطية كمنهج أساس، وتؤدي إمكانية حل المشكلات القومية والأثنية والدينية والثقافية دون تغيير الحدود السياسية دوراً في التطبيق العلمي لهذا التوجه.

إن تطور العصر في هذا الاتجاه يشكل توجهاً مناسباً في الموضوع الكردي وقضيته، ويتيح المجال للحل عن طريق الحوار والوفاق استناداً على القواعد الأساسية للديمقراطية دون الشعور بالحاجة إلى العنف العسكري المفروض من الخارج، ولا العنف المتطور من نفسه إمكانية جديدة وحقيقية، فمادام السبيل العسكري يؤدي إلى خسائر كبيرة للطرفين، فلا يمكن التفكير في عدم توجيههما إلى سبل تحقق المكاسب للطرفين، إن السبل العسكرية لا يمكن أن تحدث إلا إنطلاقاً من مفهوم فاشي إنكاري يسعى للإبادة، حيث يجب التشهير بهذه الجهة وتجريد القوة التي تلجأ إلى العنف على الصعيد العالمي، وهناك أمثلة كثيرة رأيناها في العالم تثبت أن النهج الفاشي والإنكار لن يحظى بالنجاح على المدى البعيد، ويعد إبعاد القضية الكردية عن المناهج العسكرية وتوجيهها نحو محفل سياسي وديمقراطي أمراً مهماً جداً، فالتطبيق العملي الواسع للمجتمع المدني الذي يحطم الحكم القومي المسبق سيتمكن من تجاوز الحواجز النفسية المتبقية من الماضي وسيثبت أن أجواء السلام والتسامح تشجع على جميع أنواع الحلول، مما سيؤدي إلى إخراج المشكلة من طابع الانفصال الموجود منذ سنوات، وسيثبت أن توحيد البلدان والدول القوية يمر عبر تطبيق معايير الديمقراطية كضرورة لقانون المواطنة المعاصر، وتعطي حداثة المنهج السياسي الديمقراطي فرصة لهذا التوجه، ولذلك تزداد إمكانات نجاحه يوماً بعد يوم، وتنتهي الآراء

المضادة لهذا التوجه وتذهب نحو الزوال من خلال تجريدها والتشهير بها.

٥ . المنهج الديمقراطي والحقوقى

إن انتصار الديمقراطيات في نهاية القرن العشرين ظاهرة لا يمكن إنكارها، وتأتي الديمقراطية في مقدمة الأشكال السياسية التي تترك القنوات السياسية مفتوحة بالنسبة للشعوب، رغم تضيقها وتقصيرها تكون المعايير الديمقراطية هي السبل الأكثر انسجاماً مع السير باتجاه الظروف الاجتماعية المتساوية والحررة، حتى لو تم تجريدها لصالح القوى التقليدية الحاكمة والمستغلة، لذلك فإن صيغة المطالب ضمن القواعد الديمقراطية. إذا كانت موجودة. والنضال من أجل الديمقراطية إن لم تكن موجودة، هي مهمة تقع على عاتق جميع الشرائح التي هي بحاجة إلى الديمقراطية، وسيصعب على هذه الشرائح تحقيق مطالبها الحرة دون النجاح في هذه المهمة، إن حل أية قضية أو مشكلة لدولة أو بلد ما بطريقة سلمية، سيؤدي إلى تطورات متناسبة مع تطور الديمقراطية وتنظيمها، وجعلها ثقافة لا يمكن العيش من دونها، وعندئذ سيصبح هذا الأمر قاعدة وليس استثناءً.

الظاهرة الأخرى التي لا يمكن فصلها عن الديمقراطية هي سريان النظام الحقوقي الكوني، إن الديمقراطية والقانون بالمعنى المعاصر لا يمكن أن يوجد أحدهما دون الآخر، فهما مؤسستان اجتماعيتان تغذيان بعضهما البعض، وقادرتان على حل أية مشكلة اجتماعية، فالديمقراطية هي النظام الحقوقي للساحة السياسية، وعندما يضاف إليها حقوق الإنسان الأساسية، تظهر معايير دولة الحقوق الديمقراطية المعاصرة، حيث يوجد فرق اساس بين مركز دولة الحقوق على أساسها وامتلاك الدولة للقانون، أما عكس ذلك أي إذا خلقت الدولة القانون لوحدها فذلك هو قانون الدولة، إن عدم تمخض الحقوق من الدولة فقط، واتخاذ الحقوق أساساً لثقافة وتقاليد الشعب الذي نشأ ضمنها، واستناده إلى مقاييس الحقوق العالمية، واحترامه للمقاييس الحقوقية الأساسية للماضي، سيؤدي إلى دولة حقوقية حقيقية، وسيكون الحل العادل السلمي للمشكلات والمطالب الاجتماعية في إطار النظام الديمقراطي مع الالتزام بالحقوق هو القاعدة الأساس، حيث سيوفر الحل الحقوقي الديمقراطي الضمان للجميع ولكل الشرائح وسيوفر الفرصة لمساهمة الجميع في تطور المجتمع.

إن التطور المعاصر على هذا المسار في مجتمعات الشرق الأوسط سيؤدي إلى دخول دوله في هذا الطريق، وإن لم توجد دولة الحقوق الديمقراطية في الشرق الأوسط ستشكل القضية الكردية ضغطاً من أجل غمط حل ضمن المعايير الديمقراطية في هذا الإطار مع مرور الزمن، وستكون ناجحة أكثر عن طريق استخدام الطرق المشروعة ابتداءً من تحقيق انسجام القوانين مع وضعها الملموس بمناهج السياسة الديمقراطية، وحتى استخدام حق الدفاع المشروع بالأبعاد الثلاثة لحقوق الإنسان الأساسية عن معرفة وبنحو منظم، بدلاً من المعاناة في طريق الشخصية الانفصالية والعنفوانية، وسيحقق الكرد حقوقهم الاجتماعية عن طريق التبنى السياسي والقانوني في دولة الحقوق الديمقراطية أكثر من أي طريق آخر، ولن يبقوا ضحية لعدم توازن القوى الظالمة ولعدم وجدانية العصر الذي استمر قروناً، ولذلك فإن المهمة الأساسية هي العمل حسب نهج الحقوق الديمقراطي وتحقيق النجاح له أكثر من أي وقت مضى.

٦. المواطنة وانتماء الأمة

إن مصطلح المواطنة يعني الرابطة القائمة بين الشخص والدولة، ويعني العضوية في الدولة إلى حد ما، وهذا مصطلح سياسي لا يتضمن أية قيمة أثنائية أو قومية، أما الانتماء إلى أمة فتعني التبعية إلى قومية معينة، إن الذي يكون له تاريخ ولغة وثقافة مشتركة ويحمل روابط الأمة التي تشكل شكلاً اجتماعياً معيناً لا يعني حمله لروابط سياسية كما هي، ويمكن أن يكون من قومية مختلفة، لكن لا توجد ضرورة لأن يكون مواطناً لنفس الدولة، إن العضوية في الدولة لا تخلق العضوية القومية بنحو إلزامي، حيث لا يمكن فرض ذلك إلا من خلال مفهوم فاشي استبدادي.

إن مواطنة الأفراد في موضوع المجتمع الكردي وفي الدولة التي يقطنون ضمن حدودها، لا يمكن أن تمنحهم عضوية القومية الحاكمة لذلك البلد، بل يمكنهم أن يعيشوا ويخططوا لأجل هوية أمة وقومية مختلفة، لكن قبولهم الرابط القومي لا يتناقض مع ما يتم التعبير عنه باسم الدولة، أو مع تبعيتهم للقومية كتعبير لهوية فوقية لكل البلد الذي يقطنون فيه مثل: "أنا إيراني لكنني كردي في الوقت نفسه" إن ذلك لا يشكل تناقضاً، بل إنه يعبر عن هوية أكثر تكاملاً، وهذا الوضع يسري على تركيا والدول الأخرى، ويعبر القول "أنا من شعب تركيا وأحمل التبعية الكردية" عن الاتحاد في هوية أكثر شمولية وواقعية، إن عدم الخلط بين الهوية الأثنائية وهوية الأمة السارية المفعول وملاحظة وجود معنى خاص لكليهما وعدم وجود التناقض يخدم الحياة المشتركة بنحو أفضل.

٧. المجتمع الرسمي والمجتمع التقليدي والمجتمع المدني

يعبر المصطلح الرسمي عن المجموعات البشرية التي تتكون حول الدولة ومؤسساتها حسب قواعدها، إن جميع الشرائح الاجتماعية الملتزمة بأوامر وقواعد الدولة جوهرياً بدءاً من أكبر مسؤول حتى حراس القرى والعمال والمتقاعدون يدخلون ضمن شمولية المجتمع الرسمي، وذهنية الموظف هي المسيطرة هنا، وهم يعتقدون أن الدولة هي كل شيء ولا يوجد أي أفق جاد غيرها، ويمتلكون حرية محدودة في الظروف المعاصرة، بينما كانوا عبيداً للدولة في العصور القديمة، ويعدون أنفسهم موجودين في مستوى أعلى من القطاعات الاجتماعية الأخرى، لأنهم يعدون أنفسهم متماثلين مع الدولة، ويفتقرون للخلق ولديهم قواعد صارمة لأن حياتهم مضمونة.

يشمل المجتمع التقليدي جميع عناصر المجتمع القديم الموجودة خارج الدولة، وفي الحقيقة إن ذلك يعبر عن مجتمع غير منظم، وهذه المجموعات تحيا بنحو متداخل ومتشابك مع العقلية الإقطاعية والعبودية والعقلية الطبيعية، وتفتقر للمؤسسات الديمقراطية المعاصرة ومؤسسات حقوق الإنسان، هذا المجتمع الذي يعيش كما أمرت الدولة والدين منذ آلاف السنين ويرضخ للمسلمة التي تسمى قدراً ويعد كل ذلك فضيلة، حيث أن هذه الذهنية والعادات تظهر على أنهم يعيشون العبودية في أعماقهم.

يعبر المجتمع المدني عن المجتمع البرجوازي الذي يتطور بمرحلة خارج الدولة الإقطاعية في البداية، لكن شموليته تغيرت بعد أن أصبحت البرجوازية تشكل المجتمع الرسمي للدولة، ويشمل المجتمع المدني جميع الشرائح الاجتماعية التي تمتلك منظمات وبرامج اجتماعية ملموسة وذهنية حرة موجودة خارج الدولة وبالرغم عنها، شريطة الالتزام بالقواعد القانونية، ويتحول إلى

شكل اجتماعي بدأ يأخذ طابعاً مصرياً ويتطور خارج المجتمع الرسمي والتقليدي، إن المجتمع المدني ينبع من الفراغ الذي تركه المجتمعان الرسمي والتقليدي، ويتحول إلى نظام مجموعات اجتماعية لها قيمة حل عالية.

٨ . الوطنية والأمية

إن المصطلح المزدوج الذي يتغير ويتطور عبر التاريخ هو الرابط بين الوطنية والأمية، إن قطعة الأرض التي يتم السكن فيها بنحو دائم كمجتمع، تكون البنية التحتية والفوقية فيها رابطاً مع الجغرافيا تسمى "الوطن"، أما الأمية فهي مستوى العلاقات التي يتم تطويرها مع مجموعة موجودة في وطن مشابه آخر، لقد اكتسبت هذه المصطلحات معناها منذ ثقافة العصر النيوليتي الذي كان أول مجتمع يعيش حالة الاستقرار، إن العلاقة بين الوطنيين ضرورة بمقدار ضرورة وجود الوطن، ولو كان عكس ذلك صحيحاً لما كان التطور التاريخي موجوداً، ويتم الخلط بين حدود السيادة السياسية والوطن أحياناً، وهناك مواقف تشتط في الوطن لغة وقومية واحدة، ولا يمكن تعميم هذا الوضع حتى ولو كان هذا النوع من الأوطان موجوداً، كما يمكن لعدة شعوب ولغات العيش في وطن واحد، يمكن أيضاً لقومية ولغة واحدة أن تعيش في أوطان عدة، فمثلاً يعيش في الوطن الروسي قوميات عدة ولغات، أما الأتراك فيعيشون في أوطان عدة كقومية واحدة.

أما بالنسبة للكرد فإن للمشكلة اتجاهان، إن الكرد الموجودين داخل حدود الدولة التي يعيشون تحت سقفها يعيشون في البلد كوطن رسمي حتى ولو كانوا ممزقين من الناحية التاريخية، وحتى لو تم حظر لغتهم مع العلم أن لديهم وطن، وكأنه يتم تطوير مفهوم وطن مشترك، وأصبح التطور في العالم بهذا الاتجاه، لقد فقد الحرس الزائد على الحدود كالعشائرية الضيقة في الماضي معناه أمام التطور التقني، وأصبح تقاسم العالم كوطن مشترك اتجاهاً يتطور عبر الزمن، ومن أهم الخصائص التي تتطور في عصرنا، هو احترام الكيان الثقافي للأوطان لكن مع اقتسامه مع الآخرين، ولذلك نرى أن هناك تداخلاً بين الوطنية والأمية أكثر من أي وقت مضى، إن أدبيات وشعارات "شبر من أرض الوطن" التي كانت مبدأً للقومية المتصلبة في القرن التاسع عشر على الأغلب، باتت تضر بالوطن أكثر مما تخدمه في ظروف هذا العصر، كما تم اعتبار ملكية الأراضي التي قامت الإمارات الإقطاعية بتسييجها بالأسلاك الشائكة كظاهرة متخلفة أمام التحول إلى قومية، فإن مفهوم الوطن القومي الضيق بات يعبر عن مستوى متخلف أمام الأمية، وتكتسب الوطنية المعاصرة معنىً ومضموناً يوازي ما تم تحقيقه من تطور ونمو، فالوطنية المعاصرة تعني إغناء الوطن وجعله ذا قيمة مادية ومعنوية للعيش فيه وتقاسم هذه القيم مع الإنسانية، وتجذب المناطق الأكثر تطوراً في العالم كالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي الإنسانية قاطبة من خلال تلك المفاهيم، ولا يهتم أحد بالأوطان التي يهيمن عليها الزولو، حيث أن بقاءها كأفقر مناطق العالم أمر متعلق بتخلف الوطنية لديها، يمر النضال الوطني الأكثر عصرية عبر بذل جهود مشتركة وكافية لجعل الدولة والمنطقة التي يعاش فيها كوطن ناميةً ومشتركة وغنية على الصعيد المادي والمعنوي.

فالوطنية الحقيقية تعني النضال من أجل العيش معاً على كل مستوى ونهج الممارسة الذي يعتمد الحرية والمساواة في الحقوق في الوطن المشترك للشعوب وليس في سبيل المفهوم القومي المزيف للحكام.

يمر طريق النضال الوطني الذي يناسب الكرد في الدول التي يقطنون فيها عبر النضال المشترك مع جميع الثقافات

والمجموعات الشعبية التي لها مصالح متشابهة ضمن حدود البلاد، كافة وضمن اتحادات واسعة تعتمد على الحرية والمساواة، لقد كان استخدام الشعوب ضد بعضها البعض من خلال الحكم المسبق القومي، هو السياسة للقوى الحاكمة والاستغلالية والعميلة على مدى التاريخ، وقد طور عصرنا الذي يشهد تطوراً علمياً وتقنياً كبيراً، معاني ومضمون الوطنية والأمية، فعولمة الكادحين والمضطهدين التي اكتسبت معناها الحقيقي بتعميق الأخوة بات أمراً واقعياً وضرورياً بمقدار عولمة الحاكمين.

إن النموذج التقليدي هو النموذج الأكثر انتشاراً في واقع المجتمع الكردي، حيث يعيش الكرد وضعاً تقليدياً مغلقاً في الداخل على شكل وحدات عشائرية منذ آلاف السنين، إذ تمت تنحية المجتمع الكردي عن جميع العصور وحكم عليه بالابتعاد عن مفهوم الزمان عدا الشريحة الفوقية الضيقة التي لها علاقة وتعاون مع المجتمع الرسمي الحاكم، وتجمد ذهن المجتمع الكردي بحيث بات عاجزاً ويرى كل شيء قدراً، وظل في وضع لا حول له ولا قوة، ويفتقر لبنية ذهنية وروحية تحاول وتبحث عن مخرج، لقد اعتاد على الشكر بوجود القدر، والرضوخ للأمر الواقع وحتى الشكر على الموت الظالم بسبب القمع الشديد والدعاية الدينية منذ مئات السنين، وهذا الوضع يتسبب في انفجارات وتمردات داخلية أحياناً، ولكن لم يستطع خلق مجتمعه الرسمي ذاتياً ولا المشاركة الواسعة في المجتمع الرسمي الحاكم بسبب الظروف الخارجية والداخلية التي عاشها، وتعد الأفواج الحميدية ووحدات حماة القرى التي تم خلقها في الماضي من المجتمع الرسمي.

يؤدي تشتت المجتمع التقليدي في الظروف المعاصرة بسبب التطور العلمي والتقني إلى أزمة اجتماعية حادة، ولم تستطع تنظيمات الثورة والتمردات التي تظهر في هذا الواقع تحقيق النجاح، بالرغم من أن المجتمع التقليدي في يومنا هذا يشهد انهماجاً واختلالاً وتشتتاً كبيراً، بسبب الخلل في توازن القوى بنحو كبير، وافتقارها لأصدقاء استراتيجيين، ولهذه الأسباب أصبح المجتمع المدني قوة اجتماعية هامة من أجل تقديم الحل، والتي يجب تجربتها من قبل الكرد، إن مشروع المجتمع المدني الشامل والمنسق والمتنم ببرنامج هذا المجتمع وتنظيماته وعملياته الكثيرة حسب شمولية المهمات، هو النمط الاجتماعي الذي يقدم الحلول المتميزة بدلاً من مجموعات التمرد والمجموعات التقليدية الرسمية التي تعمق الأزمة، ويمكن للمؤسسات المجتمع المدني الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والبيئية والقانونية والرياضية والفنية والتاريخية التي يمكن تطويرها، أن توصل المجتمع الكردي إلى مستوى المجتمع الديمقراطي المعاصر.

ب. بعض المواقف المتعلقة بالظاهرة الكردية ومشكلات الأسلوب

تناول القضية الكردية بمفردها من دون تسليط الضوء على واقعها هو من أولى المواقف الخاطئة، فتعريف الظواهر الأساسية التي تعتمد عليها القضية الكردية وحتى تحليل الفرضيات النظرية وإعادة النظر في البحوث والنتائج ابتداءً من النظريات الخاصة بهذا الميدان من أجل فهم المشكلات، تشكل ضرورة للمنهج العلمي، ولا بد من أن يؤدي تناول المسألة بفرضيات أو دوغمات إيديولوجية عامة للوصول إلى مفاهيم صحيحة، إلى نتائج كثيرة تتناقض مع العلم، إن الاكتفاء بتعريف المشكلة بمصطلحات صحيحة فقط، لا يؤدي سوى إلى تعريف الظاهرة بنحو مجزأ، والأسوأ من ذلك أن هذه المواقف ديمagogية غالباً، ما تبدأ بإنكار الظاهرة وتنتهي بالمواقف المنحازة إليها بنحو فظ، وهي المسؤولة الحقيقية عن النتائج التي تظهر أمامها في الواقع العملي الراهن، وعندما ننظر إلى المسألة من كثر نرى ما يلي:

١ - الموقف الإيديولوجي للحقيقة الكردية "الحقيقة والظاهرة لهما المعنى نفسه وتعلان تعريف العلمية أساساً لهما"، لا شك أنه لا يمكن أن يكون هناك إنسان من دون إيديولوجيا، ولا مفر من أن يكون للجميع موقف إيديولوجي حيال العالم وجميع المخلوقات فيه، وعندما نقول موقف إيديولوجي نقصد النظر بأربعة زوايا ابتداءً من النظرة الإيديولوجية وحتى الدين والفلسفة والعلم، وسيعتمد شرح المشكلة على الميثولوجيا بالنسبة للفرد الذي ينتمي إلى العصور الأولى، ويكون الذين يعرفون الميثولوجيا بنحو جيد هم الأشخاص والسلطات التي تستطيع الشرح أفضل من غيرها، إن الخطوة المتقدمة عن ذلك والتي يتم القيام بها بنحو متداخل هي الموقف اللاهوتي، وهنا تجري محاولة لشرح كل شيء حسب نظرة الدين وعلم اللاهوت، ولا شك أن هذين الموقفين سيسفران عن نتائج بعيدة عن الواقع، ولكن لا بد من ذلك النمط التحليلي من حيث ذهنية الإنسان البدائية لمواصلة الدين والميثولوجيا كونهما نمطي تفسير في الساحات الحضارية التي تشهد ضيقاً ذهنياً، حيث لم يتطور فيها العلم والفلسفة بعد، ولا يزال هذا النوع من التفسير باق على نطاق واسع حتى يومنا هذا.

إن الموقف الفلسفي قريب إلى شرح الظاهرة بخصائصها، حيث لا يتم شرح الظواهر بالأقوال أو بالألوهة، بل تجري محاولة شرح الظواهر حسب أسبابها وكيفية نتائجها، كان هذا الموقف رائجاً في مراحل الحضارة الآثنية والرومانية التقليدية التي تطورت فيها الممارسة التطبيقية للمجتمع والعصر العبودي الذي شهد إنشاء مدن كبيرة، إن الخطوة المتقدمة في هذا الموقف هي النمط العلمي كآخر مرحلة لتحديد الموقف والذي استند إلى الرأسمالية التي قامت بتطويره، ينطلق هذا الموقف من فرضيات فلسفية مجردة يتم إثبات صحتها عن طريق التجربة والملاحظة رغم عدم وجود إجماع عليها، وبذلك تظهر المعلومة الأقرب إلى الصواب، ويتحقق الشرح العلمي أيضاً، عند إثبات الفرضيات الفلسفية المجردة عن طريق التجربة والملاحظة يتكون إجماع على أن المعلومة لها طابع نسبي، وتزداد قوة معناها من خلال التطور الدائم، ولذلك تؤدي إلى تطبيقات تقنية وعملية ويتم التحدث عن المعلومات والشروحات التي تتعمق بنحو واقعي بدلاً من المعلومات التي لا تتغير.

هذه التعريفات تزداد بنسبة مستوى استيعاب المعلومات المتعلقة بالظاهرة التي يجري تناولها، حسب نسبة زيادة العلمية في المواقف الإيديولوجية، ويحاول الفرد الذي يكتفي بتفسيرات دينية وميثولوجية الخروج عن الموضوع بتفسيرات من نوع الأمثلة حول الواقعة، أما الفرضيات النظرية والفلسفية، فلا تتخلص من الانزلاق إلى وضع التجريد، لأنها لا تستطيع التقاط الشيء الملموس، عندما يبدأ الجنوح نحو الدوغمائية، سوى التمسك ببعض المصطلحات، ولهذا فإن المنظور الإيديولوجي الذي يعتمد على أساس علمي، يكسب أهمية كبيرة من أجل جمع المعلومات حول الظاهرة عن طريق التجربة العلمية والمشاهدة، ولا يمكن الوصول إلى تعريف يكتسب تأييداً عاماً سوى عن طريق دعم نتائج المشاهدة والتجربة بالموقف النظري، أما الموقف الخارج عن هذا النطاق فهو عبارة عن أقاويل وقناعات دينية لا تعبر إلا عن ملاحظات نظرية مجردة.

لاحظنا ان كثيراً من المواقف نحو الظاهرة الكردية في إطار إيديولوجي تفتقر إلى العلم بشكل عام، مع اعتمادها الجوانب السلبية، وهناك رغبة في القيام بتقييمات تعتمد أقاويل وشروحات باسم الرب سادت في القرون الأولى والوسطى، وتم ربطها بأحداث مزيفة حول هذا الموضوع، فهي تشرح لماذا لم يرغب الرب بمنح القوة للكرد، وتم ربطها بالنبي محمد بأحداث مزيفة، كما نرى شروحات عند النبي نوح حول كيفية اشتقاق الكرد، كما تشرح الميثولوجيا الإغريقية بلاد ميديا كأخطر رمز لشخصية امرأة "ميديوس MEDEUS"، وصعوبة السيطرة على الكرد والأرض التي يحيا عليها الشعب الكردي وصعوبة تحقيق مصالحهم، إن اللجوء إلى التفسيرات الميثولوجية والدينية هام كمنهج لأجل الدعاية.

لا يمكن تعريف الموضوع الكردي بالإطار الإيديولوجي للقرون الأولى والوسطى بنحو صحيح، لكون المنطقة كانت موضوعاً لاحتلالات متعددة الأهداف والاتجاهات، جعل القيام بتفسيرات دينية وميثولوجية وتعايير لا معنى لها بحق شعب المنطقة أمراً حتمياً، إن هذه الحقيقة هي السبب الأساس لعدم قدرة الكرد على التعبير عن أنفسهم بنحو كافٍ من الناحية الدينية والميثولوجية، كما أدى الاحتلال والاستغلال المجردين إلى صعوبة الدفاع الإيديولوجي عن الكرد إلى حد كبير، وتم الإيقاع بالكرد في وضع متطرف إلى درجة العمى، نتيجة لوقوفهم ضد الرب وأوامر الدولة المقدسة، ولأنهم تناولوا أنفسهم على ما هم فيه.

ظهر أصحاب الموقف العلمي الذين اكتسبوا شجاعة من خلال المقاومة الكبيرة استناداً إلى الحضارة الأوروبية لدراسة المواضيع التي فرض الحظر عليها كالطابو، حيث كان لا بد من تطوير موقف نحو الموضوع الكردي لأجل العلم وإخراجه من كونه موضوعاً للطابو.

لا شك أن المصالح السياسية المستقرة قد أدت دوراً أساسياً في هذا التوجه، فقد بقي الموضوع الكردي ضمن ساحة المنوعات، ولم يحصل على شروحات علمية، لأنه يلحق الضرر بكثير من المصالح الإقليمية والقومية والدولية، بالإضافة إلى وجود رغبة في مواصلة تلك المصالح عن طريق القمع، لذلك بقيت المسألة الكردية من دون سند علمي نتيجة للخوف الذي تم زرع في الأذهان، وعدم وجود مصالح للقوى في هذا الموضوع، أو كانت هناك رغبة في جعل المواقف الديماغوجية نقطة انطلاق للإنكار الفج للوجود الكردي، أو عن طريق القول إن الكرد منا، وحتى اليوم لا يمكننا القول أنه تم تجاوز هذا الوضع كلياً.

٢ - تؤدي المواقف السلبية التي تسيطر عليها المواقف الإيديولوجية إلى خلق أضدادها، ويتم اتخاذ موقف وكأنه يوجد موضوع كردي فعال في كل مرحلة، بل ويتم تقديم المسألة الكردية بطريقة مثالية ومقاومة ناجحة، وهذه المواقف سارية لدى الميول القومية، وعندما تصبح فلسفتهم الاجتماعية متافيزيقية، فإن هذه المواقف تؤدي إلى تعقيد الموضوع أكثر من التعقيد الموجود، وكأن هناك واقع لقول الله "كن فيكون"، حيث يتجه هذا الموقف إلى ارتكاب أخطاء كبيرة ويتوجه نحو المثالية وتكون نتائجه وخيمة ومدمرة على الصعيد العملي، فعند تفسير الظواهر بنحو يختلف عن واقعها وعندما يتحول ذلك إلى نهج عملي وسياسي، فإنها تصبح عجيبة وغريبة.

إن أكثر أشكال التطور فجاجة حول المجتمعات لا بد أن تتطرق إلى مراحل تطورها، حيث لا توجد سذاجة أو ظهور مفاجئ في أساس أي مجتمع، إن اكتساب المجتمعات لواقعها بالتطور الديالكتيكي في ظروف مكانية واسعة وزمانية طويلة ليس افتراضاً بل نتيجة علمية، و الأمر المهم هو الوصول إلى أوسع المعلومات حول الظاهرة من خلال فرز المراحل والظروف الزمانية والمكانية لأي مجتمع، والقيام بمقارنات ضمن الظروف الخاصة بكل مرحلة، فالوصول إلى المعلومات الأقرب إلى الصواب بهذه الطريقة لأية ظاهرة أو واقع اجتماعي ضرورة لا بد منها من أجل الموقف العلمي، ولا توجد أية ظاهرة أو موضوع يستحيل تحليله أو تعريفه، ولا داعٍ للإصرار على الاختراعات أو المناهج التي تم إثبات فشلها وتأكد خطؤها، وبذل أية جهود متواضعة يمكن أن يجعل الموقف التاريخي الديالكتيكي صحيحاً وأن يعطي الإمكانية للوصول إلى معلومات أقرب إلى الصواب حتى من خلال مشاهدات محدودة.

عندما ننظر من هذه الزاوية يمكننا فهم جوهر الموضوع الكردي في مسار التطور العام، حيث تتشابه المجتمعات في العصر النيوليتي، فمن المعروف أنها كانت تعيش على نحو مجموعات لا تتجاوز المائة شخص من خلال الصيد وجمع الأعشاب، أما اللغة والثقافة فقد كان تطورهما محدوداً، وتمايز هذه المجموعات عن بعضها البعض كان أمراً جديداً يتزامن مع المجتمع النيوليتي ومع فجر التاريخ، وبات دور المجتمع النيوليتي واضحاً على صعيد بداية التاريخ، ورغم كل التحليلات والتفسيرات الأثرية والأثنية لا توجد شكوك حول ولادة المجتمع النيوليتي في الساحة التي ظهر فيها الكرد، ويعني ذلك أن أهم إثبات بالنسبة للظاهرة الكردية هو: "أن الكرد هم من أقدم الكيانات الاجتماعية التي تطورت وعاشت العصر النيوليتي، إن هذا أمر مهم جداً، لأن تعريف أعداد وأمهات الكرد الذين خلقوا المجتمع النيوليتي يحظى بأهمية كبيرة، إذ يعطي الفرصة للتعرف على خصائص المجتمع النيوليتي، حيث يعد هذا الوجود في الصف الأول ومن صنف الشعوب الخلاقة والقديمة في أصولها، وهي خصوصية تسفر عن نتائج مهمة وهي أنه مهد التاريخ، إن جميع المعطيات المتوافرة حتى الآن تثبت صحة هذا الأمر.

نظراً لأن تحديد موقع كل مجتمع يتم من خلال تفسيرات العصر العبودي والإقطاعي، فإن ذلك يظهر في الخصائص الكردية أيضاً من خلال التطورات الجديدة، فالفرز الطبقي حسب الذات والتأسيس وتأسيس البنية التحتية والفوقية تساهم في تطوير المجتمع بشكل أكثر، وحقق الكرد نضوجاً في إبداعهم حسب ذلك العصر كضرورة لظروفها حتى ولو كان ذلك بشكل محدود، والأمر المهم هو تحديد هذه الظواهر في ظروف مكان وزمان صحيحة من خلال رؤية متينة وقوية، وتطوير التعريفات والافتراضات حسب ذلك الواقع.

لقد اخرج العصر الرأسمالي المجتمعات من كونها مجموعات عشائرية وأقوام، وقام بتحويلها إلى أمم حول السوق القومية واللغة والثقافة المشتركة، حيث يستطيع كل مجتمع موجود ضمن إطار تلك الظروف أن يتحول إلى قومية، ويتم خلق تحولات قومية مميزة من خلال الأمثلة الكثيرة على النمط المذكور، بينما تبقى مجتمعات قليلة لا تشارك في التحول القومي بسبب العوائق الفيزيائية المفروضة عليها، إن هذا الأمر الصحيح بشكل عام يسري على الكرد أيضاً، حيث توجد ثلاث خيارات في هذا الموضوع أمام الكرد: إما أن يشهد الكرد تحولاً قومياً ساذجاً، وإذا لم يتمكنوا من ذلك لأسباب سياسية أو عنف عسكري يبقى أمامهم الخيار الثاني وهو أن يكتسبوا هوية فوقية مع القومية أو الدولة الحاكمة التي يعيشون ضمنها لتشكيل أرضية لإقامة أمة مشتركة، وهذا هو الوضع المعاش بنحو عام، وإذا لم ينجحوا في هذا السبيل، فإنهم سيتعرضون للذوبان والانصهار ما عدا الشريحة المتمردة، ونظراً لأن هذا مستحيل في ضوء متطلبات العصر، فلا بد أن يتحولوا إلى ظاهرة قومية بهذا النحو أو ذاك.

وكما رأينا سابقاً فإنه لا توجد قومية أو قوم أو حتى عشيرة ساذجة تتمتع بالقوة منذ البداية، بل يكون التحول أكثر تحديداً من خلال بنى متداخلة مع المرحلة، إن هذا التطور دائم ابتداءً من اسم الظاهرة وحتى الظاهرة نفسها، فمن المعروف أن السومريين هم أول من وضعوا التسميات في الحضارة، ومن المحتمل أن تكون كلمة كردي من المصطلحات السومرية، إن كلمة "كور" تعني الجبل في اللغة السومرية أما إضافة "دي" فتعني التبعية، لذلك تعني كلمة "كردي" الجبلين، فمن المعروف أن الكرد يسمون بالشعب الجبلي عموماً ويسميتهم الأتراك بالكردي الجبلي.

وليس من الصعب تفسير الظاهرة الكردية من الناحية السياسية، فحسب الموقف الإيديولوجي الدوغمائي يجب أن يكون للكرد دولة حتى يكون لهم تاريخ، ولكن عندما ننظر إلى ظاهرة الدولة والسياسة، نجد أنه لم تكن أية دولة مؤلفة من

عرق واحد أو من قومية واحدة صافية، فمن المعروف أنه يتم إنشاء الدولة من قبل الطبقات الحاكمة للكثير من القوميات والشعوب، ومن ثم تتوارث أو تنفصل عن بعضها، إن من يشكل الدولة هي الطبقات الحاكمة والاستغلالية وليست الشعوب أو القوميات، ويقوم الآخرون بالاستيلاء عليها أو تغييرها أو فصلها، وهكذا يستمر التاريخ، ولكن حسب الموقف المثالي فإن إنشاء وامتلاك دولة هو شرط اساس لامتلاك تاريخ، بينما الحقيقة التاريخية تؤكد بأن ذلك يمكن أن يكون موقفاً مثالياً، والحقيقة لم تكن كذلك، ولهذا فإن ابتداء التاريخ الكردي من خلال امتلاكهم لدولتهم يكون موقفاً مثالياً لا ينسجم مع الواقع، بل أن هذا الموقف السياسي لا ينطبق على أي شعب من الشعوب.

وعموماً يتم تشكيل سلالة أو طبقة حاكمة من هذا الشعب لتقوم بتأسيس الدولة وتستغلهم وتسيطر عليهم، إن دولة العشيرة والشعب والقومية ما هي إلا عبارة عن سفسطة، و المشاركة في الدول التي تسيطر عليها السلالات أو الطبقات ذات الجذور الأتنية المختلفة لأجل اكتساب تاريخ سياسي رسمي، يصل إلى أسوأ مستوى كأجير إذا لم تكن الدولة مملوكة من طرف طبقتهم الحاكمة والمهيمنة، إن عيش الكرد للتمرد بنحو مكثف كشعب وعشائر ضد الاحتلال والمتعاملين معه هو الخاصية الأخرى لتاريخهم السياسي، علماً بأن تاريخ الشعوب لا يتكون من التاريخ السياسي فقط، بل يعبر عن عدة ميادين متداخلة ابتداءً من الاقتصاد وحتى الدبلوماسية ومن الميدان الاجتماعي حتى ميادين السياسة والحقوق، ومن التاريخ الثقافي العام حتى التطور الاجتماعي العام، فكل هذه الميادين والمراحل تعبر عن التطور التاريخي المتكامل للشعوب والمجتمعات ضمن روابط دياكتيكية تاريخية، كما أن التعبير عن التاريخ كمرحلة واحدة هو خطأ كبير.

إن عدم التطور من الناحية السياسية لا يعني عدم التطور من الناحية الثقافية، فمثلاً لم يمتلك اليهود دولة خاصة بهم من الناحية السياسية إلا في الخمسين سنة الأخيرة، لكنهم كانوا يمتلكون سيادة العالم تقريباً من النواحي الثقافية والدينية والتجارية والمالية، مع أنه لم يكن لهم وضع مستقر حتى الأمس القريب، فمن الخطأ الكبير التوصل إلى نتيجة من ذلك الواقع الذي يقول بأن ليس لليهود تاريخاً، إن التاريخ العرقي هي ظاهرة منفردة، وأشمل أنواع التاريخ هو التاريخ الثقافي، لقد أدت المواقف المثالية ذات البعد الواحد إلى أخطاء كبيرة في مسألة الكرد، وعندما نتبنى موقفاً تاريخياً علمياً سنرى أن الكرد يمتلكون تاريخاً مذهباً وملوناً إلى حد كبير ضمن إطار خصائصها الجوهرية.

٣. إن جعل القضية الوطنية الكردية متوازية مع إنشاء دولة، هو أحد الأخطاء المنهجية المهمة، وحسب ذلك يجب أن ينتفض الكرد من أجل إنشاء الدولة فقط، وتعد جميع الحلول الأخرى ما هي إلا انتهازية وانحراف وخيانة وعمالة، لقد كان تأثير التفسير الستاليني للاشتراكية المشيدة في القضية القومية كبيراً على هذا التعميم، فمن الصعب الادعاء أن موقف لينين كان كذلك، فريط قضية قومية أو اجتماعية بإنشاء دولة أو إسقاط تلك القضية بسبب عدم وجود دولة هو رأي من مخلفات عصر الطبقات الاستغلالية القديمة، إنشاء النظام الديمقراطي يمكن أن يكون أساساً لأجل الشعوب وليس إنشاء الدولة، وعندما ننظر بمنهج علمي نرى أن إنشاء الديمقراطية أمر أكثر تقدماً من مسألة إنشاء الدولة وأكثر واقعية، بل هو أفضل حل ملموس يتناسب مع مصالح الشعوب.

يجب التفكير بإنشاء دولة كآخر طريق للحل عندما تضغط الظروف بهذا الاتجاه، ويجب على الشعوب ألا تفضل هذا الطريق، لكن قومية الأمة الحاكمة وتأثير ذلك على الطبقات التي تدعي أنها اشتراكية، قد أدخلت إنشاء الدولة إلى برامج كل التنظيمات في أي ظرف من الظروف، إن هذا الأمر ما هو إلا مبالغة وتحريف يستمد جوهره من مثالية الطبقة الحاكمة

الاستغلالية، إن أفضل حل ينسجم مع مصالح الشعوب هو إنشاء اتحادات سياسية بين الأوطان بنحو مشترك ارتباطاً بمفاهيم الحرية والمساواة في الحقوق وخلق قيم وطنية مشتركة، ومازالت الدماء تسفك منذ عشرات السنين من أجل امتلاك دولة صغيرة، إن الوحدات السياسية بين البلدان التي تتخذ الحرية والمساواة أساساً لها، تمنح امكانات أكبر لأجل حياة غنية من النواحي الاقتصادية وتاريخ الشعوب وجميع الكيانات الثقافية، بينما الانفصال يعني الفقر والافتقار واللون الواحد، وبالطبع كان تأثير التفسير الدوغمائي للإيديولوجيات ولاسيما القومية منها كبيراً على ذلك، بينما الاشتراكية المشيدة تظهر عكس ذلك وتجعل من إنشاء الدولة النمط الاساس لحل القضية القومية، وفي الجوهر نرى أن كلاهما يشكلان نمطاً متطوراً للقومية البرجوازية يهدف الى حماية مصالح الطبقة الحاكمة الاستغلالية، حيث تكمن مصالح الشعوب في العيش ضمن وحدة تتخذ من الحرية والمساواة أساساً لها ولا تستند إلى الانفصال، ومن هنا تظهر الشخصية الأممية المناضلة من أجل الحريات.

إن ممارسات المواقف القومية والاشتراكية المشيدة قد انعكست على القضية الكردية أيضاً، وبنحو يجعلها محصورة في الفخ من حيث موقعها، وعندئذٍ لا مفر من مرحلة تؤدي إلى دمار وصعوبات لجميع الأطراف وتستمر لسنوات طويلة بسبب عدم قيام الشعوب المجاورة بتقاسم الدعم، بالإضافة إلى انعدام الدعم الأممي، لكن تقاسم مشروع حل ينسجم مع المقاييس الديمقراطية بالاستناد إلى التعريف الصحيح للظاهرة الكردية، سيؤدي إلى تقوية كل الأطراف وتحقيق الوحدة الدائمة، إن وصول الدولة والسياسة والمجتمع إلى نظام يستند إلى المقاييس الديمقراطية، سيجعل من الشكوك والخوف والتمرد والقمع المستمر منذ عصور شتياً لا معنى له، وسيتيح إمكانية العيش في أجواء الحرية والأخوة الحقيقية، كما سيؤدي إلى تبني الكرد لهذا الدور وجعله استراتيجية وسياسة أساسية لهم، إلى تعريفهم كقوة محركة للديمقراطية في الشرق الأوسط، مما سيزيد الدعم له وسيترسخ قبوله.

كلما تدخل الدوغمائية في مغامرة خطيرة تسفر عن دور تخريبي على مدى التاريخ، وعندما تنقطع روابطها مع البوتوبيا والعلمية اللتين تمثلان المستقبل، سيسفر ذلك عن نتائج تخريبية مشابهة، بينما يؤدي الموقف العلمي إلى تعريف الظواهر الموجودة في المشكلات وتجعلها سياسات وممارسات أكثر واقعية، ما يجعل الحلول أكثر نجاحاً، إن أكثر الأمور واقعية هي التي تستطيع أن تكون أكثر إنسانية، وهذا الوضع يجد أوضح تعبير له في نظام الحضارة الديمقراطية.

٤ - تحتل المعنويات والأخلاق مكانة هامة وبارزة عند تناول الظاهرة الكردية، في الوقت الذي تسبب فيه المواقف التي اعتمدت على الحسابات الاقتصادية والسياسية الزائدة، بالقلق الأخلاقي والأدبي، وأوصلتها إلى نقطة التغاضي عن القضية، وعندما يتقدم العلم والتقنية على الأخلاق والآداب، فإن البنية الذهنية تتعرض لخطر التطورات، وعندما يقوم العلم الذي لا يحمل قلقاً أخلاقياً بعقد تحالف لا مبدئي مع السياسة والاقتصاد، سيؤدي ذلك إلى نتائج يمكن أن تؤدي للإنسانية إلى الكوارث وفي مقدمتها الحروب العالمية الأولى والثانية وكثير من الحروب الإقليمية التي لا معنى لها، وإلى استخدام القنبلة النووية وتلويث البيئة إلى درجة لا يمكن العيش فيها والتوازن النوعي الرهيب، والتكاثر السكاني الخطير، ولا يعرف أحد إلى أي حد سيصل ذلك، لا شك أن الوضع السيئ الذي أدت إليه الأخلاق ذات الأساس الديني والمثولوجي قد بات معروفاً، ومن المعروف أيضاً أن الأخلاق لوحدها لا تشكل أية قوة، بل تؤدي دورها كسلوك اجتماعي عام، ولكن إذا ترك مكان الأخلاق فارغاً فبعد ذلك أكبر نقص لعصر العلم، ومن المؤكد أن هناك حاجة للأدب والأخلاق، وافتقار العلم إلى الأخلاق هو أساس أمراض العصر، وضعف الدين جعل هذه المرحلة أكثر خطورة، إذ يجب على العلم إنشاء وتفعيل منظمة

لأخلاق العلم تعبر عن قوتها وموقعها كسلطة عليا فوق الدول، وواقع المجتمع المدني هو اعتراف بهذا النقص، لكن هذا وحده لا يكفي، لذلك بات من الضروري تطوير المجتمع المدني، كما يجب تقييم تكوين أخلاق العلم وجعلها تصل إلى سلطة تمتلك قوة تنفيذية كمؤسسة أهم من الأمم المتحدة في عصرنا، إن الإنسانية والأمية الحقيقية ستجد معناها الحقيقي بقوة مثل هذه المؤسسات، وإلا فلا بد من أن تؤدي المصالح السياسية والاقتصادية الحالية اللامحدودة للدول والمؤسسات التابعة لها إلى دفع الإنسانية إلى حافة الهاوية.

تظهر هذه الحقيقة في عصرنا كأخطر ممارسة لها في القضية الكردية، فعندما ترى الأطراف المعنية مصالحها الاقتصادية والسياسية في تعقيد المشكلة بدلاً من الحل العادل، فإنها لا تتورع عن ارتكاب وحشية تصل إلى الإبادة كمجزرة حلبجة.

إن الضغوطات التي تمارس على الكرد تصل إلى درجة فرض الحظر على لغتهم، وتبقى جميع القوى العالمية والإقليمية صامته أمام ذلك خوفاً على مصالحها، حيث لا يجري العمل بأسس الأخوة الدينية ولا بالإنسانية ولا بالحقوق الدولية، وتم ترك الكرد في المصيدة، ويعد الجميع أن البقاء ضمن سياسة واقعية تنسجم مع مصالحه طريقة عقلانية، إن القضية الكردية هي الورقة الكاشفة عن وجدان العصر، فالأوضاع المشابهة للوضع الكردي في التاريخ هي السبب الحقيقي لمآسي البشرية، وإذا استمرت الأوضاع على ما هي عليها، فإن الكرد سيكونون مصدر مآسي القرن الحادي والعشرين على الأغلب، إن هذه الوقائع الأليمة التي ظهرت أمثلتها ابتداءً من حلبجة وحتى الإلقاء في البحر المتوسط في السفن التي غرقت في العواصف تدل على الوجدان الحقيقي للعصر، إن وجوب عدم تناول القضايا بالبعد السياسي والاقتصادي والقومي فقط بل إضافة البعد الأخلاقي أيضاً يظهر بنحو مذهل في الموضوع الكردي والقضية الكردية أكثر من غيرها، ويمكن للكرد أن يودوا دوراً تاريخياً في التوجه إلى إزالة هذا النقص المذكور.

٥- ندخل في مرحلة تتطلب تناولاً أكثر واقعية للظاهرة الكردية القضية الكردية في ظل هذه الانتقادات المتعلقة بالمنهج، ويجب على جميع الأطراف والأوساط العالمية المعنية بالمشكلة تحديد مواقفها وجعلها قادرة على عدم خلق بوسنة أو كوسوفو أو شيشان جديدة كي لا تستمر حالة التعقيد كحل قائم، ويجب على هذه الأطراف أن تقوم بتطوير الحلول على أساس الوقائع وتطلعات الكرد التي لا يمكن تأجيلها، والتي تأتي من عمق التاريخ، كما يجب أن ترى أن مصالحها السياسية والاقتصادية تمر عبر حل هذه القضية حتى ولو لم تكن تدرك أن ذلك كان يناسب مصالحهم في الماضي، إن تحقيق سلام كردي مشرف في القرن الحادي والعشرين يحظى بأهمية كبيرة للجميع الأطراف، إن مناهج تعفين المسألة وتأجيل الحل لمدة طويلة سيشتغل المنطقة بكاملها أكثر من انشغالها بالصراع العربي الإسرائيلي والحرب العراقية الإيرانية، كما أن وضع وقف إطلاق النار الحالي القائم يرتبط بتوازنات غير موثوق بها، يمكن أن تنهار في أية لحظة، كما أن الجغرافيا والتضخم السكاني والأزمة الاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة تقدم كل الخامات للتمرد والحروب الشاملة، وأي انفجار جديد يعني خسارة ربع قرن والعودة بالنتيجة إلى نفس النقطة، إن إنعدام الثقة الموجود في جذور المشكلة والمواقف الجبانة والدوغمائية المفرطة، جعلت التناول المعاصر للقضية بعيداً عن الساحة طوال القرن العشرين وحتى في القرن التاسع عشر، وبات واضحاً الآن أنه لا يمكن أن يستمر القرن الحادي والعشرين على هذه الوتيرة، حيث لا يمكن للعصر أن يقبل هذا الوضع القائم، و كل من يحاول أن يجرب ذلك لن يستطيع تخليص نفسه من العزلة التي يعيشها النظام العراقي.

ويجب على الدول المعنية لا سيما تركيا التي تعد الساحة الأساسية للحل، تخليص الحقيقة الكردية من البنية التي تؤدي

إلى ضعفها وتحولها إلى بنية تمنحها قوة كبيرة من خلال الإصلاحات وإعادة البناء، وتقوم بترتيبات جديدة على صعيد السياسات الخارجية والداخلية، وأن تقوم بتقييم ذلك كفرصة تمكنها من تحقيق أكبر قفزة، لما لهذا الأمر من أهمية كبيرة، كما يجب على الأوساط الكردية المثقفة والسياسية لا سيما المستويات المسؤولة في حزب العمال الكردستاني تجاوز مواقفهم القديمة التي اكتسبت طابعاً دوعمائياً لا يمكن تطبيقها، وتأسيس نهج جديد بمشاريع خلاقة تجعل الديمقراطية ومقاييس الجمهورية العلمانية والحقوق العالمي فعالاً بالنسبة لهم، باستنفار طاقاتهم نحو السلام الديمقراطي حسب المعطيات وجعل هذا النهج وتنفيذه مهمتهم التاريخية، فلا التمرد ولا الإنكار والقمع، بل السير نحو التفاهم المتبادل والحل على أساس المصالح المشتركة، هو الأمر الذي يجب قبوله كنتيجة ذات مضمون ومعنى لحياة مشتركة على مدى ألف سنة، إن تجنب الأحكام المسبقة للقومية المتطرفة، وتدعيم مفهوم المواطنة الحرة والتعبير عن الكيان الثقافي ودعم الأقنية السياسية الديمقراطية هي أمور ضرورية للجمهورية والمجتمع الديمقراطي، فتوجه تركيا نحو حل هذه القضية علماً بأن الأزمة التي تشهدها في بداية القرن الحادي والعشرين نابعة من هذه القضية، يمر عبر تنفيذ متطلبات الجمهورية الديمقراطية، وهذه ضرورة للوطنية والوحدة والأخوة الحقيقية، علماً بأن هذا الحل سيتيح إمكانية التحرك أمام الاتحاد الأوروبي بأطروحة قوية من خلال نشر تأثيره في الشرق الأوسط والبلقان والقوقاز وآسيا الوسطى، وستحقق الاحترام لتركيا كقوة طليعية يتم الاقتداء بها، وتلقي الدروس منها في القرن الحادي والعشرين.

ج. إطار التاريخ الكردي

١. العصر النيوليتي والكرد

يكن مريض التاريخ الكردي في المجتمع النيوليتي، إن تحليل مجتمع النيوليتي كمصطلح وتحديد النموذج الأصلي للكرد في هذا العصر، يؤدي دور المفتاح في تسليط الضوء على التاريخ، ولا يواجه أي مراقب دقيق صعوبة في إثبات أن الكرد يعيشون خصائص المجتمع النيوليتي بنحو مكثف حتى يومنا الراهن.

يثبت التقييم المقارن لعلم الآثار وعلم الأجناس وعلم الأعراق، أن مجتمع النيوليتي في التاريخ قد تطور قبل اثني عشر ألف سنة في السفوح الداخلية والخارجية لسلسلة نظام جبال طوروس وزاغروس، أي في مناطق التلال القريبة من الموارد المائية التي تتصل فيها السهول بالجبال، ويعود سبب ذلك إلى غنى الثقافات النباتية والحيوانية التي تتناسب مع الزراعة والتدجين، وتداخلها ببعضها البعض، والنظام المناخي الشبيه بالري الطبيعي، حيث توجد أمثلة برية لجميع أنواع الحبوب والحيوانات الصغيرة والكبيرة في هذه المنطقة التي كانت ساحة تقاطع تتوحد فيها القارات الثلاث طوال العصر الجليدي الطويل، ويظهر ذلك أن النوع البشري الذي خرج من شرق أفريقيا قد اختار هذه المنطقة كساحة انتشار آمنة في كل أنحاء العالم، ويؤدي الغذاء المناسب والأمان والمناخ المتوافر دوراً أساسياً في هذا الأمر، وتوجد الدلائل التي تثبت أنه تم عيش العصرين الباليوليتي والمزوليتي في هذه البقعة، حيث تقدم أدوات ورسوم الكهوف الأمثلة التي تظهر الآثار حياً للشعب في العصر الميزوليتي.

بدأ المجتمع النيوليتي في السهول الجبلية لسلسلة طوروس وزاغروس، كرد فعل على مرحلة الجفاف القاسية التي جاءت بعد العصر الجليدي الأخير في الألف الحادي عشر قبل الميلاد تقريباً، وتثبت الآثار النيوليتية التي تم اكتشافها خلال التنقيب في "جما هالان" التابعة لباطمان و"أرغاني" و"جما كوته بر" وكثير من التلال الترابية في أورفا، أن أول سكن هنا بدأ في أعوام

الألف الحادي عشر قبل الميلاد تقريباً، وهناك إجماع عام من المؤرخين على أن أكبر ثورة في التاريخ هي الدخول إلى مرحلة الحياة المستقرة في هذه الجغرافيا.

لم تتمكن المجموعات المتحولة المؤلفة من عشرين أو ثلاثين شخصاً في العصر الباليوليتي، الذي استمر مئات الآلاف من السنين أن تترك أثراً ودوراً يذكر في التاريخ، لقد كانت سعته وثقافته ضعيفة ويفتقر لخصائص يمكن أن تسرع التاريخ، ويشكل الدخول إلى الحياة المستقرة أي الثورة الزراعية والحيوانية أحصص مرحلة لتسريع عجلة التاريخ، ويرجع سبب دوره للقضاء على المسار الروتيني للحياة منذ مئات آلاف من السنين، وقام التاريخ فيما بعد بانطلاقة قوية، وتأسست الثقافة النيوليتية في هذه المنطقة بنحو منتشر بعد عام ٦٠٠٠ ق.م، وسمي هذا العصر بثقافة تل حلف، حيث تم اكتشاف أول النماذج في هذه المنطقة، إن هذه الثقافة التي تمتد من شرق البحر الأبيض المتوسط حتى جبال زاغروس والتي تتكاثر في المنطقة المسماة بميزوبوتاميا العليا تقدم تشابهاً في منطقة واسعة، حيث ادت دوراً ريادياً حتى عام ٤٠٠٠ ق.م تقريباً، وتمثل الأصالة في جميع أنحاء العالم، ويثبت التاريخ أن المعلومات والتكنولوجيا التي تكونت في هذا العصر الذي استمر ألفي عام لم يتم تطوير مثل لها عبر التاريخ سوى في القرن السادس عشر بعد الميلاد في أوروبا، ونرى أن الخطوة الأكثر جذرية للإنسانية والاختراعات التي خلقت الحضارة، قد خلقت من قبل ثقافة هذه المنطقة، ويمكن تقييمه كأول عصر ذهبي للتاريخ.

يعد العصر النيوليتي هو العصر الاساس الذي كوّن البنية الروحية والذهنية للإنسانية، من حيث المدة والشمولية، لقد حققت العناصر الإيديولوجية كأول قوالب للسمو الفكري والروحي وتلقي المعلومات والإدارة ووعي التحول إلى مجتمع والوصول إلى مصطلح الإله تطوراً كبيراً لهذا العصر، واكتسبت البنية الفوقية للإيديولوجية في تاريخ الإنسانية خصائصها الأساسية في ظروف المجتمع النيوليتي، ولهذا فإن معناها يشبه بدء الطفل بالنطق والمشى، ومن جهة أخرى فإن المؤسسات المادية الأساسية كصنع الألبسة المنسوجة وارتداءها، وطحن الحبوب بالطاحونة اليدوية، خبز الخبز وطبخ الطعام في الأوعية الفخارية وحفظها، وتقطيع الأحجار على شكل لبنات من أجل بناء البيوت هي نتاج هذا العصر، وتم زرع أغلب النباتات وتدجين الحيوانات التي يتم استخدامها في يومنا هذا، وقد كان يتم صنع البلطة والمعول والمحراث والدولاب والعربة، بنحت الحجر والنحاس من الاختراعات الأساسية لهذا العصر، إن هذا العصر لا يشكل المهدي الإنساني الموجود في يومنا فقط، بل مرحلة الطفولة والكهولة أيضاً، حيث تأخذ كل المصطلحات الميثولوجية والدينية مصادرها من هذه المرحلة، لقد أدرك البشر تطور المجتمع وتمايزه الكبير عن عالم الحيوانات لأول مرة في التاريخ، كوضع غير اعتيادي، بل ومعجزة، ويكتسب الدين والميثولوجيا هوية كانعكاس ذهني لهذا التطور الثوري الكبير في المجتمع، ومثلما تكون الشروحات العلمية والفلسفية أشكالاً فكرية مبكرة بالنسبة للأطفال، فإن الفكر الميثولوجي والديني فقط يكون قابلاً لتطوير الإنسانية في هذا العصر، يعد العصر النيوليتي الأرضية المادية للميثولوجيا والدين جوهرياً، حيث لم توجد الهوية الإيديولوجية بهذا التوجه في الأشكال الاجتماعية السابقة، وربما أتاح ذلك إمكانية للوصول إلى بعض المصطلحات المقدسة المحدودة، إن الثورة الزراعية والحيوانية تفتح الطريق الميثولوجي والديني إلى آخره وتشكل أرضيته المادية.

نرى هذا الشكل الاجتماعي في النواة السياسية الفطرية والبدائية، ويواجه المجتمع الذي وصل إلى حجم عدة قبائل مشكلة الحكم والإدارة، ويصبح الأشخاص الذين يواصلون التطور وذوو الخبرة في القبيلة في موقع الزعيم بنحو طبيعي، ويتطور الانقسام على شكل الشمانية والسحر على هذا الأساس، تأخذ الزعامة السياسية والمعنوية أول تمايز لها من هذه

الظروف، وكانت خصائص المجتمع الأمومي مسيطرة إلى مدة زمنية طويلة، لأن الثورة الزراعية والحيوانية قد أخذت شكلها حول المرأة غالباً، وكانت عبادة المرأة الأم القوية نتاجاً لهذه المرحلة، وكان الرجل ممسوخاً وخنوعاً ضمن الجماعة إلى درجة كبيرة، بينما المرأة الأم فقد كانت ذات قدرة موجهة ونوعية، وهذا هو الوضع الذي يشكل أساساً لثقافة الربات كانعكاس معنوي، وتعتبر ألوهية المرأة عن مجموع خصائص المرأة التي نجحت في القيام بالثورة النيوليتية، وأدى انعكاس معرفة الثورة الإنسانية الكبرى على العالم الذهني إلى نمط تقديس وضع المرأة الربة في المركز، وتحقق خلق وتعريف النباتات والزراعة وتدجين الحيوانات وصناعة الأوعية والنسيج وبناء البيوت وتربية الأطفال والفلاحة والحراثة والأشجار المثمرة من خلال الدور القيادي للمرأة، وتأخذ الربة القوية مصدرها من هذا المجتمع الأمومي، إن جميع الهياكل المتبقية لتلك المرحلة ترمز إلى المرأة وهي من الأمثلة الأساسية التي تثبت هذه الحقيقة، ولم يظهر الرجل في الخطوط الأمامية، إلا في الظروف التي اكتسبت فيها الفلاحة باخراث والصيد أهمية في المجتمع بعد مدة طويلة، ولم تبرز عبادة الرجل إلا بعد الألفية الرابعة قبل الميلاد، وقد حققت هذه الظاهرة تفوقاً كبيراً مع ظهور المجتمع الطبقي السومري، حيث أدت التطورات التقنية دوراً مصيرياً في ذلك التوجه، وخاصة عندما احتاج المزارعون والفاس إلى قوة خشنة والابتعاد عن البيت ما جعل الرجل يتقدم على صعيد الإنتاج كشكل أساسي.

تجد ثقافة المجتمع النيوليتي الذي ترك بصمته على التاريخ أصالتها في هذه المنطقة، إن المناطق الممتدة من شرق البحر الأبيض المتوسط حتى سلسلة جبال زاغروس، ومن الصحراء الشمالية لشبه الجزيرة العربية حتى جبال طوروس في الأناضول وأحواض الجبال التي تنبع منها أنهار الفرات ودجلة والزاب والسهول الموجودة هي المراكز الأساسية التي تشكلت فيها أشكال هذا المجتمع، وتأتي تسمية هذه المنطقة بالهلال الخصيب في التاريخ من خصائصها المذكورة، لقد استمدت الإنسانية غذاءها مدة عشرة آلاف سنة من خلال الدور الخلاق لهذه المنطقة، وكأنها تقوم بدور ريادي في كل الأزمنة للمجتمع البشري في العالم، وتم إثبات أن الانتشار الثقافي الثلاثة الكبرى قد انطلقت من هذه المنطقة، وانتشرت الاختراعات الأولى للعصر النيوليتي في أوروبا وأواسط آسيا وأفريقيا الشمالية في الألف السابع قبل الميلاد أي متأخرة بألفي عام، يؤكد تشابه الأدوات النيوليتية التي اكتشفت في هذه المناطق مع الأدوات الموجودة في الهلال الخصيب بنحو كبير هذه الحقيقة، فتحقيق الانتشار عن طريق الثقافة بدلاً من القوة الفيزيائية هو الاحتمال الأكبر، أما ثقافة تل حلف، فلم تصل إلى المحيط الأطلسي والمحيط الهادي إلا بعد تأخر ألف أو ألفي سنة، واستند الانتشار الثالث الكبير إلى الحضارة السومرية، حيث استطاعت هذه الحضارة الوصول إلى كل المناطق المذكورة بين أعوام ألفين إلى ألف قبل الميلاد، وتم إثبات هذه الحقيقة من التشابه الثقافي الذي تم الحصول عليه من خلال عمليات التنقيب بكل سهولة.

لم يكن الانتشار الثقافي محصوراً بتقنية الإنتاج المادي فقط، والحقيقة الأخرى هي أن المصدر الأساس لمجموعة اللغات الهندوأوروبية هو القسم العلوي لضفة الفرات ودجلة، الذي تحققت فيه هذه الثورة الكبيرة، ويمكن إثبات تشكل الإرث الهام لهذا التاريخ والذي نسميه مجموعة اللغات والثقافة الآرية في هذا المصدر الأساس ابتداءً من الألف الحادي عشر قبل الميلاد تقريباً، من خلال دراسات علم الآثار وعلم الأجناس وعلم الأعراق، وتظهر كثير من الكلمات المتبقية من هذه المرحلة، والتي يتم استخدامها في عدة لهجات كردية، يعود مصدرها إلى هذا المصدر الذي تكون فيه، إن اللغة والثقافة الآرية هي نتاج الثورة الزراعية والحيوانية، وتتحدث الساحات التي انتشرت فيها هذه الثورة باللغات التي اشتقت من هذه الجذور غالباً، والاستثناء الوحيد هو مجموعة اللغات السامية ذات المصدر الصحراوي ومجموعة اللغات الفينيقية والمغولية والأورالية التي

صدرت عن الساحات الجليدية، تتخذ الأولى المجتمع الصحراوي الرحال أساساً لها، أما الثانية التي صدرت من المناطق الجليدية فتتخذ المجتمع الرحالي أساساً لها أيضاً إلى حد ما، أما المجموعة الآرية الموجودة في الوسط فهي في موقع مركز الثقافة الخلاقة.

لم تأت مجموعة اللغة والثقافة الهندوأوروبية من سهول أوروبا وروسيا إلى المناطق الجنوبية والشرق أوسطية كما يدعى، بل أن انتشارها حدث من الهلال الخصيب وإلى هذه المناطق، وهذه حقيقة تاريخية تم إثباتها تماماً، ويجب أن نعتبر أن الانقسام والتحول إلى مئات اللهجات المحلية هو نتيجة للانتشار في جغرافية واسعة عبر زمن طويل، وهو تطور طبيعي، كما أن وجود جذور ومركز الثورة الأساس في الساحة العلوية لضفاف دجلة والفرات، وحدث ذلك في الألف الثاني عشر قبل الميلاد، هي حقيقة لا يمكن إنكارها، ويرتبط فهم التاريخ بنحو صحيح بفهم طريقة تكوينه وانتشاره عن كثب، ولا مفر من ارتكاب أخطاء وأغلاط منهجية في مضمون العلوم الاجتماعية في حال عدم تحديد مسار خلق وتطور وانتشار التاريخ كأساس لكل العلوم بنحو صحيح.

لذلك يتمتع تحليل المجتمع النيوليتي بأهمية كبيرة ليس بالنسبة لتاريخ الكرد فقط، بل من ناحية التاريخ البشري أيضاً، صحيح أن التاريخ أي التاريخ المدون يبدأ بالسومريين، لكن السومريين أخذوا كل شيء يملكونه من المجتمع النيوليتي، أي من الضفاف العلوية للفرات ودجلة، لقد تشكلت المفاهيم الأساسية لمؤسسات البنية الفوقية الأساسية بمقدار كل تقنيات الإنتاج في هذا المجتمع، ومن ثم انتقلت إلى السومريين ولدينا العديد من الدلائل التي تثبت ذلك، ناهيك عن أن انتشار السومريين من مزوبوتاميا الشمالية إلى مزوبوتاميا الجنوبية أمر مثبت بالوثائق، مما يعني أن المصدر الأساس للتاريخ غير المدون هو السهول وأشباه التلال والوديان التي كونتها أنهار فرات ودجلة وزاب وروافدها، كمراكز للثورة النيوليتية، والتي تعد من أحصب الأراضي المناسبة للزراعة وتدجين الحيوانات، فهي الوطن الأم للنباتات والحيوانات البرية، وإن سحر هذه الوديان والسهول والجبال يأتي من كونها مهداً لخلق التاريخ.

أطلق السومريون أول تسمية معروفة على المنطقة وشعبها، وبنحو أصح يسهل علينا استخراج ذلك من المصادر المدونة، لم يخلق المجتمع النيوليتي ثقافة أو مجتمعاً فيزيائياً أتاها من الخارج، بل أن الثقافة المستقرة في المنطقة منذ العصور القديمة والمجموعات المحلية كمجموعات خلاقة هي الأصل، وتمتلك خصائص أصيلة، تثبت كل السجلات التاريخية المدونة أن الثقافة المستقرة والمجموعات القبلية تتطور بنحو دائم ابتداءً من العصر النيوليتي الأعلى منذ عشرين ألف سنة قبل الميلاد، وحتى العصر الميزوليتي بين الألف الخامس عشر والألف الحادي عشر قبل الميلاد، ومن المجتمع النيوليتي حتى السومريين بين الألف الحادي عشر وحتى الألف الثالث قبل الميلاد، ويمكن متابعة ذلك منذ عصر السومريين حتى يومنا هذا بالوثائق التاريخية التي تدل على أن الثقافة كانت مستقرة والمجموعات القبلية كانت في حالة تطور مستمر، وتظهر الحقيقة التي نستخرجها أن أجداد وأمهات الكرد الحاليين هم الذين خلقوا الثقافة الأصلية واللغة في جميع مراحل التاريخ المذكورة، ويمكننا تسمية جميع المجموعات التي تعيش في المنطقة حتى مرحلة السومريين بالكرد البدائيين "بروتو".

تثبت جميع الوثائق التاريخية أن المجموعات التي كانت تعيش في هذه المنطقة قد حافظت على وجودها بالانسحاب إلى الجبال وداخل الغابات في العصور التي شهدت غزوات ظلمة، ويؤكد الأباطرة الآشوريون أنهم قاموا بحملات كثيرة على المنطقة في كثير من لوحاتهم الحجرية التي كتبوها بالذات، لكنهم لم يستطيعوا النجاح فيها وكان ذلك وضع يسري مفعوله

على كل المحتلين الغزاة وهذا أمر موثق، لم يكن عدد المجموعات التي لا تختلف عن بعضها والتي استخدمت الإكراه في عصور ما قبل التاريخ كثيراً، ودخلت مرحلة الحياة المستقرة مع مرور الزمن، ولم تنتشر إلى الخارج كثيراً ولم تقبل بالمجموعات التي قد تقضي عليها، إن امكانات المنطقة للتطور وتقدم الجديد بنحو دائم أدى إلى مواصلة شعب المنطقة للثورة التاريخية الكبيرة، ومن الواضح أن الثقافة والمجموعات البشرية التي تتطور وتعيش ثورة دائمة ستكتسب مزيداً من القوة وستتجذر في منطقة على هذا الأساس، ناهيك عن أن وثائق علم الآثار تؤكد صحة هذه الديومة، لقد كان تميز اللهجات يفعل فعله بالنسبة لكل المجموعات اللغوية ويكون تمايزها عميقاً جداً مع مقارنتها باللهجات الكردية، فبقاء تقارب لهجاتهم كل هذه المدة الطويلة رغم الاختلالات التي تعرضوا لها، يعد نجاحاً هاماً بالنسبة للكرد واللغة الكردية.

لم يستطع تقارب اللهجات في كثير من المجموعات اللغوية التي أصبحت لغة الدولة الرسمية، أن تكون بمقدار تقارب اللهجات الكردية، هذه صفة تأتي من قوة لغة وثقافة الثورة النيوليتية الطويلة والعميقة، حيث يعد ذلك عاملاً مصيرياً، وذلك يعني من جهة أخرى أن الكرد الأوائل والكرد لم يغيروا مكافهم كثيراً وبقوا مستقرين وحافظوا على نقاء الثقافة واللغة لمدة طويلة، إن ترديد شعر ولحن منذ أربعة آلاف سنة يعبر عن قوة هذه اللغة والثقافة ويؤكد رسوخه، ويتم تأكيد ذلك من خلال ملحمة كلكامش، ولحن الفتاة المجهولة التي تسمى "بغيرو"، إن التاريخ المثبت لهذه الأمثلة الأدبية يرجع إلى عام ٢٠٠٠ ق.م، ويظهر تشابهاً كبيراً مع أشكال الملاحم الكردية التي وصلت إلى يومنا هذا، فمن الواضح أن مصدر إنانا السومرية والربة عشتار عند الأكاديين هو كلمة ستار. ستال وهي مشتقة من كلمة ستيرك، التي تعني "أسمى وأكبر شيء"، والتي تعد ربة حتى في ثقافة يومنا هذا، يتم تسمية ثقافة الربات هذه بـ "نينهورساع" التي تعني ربة المنطقة الجبلية في الثقافة السومرية، حيث أن علاقة ذلك واضحة بإرث ستارك، وتظهر جميع الدراسات أنه قد تم ترميز الآلهة الربات في العصر النيوليتي بالكواكب، وتعني كلمة ستارك باللغة الكردية الكوكب، وتعني أكبر شيء من الناحية الثقافية أي الربة أو الإله، إن ترميز الآلهة عند إظهارها لأول مرة بالكواكب هو أمر ذا منشأ كردي وشكل ذلك أساساً لكل الأديان السماوية.

يمكننا القول أنه لا يوجد أي شعب من الشعوب خلق العصر النيوليتي وعاشه بعمق مثل أصول الكرد، فقد تم عيش هذه الأصالة بنحو كثيف في الظاهرة الكردية من حيث الزمان والشمولية، وأخذ الكرد كل قوتهم وطاقاتهم من هذا العصر ومنحوها له أيضاً، ويعود تخلف البنية الذهنية للكرد في يومنا هذا إلى بقائهم متعلقين بالعصر النيوليتي وكأنهم يفعلون ذلك بإرادتهم، وما زالت تأثيرات العصر النيوليتي تواصل وجودها في العالم إلى درجة لا يستهان بها وبالعكس ما يعتقد، إنه مجتمع بقي مع العصر النيوليتي من الناحية الذهنية والحياة المادية والقروية، حيث اكتسبت الثقافة الزراعية خصائصها الأساسية من هذا العصر.

إن عدم وجود تاريخ مدون في العصر النيوليتي لا يعني عدم وجود تاريخ للشعوب التي عاشته، بل يعني عدم وجود تاريخ سياسي مدون لها فقط، ومن جهة أخرى يوجد لهذه الشعوب تاريخ ثقافي ومثولوجي وأثني يتميز بالغنى، فالتاريخ ليس عبارة عن المضمون السياسي والمدون، بل إن التاريخ الحقيقي ذا المعنى هو التاريخ الذي يشمل كل العناصر الثقافية والمادية والمعنوية التي أثرت على المجتمع البشري بنحو عميق، وعندما ننظر من هذه الزاوية نرى أن الكرد هم الشعب الأول للعصر النيوليتي والأصحاب الأوائل لثقافة المعلومات الخلاقة التي طوّرت التقنية، ويرجع التأثير الذي أحدثته الثقافة الميزوبوتامية في التاريخ إلى هذه الدرجة من القوة المذكورة، وادى الكرد دوراً واسهموا في تطور البشرية لمدة طويلة وشاملة أكثر من دور الولايات المتحدة

الأمريكية والاتحاد الأوروبي في يومنا هذا، وهم في موقع الشعب الذي خلق ثقافة هذا العصر ونشرها في العالم، والنقص الوحيد لديها هو عدم قدرتهم على كتابة ذلك التاريخ، ناهيك عن أنه لم يتم كتابة تاريخ الشعوب الكادحة بنحو يليق بالتاريخ، ولم يتم التخلص من اعتباره غير موجودٍ، والتحريف الذي تعرض له من طرف القوى الاستغلالية المهيمنة، ولم يتم كتابة أي علم بنحو محرف أكثر من التاريخ من طرف القوى الحاكمة والاستغلالية، وندخل الآن في مرحلة يتم فيها تسليط الضوء وكتابة تاريخ الجهد والشعوب، بعد أن أصبح المنهج العلمي مسيطراً مع مرور الزمن، وستجد الأصاله الكردية المكانة التي تستحقها من خلال تسليط الضوء عليها بمضامين واقعية عبر تطبيق المنهج العلمي.

يمكن لأي مراقب دقيق عند مروره بسيارته في المنطقة أن يعدّ المئات من التلال على ضفاف الفرات ودجلة، لا سيما في أورفا وديار بكر وماردين والمناطق المجاورة لها، حيث تعد هذه التلال خزائن حقيقية تخفي التاريخ بين ثناياها على مدى خمسة عشر ألف سنة في الأقل، وتعد هذه أولى المناطق السكنية للعصر النيوليتي، ومناطق أثرية تراكمت فيها الثقافات فوق بعضها البعض عبر عصور التاريخ، وستتم كتابة التاريخ الحقيقي عند فتح هذه التلال وتحليلها، ولكن مع الأسف يتم ترك هذه الخزائن الثقافية تحت المياه من خلال سياسة بناء السدود التي تعد مجزرة للتاريخ والثقافة، ويتم تخريب الإنجاز البشري الذي تواصل آلاف السنين من أجل مصالح مادية قصيرة الأمد، إن نكران هذا التاريخ وهذه الثقافة التي كانت مهداً للتاريخ البشري، واعتبار التاريخ مبتدأ بالإسلام والمسيحية واليهودية والسلالات الحاكمة والمنظمات القومية في يومنا هذا، يعني احتقاراً للتاريخ وإنكاره وتحريفه، ولا يمكن كتابة تاريخ الشعوب والجهد إلا عندما يتم تجاوز ودحر هذه المفاهيم عن التاريخ.

٢ . الكرد والعصر العبودي

تشرح الوثائق السومرية المدونة بأن الأراضي التي ينتمي إليها الكرد، قد ادت دوراً ريادياً على مسرح التاريخ في هذا العصر الذي بدأ فيه التاريخ المدوّن، وتكفي دراسة هذه الوثائق معرفة تاريخية لأجل فهم أن السومريين الذين أطلقوا تسميات مختلفة على جيرانهم، كانوا يتحدثون عن المجموعات ذات الأصل الكردي، لقد سمّى السومريون هذه المجموعات بالهوريين والكوتيين والكاشيين، كما نرى أنهم كانوا يتحدثون عن أجداد الكرد الحاليين، وعند دراسة ذلك من ناحية علم الأعراق، نرى أن كلمة الهوري "HORRIT" تعني أصحاب البلاد العالية أو الجبليين، أما كلمة كوتي "GUTI" وتعني "الثور" باللغة الكردية" وتعني مجموعة الشعب الذي يمتلك الثيران، وما زالت هذه الكلمة مستخدمة في اللغة الكردية، أما الكاشيين فتعني المجموعات الكادحة والفقيرة نفسها التي سكنت في مدن سومر، وهو اسم يطلق على الشريحة التي تعمل كيد عاملة رخيصة، وبالمهن البدوية والموظفين، والمعروف أيضاً أن تاريخ السومريين كان متداخلاً مع هذه المجموعات، وأخذ السومريون من الهوريين والكوتيين والكاسيين أساساً لهم في تحالفاتهم ضد الأكاديين والبابليين ذوو الجذور السامية، وقاموا بإسقاط سلالة سرجون الأكادي معاً، وحكمت سلالات من الكوتيين والكاسيين المدن السومرية لمدة طويلة.

عندما ننظر إلى بنية اللغة والثقافة السومرية، نرى أنها قد أخذت كل تجهيزاتها التقنية من الهوريين الذين خلقوا العصر النيوليتي في الضفاف العلوية لدجلة والفرات والزاب، وأخذ السومريون مصطلحات المعلومات الأساسية والثقافة من تلك الثقافة على الأغلب، وتم اقتباس كثير من الإضافات اللغوية والعناصر المؤنثة الموجودة في البنية اللغوية للسومريين من هذه الثقافة، وتواصل كثير من القصائد الشعرية والملاحم السومرية وجودها في الثقافة العشائرية الكردية في يومنا هذا من حيث

المضمون والشكل، وتجد ملحمة "درويش عبدي" مصدرها في اللوحات التي كتبها السومريون في الألف الثاني قبل الميلاد، وتحدث في نفس منطقة سنجار أنشودة باسم بطل شعبي تحت اسم "جيرو CIRO" على لسان فتاة مجهولة، تقدم قصيدة شعر "جيرو" التي تمت كتابتها في الألف الثاني قبل الميلاد تشابهاً مذهلاً مع ملحمة درويش عبدي في يومنا هذا، كما توجد كثير من الوثائق المشابهة لذلك، وحاولنا سابقاً تعريف الروابط الموجودة بين عبادة الربة إنانا وعشتار والربة ستارك، وتحمل ملحمة جلجامش وملحمة نوح تشابهاً كبيراً، عندما ننظر إلى أعماق التاريخ، نرى أن التاريخ السومري قد حقق وجوده من خلال القتال و تحالفات عدة بين الهوريين ذوي الجذور الآرية "الجبليين" والعموريين ذوي الجذور السامية "تعني الذين جاؤوا من الغرب"، كما نستطيع فهم ذلك من موقع العراق الحالي، فحتى لو طوّرت المجموعات السومرية الأولى بنية لغوية خاصة بهم نرى أن مصدر هذه اللغة مليء بالكلمات ذات الجذور الآرية والسامية، كان تصاعد الحضارات ذات الجذور العمورية والهورية حول الحضارة السومرية قد أدى إلى تصنيفيتها، وبنحو أصبح لقد تم فرز السومريين بعد دخول هاتين المجموعتين الثقافتين - والمدنيين بوجودهما - إلى مرحلة الحضارة الطبقية، حيث وصلوا وجودهم من خلال التحول في السلالات الحاكمة لهاتين المجموعتين، ولم تتم إزالتها، بل اضطروا إلى مواصلة وجودهم تحت حكم سلالات ذات بني شابة وثقافات مميزة.

إن هذا التعريف القصير يظهر أن التاريخ السومري متداخل إلى حد كبير مع جيرانهم الهوريين، الذين تم إثبات وجود روابط قوية بينهم وبين الكرد، ويوجد لهم تاريخ مشترك، وبذلك يكون أهم مصدر لتاريخ الكرد متداخل مع التاريخ السومري الذي بدأ التاريخ المدون، إن جميع العناصر الثقافية التي جاءت من الجبل وعلاقتها وصراعها الملموس وتأثيراتها وتأثرها المتعلق بهذا التاريخ هو التاريخ ذو الجذور الكردية في الوقت نفسه .

حققت التطورات المتعلقة بالتاريخ السومري تقدماً أكثر في عام ٢٠٠٠ ق.م تقريباً، فقد تسارعت مرحلة الانفتاح على الخارج وتطورت المستوطنات السومرية في ذلك التاريخ، وتطلبت الموارد المعدنية والغابات الغنية إنشاء مستوطنات في هذه المناطق وضرورة القيام بحملات، فأنشأ السومريون أهم مستوطناتهم على ضفاف الفرات ودجلة وعلى الطرق التجارية والساحات التي تتوافر فيها المعادن والخشب بكثافة، إن المدن الاستيطانية وفي مقدمتها "أورفا وحران وقرقاميش وسمسات وكانيش وأوركيش ونوزي" التي تم إنشاؤها، أدت إلى انفتاح المنطقة على الحضارة، وأدى التمدن إلى بدء مرحلة جديدة، وبدأ التحول إلى المدن والدول مع بدء الفرز الطبقي في المجتمع الزراعي، وكان من الأولويات انتشار الحضارة في كل ميزوبوتاميا، وبدأ عصر الحضارات الإقليمية بعد عام ٢٠٠٠ ق.م، وتحولت مدن المستوطنات إلى دويلات مدن، لقد استوعب الهوريون كمجموعة معروفة في التاريخ بعد السومريين الحضارة في النمط السومري، ودخلوا إلى مؤسسة الدولة المركزية المستندة إلى مراكز المدن من خلال الكونفدراليات العشائرية الواسعة، وكانت "نوزي وأوركيش" من أولى المراكز وبرزت "أورفا" كمركز هام في التاريخ أيضاً، إن "أوركيش" هي مدينة "عامودا" التي تتواجد حالياً في منطقة الحدود التركية السورية وكانت هذه المدن هي أولى عواصم الهوريين، ونفهم من خلال وثائق جيرانهم السومريين والحثيين أنهم أصبحوا قوة سياسية هامة بين عامي ٢٠٠٠ - ١٥٠٠ ق.م.

تمت مقاومة وصد الاعتداءات التي قام بها السومريون والبابليون والحثيون على هذه المناطق، ولذلك فإن تحقيق الاحتلال كان صعباً إلا من خلال قوة عسكرية وسياسية قوية، وتم العثور على كثير من الوثائق المدونة باللغة الهورية، كما تقدم

الوثائق التي عثر عليها في نوزي وأوركيش والمدن الحثية معلومات واسعة عن الهوريين.

نرى أن الهوريين هم الذين حققوا تماسس العصر النيوليتي في الألف السادس قبل الميلاد تقريباً، وهم بمثابة استمرار للمجموعات التي أعطت شكلاً لثقافة تل حلف، كنا قد أكدنا سابقاً أنه تم تسمية الهوريين بالهوريت التي تعني "الجليين" لأول مرة من قبل السومريين في الألف الثالث قبل الميلاد، ويعتقد أن الكوتيين والصاباريين والكاسيين الذين تمت تسميتهم فيما بعد، قد تقاسمو اللغة والثقافة المشتركة في عصور وأماكن مختلفة، حيث يتأكد هذا الأمر مع مرور الزمن، إن التسميات المختلفة للوحدات العشائرية في يومنا هذا لا يعني أنها لا تنتمي إلى نفس المجموعات الشعبية ولا يعني أنها لا تملك طبائع مشتركة.

إن بنية اللغة الآرية هي آرية وتم إثبات أن كثيراً من كلماتها تحولت إلى اللغة السومرية لا سيما أسماء الحبوب والحيوانات، أما أسماء الجمل الذي يعد سفينة الصحراء فهي ذات جذور سامية، وأقتبس السومريون كثيراً من أسماء تقنية الزراعة من الهوريين، ويمكن الادعاء بكل بساطة بأن الهوريين قد أثروا إيديولوجياً على السومريين، وقد دخلت كثير من المصطلحات الميثولوجية إلى السومريين في هذا النطاق، كما تأخذ المفاهيم الميثولوجية واللاهوتية المستندة إلى السماء مصدرها من الثقافة الهورية، وتعكس تعبير المساواة والحرية لأنها لم تتعرف على الفرز الطبقي، وكانت خاصية الربة الأم هي السائدة، حيث قام الكهنة السومريون بمزج هذه الأدوات المادية والمعنوية وخلقوا تركيباً منها في مدن التلال التي تسمى بـ "أور" ونجحوا في جعلها أساساً لبنية المجتمع الطبقي، ويمكننا القول أن معابد أور للربان السومريين، قد قامت بمهمة الرحم التي خلق فيها أول مجتمع طبقي ودولته، إن المعابد هي المصانع الحقيقية التي خلقت فيها الدولة، لذلك لا يمكن أن تكون الدول علمانية تماماً، لأن الدين موجود في مورثاتها وخيراتها، وإذا تركنا الدين جانباً فلن يبقى شيء في الساحة اسمه الدولة، وطبعاً عندما نقول دين، يجب أن نفكر في كل اليوتوبيات الدوغمائية والمثالية، أدى التحول إلى الدولة إلى تفوق كبير للسومريين وبدأت مرحلة الاستيطان في المناطق الهورية.

إن الاستيطان الذي يعني الاستغلال الكلاسيكي، يمتلك تاريخاً ملعوناً منذ عام ٢٠٠٠ ق.م وحتى يومنا هذا، لقد حدث القمع والاغتراب والاستغلال بنحو متداخل في المستوطنات، واكتسب الاستيطان سرعة في بلاد الهوريين، لاسيما في منطقة أورفا في عصر السلالات البابلية ذات الجذور العمورية، التي استلمت زمام الأمور بعد السومريين، وتطوّرت معارضة بأسس النبوة في التاريخ كرد فعل على هذا الأمر، تشبه نضال المثقفين ضد الإمبريالية وعملائها في يومنا هذا، لقد ادت مدينة أورفا بهذا الاتجاه دور المركز ضد الاستيطان بقيادة النبوة لأول مرة في التاريخ، لاسيما في الإرث الذي تمثل بالنبي إبراهيم، حيث تمت تسمية مثل المستوطنة في هذه المرحلة بنمرود، مما يعني ذلك نضالاً لإبراهيم ضد نمرود، ويمثل في جوهره نضال الحرية والمقاومة لمجموعات الشعب المحلية ضد ممثلي الإمبريالية العبودية لسومر وبابل.

كانت القبائل الهورية والعمورية ذات الجذور الآرية والسامية، تقوم بهذا الصراع بنحو منفرد وبنحو مشترك أحياناً أخرى، حيث نرى تأثير ثقافة كلا المجموعتين متداخلاً في إرث إبراهيم، كانت أورفا وضواحيها ملائمة بأجوائها من أجل نضال الحرية بين أعوام ٢٠٠٠ - ١٢٥٠ ق.م، لأنها كانت تقع على مسافة متساوية من السومريين والبابليين ومن المصريين والحثيين أيضاً، إن النبوة هي انعكاس إيديولوجي على أساس المقاومة لأجل الموقف الاقتصادي والجغرافي الملائم، وتعني أول حركة لتحطيم الأصنام توجيه الضربة الأولى للدين العبودي، ولها دور كبير ومميز في التاريخ، وترجع شهرة إرث النبي إبراهيم الكبير

إلى قيامه بالضربة الأولى، حيث سيتابع التاريخ هذا الإرث فيما بعد، وسيحظى بمسار مختلف مع الوصول إلى النبي محمد كسلسلة أنبياء، وتعد "أورفا" أول مركز مقدس في التاريخ، وفيما بعد ستقوم مدينة القدس ومن ثم مكة بهذا الدور المقدس.

يمكن متابعة تأثير وسيطرة السومريين بهذا الاتجاه بعد أن رسخوا البنية الفوقية والتحتية للمجتمع الطبقي بواسطة بناهم الميثولوجية بنحو جيد، يعد الهوريون هم الشعب والثقافة الذين كانوا من أوائل من حول الميثولوجيا السومرية إلى ثقافة شعبية محلية، لقد حول الهوريون الآلهة السومرية أي ربة السماء "آن" وإله الأرض "أنكي" والربة "إنانا" وأصبحت أسماؤهم "آنو" و"كوماري" و"تیشوب" و"هبات"، وأخذ الحثيون هذه المجموعة من الهوريين ليتم بعد ذلك تحويلها في الفلسفة الإغريقية إلى "زيوس" و"أبولو" و"أفروديت"، أما الرومانيون، فقد حولوها إلى "جوبيتر" و"فينوس"، وباختصار أن التاريخ يستمر كحلقات سلسلة عن طريق التحول في المجال الميثولوجي.

إن الهوريين هم الحلقة الأساسية الأولى في انفتاح الثقافة السومرية على الأناضول والقوقاز وآسيا عبر شمال غرب إيران، كما نشرت الثقافة التي استند إليها الهوريون "ثقافة العصر النيوليتي" لآلاف السنين، حيث تعد مركزاً قوياً لنشر الثقافة السومرية إلى الخارج بعد أن قامت باستيعابها وتجسيدها في ظروفها الملموسة وتحويلها إلى ثقافة محلية، وأضافت في أعوام ١٧٠٠ ق.م، مزايا الإرث الإبراهيمي، وطوّرت عقيدة مازدا في الشرق عام ١٥٠٠ ق.م، ووضعت أحد أسس مدارس النبوة بعد أن قام النبي زرادشت بإصلاحات في عقيدة مازدا كما فعل النبي إبراهيم، وتشكل الخصائص النيوليتية الموجودة في أساس ثقافة المنطقة الأرضية المادية لإصلاحات الأنبياء، لقد أثرت ثقافة الآلهة والربات الخاصة والصديقة والداعمة للإنسان في العصر النيوليتي ضد آلهة بابل وسومر الظالمة والتي تنزل العقاب، وأحدثت تأثيراً كبيراً على المفهوم الإلهي الجديد، بخلق إرث إبراهيم وزرادشت أو دينهما من خلال تجربة إصلاحية بمفهوم النظام النيوليتي ضد أنظمة الآلهة السومرية والمصرية التي تستبعد الإنسان، لأجل تحويل هذه الآلهة لتكون رحيمة وغفورة تحت تأثير ثقافة الربات، وتلقت عبادة الربات الضرية القاضية بحيث لم تعد إلى وعيها حتى يومنا هذا، مع ظهور الميثولوجية البابلية في الألف الثاني قبل الميلاد، بعد المرحلة الانتقالية التي شهدت صراع إنانا وأنكي بين الألف الرابع والألف الثاني قبل الميلاد في عصر السومريين، وينبع ذلك من تقليص دور المرأة في المجتمع، وتحويلها إلى أعرق مؤسسة للعبودية.

توجد دلائل كثيرة تشير إلى أن الهوريين هم أجداد الكرد، وبأني على رأس تلك الدلائل التشابه في البنية اللغوية، حيث تستخدم كلمات كثيرة مشتقة من نفس الجذور، كما تظهر وثائق علم الآثار التي تركوها، أن كلا الثقافتين تحملان صفة الديمومة والاستمرار منذ الألف الحادي عشر قبل الميلاد، ولا يوجد أي دليل يشير إلى زوالهما عن الوجود بموجة فيزيائية قادمة من الخارج، وهناك إجماع عام من قبل المختصين بهذا الصدد على أنهم استطاعوا الوصول إلى يومنا هذا بالمواجهات مع جيرانهم أحياناً وبالوفاق أحياناً أخرى، ومن المتوقع أنهم عاشوا تحولاً في التاريخ مثل أي شعب آخر، وهذا لا يعني أنهم قد تغيروا أو زالوا من الوجود تماماً، إن اختلاف اللهجات بينهما والتسميات المختلفة أمر يسري على كل الثقافات، وربما استطاعت المجموعات الهورية البقاء حتى يومنا هذا بنقاء ثقافي للسبب المذكور، كان الهوريون يواصلون وجودهم على شكل عشائر، ويعود سبب ذلك إلى تأثير الاحتلال الخارجي، وخصائص المجتمع النيوليتي، فمن المعروف أنهم تحولوا إلى شبه دولة من خلال كونفدراليات عشائرية كثيرة، وتم فهم أنهم شكلوا دول مدن مركزية في المستوطنات السومرية بعد مدة زمنية معينة، مثل دول مدن الكيش ونوزي وأورفا وسمسات، لكننا نشاهد أنهم لم يصلوا إلى مستوى قوة إمبراطورية كالسومريين والمصريين

والحثيين.

عاش الهوريون مع الحثيين من خلال عقد تحالفات كثيرة فيما بينهم، رغم مواجهتهم لكثير من الصعوبات أمام تفوق الحثيين، واستطاعوا الاستيلاء على مدينة بابل في عام ١٥٩٥ ق.م، من خلال العيش المشترك، وبعدها ظهر الميتانيون على الساحة بدلاً من الهوريين كأقرباء لهم أو سلالة منهم في عام ١٥٠٠ ق.م.

بعد هذه المرحلة التاريخية أخذ الميتانيون مكانهم على مسرح التاريخ بالافادة من الفراغ الذي ولد نتيجة لتحالف الحثيين مع الهوريين، التي قضت على العصر المزدهر للإمبراطورية البابلية بتاريخ ١٦٠٠ ق.م تقريباً، وكانت عاصمتهم "خوشكاني XWESKANI" التي تعني باللغة الكردية العين الحلوة، الموجودة عند منبع الخابور، ويعتقد أنه تم إنشاؤها في منطقة "سره كاني" "رأس العين" في يومنا هذا، ونفهم بأنهم كانوا يستخدمون لغة تشبه اللغة الهورية، وهم تابعون لمجموعة اللغات الآرية، ويتضح ذلك من خلال وثائق الاتفاقيات التي عقدها مع الحثيين والرسائل التي أرسلوها إلى الفرعنة المصريين، إن توقيعهم باسم الإله وارونا وإندرا وميترا وناساتيا، في أسفل الاتفاقيات التي عقدها مع الحثيين، تثبت أنهم كانوا متبنين للميثولوجيا والدين الموجود في المجموعة الهندو أوروبية، مما يدل على أن الهوريون والحثيون والميتانيون واللويون الموجودون في جنوب غرب الأناضول، كانوا يمتلكون لغة وثقافة متشابهة فيما بينهم، وكان التمايز يزداد كلما تعمق التحول المحلي، وتوجد في أساسهم الثقافة النيوليتية التي سميت بالآرية، ويتصاعد التشابه من جهة والتمايز المتداخل من جهة أخرى، عند مقارنة المجموعات الشعبية الموجودة في مناطق مختلفة من هذه الثقافة والمصطلحات اللغوية، ونرى وجود علاقة الميتانيين مع الملكية المصرية على مستوى دول، حيث كانوا يتبادلون الهدايا فيما بينهم، وكانت توجد لهم علاقة ماثلة مع الحثيين.

ازداد دور البيروقراطية الكاسية ذات الجذور الهورية بعد انهيار بابل، وكان الحكم البابلي الكاسي مازال ساري المفعول، ثم دخلت السلالات من المجموعات الآشورية ذات الجذور العمورية التي تطورت في مجال التجارة، في شمال بابل قبل الألفية الثانية قبل الميلاد، في مرحلة السيادة القوية منذ عام ١٣٠٠ ق.م، وبدأت مرحلة من المواجهات فيما بينهم، لأنهم كانوا يعيشون مع الميتانيين بنحو متداخل، كان الآشوريون لا يريدون رؤية منافس لهم، والأهم من ذلك أن الميتانيين كانوا يشرفون ويسيطرون على طرق المنتجات المعدنية والغابات التي كانت ذات أهمية حيوية بالنسبة لهم، وكان الميتانيون يشرفون على المنطقة الواقعة بين جبال زاغروس وأمانوس، وكانوا ذوي خبرة في مجال الفروسية التي دخلت ساحة التاريخ كتقنية حرب في عام ١٥٠٠ ق.م تقريباً، ومن المعروف أنهم أخذوا قوتهم من هذه التكنولوجيا التي غيّرت التاريخ، لقد انهاروا في عام ١٢٥٠ ق.م، بعد أن دخلوا في حروب مع الحثيين والآشوريين لمدة طويلة، بسبب تحطم فدراليات العشائر المترامية فيما بينها والتي غيّرت صفوفها نتيجة الحينانات المتكررة، لقد تطورت قوة الآشوريين في المنطقة وانهار الحثيون في عام ١٢٠٠ ق.م تقريباً، نتيجة تعرضهم لغزوات من قبل المجموعات التي سميت بقوميّات البحر بعد استيلاء الهلينيّين على طروادة الشهيرة، وبدأ عصر الفريكيين في غرب الأناضول، بينما كان اللويون مجموعة شعب قوي في الجنوب، لقد نشر الهلينيّون ثقافتهم وسيادتهم في منطقة بحر إيجه أولاً، ومن ثم في كل مناطق البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط وكبادوكيا بعد أن تعرفوا على الحديد، واستمرت هذه المرحلة لثلاثة آلاف عام تقريباً، استمرت منذ عام ألف قبل الميلاد حتى تم طردهم من الأناضول من طرف الأتراك في بداية القرن العشرين.

لقد قام الهلينيّون بتسمية جميع مناطق شرق البحر الأبيض والأناضول من خلال نظام مصطلحات جديد، لقد

استوعبت وجسدت هذه الثقافة أطلال الفريكيين والليديين والحثيين واللويين، وكان الهلينيون قد أخذوا قسماً كبيراً من جوهر ثقافتهم من المصادر الهورية والحثية كثقافة نيوليتية وعبودية، وأخذوا من مصر ومن الفينيقيين في شرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط، حيث قاموا بالتركيب بدلاً من امتلاك حضارة خاصة بهم، وكان الأرمن بجوارهم من الشرق وكان اسمهم "هياس"، والكرد الذين كان إسمهم "كوميكين" في ذلك العصر، وتم تسمية المنطقة بميزوبوتاميا في هذا العصر أيضاً، حيث تشمل كوميكين مدن أديمان وملاطيا والعزير ومرعش وأورفا وعنتاب الحالية وتعني "الشعب الرعاة والفلاحين"، إن كلمة "كوم" باللغة الكردية تعني المزرعة، والشعب شبه المستقر الذي يعمل بالرعي والزراعة، أما كلمة "كين" و"كال" فتعني الشعب، وعند ضم هذه الكلمات يظهر معنى الشعب القروي أو الرعاة، وتحولت تسميات السومريين للكوتيين والهوريين إلى كوميكس وميزوبوتاميا باللغة الهلينية، وكانت صراعات الشرق والغرب تبدأ فوق الأناضول بعد تصاعد ميديا وبرسيا.

أدى قيام الآشوريين بتشتيت الميثانيين إلى معسكرات وفدراليات جديدة وظهرت فدرالية "نائيري" في البداية على هذا المسار، وكانت تسمى "شعب الماء" نتيجة قيام الآشوريين بتسمية وديان دجلة والفرات والزاب ببلاد الماء، كان النائيرون يتشكلون من مئات المجموعات العشائرية وشهدوا كثيراً من الفدراليات، حيث كان يتم إنشاؤها بنحو متكرر وتشتت بسرعة أيضاً، وكان الآشوريون يشرفون عليهم لكنهم لم يستطيعوا تحقيق السيادة عليهم بنحو كامل، وتؤكد الوثائق الآشورية أن النائيرون كانوا ينتفضون وينسحبون إلى مناطق التمرد في بعض الأحيان، حيث نفهم من الكتابات الحجرية الآشورية، أن تمرد العشائر التقليدي للكرد كان موجوداً في ذلك العصر.

ظهرت اتحادات العشائر التي سميت بالنائية كدولة على مسرح التاريخ باسم أورارتو في القرن التاسع قبل الميلاد، وأنشأ الأورارتيون عاصمة اسمها تيوشبا قرب مدينة وان الحالية، واستطاعوا تحقيق تطور بمستوى الميثانيين، وتوافرت لديهم الامكانيات في مجال التعدين والفروسية، وفتحوا أطول قناة مياه لأول مرة في التاريخ بطول ٥٢ كم تقريباً، من كورينار حتى المنطقة القريبة من وان، ومازالت مستخدمة حتى اليوم، كما نفهم من خلال الوثائق التاريخية أنهم قاموا بإنشاء الكثير من القلاع والسدود والمدن، حيث أمتد الأورارتيون حتى جبل أغري في الشمال، وكانوا يتألفون من الخالديين وهم كاستمرار للهوريين كشعب اساس كانوا أقرباء الأرمن، وكانوا من جذور حورية على الأغلب، ويستخدمون اللغة الأورارتية القريبة إلى اللغة الآشورية والهورية كلغة رسمية، مثلما اللغة الإنجليزية هي اللغة الدبلوماسية في يومنا هذا، ويتم استخدامها في كثير من المستعمرات القديمة، كانت اللغة الأكادية التي تعتمد عليها اللغة الآشورية هي اللغة الدبلوماسية والثقافية المشتركة للمنطقة لمرحلة طويلة، حيث واصلت اللغة الآشورية هذا الإرث، ومن ثم واصلت اللغة الآرامية هذا التقليد بعد انخيار الآشوريين، أما العشائر فقد استخدمت لغتها الأم بنحو دائم، وكانت الطبقة العميلة العليا تستخدم اللغة الرسمية الحاكمة في تلك المرحلة، وهذا ما حدث في كل عصر وكل مرحلة وكل منطقة، تنقل الشعوب كيان لغتها وثقافتها، بينما الحكام المتعاملون مع القوى المهيمنة يستخدمون اللغة الأجنبية الحاكمة التي تكون في موقع المحتل غالباً، كانت الدول الجديدة للحثيين والميثانيين والعبريين وغيرهم تتأثر بالثقافة المصرية والسومرية الحاكمة، وكانت تقيّم استخدام لغة السلاسل والثقافات الحاكمة على أنه تفوق، وما زالت الأشكال المشابهة من التصرفات سارية حتى يومنا هذا، وبالمقابل تقوم الشعوب بالمحافظة على اللغة والثقافة القومية وتعمل على نقلها وترسيخها.

إن ميثولوجيا أورارتو هي امتداد لميثولوجيا الهوريين، وتمت إضافة "خالدي" إلى نظام الإله الثلاثي، وكان يمثل الشعب

الخالدي على الأغلب، تعني كلمة أورارتو المكان العالي وتعتمد على تسميات الثقافة السومرية، ولم يستطع الأورارتيون التحول إلى إمبراطورية وبقوا على مستوى دولة قومية، واشتهروا بمهارتهم في تربية الخيول وصناعة المعادن مثل الميتانيين في الأقل، وادوا دوراً كخطوة أولية في الانفتاح على إيران، ودخلوا في حروب صعبة مع الآشوريين واستمروا في الحكم قرابة ثلاثمائة سنة تقريباً، حيث أخذ الميديون ميراثهم فيما بعد، ويعتقد أن أختيارهم تم في عام ٦٥٠ ق.م تقريباً، حيث احتلوا مكائهم بين الدولة المركزية وكونفدرالية العشائر، ولا يمكننا القول أنها وصلت إلى دولة عبودية مركزية، لقد حدث الفرز عند الأرمن والكرد بعد الأورارتيين، ولم تتخلص الأمم الأسكيتية من الذوبان في الثقافات التي سادت على الساحة.

إن الإمبراطورية الميديّة والبرسية هي أهم حملة حضارية تصاعدت في المنطقة في العصر العبودي، وتم وضع حجر الأساس في هذه الإمبراطورية في شمال غربي إيران أي في ميديا، كان الميديون حيران الآشوريين من الشرق وهم ذوو جذور حورية، لكنهم تأثروا بالثقافة التي وصلتهم عبر إيران، إن الميديين ليسوا من قوميات المجموعة الهندو أوروبية التي جاءت إلى إيران والهند عبر خط شمال أوروبا وروسيا الجنوبية منذ الألف الثاني قبل الميلاد كما يعتقد، وأكثر من هذا فهناك شكوك كثيرة حول حدوث مثل تلك الهجرة فيما حدث نزوح حدودي متبادل، ولكن قيام شعب كامل بالنزوح الجماعي والاستيطان في ساحة مسكونة دون حدوث أي شيء، يبدو أمراً غير ممكنٍ من الناحية النظرية، وإنما الأمر الصحيح هو تطوير الكرد الأقوياء وتأثيرهم نحو الساحات الثقافية الضعيفة، لقد استمر الانتشار الثقافي من إيران إلى الشمال والشرق نحو الصين والهند لآلاف السنين، ولم يتخلص النزوح المحدود من الذوبان والانصهار في الثقافات القوية، إن قيام المراكز الثقافية القوية في الشرق الأوسط بنشر ثقافة العصر النيوليتي والمجتمع الطبقي للعصور الأولى إلى الجهات الأربعة من العالم بنحو متتالي على مدى خمسة عشر ألف سنة هي حقيقة تاريخية، وهذا دور يتلاءم مع التصدير الثقافي وليس الاستيراد الثقافي، وتعد أحواض دجلة والفرات العلوية هي من أقرب الأماكن لهذه المراكز، حيث قامت بتغذيتها بنحو مستمر.

كانت المناطق التاريخية الثلاث في إيران أي مناطق ميديا الشمالية الغربية وپرسيا في الجنوب والجنوب الغربي ومناطق بارتيا الشمالية الشرقية، تمثل الخطوط الانتقالية للانتشار، ولذلك كان الميديون يشكلون موقعاً سكنياً وتحولياً، وكان الميديون الجيران الشرقيين للآشوريين في مرحلة ازدهارهم، وكانوا في موقع متقدم بصناعة المعادن والخشب والأحجار الثمينة وتربية الخيول، وكانوا يتقربون إلى الأورارتيين في مرحلة حكمها، وعلى علاقة دائمة معهم، بينما الكوتيين الكرد قريون من الشعب الصورياني في يومنا هذا، ومن المحتمل أن تسميتهم بالميديين لها جذور آشورية، إن قيام الآشوريين بتسمية المنطقة بالمداين بمعنى بلاد المعادن يشير إلى احتمال اشتقاق كلمة ميد من هذه التسمية، فمن المعروف أن الآشوريين كانوا يبدون اهتماماً بالحديد والنحاس والفضة في منطقة ديار بكر، إن تشابه كلمة آمد وقضاء معدن وميد يدل على احتمال تسميتهم بشعب بلاد المعادن من قبل الآشوريين، مثلما استخدم السومريون كلمة "الموريين" بمعنى شعب البلاد العالية، ومن المحتمل أن يكون الآشوريون قد استخدموا كلمات مدائن وماد وميد بمعنى شعب بلاد المعادن، كما أن هناك احتمال أن تكون مصطلحات آمد ومدائن قد بقيت منذ ذلك العصر.

دخل الميديون مرحلة تحوّل إيديولوجي قوي قبل أن يتصاعدوا سياسياً، وكان النبي زرادشت القائد القوي لهذه المرحلة، وكانت الحملة الأولى لتحول الميثولوجيا السومرية إلى ميثولوجيا محلية بنوعيتها الآرية والتي كانت إحدى الفروع الهندو أوروبية، ويوجد لها نظام إلهي ثلاثي ومن ثم أصبح ثنائياً، ومن المتوقع أن تكون ثنائية الآلهة قد تكوّنت في عام ١٥٠٠ ق.م تقريباً،

على شكل ثنائية متصارعة كإله النور وإله الظلام، حيث أجرى النبي زرادشت الإصلاحات الأخلاقية الكبيرة قبل الإصلاحات التي أجراها بوذا في البراهمانية وكونفوشيوس في الطاوية وسقراط في الفلسفة، وذلك في عقيدة آهورا مازدا، كما قام النبي إبراهيم بإصلاحات في الميثولوجيا السومرية، كما يعد زرادشت الشخص الذي حوّل هذا المذهب الذي تعرض لإصلاحات بين أعوام ١٠٠٠ - ٥٠٠ ق.م تقريباً، يجب أن نفهم أن الإصلاحات التي قام بها النبي إبراهيم هي الخطوة النهائية لمرحلة استمرت قرون عدة، والبداية لمرحلة جديدة، أدى في أحدها "النبي إبراهيم" دوراً في جنوب الشرق، والأخرى التي أدى فيها زرادشت في شمال الشرق دوراً آخر .

إن أهم تجديد قام به زرادشت هو الاعتراف بحرية إرادة الإنسان التي أوصلها النظام العبودي إلى درجة عدم امتلاك الإنسان لظله، وبذلك استطاع هذا التجديد تخليص الفرد من سيطرة القدر المطلق للآلهة العبودية، ويمثل تحدياً لسيطرة الميثولوجيا العبودية المتشددة على ذهن وسلوك الإنسان، ولهذا فإنه يؤدي إلى مرونة وتحول كبير في صلاية النظام العبودي، وتعد أكثر تطرفاً ونضالية بالنسبة للنبي إبراهيم بمساره المذكور، ولم يكن دورها في تكوين الديانات التوحيدية أقل من النبي إبراهيم، حيث كان الأساس الإيديولوجي يمثل استعداداً لثورة على مستوى الإرادة قبل ولادة الإمبراطورية الميدية والبرسية، ومن الصعب معارضة النظام العبودي الخاص بالنمط السومري والمصري دون تحقيق الثورة الإرادية، إن كل الجهود التي بذلها الأنبياء وعظمتهم لا تتيح فرصة للمرونة والتطور إلا بنحو محدود، وكان زرادشت هو أقوى ممثل لهذا التوجه أي الثورة الإرادية، فكما قام الإسكندر بإنشاء أكبر إمبراطورية في العالم استناداً إلى أستاذه أرسطو، فقد أعتمد الذين انشأوا الإمبراطورية البرسية والميدية على أخلاق زرادشت وقاموا بدورهم هذا.

يمكن في جذور الدول العبودية السومرية والمصرية القديمة الجهود الإصلاحية الكبيرة للكهنة السومريين والمصريين في المعابد، ولا يمكن لأي تكوين حضاري أو سياسي قوي أن يتحقق إلا إذا أعتمد في أساسه على قيمة إيديولوجية قوية ومتماسكة، وتؤثر الهوية الإيديولوجية على حركة الدولة والحضارة المتصاعدة بمقدار البنية التحتية للإنتاج في الأقل، وتعمل هذه التأثيرات من البنية الفوقية والتهنئة بنحو متداخل، وتتكون الحضارة أو تتحول الحضارة الموجودة، مثلما يكون شرح الدولة اعتماداً على الاقتصاد فقط خطأ كبيراً ونقصاً، فلا يمكن أيضاً تحليل الدولة من دون تحديد الدور الإيديولوجي، ومن المعروف أن الماركسية بقيت قاصرة بهذا الصدد، أو أنها لم تعط دوراً كافياً للإيديولوجية، وأدى هذا التعريف الناقص في النهاية إلى سقوط الاشتراكية المشيدة.

أدت العشائر دوراً هاماً في الممارسة السياسية عبر مقاومتها للإمبراطورية الآشورية بتقنية الحديد من خلال شخصية ميثولوجية هي شخصية "كاوا" قبل إنشاء الكونفدرالية الميدية، ويجد التمرد والمقاومات في عصر الهوريين والميتانيين والمائيريين والأورارتيين معنى له في ملحمة كاوا الحداد وغدا رمزاً في ثقافة المنطقة، تفسر الملحمة وتطورها بهذا الاتجاه عبر التاريخ أمر صحيح، فدفاع الشعوب التي تعمل بصناعة المعادن عن بلادها، وقتالها من أجل الحفاظ على حرياتها، قد خلق ملحمة كاوا الحداد.

إن اتحاد هذين الإرثين أي ثورة الإرادة القوية والأخلاق لزرادشت، وإرث كاوا الحداد الذي يعد رمزاً لمقاومة العشائر بأسلحة من حديد لمئات السنين، قد أسفر عن نهاية الإمبراطورية الآشورية عام ٦١٢ ق.م في شخص الميديين، وفي الحقيقة يكون النضال الذي استمر مئات السنين قد انتهى بالنصر، تحتفل شعوب الشرق الأوسط بعيد نوروز كعيد للربيع

والحرية بعد زوال أداة الظلم المذكورة، ويشبه ذلك قضاء النبي إبراهيم على الإرث الظالم للعبودية الذي كان يتم فيه تقديم الأوصياء من الأطفال، حيث بقي ذلك كعيد أيضاً، و يعبر كلا العيدين عن الخلاص والتحرر من إرث النظام العبودي، والتخلص من أدواته السياسية التي كانت تعد آلتين تأكلان لحوم البشر.

كان التنظيم الميدي على شكل كونفدرالية العشائر غالباً، وما كان يميزه عن غيره هو وجود عشائر برسية ضمنه، والجدير بالذكر أن الكونفدراليات الهورية والنائيرية لم تكن تعيش وضعاً ماثلاً، لأنها كانت تتشكل من عشائر لها نفس اللغة والثقافة، إن التحالف الميدي الذي تم تشكيله مع الإرث السومري الذي كان معتاداً على القيام بعقد تحالفات مع شعب الجبل ومع البابليين الذين شكلوا استمرارية لهذا الإرث، قد أدى إلى نهاية الإمبراطورية الآشورية رغم بنيتها الضعيفة، حيث تقع خيانة أحد فروع العشائر هنا وهناك، واستولى كورش البرسي على السلطة بعد أن أسقط الملك الميدي استياغ نتيجة لمخطط وضعه لهذا الهدف، حيث ادت قاعدة الخيانة لأحد فروع العشائر ذات القرى وذات البنية الضعيفة دوراً هنا، وتم تسمية التفوق الذي انتقل من السلالات الميديّة إلى السلالات البرسية بالإمبراطورية البرسية التي كان الميديون من المؤسسين الأساسيين لهذه الإمبراطورية، وبذلك ظهر البرسيون كقوة شابة على مسرح التاريخ لأول مرة، لأن العشائر ذات الجذور الهورية كانت قد تعبت من التمرد الذي استمر منذ عام ٢٥٠٠ ق.م تقريباً، وربما يكون هذا الوضع قد أدى دوره في ظهور البرسيين، ولهذا فإن ظهور الأخمينيين الذين كانوا أحد أفخاذ البرسيين على مسرح التاريخ بشخص كورش لم يكن أمراً مفاجئاً.

تلتخص مكانة الميديين في تاريخ الكرد بقيامهم بدور البداية في العصر العبودي التقليدي، ويعد اختيار الآشوريين الذين كانوا يمثلون عبودية العصور الأولى انتهاء عصر بالنسبة للشرق الأوسط وبحمل تاريخ العالم الحضاري الذي كان يرتبط به، إن الفرق بين عبودية العصور الأولى وعبودية العصر التقليدي، يشبه الفرق بين الرأسمالية المتوحشة والرأسمالية الحضارية، حيث يكون العنف اللامحدود ساري المفعول في الأولى، أما محاولات تحديد النظام بالحقوق والقواعد، فهي سارية المفعول في الثانية، كانت الأدوات التقنية الأساسية للعصر الأول تصنع من البرونز، وكان العصر التقليدي هو عصر الحديد من الناحية التقنية، والعصور الأولى كانت تعتمد على ميثولوجية الملك الرب من الناحية الإيديولوجية، بينما كانت إيديولوجية العصور التقليدية تعتمد على الأديان التوحيدية والفلسفية، إذ توجد فروقات هامة بين العصرين من الناحية التقنية والإنتاج والإيديولوجية ونظام الدولة، وأصبح الملك وكيلاً للرب في الأرض بدلاً من الملك الرب، وهذا ما يشير إلى مرونة جادة.

لقد تم دفن مفهوم العبودية المذكور في التاريخ بعد سقوط الآشوريين، ويعد المفهوم الاجتماعي والميثولوجي والديني الذي استندت إليه الإمبراطورية "الميدية . البرسية" التي قامت على أنقاض الآشوريين، هو جوهر وروح العصر العبودي التقليدي، ومثلما خلق الإرث الزرادشتي والإبراهيمي القوة الإيديولوجية لهذا التحول، فإن فدراليات العشائر المحلية التي استخدمت الحديد في الإنتاج والدفاع عبر شخص كانوا الحداد كانت القوة الأساسية التي أعدت العصر التقليدي الجديد، إن أهم مساهمة قامت بها الحضارة الشرقية في الحضارة الغربية تكمن في هذه النقطة، فالمرحلة التي بدأ فيها العصر التقليدي قد تم تلقيحها في بلاد ميديا، التي بحث وطور فيها زرادشت ذهنية الحرية الكبيرة وروحها وإرادتها، إن مرحلة المقاومة التي تواصلت على مدى ثلاثة آلاف عام والتي بدأها الهوريون واستمرت حتى الميديين هي مرحلة تاريخية كبيرة،

رجح فيها جانب الحرية، وقد أظهرها واقع الشعب المقاوم الذي وجد رمزه في كاوا الحداد، والإرادة الحرة التي تحولت في شخص زرادشت حتى ولو لم يتم عكسها في التاريخ المكتوب، وتعبير آخر أكثر وضوحاً بقدر ما كانت العبودية الأولى تحت اسم العصر الأول للإنسانية منذ السومريين وحتى الآشوريين مهمة، فإن واقع الشعوب المقاومة التي تشكل العشائر أساسها، أي مقاومة الذهنية الحرة والإرادة التي أدى فيها أجداد وأمهات الكرد دوراً بارزاً منذ الهوريين وحتى الميديين، شكّل واقعاً تاريخياً هاماً أيضاً، إن أحدهما هو تاريخ النهب والعنف للحاكمين المستبدين، والآخر تاريخ الحرية والعمل الذي يتبنى جهد وحرية الشعوب، وإن قيمة آخر خطوة في بلاد ميديا هي مهمة إلى هذه الدرجة، و نيلها القيمة كأكبر تجديد وخلق الجديد واعتباره عيد الحرية لجميع شعوب الشرق الأوسط والقوقاز وآسيا الوسطى له علاقة بهذا التطور التاريخي من كُتب.

إن اعتبار التخلص من عبودية العصور الأولى كأكبر خطوة إصلاحية أو تحولية من ناحية مستقبل الحضارة لجميع شعوب العالم، لم يكن من قبيل الصدفة، فقد سحنت جميع القيم الإنسانية التي اكتسبتها البشرية مع المجتمع النيوليتي في أسفل التاريخ بالعنف العبودي للعصور الأولى في زنزانة، وتم خلق ميثولوجية ودين وكأن الإنسانية التي تسودها الحرية والمساواة لم تكن موجودة، وترسخ عالم من الحضارة العبودية الاستغلالية التي تنزل العقاب وكأنه النظام الوحيد الموجود في العالم، أو كأن قدر الإنسانية عبودية لا يستطيع فيها الإنسان امتلاك ظله، وتم ترسيخ دين ميثولوجي وإيديولوجية حولت الملوك إلى آلهة، والكادحين إلى زبانية جهنم في الروح والذهن، وكأنه القدر اللاهوائي، إن اختراع هذا المجتمع الجديد أي المجتمع الطبقي في معابد الكهنة السومريين والمصريين، يعد تطوراً كبيراً في التاريخ، لكنه يشكل خسارة كبيرة بالنسبة للإنسانية الحرة، هكذا كانت الديالكتيكية التاريخية لهذه المرحلة، إن الفيلسوف الألماني نيتشه لم يضع عنوان كتابه حول "زرادشت" الذي كتبه تحت عنوان "هكذا تكلم زرادشت" اعتباطياً، إنه يعني الإرادة الحرة والتمرد الذي يمثله زرادشت وإرثه لزراعة الآلهة العبودية والنظام العبودي العميق للرهبان والملوك الآلهة، بالإضافة إلى البحث عن طريق لأجل حياة أفضل في الوقت الذي يتم فيه زعزعة وتحطيم الأصنام التي كانت تمثل الرموز الإلهية للظلم والاستبداد، لقد تحولت ذكريات الحرية المتبقية من العصر النيوليتي "ذكريات الجنة المفقودة" إلى حنين الأمل إلى التحرر والمساواة من جديد، إن رب إبراهيم الصديق الغفور، ورب زرادشت الذي حقق تفوقاً عالياً من خلال انتصار النور على الظلام، لا يعنيان سوى التعبير عن نضال الحرية والعمل تحت الغطاء الديني، حيث تم التعبير عن جميع نضالات هذه المرحلة بنمط التفكير الديني والميثولوجي، وهكذا كان الأمر بالنسبة لكل البشرية، إذا كنا نريد أن نفهم نضال العمل والحرية نستطيع أن ننجح في ذلك من خلال تحليل لغة الميثولوجيا والدين، إن الدين والميثولوجيا ليست شروحات فارغة أو خيالية كما يعتقد، بل هي تعبير عن تاريخ الإنسانية بنمط تفكير خاص، لا يمكن النجاح بالشرح والتعبير عن التاريخ منذ العصر النيوليتي حتى العصر الحديث بطريقة صحيحة وعلمية، من دون القيام بتحليل وتفسير الميثولوجيا والدين باللغة العلمية الصحيحة، أي أن التاريخ سيبقى ناقصاً وخاطفاً من دون القيام بذلك.

يحمل التحليل الصحيح للمقاومة الإيديولوجية التحليلية لزرادشت التي حدثت في بلاد الهوريين والمعادن "ميديا"، وإرث كاوا الحداد الشعبي، أهمية كبرى في الكتابة الصحيحة لتاريخ الشرق الأوسط والعالم، وإن هذه الأهمية الكبرى تعبر عن ذاتها في نقل العصر التقليدي للحضارة بواسطة البرسيين نحو الشرق، أي إلى داخل آسيا والهند كمرحلة أولى، لقد

انفتح عصر تاريخي جديد في آسيا الوسطى والهند والصين بتأثير البرسيين، فإمبراطورية الخان في الصين وإمبراطورية موريا في الهند، وعصر هون وميتيخان ذوو الجذور التركية، هي تطورات مرتبطة بهذا التأثير، كما انفتح عصر جديد في بابل، حيث كان عصر بابل المتأخر نتيجة لذلك التأثير، إن تحرير وإطلاق سراح اليهود الذين تم أسرهم عام ٥٣٨ ق.م وعودتهم إلى القدس، هو تطور آخر له نتائج هامة أيضاً، لقد أعدت هذه المرحلة لميلاد عيسى والمسيحية، فقد قام الدين اليهودي بتوحيد الإرث الإبراهيمي والإرث الزرادشتي في مرحلة النزوح والرجوع من جديد، واكتسب مضموناً إيديولوجياً أقوى، وازداد دور اليهود إلى درجة يريدون فيها تقييم تخلصهم من حكم الآشوريين والبابليين كوعد من الرب وظهور المسيح، وبذلك خلق إرث المسيح "المنقذ" وإرث المهدي القوي في الشرق الأوسط.

إن التأثير الأهم هو تأثير الطرق المؤدية إلى العصر الإغريقي الروماني التقليدي من خلال الإمبراطورية الميديّة البرسية بنحو عميق، إذ لم يكن العصر الإغريقي والروماني التقليدي يستطيع التطور لوحده في عصر سيادة مصر وآشور، ولا يمكن القول بأن روما وأثينا قد عاشتا مرحلة تاريخية جادة قبل ٥٠٠ ق.م، بل سادت مرحلة كونفدرالية مشابهة لما كان قائماً في كثير من الساحات تحت تأثيرات المصريين والبابليين العميقة من الناحية الإيديولوجية، وكان البارزون يتلقون علومهم في مصر وبابل، والذي يتلقى علومه في أماكن غير هذه كانت ثقافته ضئيلة وضحلة، فقد كانت جامعات هذا العصر موجودة في تلك المراكز، حيث تلقى كل من تالس وفيثاغورس علومهما هنا لمدة طويلة للبدء بفلسفتهم، فقد كان الغرب مرتبطاً بالشرق باستمرار في هذه المرحلة، وبقي هذا الارتباط العميق حتى عام ٥٠٠ ق.م، وظهرت فرصة الغرب بعد استيلاء الإمبراطور البرسي كورش ومن ثم داريوش على كل من مصر وبابل في أعوام ٥٣٨ - ٥٢٣ ق.م، حيث بدأت مرحلة ازدهار سريعة في سواحل إيجة أولاً ثم الحضارة الأثينية في شبه الجزيرة الإغريقية فيما بعد، لقد دخل الغرب في مرحلة التفوق، وتم الدخول إلى العصر التقليدي الأكثر تطوراً بعد انخراط البرسيين في ماراتون عام ٤٩٠ ق.م، لقد أدى ازدهار الفلسفة إلى تقدم الثقافة الهيلينية إلى الصفوف الأمامية، وبدأ العصر الهيليني للحضارة يبعث بتأثيره من إيجة إلى الهند ومن ميزوبوتاميا إلى مصر بعد المسيرة الآسيوية التاريخية لإسكندر تلميذ الفيلسوف الكبير أرسطو.

إن هذا الشرح القصير وحده يظهر بشكل واضح أن الهيلينيين قد تقدموا في الطريق التي فتحتها الميديون والبرسيون، وفتح الطريق هذا لم يكن فيزيائياً فقط "طريق من مدينة سارد في إيجة حتى العاصمة الإيرانية برس بوليس، المسمى بطريق الملك"، فالأهم من ذلك هو انحلال ذهنية العصور الأولى من خلال فلسفة زرادشت وأخلاقه الحرة، إن هذا التطور هو الأساس الذي أدى إلى الفلسفة والحضارة اليونانية، حيث يظهر ذلك بوضوح عند دراسة تاريخ هيرودوت، فقد كانت الميثولوجيا اليونانية واقعة تحت تأثير التعديل الهوري والحيثي، أما اقتصادياً فقد انتقل عصر الحديد والبرونز من هذه المنطقة إلى الإغريق، وباختصار فإن الحضارة الإغريقية كانت واقعة تحت تأثير التطور التسلسلي للحموريين والحيثيين واللويين والفريغيين والليديين والميديين والبرسيين عبر الأناضول ابتداءً من الأدوات التقنية حتى الأدوات الإيديولوجية والسياسية، ثم يأتي تأثير بابل ومصر وفينيقيا بالدرجة الثانية، إن علوم الإغريق تكمن في كونهم ماهرين في الاقتباس والتكيب، واستطاعوا من خلال هذا التاريخ أن يكونوا رواداً في إكساب التاريخ هذه الحملة الثقافية، وبرزوا في ميدان الفنون وفي مقدمتها فن العمارة، كما أن تطور الآداب الذي بدأ قوياً مع هوميروس بنحو منفصل عن اللاهوت هو إنجاز هام آخر للحضارة الإغريقية.

إن علاقة جميع هذه التطورات التاريخية مع روح الحرية للسهول العالية الموجودة في ميديا، تتطلب تقييماً هاماً، ونستطيع فهم هذه العلاقة بنحو بارز عند دراسة الميثولوجيا والآداب الإغريقية، ومنها نستطيع أن نتوقع أنه ما كان للحضارة الإغريقية أن تكتسب وجوداً من دون حركة الميديين، أو بقول آخر، ما كان بالامكان تحقيق التطور المعروف بالعصر الكلاسيكي، وربما كان ذلك العصر سيبقى مشابهاً لعبودية العصر الأول، مثل الحضارة الكريتية القديمة، أي أن مرحلة الهوريين والحثيين وحتى الميديين والبرسيين، أعدت الأجواء والأرضية لهذه التطورات على مدى ثلاثة آلاف سنة، والتطورات التي حدثت على تراب الأناضول تركت الطريق مفتوحاً أمام الحريات الفردية في الحضارة الإغريقية على النمط الأوروبي بدلاً من عبودية النمط المصري، إن القيام بتأسيس الديالكتيك التاريخي الصحيح على هذا الشكل، له أهمية كبيرة من أجل فهم الطريق المؤدي إلى الحضارة الغربية بنحو صحيح، وفهم علاقة الشرق بالغرب بنحو واقعي يرتبط بهذا الأمر، وعدم قدرة المؤرخين الغربيين على القيام بهذا الربط بنحو جيد يعد نقصاً كبيراً، لكن محاولة إزالة هذا النقص يعد تطوراً هاماً أيضاً.

حدثت تطورات جديدة في ميزوبوتاميا بعد قيام الاسكندر الكبير بدحر الإمبراطورية البرسية في عام ٣٣٠ ق.م، وكانت التطورات الجارية في الحضارة الغربية تؤثر على المنطقة، وتمثل التسميات الجديدة واقع المنطقة مثل التسميات السومرية، حيث قام الهيلينيون بصهر الطرواديين والفريكيين والليديين واللويين الذين كانوا من أقدم شعوب الأناضول ضمن ثقافتهم، ووقف هذا الصهر والتذويب عند الحدود التي كانت تحت سيادة ذوي الجذور الكردية، ادت ثقافة الكرد الأوائل دوراً هاماً في هذا الأمر، وصدت البنية العشائرية واللغوية والثقافية القوية أي تسرب قادم من الخارج، وجعلت ثقافة المنطقة من أصعب الثقافات التي تتعرض للتحويل، بل أن البحوث الميدية في الثقافة الهيلينية، هي من المواضيع الغربية، إن ملكية كومكين التي كانت تتخذ من آديمان مركزاً لها، هي أبرز الأمثلة على ذلك، حيث استمرت هذه الدولة التي أظهرت ازدهاراً هاماً في عام ٣٠٠ ق.م تقريباً على أطلال العصر الميدي البرسي بعد الاسكندر حتى عام ٥٠٠ م تقريباً، وفي المرحلة التي كان يتواجد فيها الساسانيون والرومانيون كانت ملكية الكومكين مثلاً ساطعاً للعصر التقليدي، كان مركزها آديمان سامسات وامتدت حتى ملاطيا ومرعش وعنتاب والعزير وأورفا، وكانت زاكوما التي شكلت موضوعاً يومياً في المراحل الأخيرة مركزاً هاماً في تلك المرحلة، إن آثار غمرد التي تعد الأعجوبة الثامنة في العالم، هي من بقايا تلك المرحلة واشتهرت بالمعادن وكانت تشكل خطوط العبور للطرق التجارية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، حيث كانت كل السلع والأفكار التي تأتي من مصر ومزوبوتاميا وإيران والقوقاز والأناضول الإغريقية، تجد إمكانية العرض والتسويق في الأقيّة والمراكز الموجودة هنا.

لقد كانت الثقافة الهيلينية تشكل تركيب الثقافة الشرقية والغربية، ويمكننا استخراج هذه النتيجة من التماثيل والفن المعماري، ولذلك يمكننا تقييم هذه الثقافة كأول ثقافة قامت بتحقيق التركيب الشرقي والغربي، وهذه الحقيقة كانت السبب الأهم الذي أدى إلى الاهتمام بها في كل أنحاء العالم، حيث لم تظهر أية حضارة أخرى هذا التركيب بهذه الدرجة الساطعة، والأمر المهم هو أن جميع الحضارات التي جاءت بعدها، جعلت التأثير من طرف واحد أساساً لها، وهذا ما يدفع إلى الوقوف عند هذه الثقافة من ناحية التركيب الحضاري، فالأمر البارز لم يكن الترتيب، بل تم اختيار طريق جعلها تركيبة حاكمة بذهنية استغلالية تماماً، وتحرك الحضارة الغربية بالسيادة التامة لأطروحتها، وكان موقف الحضارة

الشرقية في العصور الأولى على هذا النحو أيضاً، لكن ما تحقق في كوماكين هو تركيب خلّاق ويشكل أول مثال جاد لإمكانية تركيب الحضارات، مع أن المجموعات العشائرية القريبة من الكرد كانت هي الجماهير الأساسية لكوماكين فقد كانت تتكون من الأرمن واللويين والهيليبيين والمجموعات الآشورية ذات الجذور السامية، ومن المتوقع أن يكون التحول الكردي قد شهد تطوراً نوعياً، اكتسب الكرد والأرمن أهمية تقوم حاكم بعد انصهار الهيليبيين واللويين، حيث كان الأرمن يعملون في صناعة المعادن والمهن اليدوية على الأغلب، أما الكرد فقد كانوا يمارسون تربية المواشي والزراعة، بينما كانت مملكة بالميرا السورية "تدمر" أقرب جارة إلى كوماكين في ذلك العصر، حيث تم القضاء على هذه المملكة بعد أسر زنوبيا آخر ملكة لبالميرا من طرف الإمبراطور الروماني أورليوس في عام ٢٦٨ ق.م، ومن المتوقع أن مملكة كوماكين قد انهارت بعد الصراع الذي احتدم بين الساسانيين والرومان في عام ٢٥٠ م في المرحلة نفسها، وذلك أدى إلى تقاسم المملكة بينهما.

لقد تميزت المرحلة التي جاءت فيما بعد بالصراع الساساني الروماني الذي أدى إلى دمار كبير، ولم تستطع المنطقة اكتساب القوة الحضارية التي تستحقها نتيجة لأجواء الحرب، واضطرت إلى مواصلة وجودها كإمارات صغيرة ومجموعات عشائر، حيث أصبح التزلف إلى الطرف الأقوى كسياسة أساسية لهذه المجموعات، وكانت المراحل المشابهة لذلك تتواصل منذ العصر النيوليتي، وكانت المنطقة تشكل مركزاً لانطلاق الثقافات، وواصل خط الانتشار الشرقي الغربي والشامي الجنوبي هذا الدور لأجل جميع المجموعات البشرية، مثلاً أظهرت مصر ومزوبوتاميا السفلية خصائص روتينية لكونها مناطق معزولة، حيث يمكن للتطورات أن تتواصل دون أن تتعرض للعنف من الخارج، أما بالنسبة لمنعطف طوروس زاغروس، فقد كان خط الانتشار الأساس للقارات الثلاث، ولا يمكن للحضارة أن تبقى متواصلة لمدة طويلة، لأن قوى الاحتلال والاستيلاء لا تتيح الفرصة لذلك، ولكن يمكن للمنطقة أن تحقق تطوراً نسبياً في موقع توازن القوى، لقد كان التطور الميتاني والهوري والأورارتي والميدي ناتج عن تلك التوازنات، وتشكل مملكة كوماكين المثال الدائم والبارز لذلك الوضع، حيث ينبع جوهر تشكيلها بتركيب قوي من هذا الموقع، إنها تجسد كل الثقافات في أنها تتعرف على آثارها وتشهد موقعاً مميزاً في الوصول إلى تراكيب جديدة، حيث تستطيع ثقافات عديدة العيش جنباً إلى جنب دون تعصب شديد، فقد كانت المنطقة على شكل موزاييك ديني ولغوي وثقافي، إن ساحة هياكل نمود وموزاييك زوغما تعكس ذلك بطريقة جديدة، حيث تنعكس جميع خطوط الثقافة الشرقية والغربية في هذه الهياكل و الموزاييك وتحمل الأشكال خطوطاً آرية وسامية بيضاء وسوداء، حيث يبرز التنوع المماثل للحياة، وأشكال العقيدة تظهر وكأنها بيدر تجمعت فيها اللغة والدين والثقافات الأخرى، ولهذا فإن كل هذه الأصالات مهمة لأن تركيبها ودراستها تم في كوماكين، وإن تميزها بمناخ سحري ومقدس لآلاف السنين نابع من هذه الحقيقة.

لقد تم خلق العلوم الأساسية للإنسانية في أعماق العصر النيوليتي وتطورت هنا، إن الخلق النبوي ومؤسسته هي القوة الهامة للمنطقة التي خلقت الثقافة، فالطريق المؤدي إلى الفلسفة الإغريقية تمر عبر آثار الإرث الزرادشتي، حيث ينبع ذلك من خاصية التميز المعرفي للمنطقة، إنها منطقة ولادة ثقافة الأم والربة، أصبحت ربة الهورين "هبات" حواء في الكتب الدينية المقدسة كأول أم، وكانت عند الحنئين "كبابة"، وعند الفريغيين "كيبلا" وعند العرب "القبلة" ومن ثم تركزت في الكعبة، ويوجد في جذورها إرث ستيرك المثلثة بالنجوم في السماء والمرأة والربة التي خلقت الحضارة النيوليتية، وأصبحت

إنانا عشتار عند السومريين وإيسيس عند المصريين وافروديت عند اليونانيين وفينوس عند الرومان، ومريم عند المسيحيين.

تؤكد كل الدلائل التاريخية أن المصدر الأصلي للكرد هو القوس الداخلي لخط طوروس زاغروس الذي يعد الحوض العلوي للفرات ودجلة منذ عشرين ألف عام قبل الميلاد، أي بعد انتهاء العصر الجليدي الأخير، وتقدم أبحاث علم الآثار وعلم اللغة وعلم الأعراق دلائل كثيرة تؤكد صحة هذه الحقيقة، والأهم من ذلك أن الشعب الكردي خلق الثورة الزراعية والحيوانية وعصر القرى وطورها، وقد تأكد أيضاً أن المجتمع الطبقي الأول قد أخذ خاماته المعنوية من هذه الثقافة، ويعبر "المجتمع الجبلي" باللغة السومرية "الكورتي" عن هذا الشعب الموجود في هذه المنطقة منذ هذه المرحلة ابتداءً من التاريخ السومري المدون وحتى التاريخ الإغريقي المدون، وقد تحول هذا المصطلح عند الإغريقين الذين أخذوه من اللويين إلى "كوردان"، أي بلاد الكرد، وقام السلطان السلجوقي سنجار الذي تأثر بالفارسية بتسمية المنطقة بكرديستان مرة أخرى، إن تسميتهم بالهوريين والكوتيين والكاسيين والميتانيين والناثريين والأورارتيين والميديين ما هي إلا استمرار لهذا الإرث، وقد تم تطويرها من أجل كونفدرالية العشائر والدول في عدة عصور، ويراد شرح نفس اللغة والثقافة والمرحلة الأثنية، وتم القيام بتغيير الأسماء من قبل حبرائهم الذين لهم علاقة بالمنطقة والمجموعات الأثنية من قبلهم، إن كثرة الأسماء تؤدي إلى الغموض وإلى مفاهيم مختلفة، وقد تم التعبير بمصطلحات مشابحة عن كثير من المراحل الاجتماعية في التاريخ.

إن أهم الخصائص لمجموعات العرق الكردي في تاريخ العصر العبودي هو الفرق بين البنى العشائرية المقاومة المنظوية على نفسها وبين الطبقة الفوقية التي تقيم العلاقة مع الطبقات الحاكمة للجوار الذين بنوا حضارة قوية على أساس العمالة لهم، وكان هؤلاء يقومون بدور العزل بالإضافة إلى أنهم لم يشكّلوا كياناً سياسياً يتناسب مع خصائص مجتمعاتهم، إنهم أصبحوا أشرف مجتمعاتهم باسم القوى الخارجية، ويمثلون الكيانات السياسية الخارجية بنحو يفتقر إلى الجوهر، في سبيل السيطرة على مجتمعاتهم، وجعلوا من ذلك منهجاً وفناً سياسياً، إن الذي يقوم بمهمة الحراسة لا يمكن أن يكون خلاقاً، بل يقوم بالرقابة باسم الآخرين، ولذلك فإن العمالة الكردية التقليدية تتميز بشخصية طبقة خائنة لجوهرها، وهي غير شريفة في هذا التوجه، ولا شك أن الضغوطات الآتية من الجهات الأربعة قد أدت دوراً مصيرياً في ذلك، لكنهم متعجبون ولا يستطيعون التوجه نحو التطور الخلاق والمنظم حتى ولو توافرت الظروف الملائمة، بسبب التبعية التي ترسخت في موروثاتها، إن التمردات التي قادوها، حدثت بسبب المصالح الأسرية الضيقة وبسبب استخدام القوى الخارجية لهم، والمثال الساطع لذلك هو: الإغواء الذي تعرض له أنكيديو الذي ورد في ملحمة جلجامش عن طريق امرأة من طرف حكام مدينة سومر، واستخدامه من قبل الملك جلجامش كدليل من أجل قتل حاكم الغابة والعشيرة، إن الأمر الذي يجب أن نفهمه لزعيم العشيرة هو أنه عندما تم إلقاء القبض على خبابا المذكور في الملحمة الوحشية، رفض جلجامش قتله، وأكد على ضرورة استخدامه، لكن أنكيديو الذي يعرفه قديماً وربما كان من أقربائه، رأى ذلك خطأ وطلب قتله، وعرف المتعاملون الكرد منذ ذلك اليوم اصطيداً زعمائهم الذين يحمون وطنهم وعشائرتهم كفن من أجل النجاح في مهمتهم، تتواصل هذه السياسة والموقف الذي يدافع عن الملك أكثر من الملك نفسه منذ عصر جلجامش وأنكيديو وحتى يومنا هذا، من دون أن تفقد هذه السياسة شيئاً من سرعتها.

كان الشعب الذي لم يستطع تجاوز الشكل العشائري الضيق بسبب اضطرابه للمقاومة الدائمة أمام الطبيعة وقوى الاحتلال الخارجية، يمتلك قوة الحفاظ على اللغة والثقافة والوطن وتحقيق الاستمرارية، بينما كان الحكام المتعاملون يعيشون

مع لغة وثقافة وقوة الحضارة الأجنبية التي تسيطر على أجواء أسرهم وهم ينظرون بازدياد إلى لغة وثقافة ونمط حياة الشعب ويستصغرون شأنها كالسلحفاة التي لا تعجبها قشرتها، ويفسر هذا الأمر سبب عدم تطور اللغة الكردية، رغم أنها من أقدم اللغات منذ تاريخ الثورة الزراعية والحيوانية الخلاقة، بل إن هذا الواقع يشرح أسباب بقاء اللغة الكردية متخلفة على شكل لهجات مناطق وعشائر وأية لغة لا تستطيع أن تخلص نفسها من الانقراض والزوال إذا لم تقم بتطوير نفسها بالتماس على شكل لغة وثقافة تعليمية، إن مواصلة اللهجات الكردية وبقائها بنحو قوي رغم ظروف الصهر والتذويب مع الزمن يعود إلى قيام المجموعات الشعبية بدورها المقاوم والمدافع واستمرارها بهذا التقليد، فبقاء الكرد أحراراً كشعب أصيل حتى ولو كانت طبقتهم الحاكمة غريبة ودون شخصية هي حقيقة أخرى لا يمكن إنكارها، مثلاً إن الأمر الذي خلق السومريين والمصريين والإغريق والرومان هو الموقع القيادي لطبقاتهم الاستغلالية الحاكمة، بينما هؤلاء قد ادوا دورهم في التذويب، أما عند الكرد فقد تهربت الطبقة الحاكمة الاستغلالية من القيام بهذا الدور، وتطلعت إلى الاكتفاء بالجزء اليسير من تسيير أمور أسرتها كأكثر سياسة في العالم، ويظهر ذلك أسباب عدم استطاعة الكرد في الوصول إلى حضارات قوية حتى ولو لم يكن الدور المذكور ذو صفة مصيرية.

كان للكرد أهمية كبيرة في العصور الأولى رغم كل هذه السلبات، حيث أن موقعهم كان منطقة انتشار أساسية ووظيفة تركييبية كبيرة في التحولات الحضارية وانتقالها، إن الكرد هم من الشعوب والثقافات الأساسية التي خلقت العصور الأولى، وقد ادوا دوراً فعالاً في الحضارات والدول المركزية التي قامت في إيران والأناضول وشرق البحر الأبيض ومزوبوتاميا السفلية، وشاركوا فيها وقدموا خدمات إداريين وموظفين، إن هذه الخصائص هامة من أجل فهم التاريخ الكردي، كما أن الشراكة مع الجيران وإنشاء دولة وحضارة مشتركة، هي من الخصائص الديالكتيكية الأساسية للتاريخ الكردي، وقليل ما نرى تشكيلات كردية خاصة بهم في التاريخ، لكن يوجد لهم دور هام في كل تشكيلة في الجوار.

إن الخاصية الأخرى للكرد هي بنيتهم ذات الشكل العشائري المقاوم والمدافع عن اللغة والثقافة واتحادهم السياسي الفدرالي، وستكون دراسة التاريخ الكردي في العصور الأولى والعصور التي جاءت فيما بعد بهذه الصورة الأساسية، فذلك هو تناول الواقعي، لأن الأصل كان هكذا، ولا يوجد أي تاريخ كردي قمنا بتأليفه في ذاكرتنا، بل إن مثل هذا التاريخ لا يستحق الافتخار، حيث لا يمكن الاعتزاز بالدول والحضارات التي أسسها المحتلون المهيمون، ولكن يمكن أن يكون كل ذلك عبراً ودروساً لنا، إن رؤية التاريخ من ناحية الشعوب لهذا الاتجاه سيجعل الالتزام بقيم العدالة والحرية ممكناً وسيكون أكثر واقعية، إن تناول التاريخ على أساس كيفية دور الجهد والحرية والإبداع والمراحل التي مرت به والنتائج التي تولدت عنه سيكون له صفة تعليمية بدلاً من التفاخر بالتاريخ أو ذمه، وبذلك يكتسب التاريخ معنى أكبر ويتم التقاط أهم دور تنويري في التقدم خطوة إلى الأمام لصالح الصانع الحقيقيين للتاريخ.

يمثل الكرد أكبر ثقافة خلقة في العصر النيوليتي، ويعود سبب بقاءها في العصر النيوليتي إلى يومنا هذا لقيامهم بهذا الدور لآلاف السنين وكأنهم استخدموا كل طاقاتهم في خلق الثورة والمجتمع النيوليتي، ولهذا يبقى الشعب وثقافته متخلفان مقارنة بالأشكال الاجتماعية الأخرى بسبب تعمقهم في شكل اجتماعي ما لمدة طويلة، لذلك يجب علينا أخذ هذه القاعدة بعين الاعتبار عند دراستنا للظاهرة الكردية والتاريخ الكردي، تقوم القوة الفتية بتطوير الحضارات المميزة غالباً، لقد تضائل دور الكرد في العصر الإقطاعي والعصر الحديث، وواصلوا النزعة والتوجه الذي دخلوا فيه مع العصور الأولى، وكان

الشعب والثقافة اللذان كانا أكثر إبداعاً وازدهاراً في بداية البشرية، وتشبه الأم العجوز مع مرور الزمن، ويات أولادها الذين ولدتهم واحتضنتهم في المهدي وعرتهم "أي البشرية" قد كبروا وياتوا لا يتعرفون على أمهم، هذه هي مأساة الأم الكردية التي تحيا هذه المأساة في يومنا هذا، حيث أن قيامها بتعريف نفسها وطلب حقوقها تشكل مشكلة كبيرة أمام تلك الخيانة التاريخية، مثلما تقف الأمهات الحزينات أمام أولاد عاقين لا يرجى منهم الخير.

وبالنتيجة لقد أدى الكرد دور البلد والشعب المحيط بالمركز القوي في نظام عبودية العصور الأولى، وكانوا أصحاب تأثير كبير في خلق وتطوير هذا النظام، وأصبح موضوعاً للاحتلال والاستيلاء لأنهم كانوا في وسط الدول المتسمة بالعبودية الهامة، لقد أرغم هذا الواقع الشرائح الفوقية للعشائرية على اللجوء إلى العمالة، وأرغم الجماهير الأساسية على البقاء منطوية على نفسها متمسكة بالمقاومة، لقد كان غنى جغرافيتهم بالمعادن والزراعة والثروة الحيوانية سبباً رئيسياً في تشكل الوضع المذكور، وحالت كثافة الضغوط الخارجية والبنية العشائرية الصلبة دون تشكل البنى السياسية المتطورة الدائمة، حيث تتابعت مراحل شهدت تشكيل منظمات سياسية ومن ثم انهيارها. فقد كانت قصيرة العمر وتستند إلى فدراليات العشائر غالباً، وادت المصالح والمعرفة العشائرية الضيقة دوراً هاماً في ذلك، وواصل الشعب حياته في ظروف المساواة والحرية في المجتمع النيوليتي على أساس مجموعات عشائرية رغم اتخاذ الطبقة الفوقية مكانها في المجتمع الطبقي العبودي بنحو محدود كعميلة لمراكز الحضارة الأجنبية، وعلى هذا الأساس أخذ الكرد مكانتهم في خلق وتطور إقطاعية العصور الوسطى كقوة أنثية هامة في الشرق الأوسط.

٣. الكرد في العصر الإقطاعي

هناك قاعدة ديباليكتيكية تاريخية للمجتمعات لها تأثير بنحو دائم: وهي تفاعل المؤثرات الداخلية والخارجية التي قام عليها المجتمع لأجل مرحلة اجتماعية جديدة، وتستمر هذه التفاعلات حتى يتشكل المجتمع، إن هذا ضرورة للدياليكتيكية الاجتماعية وتواصل الظروف الداخلية والخارجية التي تقوم بمهمة الأطروحة والمضادة دورها بتأثير مشابه حتى ينتهي بتركيب، كما لا يكمن منع تطور المجتمع من خلال العنف والإكراه، تواصل وجودها بإصرار ضد الإنكار والتحريف، إن القوى والمراحل التي تفتقر للمعرفة هي العوامل التي توجد في أساس التطورات والتي تحدد النتيجة حتى لو كانت بالعنف كضرورة للجهل، ويمكن لقوة فتاة أن تكون مدمرة، ولكن ليس لديها القدرة على مواصلة أي تطور عن طريق المغالطة والتحريف، إن المؤثرات الأساسية للتطور هي الخصائص الداخلية التي تتحكم بالظاهرة وموقعها في تلك الاوساط.

يجب أخذ هذه القاعدة الدياليكتيكية بعين الاعتبار عند تقييم الخصائص الأساسية للظاهرة الكردية والوسط الذي تستند إليه، فخصائص العصر النيوليتي والعبودي والأوساط التي أحاطت بالظاهرة الكردية ستواصل تأثيرها في العصور الوسطى وتستمر التشابهات إلى يومنا هذا حتى تتحقق تحولات جذرية، يجب على الكرد التخلي عن أنفسهم كلياً أو أن يتعرضوا للتغيير أو الانتهاء فيزيائياً حتى يتخلصوا من ذلك، ونظراً لأنهم لن يتخلصوا عن ذاتهم، وممارسة الإبادة قد تحدث بنحو محدود، فما تبقى هو الانتقال إلى مرحلة العمل الدياليكتيكية الجديدة بثورات جذرية، أو حدوث تطور تحوُّلي بإصلاحات مرنة حتى يتم التخلص من وضع التفسخ والخمول، إن ما ترك بصمته على الظاهرة الكردية هو وجودها في

بيئة جغرافية ملائمة للدفاع من الداخل، والتعرض لغزوات دائمة من الخارج، ووجود واقع شعب يعيش في قوالب ووعي عشائري، ومعرفة ضيقة تسفر عن إظهار رد فعل مناسب لهذين الطرفين، لقد أدت الخصائص الجغرافية الملائمة إلى اختراعات وخلق العصر النيوليتي، كما تسببت في الاحتلال والاستيلاء، إن ملائمة المنطقة للزراعة وتربية المواشي تسببت في تطور المجتمع من جهة وجعلها محل الأطماع الخارجية من جهة أخرى، إن الثروة المعدنية وحاجة الحضارات الأخرى إلى المعادن جعلت المنطقة هدفاً للاحتلال باستمرار، وهذه هي العوامل التي أعطت شكلاً للظاهرة الكردية في الأساس، ويستمر هذا الدور بنحو متواتر حسب تغيير المحيط الخارجي كما في يومنا هذا، فعندما تقدم العوامل الخارجية موقعاً قد يشكل حاجزاً أمام تشكيل المبادرة الداخلية كموقع مصيري يحدث التغيير استناداً إلى العوامل الخارجية غالباً، ويأتي على شكل تطور تابع في الداخل وتتواصل هذه القاعدة التي نشطت في العصور الوسطى وفي الأولى بتأثير كبير.

لا يمكن التحدث عن تحول إقطاعي كردي بمفرده إذ لم تبق إلا المجموعات العشائرية الحرة التي انسحبت إلى الجبال، ونظام المدينة الذي أدى فيه العملاء دور الموظفين بعد انهيار حضارة كوماكين كأكبر وآخر حضارة للعصر العبودي التقليدي، في ظل الأنظمة العبودية الساسانية والرومانية في عام ٢٥٠ ق.م، حيث مرت مرحلة مواجهات ودمار وتناحر كبيرة فوق مزوبوتاميا العليا، وتغير حكام المناطق والمدن باستمرار، وأنشئت إمارات كلما كانت الفرض والتوازنات ملائمة، ولم ينقص وضع الحكم الذاتي طوال التاريخ، كما لم يستطع هذا الحكم الذاتي تجاوز الإدارة العشائرية بسهولة، واستمر عصر الصراع الروماني الساساني حتى مرحلة ولادة وانتشار الإسلام، ومن المعروف أن الإمبراطوريتين التقليديتين قد انهارتا بسرعة أمام الإسلام، وكانت الإمكانات التي وفرها الإسلام لأجل التحول إلى نظام حضارة على شكل مجتمع أرقى من الناحية الإيديولوجية والتطبيقية، وهذا ما أدى دوراً مصيرياً في ذلك كما لا يمكن أن يكون هناك معنى للتفسيرات إلا إذا كانت مرتبطة بهذا السبب الأساسي.

لقد قمت في الكتاب الأول بتحليل الإسلام على مستوى التعريف، ولهذا سأكتفي هنا بالتذكير فقط، إن تسمية عصر الإسلام بعصر الإقطاعية هي تسمية واقعية، حيث أثر الإسلام على كل المنطقة بحضارته الإقطاعية على هذا النحو دون أن ننسى جوانبه المميزة عن إقطاعية الغرب بسبب الاختلاف التاريخي والجغرافي، لقد فتح الإسلام الجغرافيا التي يسكنها الكرد عند وصوله إليها عام ٦٥٠ م، واستطاع بناء حكمه وفرض هيمنته على الساحات الزراعية الواسعة ومراكز المدن، ولكن المقاومة التقليدية ظلت مستمرة في المناطق الجبلية، لقد وصل الإسلام الذي تضمن تناقضات وصراعات منذ اللحظة التي توفي فيها مؤسسها النبي محمد وقبل أن تدفن جنازته إلى مرحلة جديدة بعد استشهاد الحسين وأقربائه في كربلاء، وأدى استيلاء الأمويين الذين يمثلون الشريحة الحاكمة في فدرالية قريش في المجتمع القدم على السلطة إلى ممارسة ضغوط على الطبقة الفقيرة، والشعوب غير العربية، لقد أخذت إيران موقفها إلى جانب إسلام أهل البيت ضد هذه الممارسات اعتماداً على أساس حضارتها القديمة القوية، وأظهرت رد فعل بالنمط الشيعي كنمط لتحويل الإسلام حسب ظروفها، حيث تعد هذه المقاومة المثل الأول والأكبر للانقسام الجذري في صفوف الإسلام وتحوله حسب الظروف المحلية، أما رد فعل الكرد على ذلك، فقد كان بالنمط العلوي حتى ولو كان ذلك في ساحة محدودة، لقد سيطر الإسلام السني الذي يعبر عن تفسير السلالة الأموية للإسلام على السهول ومراكز المدن، وتصادعت الانقسامات الجذرية ضمن كثير من الأقوام إضافة إلى الانقسامات التي حدثت سابقاً ولا سيما في صفوف العرب، حيث يكمن الفرز الاجتماعي

والتشكل الطبقي الجديد ضمن أساس هذا الانقسام الجذري، وحدث تحول في نمط المجتمع العبودي وبنيتة الطبقيّة إلى نمط المجتمع الإقطاعي وبنيتة الطبقيّة.

يكتسب التعريف العلمي الصحيح للإسلام ضمن هذا الإطار أهمية بالغة، أما محاولة شرح الإسلام على نحو الدوغمائية الدينية لوحده، فيعني محاولة وضع ستار على الحقيقة ودفنها في الظلام، لقد قدم الحكم الإقطاعي هذا التفسير الدوغمائي الديني للإسلام مثل كلام الرب الذي لا يتغير، وبفضل تفوقه الساحق استطاع بناء سيادة ذهنية وأخلاقية على كل شعوب الشرق الأوسط، لتستمر هذه السيادة على مدى قرون طويلة، إن الإسلام يمثل الانطلاقة الكبيرة الثالثة لطبقة التجار التقليدية في شبه الجزيرة العربية، وقد جاءت هذه الانطلاقة مواكبة بحاجة القبائل العربية التي توسعت وكبرت من خلال التجارة بين مزوبوتاميا ومصر واليمن والحبشة، وبانتت تحتاج إلى الوحدة والتماسك، ويعد الإسلام آخر حملة حضارية ذات جذور سامية، وقد أوصلت هذه الحملة جميع عرب الصحراء الذين كانوا متخلفين وبعيدين عن الحضارة إلى قوة حضارية إقطاعية من خلال جمعهم تحت لواء الإسلام، الذي بعث القوة في الأمة بشكل موضوعي، إن مفهوم الفكر الوحدوي في الإسلام الذي يتجاوز المفهوم القبلي هو مفهوم قوي جداً، ولذلك دخلت القبائل والعشائر التي كانت تعيش بنحو موزع في الشرق الأوسط وبعيدة عن روح الوحدة في علاقات عرقية عن كئيب، إن مصطلح القوم يعبر عن فئة إقطاعية خاصة بالعصور الوسطى ويشغل مكانة بين الأثنية والقومية، إن الارتباط بالأرض والتجارة عزز الأرضية المادية لوحدة القوم، وأصبح تجار المدن والطبقة الإقطاعية المالكة للأراضي أصحاب سلطة أقوى في وسط القوم، ويرجع قيام الأمويين بتطوير مفهوم القوم العربي إلى السبب المذكور.

فقد تطوّر مصطلح القوم في الطبقة العليا غالباً، وجعلت العروبة فضيلة وذريعة للشعور بالتفوق، وترسخت شوفينية قومية إلى حد ما، كما جرت محاولات حياة متداخلة بين الطبقة الحاكمة والقومية تحت ستار الإسلام، ومنح الذين كانوا في السلطة في عهد الإسلام مزايا للقومية التابعين لها، ادت الطبقة الحاكمة التي تولت السلطة في الإسلام من عرب وفرس وأتراك دوراً في تحويل الخصائص العرقية للقومية التي ينتمون إليها، إلى خصائص قوم أكثر تطوراً، بينما بقي الذين لا يجدون مكاناً للغتهم وثقافتهم في السلطة متخلفين على هذا الصعيد.

هناك فرق بين الظاهرة الأثنية وظاهرة القوم، إن الأثنية هي الشكل الاجتماعي الذي كان سائداً في العصر النيوليتي والعبودي للعصور الأولى على الأغلب، فكل المجموعات الاجتماعية تجتمع مكاناً لها في مجموعة أثنية في تلك العصور، إن الكيان الأثني لهذا المعنى هو صنف وظاهرة تاريخية، ويأتي الوعي الأثني في مرحلة مختلفة ليتطور ضمن حاجة الوحدة والدفاع للقبائل والعشائر ضد قوى الحضارة العبودية بنحو عام، ويرجع تاريخ المفهوم الأثني إلى عشرة آلاف عام قبل الميلاد، لكن المعرفة الأثنية تطورت ضمن محاولة الهيمنة والاستعداد التي تصاعدت منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد تقريباً، وقد حاولت المحافظة على قوتها حتى العصور الوسطى وبعدها، حيث أدى هذا الماضي التاريخي دوراً أساسياً في تحول عشائرية الشرق الأوسط إلى قوة كبيرة، يعود سبب عيش الكرد للعشائرية بعمق إلى كونهم صانعي المجتمع النيوليتي وعيشهم العميق لهذا المجتمع، وبقائهم في موقع الدفاع ضد الغزوات الخارجية على مدى العصر العبودي الأول، إن الأسباب التاريخية والاجتماعية والسياسية للعشائرية الكردية شاملة لا يمكن فهمها إلا من خلال تحليل عميق.

أما مصطلح القوم النابع من طبقة إقطاعية الشرق الأوسط، فإنها توجد كشكل اجتماعي فوق العشيرة والأثنية،

حيث أدى الارتباط بالأرض وازدياد أهمية التجارة و الوحدة السياسية بنحو كثيف إلى نوع من تطور العلاقات العشائرية إلى علاقات الأقوام، لقد أدى الإسلام إلى تطوير هذه العلاقات بنحو قوي، كما أدى دوراً في التحول إلى أمة مثل الدور الذي لعبته الرأسمالية في التحول القومي، وكما ظهرت القومية المتطرفة كتيار للشرائح الاحتكارية المالية الرجعية واليمين المتطرف، فإن مفهوم الأمة في الإسلام تصاعد بين القوميات الحاكمة كتيار للمالكي الأراضي وطبقة التجار المتعجرفة واليمينية المتطرفة، إن هذا التوجه موجود في الإسلام حتى ولو لم يكن ظاهراً بنحو واضح، حيث أظهر نفسه موضوعياً وذاتياً، إذ رأى النبي محمد هذه الخطورة عندما كان على قيد الحياة، واضطر إلى القول "لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى"، كما وجه لينين نفس التحذير من أجل الشوفينية الروسية، يتم عيش الشوفينية العرقية العشائرية عند العرب كمضمون لمصطلح "العصبية" على شكل عاطفة قوية، حيث يوجد تطور زائد للعاطفة العشائرية وتواصل شوفينيتها ووجودها في الأمم والأقوام والمجموعات الأثنية غير المتطورة، وتتجاوز موقعها الدفاعي وتتحول إلى عدوانية في بعض الأحيان، حيث لم ينجح الإسلام في القضاء على هذه العاطفة رغم الجهود التي بذلها النبي محمد لتحطيمها، لدرجة أن السلالات الحاكمة والقبائل والعشائر حاولت دائماً أن تبرز أصالتها وتفرض ذلك على الآخرين.

أدى تكيف الشعوب للإسلام مع ظروفها الإقليمية وثقافتها إلى اشتقاق كثير من المذاهب والطرق الدينية، كما برز في ثقافات الشرق الأوسط تطوراً من الوحدة التي تتخذ الأثنية أساساً لها، إلى وحدات تتخذ من الطرق الدينية أساساً لها، لا سيما بعد الإمبراطورية الآشورية، تدخل هذه الوحدات التي انتشرت منذ عام ٥٠٠ ق.م ضمن صفوف الفكر والعقيدة، وقامت القبائل والأعراف بتشكيل وحدات من الفكر والاعتقاد والسلوك الأخلاقي نفسه، حيث يمكننا أن نعرف ذلك بنمط تنظيمي بدائي للطبقة المسحوقة، وفي الوقت الذي تقوم فيه الشرائح الفوقية من القوم والقبيلة لتنظيم نفسها ضمن إطار الدولة الرسمية، تحاول الطبقات السفلية تجاوز الوضع السيئ الذي تعيش فيه بآراء صوفية شبه سرية وبنحو يختلف عن المعرفة الأثنية، حيث يمكن تقييمها كأمثلة بدائية لأولى أحزاب المعارضة، لأنها تنظيمات شبه سرية للفقراء باعتمادات صوفية، إن الفلسفة الإغريقية والعرفان والنسب في ميزوبوتاميا ما هي إلا مؤسسات متطورة لهذا التيار. لدرجة أن سيدنا عيسى تأثر من طريقة ساذجة وبسيطة تحمل اسم الآسينيين التي وجدت قبله، حيث وجدت طرق صوفية تستند إلى الآراء الدنيوية المذكورة قبل ظهور الإسلام والمسيحية بين أعوام ٥٠٠ ق.م و ٥٠٠ م، فمثلاً كانت هناك مجموعات عقائدية كثيرة وفي مقدمتها "الستاوية stao" التي كانت تشد إليها البشر في العالم الإغريقي والروماني، كما كانت هناك حركة المانوية من أقوى الانطلاقات في مزوبوتاميا في ذلك العصر، حيث أرادت بتوجهاتها خلق حركة خضبة تركيبية بين المسيحية والزرادشتية والبوذية كما يتوضح في عام ٢٥٠ م، وكان لهذه الحركة تأثير كبير في البداية، حيث أراد ماني بالذات خلق جيل السلام من العاصمة الساسانية كتاسيفون وحتى روما من خلال عقائده، ومن المعروف أنه كان يعادي الحروب وأراد مواصلة تركيب كوماكين السابق من خلال تعميق هذا النموذج، لكن الكهنة الساسانيين الرسميين الذين تتحقق مصالحهم من الحروب والعداءات قاموا بقتل ماني، وأثاروا موجة إرهابية بين صفوف أتباعه، ولو تحقق النجاح لماني لربما تحققت النهضة الشرق أوسطية لتكون أساساً لحضارة من طراز أوروبا.

لقد أخذ الإسلام نصيبه من تأثير المذهب التوحيدي الذي يسمى بالأحناف في مكة، والذي كان ذا انتشار واسع في تلك المرحلة، فقد استفاد النبي محمد من المسيحية واليهودية والحنفية والمجوسية إلى حد كبير، واستطاع تكوين الإسلام

كتركيب لجميع تلك العقائد والأفكار، وأظهر تطوراً وانتشاراً كبيراً لأنه استطاع تلبية الحاجات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحقوقية بنحو واقعي، حيث يستند الى عالم عقائدي وفكري قوي يمكنه من ذلك، وبهذا المعنى فإن النبي محمد هو شخص إصلاحي وثنوي كبير، إن المرحلة الواقعة بين أعوام ٥٠٠ ق.م و ٥٠٠ م تسمى بعصر العقيدة والفكر الكبير، ويعود سبب ذلك إلى الأفكار الفلسفية والفكرية والعقائدية التي تم طرحها والتي أثرت على قدر الإنسانية من قبل مؤسسيها الكبار في تلك المرحلة، كما يمكن تسمية تلك المرحلة بعصر المدارس الفكرية و العقائدية، حيث امتلكت تلك الأفكار والطرق الصوفية شخصيات أصيلة، رغم تأثر بعضها ببعض، ولا شك أنها تأثرت بمثولوجية العصور الأولى ونتيجة رد فعلها على هذا التأثير قامت بترسيخ فكر وعقيدة العبودية للعصور الأولى و طورت نظامها من خلال ذلك، لقد شكل عصر الكلاسيكيات الكبيرة والقوية نتيجة وجود كونفوشيوس وبوذا وزرادشت في الشرق وسقراط في الغرب، مما شكل الأساس الإيديولوجي والمعنوي لتجاوز حضارة العبودية وتطور الحضارة الإقطاعية.

كانت المرحلة الواقعة بين ٥٠٠ . ١٥٠٠ م بمثابة العصر العقائدي القوي الذي حددته المسيحية والإسلام والبوذية، وكان الهدف هو جعل هذا العصر لا نهائياً بالإيمان بوحدة الله ووجوده الذي كان الأساس الإيديولوجي للنظام الذي تم تأسيسه، وكما يعلن كل عصر عن نفسه كأول وآخر عصر ونظام، فإن العصر الإقطاعي أيضاً أراد أن يجعل نفسه أبدياً في إطار الإيديولوجية المعتمدة على وحدانية الله وأبديته، وتكمن هذه الحقيقة في تشكيله العقائدية الصلبة، وتكمن في الإله الخالد ومفهوم النظام الأبدي وجوهر الاعتقادات، علاقات حكم واستغلال المجتمع الطبقي، حيث يتم التعبير عن ذلك بأوامر مقدسة محصنة ومقنعة لأجل نظام المصالح الذي يعبدونه، فالأمر الذي يراد جعله أبدياً وخالداً هو لمصلحته وسيادته من خلال شخص الرب.

إن التحليل الدقيق للعلاقة الموجودة بين الزخارف الإيديولوجية والنظام الاستغلالي الطبقي والاستبداد وتقدمه إلى الكادحين والمسحوقين بطريقة تنويرية، يأتي على رأس المهام التنويرية، حيث لا يمكن شرح الواقع لمجتمع العالم بنحو عام ومجتمعات الشرق الأوسط بنحو خاص، للوصول إلى مفهوم تاريخي واجتماعي دون تحليل العصر العقائدي الصلب الذي استمر ألف سنة، كما لا يمكن فهم ذلك العصر الذي استمر ألف سنة لا بقيم المحاكمة العلمانية المزورة ولا بالاعتقادات العمياء، إن دراسة جميع هذه الدوغماتيات العقائدية كسلسلة وثائق تاريخية وأدبية وتحليلها، وإظهار الحقائق الطبقيّة والاجتماعية والسياسية التي تخبئها في ثناياها هو شرط اساس لتنوير الشرق الأوسط وضرورة لا يمكن التخلي عنها، ويعد الانفتاح على العلمانية السطحية ذات المصدر الغربي وعالم العقائد الذي يراد إحياءه من جديد بمثابة عوائق أمام هذه المهام التاريخية، إن تناول كل حضارات الشرق الأوسط والوثائق الميثولوجية والدينية الغنية وفي مقدمتها المصادر الإيديولوجية وعلم الآثار والمصادر الأدبية بمنهج التحليل العلمي يعد محاولة لشرح التكون والتغير الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للمجتمع، لأجل انطلاقة جديدة.

إن تأثير الإسلام على الكرد كان ضمن ذلك الإطار الرئيس المذكور، فالشرائع الفوقية للعشائر التقليدية وأمراء الأراضي كانوا أول من استسلموا وأقاموا علاقات وثيقة مع السلالات الأموية والعباسية، وتبنوا التفسير السني للإسلام، ونظموا كل علاقاته على وفق السلطة الحاكمة، ودخلوا تحت تأثير اللغة والثقافة العربية وعملوا على ربط أسمائهم ونمط حياتهم وجذورهم بالعرب، وتوجهوا نحو الانحراف وإنكار الذات انسجاماً مع مصالحهم.

شهدت الحضارة الإقطاعية تطورات في عصر حكم العرب على المنطقة، وتم تسمية البلاد من أولها إلى آخرها بمصطلحات عربية وأطلق على الشعب لأول مرة اسم الكرد، ورأت السلطات العربية الحاكمة ربط الماضي الكردي بما ينسجم مع سياساتها، ولكنها لم تقم بإنكار وجود الكرد، وقد وصلت العلاقات ووحدة المفاهيم مع القطاع السني إلى مستوى متقدم، وتم توطين العرب في الأراضي الخصبة من المنطقة الكردية، لا سيما في الأراضي المروية وعلى ضفاف الأنهار، حيث أمتد الاستيطان حتى وصل إلى سفوح جبال طوروس وظهر الانصهار في اللغة والثقافة العربية بنحو متطور لا يستهان به، وبالمقابل حافظت الشرائع السفلية الفقيرة من العشائر والتي كانت تعيش في الجبال على إرث المقاومة، وبعضهم قبلوا الإسلام كمظهر، وتصرفوا بتصميم من أجل الحفاظ على معتقداتهم الجوهرية ونط حياتهم، فقد وافقت هذه الشريحة على قبول الإسلام على شكل العلوية الكردية، أي حاولوا جعل الإسلام متلائماً مع ظروفهم، ولم يقبلوا ذلك إكراهاً بل وفاءً لأهل البيت الذين هضمت حقوقهم، إن العلوية الكردية هي العقيدة الأقل علاقة مع الإسلام إلى درجة أنها لا تعد مذهباً من مذاهبه، فقد تناول العلويون الكرد بعض العناصر التي تغني حياتهم وثقافتهم، ولم يتمسكوا بالدوغماتيات الدينية الصلبة، وبمكننا القول: إن موقفهم كان إيجابياً من خلال رفض جوانب لإسلام السنة المتخلفة والمتناقضة مع الخصائص الأثنية وتجسيد بعض جوانبه الإيجابية، إن تحديث هذا الموقف للعلوية والتفسير العلمي له، يمكن أن يؤدي دوراً تنويرياً هاماً، تحتل العلوية في شعورها بالضغوطات الطبقية والاستغلالية للطبقة الفوقية الموجودة في داخل الإسلام ومناهضتها مكانة هامة، ولكن عدم تطورها لتفسير إيديولوجي قوي وعدم تجاوزها لنظام الطرق العاطفية البدائية، يعد نقصاً كبيراً لديها.

تمثل الزرادشتية الشريحة المقاومة من الكرد ضد الإسلام، وهذه المقاومة تحتاج إلى تحليل أكثر وأعمق من المتوقع، لم تحصل الإيديولوجية الزرادشتية على قوة التعبير عن حقيقتها بنحو صحيح بسبب الاعتداءات المكثفة عليها والضغوط والحصار السياسي والاقتصادي، وبجانبها هذا تشبه العلوية، إن قدرة الزرادشتيين على مواصلة وجودهم حتى الآن يظهر أنهم شهدوا حياة صعبة، تجعل مقاومتهم ذات مضمون ومعنى، وتشكل هذه التجارب الثلاثة للكرد في مواجهة الإسلام عاملاً هاماً في مصير الوحدة القومية، لقد أدى الانقسام الأثني المتبقي من العصور الأولى والعمالة إضافة إلى القيم الإقطاعية الغريبة إلى انقسام واغتراب بنحو عميق، وحصلت تطورات على مستوى الفرز الطبقي، وتشكلت طبقة إقطاعية وتجارية صاحبة أملاك، بينما تواصل النخر والانعزال في مستوى المساواة في البنية العشائرية والحريات ليأخذ مستوى متقدماً، وتعرض المجتمع إلى انقسام طبقي عميق، وحصل تقدم في الارتباط بالأرض والأقنان مقارنة بتربية الماشية، وحدث الانتقال من خصائص المجتمع الرعوي إلى المجتمع الزراعي بنحو أقوى، وخصوبة سهول مزوبوتاميا ادت دوراً هاماً في هذا التوجه، كما شهدت طبقة التجار تطوراً متقدماً، لكن التجار العرب هم الذين تركوا بصماتهم على التجارة، وأصبح الأرمن والسريان مواطنين من الدرجة الثانية مع محافظتهم على الديانة المسيحية، حيث تركوا أحراراً في دينهم تحت ظروف معينة.

إن الإسلام بجانبه هذا أوصل الطبقة الكردية الحاكمة إلى موقع قوي ضد الشعب المسيحي، حيث امتلكت هذه الطبقة امكانات كثيرة بفضل الدولة الإسلامية لمناهضة هذه الشعوب، وأكثر من ذلك فإن التفسير السني للإسلام قريب من المصالح المادية للطبقة الكردية الحاكمة، حيث يكون الدين والمصالح المادية في علاقة قوية لدى هذه الطبقة، أما

الخصائص الاجتماعية المتناقضة مع ذلك، فتأتي في الدرجة الثانية، وقد جعلت هذه الطبقة الوقوف إلى جانب الإسلام بكل قوتها سياسة أساسية لها، إن هؤلاء لم يقبلوا بالإسلام لأنهم يؤمنون بالدوغمائية الدينية كما يعتقد، بل وجدوا أن الالتزام بالإسلام الرسمي ضرورة لأجل تحقيق مصالحهم المادية وقوتهم السياسية من خلال الستار الدوغمائي للإيمان الصلب، وهذه خاصية لازالت موجودة حتى يومنا هذا، حيث تحاول الطبقة البرجوازية المحلية الافادة من الإيديولوجية الإسلامية بدلاً من الطبقة الإقطاعية، وهذا وضع ناجم من التطلع إلى طبقة برجوازية أكثر من عيش الاعتقادات بحرية.

إن التحول الذي شهده الشرق الأوسط بإيديولوجية الإسلام يشكل المرحلة الأخيرة لتطور الأديان التوحيدية المعتمدة على الميثولوجيا المصرية والسومرية في الجوهر، فملاحم خلق الحضارة السومرية تشكل المرحلة النقية لهذه الإيديولوجية، ومن ثم اتخذ النظام العبودي الاستغلالي المزدهر تفسير النظام السماوي كضرورة له، وجعل نفسه ممثلاً عن ذلك النظام على الأرض، من خلال ستار ميثولوجي حمّله كل التفاصيل الأخرى وجعل المعابد والعبادة نظاماً يهيمن على الأذهان والأرواح، فقد تم القيام بأول العبادات في تلك المعابد التي أخذت شكل الجامع والكنيسة والكنيس اليهودي وفي يومنا هذا تقام فيها عبادات مشابهة كما كان في المعابد السومرية.

يشكل الإرث الإبراهيمي المتمثل في الأديان التوحيدية ووكلائه الأنبياء التحول الثاني الهام لهذه الإيديولوجية، وقد تأكد أن ذلك الإرث تأثر بالميثولوجيا المصرية والسومرية بنحو كبير، أما المرحلة الثالثة من هذا التحول فيتمثل بتأثر المسيحية بأخلاقيات زرادشت والفلسفة الإغريقية، إن مفهوم جعل الإسلام آخر دين والنبي محمد آخر نبي، يعود إلى إدراك النبي محمد لهذه الحقيقة وتقييمها عن كثب، حيث يرى أن الفكر الميثولوجي والديني قد دخلا في مرحلة النفاذ على عكس ما كان يعتقد، وهذا هو المعنى الحقيقي لما قاله، فالنبوة الأخيرة تعني أن حكم وتلبية حاجة الإنسان عن طريق الميثولوجية والدين، لن تكون سهلة بعد هذه المرحلة وهذا تقييم واقعي، ويعود تحويل الإسلام إلى قواعد صلبة ومتعصبة بعد النبي محمد إلى متطلبات مصالح مالكي الأراضي وطبقة التجار.

أصبح الإسلام بجانبه هذا من أحد الإيديولوجيات المتعصبة، حيث زاد هذا التعصب مع مرور الزمن بعد وفاة النبي محمد وتصفية آل البيت، واستلام الأمويين للحكم ومن ثم العباسيين، لقد هيمنت سحب الظلام على حضارة الشرق الأوسط بعد سحق كثير من الحركات الباطنية التي كانت تمثل الشعب فيما بين القرنين العاشر والثاني عشر، فقد قدمت الحركات الباطنية وفي مقدمتها الخوارج والبابكيين والقرامطة والحشاشين والإسماعيليين التي ظهرت على شكل حركات للطبقة المسحوقة والفقيرة نضالاً إيديولوجياً، وممارسة عملية في الوقت نفسه، ومثلت نوعاً من النظام الاشتراكي البدائي وعاشته، ولكن هذه الحركات لم تستطع النجاح بنحو كامل، لأن القوى وعلاقات الإنتاج لم تقم بدورها كالنمط الإقطاعي المطلوب، ولكنها حظيت بمكانة كبيرة في تاريخ النضال لأجل الحرية والمساواة.

إن الساحات التي يقطن فيها الكرد بنحو كثيف، كانت إحدى المراكز الأساسية لهذا النضال، وبينما انضمت الطبقة الكردية الحاكمة إلى الإسلام السني الرسمي، فقد ادت الجماهير الأساسية دوراً هاماً في الحركات الباطنية، إن العلوية والزرادشتية هي الأشكال التي بقيت صامدة حتى يومنا هذا. لقد ابتدأ عصر مظلم في تاريخ الشرق الأوسط بعد إغلاق باب الاجتهاد منذ بداية القرن الثاني عشر وحتى يومنا هذا، إذ عاش إنسان الشرق الأوسط في واقع عصر مليء بالدوغمائية الفارغة والعمياء الأكثر صلابة وتحلفاً من أي مرحلة مضت تحت أسم القواعد الدينية وتترك أثره على ذهن

وروح الشعوب، إن دخول حضارة الشرق الأوسط مرحلة التراجع والانحيار له علاقة وثيقة بهذه المرحلة المظلمة وبهذا الانغلاق الإيديولوجي، ولازالت هذه الهيمنة مستمرة حتى يومنا هذا.

يبدو واضحاً أن التفسير السني لأيديولوجية الإسلام في الشرق الأوسط، قد أدى دوراً سلبياً على العالم المعنوي للمجتمع الكردي، فقيام مؤسسات الطبقة الفوقية مثل رؤساء العشائر والاغوات بهذا الدور، نقل السلبيات إلى عالم الاضطهاد والقمع والظلام، مما بعث الضعف في عزّة الشعب التقليدية وتصوفهم، وأصبحت بليدة، أدى التماسس المشابه للمعتقد والفكر العلوي والزرادشتي واستلام الزعامة من قبل الأسر العميلة على الأغلب، إلى انسداد طريق الحركة التنويرية والحرية التي كانت تتغذى عليه، إن البنية الروحية والذهنية التي كانت تتسم بطابع المساواة والحرية التي أكتسبها الكرد من المجتمع النيوليتي، بدأت تغرق في الظلام يوماً بعد يوم، واضطرت إلى الخنوع للنظام تحت اسم استسلام الإرادة للقدر، إن التخريب الأصلي في المجتمع الكردي في العصور الوسطى أدته القدرة التي أصبحت أساساً للفلسفة، وقد ادت الدعاية الدينية الكبيرة هذا الدور في الأساس، إن تحليل هذا الدور للإيديولوجية الرسمية بعمق، وعكس نتائج هذا التحليل بنحو صحيح وتقدم البديل، هو مهمة تنويرية تشكل الأساس للنهضة في الشرق الأوسط.

لقد أدى التماسس السياسي في الشرق الأوسط إلى تطورات كبيرة على الكرد، وفتح ذلك مرحلة الإمارات، حيث كانت الطبقة الفوقية الكردية معتادة على إمارات محلية منذ العصر السومري، وكانت تفرض نفسها على المجموعات العشائرية التحتية كطبقة حاكمة بنحو منهجي من جهة، وتدعم مكانتها من خلال علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع أسيادها في الخارج وتقوم بتطوير مصالحها بنحو دائم من جهة أخرى، لقد اكتسبت بهذا التوجه دوراً أصيلاً وأساسياً، وفضلت التبعية المحدودة وتبعية مستندة إلى حكم ذاتي في الداخل، مفضلة على أن تكون طبقة مستقلة وحاكمة، فقد كانت السيادة بمفردها تتعرض للمشاكل في الداخل والخارج كما كانت تتعرض للنهب أيضاً، ولكن التمرّد في الداخل والاستيلاء من الخارج، لم يمنحها إمكانية العيش بنحو مريح، ولهذا فإن نمط العمالة المستند إلى الحكم الذاتي هو النمط الذي فضّله، وهذه الطبقة لم تعط الفرصة لتأسيس ذي جوهر تقدمي في الخارج، فمثلاً تعد مأسسة النظام السومري لنفسه أو من طرف السومريين خطوة تقدمية، والمثال الثاني هو الجمهورية التركية، حيث أن الجمهورية تستطيع أن تؤدي دوراً أكثر إيجابية إذا تأسست من قبلها، أو من قبل النظام التركي، ولكن قيامها بقطع الطريقين أمام التطور هو الذي تراه أكثر إنسجاماً مع مصالحها، لأنها ترى أن تخدير الشعب في الداخل ينسجم مع مصالحها الطبقية، وتحقق ميزتان من خلال تحويل ذلك إلى مصالح سياسية واقتصادية كمقابل لذلك، إن اللهات وراء حكم ذاتي مستند إلى السلالات رغم إنفتاح الطريق حتى النهاية من أجل حل ديمقراطي بالنسبة لكرد العراق في يومنا هذا، يعود إلى كونه النظام الأكثر إنسجاماً مع مصالح هذا الإرث التاريخي.

أدى تحول المجتمع العشائري إلى مجتمع أفنان بدرجة كبيرة في العصور الوسطى إلى تطور في نظام الإمارات، حيث تأسست الكثير من أنظمة الحكم الذاتي وحكومات كردية محلية، وتخفضت روابط هذه الحكومات مع الخلفاء والسلطين عن عصر ذهبي لها، وأدت إلى تشكيلات سياسية قوية، ابتداءً من الدولة المروانية "الدوستكية" الإقطاعية حتى السلالات الكردية الأيوبية في عصر السلطين العباسيين والسلاجقة بين القرن التاسع والثالث عشر بعد الميلاد، أعلنت الكثير من الإمارات الكردية نفسها كحكومات للسلطين، واكتسبت شرعيتها كنمط نظام تمت المصادقة عليه رسمياً.

أخذ هذا النظام طابعاً أكثر رسمياً في عصر الإمبراطورية العثمانية واستمر لمدة ثلاثة قرون، لقد تم تطوير هذه المرحلة والمصادقة عليها بين القرن السادس عشر وحتى بداية القرن التاسع عشر، من أجل الإمارات والعشائر الكردية غالباً، وبذلك تم الالتزام بروح النظام السائد منذ عصر السومريين، حيث عرفوا إضافة أصالتهم في كل مرحلة ومواصلتها كأفضل طريقة لهم.

يكتسب تحليل الإقطاعية الكردية التي تشكلت منذ العصور الوسطى واستمر تأثيرها حتى الآن، أهمية كبرى لمعرفة ما يجري، وستتحقق إيضاحات كبيرة عبر تحليل شخصيتها العامة وجوانبها الأصلية ومناهج تكوينها وتواصلها حتى اليوم، وشكل تأثيرها على الحياة الروحية والذهنية وكيفية إسقاطها للإرادة والأخلاق، وما أدت إليه من اغتراب عن الهوية والثقافة التاريخية للشعوب، ومدى تعميقها للإغتراب، وكيفية منعها للإفادة من الامكانيات الغنية في المجال السياسي والاجتماعي والإقتصادي، وبذلك يمكن فتح الطريق أمام تشكيلات سياسية وديمقراطية صحيحة لأجل المستقبل، كما يجب التأكيد على أن هذه المهمة الكبيرة لم تلب بعد، فإذا لم تناقش الطبقة الكردية الفوقية أرضيتها السياسية ولم تفتحها أمام النقد الذاتي، فإن هذه الطبقة ستعرف أن عالم مصالحها الملعونة السرية يكمن في أساس هذا التوجه منذ آلاف السنين، وإن الكشف عن ذلك سيجعلها موضوعاً للخيانة والاتهامات، فهي قد اتبعت سياسة تسحج مع مصالحها من دون الاهتمام بأي التزام بالمبدأ الإنساني، وقامت بعقد تحالفات مع القوى الفاشية المظلمة والفتاكة عند الضرورة وتركت الشعب في الظلام، وقامت بإزالة التشكيلات التقدمية المتطورة دون أن يرتعش لها جفن، ولم تتخل عن مواصلة تاريخها الملعون والمشؤوم.

تعود مصطلحات الكرد وكردستان إلى العصور الوسطى، فقد حقق المصطلح السياسي للكرد في عصر السيادة العربية شكلاً جديداً، وأغنى الكرد الذين تعرفوا على مؤسسات الدولة معلوماً في المصطلحات بتسمية المؤسسات، لكن هذه المرحلة ساد فيها الاغتراب والذوبان الكبيرين، لقد قام العرب الذين أخذوا نط الدولة والنظام من الفرس والبيزنطيين على الأغلب، باستيعاب وتجسيد كل ذلك بسرعة واستطاعوا تعريبه، وقدموا الفهم والنقل والتعريب مميزة في كل مكان وصلوا إليه، لقد أخذت اللغة والثقافة العربية مكاناً قديمة سومر القديمة، حيث باتت معرفة هذه اللغة والثقافة وعيشها موضوعاً أساسياً للتعليل ولأجل السيادة والازدهار.

إن عصر السيادة العربية هو عصر سيادة اللغة والثقافة العربية في الوقت نفسه، فهذه اللغة والثقافة معدة ومأخوذة من الخارج، لكن قيام العرب بملاءمة هذه اللغة قد أدى إلى تفوقها، حيث لا تتيح الجذور الصحراوية إمكانية اكتساب الجوهر، وإلى جانب ذلك، فإن اللغة والثقافة الكردية أغنى منها، فهي قد استوعبت التراكمات الحضارية منذ آلاف السنين، وتعرفت على جميع خصائص العصر النيوليتي والعصور الأولى وقد عاشت تلك العصور، إن العلامة الطبيعية هي نتيجة لهذه الثقافة، كما يجب أن نرى الإرث الإبراهيمي والإرث الزرادشتي نتاجاً لهذه الثقافة أيضاً، إن ما قام به العرب وجانبهم المتطور هو تعبئة هذه الثقافة الغنية في قوالبها الصحراوية وتسويق الناتج إلى الجميع عن طريق الروح والذهنية التجارية، التي أوصلوها إلى ميراث غني، لقد أوصلت القوة التجارية ذات الجذور السامية التي كانت موجودة إلى التراكم على مستوى متقدم، وهذا هو سبب قوة اليهود التجارية والمالية في العالم، كما أظهر العرب كآخر القبائل لهذا الإرث مهارة تحقيق الحملة الكبيرة مع الإسلام.

من المعروف أن الثقافة التجارية هي مهارة أساسية في الشراء بضمن رخيص والبيع بضمن باهظ، والإسلام بالذات هو دين

ذهنية تجارية، ويعد الإسلام والحضارة الناجمة عنه نصراً لطبقة التجار، كما أن قيام النبي محمد بتدوين جميع إنجازات العصور الماضية في بونقته الذهنية والأخلاقية وتقديمه على شكل إسلام، يمثل شكلاً من أشكال الهوية التجارية التي تصل إلى مستوى الدهاء، يجب ألا ننسى أن النبي محمد وجد نفسه في وسط العلاقات التجارية للتجارة خديجة، وهما أول ثنائي آمن بالإسلام معاً، إن الأديان التوحيدية وحقيقة الإسلام ستحصل على تفسيرات صحيحة لدرجة التحليل للظاهرة التجارية في الشرق الأوسط وتطورها التاريخي، إن الأرض والتجارة والمهن هي الكلمات الساحرة الموجودة في كل الحضارات المزدهرة في الشرق الأوسط، وعند تحليل معنى هذه الكلمات بنحو وافي سيحصل تاريخ البشرية على إيضاح كبير يحمل تقييم العصور الوسطى الإسلامية في ضوء تحليل الجبهة الخلفية للتاريخ. واستمرت السيادة العربية على كردستان إلى نهاية القرن الثاني عشر على شكل حكم ذاتي يستند إلى العمالة الكردية القوية، إن ازدياد قوة القبائل التركية منذ القرن الحادي عشر من الناحية السياسية والعسكرية واتباع الخلافة العباسية، قد أدى إلى بدء عصر جديد، فقد دخلت الإمارات التركية كدم جديد للنظام بدلاً من السيادة العربية المتراجحة، وكانت السلطة بيد الأتراك السلاجقة بنحو فعلي منذ القرن الحادي عشر، وكان وجود الخليفة شكلياً، إن سياسة الأمراء والسلاطين الأتراك نحو الكرد وكردستان تستوجب الدراسة، لقد قام السلطان سنجار بتسمية المنطقة التي يقطن فيها الكرد باسم كردستان لأول مرة في التاريخ، وحصلت المنطقة على هوية رسمية بعد ذلك، وكانت سياسة القبائل التركية في هذه المرحلة هي التحالف مع الكرد والتوجه نحو بلاد الروم لجعلوها وطناً لهم، وليس طرد الكرد من مناطقهم والاستيلاء على وطنهم، "وفي الحقيقة أن قوتهم لا نفي لمهاجمة الكرد ومصالحهم لا تتوافق مع ذلك"، وبمكنا القول إن هذا الموقف للأمراء والسلاطين الأتراك قد استمر حتى بداية القرن العشرين، رغم بعض الصعوبات في بعض الأحيان، فقد كان الأتراك يدركون أنه لا يمكنهم تحقيق كيان قوي في الشرق الأوسط بمعادة الكرد، إن عدااء الكرد يعني الخسارة والعودة إلى المناطق التي جاؤوا منها، ولذلك كان الوفاق يحكم علاقات الكرد والأتراك التي اكتسبت شكلاً منذ القرن الحادي عشر باستثناء بعض التناقضات في المصالح، لقد حقق هذا الوفاق ميزة لصالح السنة من بين الإسلام، وتضررت الشريحة العلوية والشيعية أكثر مما استفادت، مما يعني أن الوفاق وجد فرصته بالتفسير السني الرسمي الذي يوازن المصالح بين الطبقات الفوقية، فالوفاق الذي تحقق في عهد ياوز سلطان سليم جعل هذه الحقيقة أكثر وضوحاً.

إن التحدث عن الوفاق والحكم المشترك بدلاً من سيطرة الأتراك على الكرد منذ القرن الحادي عشر وحتى القرن العشرين هو الأمر الواقعي، إن الطبقات الفوقية وكلا الطرفين وحتى وجودهم القومي المتداخل قد أدى إلى تقييم الركض وراء تشكيلات سياسية أمراً متناقضاً مع الواقع، لأن ذلك يلحق الضرر بمصالحهم، ولهذا فإن الوجود في تشكيلة سياسية مشتركة يكسب أهمية حيوية بالنسبة لمصالح الطبقة الفوقية ووجودها القومي، ولهذا السبب قدموا خدمات تتناسب مع هذه الممارسة، وهذه الحقيقة ذات معنى منذ عصر الحثيين والهوريين، فقد كان الحثيون والهوريون يفضلون العلاقات الوفاقية مع بعضهم دائماً مع اتخاذ وحدة مصالح الأناضول وميزوبوتاميا أساساً لهم، فقد استطاعوا الاستيلاء على مدينة بابل في عام ١٥٩٥ ق.م، وبدأت مرحلة الهزيمة البيزنطية في الأناضول من خلال حرب ملاذكرد مع الأتراك عام ١٠٧١ م، وفي عهد ياوز سلطان سليم أقام الجانبان أقوى إمبراطورية في الشرق الأوسط بعد حرب جالديران ومرج دابق اللتان فتحتا الأبواب ابتداءً من القوقاز حتى شبه الجزيرة العربية وشمال أفريقيا، بدأ الأتراك والكرد بمراحل تحرير الأناضول وميزوبوتاميا، كقوة تمثل مقاومة الشرق ضد الغرب في عام ١٩٢٠ م.

وكما نرى فإن التحالف بين هاتين الساحتين والشعبين قد أدى إلى نجاحات وتطورات هامة في التاريخ وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، وعند الاشتباك يتعرض الطرفان للخسارة وهذه حقيقة أيضاً، ويقدم التاريخ دلائل كثيرة لكلا الوضعين، فمثلاً النجاح والتطور مرتبطان بوحدهما، نرى أن الخسارة والتراجع هو نتيجة للابتعاد عن روح التحالف والتخلي عن روح الأخوة.

أدى تشابه ثقافة المنطقتين وتداخلهما في بعضهما البعض إلى قيام روابط ديبالكتيكية فيما بينهما منذ العصر النيوليتي، ولقد شهدت الطبقات العليا الحاكمة تطورات حضارية هامة، عندما تحركت بنحو ينسجم مع روح هذه الحقيقة، ولكن عندما تنكروا لها ولجئوا إلى نكران ونفي بعضهما، فقد تعرض الطرفان للخسارة، فبات هذا الوضع نتيجة حتمية لا مفر منها.

نرى أن العلاقات مع الكرد وكرديستان في عصر سيادة الأتراك السلاجقة والعثمانيين، قد شهدت تطوراً ضمن إطار هذا التوازن التاريخي حتى ولو ظهرت بعض المواقف المخالفة من طرف واحد في بعض الأحيان، وتسببت في زعزعة التوازن، إلا أنها كانت تعود إلى تأسيس التوازن من جديد، كما نرى أن سياسات إنكار كل طرف لوجود الآخر في المنطقتين لم تكن طويلة الأمد ولم تحقق أي نجاح عبر التاريخ، حيث يعود تاريخ التبادل الثقافي بين المنطقتين إلى خمسة عشر ألف سنة، كما تصاعدت التطورات الحضارية في العصور الأولى والوسطى على هذه الأرضية الثقافية المشتركة، إن الأخوة والتضامن هما الأساس الذي أصبح الأرضية الثقافية المشتركة التي تستند إليها الشعوب، فحتى لو تم تحريف التاريخ من خلال بعض الشرائع الفوقية بسبب العمالة أو الإنكار، فقد يظهر هذا الوضع كتناقض، لكن الأمر لم يكن كذلك، إن تشابه وشراسة الثقافة في الشرق الأوسط هو إنجاز تحقق بمجهود الشعوب والأنبياء، أما الطبقة الاستغلالية الحاكمة فتحاول استغلال التمايز لاستخدامها من أجل مصالحها، وتحاول إيصال الأمور إلى العدا في بعض الأحيان، حيث تتخذ هذه الطبقة من السيادة والقوة السياسية الفوقية لشرجة ما، شكلاً للتفوق الشوفيني والإلهي، وتحاول جعل الشرائع الضعيفة والمهزومة خدماً لها تدريجياً.

لم يكن مفهوم الحاكم والمحكوم موجوداً بين الطبقة الساحقة والمسحوقة، المستغلة والمستغلة ٥٦٠ فحسب، بل كانت هناك فتوية بين الحاكمين أيضاً، حيث تسود هذه الفتوية على تاريخ كل المجتمعات الطبقية، ويكوّن الحكام ثقافة طبقية خاصة بهم، وينفصلون عن الوجود الثقافي للشعوب، بينما تواصل الكيانات الثقافية واللغوية نموها وتطورها على الأرضية الشعبية، وبذلك تنسلخ لغة وثقافة الحكام عن الشعب لتكوّن ثقافة خاصة بهم، فمثلاً كانت اللغة الأكادية اللغة الدبلوماسية الرسمية لجميع حكام الشرق الأوسط، وكل دولة تشكل تقوم بإنشاء مدرسة لتعليم اللغة الأكادية، كما مارست اللغة العربية هذا الدور في العصور الوسطى وكذلك مارست اللاتينية دوراً مشابهاً، وتقوم اللغة الإنكليزية والثقافة الأمريكية بهذا الدور في يومنا هذا.

تواصل الشعوب كياناتها اللغوية والثقافية، في الوقت الذي تقوم فيه البنى الثقافية المتشابهة في الشرق الأوسط بتطوير مشاعر الأخوة والتضامن بين الشعوب، لم تتردد الطبقات الحاكمة في خلق عداة إيديولوجية وسياسية بين الشعوب، وتمارس سياسة "فرق تسد" بهدف تسهيل حكمها، كما لم تتردد هذه الطبقات في التحريض على الحروب الدينية والطائفية وتجعل من ذلك سياسة أساسية لها، بينما يستطيعون إنهاء هذا العداة في يوم واحد عندما يخدم ذلك مصالحهم، ويتكون الحروب الطائفية والعشائرية مستمرة لمئات السنين، ولكن علاقات الصداقة والأخوة بين الشعوب هي العامل الحاسم المصيري في الأيام الصعبة، وهذا هو الجانب الذي يغذي الحضارات من جذورها، وعندما نظر إلى الأمور من هذه الزاوية، نرى أن ثقافة

الشرق الأوسط، هي بمثابة اتحاد لشعوبه، وتشكل الأرضية القوية الراسخة لفيدرالية ديمقراطية، لم تتطور ثقافة مشتركة مشابهة في أمريكا ولا في أفريقيا ولا في الشرق الأقصى ولا في أوروبا حتى الآونة الأخيرة، بل كانت التفرقة والعداء سائداً، وفي الحقيقة نرى أن الثقافة السياسية في الشرق الأوسط تمتاز بخصائص نمط الفيدرالية، فقد كان الحكم الذاتي للمقاطعات واسعاً ومنتشراً منذ السومريين وحتى العثمانيين، حيث كان الاعتراف بالكيانات الثقافية والأثنية هو الأساس، ولا يتمسك أحد بسياسة إزالة المجموعات الثقافية والأثنية في أية إمبراطورية ما عدا الآشوريين، بينما كانت العوامل الدافعة إلى الوحدة والتقارب هي العوامل المصيرية.

لقد جعلت المصالح الطبقية والسلالات أجواء الانقسام والمواجهات مستمرة، كشرط من أجل الصراع على السلطة، إن الأساس المادي لهذه المواجهات ينحصر بالمصالح العائلية والأسرية فقط، ويبقى التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ممكناً على المدى البعيد عن طريق أخوة وتضامن الشعوب ووحدها على الأرضية الثقافية في جو من الاستقرار، وتمتلك ثقافة الشرق الأوسط مشاعر التضامن والأخوة أكثر من أي منطقة أخرى في العالم، ويجعل التداخل الجغرافي والديمقراطي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ضرورة كسياسة مشتركة، أما الوحدات المنعزلة المعتمدة على التعصب القومي والعشائري والقتال الطائفي، فهي لا تملك إمكانية الاستمرار أو الدفاع عن نفسها، ولا يمكننا أن نقول بأن الشريعة العليا تقوم بإجراء التحليل الصحيح لهذا الواقع الموضوعي، وإلا فإنها لم تكن تقدم على تبني سياسة تمزيق الشعوب عن طريق الحروب الأثنية بين المدن في القرون الأولى، والقتال الطائفي والديني في العصور الوسطى والصراع القومي في العصور الحديثة، ولكنها جعلت هذا التوجه فناً للإدارة السياسية لديها.

وجدت الطبقة الاستغلالية الحاكمة خصائصها المميزة في الشريعة العليا الكردية، بنحو أكثر سلبية وعاشت بطريقة أنكرت فيها كيان ثقافتها وتحركت بطريقة وروح استسلامية للقوى الخارجية، وهذا هو ما يميزها عن غيرها، إن هذه الطبقة هي المسؤولة الأولى عن التطورات السلبية في التاريخ الكردي، ولولاها لحدثت تطورات إيجابية، فهي لو استطاعت مواصلة الوفاق بنحو متوازن وتميزت بالتصميم بدلاً من الخصائص المذكورة، فإن سياسة اقتصادية وسياسية كردية تتخذ من المساواة في الحقوق والحرية أساساً لها، ستؤثر على تطورات الشرق الأوسط إيجابياً، وستؤثر على سياسات المنطقة، لأن الكرد يتواجدون في وسط مركز المجموعات الثقافية والجغرافية الهامة.

إن الخاصية الأخرى الموجودة في الظاهرة الاجتماعية للکرد هي امتلاكها لقوة تذويب وصهر المجموعات التي تعيش بينها، فعلى الرغم من ذوبان الكرد في المؤسسات الأجنبية الحاكمة من الناحية السياسية، نرى أن هناك مجموعات كثيرة تدور بين الكرد بسبب بنيتها الاجتماعية القوية، أي أن هناك محاولة لإقامة توازن بين ضعفها من الناحية السياسية وقوتها من الناحية الاجتماعية، لقد جاءت مجموعات أثنية كثيرة إلى مناطق الكرد وعاشت بينهم عبر التاريخ ولم تتخلص أي مجموعة منها من الذوبان الطبيعي فيها، ابتداءً من الأستيكين حتى الهلننيين، المجموعات ذات الجذور السامية وحتى التركية، لقد استمرت هذه الأجواء حتى أواسط القرن العشرين عندما بدأت الرأسمالية ببسط نفوذها وسيادتها على العالم، حيث بدأت مرحلة معاكسة بعد تفوق المجتمعات المجاورة من النواحي القومية والاجتماعية والاقتصادية بواسطة رأسمالية الدولة، وواجه الكرد مرحلة صهر وذوبان كبيرة، ولم يستطع المجتمع الكردي الصمود أمام الثورة الصناعية للعصر الرأسمالي، رغم تواصل تفوقه في العصور الوسطى استناداً إلى الثورة الزراعية والحيوانية التي حققت تحول العالم في العصر النيوليتي، وبدأت مرحلة الهبوط

وتعرض الكرد للذوبان من الأطراف الأربعة، ولم يتوقف هذا التوجه إلا بالتدخل بمعرفة من الحركات السياسية، واستطاعت الحركة الوطنية الكردية إيقاف مسار الذوبان والصهر القومي والثقافي حتى وان لم يتحقق نجاح سياسي جاد فقد نجحت هذه الحركة في إحياء القضية الكردية.

كان الكرد متقدمين على جوارهم في كثير من النواحي الاقتصادية والاجتماعية في القرون الوسطى، لقد أتاحت الظروف الجغرافية الملائمة والتراكم التاريخي إمكانات تطور البنية الاقتصادية والاجتماعية للإقطاعية بسرعة، ووصل استقرار العشائر المتنقلة في الأرض إلى أبعاد متقدمة في هذا العصر، وحقق المجتمع المستقر تفوقاً على المجتمع المتنقل، ولكن البنى العشائرية التقليدية المتنقلة حافظت على وجودها بدرجة هامة، واكتسبت روح العبودية لدى أبنان الأرض عمقاً رغم طابع الثقافة العشائرية التي تقدم الحرية والمساواة، ومع ذلك بدأ تأثير البنى الذهنية والروحية للإقطاعية في البنى العشائرية، ونال كل من رئيس العشيرة وآغا الأرض مواقع اجتماعية متشابهة، وبدأ الفكر والسلوك على النمط الإقطاعي يظهر تأثيره في مؤسسة الآغا والنظام العشائري مع مرور الزمن.

لقد تطورت التجارة في كردستان تحت إشراف التجار العرب وحقق الاقتصاد المالي تقدماً، وأدى هذا الوضع إلى تسريع التجارة واكتسابها ثقلًا، وكانت صناعة المعادن والحرف بيد الأرمن والآشوريين تقليدياً، وأدى هذا الوضع إلى تركز الأرمن والسريان في المدن، فقد كانت الحرف والتجارة العمل الاساس لسكان المدن، وكان التجار العرب والحرفيين الأرمن والسريان يشكلون سكان المدن بنحو أساسي، وبالمقابل زادت كثافة الكرد في الريف والسهول العالية بنحو عام، وكان الكرد والشرايح الاجتماعية الفقيرة تقوم بدور البروليتاريا المتذبذبة في المدن، ويتأكد هذا الوضع الموضوعي من خلال تمازج الحركات الباطنية المتمردة، فالذين شكلوا الأساس الجماهيري لتلك الحركات كانوا من الريفيين الذين هاجروا بسبب الاقتصاد الريفي والبنية العشائرية التي بدأت تنتزع.

إن سيطرة الدولة المركزية التي ازدادت مع كل يوم وتجمع ملكية الأراضي في أيدي فئة قليلة، جعلت الفرز الطبقي حاداً وأدت إلى انفجار الحركات الباطنية، حيث كانت هذه الحركات تضطر للانتشار تحت الستار المذهبي والطرق المختلفة في ظل ظروف المجتمع الإقطاعي على مدى القرون الوسطى، ولم تدخل على شكل إيديولوجية حديثة أو علمية أبداً، كما لم تتمكن الطبقات من كسب أسماء خاصة بها وبمصلحتها كتعبير علمي عنها إلا في العصر الرأسمالي.

أكدنا سابقاً أن المجموعات الأثنية شهدت تغييراً في الشكل نحو مفهوم الأقوام، وهذا التوجه اكتسب سرعة عند الكرد، وتأتي ظاهرة القوم بعد الظاهرة الأثنية، وتعبّر عن الارتباط بالأرض والالتزام الاقتصادي والاجتماعي الطويل الأمد الأساس المادي للتوجه إلى هذه الظاهرة، بينما الشكل العشائري يكسب أهمية في الظروف شبه الرحالة والانطواء إلى الداخل، كما يؤدي الاستقرار الطويل الأمد إلى القروية وهي بدورها تؤدي إلى الفرز الطبقي، لقد ازداد الفرز الاجتماعي الذي كان محدوداً في الوحدات العشائرية مع الاستقرار في الأرض والقرية، وتدخل المساحات الواسعة والسكان تحت إشراف الإمارات الإقطاعية وهي ظاهرة تتجاوز الاطار العشائري من حيث المعنى وتصبح روابط أمة وقومية، وأدى تصاغر الأسرة إلى إضعاف العشائرية مع أن الفرز الطبقي في المدن كان أكثر تطوراً، وتمتلك المدن بنية سكانية متداخلة، أما في الريف فقد تطوّرت الوحدة العشائرية المستندة إلى لغة وثقافة مشتركة وإلى معرفة مفهوم القوم مع مرور الزمن.

تكمن هذه الحقيقة في جوهر الإيديولوجية الإسلامية، فقد بذل النبي محمد بالذات جهوداً كبيرة من أجل توحيد القبائل الصحراوية المنغلقة على نفسها، فالقرآن هو مانيفستو مجتمع جديد يحاول كسر الرؤية العشائرية الضيقة وتحقيق حضارة المدن تحت تأثير التجارة بتوحيد القبائل الصحراوية غير المتحضرة، إن دراسة القرآن بعمق من الناحية الاجتماعية تؤكد دائماً على وحدة الله ووجوده، وعلى أحكام المحاكمة والتسييس، انه عبارة عن نداءات تهدف إلى توضيح طابع المجتمع الجديد، إن القسم المستمى "مقاولة المدينة" ليس إلا معاهدة اجتماعية جديدة، إن الوحدات العشائرية التي ستظهر في هذا الإطار الإيديولوجي مع مرحلة التسييس الكثيفة ستجعل العرب شكلاً كأقوى قوم من بين الأقوام، كما خلقت الإيديولوجية الرأسمالية المفهوم القومي، فإن الإسلام كأقوى تعبير إيديولوجي للإقطاعية خلق مفهوم القوم والقومية، إن تصاعد العروبة في عصر الأمويين والعباسيين ليس من قبيل الصدفة، فطبيعة هذا التصاعد لها علاقة بإيديولوجية الإسلام التي أدت إلى الحكم، وكان النبي محمد على علم بأنه فتح عصر تصاعد العروبة، حتى ولو قام بوضع بعض الحواجز أمام تفاقم هذا التصاعد، لقد اكتسب هذا الوضع واقعاً موضوعياً بالنسبة للإسلام.

إن الشكل الاجتماعي الإسلامي الاساس الذي ولد هو الأمة وليست العشيرة، أما الشكل الاجتماعي في عصر الرأسمالية، فهو المفهوم القومي بمعرفة وروابط وثيقة، لقد اكتسب التحول القومي سرعة في الإسلام، وخاصة بالنسبة للفرس والأتراك، وإن الروابط القومية للشرائح المهيمنة على السلطة قد جلبت معها ظاهرة القومية الحاكمة في هذه المرحلة، و ساهم عصر سيادة العرب والفرس والأتراك في تحقيق تفوق على شكل أمة، وأدت محدودية السلالات الكردية وتفضيل السلالات الموجودة للغة والثقافة العربية إلى دور سلمي في تطور الكرد كقومية، لقد سلكت السلالات الكردية التي دخلت علاقات الحكم بهذا النحو منهج الإنكار أو الكتم لثقافتها ولغتها، واتخذت اللغة والثقافة الحاكمة أساساً لها، وأصبحت الحركة بجانبها هذا قاعدة أساسية تقريباً لا سيما في القرون الوسطى، فقد استخدمت السلالة الأيوبية كل ما تملكه في خدمة الحكم العربي السني رغم أنها كانت ذا جذور كردية.

شهد الفرس والأتراك هذا الواقع أيضاً، ولكن اللغة الفارسية والتركية تطورت كلهجة ولغة في قصور الفرس والأتراك، حتى ولو كان ذلك بنحو محدود، ولم يشهد الكرد الذين تبنوا إمارات ودول أي تطور في هذا الاتجاه إلا بنحو محدود جداً، ويمكن التحدث عن خدمة محدودة قدمتها إمارة بتليس للشرفخانين، حيث كان الكرد الذين يدخلون في خدمة الدولة يستخدمون اللغة الآشورية واللهجات الفارسية القديمة في القرون الأولى، واللغة العربية في القرون الوسطى وهي اللغة والأدوات الثقافية التي تستخدمها الشرائح الحاكمة، كما كانت هذه الشريحة الكردية تستخدم لغتها وثقافتها في علاقات الأسرة وفي العشيرة وفي الأوساط غير الرسمية وعندما تشعر بالحاجة إليها، وقد كان الدور التاريخي للطبقات الكردية المتعاملة مع الحكام سلبياً، فمن المعروف أن الكرد كانوا متقدمين على كل المجموعات الأثنية في الشرق الأوسط من حيث اللغة والثقافة الأثنية، والنقص الوحيد هو عدم استفادتهم من التكوينات والمؤسسات السياسية، ورغم ترك الكرد خارج المؤسسات السياسية استطاعوا مواصلة كيانهم بنحو دائم وهذا يدل على مدى قوة اللغة والثقافة الكردية، فكما أكدنا سابقاً إن المصدر الذي يطور اللغة والثقافة هو حياة الشعوب بذاتها، وتؤدي هذه الحقيقة دوراً مصرياً في تطور اللغة والثقافة والقومية، وبالمقابل نرى أن اللغة الأكادية والآرامية واللاتينية والهلمينية والعثمانية والتي استخدمتها الطبقات الاستغلالية الحاكمة كلغة نظام وتعليم لم تتخلص من النسيان والزوال بعد سقوط وزوال الطبقات التي كانت تستخدمها.

لقد عرف الكرد عبر التاريخ نظام ثلاث سلالات لقوميات حاكمية، فقد شكلوا ثقلًا في نظام السلالات الفارسية، حيث هناك قريباً ثقافياً ولغوياً مع الكرد بعد سقوط السلالة الميديّة، ومن العصر العبودي تم الدخول إلى العصر الإقطاعي ابتداءً من السلالة الأخمينية البرسية، والأرساكية البارثية وأخيراً الساسانية البرسية، إن اتخاذ الكرد الدور الثاني في النظام كأقرب أئنيّة إلى الفرس هو من الخصائص الهامة لهذا العصر، إن اللغة والثقافة والتاريخ المشترك كان سبباً في ذلك، لقد انشأ الكرد الموجودون في الساحة الإيرانية، إمارات وحكومات كثيرة في القرون الوسطى، ولعبوا دوراً هاماً في حركة المقاومة المزدكية والحراية والبابكية، حاول الكرد استخدام العثمانيين والصفويين في عصر السلالة الصفوية بسبب الخلافات التي وقعت بينهما، لكنهم لم يتخلصوا من أن يكونوا أداة بين الطرفين، إن رؤساء العشائر والشيخ هم المسؤولون عن هذا الوضع الذي استمر حتى أواسط القرن العشرين حيث شهد الكرد تخريباً عميقاً في تلك المرحلة، وتمتلك مؤسسة رئاسة العشائر والإمارات أفقاً ضيقاً يتمثل بالمصالح السرية كطابع لشخصيتها، ولا تتراجع عن القيام بالتمرد غير المتوقع أو الاستسلام بشكل متداخل، وتكون مفتوحة على أي استغلال عندما يتم تطبيق الألاعيب على أسرها، إن العلاقات التي بنتها هذه القيادات أكرهت الشعب على قبول النتائج المشابهة، فهي تقلل من شأن الشعب ولا تجعله أساساً وقاعدة لها، أما التحرير والحرية والعيش مع الشعوب الأخرى على أساس الأخوة فهي أمور غير موجودة لدى هذا النوع من القيادات ومؤسساتها، بل هناك التمرد والاستسلام أو العيش كالخدم في هذه المؤسسات، وقد أصبحت هذه الأمور صفة دراسية لديهم.

إن تاريخ علاقات المجموعات المنتمية إلى الجذور السامية مع الأئنيات الكردية قديم جداً، ويتم إثبات هذه العلاقات حتى عام ثلاثة آلاف قبل الميلاد، أي التاريخ المدون، أرادت المجموعات السامية التوجه إلى المناطق الجغرافية التي تضم الجبال والمياه والسهول والخضار والتي تسمى بالجنة مقارنة بالصحراء، وهذا يدل على الأساس المادي للقتال الذي استمر آلاف السنين بين القبائل السامية ذات الجذور الصحراوية والعشائر الجبلية ذات الجذور الآرية، واستمر هذا القتال في المدن السومرية مع اتفاق هذين العرقين أحياناً، واستمرت القبائل الهورية والعمورية بهذا الدور كاستمرارية لهذا الإرث، وتم إثبات ذلك من خلال التاريخ المدون، منذ عام ثلاثة آلاف قبل الميلاد تقريباً، أما الإرث الإبراهيمي فيظهر أمامنا بنحو مختلف وكتركيب وتحالف بين هذين العرقين ضد الطبقات الحاكمة والدولة العبودية، حيث نظرت كلتا الثقافتين بإيجابية إلى تجربة الشراكة بين كلتا الثقافتين، وثبتت البحوث العلمية الأخيرة هذه الحقيقة، إن إدراك أية مؤسسة على أنها مؤسسة تفوق العشيرة والقبيلة وعندما تجد مؤيديها في جميع المجموعات الأئنيّة، وارتباطاً بتلك الخاصية لقد ظهرت مؤسسة النبوة على أساس مناهض للمفهوم الإلهي للقبائل والأمة، وقامت بوضع بذور الفكر والاعتقاد الكوني من خلال معارضتها لمفهوم الملك الإله، وبذلك وجدت هذه المؤسسة معناً لها وتطورت كمؤسسة نبوة.

كانت الاعتداءات البابلية والآشورية تستند إلى نظام دولة العبودية في العصور الأولى وكانت ظالمة، وانتقلت مقاومة العشائر الكردية في هذه المرحلة إلى كثير من الفدراليات والكونفدراليات والدول المركزية، لقد مثل الهوريون والميتانيون والنائيرون والأورارتيون والميديون هذا الواقع على شكل مراحل متتالية، ونرى ميديا، كأقوى نظام مقاطعات في عصر البرسيين، وتحتل المكانة الثانية في المنطقة من حيث الأهمية، وشكلت مملكة كوماكين التي ولدت كتركيب للثقافة البرسية الميديّة والهلينية بعد الاسكندر مرحلة هامة بين أعوام ٢٥٠ ق.م - ٢٥٠ م، حتى كانت السلطات المحلية تحافظ على وجودها بدرجة هامة في هذه المرحلة، مع أن الولاة الرومان كانوا يؤدون دوراً مصرياً في ذلك، إن مملكة أبغار التي كانت للمجموعات

الكردية والآشورية تأثيراً فيها وكانت تتخذ أورفا مركزاً لها، ومثلت إحدى السلطات المحلية في تلك المرحلة، حيث كانت اللغة والثقافة الآرامية التي بقيت ميراثاً من الآشورية، لغة أممية سائدة في كل الشرق الأوسط في تلك المرحلة.

لقد أظهر الجناح الشرقي للمسيحية تطوراً سريعاً بعد عيسى، وتعد الآرامية لغة المسيحية التي ظهرت وانتشرت بين الكرد والآشوريين وحقت تفوقاً على الزرادشتية الساسانية الرسمية، وإقترب الآشوريين والكرد إلى بعضهم أكثر، حيث ادت المسيحية دوراً هاماً في هذا الأمر، وحدث تقارب مشابه بين الكرد والأرمن في المناطق الشمالية، وأصبحت ميزوبوتاميا العليا مركزاً قوياً لهذه العقيدة الجديدة، وادى الكهنة النسطوريون دوراً متقدماً في حياة الفكر بالافادة من الفلسفة الإغريقية، وولدت المانوية في هذه الأجواء، كما أحدثت البوذية ذات الأصل الهندي انتشاراً مشابهاً، ووصل تأثير البوذية حتى ميزوبوتاميا، وحاول ماني كميراث إيجابي للإرث الزرادشتي جعل عقيدة السلام والأخوة وأخلاقها مهيمنة على العالم، من خلال تكوين تركيب يضم كل أشكال العقائد والفكر، وكانت المانوية أقوى انطلاقة قبل الإسلام.

إن الهيمنة العربية التي بنيت فوق هذا التراث الغني، قامت بدور مشابه للدور الذي قام به البربر ضد الحضارة الرومانية، فقد كان العرب ضعفاء من الناحية الثقافية، وأقوياء من الناحية العسكرية، وقد عوضوا هذا النقص بالذوبان الثقافي، وأدت سيادتهم على التجارة إلى الغنى السريع، وإنشاء مراكز مدن جديدة، واحتلت اللغة العربية التي تطورت مكان اللغة الأكادية والآرامية، إن اللغة العربية هي لغة السياسة والدبلوماسية، وقد اكتسبت القدسية لأنها لغة القرآن، وحقت تفوقاً على اللغات والثقافات المحلية، وواصلت تأثيرها كلغة تعليم وثقافة وعلم مشتركة للطبقات الحاكمة حتى يومنا هذا وإن كان بتباطؤ، واستمرت السيادة السياسية للطبقات العربية الحاكمة حتى استلام السلاطين الأتراك هذه السيادة في القرن الثاني عشر، لقد وصل تأثير العرب الثقافي والسياسي على الكرد إلى مستوى متقدم، وتعربت نصف الطبقات الفوقية الكردية، وأدت اهتماما بإظهار نفسها على أنها تنحدر من جذور عربية ولها قرابة بالنبي محمد، وواصل الانسلاخ عن الشعب والإنكار القومي تطوره بنحو تقليدي، وكانت هذه المرحلة هي التي تزايد فيها الاغتراب عن الذات، وتطور الفرز الطبقي بالجذور الأجنبية مع هذا الاغتراب، ومن جهة أخرى سارت التطورات نحو التحول القومي على شكل لغة الشعب وثقافته في مجراها كتيار هام، ولم تسفر التطورات الدينية المختلفة عن عداوات كبيرة، كما حدث في أوروبا، وكان للتقارب الثقافي التقليدي تأثير كبير في هذا الأمر، وكان رؤساء العشائر والشيوخ والبارزون في مذهب ما هم الذين يحاولون التحريض على العدا بين المذاهب.

شكلت السيادة العربية أهم أسباب التراجع التاريخي في القرون اللاحقة، فرغم أنها أدت إلى بعض التطورات السياسية والتجارية والعلمية نظراً لأنها أنشأت أقوى مرحلة دوغماية، إلا أن مرحلة التراجع الأساسية كانت في عصر السلاطين الأتراك، ففي البداية تم إسكان الأتراك في القصور العباسية كعبيد وجنود مرتزقة في القرن التاسع والعاشر، والتزدي والتمزق الذي حصل في النظام العربي أدى إلى قوة تأثير القيايين ذوي الأصول التركية، حيث بدأ الأتراك يستقرون في المنطقة بنحو جماعي، بعد الهجرة الجماعية لقبائل الأوغوز في القرن الحادي عشر، حيث أنشئوا السلالة السلجوقية، واستلم السلطان السلجوقي طوغرول بيك السلطة في عام ١٠٥٥، وبذلك بدأ عصر جديد في الشرق الأوسط، أي عصر السيادة الرسمية للأقوام التركية، وسجلت هذه المرحلة تطوراً مع مرور الزمن وشكلت مرحلة جديدة في تاريخ الشرق الأوسط، حيث شهد السلاجقة انقساماً تقليدياً كسلاجقة الأناضول وسوريا والعراق وإيران، وكانت فرصة الانتشار متوافرة لسلاجقة الأناضول وكانوا أقوياء وأطول عمراً في مواجهة الرومان، وأصبحت الطبقة التركية العليا هي الدم الطازج وقوة توسع الإسلام.

إن الانقسام الذي شهدته الأقوام قد حدث بين الأتراك أيضاً، حيث تحولت الشريحة الفوقية للقبائل التركية إلى طبقة إقطاعية سنية حاكمية على شكل إمارات وسلطنات، أما الشريحة الفقيرة فقد عاشت في الجبال والسهول على طريقة تشبه الحياة البدائية القديمة لها كالتركان وبتفسيرات علوية بكداشية، لقد حصل الانقسام في اللغة والثقافة أيضاً، فبينما كان الأمراء والسلاطين يتحدثون اللغة العربية والفارسية في القصر، أصبح الشعب التركماني الفقير القوة الناقلة والمطورة للثقافة واللغة التركية، وأحرزت المركزية الإقطاعية في عهد السلاطين العثمانيين تطوراً حول السلاطين الأتراك، واكتسب التمثيل العثماني للشرق الأوسط معنى له كعصر انحدار كبير، وتزامن ذلك مع ولادة عصر الرأسمالية الأوروبية، ومنيت بالهزيمة في الحروب التي خاضتها ضد أوروبا، لأنها كانت تعتمد على حضارة الشرق الأوسط المتردة، بينما كانت الحضارة الأوروبية مزدهرة، وبعد العصر العثماني هو العصر الذي حقق فيه الغرب تفوقاً دائماً على الشرق، وأصبح الطريق الصحيح هو استيعاب الغرب وتجسيده وليس تصفيته، وتأخرت الإمبراطورية العثمانية عن إدراك هذه الحقيقة، ولكن الجمهورية التركية استطاعت أن تسير في هذا الطريق بعد أن تم إعلانها بقيادة مصطفى كمال.

لقد آلت الإمبراطورية المركزية الإقطاعية العثمانية إلى موقع التعصب والتخلف التاريخي، بينما الحضارة الأوروبية كانت تتطور خارج إرادتها، واستطاعت تحويل ذلك إلى واقع موضوعي، لكنها منعت دخول الاستغلال الرأسمالي إلى الشرق الأوسط باكراً، ومنعت تطور الاستعمار الكلاسيكي عن الشرق الأوسط والذي انتشر في كل أنحاء العالم، كان لهذا الأمر تأثير ذو اتجاهين، فقد أدت دوراً سلبياً في إطالة عمر الإقطاعية وقامت بمساهمة إيجابية عندما منعت الاحتلال الفيزيائي للمنطقة وقطعت الطريق أمام السلبات المحتملة، ومن الصواب تقييم هذه المرحلة كقرون ضائعة لشعوب وثقافات الشرق الأوسط.

لم تختلف علاقات الكرد مع إمارات السلطنات العثمانية عن العصر العربي، فقد بدأت السيادة السياسية تنتقل إلى السلالات التركية رغم أن التأثير العربي في اللغة والثقافة عند الشرائح الفوقية كان مستمراً، ولم تحدث سيادة بارزة على المجتمع الكردي في عصر الإمارات السلجوقية والأناضولية، وكان الكثير من السلالات ذات الأصول الكردية وفي مقدمتها المروانيون والأيوبيون والشرف خانيون، تمثل التطور الحر للإقطاعية الكردية، التي حققت تطوراً خاصاً بها إلى درجة هامة منذ القرن الثامن وحتى بدايات القرن التاسع عشر، حيث حقق الكرد تشكيلات سياسية كثيرة على مستوى الحكومات وشبه الدول، وإن لم يحققوا الوصول إلى دولة إقطاعية مركزية، وأسسوا العلاقات مع الإمارات والسلطنات التركية على أساس المصالح المشتركة، أكثر من إخضاعها بالعنف، وكانوا في موقع اقرب إلى مفهوم الدولة المشتركة إلى حد ما، ويشبه موقع الكرد هنا الوضع الذي رأيناه عند البرسيين في إيران، حيث أدى الكرد الدور الثاني الأهم في الإمارات والسلطنات التركية بعد القوم التركي، وكان هذا الدور مميزاً في التاريخ الكردي، لأن تحولهم إلى قوة احتياطية أساسية للقوة السياسية الموجودة إلى جانبها، وكأنه قدر له، يعد ذلك ضرورة لروح النظام العبودي والأقنان، ولذلك اسس طبقية، وهذا أمر ينافي الأخوة والتضامن الحقيقي بين الشعوب، ومعروف أن هذا الوضع قد أدى إلى عدم التوازن والاغتراب والقتال كضرورة لسياسة "فرق - تسد"، إن النتيجة الإيجابية الوحيدة لهذا الأمر، هو عدم إعطاء المجال للمجازر والنزوح في حالة التمرد والمقاومة غير المتوازنة.

تم تنفيذ هذا التوجه في عهد الإمبراطورية العثمانية بشكل واضح جداً، وتقييم ياوز سلطان سليم الذي يرى أن الهيمنة على الشرق الأوسط تمر عبر التحالف مع الإقطاعية الكردية، ولجؤه إلى الوفاق على مستوى متساوٍ، قد أدى إلى ممارسة

سياسة ناجحة استمرت حتى القرن التاسع عشر، حيث اقامت الإقطاعية الكردية حكومات وحكم ذاتي بشكل رسمي تتوارث فيها السلطة من الآباء إلى الأبناء وتم تسيير السلطة الإقطاعية المحلية والسلطة المركزية للسلطان بنحو مشترك، كما أستمر وجود العشائر الرحالة، وواصلت المقاومة العلوية والبيزيدية موقعها، كما واصلت الكيانات اللغوية والثقافية وجودها أيضاً، ولا يوجد أي شكل من الحضرة، والأهم من ذلك أن قبائل عربية وتركية كثيرة تعرضت للانصهار والذوبان في هذه البنى بسبب البنية الاقتصادية والاجتماعية القوية لتلك الكيانات، إن اكتساب اللغة والثقافة الكردية قوة الصهر والتذويب منذ المجتمع النيوليتي رغم السيادة السياسية للطبقة الفوقية العربية والتركية والموقع السلبي للعمالء الكرد ينبع من خصائصها القوية.

٤. الكرد في عصر الرأسمالية

رغم أن الكرد من أقدم شعوب العالم وأكثرهم إبداعاً في التاريخ ولكنهم يبدون وكأنهم لم يعيشوا التاريخ مطلقاً، ويظهرون امامنا كعلة في عصرنا، تحيل أنك بمثابة المهمل الذي ترعرع فيه التاريخ والأم التي اعتنت به، ومع ذلك فأنت ضحية لأسوأ خيانة بسبب تقييمك كشعب بمواقف عصرية عديمة الرحمة لا تولي أهمية للقواعد أو للأخلاقيات، تُسلب كافة حقوقك الإنسانية التي لا يمكنك تبني هويتك من دونها، وفي الوقت نفسه يعلنونك ككيان بشري مجرم، تتفانى في خدمة الجميع ولكنك لا تجد مهرباً من لعناتهم المستمرة، تحب أن تكون مائثلاً للإنسان المعاصر، ولكنك لا تستفيد من أية قيمة عصرية في الجوهر، ولا يسمح لك بأن تكون حتى عبداً مثل شعوب العصر الحديث الصفراء والسوداء والهنود الحمر، في وضع كهذا تجد نفسك وجهاً لوجه أمام كردية نُصّب لها فخاً ووقعت فيه لدرجة يستحيل أن يكون لها مثيل، إنهم ينكرون وجود الكرد، ويدّعون بعدم وجود ظاهرة كهذه، ولكنهم يشعرون بالخوف منها، فهل يمكن أن نخاف من شيء لا وجود له...؟ عندها ستقول نعم إنهم موجودون ولهم جميع الحقوق مثل كل المواطنين، ولكنك بالوقت ذاته تحرّمهم من التحدث بلغتهم بحرية التي لم يبق منها إلا الشيء النذير، إنها ولاشك المسألة الأصعب تحليلاً في عصرنا الحديث.

يعد عصر الرأسمالية الذي منح الوعي الوطني للأقوام والمجموعات الأثنية لتنهض بحماس، مرحلة مرض مستعصٍ لا يمكن علاجه بالنسبة للكرد، إنهم ينظرون إلى فقدان آمالهم وأحلامهم الحياتية للصفة الوطنية والاجتماعية، وغوصهم في أسوأ شكل للجحالة، وعجزهم عن تعريف أنفسهم ووقوعهم في حالة يستطيعون فيها أن يقتلوا بعضهم بعضاً من أجل دجاجة في الوقت الذي لا يحركون فيه ساكناً من أجل حقوقهم، إنهم ينظرون إلى كل هذه القضايا على أنها قدر لا مفر منه، وبتعريف آخر أنه يمكن شرح الظاهرة الكردية والمسألة الكردية بنحو أفضل، حينها نجد أن هذه الظاهرة تعيش في وضع أبعد من كونها مسألة وطنية.

حقيقة إن عصر الرأسمالية هو العصر الذي بدأت فيه البيقطة الوطنية وتأسست فيه دول وطنية كثيرة، كما أعطى أملاً بإيجاد الحلول للكثير من المجموعات الوطنية والاجتماعية التي ظلت على مستوى القضايا، وإذا لم يتم حتى الآن تحقيق تعريف أو سبيل حل ناجح بالنسبة للكرد، فإن سبب ذلك كامن في الظاهرة الكردية نفسها وهذا هو التفسير الصحيح للوضع القائم، فالتجزئة الكبيرة والتشتت وتعسف العدو والعجز عن وضع الاستراتيجية والتخلف الاجتماعي، وكل هذه الأسباب ليست مقنعة على أرض الواقع، فحتى لو كانت صحيحة فهي لم تؤد إلى نتيجة ناجحة، لأننا إذا اقتنعنا بوجود مشكلة في مكان ما وهي في حالة استغاثة، فإن الشيء غير الموجود في هذا المكان هو الحل، إن التشخيص الخاطئ

والناقص هو الذي يكمن في أساس كل تعقيد وهذا جانب أساسي.

وإذا ما انطلقنا من خلال تعريف حزب العمال الكردستاني PKK، باعتباره منظمة تحرير وطنية معاصرة، نجد أننا كنا نؤمن بمقائنا الذاتية كما يتم الإيمان بالقرآن، وكنا على ثقة بأننا سننجح، ولكن الحقيقة التي ظهرت مثلما رأينا في النموذج الاشتراكية المشيدة، فبالرغم من أنها حكمت ثلث العالم، وبالرغم من أن هذا النظام لم يستطع التخلص من دوغمائياته، وبالرغم من أنه استمر نظاماً لدولة أو لدول قوية على مدى سبعين عاماً، لم تستطع أن تحمي نفسها من الانحلال، إن هذا الموقف لا يعني بأن النظام الرأسمالي على حق، بل على العكس من ذلك، لم تُضع التعريفات الكافية والصحيحة للمشكلات التي نجمت عنها، كذلك كانت الحلول التي طرحتها لا تبعث على الثقة كثيراً، ومرة أخرى يجب ألا يفهم من ذلك بأنه يجب التوقف عن بذل الجهود من أجل الحلول، لأن العلمية في جوهرها الثوري تؤكد على البحث عن الحل بإصرار وتحقيقه، وتؤكد أنه في حال إثبات خطأ أو عدم كفاية موقف وممارسة ما، فإنها تؤكد بإصرار على وجود الحل الأصح والأكمل و يجب العمل على إيجاد هذا الحل وتطبيقه بإصرار، إن هذه الحقيقة لا تعني التردد، بالرغم من كل الآلام والخسائر، بل تعني أيضاً لقد مجمل الأحداث التي تم معاشتها من أولها إلى آخرها بعمق لأجل تصحيحها، ويعني أيضاً إحياءها حسب معايير الحق والخير والجمال التي نتوق للوصول إليها.

إن الدوغمائية الناجمة عن العلم ليست أقل تخريباً من الدوغمائية الناجمة عن الميثولوجيا والدين، وبالتالي إذا لم يتم الانتباه فإنها لن تتردد عن فتح الطريق أمام نتائج خطيرة جداً، إن مجريات الحوادث في القرن العشرين تبين أنها أدت إلى ممارسات هي الأكثر إبلاماً ودموية في التاريخ، وهنا تظهر أماننا خطورة الموقف الوضعي، حيث كانت تزعم ماييلي: إن عصرنا هو العصر الذي يسيطر عليه العلم، وبالتالي، فإن كل شيء ينفذ استناداً على العلم سيكون صحيحاً وعادلاً، وحسب هذا التعريف فإن هتلر من أكبر الوضعيين، ولكن لا أحد يدافع عن صحة وعدالة وأحقية ما قام به باستثناء حفنة من المتطرفين، ويمكننا أن نبين بسهولة أن الدوغمائيات التي استندت على الوضعية، قد أدت إلى أخطر ممارسات في التاريخ، ولا نزع من ذلك ضرورة الشك بالعلم، بل على العكس تماماً، فإذا كان الهدف هو سعادة الإنسانية وعندما تقتضي العلمية ضرورة إدارة أصعب موقف، عندها يجب الشعور حتى النهاية بالمسؤولية نحو أي سلبية مهما كانت اعتيادية في هذا الموضوع، فإنها تؤدي بالمنطق إلى ضرورة تغيير المنهج مع نتائجه الفلسفية والأخلاقية كافة، خاصة وأن العلمية الموجودة في عصر الرأسمالية والاشتراكية المشيدة المتوحشة، تقتضي الاستحوا، ولا يقطع الأمل من إيجاد حلول للمشكلات الحالية المتفاقمة إذا لم يتم ذلك، علماً بأنه لا يمكن أن يكون مصير العلم بالنسبة للإنسانية على هذا الشكل، إن هذه المرحلة هي مرحلة فتح الباب على مصراعيه أمام حل متقدم على الأزمنة كافة، بل يعني فتح الباب أمام الخلود، إن الحاجة إلى العلم مع هذا النقد يقتضي الإيمان بنحو أكيد بوجود فرصة لحل المشكلات المتأزمة الخاصة بالجمتمع الإنساني.

إذا تناولنا الظاهرة الكردية والنتائج التي أدت إليها من خلال هذه النظرة، نجد أن الموقف العلمي يقتضي التوصل إلى صدق من المستوى الأصيل والمبدع الذي من شأنه الإمساك بالحل العملي، إن محاولة تحليل النظام الرأسمالي ضمن الإطار التاريخي مرة أخرى بعد ثلاثين عاماً، لا يعني العودة إلى البداية، بل يعني أن نكون لائقين بالإنسانية وبجميع شعوبنا بالقدر الذي يقتضيه التزامنا بذكرى الآلام والخسائر الكبيرة، والمساهمة بالجهود التي تبذل في سبيل الحرية والمساواة،

مسلحين بإيمان النجاح المطلق، وأن ننفذ مهمتنا المقدسة ضمن الشروط كافة بنحو أخلاقي ومتكامل.

لقد أثرت موجات عصر الرأسمالية المتصاعدة في الشرق الأوسط ابتداءً من بدايات القرن التاسع عشر، فقد كانت الإمبراطورية العثمانية التي كانت تمثل المنطقة قاصرة عن فعل أي شيء أمام التفوق الاقتصادي والسياسي والعسكري، وكان عليها إما أن تقبل بتفوق النظام وتخضع نفسها إلى إصلاحات جذرية، أو العمل على إنقاذ نفسها بنحو آني بواسطة مقاومة يائسة ومتعصبة وعن طريق التوازنات السياسية، والذي حدث أنها بدأت تتأرجح بين هاتين النزعتين، وبعد مائتي عام لا زالت المنطقة لا تستطيع الخروج من هذه الدوامة، فلا تلك وجدت مخرجاً تقدم البديل، ولا تلك استطاعت أن تختار إصلاحات واعية وتطبقها بتصميم، وقد أدت بنية الحضارة التقليدية للمنطقة مع قوى التوازن الداخلية والخارجية دوراً أساسياً في ذلك، وكانت كل مهارة السلاطين العثمانيين، تكمن في إطالة عمرهم أكثر من خلال لعبة التوازن هذه.

وقد تزامن تشتت التوازن الخارجي في المنطقة مع انهيار الإمبراطورية، فمثلما أدت انتهاء المؤسسة الأوروبية بقيادة بريطانيا إلى اختلال التوازنات التي فجرتها الحرب العالمية الأولى ضد ألمانيا، والإمبراطورية العثمانية التي كانت متحالفة معها لم تستطع تخليص نفسها من التشتت أيضاً، وبات الشرق الأوسط برمته وجهاً لوجه أمام ظروف الاستعمار، ووقف الشرق الأوسط الذي كان يغذي أوروبا على مدى خمس عشرة ألف سنة بتجهيزاته المادية والمعنوية أمام هزيمة كاملة، ومن الأجدى بنا أن نستبدل كلمة الهزيمة حين وصف هذه المرحلة بالقول: إن هذه المرحلة جعلت المنطقة تتعرف على تفوق الحضارة الغربية، إذ أن بعض الحضارات تؤدي في جانب ما، دوراً محدداً من حيث قدرتها على الإبداع والتطوير أكثر من وقوفها بمواجهة بعضها بين غالب ومغلوب، لأن جانبها الذي يخدم الصداقة والتطور يغلب على الجانب الذي يؤدي إلى العدوانية والتخلف، وتضاد الحضارات وإظهارها على شكل مفاهيم معادية، هي قواعد خاطئة ومبالغ فيها، لا شك بأنه كان لهذه الحضارات جوانب متصارعة فيما بينها، أدت إلى العديد من الحروب، ناهيك عن أنها في حالة تكامل مع القوانين الديالكتيكية "وجود وحدة الأضداد"، لا يمكن إظهار التأثير المتبادل بينهما واعتباره تدمير إحداها للآخرى، بل الأصح أن هذا التأثير يتميز بقدرته على خلق تركيب ذو مستوى عالي من شأنه خلق نوع ثالث مكان هاتين الظاهرتين المتصارعتين، ومثلما ظهرت كافة التطورات الكونية ضمن سياق هذا القانون، فكذلك يصح هذا القانون على ظواهر التحول والتبدل الاجتماعية، وضمن سياق هذا القانون الكوني أيضاً يمكن وضع صفة لصراع الحضارات وتحولها الذي يعبر عن مسار قانون كوني، إن الأساس في ذلك ليس بقيام أحدها بإلحاق الهزيمة التامة بالآخرى وتدميرها، بل الوصول إلى تركيب عالي المستوى، وكون أحد الأطراف سائداً لا يعني حسب جوهر هذه الحقيقة وهذا القانون، إنه سيقوم بإزالة الطرف الآخر وتبديله، بل سيرز جوانبه السائدة.

وإذا نظرنا إلى الموضوع ضمن هذا السياق، نجد أن التفوق الذي اكتسبته الحضارة الأوروبية أمام قيم الحضارة التقليدية للشرق الأوسط هو حقيقة واقعة، ولكن لا يمكن تقييم هذا مجموعه على أنه يعبر عن هزيمة أو عن سلبية ما، ولا يصح هذا التقييم إلا عند العناصر الرجعية والمتعصبة التي لا علم لها بالأسس الحضارية لذاتها، والتي تقف في وضع على وشك التلاشي والزوال، ولهذا السبب نجد إنها أتمت عمرها وأصبح زوالها أمراً لا بد منه، وأما بالنسبة للكيانات الاجتماعية التي تتصف بالدعومة، فإنها تستطيع الدخول في تركيب عالي المستوى عن طريق التغذية بالقيم الأخرى، يوجد

في ميراث الشرق الأوسط الحضاري الكثير من العناصر التي يجب أن تنزل، وفي الحقيقة يجب رميها في مزبلة التاريخ، ولكن يوجد في الوقت نفسه خصائص تميز بالديمومة، ومرشحة للدخول في التركيبات الأرقى، إن المقاومة التي تظهرها هاتان الخصوصيتان، لا تشبه المقاومة الرجعية والمتعصبة، بل على العكس من ذلك، أن المقاومة الجهورية العادلة المصرية والتي تمتلك القدرة على تحقيق النقالات النوعية، تشكل أساساً للتطورات التاريخية، كذلك يوجد في الشرق الأوسط وإن كان بنحو محدود حسب هذا الأساس، وضع أشبه بالأطروحة المضادة وتواصل مسيرتها بإصرار. إن الذين دخلوا في مقاومات يائسة وخائفة أمام تطور الحضارة المتفوقة، سيشكلون فئة واحدة مع الذين استسلموا في وقت قصير وارتضوا بوضعهم كخدم، وهؤلاء هم الفئات المحلية والزائلة، ومقابل ذلك هناك الفئة التي دخلت في وفاق مع القيم التطورية للحضارة الأرقى ومثلت هذه القيم، ولكنها في ذلك الوقت قاومت ضد الجانب الذي يؤدي إلى هيمنة وتفوق أحادي الطرف، ويقاومون جوانبها التي تتطلع إلى إزالة الطرف الآخر وهم الذين يمثلون الشرائح التقدمية الدائمة، وبهذا المعنى يمكن تعريف التاريخ على أنه تقدم بواسطة الصراع والوفاق لأجل تشكيل التركيبة الجديدة، ويعد هذا الموقف أكثر علمية، إن وجود الصراع والوفاق الحضاري والتقدم نحو تشكيل تركيبة جديدة بين أوروبا والشرق الأوسط عبارة عن موضوع راهن يتم متابعته بكل حماس من خلال الأحداث والتطورات اليومية.

ضمن إطار هذه العملية، تكون حرب التحرير الوطنية التي تطورت بقيادة مصطفى كمال معتمدة على الإرادة المشتركة للشعبين التركي والكرد، هي حرب تقدمية ودائمة، وتبنت الخصائص الإيجابية للحضارة الأوروبية، ولكنها وقفت ضد جانب هذه الحضارة المعتمدة على السيطرة والتحكم في الجوهر، واستمدت قوتها ونجاحها من هذا الجوهر العادل والتقدمي، بالإضافة إلى ذلك فقد كان لها جانب متناقض شكل عائقاً ووقف ضد الخصائص التي كان من شأنها أن تقدم خدمات في تقدم الجمهورية التركية، فبالرغم من أن الجمهورية كانت ناجحة وعلى حق عند تأسيسها في مقاومتها للعناصر الرجعية والمتعصبة والعناصر الزائلة، إلا إنها لم تكن على حق وفشلت في عدم إعطائها جواباً لقيم ومطالب الشعب الدائم التي يرغب بإحراز تطور وتقدم أفضل، وفي الوقت الذي ادت فيه دوراً إيجابياً في تجاوز بقايا الإقطاع، فقد ادت دوراً سلبياً لعدم استطاعتها تحقيق عملية تحول ديمقراطية، بسبب الأجوبة الشوفينية التي قدمتها أمام تطور القيم الدائمة للشعوب، وإن عدم وصولها إلى سرعة تقدم عالية، مرتبطة أشد الارتباط بهذا الشكل المتناقض الموجود بداخلها، وطالما لا يتم طرح حلول إيجابية وبالاتجاه الديمقراطي لهذا التناقض الذي يعد سبباً أساسياً للأزمة المتعمقة والمتعددة الجوانب التي تزداد تفاقمًا في يومنا هذا، فمن المؤكد بأنها ستستمر وهي حاملة أسباب تفسخها وإخلالها في داخلها مع مرور كل يوم، وفي الوقت الذي يظهر أماننا التناقض الذي كان موجوداً عند تأسيس الجمهورية بإبعادها السلبية كافة من خلال الأزمات الحالية، فإنه يطرح ضرورة إيجاد حل ضمن الأساس الإيجابي، وطالما لا تطرح حلول لهذا التناقض، فإنه ومهما تم استخدام مناهج ماهرة في كتمه والتعتيم عليه، فلا يوجد مثال كالوضع المتأزم الذي تشهده تركيا، ولديه القدرة على البرهنة بأن هذا التناقض أشبه ما يكون بالزلازل، ولا يوجد أي شيء يمنعه من الخروج من تحت الأرض لكي يعبر عن وجوده من خلال الأزمات التي تعيشه تركيا في أعوام الألفين.

تشهد بلدان الشرق الأوسط الأخرى التي لها النمط التركي نفسه وتحديثه بشكل متأخر وتنفيذه ضمن مجال ضيق، تناقضات مشابهة للتناقض الذي تحدثنا عنه وهي تناقضات أعمق، إن الدول العربية التي يسيطر عليها بقايا نظام

الإقطاع، تلقت قليلاً من التربية على يد الحضارة الغربية لتواصل وجودها بنحو مستسلم تماماً، ويسري ذلك في الدول ذات الحكم الملكي والأميري، ومثلما لم يستطع الداعون إلى الحداثة والذين ظهروا بمزاعم تحولات متطرفة والحركات التي تعتمد في أساسها على البرجوازية الصغيرة، أن يتجاوزوا النظام الإقطاعي، كذلك لم يستطيعوا أن يبلوروا توجهاً واضحاً نحو تحقيق ديمقراطية منسجمة وكأنهم لم يستطيعوا أن يؤدوا أي دور أكثر من أن يكونوا ملكية معاصرة، وبذلك لم يستطع هؤلاء أن يكونوا ذو قدرة على تأسيس أي رابطة ذات معنى سواء مع الأسس التاريخية للشرق الأوسط أو مع المعايير الديمقراطية التي توجهت إليها الحضارة المعاصرة، بل اكتفوا بسياسة أساسية معتمدة على التوازنات الدولية قوامها حركة إنقاذ آتية باستخدام القومية العربية ضد القومية الإسرائيلية، لذلك تعاني مجتمعاتهم من صراع مرير ضد المشكلات الاقتصادية والسياسية والديمقراطية والثقافية والاجتماعية التي تتفاقم يوماً بعد يوم، ولم يستطيعوا إظهار الأهلية أو الموهبة الضرورية في تمثيل الخصائص الإيجابية للحضارة الغربية وإظهار أصالتهم الذاتية، حتى وإن لم يظهر وضع النمط التركي المتناقض الأكثر عمقاً في هذه الدول بنحو واضح بسبب عائدات البترول، فإنه سيبر عن نفسه على شكل انفجارات اجتماعية كبرى مع الانخفاض في الدخل، وسيواصل وجوده حتى يتم خلق الحلول الخاصة به على أساس إيجابي باعتباره وضعاً راهناً، وذلك إما عن طريق التحول الديمقراطي الكامل أو بالتفسيخ والتأزم المستمر.

وأما بالنسبة لبقية الدول مثل إيران وباكستان وأفغانستان، فإنها بالرغم من كل التناقضات التي تعيشها، تشهد وضعاً مشابهاً، فلقد شعرت هذه الدول بم حاجتها للإسلام عندما لم تنفع معها المناهج الكمالية التي جربوها منذ بدايتها وحتى الربع الأخير من القرن العشرين، و يعبر هذا الوضع عن فشلها وهزيمتها أمام الحضارة الغربية، كما أن الجهود التي بذلت لتجاوز الوضع الاستسلامي القائم عن طريق ردود الفعل الإسلامية، لم تستطع أن تفعل أي شيء أكثر من وضعها خارج حدود العصر كما يلاحظ في النموذج الأفغاني، أما الصراع الدائر بين الطغمان الحاكمة من عسكرية ومدنية تحت الستار الإسلامي في باكستان، لم تستطع إيجاد مخرج ناجح، إذ أن الوضع القائم لهذه الكليشات لا تعبر عن أي شيء أكثر من كونها مؤسسات أوليغارشية رجعية، وبالرغم من نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية التي ظهرت على شكل ردود فعل شعبية ضد نظام الشاه الاستسلامي والمتأزم، فإنها تشهد الآن مشكلة أساسية في مسألة التحول الديمقراطي، من الملاحظ أن هذه الدول لم تستطع الخروج من التناقضات العميقة التي تشهدها، لأنها لم تعتمد في مواقفها الإيديولوجية والسياسية التي جربتها على الثوابت الحضارية الديمقراطية لأجل الوصول إلى الجوهر، سواء أكانت مستترة خلف القومية أو الاشتراكية المشيدة أو خلق الستار الإسلامي، ولهذا لم تستطع التخلص من تناقضاتها العميقة، وهكذا نرى أن على دول الشرق الأوسط كافة، إما أن تلتقي مع المعايير الديمقراطية وتتواصل بجوانبها الإيجابية مع الحضارة المعاصرة، وبذلك تجد حلولاً لتناقضاتها وتبدأ السير في طريق التقدم، أو تتابع الأساليب التي جربتها حتى الآن وتعمق أزماتها، وبذلك تبقى ضمن حدود الاستسلام.

لقد كان جانب الاحتلال الاستعماري هو الغالب على أوروبا، وتسارع في بدايات القرن التاسع عشر، اذ كان العامل المحرك الأساس في ذلك هو الهيمنة والطمع اللامحدود من أجل الربح، وكان الهدف الأساس هو الانتصار على الشرق الأوسط وإرضاعه، لقد قابل الكرد هذا الشكل الجديد من الاستعمار الذي يعرفونه سابقاً منذ العصور الأولى والعصور الوسطى، في الفخ الذي أوقعهم فيه، حقيقة إن "المصيدة الكردية" من المصطلحات السياسية الواجب تحليلها

بنحو جيد، حيث تمتد جذور هذا الشرك / الفخ/ حتى عهد الاستيطان السومري، حيث تم إعداده بكل عناية وخبرة، وهدفنا من الإطار التاريخي الذي رسمناه سابقاً، هو شرح هذه المصيدة ومحاولة تحديد عوامله الأساسية، ولن نكرر ما شرحناه سابقاً، بيد أن المصيدة الأكثر خطورة هي التي تم تعزيزها بيد الرأسمالية الغربية، ولذلك فإن تعريف تحليل الأسس التاريخية " للمصيدة الكردية" بالإضافة للمصيدة التي تم اعدادها اعتماداً على الرأسمالية، يكتسب أهمية كبيرة، فماذا تعني هذه المصيدة التي تم نسجها وتقويتها من جديد منذ مائتي عام ؟.

الجانب الأول، انه بدلاً من إسقاط الإمبراطورية العثمانية الذي سيؤدي إلى وضع لا يمكن الخروج منه ولا يمكن إنقاذه، قام النظام الرأسمالي بربط السلطان العثماني وشريحة مهمة من البيروقراطيين بنفسه، ووجد أن ذلك يتوافق ومصالحه، وبواسطة هؤلاء استطاع أن يطور سيطرته على المنطقة من جهة، وأن يؤدب الشعوب المتمردة من جهة أخرى، وأول من جرب هذا الأسلوب كانت بريطانيا وبهذه الطريقة أطالت عمر الإمبراطورية العثمانية مائة عام، وكانت مواقف فرنسا وألمانيا مشابحة من حيث الجوهر لهذه الطريقة، ولم يكونوا يعكسون الخلافات الموجودة فيما بينهم على التوازن الموجود في الشرق الأوسط، حيث كان السلطان المرتبط بهم جيداً والبيروقراطية المقسمة فيما بينهم هي الأكثر تلائماً لمصالحهم وأهدافهم في القرن التاسع عشر، وهكذا كان أفضل طريق بالنسبة لهم هو ضرب المعارضين لهم بالعصا العثمانية حتى يكون قد تحقق لهم التوسع خطوة بخطوة، وبهذا النحو تم تقوية ذراع المصيدة.

وأما الجانب الثاني والأهم، أو ذراع المصيدة: فقد تم تطويرها اعتماداً على الشعوب ذات الأصول المسيحية، وأدعى الاستعمار الغربي أنه يعمل على إنقاذ هذه الشعوب مثل الروم والأرمن والآشوريين، بمصيدة هي أخطر طريق لتصفية هذه الشعوب في المنطقة، وقد تم تحويل كافة شعوب الشرق الأوسط إلى ضحايا هذه اللعبة، وبذلك تم تحويل التقليد الذي كان سائداً في بعض الأزمنة والذي يعتمد على تضحية الآباء بأبنائهم لرد الكوارث، إلى التضحية بالشعوب ولكن هذه المرة ليس من قبل الآلهة بل من قبل أبناء الجنس الواحد الذين يدعون بأنهم أصدقاء، ويقوم المستعمرون بواسطة حفنة من العملاء بتهجير الشعوب من أوطانها التي بنتها على مدى آلاف السنين، وبسلحهم عن ثقافتهم وتحويلهم إلى أعداء لبعضهم بعضاً.

إن وضع الكرد في هذه اللوحة أشبه ما يكون بالكابوي، حيث سيكون الآلة الأكثر استخداماً من غيرها من قبل صنف المستعمرين كافة، وسيؤدي الكرد الذين سيتم استخدامهم كملقط، اعتباراً من بداية القرن التاسع عشر، دور الرافعة من أجل ربط الحكام الأتراك والعجم والعرب بالإنجليز بنحو خاص، ويتم تطبيق سياسة "دع الكلب يفتك بالكلب" أو سياسة إصابة أكثر من عصفور بحجر واحد، فمن جهة يكسبون عملاء كرد ومن جهة ثانية يعززون تبعية الحكام الأتراك والعجم والعرب، الذين يخافون الكرد، ومن جهة ثالثة يجبرون الشعبين الأرمني والآشوري، اللذين يتعرضان لضغوطات وقمع العملاء الكرد الإقطاعيين، على اللجوء إليهم، وقد كان السلاطين والشاه والملوك يلعبون هذه اللعبة على المستوى الأدنى، أي أنهم كانوا ينفذون سياسة "دع الكلب يفتك بالكلب" ضد الفئات المعارضة لهم، وأما الشعوب التي وقعت ضحية لكل ذلك، فلم تؤدي أي دور باستثناء تطبيق ما يؤمرون به، والقيام بمتطلبات اللعبة.

بالرغم من أن الكرد كانوا على رأس ضحايا المصيدة، فقد أوقعوا كافة شعوب المنطقة في المصيدة، مبرهينين على المثل القائل "ما تفعله ببارك ستره في ديارك"، وقد أدى افتقار الكرد إلى الإمكانيات الإستراتيجية، والانقسام المتطرف وعدم

قدرتهم على توحيد قواهم إلى أن يكونوا أداة رخيصة لهذه اللعبة، إن المواقف الرأسمالية للركض وراء الربح الذي لا يعرف أية قاعدة . وقد اتبعت سياسات مشابهة في التاريخ . كل ذلك أدى إلى وقوع الشعوب في مواقع سلبية جداً، حتى وإن كانت اللعبة تستند إلى أسس فلسفية فمن الممكن أن ينطبق على ذلك المثل القائل "أهرب يا أرنب والحق به يا كلب الصيد"، وهكذا تستخدم الأطراف التي ترى بأنها تسبب مشكلة لها، حتى الرمح الأخير، وترهقها، وفي النهاية تؤدي دور المنقذ كي تستخدمها من جديد وقت الحاجة، وعندما تحدثنا عن الكابوي فقد كنا نقصد هذه الحقيقة المؤلمة، لا شك أن طابع العمالة الذي اعتادت عليه الطبقة الكردية العليا، كان عاملاً هاماً في ذلك، وقد شكل وضع الشعب الغارق في الجهل وتشنته وصراعه الداخلي المستمر الذي تم تحريضه، أرضية مناسبة لذلك، لقد طبقت هذه اللعبة على كافة الحركات المتمردة الكردية، التي تصاعدت تحت ظل الاستعمار الرأسمالي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ونجحت اللعبة في مهمتها، إذ أن الأسباب العادلة للمتمردين لا تعبر عن شيء، فالمهم هو لصالح من كانت نتائجها، ومن هم أكثر المستفيدين منها.

إذا تمرد الكرد ويحثوا عن حقوقهم، كان ينتهي إلى نتائج مؤلمة، وإن لم يبحثوا عن حقوقهم وراوحو في مكانهم كان يتعرضون إلى ما هو الأسوأ منه، وهذا ما نقصده بالوقوع في المصيدة، قليلة هي الشعوب التي عانت كوارث مشابهة للتي عانى منها الكرد، فإذا كان التاريخ سيفيد الكرد في شيء، فهو مرغم على تحليل هذه الحقيقة على الأغلب، وإذا أعطينا بعض الأمثلة فإن الأوضاع ستصبح مفهومة بنحو أفضل.

ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر، قام الإنجليز بالاستلاء على العراق بسبب البترول والثروة المعدنية المحتملة وطريق الهند، وقاموا باستخدام الكرد والعرب والآشوريين ضد السلطة التركية، بل الأسوأ منه استخدموهم ضد بعضهم البعض وجعلت من ذلك سياسة أساسية لهم، فهي حرضت الكرد أولاً بحجة أنها تساندوهم، ما دفع بالسلطة التركية إلى أحضان الإنكليز، أما الآشوريون فقد كانوا يرون أنفسهم حلفاء طبيعيين لهم بسبب المسيحية، أما العرب فقد كانوا العملاء الذين لجئوا إلى أحضان الإنكليز أكثر من غيرهم، ومع الوصول إلى أعوام ١٨٥٠، كانت قد تمت ممارسة الفصل الأول من اللعبة بنجاح بالتمرد الذي حدث في ظل قيادة "بدرخان بك"، وحقق الاستعمار الإنكليزي تقدماً كبيراً، بينما فقدت السلطة التركية قوتها بنسبة كبيرة، ووجد العرب أسيادهم الجدد، واستيقظ حلم مزيف لدى الآشوريين، أما الكرد فقد باتوا في مواجهة الإبادة والسحق كأكثر ضحايا اللعبة معاناةً.

أما في النصف الثاني للقرن التاسع عشر، انتقلت اللعبة إلى إيران هذه المرة مع "التمرد النهري" الذي بدأ بقيادة سيد طه، وتحققت النتيجة نفسها، حيث اقترب نظام الشاه في إيران من نظام الإنكليز الاستعماري، ووصل الآشوريون إلى مرحلة أصبحوا فيها عالة على غيرهم، وأما الكرد فقد وصلوا إلى نهاية مؤلمة وتعرضوا للسحق من جهة، ومن جهة أخرى وصموا بالمتوحشين ليحلوا محل المجرمين.

وأما الحادثة الأكثر إبلاماً، فقد تمثلت في التمرد الذي قام بقيادة الشيخ سعيد عام ١٩٢٥، فقد أرادت إنكلترا أن تبقى منطقتي الموصل وكركوك خارج الميثاق المالي، بينما تسعى الجمهورية التركية بقيادة مصطفى كمال إلى إبقائهما ضمن حدود الميثاق المالي ولا تتخلى عن حقها في المنطقة، كان الأتراك والكرد يرغبون بتطبيق ما يقتضيه الميثاق المالي، في هذه الأثناء تدخلت اللعبة الاستعمارية الإنكليزية ذاتها، وكانت كافة الترتيبات جاهزة لضرب أكثر من عصفور بحجر واحد، إذ

يُعلن الإنكليز عن رغبتهم بدعم الكرد الذين شعروا بقربهم منهم، ويروجون لآمال مزيفة، ليشق الكرد بهم إذا أرادوا القيام بتمرد محتمل، ويتفقون من جهة أخرى مع الحكومة الكمالية، وبذلك تتحقق أعمق تجزئة في تاريخ الكرد وكردستان وتكون العراق من نصيبهم، ويقربون تركيا الكمالية التي كانت تشهد أصعب مرحلة في تاريخها منهم، ويجرضون الجمهورية ضد الكرد ليقحموها في أخطر مأزق، وبذلك يكونوا قد نجحوا مرة أخرى في إتمام سياسة "فرق . تسد" أو "دع الكلب يفتك بالكلب" أو "أهرب يا أرنب وألحق به يا كلب الصيد"، ويكونوا قد أصابوا عدة عصافير بحجر واحد، وتنسى الجمهورية الكرد الذين كانوا حتى مدة قريبة يعدون حلفاءها الاستراتيجيين في أصعب مراحلها، وتعدم قادتهم، وبذلك تكون قد اعتقدت بأنها حلت مشكلة تاريخية، وتلجأ لسياسة القمع والإنكار، وتبني سياسة أكثر تخلفاً من العثمانيين، فتسقط في مشكلة ستعقب كثيراً في حلها، وبذلك ليس الكرد فقط، وإنما يكون الأتراك والجمهورية قد سقطوا في هذه اللعبة، إذ أن الإمبريالية والاستعمار لا يلعبون على طرف واحد، فالقاعدة تقتضي الادى دائماً على الطرفين في كل وقت، وتقرر لصالح الطرف الذي سيحقق لها المصلحة الأكثر.

وتتم تجربة اللعبة السياسية نفسها على إيران والعراق أعوام ١٩٢٠ . ١٩٢٥، فبينما كان إسماعيل سمكو بمكانة بيدق حرب كل قوته، اعتقد بأنه استطاع أن يستخدم هذه القوة، وبالرغم من كل الامكانات الكبيرة، سببت له هذه الذهنية أسوأ الخسائر، ولأنه لم يستطع أن يقيم بنحو صحيح الاستخدامات التكتيكية الهادفة في زمنها المناسب وبالشكل الكافي، يتسبب بحدوث أسوأ الكوارث للأشخاص والحركات وللشعوب الذين تم استخدامهم.

تنتهي كردستان العراق بقيادة محمود برزنجي إلى النتيجة ذاتها، إذا لم يتم التمكن من الوصول بالاستخدامات الموحدة في المجال التكتيكي الضيق إلى نتيجة تعتمد على القوة الذاتية، فلا يمكن التخلص من العواقب السلبية المنتظرة، نحن لا نوجه الاتهام إلى قيادات التمرد ولا نغض النظر عن أعداء الشعب الذين هم المخططون الأساسيون، بل على العكس من ذلك، نؤكد على وجوب خطو خطوة إلى الأمام عن طريق المعرفة الجيدة لمنطق تأسيس المصيدة الكردية.

وأما آخر فصول هذا النوع من السيناريوهات، فهي تلك التي تم تمثيلها اعتباراً من الحرب العالمية الثانية، واستمرت حتى يومنا هذا، فلقد شكلت الأحزاب المسماة الحزب الديمقراطي الكردستاني أسوأ مثلاً، ليس بالنسبة للمتستبين له وحسب، بل بالنسبة لكل الشعب الكردي، وذلك عن طريق تمثيله لشخصية الخادم التقليدي ولشخصية العميل المعاصر في آن واحد، ففي الوقت الذي كانت المكاسب التي يحققها النضال التحرري على مستوى العالم وأضحت هذه قاعدة أساسية، نجد أن هذه المنظمات لم تستطع إنقاذ نفسها من كونها لعبة بيد الممثلين التكتيكيين، هذا في الوقت الذي قدم الشعب الكردي على يد هذا الحزب المسمى بالحزب الديمقراطي الكردستاني خسائر كبيرة جداً، وبذلك كان لا بد للظاهرة الكردية التي لم تستطع أن تحقق أي تطور حتى على مستوى إدراكها وفهمها لمصطلح الاستعمار الغربي، أن تدخل مرحلة أكثر ظلمة من السابق. لقد قام الأتراك والعرب والعجم، الذين يجاورون الكرد من الجهات الأربع، بتوسيع الهوة التي بينهم ولو باستخدام الدولة عبر دخولها إلى طريق التطور الرأسمالي، فلقد أضافوا مزايهم كطبقة برجوازية وكشعب حاكم في عصر الرأسمالية، إلى تفوقهم الذي كان موجوداً في عصر الإقطاعية، كأمة وكطبقة حاكمة، وواصلوا تطوهرهم. حتى وإن كان في ظل التبعية للإمبريالية. على صعيد الاقتصاد الوطني وفي مجال الثقافة والدولة، وشكلوا طبقة نخبة وطنية في المجال العلمي والتقني، وتحولت الصحافة والنشر بخد ذاتها إلى قوة عن طريق استخدامهم للغة الوطنية، واستطاعوا أن يدعمو

سياساتهم الداخلية والخارجية المستندة على المبدأ القومي وأن يدعموا تمايزهم عن طريق المصالح المجسدة في شخصية طبقاتهم، وشكلوا أجهزة عسكرية وبوليسية بالقوة التي من شأنها أن تحطم مقاومات شعوبهم، حقيقة لقد استطاع الأتراك والعرب والفرس باعتبارهم قوميات قوية في العصور الوسطى، أن يحققوا تطوراً على مدى القرن العشرين، وأن يوسعوا الهوة التي تفصلهم عن الكرد بواسطة مفهوم الأمة . الدولة، والطبقة البرجوازية التي ترعرت على يد الدولة، وقبل أن ينقدوا أنفسهم من ألعيب الاستعمار الإمبريالي وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه هذه المرة أمام شوفينية جبرائيل القمعية والإنكارية، وقد تشكل وضع إذا قال فيه المرء: أنا كردي كان ذلك يعني أن يجد نفسه وحيداً، وأن يرى كل أبواب التطور مغلقة في وجهه، وأن يجد نفسه أمام كافة أنواع الخطر، لقد أصبحت الكردية أخطر مصيبة قد تقع على رأس صاحبها، وأبعد من حالة الاستغلال والاستعمار، لقد حكم عليهم بوضع مماثل لافتقار كافة القيم الإنسانية.

لقد تم تحويل الظاهرة الكردية، ربما في أنحاء العالم كافة إلى مصطلح دناءة سياسية يتم رفضه بقوة، إن الذي تم خلقه ليس مجرد إرهاب سياسي، بل إنها ميزة فطرية موروثية مع الولادة من الأم تبعده عن كافة المسؤوليات، ومع ذلك تستطيع أن تسبب له أخطاراً كبيرة، لقد تم تقييم مصطلحات، العرقية والفاشية والقومية والشيوعية، في القانون الدولي غير أن الظاهرة الكردية لا يمكن تفسيرها بأي مصطلح، ففي الوقت الذي حرم فيه الكرد من أبسط حقوقهم الإنسانية، كحرمانهم من التعلم بلغتهم الأم على سبيل المثال، ولم يستطيعوا أن يشكلوا موضوع بحث وتعريف حتى من قبل الأوروبيين الذين يعدون أنفسهم من البلدان الأكثر تمدناً في العالم، وحتى بالنسبة لجيرانهم، دك من التوجه إليهم بعبارة "أشقاءنا الكرد"، أنهم ينظرون إليهم على أنهم غول أو على أنهم يشكلون مصدر تهديد لهم، رغم أن الكرد خدموهم على مدى قرون طويلة.

أمام هذا الواقع الإنساني عجباً... كيف يمكننا أن نتحدث عن الشخصية الكردية أو عن السيكولوجية الكردية...؟ وكيف يمكننا أن نفسر هذا الوضع الظالم الذي لا يمر في أي كتاب من كتب البشرية والذي يتم فرضه على أقدم شعب كادح في التاريخ...؟ حقيقة لا يمكن لأي كتاب إلهي أو أخلاقي أو فلسفي أو علمي أن يتصرف بلا إنسانية وإنكار إلى هذه الدرجة، ولا يمكن إنكار حقيقة أنه تم خلق مصطلحات غير حقيقية وأوهام حول الظاهرة الكردية وكأنها ثقب سوداء، ولهذا السبب فإننا نحاول الوصول إلى تعميم يبين أن تقييم الظاهرة الكردية كقومية أو كمستعمرة أو كشبه مستعمرة، سيكون تقييماً مبسطاً جداً، إذ أن الكرد عبارة عن ضحايا لوضع أبعد من ذلك بكثير، فلو كانوا مجرد ضحايا لجزرة أو إبادة عرقية واضحة لكان تعريفها أكثر سهولة، إذ لا يمكن التعبير بنحو كامل عن الوضع باستخدام هذه المصطلحات، إن التعريفات الضبابية الموجودة حول هذه الظاهرة لا يقضي على حقيقتها.

يمكن استخدام الإطار التاريخي الذي حاولنا رسمه من أجل التمكن من تعريف الظاهرة الكردية بنحو معمق، ويمكن البرهنة على ذلك بسهولة من خلال الوثائق المدونة لعلم الآثار، حيث أن إدراج مناقشة "هل الكرد موجودون أم لا" في جدول الأعمال، كان نتيجة لجوإ إرهابي قاسٍ أكثر من كونه نقاش علمي، ويوجد دائماً مناطق وأقسام لها مكانة مختلفة وشروط مختلفة حتى وإن كانت من نفس الأمة أو الطبقة أو حتى العشيرة، إن التمايز والاختلاف هي خاصية من خصائص الطبيعة، فمثلما لا يتكون الضوء من لون واحد والأزهار ليست لوناً واحداً، فإن الطبيعة ذاتها تحظى بقانون تطوري للاختلاف والتنوع، وحتى حين التفريق بين الألوان . بين الأسود والأبيض . نجد أن هذين اللونين يمثلان نهاية

قطبين تنتهي عندهما الألوان، وهذه حقيقة علمية واضحة، فإن أردت أن تنتهي ما عليك إلا أن تنقسم إلى أسود وبيض، إن جعل الرأس المالية سوداء باسم الفاشية، وجعل الاشتراكية المشيدة بيضاء باسم الاشتراكية هو عبارة عن عمل متطرف، وإننا ندرك تماماً أن هذين القطبين اللذين يعد ان نفسيهما الأقوى لن يعملوا على إطالة عمر أي شيء، إذا ما كان منافياً لقوانين الطبيعة، وإن أسوأ الأنظمة هي التي تعتمد على القوة الفيزيائية من أجل تحويل كافة الظواهر الاجتماعية إلى لون واحد، كلغة واحدة وثقافة واحدة، وسياسة واحدة وما يماثل ذلك بإرغام على التحول، فنلك أمثلة سيئة للإرغام، ولا يمكن أن توجد في التاريخ سوى بأشكال إرهابية عابرة مثلما ثبت.

مهما كانت الطريقة التي سنقدم تعريفنا من خلالها، فإنها لن تستطيع أن تحول إلى الشكل الذي نرغبه حسب حكمنا المسبق الذاتي بإرغام الإيديولوجية والسياسات حول الظاهرة الكردية، ويجب أن تتم رؤية وتقييم هذه الحقيقة بكافة المسؤوليات الأخلاقية والسياسية ولنقبلها باعتبارها ظاهرة أقلية أو أثنية أو كظاهرة اجتماعية أو قومية، المهم هنا هو الصفات والخصائص الأساسية لهذه الظاهرة، أي الظاهرة بذاتها، فليس من حقنا أن نقول لأحد "أريد أن أراك على هذا الشكل"، إذ لا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا كنا نملك الأفكار المنحرفة المثيولوجية لمرحلة الآلهة. الملوك، ولندع جانباً المواقف التي تدخل ضمن حدود الديمقراطية التعددية، فلا وجود لهكذا ادعاءات عمياء حتى ضمن الفرضيات الإيديولوجية الأكثر دوغمائية، لا يمكن إنكار التحولات التي تحدث في الظواهر، ولا يمكن أن تكتسب قواعدها أي معنى إلا من خلال ارتباطها بالقوانين الديالكتيكية، والتحويلات التي فرضتها الظروف المكانية والزمانية تعني التطور والغنى بالنسبة للحياة، والذي لا يمكن قبوله هو: العمليات التي تتجه نحو التدخل في حياة طفل لا يزال في بطن أمه وإجباره على التحول أو إجراء ولادة مبكرة له، ولا يوجد أي طبيب عاقل ملتزم بقسم المهنة يجد أن ذلك من صلاحياته.

إننا نورد هذه الحقائق المؤلمة، لكي نوضح معنى الممارسات التي يتم فرضها على الظاهرة الكردية لتحويلها إلى كابوي، ونريد أن نؤكد بأن الصعوبات الداخلية والخارجية والفهم الخاطئ التي تشهدها الظاهرة الكردية، لا تعطي لصاحب القوة الحق بأن يقول: "يوجد لديّ الإمكانيات"، ومن ثم يجعلها تنتظر كأداة، باعتبارها حقل تجارب ويخضعها للممارسات التي يريدها، وبالنسبة للسياسيين المرتبطين بمفهوم الإلهة. الملك، فإن كل شيء مباح من أجل الوصول إلى أهدافهم باسم الوطنية والعظمة القومية غير المحدودة، وقد جربت الفاشية والاشتراكية المشيدة هذه الأمور، وأما النتائج التي حصلوا عليها فهي أماننا، إن مواصلة الإرهاب القسري على الظاهرة الكردية بمواقف مأكرة وخائنة بسبب عدم تبني أحد لها. يجب ألا يخدع أي صاحب قوة، فالنبي عيسى أيضاً كان وحيداً أمام روما وأمام الكهنة الذين شهدوا زوراً، لدرجة يقول لربه قائلاً: "لماذا تركتني وحيداً؟" حسب الرواية، ولكن إذا نظرنا إلى التاريخ وإلى أيامنا الحالية، نجد أن الذين صلبوا عيسى لم ينالوا من التاريخ أو من الخلود أكثر من كونهم أناساً يستحقون اللعنة، لأن اليسوعية تعد حقيقة كونية وتشكل أحد أكبر الظواهر التي تعبر عن الضمير الإنساني، وبهذا الاتجاه نجد أن الظاهرة الكردية تحولت إلى مشكلة أخلاقية أكثر من كونها مشكلة سياسية، وإن الكرد يشبهون المسيحيين في عهودهم الأولى، يجوبون بسفنهم السواحل اليونانية والإيطالية، ويهربون إلى أوروبا في كثير من طرق البرية وكأن التاريخ يعيد نفسه.

فالكرد ليسوا منتسبين إلى دين جديد، ولا هم قوة تسلط أنظارتها على ملك أو أراضي الغير، ولا نستطيع أن نقول بأن لهم مطالب سياسية متطورة، إذ أن مطالبهم لا تتعدى المطالبة بحق التعبير عن أنفسهم بحرية ضمن إطار وجودهم

الثقافي كما كان عليه في العصور القديمة، وحتى إن كان لديهم هكذا مطالب، فإنها ليست بالحجم أو بالقوة التي يمكن أن ترعب احد، ولا يمكن أن نفكر بخطورة شعب يقف وحيداً أمام الكثير من القوى المدججة بالسلاح.

إن الخطر الحقيقي هي المبالغة في الحديث عن مشكلة محدودة لدرجة تحويلها إلى حادثة تاريخية، فإذا كنا لا نرغب أن نعيش نتائجها بآلام كبيرة، علينا أن نقيّم هذه المشكلة من أجل إيجاد حل لها، وتاريخ الشرق الأوسط مليء بهذا النوع من الحوادث، فالمؤرخون متفقون على أنه ما كان للمسيحية أن تحقق هذا الانتشار وهذا التطور لو لم يتم صلب النبي عيسى، بل وأكثر من ذلك، فلولا ظلم غمرد لما وجد الأنبياء، وإن الذي أجبر موسى على الخروج هو ظلم الفراعنة، ولولا القمع الذي تعرض له النبي محمد في مكة لما حدثت الهجرة، ولو تمت مقارنة الإسلام بالسماحة لا بالتعصب لما تحقق الإسلام على هذا الشكل، لأن أعمال الظلم والقمع التي مارسها ممثلو العدوان المتعصبين اللاهوتيون وراء طمع ومصالح معتمدة على الجهل، هي التي سببت التراجيديات والآلام والخسائر الكبيرة في التاريخ.

إن مهمة كافة الأوساط المعنية بل مهمة الإنسانية جمعاء، هي عدم نقل الظاهرة الكردية إلى أبعاد مأساوية وما ينجم عنها من قضايا مؤلمة، فقد حدثت معاناة ومآسي كبيرة بما فيها الكفاية، ولهذا السبب لم يعد هناك أي معنى للدخول في ممارسات مسألة كافة الحسابات التاريخية تزج المنطقة في وضع يصعب الخروج منه، ولقد ظهر أن سياسات كهذه لن تحقق لأصحابها أية مكاسب، فلقد أصبحنا في عصر لن يحقق أية فرصة أبداً النجاح للنوايا الفاشية التي تعتمد على الجهل والسلب، أمام ضمير الإنسانية الموجود.

يمكننا النظر بنحو أفضل إلى بعض التأكيدات التي قمنا بها في أعوام ١٩٧٠ المليئة بالأحاسيس تجاه ظاهرة الكرد وكردستان بواسطة مواقف إيديولوجية على المستوى الدوغمائي، إذا ما رجعنا بنظرنا بعد ممارسات طويلة، فلم يتم الشك في أي وقت من الأوقات بضرورة تحرير هذه الظاهرة، ولا يمكن لأي شخص بدأ يردد منذ أن كان طفلاً في السابعة من عمره شعار "إذا كانت هناك حياة فلتكن حرة، أو لن أعيش أبداً"، ويعد هذا الشعار مقدساً، ولم يتراجع عنه أبداً، وكذلك لا يمكن التراجع عن ضرورة الاعتماد على الأسس العلمية لهذا الشعار، لقد تركت الدوغمائية الباب مفتوحاً أمام الأخطار التي تهدد الظاهرة الكردية، كما لم تفعل ذلك بالنسبة لأي مسألة أخرى، فكانت من المهام الأولى القيام بتجزئة العلم إلى أربعين جزء، للكشف عن كل أبعاد القضية والتعبير عنها بالنحو الذي يتناسب مع الكرامة لأجل الوصول إلى الحلول اللازمة، لأنه تم تنفيذ بعضاً من هذه المهمة بنحو محدود في السبعينيات، فقد وجد المحرفون لهذا الموضوع بوعي أو بدونه الكثير من المخارج، وحصلوا على إمكانية مواصلة مصالحهم الدنيئة، إن النقد الذاتي في هذه النقطة مهم جداً، وترى الممارسة أن الشرط الإنساني يتجلى بتطبيق أولويات ما يجب القيام به.

إنني على قناعة بأن الإطار التاريخي الذي حاولنا تطويره على ضوء المعلومات الموجودة، هو التعريف الأقرب إلى الحقيقة، إن هذه الظاهرة التي قمنا بالتركيز عليها على مدى عمر كامل بدرجة كبيرة، ونقطة التوضيح المتعلقة بهذه القضية يجب أن يراها المعارضون على أنها مخرج ومكسب، فالشرائح المنتمية إلى العرب والأترك والفرس، التي تعد نفسها حاكمة والركائز الداخلية والخارجية التي يعتمدون عليها، يجب أن ينجحوا في تجاوز إطار الحلف المركزي "السانتو" سابقاً، وإطار الحلف الأطلسي "الناتو" في يومنا، لأن إطار المعايير الديمقراطية وحقوق الإنسان الذي يتطور في هذا العصر بنحو مستمر، سيرغم كل الأطراف على الحل في نقطة مشتركة، في وقت ليس ببعيد من التاريخ.

السبيل الذي يجعل هذه العملية أقل ألماً ويجلب أقل ما يمكن من الخسائر، هو الانتباه الأقصى للحساسية العلمية وللمعايير الحضارة الديمقراطية التي تعد التعبير السياسي لهذه الحساسية، لا يمكن التقليل من الخطورة الدوغمائية للظل الذي تتركه مثالية القرن العشرين وماديتة الميكانيكية على العلم، إذ أن فتح الطريق أمام تحول القومية الرأسمالية إلى عرقية فاشية، وأمام تحول الاشتراكية العلمية إلى مفاهيم المجتمع السلطوية والاستبدادية للاشتراكية المشيدة، مرتبطٌ بنحو وثيق بدوغمائية القرن العشرين، وفي أساس هذا التحول يرقد المفهوم الوضعي، لقد أدى عمق الثورة العلمية إلى ولادة المادية الديالكتيكية، وتم التمكن من القيام بنجاح ضمن هذا الإطار، بوضع التفسير الفلسفي لتنوع الطبيعة الغني، وتم تحليل تنوع الظواهر الاجتماعية وكذلك تحليل منطق التحولات التي ادت دوراً في ذلك، وفي الحقيقة لقد ظهر الأساس العلمي للحضارة الديمقراطية أمامنا في هذه النقطة، لقد كان ينظر إلى التحول في عصور الفكر الدوغمائي أو في كافة الموضوعات التي كانت تهيمن عليها الدوغمائية السائدة، على أنه مماثل للخيانة وكان ذلك موضوعاً لأكبر العقوبات، حيث لا يمكن استغراب مرور البشرية في مرحلة دموية ارتباطاً بالدوغمائية، وأما إذا ما تم في نهايات القرن العشرين نقل العديد من المشكلات التي كانت قديماً تحل بالعنف والدم، إلى مرحلة التمكن من حلها بواسطة الوسائل الديمقراطية والسياسية، فإن السبب الأساس في ذلك يعود وبلا ادنى شك إلى الفلسفة التحولية، إن انعكاس المادية الديالكتيكية في المجال السياسي يعني حصول الديمقراطية التعددية وكافة المشكلات الاجتماعية على امكانات الحل السلمي والغني، لقد باتت هذه التطورات أبعد من طرحها على نحو مواقف فلسفية أو برامج سياسية، إذ أنها تظهر أمامنا كمساعي تطبيقية . سياسية مكثفة.

لا يمكن أن نفكر بالظاهرة الكردية بنحو منفصل عن هذه التطورات، لقد تبينَ وبنحو كافٍ من خلال الممارسة أنه من غير الممكن الوصول إلى تفسير صحيح وإلى حل سليم للظاهرة الكردية عن طريق قومية القرن التاسع عشر ولا عن طريق وطنية القرن العشرين ولا حتى عن طريق الدوغمائيات الدينية للقرون الوسطى، ولهذا باتت المواقف الإيديولوجية لجميع الأطراف المختلفة تصعبَ مواقفها حيال القضية الكردية، وما يجب القيام به هو أن ترى كل هذه الأطراف هذه الحقيقة وتلتزم بالتسامح والعفو المتبادل لتقوم بتطوير مشاريعها ونقدها الذاتي، أما الحكم من طرف واحد ومحاولات الإرغام، فلن تسفر سوى عن ردود أعنف، وهذا ما يجب رؤيته جيداً.

إن السبب الذي يجعلنا نظور هذا الإطار التاريخي، أثناء وضع تقييمات جديدة للمسألة الكردية وكردستان في وقتنا الراهن، هي الحاجة لمواقف واقعية من أجل مراحل حل جديدة، وتقديم مساهمة في هذا الاتجاه، فلقد ظهر أنه من الممكن لنظرية وبرنامج وممارسة السبعينيات أن تؤدي إلى خلق الانفصالية والعنف، والأكثر سلبية من ذلك هو أن النزعة القومية التي يجب التصدي لها والوقوف ضدها قد أسرت الأطراف كافة، وإن قبولها وكأنها قدر لا مفر منه بالرغم من رفضها بالأساس، يوجب العودة من جديد إلى حملة يقظة تحررية، وتحويل الظاهرة الكردية إلى ظاهرة يمكن أن تستخدمها الإمبريالية بواسطة السمسرة والابتزاز الاقتصادي والسياسي التي تعد التعبير الجامع للرجعية والفاشية، وهذا موقف لا ترضى به الحركة التحررية بنحو خاص.

لقد هدفت مواقفنا هذه، حتى وإن جاءت متأخرة، إلى تطبيق ما تقتضيه مسؤولياتنا أمام هذا النوع من الأخطار والتهديدات، كما نأمل أن يفهم في يوم ما من الذي يرتكب الخيانة والغفلة نحو الجمهورية والديمقراطية والوطن الحر، لئيم

الاستدلال على الذين يراهنون بشرفهم وبجهدهم وبكل ما يملكون لأجل الإنسانية والاتحاد الحر بين الشعوب وكرامتهم، والارتباط بذكراهم.

لا أرى أية فائدة من إجراء تقييمات اجتماعية واقتصادية وسياسية مطولة لليوم الراهن، فقد قمنا بذلك في الماضي، حيث بات مواطن الشارع العادي يشعر بهذه المواضيع حتى النخاع، كما لا أرى معنى من التأكيد على الحقيقة الكردية وكردستان، من خلال الدوغمائية اليسارية أو القومية البدائية، فالذين يعيشون هذه الحقيقة في هذا الموضوع حتى النخاع والذين انغمسوا في الخيانة حتى النخاع، أصبحوا مكشوفين للعيان، وما زال ذلك جارياً، بالإضافة إلى أنه لأول مرة يتم وضع جميع المصطلحات المتعلقة بنا مثل بلد ومجتمع والمؤسسات الاجتماعية التحتية والفوقية وبالإضافة إلى الأشكال الإيديولوجية لنمط واقعي ومنتج للأفكار من شأنه أن يوضح كيفية تشكيلها وسيرها وحتى الشكل الراهن الذي وصلت إليه من وجهة نظر تاريخية.

في الفصول اللاحقة سنتناول في تقييماتنا المواقف الأكثر شمولية للحركة السياسية والاجتماعية الكردية، والتي تناولناها بنحو جزئي لأجل إظهار المتغيرات الأساسية للوصول إلى حل معاصر، ويجب أن نلاحظ أنه بهذه المواقف في المرحلة الجديدة للحركة الكردية وعلى ضوء التحارب الكبيرة التي خاضتها يمكن وضع برنامج وتنظيم ومسار عمليات جديدة تستهدف الحل على صعيد التخطيط والتطبيق لأجل تنوير سبل الحل.

د . حركة الكرد الديمقراطية الوطنية الأثنية

إن عاملي الوعي والتلقائية في الظواهر الاجتماعية متداخلان فيما بينهما ولا يمكن فصلهما كما لا يمكن إعطاء جواب محدد وقطعي للسؤال المطروح، من أين يبدأ أحدهما وأين ينتهي الآخر... إن الظاهرة تطور الوعي، كما تطور الوعي الظاهرة، وكلاهما لا يشكلان عوامل محددة وثابتة لبعضهما البعض، بل تؤدي دوراً من شأنه أن يكون مؤثراً في عملية التحويل، فبينما تشكل الظاهرة الاجتماعية التعبير عن مأسسة كافة تراكمات المراحل القديمة، تعبر الحركة الاجتماعية عن فعالية الظاهرة وعن طاقتها التبدلية في المستقبل، وإن المظاهر الاجتماعية ككل، هي عبارة عن تراكم الوعي والإرادة، أما الحركة فهي تتضمن العنصر الفعالي المعتمد على هذا التراكم، والذي لم ينطفئ ولم يتحول إلى تراكم حتى الآن، ويأتي البشر الذين يعيشون في تلك المرحلة على رأس قائمة العناصر الفعالة، وتؤدي أداتان إيديولوجيتان دوراً أساسياً في الحركة الاجتماعية الإيديولوجية، وهي طاقة الحركة، وهي التي تتكون من الأحلام الجذابة المخروسة والمتعلقة بالمستقبل ومع القواعد المتعلقة بالماضي والتي تحدد الإطار الذي يجب على الكيان الاجتماعي القائم أن يتحرك ضمنه، وهو الأمر الذي يمكن أن نسميه بالعقيدة "دوغما" أو القاعدة أو القانون وأما شروط الإنتاج وعلاقاتها والمؤسسات الاجتماعية والسياسية والعسكرية فإنها تشكل الوسط المادي.

لكل مجتمع حركاته الخاصة التي تتناسب مع كل عصر ومع كل مرحلة، فالحركة الأساسية للمرحلة النيوليتية، هي الحركة الأساسية التي تكونت حول الربة باعتبارها متشابهة وجزء من دين الطبيعة، ولأجل استمرارية الحياة المرتبطة بها بنحو وثيق بفصول الطبيعة، وهي آلهة صديقة للبشر وهذه أهم صفاته، وأهم الطقوس المميزة لهذه الحركات الاجتماعية هي

الدعاء وتقديم القرابين وترتيب الأعياد، وكانت الحركة العظمى لديهم تتمثل بتقديس الربة الأم والارتباط بها، وأما الخدمات التي كانت تقدم للآلهة الصديقة التي كانت تسهل عمل المجتمع، فقد كانت جزءاً من هذه الحركة العظمى، ويمثل هذا جوهر الحركة السياسية الأساس لتلك المرحلة.

أما الحركات الاجتماعية الواعية في العصور القديمة، فقد كانت تعتمد على العبادات التي تمارس حول الآلهة الملوك الذين يعبرون عن حقيقة التسيّر خلف الشروحات الميثولوجية التي أصبحت مثلاً للمجتمع الطبقي، توجد في مركز الفكر والحركة جميع الجهود المتعلقة بمؤسسة الملك واستمراريتها، ولم يكن وجود المجتمع ممكناً إلا بوجود الملكية المؤهلة، وكانت كافة العبادات والأعياد المنتظمة مستمرة من أجل استمرارية الملكية وحمايتها، وقد درج تقليد مشابه بالنسبة للزعيم الموجود ضمن كيانات العشيرة والقبيلة التي لم تتحول إلى ممالك، وهكذا تشكل مصدر إلهام كافة الحركات الاجتماعية، حيث لا يمكن مجرد التفكير بحركة أثنائية سياسية منفصلة خاصة بالمجتمع بمفردها، إن الأساس في هذه النوعية والحركة هو المركز الذي أخذ شكل الرمز، ومن أجل ذلك الرمز يحاربون ويعملون ويموتون.

إن هذا الوضع يتقدم خطوة أخرى في العصر الإقطاعي ولم تعد الحركات تعتمد على الإله "الملك" بذاته، بل تعتمد على كلامه "قواعد المجتمع الجديد"، فعندما يقال: "هكذا قال الله" أو "هكذا أمر" فإن هذا يعني إما أنهم يقومون بترسيم المجتمع القديم أو يعملون على إنشاء المجتمع الجديد، كان يتم تنظيم الحركات الاجتماعية ضمن إطار الأنظمة والمؤسسات وتتخلص الحركات السياسية والعسكرية من سيطرة الأشخاص، وتبدأ الحملات في سبيل المبادئ الراسخة، وبهذا النحو يمكننا القول أنه تم الدخول في مرحلة الحركات السياسية الحقيقية في القرون الوسطى، حيث تزايدت في هذه المرحلة الحركات السياسية الواعية والمنظمة بالرغم من أنها كانت على شكل طرق صوفية ومذاهب تحت الستار الديني، وقد أدت دوراً هاماً في زيادة حدة الصراعات الاجتماعية، وتطورت داخل العشائر حركات مرتبطة بالقيم الأساسية للعشيرة، بل وتجاوز رئيسها، بينما يتم الدخول إلى ما يمكن أن نسميه بالحركات الأثنائية، بينما كانت الحركات المذهبية لا تزال ناجمة عن الصراعات الطبقية، واعتمدت الحركات الأثنائية على الدفاع عن وجود العشيرة ضد الأخطار الخارجية، ولم يتم الدخول بعد إلى مرحلة الحركات الوطنية أو القومية بنحو مباشر.

أما الحركات الاجتماعية الأساسية في المجتمع الرأسمالي فقد كانت ذات طراز قومي، حيث يتم النظر إلى النظام الإقطاعي على أنه يشكل حاجزاً رئيساً، لأنه نظام يقسم الوطن بالأسلاك ويعتمد على المحلية، بينما مصالح الرأسمالية تتطلب تحطيم هذه الحواجز عن طريق توحيد الكيانات التي تمتلك لغة وثقافة مشتركة على الأقل، تحت مظلة سوق متطورة ولغة وثقافة ووعي سياسي مشترك، كذلك تستهدف تشكيل الأمة والدولة. الأمة، ومن هنا يتم البدء بتمجيد السوق الوطنية واللغة والثقافة والتاريخ والدولة واعتبارها أهدافاً مقدسة، ويتم تحطيم كل يد تمتد إلى هذه المقدسات، أما الذين يضعون أنفسهم في خدمتها يتم ترقيةهم إلى مكانة الآلهة الملوك القدماء واعتبارهم أبطالاً عظام، وتطورت الحركات الاجتماعية التي تخدم النظام الإلهي الجديد ضمن هذه الصيغة لتحمل الطابع القومي وتقوم المصالح المهيمنة في جميع أنحاء العالم بربط جميع أنواع الحركات بهذا النمط من الحركات الأساسية، ولا يبقى أي شيء أو أية قيمة مهما كانت صغيرة لا ترتبط بالسوق الوطنية والدولة، وأصبحت معرفة القيمة الوطنية مهما كانت صغيرة، هي القضية الأساسية لهذا الدين الجديد أو الحركة الجديدة، إذا كانت تتضمن قيمة قومية فهي مقدسة وغنية، وإلا فهي دنيئة وخائنة، وبذلك تكون

هذه المرحلة هي المرحلة الأخيرة للإيديولوجية الدوغمائية بالنسبة للمجتمعات كافة.

بالطبع ستكون الحروب الإيديولوجية المستمرة هي الثمرة الطبيعية لهذه المفاهيم، وبالأحرى تكون المرحلة الدموية المتوحشة للمصالح الطبقية التي حرضتها الدوغمائية، والحروب هي حروبها والحركات هي حركاتها، من دون شك أن هذه الحركات التي وصلت إلى مستوى فارغ جداً أحياناً، أسفرت عن مواقف دينية ومذهبية وفلسفية معارضة تعد الإنسان مركزاً وتميز بأفكار وعقيدة وأخلاق أكثر تشوقاً للسلام، بينما تشكلت الكثير من الكيانات والحركات التي تدعو إلى ذلك، إذ لا يمكن للتاريخ أن يتطور استناداً على إرادة وحيدة الطرف في أي وقت من الأوقات، بل يتطور دائماً على شكل صراع بين صديقين متناقضين، وعلى شكل رابطة ديكالكتيكية، وبعد أن يكسب أحد الأطراف السيادة تبدأ مرحلة جديدة، وتتكون الظواهر والحركات الاجتماعية ضمن هذا الإطار الجديد لدى المجتمعات كافة، وتسري العملية الديالكتيكية على الجميع، إبتداءً من أبسط ظاهرة اجتماعية وحتى الكيانات فوق القومية والأكثر تطوراً بحيث تصبح كلها في هذا الجوهر.

تُعد حركات الطبقة المسحوقة والمستغلة وحركة التجمعات الأثنية جزءاً ضمن هذا الإطار الرئيس، لقد بذر الفكر الذي نبت عند الحركات الملكية الإلهية الأولى على شكل "ما مصدر الكوارث التي تحل بي؟.. وباسم أي آلهة يتم استغلالني وقمعي على هذا النحو؟..". التي شكلت بذور الحركات الطبقية والأثنية الأولى، وعندما يقول البشر: "ياإلهي، ما سبب هذه الآلام التي أعاني منها؟..". يعني ذلك أنهم بدأوا بإشعالي فتيل التمرد، إن المرحلة التي بدأ فيها الرجال الأوائل المدحجين بالدروع والذين قادوا العشائر ضد الغزوات التي تهدف إلى الأسر والسلب، تعني الدخول في المرحلة التي بدأت فيها حركات التحرر، وضمن هذا الاتجاه يحتل الأنبياء والمدارس الفلسفية والطرق الصوفية لكونها مؤسسات فكرية وعقائدية، مكاناً هاماً في تاريخ الحركات الاجتماعية، وكذلك تعد الحركات المذهبية التي شملت العصور الوسطى كافة في جوهرها حركات طبقية واجتماعية للفئات الفقيرة المسحوقة والمستغلة.

لقد أدى تعريف المجتمع في عصر الرأسمالية اعتماداً على أسس علمية لأول مرة إلى تجاوز الدوغمائية وتطور الاشتراكية العلمية، وفتحت الاشتراكية التي عبرت عن واقع الطبقة العاملة والشعوب المسحوقة عن مصالحهم بنحو علمي، باعتبارها دليل عمل لحركات اجتماعية ووطنية من نوع جديد ولأول مرة في التاريخ، وكذلك عبرت حركة الكادحين والمسحوقين في جوهرها عن التطور الشمولي للديمقراطية، وهكذا اكتسبت الديمقراطية قوة ومعنى على المستوى العالمي لكونه نظام سياسي يشمل كافة الفئات والطبقات الاجتماعية والهويات القومية والأثنية وإنقاذها من المعنى الطبقي الضيق، وبذلك تم الانتقال من الديمقراطية الطبيعية للمجتمع النيوليتي إلى مرحلة الحضارة الديمقراطية الواعية والمنظمة التي تعتمد على الفكر العلمي وتوافر الإمكانية للتحويلات السلمية لجميع الطبقات والكيانات.

لقد عبر الكرد عن وجودهم كشعب حيوي ومنتج ومبدع في جميع العصور الاجتماعية الهامة، فقد كان الكرد شعباً قام بأكثر الحركات في العصر النيوليتي، وهو الذي أبدع الثورة الاجتماعية الكبرى المعتمدة على الزراعة وتربية الحيوانات، أنجب الكرد العصور الأولى ووضعوا أسس العقائد الإلهية السماوية، ويحتلون مقدمة المجتمعات التي نظمت شكل الفكر الميثولوجي، ولهذا الشعب شرف أول من قاوم العبودية والاستيطان السومري، متسلحاً بوعيه العشائري وعشقه للتحرر الذي لم يتنازل عنه، والسبب الذي يجعل الإحساس العشائري قوياً حتى الآن، هو ارتباطه الوثيق بهذه الحقيقة الموهلة في القدم، إنه شعب صمد ضد العبودية وهو أول من حمل راية الحرية والمقاومة التحررية الكردية ذات الأساس الأثني والتي

شكلت مصدر وحي وإلهام للشعوب كافة ، إن الكرد يمثلون القوة الشعبية الأساسية التي قاومت ضد الدولة العبودية في تاريخ الشرق الأوسط، ولم تستسلم أبداً، بل فضلت العيش في قمم الجبال على الحضارة العبودية، كما أن للكرد مكان عريق ومتفوق في حركات المقاومة الطويلة والشاملة ذات الأساس الأثني في التاريخ، لقد أُنجبت هذه المقاومة التحررية أخلاق الحرية والتحرر الكبرى في بلاد ميزوبوتاميا العليا وفي سهول ميديا، كما أن الأخلاق والإرادة الحرة الزرادشتية التي لها مكانة هامة في تاريخ الحرية، هي عبارة عن تركيب وتركيز لهذه المقاومات الأصيلة، ففي الوقت الذي فتحت فيها الأبواب أمام الأديان الإبراهيمية، كانت تفتح الطريق أمام الفلسفة الإغريقية من جهة أخرى، فلم تتغذ الحضارة العبودية السومرية وكافة الحضارات الأخرى فقط من ينابيع دجلة والفرات، بل تغذت جميع الحركات التحررية من هذا المصدر الهام.

يعد الكرد من أكثر الشعوب التي بذلت الجهود في سبيل التحرر من الملكية المطلقة للإسلام في العصور الوسطى، وتمثل الزرادشتية والمناوية والعلوية ومختلف أنواع الطرق الصوفية النزعة التحررية للشعوب ضد العبودية التي كان يفرضها النظام الإقطاعي، وقد حدثت نقلة سلبية في هذا العصر، حيث ادت العمالة السنية دوراً في اغتراب المجتمع وخدمة النظام العبودي، وبقي الشعب وحيداً في جهوده التي يبذلها من أجل الهوية والتحرر، ووقف وجهاً لوجه أمام الخيانة العظمى لطبقاته المهيمنة، فقد حول رؤساء العشائر والشيخ والإمارات الإقطاعية الشعب إلى أداة عديمة الشخصية واستخدموها بما يتفق مع مصالحهم الشخصية والعائلية، حيث أختفى في هذا العصر بطولات المقاومة الأثنية وبدأت مرحلة الطرق البلدية التي تحركت ضمن نطاق مصالح الدولة والسلالة الحاكمة والعائلة لتأخذ مكان الطرق العقائدية العريقة، وحيث الانحطاط الشامل على الحركات الاجتماعية كافة.

مع اليقظة القومية والأمة . الدولة في النظام الرأسمالي، تبدأ مرحلة جديدة بالنسبة للكرد مثلهم مثل الشعوب الأخرى، وتكسب الحركات الشعبية الكردية أشكالاً جديدة في هذه المرحلة، إن تقييم هذه المرحلة من قرب وبنحو تفصيلي من حيث التشكيلات الطبقية يحظى بأهمية كبيرة من زاوية تسليط الضوء على المرحلة القادمة لأجل تبني موقف سليم وصحيح.

١ . مرحلة القومية الإقطاعية البدائية

الحركات التي أيقظتها تأثير الاستعمار الرأسمالي في كردستان فتحت الطريق أمام بحث جديد، ونظراً لعدم تشكل البرجوازية الكردية، أظهر الكرد ردود فعل نحو شكل البرجوازية عند الأرمن والسرانيان وضد القومية البرجوازية، ويمكن وضع ردود الفعل هذه بشكل عام ضمن فئة القومية البدائية بسبب قوة البنية العشائرية والأميرية الإقطاعية، وبسبب ضعف أسس الطبقة البرجوازية، وأهم خصائصها هو افتقارها للأساس الإيديولوجي حتى بالمعنى البرجوازي واعتمادها على البنية التقليدية للمجتمع والبنية العاطفية الكردية، ومثل هذه الخصائص لا توفر الإمكانية ولا تعطي الفرصة لوضع برنامج وتأسيس تنظيم بالمعنى المعاصر، وعندما كان يراد تأسيس حركة باسم الكرد كان يتم الاعتماد على العلاقات الدينية والعشائرية التقليدية، ولهذا لم يستطع تشكيل تنظيم معاصر، كما لم يستطع تحديد خطوط واقعية لأهداف سياسية يرتبطون بها بالإيمان، ومن ثم وصلوا إلى بنية سهلة الانقياد ومعرضة للخيانة، حيث ساد هذا الطابع على الكثير من

حركات التمرد طيلة القرنين التاسع عشر والعشرين، وأقصى ضربة نالها الشعب الكردي على مدى تاريخه جاءت نتيجة لممارسة هذه الحركات.

فمثلما قاد الإقطاعيون والطليعة القومية البدائية التي افتقرت الى تقييم الوضع بشكل موضوعي، والتي لم تستطع رسم أهدافها السياسية الحقيقية، لم تستطع أيضاً وضع التمييز الصحيح بين العدو والصديق، كما أنها لم تستطع ضبط توقيت حركاتها حسب الشروط الموضوعية ولم تستطع تطويرها، مما فتح الطريق أمام خسائر جسيمة من دون أن يحققوا أية مكاسب، والأسوأ من كل هذا، إن القوى الحاكمة الاستعمارية استطاعت أن تكسب العائلات إلى جانبها لاستخدامها في فرض الرقابة على الشعب، وبالمعنى المعاصر تحول أبناء عشيرة "بابان زادة" الذين بدأوا أول تمرد عام ١٨٠٦ في منطقة السليمانية إلى عائلة عميلة رافضة للوطنية فيما بعد، ولم تتوقف الخدمات التي قدمتها لجميع القوى التي كانت تهيمن على الشعوب المجاورة عند أي حد، ويمكن أن نجد مثيلاً لها في القرن التاسع عشر ولكن على نطاق أوسع، وهو التمرد الذي بدأه بدرخان بك، فعندما تأكد فشل هذا التمرد الذي سادت فيه العلاقات الإقطاعية مع القومية البدائية للأسباب ذاتها، تضع هذه العائلة نفسها في خدمة القوى الحاكمة ويستمر هذا الوضع حتى يومنا هذا، حيث تأتي هذه العائلة في مقدمة العائلات التي اعتمدت عليها الإمبريالية إلى جانب العملاء المحليين لاستخدامهم في مراقبة الكرد، لأن النزعة الكردية التي تمسكوا بها لم تتجاوز القومية البدائية، ولم يستطيعوا خلق تيار قومي سياسي متماسك.

لقد ادت قيادات "سمكو" في إيران ومحمود برزنجي في العراق والشيخ سعيد في تركيا دوراً فاشلاً في الحركات الكردية، حيث كانت تلك القيادات بعيدة عن تشكيل برنامج وتنظيم ديمقراطي متماسك مناهض للإمبريالية، على الرغم من أن كل الشروط كانت مناسبة لهذا التوجه في مرحلة الحرب العالمية الأولى وما بعدها، تحولوا إلى أدوات للألاعيب البسيطة بيد عملاء الإمبريالية، عدوا ذلك علاقة استندوا عليها، ولم يستطيعوا تحقيق أية مكاسب مقابل الجهود التي بذلوها سواءً على الصعيد الشخصي أو على الصعيد الشعبي، ولم يتركوا ميراثاً سوى عائلاتهم التي لم تتجاوز كونها أداة رقابة على الشعب حقاً، لقد تم تطبيق هذا النمط من المواقف بين المهيمين على مدى التاريخ، حيث يتم استخدام الأشخاص الضعفاء أو المهزومين كأداة رقابة على الجماهير، وهي سياسة منتشرة جداً، ونظراً لأن هذه السياسة كانت منتشرة داخلياً وبنحو منظم عند الكرد، فقد أخذت شكلاً عاماً لدرجة أن بعضهم تطوع في هذه السياسة ضد الآخرين.

إن الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي يعد التعبير الحزبي عن النزعة القومية البدائية، يمثل آخر وأقوى المخربين الذين يعبرون عن هذا الموقف، ينتمي "الحزب الديمقراطي الكردستاني" إلى نوع من التشكيلات التي تعد أداة مثالية بأيدي القوى الخارجية لاستخدامها في سياسات المنطقة، حيث لم يتردد أية لحظة في تبني الأدوار الخطيرة ضد قوى الجماهير، وذلك بسبب بنيتة الإقطاعية العشائرية الطبقية والبرجوازية غير المتطورة، لقد كانت الفرصة الوحيدة التي بين أيديهم من أجل حياتهم وترفعهم هي أن يحولوا أنفسهم إلى ببادق ضد الحركات الوطنية الكردية المعاصرة، حيث لم يترددوا في الدخول في أخطر العلاقات مع أية دولة إذا كان ذلك يتفق مع مصالحهم المتعلقة بالمنطقة أو مع مصالحهم العائلية البسيطة دون أن يكون لهم أية مبادئ سياسية أو أيديولوجية أو أية قيمة أخلاقية في هذا الموضوع، وحتى إن وجدت فقد كانت موضوعاً للمساومات.

إن الأضرار التي ألحقها كافة الأحزاب التي تنطوي تحت اسم "الحزب الديمقراطي الكردستاني" في كافة الدول

بالشعب الكردي لا يمكن مقارنتها بأي ضرر تعرض له هذا الشعب في أي مرحلة من مراحل تاريخه، إن تحولهم إلى مؤسسات ولجوءهم إلى أسياذ أقوياء كان عاملاً في توسيع نطاق الأخطار والسلبيات، ونظراً لأن اللعب على حبل حركة التحرر الكردية المعاصرة يدر عليهم أموالاً طائلة والجاء، فقد اعدوا دورهم مثمراً للغاية، ونظراً لأنهم تحولوا تدريجياً إلى مرتزقة وكانوا على وشك أن يفقدوا الشعب الذي ربطوه بأساليب ومناهج تقليدية، فلم يستطيعوا إنقاذ أنفسهم من الفضيحة والتجريد، ولم يعودوا يستطيعون الصمود يوماً واحداً اعتماداً على قواهم الذاتية، فحسروا مصادر التمويل المالي والقوة التي تدعمهم، وقد رأينا جيداً أن القوة المسلحة التي كانوا يملكونها تتجاوز مئات الآلاف، ورغم ذلك لم أمامها مفر من الهزيمة والتشتت عندما كانوا يفقدون دعم أسياذهم، إنهم يمثلون الذراع الأكثر خطورة للمصيدة الكردية في أيامنا الحالية، و مفترق الطرق الذي وصلوا إليه يحتم عليهم إما أن يتحولوا إلى قوة ديمقراطية وطنية منسجمة أو إلى عائلات بسيطة منفية، وللحالة الثانية أمثلة كثيرة في التاريخ، لأن وضعهم الحالي لا يتوافق مع قواعد السياسة الديمقراطية المعاصرة.

إن السبب الاساس لاستمرار النزعة القومية البدائية رغم كل الفشل الذي أصابها يتمثل بعدم تطور حركة ديمقراطية وطنية كردية ناجحة ومتماسكة لمدة طويلة، فعندما كان يظهر شيء من هذا القبيل، كانت هذه النزعة تعمل لتصفيتها بسهولة بالتعامل مع القوى المرتبطة بها، وأما الصعوبات التي واجهوها لأول مرة أمام حزب العمال الكردستاني PKK، فقد كانت بسبب الخروج من هذه اللعبة صفر اليدين في العديد من الأماكن والاتجاهات، وعندما قام حزب العمال الكردستاني PKK بالكشف عن السياسات السرية التي نفذوها منذ القدم ضد الشعوب وتمكنه من إفشالها، دخلوا في مواقف عميلة معروفة بمستوى خيانتها، وعندما لم يتوصلوا إلى النتائج التي أرادوها بعد مواجهات طويلة، أدركوا تماماً أنهم لن يربحوا كثيراً بسياسة العمالة التقليدية، لقد انتظرت المظاهر المختلفة لنزعة القومية البدائية الموجودة في كل مجال هزيمة حزب العمال الكردستاني بفاغ الصبر، وعندما لم يتحقق ذلك ازداد بعضهم عدوانية، أما البعض الآخر فوجد أن مصالحه تقتضي الابتعاد عن الحركات السياسية، وفي المرحلة التي يتطلب دفع الثمن غالباً، فقدوا القوة والإيمان اللذين من شأنهما تنفيذ سياسة وطنية، إذ أن الحركات التي تتأسس لأجل مصالح شخصية أو عائلية بسيطة، لا تستطيع حماية نفسها من الانهيار عندما تواجه نتائج لم تكن تتوقعها.

إن المرحلة التي تعيشها النزعة القومية البدائية في أيامنا هذه وصلت الى مفترق الطرق، والطريق الصحيح لهؤلاء هو أن يمنعوا أنفسهم من أن يكونوا مخربين أكثر، من خلال اللجوء إلى وفاق للبدء بفرض حل ديمقراطي حتى يشعروا بالأمن والثقة ويتعدوا عن الأسباب التي جعلت نجاحهم مستحيلاً، وإذا أخذوا بعين الاعتبار الأسس الطبقيّة التي بدأت تضيق وتنشأت يوماً بيوم، وهذا ما يترك هذه التيارات من دون أساس مادي، فإنهم سيجدون أنفسهم مضطرين لاختيار التحول الديمقراطي إذا أرادوا الحياة، حتى ولو أشارت المصالح الشخصية والعائلية القوية التي اعتادوا عليها بأنهم لن يستطيعوا الوصول إلى المقاييس الديمقراطية بسهولة، وإن اختارهم المحافظة على هذا الشكل بدلاً من أن يفقدوها كلياً، هذا هو الطريق الأفضل الذي أمامهم بشكل عام، ولذلك فإن حل وإخراج هذه الكارثة التاريخية من كونها عائقاً أمام الجاهزية للمصالحة الديمقراطية الواسعة يكتسب أهمية كبيرة.

٢. مرحلة النزعة القومية البرجوازية

لقد تطورت النزعة القومية البرجوازية داخل النزعة القومية الإقطاعية البدائية، وأدى دخول الطبقة العليا الكردية في شبكة العلاقات الرأسمالية للأوساط الإقطاعية إلى تشكيلات طبقية شبه برجوازية في هذه المرحلة، لم تكن هذه الفئة التي تطورت ضمن تبعية وثيقة بالبرجوازية الوطنية الحاكمة، قد طورت أيّاً من الخصائص الثورية أو حتى الإصلاحية التي كانت تتمتع بها الكثير من الحركات الوطنية، بل وكانت قليلة جداً، وبمثابة ظاهرة نجت قسراً عن التطورات الموضوعية، ولم يكن باستطاعتنا النضال لفتح سوق إنسجام مع مصالحها، بل هي بمثابة طبقة عميلة، لقد عملت المدن التي أظهرت نمواً مع تطور علاقات الإنتاج رأسمالياً على تقوية وضع هذا التكوين الطبقي ضمن المجتمع، وظهرت هذه التطورات الموضوعية في كامل كردستان في النصف الثاني من القرن العشرين.

أما الدعاية الهامة الأخرى لهذا التكوين الطبقي، فقد ظهرت على شكل تطور سريع للبرجوازية الصغيرة في المدن والقرى، حيث تشكلت طبقة كبيرة وواسعة من البرجوازية الصغيرة مقابل التطور المحدود للبرجوازية الكومبرادورية، وتعد البرجوازية الصغيرة التي انتشرت في الريف تطوراً هاماً جداً، وكذلك تتمتع البرجوازية الصغيرة التي تطورت في المدن في خدمة بيروقراطية الدولة، ويعيش كلا الشكّلين للبرجوازية تحت تأثير انصهارها داخل النزعة القومية للبرجوازية الحاكمة، بسبب افتقارهما للكفاح اللغوي والثقافي الوطني حول السوق الوطنية، وتبعيتهما لبيروقراطية الدولة والقوى الإقطاعية التقليدية العميلة، ولم تستطعا إظهار أية صفة وطنية أو قومية أو أي ارتباط بقيم الشعب اللغوية والثقافية، نظراً لنموهما المتوازي مع البرجوازية الحاكمة وقوميتها وقابلية الذوبان في داخلها، كما كانتا تفتقران إلى المستوى الإيديولوجي والمعنوي الضروريين بالإضافة إلى أن بنيتهما من جهة ومصلحتهما من جهة أخرى لم يكونا يتناسبان للتوجه إلى هذه النزعة.

لقد كانت القيادات الطبقيّة لهذا التكوين خائفة ممسوخة بعيدة عن الحقائق والقيادة، تتميز بخصائص الاستسلام إلى أبعد الحدود، وكلما وجدت الفرصة سانحة تعبر عن حاجتها للنزعة القومية الإصلاحية، ومثل هذه النزعة توافر الامكانات للتطور القومي، لأن الواقع الموضوعي كان يرغبهم على ذلك، إن مساندة النظام الإقطاعي لهم ووجود دول قومية حاكمة في أطرافهم الأربعة والشعب من أمامهم أرغمت أصحاب هذه النزعة على خصائص قلما يوجد مثل لها في العالم، حيث ظهرت لهذه الطبقة خصائص إيديولوجية وسياسية وثقافية وعملية برزت على شكل المكر والانتهازية والتآمر وسياسة الرياء والخيانة المفاجئة والغدر والتمسك بمصلحتهم الشخصية كأولوية والابتعاد عن النهج المبدئي وأتباع أسلوب التنازلات إلى أبعد حد، فهي تقوم بتغيير لونها كالحرباء، وتتحول إلى ثورية في لحظة، وإلى مضادة للثورة في لحظة أخرى، مما أفقدتها ثقة الشعب، وعدم الإحساس بها، والشعور بالحاجة إلى الاستناد على أسيادهم دائماً والعاطفية المتطرفة أو الابتعاد تماماً عن العواطف، كما تميزت بالديماغوجية الزائدة وفقدان الإيديولوجية والتمرد والافتقار إلى القيم المعنوية، والانقياد بسهولة إلى التمرد أو الاستسلام السريع، وتكوين النهج بسرعة واللجوء إلى الإيديولوجية مثل التخلي عنها بأقصى سرعة والبقاء من دون نصح، والحركة ظاهرياً والسكون في الداخل، والكسل والمعلومات غير المنسجمة عن الماضي، مما أصابها بالعمى لدرجة الدوغمائية واليأس من المستقبل والأحلام الجوفاء....إلخ.

لقد تأثرت كامل أجزاء كردستان بالاشتراكية المشيدة وبحركات التحرر الوطني التي تزايدت أهميتها ضد الإمبريالية في النصف الثاني من القرن العشرين، مما أدى إلى الانضواء تحت لواء البرجوازية الصغيرة اليسارية الإصلاحية، لقد وجد

أصحاب هذه النزعة، أنه من المناسب لمصالحهم أن يقدموا خصائص البرجوازية القومية المسوخة مع الثروة اليسارية، بل ومع الماركسية اللينينية التي كانت رائجة وقتئذ، ومن جهة أخرى لم يترددوا لحظة من الدخول في علاقات مفتوحة أمام كل أشكال الاستسلام والانقياد واللامبدئية مع كل أنواع المستعمرين ومع الإمبريالية، إن قطع الطريق أمام نزعة قومية ثورية وأمام الاشتراكية يرتبط أشد الارتباط بهذه المواقف للبرجوازية التي تتظاهر بأنها تقف إلى جانب النزعة الثورية وتقوم بطعن خنجرها في ظهر هذه الثورية، وهذه الصفة هي إحدى السلوكيات الأساسية للمجموعات التي تمثل هذه النزعة.

لقد فتحت الكثير من الأحزاب والمجموعات التي ظهرت على شكل تحالفات أو امتدادات لما يسمى بالحزب الديمقراطي الكردستاني والأحزاب الشيوعية التي تلتزم بخصائص الاشتراكية المشيدة الموجودة عند القوميات الحاكمة، الطريق أمام الكثير من السلبات بعد أن احتوت بداخلها كل شيء حتى النزعة القومية البدائية الإقطاعية، وعملت باستمرار على تخريب النزعة التحررية عند الشعب، ومن مواقفهم الهامة الأخرى هي الانهزامية، مما حال دون وصولهم إلى تأسيس وحدات جبهوية متماسكة، فقد كانت لمصالحهم الشخصية والعائلية تأثير مباشر في الدعم المادي الذي كانوا يحصلون عليه من الأوساط التي يرتبطون بها، وقيامهم بشل الحركة عن طريق قتل بعض الشخصيات الوطنية والشرفية التي كانت بينهم، وممارسة تحريف المبادئ هي إحدى وظائفهم الهامة الأخرى، ولا توجد لديهم أية حركات أو جهود يمكن أن تؤخذ بجديّة سواء أكانت سياسية أم تنظيمية أو ثقافية أم على صعيد الممارسة العملية، فقد قاموا بتحريف ما هو موجود وأفرغوه من محتواه، وهذه أمور مرتبطة بأصحاب هذه النزعة عن قرب، وفي أيامنا الراهنة يعيش هؤلاء أضعف مواقفهم، حيث تغيب عندهم كل الحلول.

لقد كانوا يتطلعون إلى إنهاء وتشتيت حزب العمال الكردستاني PKK لكونه يمثل طليعة جماهيرية، ولما لم يتحقق مبتغاهم بالرغم من إسهامهم في مؤامرة ١٥ شباط التي استهدفت PKK وقيادته، أصابهم خيبة أمل عميقة، بينما أدت علاقاتهم التي رسخوها مع الإمبريالية والاستعمار في كثير من الجوانب إلى تعميق عزلتهم، نظراً لأن الأرضية المادية لهم كطبقة مفتوحة للارتباط والتي هي من خصائص تكوينهم، تقتضي دائماً الانتباه إلى هذه النزعة، حيث لجئوا إلى العدا والمراوغة بنحو يتعارض وإقامة علاقات الأخوة مع الثقافات والشعوب الأخرى وفي مقدمتها شعوب الأمم المجاورة، رغم أن الطليعة الجماهيرية حاولت تطوير هذه العلاقات، لكن هؤلاء عملوا ضد العيش الحر المشترك وضمن استراتيجيات الحل بالمعايير الديمقراطية بنحو عام، وقد حاولوا فرض الاستسلام والمساومة من خلال المتاجرة بالقضية الكردية، ومن الأهمية أن يتخذ الشعب الكردي كافة التدابير اللازمة ضد من يمثلون هذه النزعة، ممن باعوا القيم المقدسة للشعب، ادوا دوراً في عملية التصفية وأقذر المؤامرات، كما يجب ألا ينخدع أحد بمظهرهم البسيط والضعيف، ومن الأهمية اتخاذ موقف يلتمز بالنقد الذاتي نحو الشرفاء من بين هذه الميول والموجودين ضمن بقايا النزعة القومية البدائية والإقطاعية حتى يتحقق لهم النجاح، وإتاحة فرصة أمام الوطنيين الموجودين ضمن البرجوازية التي تبدل لونها باستمرار وتظهر بالمظهر القومي، ولا يتورعون عن عقد صفقات البيع والشراء، ليقوموا هؤلاء باتخاذ موقف ضمن نطاق العيش المشترك المناسب في سبيل شل حركة تلك النزعات باتخاذ جميع التدابير على الأصعدة الإيديولوجية والسياسية والثقافية وفي الممارسة ليم إبعادهم كعقبة عن طريق الحل الديمقراطي.

٣ . النزعة التحررية الشعبية

إن اعتماد النزعة التحررية لشعب كردستان على هوية الحرية والمساواة التي سادت في العصر النيوليتي، يجعلها أكثر واقعية وتعليمية، حيث أن مفاهيم المساواة والحرية الطبيعية الخاصة بالكيانات الأثنية لذلك العصر وفي مجتمع يشكل أجداد وأمهات الشعب الكردي المعاصر تحتل مكانة هامة في حنين وحياة العشائر الريفية والعائلات القروية بشكل عام، حيث تظهر هذه الحقائق بنحو أقوى في المناطق الجبلية، فما زالت النزعة التحررية الطبيعية تحتل مكانة هامة جداً لدى الشعب باستثناء الفئات العميلة التي تأخذ مكانها ضمن الطبقة العليا لنظام العبودية في العصور الأولى والوسطى، فمفاهيم الخدم والعبيد لا تجد إمكانية التطبيق إلا داخل أنماط الحياة والعلاقات المرتبطة بالطبقات العليا العميلة، وعلى الرغم من تأثير شبكة العلاقات ومقاييس حياة الرأسمالية، لا زال البحث قائماً عن مفاهيم المساواة والأخوة والحرية الطبيعية لدى الشعب، ونظراً لهذا الواقع فليس من المصادفة أن تكون الجوانب التحررية متطورة لدى الشعب الكردي أكثر من كل شعوب الشرق الأوسط، لأن هذا الأمر مرتبط بتطورهم التاريخي، إن انعزال الطبقات المهيمنة والمستغلة وعدم تقديمها أية قيمة إيجابية وعيش الشعب في وضع المقاومة على مدى التاريخ ضد الطبيعة وضد الاحتلال الأجنبي، أدى دوراً هاماً في اكتساب الشعب الكردي هذه الخاصية، ووجود المرأة في المقدمة ضمن هذا التوجه أمر يرتبط بهذا الواقع التاريخي، حيث لا زالت ثقافة الربة الأم التي كانت قوية في العصر النيوليتي تعيش بكل قوتها لدى الأمهات الكرديات، ولا يوجد احترام والتزام كبير بطراز الحياة والثقافة والدين الذي جعل الرجل مهيماً، بل أن الذين يحترمون ذلك ارتضوا بهذا الوضع بسبب التقاليد والضغوط المادية والمعنوية، ومن المعروف أن هؤلاء يتمردون كلما وجدوا فرصة سانحة.

كما نجد أن الكرد تحولوا إلى فقراء وكأثما نزعة تاريخية، فقد بدأت هذه الظاهرة في الأحياء المحيطة بالمدن السومرية والبابلية والآشورية واستمرت على مدى القرون الوسطى، إذ تشكلت المدن في كردستان كما تشكل حواضر الأمم الحاكمة الراهنة، أو الحواضر التي وصلت إليها الإمبريالية، حيث تشكلت على نمط مكان للمشردين والرحل الفقراء، وقد ظهرت أساساً لخدمة القوى الحاكمة الأجنبية والطبقات الحاكمة أكثر من تشكيلها بشكل متداخل مع طبقاتها المهيمنة، فكان لأشباه العمال وحيوة التسكع التي تفتقر إلى كافة الشروط الصحية والثقافية والتعليمية كافة وكأن حياتهم الأليمة أشبه بالقدر الظالم بسبب القمع الذي تم ممارسته ضدهم من قبل المهيمنين المحليين من جهة والمتسلطين الغرباء من جهة أخرى، بالإضافة إلى استغلال قوة العمل التي تعمل بأرخص الأجور، والأمر الطبيعي أن يكون هؤلاء في حالة غضب دائمة ضد هكذا نمط من الحياة، فقد شعروا بhamشيتهم من الأعماق، مما أدى إلى خلل في التوازن الروحي وإلى البروز المفاجئ والمشارجات العائلية والشخصية التي سادت في كل لحظة، إن افتقارهم لشروط النضال الطبقي المعاصر وإمكاناته أرغمهم على المشارجات الفردية والعائلية وحتى العشائرية، كما أدى تأمر الطبقات المهيمنة بنحو منظم، إلى واقع شعب يجعل من المشارجات المستمرة بين أفرادها نهجاً له، ولهذا يحتاج هذا الشعب إلى ثقافة سلام عميقة في داخله قبل أي شيء آخر.

لقد أدى تكاثف علاقات الإنتاج الرأسمالية إلى رسوخ نمط الفكر القديم، بحيث أصبح صفة جماهيرية في تشكيل شرائح عاطلة عن العمل وعمالة شبه موسمية، وعدد قليل جداً من عمال الصناعة، بينما نرى أن البطالة متفشية بين شريحة الشباب أكثر من أي شريحة أخرى، مما دفعها إلى الهجرة الجماعية نحو المتروبولات العالمية بنحو عام والأوروبية

بنحو خاص، وبهذا ظهر وضع ظلت معه عمليات الاحتلال والاستيلاء عاجزة عن تحقيقه على مدى آلاف السنين، ففي سبيل أحلام ساذجة ولأجل حياة بسيطة يتخلى هؤلاء عن أوطانهم وأهلتهم المقدسة، حيث لا يمكن أن تحل كارثة أكبر من هذه على أي شعب، ولا يمكن الوصول إلى وضع أسوأ من هذا الوضع الملعون.

شكلت هذه النقلة والتغيير الاجتماعي الذي أزداد كثافة في النصف الثاني من القرن العشرين الأساس المادي لنزعة تحررية شعبية معاصرة، حيث خلق الوعي التحرري الوطني والطبقية تصاعداً في هذه المرحلة تحت تأثير خارجي، ليصبح التأثير بالإيديولوجية الحديثة والوعي الحديث أمراً ممكناً، كما أدت التطورات التي حدثت في تكنولوجيا الاتصال إلى تسارع في مرحلة وعي جديدة، وعلى الرغم من أن هذا التأثير نجم عن النزعة القومية البرجوازية وعن يسارية الاشتراكية المشيدة إلا أن مفاهيم الاستقلال والحرية والمساواة، جعلت التراكم الإيديولوجي ممكناً، حتى ولو كانت هذه الحركة تحت تأثير عميق للدوغمائية والطلوباوية، فقد تحقق تقييم التاريخ والمجتمع من أجل كردستان، وأصبح تقييم الشروط الذاتية والموضوعية أمراً ممكناً، وقد كان أثر التحركات المكثفة التي شهدها العالم في السبعينيات على الشباب والمثقفين الكرد الذين يأخذون مكانهم بين مثقفي وشباب تركيا مثلما كانوا يأخذون مكانهم بين مثقفي وشباب كافة دول الشرق الأوسط، وأدت إلى تقييمات تتعلق بتاريخ ومجتمع وطنهم وإلى حركات ذات مضمون قومي واجتماعي وإلى تأسيس التنظيمات، بحيث يمكننا أن نطلق على هذه التحركات اسم نزعة التحرر الشعبية، وكان حزب العمال الكردستاني PKK يشكل قوة لها أهميتها ضمن الكثير من المجموعات وتركت بصمتها على تلك المرحلة، إن هذا الواقع يتطلب الوقوف بعقم على هذا الحزب.

٤ . حزب العمال الكردستاني ميلاده وتطوره ومستقبله

أ . يمكن تقييم حزب العمال الكردستاني على أنه تيار سياسي عملي لطرح حلول للوضع القائم في كردستان انطلاقاً من الاشتراكية العلمية والخصائص الأساسية للعصر التي تركت بصماتها على القرن العشرين، لا شك في أن التفسير الصحيح للتطورات الناجمة عن حزب العمال الكردستاني مرتبطة بنحو وثيق بالتقييم السليم لواقع القرن العشرين، بالإضافة إلى ارتباطها بنوعية الثقب الأسود المحيط بالظاهرة الكردية وقضيتها، إذ أن إجراء التقييم اعتماداً على بعض المقاييس المجردة معزل عن غيرها مثل الاعتماد على صفة العنف والانفصالية سيؤدي إلى تشكيل تفسيرات ذاتية أحادية الجانب، إن تركيزنا على PKK في تقييمنا هذا يأتي من كونه يشكل الموضوع الأساس لهذه المرافعة، والأهم من هذا كونه أدى دوراً إيجابياً في التطور والتأثير ليس على الماضي القريب وحسب، بل وعلى أياها الراهن والمستقبل القريب، ومن أهم المواضيع التي يجب تسليط الضوء عليها هي: تعريف PKK من الناحية الإيديولوجية والسياسية والعسكرية والديمقراطية، وإظهار تطوره المنسجم مع مسار الانطلاقة في الممارسة والتحريرات التي ألحقت به، والتقييم الواقعي لقدرته على النقد والتحول والتطور.

يشاهد أنه تم الابتعاد عن الحقائق الموضوعية في اتهامات المدعي العام للجمهورية التركية، وفي بعض القرارات التي اتخذتها محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، وقد أدى هذا الوضع للوصول إلى تفسيرات قانونية ضيقة وذاتية، إذ يوجد تحريف خطير تحت اسم القانون، فمن جهة تجرى تقييمات مبالغ فيها بحقي، ويتم النظر إلى آلاف القضايا، ومن الجهة

الأخرى يجري اللجوء إلى أسلوب يبين وكأنه لا توجد أية علاقة بين هذه القضايا والظاهرة والمسألة الكردية، وتهدف هذه التقييمات إلى أن يؤدي الحقوق الذي يجب تفسيرها على أنه وسيلة حل عادلة للمسائل الاجتماعية للدور المطلوب منه كي لا يكون آلة لهذا الموقف السلبي، إذ تقاس القوة الأساسية للمرافعة الحقيقية بالتطورات الناجمة عن الممارسة والحلول التي طورتها للقضية اعتماداً على تلك الممارسة، وبهذا المعنى تؤدي قرارات المحكمة دوراً كبيراً سواء أكانت سلبية أم إيجابية.

ومن أجل الوصول إلى نتيجة من خلال مرافعتي، قمت في الكتاب الأول بإجراء تقييم مفصل للحضارات وللشرق الأوسط، وأما هذا الكتاب الثاني، فإنه يتضمن تحليل الوضع القائم للظاهرة والقضية الكردية، ويتضمن أيضاً التحليل العلمي والقانوني للحوادث المتعلقة بشخصي وبمعنى آخر الحلول المحتملة من زاوية القانون الدولي بنحو عام، ومن زاوية القيم القانونية والديمقراطية الأوروبية بنحو خاص، وسنجد بأنه سيتم توضيح الحقائق كافة بكل أبعادها عندما نعرف ونتعرف على PKK ضمن هذا النطاق.

من الأهمية بمكان أن نوضح وبشكل أقرب إلى الحقيقة، ماذا يعني PKK بالنسبة للاشتراكية العلمية كإيديولوجية، وما الذي نجم عنه في الممارسة العملية، وذلك من خلال التوصل إلى تحليل دقيق وصحيح، فإذا تم تناول إيديولوجية نشوء أي دولة وأعطيت دوراً عن طريق تحديد دليل عمل اساس في هذا السبيل، فإن النتيجة المحتملة، هي أن تكتسب اشتراكية الدولة معنى باعتبارها الشكل المعاصر لأيديولوجية الكهنة السومريين، وإذا القينا نظرة ثنائية على دولة الكهنة السومريين، فإننا سنجد أنها نجحت في خلق اشتراكية دولة، بل شيوعية دولة أكثر بكثير مما حققته الاشتراكية المشيدة، فعندما يكون الهدف هو إنشاء دولة، فإن الفرق الوحيد بينهما هو أن الأساس العلمي لإحدهما كان متطوراً أكثر من الاخرى غير أنهما يتضمنان الجوهر ذاته، وعندما يتم إنشاء الدولة، فإن إدارتها العليا ستكون إما مجموعة الكهنة كما رأينا في النموذج السومري، أو سلطة فلاسفة كما رأينا عند أفلاطون، وقد كانت هذه النزعة سائدة في فلسفات الدول التي تأسست حديثاً، فقد وجدوا أنفسهم ضمن المفهوم العام بأشكال الدولة الملكية المطلقة والأرستقراطية والزمر الحاكمة "الفتوية"، ويجب ألا ننسى أن دولة الكهنة السومرية، أي أول دولة تأسست، كانت تحمل في داخلها نفي المجتمع النيوليتي، أي المجتمع القائم على الحرية والمساواة والذي استمر طويلاً، ويعد هذا التطور محدوداً مقارنة مع قيام كافة أشكال الدول، وهو وضع عام، فعندما يتم إنشاء الدولة تحل اللامساواة والسيطرة محل النزعة الأساسية في المساواة والحرية، واعتماد الدولة على نظام عبودي أو إقطاعي أو رأسمالي لا يشكل أي اختلاف بينها من حيث الجوهر، فالاختلاف بينها شكلي دائماً، والاعتماد على الحقوق أو على المزاجية والتحكم لن يؤدي إلى اختلافات أساسية، فبينما يشكل حقوق الدولة القانونية، فإن الدولة المزاجية تعتمد على التفسيرات اليومية للحاكم، ومثلما تؤدي دوراً سيئاً حسب الحاكم، فإنها ستؤدي دوراً أفضل عندما يكون الحاكم إيجابياً.

لا شك أن هناك خطورة في تقييم هذا الأمر على أنه تفسير فوضوي ولكن هذا في الظاهر، فالفوضوية نزعة رأسمالية والشكل الذي تصل فيه الفردية إلى مرحلة عدم الاعتراف بالدولة، حيث لا توجد أية علاقة بين هذه النزعة أي الفردية وبين الحرية والمساواة المشاعية.

وأما المسألة الهامة الأخرى، فهي تتمثل بالدور التقدمي الذي ادته الدولة وبالتالي المجتمع الطبقي الذي تقوم عليه

الدولة على مدى التاريخ، ويتقدم مستوى العلم والتقنية بنحو محدود، أدى الفرز الطبقي والدولة كأداة دوراً تقديمياً، ولكن تبين عبر التاريخ وتؤكد علمياً أنها كانت عبارة عن ورم سرطاني في قلب المجتمع وعملت على قتل حيويته، كما يجب أن ندرك تماماً بأنه إذا كان للدولة وللفرز الطبقي مزايا إيجابية وذات معنى ومضمون بنسبة خمسة بالمائة فإنهما يحملان صفة الورم السرطاني ولا معنى لهما بنسبة خمس وتسعين بالمائة.

مهما كانت نسبة الاختلافات الموجودة بين جميع أشكال الميثولوجيا والأديان والفلسفة والعلم التي تستند على الفرز الطبقي والدولة، فإن خمساً وتسعين بالمائة منها لا تعارض تكوين الدولة التي لا معنى لها وبالتالي غير الضرورية، وهذا فإنها لم تكن أكثر من أداة تحكم ووسيلة لأجل اللامساواة، وحتى ولو خلقت اللجنة على الأرض فإنها لن تتخلص من كونها أداة للتسلط واللامساواة، وستوفر الإمكانات لقسم أو أقلية صغيرة أو لأكثر العقلاء أو شريحة، أما الأغلبية الشعبية الساحقة الأخرى فسيحكم عليها بالغباء والمحكومية، وهذا هو التمييز الذي يكمن في جوهر الدولة، إن النصيب العام الذي يشكل خمسة بالمائة والذي يجعل وجود ومشروعية الدولة والفرز الطبقي ضرورة، يصبح ذا معنى مع المستوى العلمي والتقني، وإن هذه الخمسة بالمائة لا تؤمن بضرورة وجود الدولة والعيش ضمن طبقات، وفي الأقل فإن الفرضية الأساسية للذين يشعرون بالحاجة لمفهوم اشتراكية جديدة، أصبحت تؤمن بعدم ضرورة وجود الدولة والبنية الطبقية للمجتمع، وذلك بعد عصر الثورات العلمية والتقنية في نهايات القرن العشرين.

إن هذا المفهوم ليس بعيداً عن الماركسية، ولكن عندما يتم القبول بال نموذج دولة مجردة، يمكن أن تفهم بأشكال مختلفة، مثل الدولة المعتمدة على ديكتاتورية البروليتاريا، فإن الماركسية لن تستطيع إنقاذ نفسها من مستنقع المجتمع القديم والدولة القديمة ولن تتخلص من الغرق فيه، وكما رأينا كثيراً في تجارب الاشتراكية المشيدة، حيث تشكلت أسوأ دولة وأسوأ فرز طبقي تحت اسم هذا النموذج البروليتاري، حيث نرى في الدول التي طبقت هذا النموذج أشكال دولة أكثر استبدادية وأكثر ديكتاتورية في التاريخ، فقد وصل الوضع إلى مستوى صار الوحش الذي تم خلقه بأكل أصحابه، وكما هو مؤلم أن يوصلهم الخوف الناجم عن هذا الوحش إلى درجة أنهم يرمون بأنفسهم إلى أحضان المجتمع والدولة القديمين، ووصلوا إلى درجة من القذارة صاروا يرون في ممارسة اللواط والغباء سبيلاً للنجاة، إن الدرس الأكثر أهمية الذي قدمته الاشتراكية المشيدة، يفيد بأنه مهما تم تفسير ديكتاتورية البروليتاريا، فإن المجتمع الاشتراكي الذي تأسس لن يكون أكثر من انحراف، أو لن يذهب لأبعد من أن يكون صقل اشتراكي للكثير من الدول الرأسمالية إذا لم يتم القضاء على أداة الدولة الواجب تجاوزها، إن هذا المثال يبين صحة التقييمات التي قدمناها دائماً حول مفهوم الدولة.

إن كان يراد تعريف الاشتراكية العلمية على أنها نظام يهدف حقاً إلى المساواة والحرية والصدقة والانسجام مع البيئة، فإنها مرغمة على نبد جميع أشكال الدولة بما فيها ديكتاتورية البروليتاريا من حقيبتها، لا شك أن المجتمعات لا يمكن أن تبقى من دون نظام أو من دون تنسيق، ولكننا نقول: بأن عصر العلوم والتقنية استطاع أن يجعل الدولة تفقد معناها كأداة يمكن أن تقوم بهذه المهمة، ويمكن أن تشكل المقاييس الواضحة للديمقراطية والتي يمكن تطبيقها هو النموذج الأنسب وإن لم يكن مثالياً، لتأسيس أشكال نظام اجتماعي ديمقراطي بالافادة من الامكانيات المتوفرة عن العلم والتقنية تعتمد على المساواة والحرية والانسجام مع الطبيعة، حيث لا يمكن أن نطلق على هذا النموذج اسم الدولة، فقد استحق عصرنا أن يطلق عليه مصطلح المرحلة التقدمية من النظام الديمقراطي أو بتعبير آخر مصطلح الحضارة الديمقراطية.

يمكن إعطاء صفة أكثر شمولية للنقد المتعلق ببنية الإيديولوجية الاشتراكية العلمية، كما يمكننا ملء مجلدات بالنقد حول مواضيع مثل: المنظمة، الممارسة، الأمة، الدين، الفن، الفلسفة، المرأة، المسألة القومية، علاقات البنية الفوقية والتحتية، مفهوم التاريخ، تطبيق الاشتراكية والأمية في دولة واحدة... إلخ، ولكننا نجد أن النقد المتعلق بالدولة كاف من أجل التقييم الذي نقوم به على مستوى التعريف.

إن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن حزب العمال الكردستاني PKK، اعتمد على الاشتراكية المرتبطة بمفهوم الدولة أثناء نشوئه، وبالإضافة إلى وجود بقايا الحياة الإقطاعية وتأثيرات القومية البرجوازية، إلا أن ما ترك بصمته على هذا النشوء هو مفهوم الاشتراكية، التي تم استيعابها ضمن مستوى التعاطف مع المؤسسين الأوائل، التي تم شرحها في الكتب الكلاسيكية المحدودة، ولم يكن قد تم التوصل إلى صياغة جوهرها في تركيا السبعينيات، ومن الواضح أن التسليح بإيديولوجية قائمة إلى هذه الدرجة سيؤدي مستقبلاً إلى خلق مشكلات هامة، وأما المسألة الأخرى المرتبطة بهذه النقطة، فهي الدخول في تقييمات للتاريخ وللوضع القائم على ضوء الاشتراكية، وبشكل عام كانت عبارة عن عملية نقد محدودة للنظام الرأسمالي، وقد اتجه هذا النقد نحو الاقتصاد أكثر من أي موضوع آخر، وهذا يؤدي إلى نقص حاد في تكوين إيديولوجيا متكاملة، حيث دراسة حضارات الشرق الأوسط وخاصة المجتمع السومري لم تكن ممكنة، فوثائقها لم تظهر إلا في وقت متأخر، وما كان موجوداً منها في أدبيات الاشتراكية كان ضيقاً ومشوشاً لأسباب مشاكل الترجمة والضعف الثقافي والبنية الذهنية الدوغمائية الطوباوية، وبالتالي فإن تحليل تاريخ الشرق الأوسط وتاريخ الكرد وكردستان كجزء من هذا التاريخ الضحل والمليء بالمغالطات، ومادام الأمر كذلك فمن الطبيعي أن تفتح أطروحات القومية والاشتراكية المشيدة الطريق أمام مفاهيم تاريخية واجتماعية وقومية انتقائياً.

إن تناول مفاهيم التاريخ والمجتمع والقومية على المستوى المجرد والتخطيط، سينعكس على البرنامج والبنية التنظيمية كما هو، وإن الافتقار للإسهام الذي كان في البدء للشخصية القومية والطبقية المتطورة، ومنبته القروي الفقير، أدى إلى خلق كادر واهن، كما أن سيطرة الشوفينية الاجتماعية على اليسار التركي، وعلى القضية الكردية بالإضافة إلى تأثيرات القومية البدائية والبرجوازية الكردية التي تعد القطب المضاد، جعل شروط التطور أكثر صعوبة، وبالرغم من كل أخطاء ونواقص هذه الشروط الإيديولوجية والتطبيقية، فقد أدى الفراغ الكبير الذي شهدته الظاهرة والقضية الكردية، وبفضل بعض الجهود المحدودة، إلى ولادة صعبة وتطور أصعب، حيث لم تكن هذه الولادة وهذا التطور يستمدان قوتهما من البنية التنظيمية والخبرة المتطورة، إذ لم يتبن أحد هذه القضية، ولكن بعض الجهود الذاتية المحدودة أدت إلى حدوث الانفجار اللازم، وضمن هذا الاتجاه، فإن هذا الأمر يشبه الحركات النبوية إلى حد بعيد، فمن المعروف أن حواربي عيسى الاثني عشر قد التزم شملهم بصعوبة بالغة، فقد عاش حوهم فقراء كثيرون ينتظرون حدوث المعجزة وبالرغم من كل ذلك، فقد تحققت أكبر حركة عقائدية وإرادية في التاريخ، إن حزب العمال الكردستاني يشبه حركة هؤلاء الحواربيين إلى حد ما، بسبب البنية الصوفية العامة للشرق الأوسط، فلا يمكن أن تكون بنية المنظمات الغربية المعاصرة إنموذجاً للشرق الأوسط لوجود فرق كبير في التاريخ والهوية الأمر الذي سينعكس على البنية التنظيمية والممارسة العملية، وأحد أسباب التطور السريع للطرق الدينية في تركيا يكمن في هذه الخصائص.

يمكننا القول أن ظهور حزب العمال الكردستاني PKK قد تم كتركيب نصفه بنية اشتراكية حديثة والنصف الآخر هوية

شرق أوسطية تقليدية، ومن هذه الزاوية فهو يعبر عن رمز نوعي لتكريب بين النزعتين الشرقية . الغربية، ويستمد أسباب ضعفه وقوته من هذا التركيب.

إن الجانب الهام في تركيب حزب العمال الكردستاني بين شرق وغرب هو خصوصيته ومواقفه العقائدية، إذ ليس له أية تبعية لأي مركز دوعمائي ولا يتغذى على أحلام رخيصة، بل يعتمد على الناس الشرفاء والشجعان ولا يقدم وعوداً للمتسبين إليه بمصالح أو مناصب معينة، وموقف الحزب يترك أبوابه حرة ومفتوحة على الحق والعدالة والجمال ويعتمد في نهج حياته على المساواة واحترام العمل، وكلما تقدم فإن المجتمع سيتبنى التنظيم بعد أن يرى بعينه هذه الخصائص الأصيلة، وسيتم اكتشاف جاذبيته ليس من خلال الكلام، بل من خلال العمل وطرز الحياة، إن هذه الخصائص هي التي تمنح السرعة والشخصية للتطور الأول، ولكن عندما يظهر بأن هذه الخصائص غير كافية، فإنه سيكشف بنفسه عن جوانبه الضعيفة.

عندما نمت الحركة وخرجت عن كونها حركة مجموعة ضيقة، فقد كانت تظهر عدم كفايتها بسرعة وتظهر مشكلات التنظيم والممارسة العملية الجادة، علماً بأن تحامل قوى النظام في هذه الأثناء قد أدى دوراً يشبه صب الماء على الفولاذ، وقد جلب التوجه نحو الخارج معه مرحلة مهمة في تاريخ تركيا والأناضول من جهة وكردستان والشرق الأوسط من جهة أخرى، وفي الوقت الذي أسفرت التوازنات العالمية عن اشتباكات عنيفة في كل من سورية وفلسطين وإسرائيل ولبنان، كانت تقدم فرصة ملائمة للتطور، ثم جاء اندلاع الثورة الإيرانية والحرب العراقية الإيرانية مما وفر ظروفاً أنسب، كما شكلت الظروف التي أدت إلى انقلاب ١٢ أيلول في تركيا ومواجهة الانقلاب من الخارج مزايا جديدة، وفي حين كان يتم انتظار موت مبكر أثناء الولادة، أو مجيء منظمة محدودة في ظروف مختلفة، بدأت مرحلة ١٥ آب المعروفة، حيث كانت هذه المرحلة عبارة عن نقلة غير مخطط لها وكان يغلب عليها جانب التلقائية مثلما اعتقد منذ البداية، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت نتائجها كبيرة، حيث ظهرت طليعية حزب العمال الكردستاني ودخل أعضاؤه في مرحلة تطور جديدة غير متوقعة.

ب . إن تقييم حزب العمال الكردستاني بنحو واقعي وتعريفه خلال هذه السنين التي تعني مرحلة تاريخية جديدة بالنسبة للكرد وكردستان بنحو عام، يحظى بأهمية كبيرة من زاوية الوصول إلى الحقيقة، ففي البداية أظهرت الاشتراكية المشيدة التي كانت موجودة في الولادة الإيديولوجية وجهها الحقيقي بعد أن رمت قناعها في هذه المرحلة الجديدة، فقد تم التخلي ولو بشكل محدود عن الإيديولوجية التي تمثلها، وتسترت الهوية التقليدية مع كل انتهازيتها باستخدام الصلاحيات والأسلحة التي وقعت بيدها، خلف شخصية أشبه ما تكون بنمرود، وهجمت الشخصيات التي كان يغلب عليها الجانب الإقطاعي الكامن بكل عشقه للسيطرة، مستمدة قوتها من النزعة القومية البدائية التي كان لها تأثير فعال في مجال الحركة، ولأن الكوادر القروية الفقيرة المخلصة كانت ذات تجهيز محدود، فلن تستطيع تحقيق التحولات الضرورية، مما زاد الشخصية من جرأة الإقطاعية التي أسندت ظهرها إلى القومية البدائية، وتربع المعتصب الإقطاعي على المكاسب التي حققتها أعمال قيادة الحركة ونتاج الجهد الذي تم بذله بطريقة يصعب تصديقها، إن تعطشهم للسلطة خلال مئات السنين وقيادتهم المزيفة، أخذ القسم القليل مما تبقى من عقلهم.

لقد فهمنا بنحو متأخر جداً أن هؤلاء قد جعلوا القضاء على المتبقين من بنية الكوادر الملتزمة بالحركة عن مبدئية وإخلاص نهجاً من الممارسة المنظمة لهم عن طريق المتأمرين والإقطاع، منذ استشهاد الرفيق عكيد "معصوم قورقماز" الذي كان رمزاً للكوادر المخلصة في الحركة، بدأت تتوضح أبعاد النزعة المسماة بـ "العصابة الرباعية" ضمن الجهود المظلمة التي لم

يكن قد تم تسليط الضوء عليها، لقد شهدت أعوام ١٩٨٧ - ١٩٨٨ مرحلة تركت العصابة بصمتها عليها، ففي البدء أتخذ مفهوم الممارسة شكل مسار يصعب تصديقه أو من النوع الذي يمكن تسميته "لا تمارسه سوى العصابات"، حيث تم التخلي في هذه الممارسات عن مقاييس الحركة الإيديولوجية والمعنوية والحقوقية والمسؤولية والإخلاص، إنه موقف لا يمكن التعرف فيه على ما يقوم به كل شخص، موقف لا يلتزم بأي قواعد حرية، حيث كانت العصابات تلوث كل شيء مثل الداء، وحتى لا ينفذ الأمر كان يتم تزيين المواجهات لدرجة أن العصابة وصلت إلى مستوى قتل الكوادر المخلصة.

إن حادثة الشهيد "حسن بيندال" في بداية عام ١٩٩٠ والجانب التأمرى الفاضح جداً، كان يدل على ضرورة التفكير الجدي، وكانت هذه مجرد إشارة، على أن هذا المفهوم هو المسؤول وبمتهى الوعي عن موت الكثير من الأطفال والنساء دون أي وجه حق ورغم عدم الاضطرارية فقد كانت نزعة مجنونة، والكادر المنحرف يستطيع قتل أغلى رفيق له من دون أن يرف له جفن مجرد الشعور بأنه يقف حاجزاً أمامه، ولقد وصلت البنية إلى حالة أصبح فيها الجميع شركاء في الجريمة، وأما الكوادر المركزية القديمة التي كان من المفترض أن تكون مسؤولة عما يحدث، فقد كانت تؤدي لعبة القروء الثلاثة وتقول "لا اسمع، لا أرى، لا أعرف"، وبالرغم من كل الحملات التاريخية التي نُفذت وكل الدعم الذي تم تقديمه كطليعة، فقد استطاع أصحاب هذا المفهوم تفريغ كل شيء من مضمونه من أجل مصالحهم الدنيئة التي لا قيمة لها، فقد كانوا يفسدون الشباب الذين يمثلون ثمرة للعمل الطويل والجهد الكبير ويرسلونهم إلى الموت جماعات تلو الأخرى، لأجل تنفيذ عمليات غير ضرورية وغير مخططة، ربما لأجل غلبة سحائر أو لأجل صندوق طعام غير ضروري، لقد تحولوا إلى آلات لأكل البشر، وكانوا ينظرون إلى الفتيات بعين الاستهتار، بدلاً من النظر على أهن زهرات أمامهم، كما لم يترددوا لحظة في فرض بدائيتهم عليهن عندما تكون الفرصة مواتية، وعندما يقعون في مأزق كانوا يرمون بأنفسهم في أحضان الدولة أو في مراكز القومية البدائية، وحولوا أوروبا بهروهم إلى ما يشبه خانٍ على مفترق الطرق، وأما بالنسبة للتدريب، فناهيك عن تدريب أنفسهم فقد وضعوا وسائل التدريب التي تطورت بمجهود طويلة ومضنية تحت الحجرة، والانضباط التنظيمي أدرجوه على رأس ما يجب تحريره، وبدأت تسيطر الأوامر الكيفية واستخدام الرفاق لأجل الذات والغرائز الملعونة للطبقة المهيمنة منذ آلاف السنين بأكثر أشكالها البدائية، وبهذا المعنى فإن حزب العمال الكردستاني PKK، فقد جوهره وشكله بنسبة كبيرة بين أعوام ١٩٨٧ - ١٩٩٧ على الرغم من كل الإجراءات التي تم اتخاذها، صحيح أن لحزب العمال الكردستاني قاعدته الجماهيرية وله عمليات شجاعة، فهو أول من قدم الشهداء في صيام الموت وهم الذين حافظوا على شرفهم في أصعب الظروف، ولكن الذي حدث كان مختلفاً جداً، سواءً في السجون أم في الجبال أم في أوروبا، فقد قاموا بممارسات لأجل رغبات غريزية دنيئة متوارثة من الطبقة المسيطرة في حملة كبيرة، وكانوا يعتقدون بأن كل لعبة أو جريمة ما هي إلا مهارة يقومون بها.

ورغم أنه لم يتم إجراء إحصاء كامل، فيمكن القول بأن نسبة تسعين بالمائة من أعضاء المنظمة وكوادرها الحزبيين الحقيقيين كانوا ضحايا لهذا المفهوم عن طريق فرض الخطر بنحو واعٍ، وباستطاعة الأبحاث المفصلة أن تكشف عن هذه الحقيقة بشكل أفضل، وخسارة حزب العمال الكردستاني على كل مستوى بما في ذلك تطور المؤامرات على القيادة والخسائر الساحقة التي مني بها على صعيد الكوادر والمحاربين والأنصار والخسائر اللامحدودة في الأدوات والتموين والمستوى الجماهيري، كلها كانت مرتبطة بهذا المفهوم، ومع الوصول إلى عام ١٩٩٨، واختطاف شمدن ومن ثم اعتقاله شكل دليلاً مهماً على الوضع الذي آل إليه ما يسمى بمركزية PKK، والإدارة التي هيأت الأجواء والظروف لهذا الشكل من الخيانات والتي ما زالت

موجودة ولو بنحو أقل، كيف تستطيع توفير الاحترام لعقلها وشخصيتها؟.. وما هو ضميرها؟..

يمكن إجراء نقد شامل أيضاً فيما يتعلق بالنهج العسكري، فما الذي يمكن أن نطلقه على واقع حرب العصابات، وبنحو خاص لقيادتها التي لم تستطع الإصرار على فتحها في الدفاع المشروع، فعلى الرغم من الإمكانيات العسكرية غير المحدودة وعلى الرغم من أن الأجواء تقدم فرصاً عظيمة، والدعم الجماهيري واللوجستيكي، كيف يمكن للهروب من التدريب والتنظيم الذي يحمل المعنى العسكري ومسار الآفاق، وللكتل الذي يتجاوز حياة السواح أحياناً في أجواء الإمكانيات الواسعة، وكيف يمكن للقيادة التي تفتقد إلى الجوهر، تضييع حاضرها من أجل لا شيء، أن يحققوا الانسجام بين أنفسهم وبين الشخصية العسكرية؟. رغم توافر كافة الخصائص والظروف المثالية لأجل حرب دفاعية مشروعة، كيف نستطيع أخذ قيادة لا ترغب في معرفة كيفية الدفاع عن النفس في أنسب الجبال مأخذ الجدية؟.. إن هذه القيادة التي تعد أكثر الناس جرأة عبأً عليها، كيف تستطيع على أن تمثل مركزية التطبيق؟.. فمن الواضح سواءً اعتمد هؤلاء على الدول ام على أوروبا ام على القومية البرجوازية البعثية، فإن النزعات العصبانية طبعت التنظيم والقيادة العسكرية ونهج الممارسة وحياتها بطابعها، وهي التي سببت الاختناق للقيادة وأوصلت التنظيم إلى هذا الوضع.

عندما كنت في الخارج في نهايات عام ١٩٩٨ أتذكر أنني أدليت بأحاديث قُبيل الإعداد للمؤتمر السادس، وقلت: "ماذا أستطيع أن أفعل لهذه الغنائم والجردان المحارير الذين أوصلوا حرباً دفاعية مشروعة كان يمكن الانتصار فيها عشر مرات إلى هذه الحال؟"، لقد غلبتُ في مواجهة التنظيم، فميول العصابات لدى التنظيم قد أصابته بالبلادة والابتعاد عن الوصول عن أية نتيجة لدرجة أن المغلوبيّة كانت تفعل فعلها كالحض في داخلي، ووصلت إلى درجة التصريح لأحد الصحف الإيطالية بنحو غير اختياري لأقول: "إنني استقبل من التنظيم، حيث صرح شديني في اعترافاته فيما بعد قائلاً: "أنا الذي صنعت هذه المرحلة"، وكان مصمماً على كلامه الموثوق لدرجة طلب جلسة سرية من المحكمة، والوجه الداخلي للمرحلة ما زال مجهولاً، حيث بدت في الأفق كارثة تشبه التي حلت بالشعب الكردي على مدى التاريخ، فالرجعية الكردية كانت تتأثر لنفسها، وتقوم بما تصبو إليه باستخدام الإمكانيات الذهبية لـ PKK من الداخل بعد أن عجزت عن القيام بها من الخارج بالتفاهم مع الدول وتحاول بذلك ضرب PKK بحجر أعمى لإشباع ذاتها.

ولم تستطع الدولة أن تفهم السبب الذي جعل حزب العمال الكردستاني ينجر حرباً كان باستطاعته أن يكسبها بكل سهولة، وتكتشف فيما بعد أن سبب ذلك هو التدابير التي اتخذتها، كان يجب أن تتوقع أن السبب هو إسهامات قوة الرجعية الكردية الداخلية والخارجية، ولكن الدولة التي تحولت إلى عصابة فقدت الكثير من قيمتها، ومن المفيد أن نستخلص الدروس من إنذارات ٢٨ شباط، حيث كانت الدلائل في عام ١٩٩٨ تشير إلى أن الطريق المناسب للأطراف كافة هو تجاوز الاختناق القائم عن طريق الحل السلمي والديمقراطي المشرف، وكان هذا التصميم يتشكل عندما كنّا في الشرق الأوسط، وتم فتح طريق الرسائل غير المباشرة، وعندما تم إظهار ردود الفعل على المصالح اليومية والبسيطة في الشرق الأوسط والتوجه نحو أساليب الإمبريالية بالتحول إلى خدم لم تسمح بإعطاء فرصة للحل المشرف وللأساليب المناسبة لها من أجل الوصول إلى وضع مناسب لمصالحها، وبذلك قررت كافة الدول في الشرق والغرب وقامت بمؤامرة لا إنسانية، دون إظهار أدنى احترام لتقاليد الحقوق والديمقراطية، وأمام وضع كهذا كانت الأعمال التي يمكن القيام بها محدودة وصعبة، وكان أسهلها اللجوء إلى الموت، وخطة المتأمرين خططت لهذا وتطلعت لهذا التوجه، وأما الطريق الذي لا يعطي لهم الفرصة لذلك فهو تجربة العيش

مصوباً داخل نظام تابوتي، فكل شيء كان يدل ويرغم على نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة.

إن المصدر الاساس للانحراف والقصور الذي ظهر في البنية الإيديولوجية والممارسة العملية لحزب العمال الكردستاني في مرحلة الولادة والتطور، مرتبط بنحو وثيق بمفهوم الدولة وبنمط عنفها، فالعلاقة واضحة بين ديكتاتورية البروليتاريا الاشتراكية ومفهوم الثورة المعتمد على العنف، ففي حالة العنف الثوري وفي حالة نجاحه، لم تستطع ديكتاتورية البروليتاريا كتعبير مؤسساتي لهذا العنف أن تمتنع من إظهار الطابع المتناقض في الاشتراكية المشيدة أو في الامتناع عن التحول إلى أداة عنف رأسمالية، واصلت هذه المرحلة التي مرت وسط آلام لدى السوفيات على شكل ثقافة إمبراطورية تقليدية تتناسب مع مصالح الرأسمالية القومية ليتواصل على شكل دولة رأسمالية تتميز بالديكتاتورية ولا تتضمن التعددية ولا زالت تمارس الدور نفسه، وتحقق التحول خطوة بخطوة ضد مصالح الشعب الكادح، وبالنتيجة ثبت عدم إمكانية استخدام ديكتاتورية البروليتاريا كوسيلة ناجحة للوصول إلى المجتمع الاشتراكي، وهذه الحقيقة والنتيجة المهمة بمعناها السياسي والإيديولوجي هي أهم نتيجة للقرن العشرين.

ومن ثم فإن تجديد مفهومي الدولة والثورة في الإيديولوجية الاشتراكية، يشكل أساساً لكل المسائل، وتحاول بعض الدول والأحزاب السياسية، إجراء التجديد في نموذج الديمقراطية الاجتماعية القديمة التي تعتمد على النظام الرأسمالي، وتشهد أوروبا الشرقية وروسيا نشاطات مكثفة في هذا الاتجاه، فبعضهم اتجه نحو تشكيل حركة جديدة اعتمدت على حركات البيئة والخضر، بينما تحاول فئة أخرى أن تستمر ضمن مؤسسات المجتمع المدني، وتحاول الفئات الأخرى المحدودة التصميم على القدمم والبقاء واقفة على أرجلها بما يشبه الطرق الدينية، ومن الواضح أن هذه المناطق تشهد مرحلة انتقالية، وما يجب القيام به هو خلق شكل إيديولوجية متكاملة باسم الشعوب وخلق الممارسة المنسجمة معها، ومن الطبيعي أن تستمر المناقشات في هذا الاتجاه حتى يتم تحقيق نتائج ناجحة من خلال الممارسة.

إن الأمر الضروري والعاجل بالنسبة لحزب العمال الكردستاني، هو إعادة البناء وإجراء النقد والنقد الذاتي بنحو سليم وعميق، وتحقيق الاستمرارية بنجاح في ضوء الأوضاع التي يمر فيها العالم برمته، وليس صحيحاً ربط هذه المرحلة بالهزيمة أو بالنجاحات الكبيرة، ولكن المواقف سطحية لهذا التوجه، بينما هذه المرحلة ضرورية ولازمة حتى ولو تحقق النجاح الكامل، فإذا وصل الوضع إلى بناء دولة قوية جداً كالمثال السوفياتي فإن المرحلة ستكون صعبة أكثر، ومن الجانب الآخر هناك الهزيمة الكاملة، وبناءً عليه فإن القول: لنقم بتغيير كل شيء هو خطأ مثل الموقف الأول في الأقل، فعندما تكون أسباب النجاح والهزيمة واحدة، وعندما لا يتم التطرق إلى هذه الأسباب، فإن التحولات التي ستجري لا تعد بتجديداً بل إصلاحاً أو ترميماً، وبهذا المعنى فإن إعادة البناء لا تعبر كثيراً عن التجديد، والتشكيل الإيديولوجي الاساس هو الحاجة والمستوى التطبيقي الصادق لتنفيذه.

إنني أشعر بالقلق إزاء تطوينا للمفهوم الاشتراكي اعتماداً على نقد الدولة الرأسمالية التي هي الشكل الملموس في يومنا لدولة الكهنة السومرية، لأن ذلك سيتضمن أخطاء ونواقص جادة، إنني على قناعة بأن الأخطاء والنواقص الأساسية للماركسية ناجمة عن هذا النموذج من الاشتراكية، حيث يجب إجراء تفسيرات عن طريق النظر إلى النواقص التي تجلت باعتماد أنجلس في المراحل الأخيرة على كتاب "المجتمع القديم" "لورغان"، ويجب عدم تفسير ذلك أن ماركس أهتم بما ورأى أخطاءها، إن عدم خروجها من دائرة الرأسمالية حولهم إلى قطب يساري من هذا النظام رغم عدم رغبتهم في ذلك، وهذا

عبارة عن شكل متطور من أشكال التمايز بين اليمين واليسار الذي حدث خلال الثورة الفرنسية، ولا شك أن عدم إدراكهم بأنه لا يمكن إنشاء البديل عن النظام الرأسمالي أو تجاوزه عن طريق نقد النظام شكّل نقاط الخطأ والضعف الأساسية، طبعاً هناك أخطاء أخرى مرتبطة بهذا وأدت إلى تشكل نقاط ضعف أساسية، ومنها الموقف الاقتصادي ودور الإيديولوجية، والاعتماد على وجهة نظر الطبقة المهيمنة أثناء تحليل الدولة وتكرار إنشائها باسم البروليتاريا والموقف الرجعي من الدين، وعدم تحديد دور مؤسسات البنية الفوقية ككل كما هي في الواقع، وغض النظر عن العامل المعنوي المؤثر.

وبالنتيجة يجب أن يفهم الكادحون بأن عالمهم لن يتأسس بعقائد ومعنويات على مستوى أكثر تخلفاً بكثير من مستوى الذين صنعوا دولة الكهنة السومرية، حيث يجب عليهم أن يروا ذلك بنحو جلي وبمفهوم نظري من أعماقهم، والأهم من ذلك يجب أن يؤكدوا بنحو أقوى على أن أشكال المجتمعات التاريخية لا تتكون إلا بطراز عملي وحياة تطبيقية جوهرية تشبه الصخرة، بالإضافة إلى أن عدم قيامهم بتحليل الديمقراطية بشكل نقصاً كبيراً.

إن الموضوع الذي أردت توضيحه من خلال وجهة نظر شخصية هو أنه من الأفضل الاعتماد على تحليل المجتمع النيوليتي، ليس ضد النظام الرأسمالي فحسب، بل ضد جميع أشكال الدول والمجتمع الطبقي مهما تعددت الأسماء التي تطلق على أنماط الدولة، وهي النقطة التي يمكن أن تخلق النظام الإيديولوجي الذي ينقل الكادحين إلى عالمهم، أي إعادة تشكيل بنية المجتمع اعتماداً على المساواة والحرية الذي وجد تطبيقاً لها في المجتمع النيوليتي أكثر من كافة المجتمعات، وذلك من خلال إعادة تشكيل النواحي الاقتصادية والاجتماعية والديمقراطية والإيديولوجية المعتمدة على الأساس العلمي والتقني المتطور، ضد المجتمع الطبقي السومري، وضد الأنظمة الحضارية المعتمدة على المجتمعات الطبقيّة كافة التي جاءت بعده.

وإذا أردنا ترتيب خصائص المجتمع الطبقي ضمن هذا الإطار التعريفي فإننا نحصل على الترتيب التالي:

يعتمد المجتمع الاشتراكي كإيديولوجية على التطور العلمي، ويعد استخدام التقنية معنوياً يعتمد على الحرية والمساواة الاجتماعية وعلى الانسجام مع الطبيعة من جهة، ويشترط وضعها تحت الإشراف التام للقواعد الحقوقية من جهة أخرى، ولا تعطي التقنية الأولية للمبدأ الاقتصادي، بل للمبدأ المعنوي والتنظيم القانوني، إذ لا يمكن لأية مصلحة اقتصادية أن تكون أكثر قيمة أو أكثر أهمية من المبدأ الذي لا يستخدم العنف من أجل تخريب توازن المجتمع في المساواة والحرية والانسجام مع الطبيعة، إن الأمر المهم هنا، هو أن العلم والتكنولوجيا يشكلان دليلاً مستمراً للشكل الذي سيضع المجتمع ضمن المصالح الحيوية، وإن الشكل الإيديولوجي الذي يقدم جواباً لهذا الهدف، يشكل أساساً يدل على الطريق بكل قدسية وطواعية لعوالم الذهن والروح التي تعد عناصر كبرى، فإن الأخلاق الجديدة ستؤدي دور الدين ضمن هذا الإطار، ويقدر ما يتم الالتزام بهذا الهدف فإنه سيتم احترام كافة القيم الفكرية والعقائدية، وهذا النحو الإيديولوجي يملك أولوية وقيمة تمثل الفكر العلمي والأخلاق التحررية، وستجد الحرية الفردية والسلامة الاجتماعية آمالاً وتطلعاتها المناسبة ضمن هذا الإطار الإيديولوجي، وبعبارة أخرى سيتحقق التركيب العالي والناجح لمستوى الحرية الاجتماعية والحرية الفردية ضمن هذا الشكل الإيديولوجي.

إن نقد الأنظمة الاجتماعية كافة بما فيها الاشتراكية المشيدة والكيانات المشاعية الصغيرة يعتمد على مسألة التضحية بطرف لصالح الطرف الآخر، بينما الصحيح هو تحقيق وحدة الآمال والتطلعات والوصول إلى التركيب الراقي والمناسب.

لا يمكن للمجتمع الاشتراكي أن يحل مسألة تجاوز الدولة والمجتمع القدام عن طريق ديكتاتورية البروليتاريا والاعتماد على

الإرغام، ولا يمكن لأي إرغام يعتمد على الاستغلال العدواني واكتساب القوة أن يكون له مكاناً في وجهة النظر الإيديولوجية للكادحين، إنه يتناقض مع النظام الإيديولوجي الذي يعتمد على استخدام الإكراه والقوة في إسقاط الدولة ولو كانت تعتمد على العنف، وإن هذا المبدأ الأساس لا يعني "لننعمد على الدولة الموجودة ولنستسلم لها"، بل على العكس من ذلك، إنه يعتمد على تجاوز هذه الدولة، كما يعتمد على مبدأ النضال ضد كافة مفاهيم وممارسات هذه الدولة، ولكن ليس بمدها عبر استخدام الإرغام والقوة أو بواسطة المنظمات التي تعتمد العنف، بل بتبني استراتيجية التصدي لها عن طريق إفراغها من محتواها بواسطة حيوية ومواقف "الدفاع المشروع"، إذ يعد الدفاع المشروع من ضرورات القانون الكوني ومبدأه الأساس.

فإذا وصل القمع إلى مستوى استهداف الأرواح، وإذا رفض جميع حقوق الإنسان الطبيعية، وإذا تم قمع الحقوق الثقافية للشعب بالعنف والرفض، وإذا سيطر قمع القوى الاجتماعية التي تصمم على استخدام هذه الحقوق، فإن على وحدات الدفاع الشعبي أن تنتقل إلى مرحلة الدفاع المشروع الداخلي والخارجي، حسب أدق تفاصيل العلوم الحربية ضد الدولة الخارجة عن الحقوق التي لا تنسجم مع مقتضيات قانون الحقوق الكوني، وضد ممارساتها القسرية، إن مفهوم الدفاع المشروع يقتضي ضرورة النظر إلى هذه الحرب على أنها حق دستوري، ومواصلة النضال فيما إذا كان الدستور لا يتضمن هذا الحق، حتى يتم سد هذا القصور الدستوري، وبالطبع لا يمكن أن يأخذ الدفاع المشروع شكل العنف المسلح، فيما إذا كانت الدولة القائمة دولة حقوق وتعتمد على المعايير الأساسية لحقوق الإنسان والسياسة الديمقراطية، حتى وإن عزت بعض المنظمات الثورية ودول الاشتراكية المشيدة حماية الوطن وحماية الثورة إلى الدفاع المشروع، فإن القسر الذي تمارسه لا علاقة له بهذا المفهوم، حتى أنها برهنت على أنها أكثر أنظمة تتبنى الإرهاب، إن أحد أهم مبادئ الدفاع المشروع هو عدم مصالحته مع نموذج الدولة الإرهابية، وربما لا تتم الحرب ضد الدولة الإرهابية بنحو مسلح لضرورات تكتيكية، ولكن عدم المصالحة معها وعدم الاستسلام لها هو شرط مبدئي. وبالتالي فإن المبدأ المتعلق بالجمال السياسي، هو المجتمع والسياسة والدولة الديمقراطية، ومن الواضح أن الدولة التي نتحدث عنها تختلف عن الدولة التقليدية، فالدولة الديمقراطية هي الدولة المرتبطة بإطار الحقوق الكوني والتي تحافظ على استمرارية وجود القنوات مع السياسة الديمقراطية التي توفر امكانيات تأسيس المجتمع الديمقراطي، وكافة مؤسسات المجتمع المدني المختلفة، أما إذا لم تنسجم الدولة مع هذه المعايير فمن الواضح أن هناك ضرورة لكي تقوم التكتيكات الحربية ووحدات الدفاع الشعبي ارتباطاً بإستراتيجية الدفاع المشروع بآدى دورها حتى تنسجم الدولة مع تلك المعايير، وإذا دققنا قليلاً فسنجد أن هذا المفهوم السياسي لا يعتمد على إسقاط الدولة أو على خلق دولة جديدة مختلفة، إنه يهدف إلى تحويل الدولة الموجودة إلى دولة الحقوق الديمقراطية، كما لا يهدف إلى تحويل الحدود السياسية بل إلى تحقيق التحول ضمن الدولة، وعندما لا يكون هناك وضع الدفاع المشروع إذا مورست السياسة ضمن القواعد الديمقراطية، حينها لا يكون هناك وضع للدفاع المشروع وممارسته وسيتم اكتساب الحقوق بالنضال الديمقراطي، أما إذا تم إنكار الحقوق ومنع تطبيق القواعد الديمقراطية، فسيتم اللجوء إلى جميع أنواع الدفاع المشروع بما فيها الشكل المسلح حتى يتم الوصول إلى نتيجة.

إن الأمر المهم هنا الذي يجب أن تخلقه وحدات المجتمع المنظمة والواعية التي تحدف إلى سد الحاجة التي يتم الشعور بها حول أي موضوع أو مجال، هو خلق المجال الثالث كي يتم تجاوز المجتمع والدولة التقليديتين، ويقصد بالمجال الثالث المفهوم السياسي والتطبيقي الذي لا يقف إلى جانب المجتمع والدولة القديمين كما لا يقف ضدهما، ولا يعطي الفرصة للوقوع في وضع يعمق المأزق عن طريق المواجهات المستمرة والذي يحل التناقض بين مستوى الوعي والحرية الذي سيتحقق في داخل

الدولة والمجتمع اللذين لم يحققا تحولاً بسبب قصورهما، فقد بدأ كان يتم التحول إما بواسطة النظرة الرسمية للدولة وممارستها التي تقضي على المجتمع القديم، أو كانت تتم محاولة تشكيل مجتمع جديد عن طريق القضاء على الدولة بواسطة النظرية وممارستها، أما نظرية المجال الثالث وممارستها، فتعتمد على تشكيل المجتمع الجديد عبر وعي ومنظمات هذا المجتمع الضرورية، وضمن التوازنات العالمية القائمة والحد الأدنى من الشروط الديمقراطية، حيث يتم العمل ضمن هذا المفهوم من أجل تحقيق التحول ضمن جو من التطور والسلام عن طريق خلق البديل في أحشاء القديم، وليس عن طريق المواجهات والهدم، أما إذا تم سد هذا الطريق فسيتم العمل من أجل تحقيق النتيجة نفسها عن طريق الدفاع المشروع ويتم إزالة الخطأ باستخدام هذا الحق.

أثناء وضع برامج النظام الاقتصادي والاجتماعي يتم الاعتماد على توازن الأفضليات "OPTIMAL" بين الفردية والمجتمعية، إذ لا يمكن التخلي عن الفرد الحر لأجل المجتمع كما لا يمكن التخلي عن المجتمع لأجل الفرد الحر، إذ أن هذا المعيار الاساس هو الذي يحدد الإنتاجية في حالة الفردية والمجتمعية، والانسجام مع الطبيعة يعد شرطاً أساسياً في كلتا الحالتين بالطبع، وضمن هذا الإطار الاساس يمكن التفكير بالملكية الاجتماعية أو بالملكية الفردية، فمن ضرورات العدالة أن يحصل العمل المبدع حسب قيمته على حصة من الذي أبدعه، ومهمة المجتمع الأساسية ألا تترك أحداً دون عمل، ومع السياسات السارية من أجل الصحة والتعليم والرياضة والفن، يشارك كل شخص حسب عمله وحسب حاجته في مجتمع يتم تشكيله بهذا الشكل.

يجب الحديث عن المجتمع الجديد الذي يتشكل على هذا النحو على أنه تجاوز لسلطة الدولة التقليدية، ويجب إدراك أن العلم والتقنية هي التي وفرت الامكانات لمجتمع كهذا، ومعرفة إدارة وتنسيق هذه الإمكانيات، وفي هذه الحال فمن الأنسب أن نطلق تعبير "تنسيق الأدوار والعمل" على هذا النظام، وهي تشبه وظيفة لجنة الإشراف على سير عمل المجتمع، أما الممارسات القسرية والتوزيع والتدخل وتوزيع الغلال وامتلاك القوة وخلق زمر الامتيازات فهي ليست من وظيفة هذا النظام، بل يمكن تعريفه على أنه تنظيم نوعي للتقنية، ويعد إطلاق اسم الاشتراكية أو الديمقراطية على هذا الشكل نوعاً من التفصيلات، والمهم هنا هو الجوهر السائد، فمن الواضح أن هذا الأمر خاص بالمرحلة التي يمر بها، ومن الطبيعي تجاوز اللا مساواة الاجتماعية والقمع بنضال ديمقراطي طويل الأمد، وهذا هو السبب الحقيقي الذي أدى إلى التطور السريع والتفوق لدى المجتمعات الغربية، فقد خلقت الحضارة الغربية مجتمعاً ديمقراطياً متقدماً بعد أن استخلصت الدروس من المواجهات التي شهدتها أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين وفرضت تفوقها على العالم، وبقي لديها بعض القصور، ولكن بعد أن يتم تجاوز الحلف الأطلسي وإنشاء جيش الدفاع التابع للاتحاد الأوروبي باعتباره "أداة الدفاع المشروع" ستصبح الحضارة أكثر ترسخاً، ويهدف انعكاس التشكيل الإيديولوجي على البرنامج إلى حل مسائل مثل القومية والوطنية والمواطنة والأمية، ضمن الانسجام مع هذا الإطار الرئيسي، إن إنشاء دولة التقنية بعدة قوميات وعدة ثقافات وعدة هويات تحت نظام مشترك لن يتسبب في أية مشكلة، فإذا ما تم تطبيق قواعد دولة الحقوق الديمقراطية فإنه سيتم حل المشكلات القائمة بينها ضمن جو من السلام، إذا لم يتم إنكار إحدى القوميات لقومية أخرى ولم تتم ممارسة القمع، فإن النضال الديمقراطي كفيل بحل القضايا كافة، ولا يمكن أن يتم تحقيق المساواة والحرية إلا ضمن هذا النظام، وسيتم إنشاء أخوة وصداقة حقيقية بين الشعوب والهويات.

إن من حق كل ثقافة وكل شعب أن يطلق اسم وطن أو منطقة خاصة على الساحة التي يعيش فيها باعتبارها تعبر عن

تراكم ثقافي، وهذا لا يدخل في نطاق الانفصالية، بل يمكن أن يكون لنفس الشعب مواطنين في عدة ساحات مختلفة، وهذا واقع معاصر، حيث تشهد كل دولة وكل أمة هذه الأوضاع ضمن حدودها، ولا يمكن الوصول إلى الأمن الراسخ لأي بلد إلا حين تعيش الشعوب حرة في أوطانها، وسيكتسب مصطلح المواطنة والدولة باعتباره هوية عليا لكافة الكيانات ثراءً وغنىً يعيش المجموعات الصغيرة والثقافات والشعوب في وطنها الأم وضمن ساحات تراكمتها المعنوية، إن المواطنة تعبر عن الرابطة الموجودة مع دولة التقنية، ولا تتضمن تغيير الهويات بالعنف والإكراه، ويمكن لكل إنسان مهما كانت معتقداته وعرقه وجنسه وقوميته، أن يكون مواطناً باعتباره عضواً في دولة التقنية ذاتها، كما لا يمكن إجبار أية قومية على أن تكون عضواً في هذه الدولة، فقد حققت الهويات الأهمية والقومية والثقافية في كل عصر تطورات مشتركة، وإن معاشة عصرنا في مرحلة مكثفة ومنتشرة من العولمة باعتبارها تشكل جانبها الإيجابي أمراً حتمياً لا مفر منه، حيث أصبحت كافة المشكلات والتطورات مشتركة في القرية الكونية، وبالتالي فإن حل هذه المشكلات يقتضي بذل الجهود المشتركة، وكذلك ستتقاسم البشرية جمعاء نتائج التطور الإيجابي الذي يتحقق.

ج - إن التشكيل الإيديولوجي للمرحلة الجديدة التي حاولنا شرح خطوطها العريضة، وانعكاس أسس البرنامج والتنظيم والعمل حول هذه المبادئ صحيحة وسارية المفعول بالنسبة لحزب العمال الكردستاني، وحمل معنى كبيراً بالنسبة له، فقد كانت لهذه المبادئ الفضل بوجود جهود النقد والنقد الذاتي وإعادة بناء حزب العمال الكردستاني، حيث لا يمكن رفض الماضي برمته، ولكن من المؤكد أنه يجب تحقيق التحولات الأساسية، ويجب أن تكتسب إعادة النظر معنىً بشموليتها وتجديداً بعمقها وأن تكون متداخلة مع الممارسة، بعد حل مسألة تشكيل إيديولوجية حزب العمال الكردستاني وبرنامجه وهذا من أولويات المرحلة القادمة، حيث يتضمن التشكيل الإيديولوجي وجهة النظر الكونية التي يجب الالتزام بها وفرضيات النظرية الأساسية.

لقد تم في الجزء الأول من هذا الكتاب تحليل معاني وولادة الذهنية المثيولوجية والدينية والفلسفية والعلمية، وسنكتفي ببناء روابط مع ما تم تخيله بدلاً من تكراره هنا، إن ما يجب القيام به هو الاعتماد على فهم التطور الديالكتيكي لاشكال الفئات الفكرية الأربعة، وهذا يعني الاعتماد على مسألة الوصول إلى الذهنية العلمية، واكتساب وجهة النظر التي تتمثل في القوانين التي تركت بصمتها على كل شيء بدءاً من تحول الطاقة والمادة إلى علاقة أصغر جزئيات المادة مع الكون، ومن الطبيعة إلى الكائنات الحية، ومن أنواع النباتات والحيوانات والبشر إلى الظواهر الاجتماعية، والنظر إلى كل شيء وإدارة كل شيء من وجهة النظر هذه، وتعد المادية الديالكتيكية والتاريخية هي الصيغة الأساسية لوجهة النظر هذه، إن فهم هذا الأمر ضروري ولا بد منه من أجل الوصول إلى تشكيل إيديولوجي سليم، وإن قيادة الذين لا يملكون وجهة النظر هذه للتحولات الاجتماعية ستؤدي إلى مخاطر وآلام كبيرة، وبالتالي يفترض على الأطر النظرية للأحزاب والمنظمات التي تعتمد على العلم وتدعي بأنها ستغير المجتمع أن تكون هذا التشكيل الإيديولوجي، واكتساب حزب العمال الكردستاني PKK الذي شهد عملية تحول للتشكيل الإيديولوجي ضمن هذا المستوى، يعد شرطاً وضرورة أولية، وضمن هذا الإطار يتم النظر إلى النجاح في تمثيل نظرية نقية ورؤى واضحة وتشكيل إيديولوجي متكامل عن طريق النقد والنقد الذاتي لكافة أوضاع الذهنيات المسيطرة على نمط الحياة وعلى بنية الكوادر، ويجب النظر إلى هذا الموقف الهام على أنه وظيفة أساسية، فمن الواضح أنه كلما كان التشكيل الإيديولوجي أكثر تكاملاً يتم تحقيق تطور ناجح وصحيح للبرنامج والممارسة.

لا يمكن التقليل من فداحة الخراب الذي نجم عن البنية الذهنية الإقطاعية القروية وللبرجوازية الصغيرة، حيث شكلت هذه البنية الذهنية وهذا الطابع أساساً للتحويل إلى عصابات وإلى الانحراف وكافة أنواع الهروب والخيانة، فكلما استطاع حزب متماسك أن يفرض قبول تشكيله الإيديولوجي المتكامل على بنية كوادره وعلى أعضائه يكون قد ضَمِنَ التنفيذ الصحيح للبرنامج والممارسة، وإلا فإن التدابير الأخرى التي تأتي في المرحلة الثانية لن تسفر عن أية نتيجة دائمة، وبالتالي يجب أن يتم تمثيل التعليم الإيديولوجي من أجل الهدف حتى يتم إزالة كل التعطش الكبير، كما يجب أن يتم هذا التمثيل بعمق بالنسبة للكوادر المركزية بنحو خاص، حيث لا تكفي النوايا الحسنة والإخلاص والجرأة والتضحية لوحدها، ولا يمكن النجاح في مهام مثل التحويل المجتمعي الذي يتطلب ذهنية كبيرة وطبائع ممتازة وشخصية ثابتة، وهذه المزايا القيمة لا يمكن أن توصل إلى النجاح الذي يستحقونه إلا بتشكيل إيديولوجي متكامل وقوي.

إن البرنامج والممارسة يطرحان مشاكل ساخنة جداً، لقد تم تشكيل برنامج مرحلة نشوء حزب العمال الكردستاني PKK كنسخة عالمية، ولا يمكن القول بأن هذا البرنامج قد حقق سياسة منسجمة قابلة للممارسة مع خصائص التاريخ والعصر المجسدة والمعاصرة، وإنشاء علاقة خلافة وقريبة من الواقع، ومن الواضح أنه بقي في مستوى التعميمات والأمور المجردة، ناهيك عن أن العالم قد تغير عن مدة السبعينيات بنسبة كبيرة، حيث انحارت الاشتراكية المشيدة وتفوق مفهوم الحضارة الديمقراطية، ولا يمكن رسم أي برنامج سياسي دون أخذ هذه التغيرات التاريخية بعين الاعتبار، فحتى لو تم ذلك فإنه لن يحقق أكثر من بعض الأحلام الفارغة، كما يجب أن يعتمد برنامج المرحلة الجديدة على التشكيل الإيديولوجي مثلما يعتمد على النقد الذاتي للبرنامج السابق، والأهم من ذلك يجب أن يركز على تحديد الأهداف المجسدة التي يمكن تحقيقها، فإذا تم تحديد كردستان كدولة، يجب ألا تقيّم حدودها السياسية على أنها تشكل عقبة أمام الوحدة، بل يجب اعتبارها جسراً للعبور، وأن يؤكد على الخيار الاستراتيجي للبحث عن التكامل المعتمد على الوحدة الديمقراطية لكل جزء مع الدولة التي يوجد فيها ذلك الجزء، ويجب أن يُنظر إلى الوحدة الديمقراطية مع كل دولة على أنها طريق الصداقة والأخوة والسلامة الذي يؤدي إلى الوحدة الأرسخ بين الدول، إذ أن كردستان المنفصلة المعزولة ليست صحيحة من الناحية الإيديولوجية مثلما هي غير واقعية من الناحية العملية.

إن الوضع القائم والتطورات تشير إلى أن كردستان يمكن أن تسهم إيديولوجياً وعملياً في الوحدة والتحول الديمقراطي في الشرق الأوسط عن طريق الوحدات الديمقراطية، وبالتالي يمكن صياغة الشعار الأساس كما يلي: "الوحدة الديمقراطية مع الدول المجاورة، تعني شرق أوسط ديمقراطي، و"الشرق الأوسط الديمقراطي يعني وحدة كردستان الديمقراطية"، ويجب أن يتم التركيز على تطوير التكامل الديمقراطي مع كل دولة، كما رأينا في النموذج الأوروبي، فإن النزعة الانفصالية التي سفكت الدماء لأجلها على مدى مئات السنين، جلبت في النهاية الوحدة الفيدرالية الطوعية، أي أنه حتى لو تم الانفصال، فسيعقبه طرح مفاهيم وحدوية مختلفة، ناهيك عن أن حقيقة كردستان تفضل موقف الوحدة الديمقراطية، فالإيجابيات والمنافع المحدودة حتى التي ستنجم عن الوحدة الديمقراطية، أفضل أضعافاً مضاعفة إذا ما قيس بـكردستان المعزولة، وستؤدي دور الحافز للصداقة وللتحول الديمقراطي في المنطقة وفي الشرق الأوسط برمته وعلى كافة الصعد السياسية والاستراتيجية والاقتصادية والدبلوماسية والثقافية.

أما النقطة الهامة الأخرى، فهي اعتماد البرنامج على المجتمع الديمقراطي، حيث لا يلجأ إلى العنف والمواجهات في مواقفه

نحو الدولة والمجتمع القلم أثناء التوجه إلى الحل، إذ أنه يضع حلوله اعتماداً على نظرية وممارسة المجال الثالث بعد أن يُنشئ بدائله.

يجب أن يتم بحذر تناول التحديدات التي تمت في الأقسام المختصة بالمجال الاقتصادي والاجتماعي، كما يجب أن تأخذ حرية التعبير الثقافي والتعليم باللغة الكردية مكانها باعتبارها تشكل الموضوع الاساس الأهم، إذ أن الفن والطباعة والنشر باللغة الأم مطلب لا يمكن التراجع عنه.

يجب أن نضع أسس التضامن الديمقراطي فيما بين الأجزاء، والاعتماد على علاقات الصداقة ضمن روح الوحدة الديمقراطية بين الدول المجاورة.

ويجب ألا يتم تناول المسألة تنظيمياً بنحو تخطيطي وبيروقراطي، بل أن يتم الاعتماد على سياسة التنظيم حسب الحاجة والوظيفة، إذ يشكل مفهوم التنظيم الشكلي أساساً للبيروقراطية، وهو قطعاً من بقايا مفهوم الدولة والمجتمع الطبقي التقليدي، ويجب أن يتم الابتعاد عن مفهوم التنظيم العام غير الوظيفي الذي لا يملك دوراً ومدة ومحتوى واضح، والابتعاد عن جميع ممارساته، إذ أن مفهوم " التنظيم على قدر الدور والوظيفة"، يشكل عامل تطوير هام، ويعمل مفهوم المنظمة البيروقراطية على تجميد مفهوم المنظمة التعددية وتجميد عطاءها، وهناك نقطة أخرى هامة في هذا الموضوع، وهي مهمة تدريب الإدارة والكادر الكفؤ الضروري من أجل هذا النوع من التنظيمات، إذ أن سياسة الكوادر الملتزمة بأسس النظم المعاصرة شرط اساس لهذا الأمر، وعكس ذلك فإن هؤلاء سيقعون في مرض المسؤولية، ويوسعون دائرة المرض البيروقراطي، إذ أن مرض المسؤولية هو مرض خاص بالمجتمع الطبقي، وتجاوزه شرط لا بد منه، ولا يتم تحديد إدارات المنظمة حسب المسؤولية، بل بحسب القدرة والنجاح، ويعطى العناصر حسب حاجته.

إن أخطر مرض في هذا المجال هو مفهوم اليسار التقليدي الذي يرى أن منظمات المجتمع المدني هي من نتاج الإمبريالية، ولا يعجبه أي شيء إلا نفسه، باعتباره اشتراكي مقدس وكادر ثوري، لقد أفلس ذلك تماماً، وعليه أن يتخلص من هذه الذهنية التي ستبعية للإمبريالية على أفضل وجه، وعندما يحين دوره، يجب عدم خلق مناخ لهذه النماذج، إن مقياس أفضل عمل اشتراكي، هو عمل المجتمع الديمقراطي الذي طوره، وتنظيمه وممارسته، يجب أن يفهم بأن المهمة الجوهرية للإدارة المنظمة، هي جعل كل شخص يعمل من أجل تطوير نفسه ومحيطه ويجعله أكثر عطاءً، وتشغيله ضمن التنظيم، ويجب أن يتم تمثيل كل شيء اعتباراً من التنظيمات الاقتصادية البسيطة، وحتى التنظيمات الإيديولوجية العليا باعتبارها تشكل أخلاق المنظمة.

يجب أن يُدرك أنه في أثناء العمل على إعادة تحديد مسار الممارسة، لا يمكن تحقيق أي تقدم من دون التوجه بنقد ذاتي إلى الماضي، من دون استخلاص الدروس الضرورية.

كان مفهوم حرب التحرير الوطنية في السبعينيات ذا قيمة في تلك المرحلة، وفي مرحلة سيطرة الاشتراكية المشيدة والنزعة القومية، كان عدم الدفاع عن هذا المفهوم يعد خيانة، وبالرغم من تفرغ هذا الأسلوب الذي تبناه حزب العمال الكردستاني من محتواه عن طريق التحول إلى عصابات داخل الحزب، فقد أدى دوراً إيجابياً، ولو لم تسيطر نزعة العصابات لكان من الممكن أن يزيد من امكانات النجاح، ولكن كان واضحاً من خلال الأمثلة التي حقق نجاحاً فيها، أنه لن ينقل إلى المجتمع

الديمقراطي أو الاشتراكي، حقيقة كان يجب على حزب العمال الكردستاني ألا ينقل مفهوم العنف الذي قبله منذ البداية، إلى خارج حدود مفهوم الدفاع المشروع، وبالرغم من وجود هذا في جوهره، فإنه يجب علينا أن نرى بأننا لم نستطع وضع صيغة صحيحة كموضوع نقد ذاتي صميمي، وإذا دققنا قليلاً فإننا سنجد بأن الصعود إلى الجبل وحمل السلاح، بل وحماية النفس ضد هجمات الفاشست والأغوات كلها تدخل ضمن نطاق الدفاع الذاتي ومفهوم الدفاع المشروع، وسيؤدي تحويل هذا الحق عن طريق إنقاذ النفس، إلى هجوم أو تمرد في النهاية، دور السلاح الذي يضرب نفسه، وهذا ما حدث، وسيبين النقد الذاتي الذي سينفذ بشمولية مايلي: لقد تم تقييم جميع قوى العمليات التابعة لحزب العمال الكردستاني حسب الشروط الجغرافية واللوجستية والجماهيرية المناسبة، ولو اعتمدت الدولة بنحو خاص على قبول الحقيقة الكردية، عبر استعدادات معينة في بدايات عام ١٩٩٠ وانتقلت إلى وضع وقف إطلاق النار الذي يوفر الأمن من أجل إعطاء فرصة جديدة، لكان من الممكن أن تزيد من امكانات الحل، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، وربما كانت رؤية عدم وجود ضرورة للمصالحة في وقتها تمثل نوعاً من الفضيلة بالنسبة للثورية القطعية، ولذلك إذا تم إجراء مقارنة مع الواقع سيكون واضحاً أن ذلك عبارة عن موقف فارغ لا يملك نظرة بعيدة، وإننا نرى بأنه تم ارتكاب هذه الأخطاء بكثافة.

كما يجب أن يتم النظر إلى علاقات القومية البدائية والقوميين البرجوازيين مع مسؤولي الدول الأوروبية والشرق أوسطية، على أنها كانت مليئة بمواقف خاطئة من هذا النوع، وكان يجب أن يتم تطبيق فن الوفاق عن طريق التعامل بتواضع وعن طريق رؤية الحقائق، كما يجب أن ندرك جيداً ضرورة عدم الخلط بين هذا الأمر وبين الاستسلام، إذ أن النموذج الكردي، والنموذج الثوري بشكل عام، لم يستطع إنقاذ نفسه من الثنائية التالية: إما المقاومة حتى الرمح الأخير أو الاستسلام، علماً بأنه كان يجب الاختيار من قلوبنا الألوان الأكثر جمالاً بين كافة الألوان المختلفة، وذلك عن طريق معرفة أن الحياة لا تتألف من اللونين الأسود والأبيض فقط، ولم يتم إظهار هذه القوة، إذ لم تعط شخصية القرون الدوغمانية الفرصة لرؤية الحيوية اللونية للحياة، ولم يتم تجاوز أفلام الأبيض والأسود.

إن الخطأ الأساس في مسار وممارسات حزب العمال الكردستاني وعملياته هو عدم التحويل العميق لنهج الدفاع المشروع إلى نظرية، وترك تطبيقه على مستوى الممارسة بطريقة لا مسؤولة لا يمكن أن يقبله العقل، إلى مفهوم العصابات وظلمهم، ولو أخذت النقاط التي أشار إليها الشهيد "عكيد" بقليل من الجدية لكان من الممكن عدم إتاحة الفرصة لمفهوم العصابات، وكان من الممكن الحيلولة دون تحريف ليس له مثيل ضمن مفاهيم الحرب، ولكن عند التهرب من تحمل المسؤوليات، فإن مرحلة مليئة بالكوابيس فرضت نفسها بالنتيجة، وستفرض نفسها أكثر كلما حصلت على النتائج، ويصل هذا الأمر إلى نقطة يصبح فيه قتل أغلى الرفاق مفهوماً قيادياً على أرض الواقع، لقد كانت تمارس لعبة خيانة الطبقة العليا خلال آلاف السنين، حيث لا يمكن إيجاد أي طريق أخطر من قيامه بقتل نفسه على الأغلب، ففي المكان الذي يوجد فيه هذا المفهوم وينتشر، سيحل الموت والقتل وحتى الفرائز البدائية، ومن الواضح أن الإنسانية لن تستطيع أن تجد طريقاً صحيحاً، بالإضافة إلى أنه لا يمكن انتظار الحرية والنجاح، وربما تواجد بينهم بعض المتأمرين، ولكن الأمر الواضح الذي لا يحتاج إلى شرح، هو أن وجود هذا الجانب بنحو كثيف، ناجم عن الشخصية شبه الإقطاعية والبرجوازية الصغيرة، وعن حماقة القروية وانعدام مسؤولية إدارة وقيادة التنظيم التي لم تستطع فرض سيطرتها على هذا الجانب.

لقد هدم هذا الوضع امكانات النجاح كافة التي قبلتها الأوساط المعنية في الدولة والعالم، وفقدت مسألة تحميل

المسؤولية على مستوى الأسماء معني لها في الممارسة، ولكن من الواضح أن الدروس التي يجب استخلاصها هي من النوع الذي لا يمكن أن تحمي من الذاكرة، لقد وصلت هذه الدروس إلى مستوى مأساوي لا يمكن نسيانه ولو للحظة واحدة، فهي من النوع الذي تدمي القلوب، ولو تم قطع الطريق أمام هذه الكارثة، وتطبيق وقف إطلاق النار الذي مهد له "أوزال" الذي كان رئيساً للجمهورية في تلك الفترة، لكان من الممكن عدم الدخول في مرحلة أكثر إيلاماً وربما حدثت المصالحة، ولكن الطمع الشخصي واقتصاد السمسة الذي صعد من حدة المصالح كان هو الأقوى، ومن جديد لم تتم الافادة من فرصة الدفاع المشروع في ذلك الوضع، وقد حتم العنف الأبعاد الأكثر ألماً لكلا الطرفين، حتى أن قوانين الحرب فقدت معناها وكان يحكم على كل الفرص بالموت.

بالنسبة لي كقيادة لم أجد أي طريق سوى العمل بجنون من أجل البقاء صامداً في هذه المرحلة، لقد وجدت مرحلة ٢٨ شباط صدى جهود التطبيع ولكنها جاءت متأخرة، حيث قامت كثير من القوى الداخلية والخارجية بربط مصالحها الذاتية مع أجواء العنف الأعمى، وعلى الرغم من أمله لم يكن حزب العمال الكردستاني يعطي وزناً للامكانيات التي من شأنها تجاوز هذه المرحلة عملياً، وكان يفرض نفسه كموقف لا يمكن أن يغفر، من خلال إرسال الفتيات والفتيان مجموعات تلو الأخرى إلى الموت، ويتركوهم عرضة للموت، وعلى الرغم من ذلك فلم يتم تطبيق العقوبات الضرورية ولم يتم وضع حد لهذه الممارسات، وفي الحقيقة لقد تم تدمير الوفاق بمعنى الدفاع المشروع الذي يمكن القيام به بأقل الخسائر منذ بدايته، وذلك هو السبب الاساس الداخلي الذي قضى على القيادة، فقد كان الصعود إلى الجبل هو حلم لأربعين عاماً، ولكن ذلك يعني موت الآلاف من الشباب وهذا ليس من حقنا، أو أنني لا أجد هذا من حقي من الناحية الأخلاقية، ولم يكن يحقق لي حلمي التاريخي، فقد قامت العصابات بقطع هذا الطريق أمامي منذ زمن بعيد، وكانت تكشف عن أنيائها بنحو مُرائي، وكانوا يشعرونني بنوع من الانتقام، وبينما كان شتمدين يشرح كل ذلك في جلسات المحكمة المغلقة كان الآخر يقتل صديق طفولتي، وكان الثالث يقول: "إننا نقتل القيادة بلطف ورقة"، والرابع كان يطلق النار على الشباب الذين يشبهون الجبال بلا رحمة.

وكلما ازدادت إحصائية هذه الممارسة تفصيلاً، كلما تمت رؤية الحقائق من قبل كل شخص، ونظراً لأن كل البنية قد تلطخت موضوعياً بهذه الجريمة، فلا يمكن لأحد أن يتهرب من المسؤولية، ويجب القيام بنقد ذاتي صميمي على أقل تقدير.

لا شك بأن للذهنية المسيطرة على الدولة في أعوام ١٩٩٣-١٩٩٦ مساهمة مصيرية في إخراج الأمور عن طورها في هذا الاتجاه، فلو تم حل الألغاز المتعلقة بمصرع القائد العام للدرك "أشرف بدليس"، والموت المشكوك فيه لـ "توركوت أوزال"، اللذان لا تزال طريقة موتهما غامضة حتى الآن، وكذلك اللغز المتعلق بدخول حزب الله على المسار، لكان من الممكن اتخاذ تدابير أفضل، وإن قول رئيسة الوزراء آنذاك "القائمة في جيبي وسنقوم بالالازم"، واعتقال النواب من الحزب الديمقراطي DEP، وتفرغ حوالي أربعة آلاف قرية ومزرعة، وقتل الآلاف من الناس الديمقراطيين الشرفاء الذين يريدون الإقامة في بيوتهم باطمئنان، أولئك الأبرياء العزل الذين لا علاقة لهم بأي تنظيم، وكذلك الحصار الاقتصادي والعمليات العسكرية التي امتدت إلى كل الجهات، تظهر جميعها بأنها ممارسات خرجت عن نهج الأعمال التي تقوم بها الدولة، هكذا كانت تستمر هذه المرحلة التي تعد الأكثر ظلماً وظلاماً في التاريخ، وبعد عام ١٩٩٦ أصبحت العمليات التي استهدفت الكشف عن سوسرلك وحزب الله أكثر سطحية، فإذا لم يتم إظهار الذين يقتربون الجرائم الحقوقية وإذا لم تتم محاكمتهم فلا يمكن للدولة تبرئ نفسها، حيث يجب أن تتم محاكمة شاملة لهذه المرحلة، وإذا لم يتم إظهار الحساسية ضد الدولة التركية مثلما تم إظهارها

الغرب ضد ميلوسوفيتش، فلا يمكنها أن تتخلص من تهمة الكيل بمكيالين، وتهمة الاشتراك في الجريمة.

لقد كانت مرحلة ٢٨ شباط تطرح ولو بشكل محدود نقاط إيجابية على صعيد إيقاف هذا الجنون، فكانت المعلومات التي جاءت عبر طرق غير مباشرة على مستوى يمتاز بالواقعية والمسؤولية، حتى وإن لم تشكل ضمانة كبيرة، فقد كانت عبارة عن إجراء صحيح لتجربة إيقاف إطلاق النار من طرف واحد كتدبير صحيح على صعيد إيقاف هذا الجنون، ولكن كان يجب دعم الوضع بخطوات خلاقة ومتبادلة، ولكن هذه الخطوة لم تنجح، ومن المعروف أن تدخل مؤامرة ١٥ شباط غير كل الأوضاع بالكامل، وكان لا بد من إظهار الأسباب المباشرة وغير المباشرة، الداخلية والخارجية، وكيف ومن أين تطورت المؤامرة، وكان لا بد من وضع ترتيبات جديدة حسب ذلك، وقد استهدفت مرحلة إيمرالي إلى إظهار هذه الحقائق، أي الكشف عن هذه المؤامرة بكافة جوانبها والقضاء على تأثيراتها وفعاليتها، إنه موقف من العمليات الانتقامية والانتحارية العقيمة التي انتظرها المتآمرون ولا يمكن أن تكون صحيحة، ولكن كان يجب أن يكون موقف الدولة أكثر تحديداً من أجل ذلك، إنني مؤمن بأن النقطة التي تم الوصول إليها هي الأفضل حتى وإن كانت المرحلة المذكورة التي مرت مليئة بالغموض، مستقبلها ونتائجها مجهولة، لقد نال الموقف الذي اتخذته القيادة الدعم والمساندة من حزب العمال الكردستاني ومن أغلب شرائح الجماهير، وعمل هذا الموقف على إيقاف الجرائم وفتح الطريق أمام إنهاء مفاهيم الممارسات التي تشبه الجريمة في الجبال، وفتح المجال أمام إلقاء خطوة من جانب دولة الحقوق، وفتح أجواء مناسبة أمام الأنشطة الديمقراطية حتى ولو بنحو محدود، ولذلك كان يجب عدم التقليل من شأنها وأهميتها.

لقد نشأت بعض الفئات على حساب حزب العمال الكردستاني وعلى ظهر الجماهير، وأسندت بظهورها إلى أوروبا وإلى القومية البرجوازية البديئة، وكل أهدافها محصورة بفتح الأبواب أمام غرائزها الشخصية المتعطشة، وأخذت موقفاً ضد هذا الموقف، ونظمت الهروب ونفذته وخاصة أنها عملت على تنظيم جناح سياسي بين الكرد في تركيا تحت حماية ألمانيا وارتباطاً بأهدافها التاريخية، كما عملت على تشكيل أحزاب ومجموعات تحريضية أكثر تنظيمياً بالتحالف مع الكثير من الشخصيات والمجموعات المشابهة، ولهذا يجب عدم التقليل من خطورة هذه الفئات بسبب علاقات الأموال الطائلة والحياة المرفهة والدعم الإعلامي والاستخباراتي، أما الجزء الآخر من المؤامرة فيتمثل في قيام الكثير من الدول بخلق أحزاب عمال كردستانية مزيفة تابعة لها، و حاولت إدخالها على المسار، ومهما خرجنا عن الموضوع فإن هذه الأوضاع التي سيتم شرحها بنحو مفصل في الفصول القادمة، جعلت من الضروري تسريع القيام بتحويلات جذرية على المسار الإيديولوجي والبرامجي والتنظيمي والعملية لحزب العمال الكردستاني، ولا شك بأن أهم الجهود اللازمة لهذا التحول هي: ضرورة التحقيق الشامل لانسحاب حزب العمال الكردستاني إلى خط الدفاع المشروع، وترسيخ أسلوب الدفاع الذاتي.

يجب ألا يفهم الانسحاب الذي نفذ في ٢ أيلول عام ١٩٩٩ التزاماً ببدء قيادة حزب العمال الكردستاني، والدخول في موقف الدفاع المشروع على أنه تغيير تكتيكي اعتيادي، إذ أن هذا الموقف كان عبارة عن ضرورة الدخول في مرحلة تحول إيديولوجي وبرنامجي وتكتيكي تحمل معنى استراتيجياً إلى أبعد الحدود، وهذا موقف ليس متفق عليه مع رئاسة الأركان ولا يمكن أن يكون استسلامياً كما يدعي اليسار التركي والفئات الخائنة التي هربت، والمجموعات الكردية القومية البديئة والبرجوازية الصغيرة، وكما أكدت مراراً لو تم الاتفاق لكنت أعلنت عن ذلك بكل شرف لإدراكي بالمسؤولية التاريخية لهذا الأمر، كما يجب ألا يسند أحد أماله على هذه الادعاءات الإيجابية أو السلبية لأن موقفاً كهذا سيؤدي إلى نتائج خطيرة،

ولم أترد لحظة عن التأكيد على أننا أردنا تمتين وضع وقف إطلاق النار الذي حاولنا تطويره عندما كنا في الشرق الأوسط منذ عام ١٩٩٨، كما أكدت أن يكون سلوك الجيش التركي أكثر تفهماً، وأما عن الذي سيقومون به فهو عمل يفهمونه هم أنفسهم، وقد وجدت أن هذا الشرح ضروري لأنه يعد موضوعاً لنشر الإشاعات بكثافة.

يعتمد نظام الدفاع المشروع الجديد على تعميق نظام التخطيط والعمل الذي يشمل الساحات الواقعة على جانبي "بوطن ومهدنان وزاغروس" باعتبارها كلاً متكاملاً، وعدم الانتشار إلى الساحات الأخرى إن لم يكن ذلك ضرورياً، والقيام بتنظيم كافة تدابير الدفاع الذاتي المشروعة، وترسيخ مفهومي الوحدة والممارسة ضمن هذا الإطار، ويعتمد هذا التنظيم على الالتزام بمبدأ "الحل السلمي والديمقراطي"، ويتطلع إلى أخذ الحوار أساساً له باسم الحل السلمي والديمقراطي من الدول الأربعة الحاكمة في المنطقة، أي من تركيا والعراق وإيران وسورية، وتطوير هذا الحوار، كما يتطلع إلى الوصول إلى شمولية بمستوى اللقاءات القائمة التي يهدف إليها هذا المبدأ وهذا الحل، إن تقلص التعريف بهذا الشكل مع ترك التفاصيل لهذا الموقف الاستراتيجي إلى مراحل قادمة، يحمل أهمية كبيرة من زاوية رسم المسار الاستراتيجي والبرنامج الجديد والتنظيم، كما أن هذا التنظيم الاستراتيجي يحمل أهمية مصيرية من أجل إكساب مرحلة النقد الذاتي التي تم الدخول إليها تفعيلاً تطبيقياً، وكذلك يحمل حزب العمال الكردستاني أهمية مصيرية لأنه أظهر حاجته أثناء التحول لأن يكون منسجماً وواقعياً وناجحاً.

ومن جديد فإن هذا التنظيم الجديد سيهيئ الأجواء المناسبة لجميع الدول المجاورة لكي تعبر عن حسن نواياها بواسطة معايير وروح الوحدة الديمقراطية في حل المسألة الكردية دون المساس بالحدود، كما يقدم ليس لتركيا فحسب، بل للدول المجاورة الأربعة الفرصة الضرورية لكي تعبر عن مدى رغبتها ومصادقتها في حل القضايا الكردية الخاصة بها عن طريق تقويتها على أسس الوحدة الطوعية، من دون المساس بالحدود من دون تحديد لوحدة بلدانهم ودولهم، وبالتالي فإن نظام الدفاع الجديد يحظى بمضمون تاريخي عظيم ويقدم الفرصة التي تكسب كافة الأطراف إمكانية تحقيق سلام مشرف عن طريق إنشاء جسور الصداقة والأخوة بدلاً من تدمير الكرد عن طريق حزام الخناق المطبق حتى الآن، ويتطلع هذا النظام لأن يتم تقييمه كموقف مسؤول يدعوا جميع الكرد والعرب والعجم والأترك إلى حل أخوي، ويعطي الضمانة للحجاب الذي تم الوصول معه إلى حل بترك الأسلحة في كل لحظة، وعدم استخدامها من جانب واحد، وهكذا فإنه يعمل لإظهار مسؤولية عالية لعدم إعطاء فرصة لمرحلة دموية جديدة، تشبه المواجهات العربية الإسرائيلية التي لا معنى لها والتي من شأنها أن تؤدي لآلام كبيرة.

ولهذه الأسباب يتطلع إلى أن لا تنظر الدول المجاورة في نظام الدفاع المشروع على أنه مصدر تهديد، وأن يتم تقييمه باعتباره النظام الأنسب للحل الأخوي لمسألة ذات عمق تاريخي وأليم.

ويجب أن ينفذ الحل السلمي والديمقراطي بنجاح وتضحيات كبيرتين على صعيد التخطيط والممارسة من أجل عمليات دفاع ذاتية، ومن أجل أنسب وحدة، يجب القيام بكل أشكال المساهمات من تدريب ونقد ذاتي وأنشطة لوجستية والتمركز فوق وتحت الأرض بمنتهى المسؤولية والجدية حتى يتم الوصول إلى مستوى قوة تجعل الدول المعنية تقبل بالحل السلمي الديمقراطي.

إن القوة الكمية والكيفية ضرورية جداً حتى يتم ولادة الحل السلمي والديمقراطي، فلا يمكن لأي حل سلمي وديمقراطي أن ينجح إن لم يكن مدعوماً بالقوة والجاهير، بل ولا يمكن أن يحسب له حساب، كما لا يمكن أن يتم تحقيق أي حل أو

سلام حقيقي دون أن يكون له منحه يتم الالتزام به، وانضباط وقوة قادرة تعمل على تحقيقه، وحتى يتم الوصول إلى هذا الوضع، هناك مهام لا بد من القيام بها، فكل أعمال الساحات والتنظيم ووحدة التمركز والتموقع وخطط العمليات التي من شأنها أن تحصل على نتيجة فعالة ضد الهجمات المحتملة، جميع أساليب العمل السرية واللوجستية، وتنظيم قيادة صحيحة وكافية، ومن أجل نجاح هذه المهام يجب القيام بتدريب قوي وخلق حياة مليئة بالاحترام والحب المتبادل بين الرفاق، ومن أجل خلق حياة حرة وتحقيق السلام، يجب القيام بحملة منافسة خلاقة بين الشخصيات، كما يجب تطبيق كل هذه المهام من أجل نشر النقد الذاتي البناء المنسجم والمقبول، وحتى يتحقق النجاح في هذه المهام يجب الوصول إلى مستوى يغفو عن السليبيات والجرائم والأخطاء السابقة، ومن دون ذلك لا يمكن أن يوجد موقف يغفو عن أحد، ويجب أن تنجح هذه المهمة بمعرفة كل مؤسسة وكل فرد ابتداءً من الدولة وحتى الضمير الخاص لكل فرد، بأنه معرض للمسئولة وأن يلتزم بضغوط الانضباط الداخلي والقيم العليا وقبول ذلك بأنها فرصة أخيرة وهامة جداً لأجل النجاح في هذه المهام.

إنني أجد أن تلخيص هذا الموضوع من الناحية الشمولية يعد كافياً، علماً بأنه يجب توضيحه بنحو أشمل وهناك مواضيع هامة على صعيد التجديد غير الدفاع المشروع الذي يعد العملية الأساسية لحزب العمال الكردستاني، وهي المواضيع المتعلقة بالأعمال التي يجب الاعتماد عليها في الأحياء القانونية لكل دولة من الدول المعنية، وذلك لأجل نجاح التشكيل الإيديولوجي ونجاح برنامجه، ولا يمكن اعتبار هذا الموضوع موقفاً تكتيكياً ضيقاً، بل يجب تناوله كموضوع يحدد المسار الاستراتيجي والتحول الأساسي، ولأنه يعمل على خلق حياة جديدة، فيجب تناوله بنحو خلاّق وبمتمهي المهارة.

إن التحرك ضمن الإطار الديمقراطي والقانوني الذي تتطلبه أعمال البرنامج الجديد في الدول الأربعة والتي يؤثر فيها حزب العمال الكردستاني في المرحلة الجديدة على نطاق واسع، وبالأحرى إن تشكيل وتنفيذ الأنشطة ضمن الأشكال القانونية والديمقراطية يحمل الأهمية نفسها التي يحملها الدفاع المشروع، بل ومن زاوية نجاح ومكانة الدفاع المشروع، فمن الضروري بذل الجهود الرامية إلى تحويل هذه الدول وجعلها دول حقوق ديمقراطية بكل دقة ونجاح، كما يجب تقديم كافة الإسهامات في التنظيمات والممارسات المناسبة للمكانة التاريخية المحسنة والاجتماعية والثقافية والسياسية والقانونية لكل دولة بمفردها، وتقديم الدعم المناسب وتقييم هذه المواضيع كأعمال أساسية.

لأجل إكمال هذا الموضوع سنتناوله بخطوط رئيسة أملين أن نتناول كل دولة بمفردها في الأقسام اللاحقة: هناك احتمال ضعيف لاستمرار حزب العمال الكردستاني باسمه وبرنامجه الراهن لأجل الأنشطة القانونية في هذه الدول، فيما يستطيع ذلك في العراق أساساً، ويمكن أن يبقى PKK باسمه في الخارج على شكل مركز صغير، حيث يجري الحديث الآن عن حزب عمال كردستاني جنوبي، وهناك أيضاً تؤدي الظروف دوراً مصيرياً، غير أن الظروف الموجودة في بقية الدول بل وفي أوروبا وبقية الدول المشابهة تدفع بالضرورة إلى تشكيل تنظيم مناسب يحل محل حزب العمال الكردستاني، أو إعادة تشكيله من جديد، أو سيتم دعم التنظيم الذي يرويه مناسباً، ويجب أن لا ينظر إلى هذه التنظيمات الجديدة على أنها تغيير حزب العمال الكردستاني لشكله الخارجي أو أنها مؤسساته الجانبية، وهذا موضوع هام يجب الاتفاق بشأنه، إذ يجب النظر إليها باعتبارها أحزاباً لها برامجها المستقلة والقانونية ولها تنظيمها الخاص وأساليب عمل خاصة بها، ولأنها تمثل كافة أنواع مؤسسات المجتمع المدني المختلفة، كما يجب تشجيع جماهير وأنصار حزب العمال الكردستاني كي يأخذوا مكانهم في هذه المؤسسات بالشكل المناسب، إن استخدم المنظمات الجانبية أو تغيير الكساء فقط، سيخلق أجواءً ملائمة للتحريضات وسيلحق الضرر بالحلول

الديمقراطية بدلاً من الفائدة الكبيرة التي يمكن الحصول عليها، والتزاماً بهذا الموقف الرئيس يجب الاهتمام بمساندة التحالفات والجهات المشتركة لجميع الأحزاب ومؤسسات المجتمع المدني التي لها الأهداف الديمقراطية المتشابهة، ويجب تجنب الدخول في مواقف خاطئة قد تصبح دليلاً على المزاعم التي تتردد على شكل "إنهم يأخذون أموالهم من حزب العمال الكردستاني"، ويجب تحذير أصحاب هذه السلوكيات كما يجب النظر إلى ربط هذه المواضيع بخطة عمل مفصلة عن طريق إجراء حوارات شاملة وتنفيذها، فذلك هو السبيل والأسلوب الصحيح الذي يعبر عن معنى النقد الذاتي البناء في الممارسة من جهة وعن التحول من جهة أخرى، حيث يجب النجاح في ذلك مطلقاً، و يحمل شكل العمل والتنظيم والممارسة المناسبة أهمية كبيرة بالنسبة لأوروبا.

غير أنه عندما تتشكل الأخلاق الحياتية والتحويلات الشخصية والروح الرفاقية للمرحلة الجديدة، وعندما يتم إدراك هذه الجوانب، ستتم السيطرة على إجراء النقد الذاتي بنحو صميمي وبناء وعلى تطبيق ما تقتضيه الممارسة، ولذلك لا يمكن الحديث عن نجاح المسار الإيديولوجي والممارسة التي لا تزال أعمال رسم خطوطه الرئيسة مستمرة حتى الآن، إلا من خلال شخصيات الرفاق ومن خلال علمهم الذهني والروحي، ومن خلال تمثيلها بأخلاق إرادة حرة وحياة مشتركة والتزامهم بالقيم السامية ومواقف الاحترام والمحبة المتبادلة فيما بينهم.

ومن المهم هنا عدم إهمال التدريب وبناء المؤسسات الخاصة بالفن والرياضة والتقنية والصحة التي تعد الحلقة الأخيرة من مواضيع التحول الأساسية، وعن طريق التعليم والتدريبات الجسدية والروحية والذهنية يمكن الوصول إلى الجانب المثالي.

يجب تطوير التعليم على وفق نظام أكاديمي، كما يجب إعادة تنظيم الأنظمة الأكاديمية المتعلقة بمواضيع الفن واللغة والتاريخ والفلسفة واللاهوت والمرأة وفي مقدمتها مواضيع الطباعة والنشر، بحيث تضيف قوة جديدة إلى الأسس الإيديولوجية والبرامجية للمرحلة الجديدة، كما يجب تناول التدريبات والتعليم السياسي والعسكري من خلال نظرة تحول أكاديمية وتصورات مشابهة، ويجب أن تحافظ عملية خلق الكوادر والمناهج على أهميتها بالانتباه إلى الواقع العالمي للدبلوماسية والأمية.

أما النقطة الأخرى التي تزداد أهميتها يوماً بعد يوم، فهي إعادة تنظيم مؤسسات الطباعة والنشر الموجودة بما يتناسب مع النهج للوصول بها إلى مستوى سد الاحتياجات من أجل تعليم الشعب وتدريبه في مجال الثقافة الديمقراطية، ليصل إلى مستوى الرد على التابعين لللاهوت لأن أهمية ذلك تزداد مع مرور كل يوم، إن الشعب يتعلم السياسة الديمقراطية بنحو اساس من هذه المؤسسات التي تعد الوسيلة الوحيدة لتلبية الحاجة للفن والخبر والتحليل، ولذلك يجب توفير الملاكات المؤهلة للإشراف عليها بمستوى عالٍ، ولا مجال هنا للحديث عن تفاصيل هذه المواضيع، ونظراً لأنني أعلم أن الحياة تتطلب التنوع والغنى فأنا على يقين بأنها لن ترغم على وضع الحدود وكذلك أحب التنويه إلى هذا الموضوع الهام مرة أخرى، حيث يجب تناول كل صاحب موقف وصاحب رأي سواء أكان من داخلنا أم من خارجنا بمتنهي الحب والتسامح ما دام لا يشكل تهديداً مصيرياً بالنسبة لنا، والنظر إليه واعتبار تمايزه على أنه مصدر تحول وغنى، كما يجب النظر إليها انطلاقاً من مفهوم ونظام وأسلوب أن الحياة تتحرك بواسطة الامكانات والقدرات الطبيعية التي تُعَدُّ بخلق أجواء حرة وليس التصرف بسلطوية وبسلوك قمعي، كما يجب ألا تتم عملية الإزالة عن طريق القضاء على المواقف المعادية، بل عن طريق تحويلها إلى علاقات صداقة باستثناء ما يدخل ضمن نطاق الدفاع المشروع الضروري، ويجب أن تتمتع بهذه القوة والقدرة وأن لا نعطي الفرصة للخونة ولأولئك الذين يطعنون من الخلف، وأما إذ أصروا فيجب أن ينالوا الرد الذي يستحقونه عاجلاً أو آجلاً، حيث لا

يمكن الاعتراف بهذه الحرية للمواقف والسلوكيات والشخصيات التي لا تعمل على إصلاح نفسها، بل تصر بإصرار على التصرفات السيئة والدينونة وتمارس التخريب والتسلط، وتعمل على خلق العداوات، وإذا تم لهم الاعتراف بالحرية نكون قد ارتكبنا خيانة بحق الحرية، كما يجب أن لا ننسى بأن أقسى أشكال العدا يمكن أن يزول إذا كان ذا معنى، ولكن عند فقدان المعنى يكون شغلها الشاغل التدمير والتخريب والقتل المادي والمعنوي، ويقوم أصحاب هذا العدا بما يقومون به بلذة وسعادة، فيجب النظر إلى هؤلاء بعين التسامح لأن ذلك مهمة إنسانية، وهي ضرورة من ضرورات حقوق الحياة الحرة للإنسان والمجتمع.

عند التوجه إلى المؤتمر العادي الثامن لحزب العمال الكردستاني، حاولت أن أسهم بهذه المواضيع الأساسية نظراً لأهميتها التاريخية، حتى وإن جاءت ضمن إطار مرافعتي، وبإمكانكم مناقشة ونقد آرائي ومقترحاتي إلى أبعد درجة، بل ولن تحزنني الانتقادات البناءة التي تكون قيمة والتي تقدم بدائل ناجحة وذات معنى، بل على العكس من ذلك إنها تسعدني جداً، فقد كنت أتمنى دائماً أن يكون لكلامي وسلوكياتي معنى تعليمياً، فإذا ما قلت بأنني فرضت نفسي بشكل كيفي وسعيت إلى الحياة أكون قد افترت على نفسي بشك كبير، حيث كان يجب أن أعطي وقتاً أكثر للشباب وللأطفال وللنساء والشيوخ، وكان يجب أن أتناوهم بحسب خصوصياتهم، فإني أشعر بمدىونية وإحراج كبيرين حيال هذا الموضوع، لقد أردت التقدم في موضوع المرأة قليلاً، وتحطيم موضوعين متحجرين عبر التاريخ، لابرار خصوصية معينة، فالمرأة التي هي أقدم جنس بشري تتعرض للسحق الأعماق بالتمايز الطبقي، واعتبرته قدراً، ولم تكن قد أدركت هذه الحقيقة كثيراً، فأردتها أن تقوم بإبراز الجنس والحقائق الجنسية من دون الرضوخ لأي ستار ديني وأخلاقي، وأن لا تخاف من اكتساب الأجناس لخصوصيتها وحريتها، وأردت التأكيد على أن عكس ذلك يعني استخدام جنسيتها على شكل سلعة، وبذلك أردت إبراز الأخلاق الحرة، ولكن هذه التضحية الكبيرة من جانبنا قُوبلت بمحاولة استخدامها ضدنا من جانب كثير من النساء والرجال من داخلنا وخارجنا، ولم أكن أخاف من ذلك، فداًئماً كنت أرى أن عدم وصولنا إلى المرأة الحرة والحياة الحرة، هو من أكبر النواقص التي نعاني منها، وأظهرت ردود فعلي على ذلك، فقد وصلت إلى هذا العمر ولم أهنأ في هذا الموضوع، وقد اعتبرت ذلك بمنحني الإمكانات التي من شأنها أن تمكنهن كنساء صادقات في طموحاتهن لتملكن الحرية والقوة، ولتضمن ذلك واعتباره تراكمًا وميراثاً كبيراً، أحياناً يراودني قول القديس "بول" أحد أكبر ناشري المسيحية - ولا أذكر ذلك هنا على أنه خيار - حيث يقول: "من الصعب أن تعيشوا مثلي مختلفين ودون امرأة، فمن المناسب أن تعيشوا مع زوجات تجلبن المنفعة وليس الضرر لأعمالكم"، إذ أنني أوافق الرأي في هذا التوجه، إن هذا مجرد تذكير ولكن يمكننا أن نفهم من هذه العبارة أنه يملك شخصية عريقة، ولكن يجب ألا ننسى وجود علاقة وثيقة بين العيش ضمن علاقات القسر التي تعتمد على الإمكانات والقوة والسلطة وبين أخلاق العبودية، ومهما عبر المبدأ الذي يتردد في أيامنا هذه حول "أن الخيارات الجنسية لا يمكن مناقشتها" عن قربه من الحرية، فإنه يجعل الأبعاد التاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية والأخلاقية لهذا الموضوع أكثر شمولية وتحتاج إلى حل جذري.

لقد احترمت وقدرت عالياً إنشاء حزب المرأة الحرة "PJA"، إذ أنها خطوة تاريخية على طريق حرية تقرير لمصيرهن، ويمكن أن يؤدي دوراً هاماً كوسيلة أساسية في الكشف عن التناقضات ووضع الحلول، ولكن من الأهمية أن يتم طرح الحلول ضمن أبعاد تاريخية ومعاصرة من وجهة نظر مثيولوجية ودينية وفلسفية وعلمية شاملة، وضمن هذا الأساس يتم الانتقال إلى

الممارسة بعد وضع شكل إيدولوجي ومسار براجمي وتنظيمي وتطبيقي، ومن الضروري أن يؤسس أكاديمية الحرية، إذ أن أعمالهن لتشكيل مؤسسات حرة، وكذلك ممارستهن ضمن كافة أنواع مؤسسات المجتمع المدني، يمكن أن تؤدي دوراً هاماً في تحقيق حياتهن وهويتهن الحرة، وبنحو عام إن لعبت دوراً طليعياً في تشكل المجتمع الديمقراطي هو من ضرورات البنى الواقعية ودليل على التحولات، وسأحاول لاحقاً أن أضع مساهمة حول الأبعاد الأدبية والفلسفية، وهنا وبجهد الوسيلة أحب أن أعرب عن آمياني وآمالي المتعلقة بخلود هذا الجوهر من خلال البراهين التي قدمتها من خلال الحياة الرفاقية والحياة الحرة ومن خلال دين الرباط واحترامهن للعشق والشهيدات اللواتي سقطن في أرض القتال، والمتعلقة أيضاً بأخذهن ثأرهن من النظام العبودي ومن النساء الدنيقات، ومن الرجال القذرين المسيطرين ويستمرن في تحقيق نجاحهن حتى النصر.

وإني على ثقة بأن هذه التقييمات ستمنح قوة لأعمال محاضرات الكونفرانس فيما إذا وصلت إليكم قبل مناقشات المؤتمر، وأحب أن أعبر هنا عن إيماني وآمالي بأنكم ستناقشون كل موضوع بما يتناسب مع تناسق الألوان في الطبيعة بنحو خلاّق ومبدع، وستفتحون الطريق أمام قرارات وتشكيلات ذات قيمة دائمة وقابلة للتطبيق ابتداءً من اسمكم وحتى جوهركم.

وأخيراً أحب أن أقول بأنكم أحرار في اتخاذ القرار الذي تمليه عليكم حريتكم وضمائركم، فقد يكون قراراً بحرب لا ترحم، كما يمكن أن يكون قراراً للسلام، وأحب أن أعبر عن إيماني بأنكم ستفعلون ما هو صحيح وستحققون ما فيه المصلحة المطلقة لشعوبنا ولل البشرية جمعاء، وأنكم على أهبة الاستعداد ضد جميع قوى الدمار مهما كان مصدرها، بالإضافة إلى تصميمكم على السلام المشرف الحر، فأنتم تملكون الإرادة والتصميم على شن حرب تجعل هذه القوى في ندم دائم، إن موقفكم في عبارة "عهدنا هو ممارستنا العملية" التي تردونها كثيراً، هو الذي يحدد كل شيء من الآن فصاعداً، ويجب أن أؤكد هنا على ضرورة قيامكم بكافة أنواع التحضيرات كضرورة لتصميمكم، ولأن هذا القول يجبركم على إيجاد معنى له ويجبركم على ممارسته كما يجب أن أؤكد على ضرورة عدم ارتكاب الأخطاء، وأن لا تقعوا في الغفلة، وأن لا تعدوا الموت الذي ليس في مكانه قدراً مكتوباً.

وبهذا الرجاء الوحيد أريد أن أختتم هذا الموضوع، وأتمنى عدم تنظيم جميع أنشطتكم التنظيمية والتطبيقية بنحو يرتبط بشخصي، لا سيما فيما يتعلق مع ظروف في الأسر، والشيء الوحيد الذي يجب أن يحظى باهتمامكم هو وضعكم السليم والمشرف والناجح، واتخاذكم ذلك أساساً لحياتكم، لقد أراد المتآمرون استخدام حياتي ضدكم، فمعد زمن سلبت مني إمكانية الموت الشجاع وأوقعني في شروط حياة قاهرة، حيث وضعني جميع الملعونين في التاريخ على الصليب، لقد كان استمراري في الحياة حتى الآن ولو ضمن أصعب الظروف أمراً هاماً جداً بالنسبة لسلامتكم، وإني على يقين بوصولكم إلى وضع قرار وممارسة سليمة مثلما أظهرت كافة الحقائق، فلستم أطفالاً، لا تستخدموا قوتكم التي يمكن أن تحقق النجاح والأمور الصحيحة إلا في خدمة أنفسكم و شعبكم، وافعلوا شيئاً ما من أجل الإنسانية إن كان ذلك ممكناً، ولكن صحتكم وشرفكم وانتصاركم ضروري جداً بالنسبة لكم، لقد ضحيتم أنتم والشعب بالكثير من أجلي، وإني مؤمن بأن ذلك يكفي، وأنا أيضاً أريد أن أخلص من همومي وأرتاح قليلاً.

ولكنني مدرك تماماً لمنطق المؤامرة وعلي أن أبقى متيقظاً لها، حتى وأن اعتمدت على إبقائي أو عدم إبقائي حياً، فإنها تهدف إلى تدمير كافة الشرفاء من أبناء شعبي وأصدقائي وجميع المتزيمين مثلكم، وترك الباقين في حالة انقسام فيما بينهم، وبذلك يكونون قد قضوا على الكيان التنظيمي بالمعنى الفيزيائي والمعنوي، وكما يبدو واضحاً وجلياً من إدخال نظام

السمرسة الأسود الذي هو وصمة عار في مرحلة الأزمات لأجل إيقاع الشعب التركي في حالة يأس، فكل الحسابات متجهة لأن يفتك أبناء الشعب الواحد ببعضهم ولأجل اقتتال الشعوب فيما بينها، على شكل صراعات ومقاومات جوفاء وغيبية، فكل القوى الشريرة تريد دفع تركيا إلى ذلك الوضع، ابتداءً من الملعونين أمثال اليونانيين الذين يجرون خلف انتقام تاريخي، وحتى الأتراك الذين يصرخون ويقولون "لنعدمه" يأملون بمصالح من وراء الصراخ والضجيج الذي يفتعلونه اعتماداً عليّ، فلو قاومت حتى الموت فإن لعبتهم ستنتج مائة بالمائة، وإن حاولت الاستمرار بالحياة سيقولون "لقد استسلم"، وهذه هي الثنائية القاهرة التي أعيش فيها، لقد أظهرت حماسي واحساس السليمين اللذين لم يكونا فجين، بدافع الأخوة منذ أن كنت في الطائفة، ويعد هذا الموقف فرصة لكم أكثر مما هو فرصة لي، ولكنني لا أستطيع معرفة الشكل الذي ستكون عليه النهاية.

وبذلت جهوداً لكي يكون الموت منحصرأً بشخصي فقط، لكن موتي المفاجئ أو النتيجة التي يربطونها مثلما يرغبون لا يزال مطروحاً في جدول أعماله بغية تدميركم وتدمير شعبكم معكم، وسأبذل جهوداً حثيثة كي لا يحدث ذلك، ومن الضروري أن تكونوا على أهبة الاستعداد كأن ذلك سيحدث غداً، ليس فقط من أجلكم، بل من أجل جميع أبناء شعبنا الوطني وأصدقائنا، ولهذا قلت بأن إحصاري في طرد بريدي سيكون أخطر من قبلة هيروشيما، إن استعداد الجميع وكأن الكارثة ستحدث غداً، هو شرط اساس لسلامتكم ولشرفكم ولنجاحكم، وأكد مرة أخرى عن أمني في تحقيق السلام والأخوة ونجاح الحل الديمقراطي مع إيماني بأنكم ستثبتون ذلك في ممارستكم وأحييكم تحية رفاقية التي تسبق ملؤها الحب والاحترام وأتمنى لكم النجاح الدائم.

هـ. نحو حل القضية الكردية

إذا كانت أية ظاهرة اجتماعية تشهد مشكلة تعود جذورها إلى مئات السنين، وإذا لم يتم الوصول إلى حل يتناسب مع طبيعة العصر، فإن البحث عن التقصير في الظروف الموضوعية الداخلية والخارجية لن يكون واقعياً، حيث توجد لكل مشكلة ظروفها الموضوعية، ولكن هذه الظروف لا تؤدي دور العائق أمام حلها إلى ما لا نهاية، ناهيك عن أن الظروف الموضوعية لا تجلب الحل بمفردها مهما كانت ناضجة وملائمة، بل يمكن التقاط امكانات الحل من زاوية ما في كل وقت وحتى في أصعب الظروف، كما أن ربط عدم الحل بعدم كفاية الظروف الذاتية بالمعنى الضيق ليس واقعياً أيضاً، إن القول: أنه لم تتم التضحية بالدماء اللازمة لأجلها أو أن وعي التنظيم ضعيف، لا يشكل سبباً مفسراً، كما أن تحميل الذنب على الأخطاء والأغلاط الاستراتيجية . العسكرية والسياسية وتكتيكاتها قد يكون مخادعاً، إن عدم البحث عن أسباب التعقيد، وطرز الموقف نحو الحل ومدى واقعيته وقابليته للحل هو التقييم الأصح.

لقد كان الاتحاد السوفيتي قوة عملاقة، ولم يهزم سياسياً ولا عسكرياً، كما لم يتعرض لاعتداء من قوة خارجية، ولم يشهد تمرداً من الداخل، لكنه انهار وهُزم وهو ملتزم بمهدفه، إن السبب بسيط: كان مستوى حرية الفرد الاشتراكي والمستوى الديمقراطي للمجتمع بعيدين عن الواقع الاشتراكي، وعدم الاستجابة لواقع الإنسان الحر أوصله إلى التعقيد، كما يمكن تقديم أسباب مشابها لتفسير دمار الفاشية في مواجهة المشكلات، فحل المشكلات هو فن والالتزام بموقف علمي هو شرط اساس ولكنه غير كافٍ، حيث يجب معرفة فنون هذا الأمر، لا يمكن لمفتاح واحد أن يفتح كل الأبواب

رغم أن كل الأقفال متشابهة، فالتشابه لا يكفي لتنتفح بنفس المفتاح، لكن إذا وجدنا الثقب المناسب ووضعنا المفتاح فيه عندئذ نستطيع فتح الباب، أما الادعاء بأن الأبواب لا تنفتح بأي مفتاح فهو موقف غير صحيح.

ولأجل حل القضية الكردية فما أسيلت دماء قليلة وما تأسست تنظيمات قليلة، وما تمت حروب وممارسات دبلوماسية قليلة، كما لا يمكن تقديم حجة على أن القضية لم تنضج موضوعياً، إن الوضع الجزئاً للمشكلة ليست ميزة سلبية فقط، بل يمكن أن تكون ميزة إيجابية، ولكن عندما ننظر إلى مستوى الحل، نرى أنه لم يتم إحراز أي تقدم ولو بمقدار حبة شعير، فمثلاً لا يمكن تفسير ما حدث في كردستان الجنوبية خلال السنوات العشرة الماضية لا بعدم كفاية الظروف الموضوعية ولا بقلّة الدعم الخارجي، ولا بضعف مستوى الوعي والتنظيم، بل على العكس كل الظروف كانت ناضجة وملائمة، ورغم ذلك لم يتم الوصول إلى حل بأي شكل من الأشكال، ويرجع السبب الأساس لذلك إلى عدم احترام الحقيقة، بل وحتى إلى منع طرق الحل السهلة عن علم ومعرفة، وتشكيل القوى التي من المفترض أن تكون قوة للحل حواجز أمام وقائع وسبل الحل بعناد، حيث هناك سبيل حل معقول لكل مشكلة ناضجة، ولكن يجب إعطاء المعنى والمضمون العميقين للوقائع، والنظر بمنتهى الجدية إلى أبسط الامكانيات المحدودة المتوفرة للحل، وإظهار التصميم والإرادة والموقف والالتزام بالصبر من أجل تحقيق الحل، وذلك هو العامل الوحيد غير الموجود في حل القضية الكردية.

وبالطبع هناك أسباب تاريخية واجتماعية وسياسية تكمن وراء هذه المواقف، ويمكن شرح هذه الأسباب الكامنة في حل القضية بنحو مطول، وتستند النتيجة إلى الجدية والإصرار على موضوع الحل المعقول الذي تتيحه الظروف الواقعية، يمكن أن نرى ذلك عبارة عن كلمات بسيطة، ولكن حتى ولو تم تقديم الحل على طبق من ذهب فهو لن يعبر عن شيء بالنسبة لمن لا يوجد لديهم الإصرار والتصميم، إن واقع الحل وجدته والإصرار عليه يؤدي دور المفتاح الذي يفتح القفل المحدد للنتيجة، إذا كنتم تصرون على حكم ذاتي أو كما تنوحي أفئدة بعضكم بدولة متكاملة كضرورة لحق تقرير الشعوب لمصيرها ولم تروا المعقول الموجود أمامكم، فإنكم تفقدون فرصاً كثيرة للحل، إن ما عاشته القضية الكردية في الماضي هو هذا المنطق وهذه الحيرة بعض الشيء.

ويتم الخلط بين المبادئ والسياسة الواقعية، وكأنه لم يتم وضع سياسة واقعية لأجل الالتزام بالمبادئ، أو كأنه سيتم التخلي عن المبادئ باسم السياسة الواقعية، إن التيارات التي أصيبت بمرض الحول في المنطق هي التي لا تستطيع تجاوز هذه الازدواجية التي لها نصيب كبير في التعقيد الذي تشهده القضية الكردية، ويتحمل هذا النوع من المواقف التي تخلق الدوغمائية باسم المبدأ وتستسلم حتى العظم باسم السياسة الواقعية مسؤولية إيصال القضية إلى هذه الحالة المرضية السيئة، إلا أن تعددية الألوان هي التي تحكم الحياة، ويمكن لكل من يرغب أن يخلق لونه بنفسه، والذين لا يدركون من الرؤية سوى الأبيض أو الأسود، التخلص من مرض عَمى الألوان في سبيل إيجاد لون الحل في القضايا الاجتماعية، نحن لا نجرد أنفسنا من هذه الحقيقة فنحن أيضاً وقعنا في الأخطاء، والأمر المهم هو معرفة كيفية التخلص من الأخطاء.

في الوقت الذي نحاول فيه إدراك مرحلة الحل التي سيتم دخولها بنحو مكثف بالنسبة للقضية الكردية، يجب أخذ هذه المسائل بعين الاعتبار فيما يتعلق بالمنهج، إن الحل لن يتم عن طريق عقد الاتفاقيات أو بفضل المواقف التي تهددها الدولة كما يعتقد، فالحقيقة الكردية لا تتيح الإمكانية لتلك الأنماط، ولا نرى التعقيد قادراً لكونه لن يحدث ذلك هكذا، بل أن هذا الوضع يكشف عن ضرورة البحث عن الحل بأشكال أخرى.

تُظهر التجارب المستنبطة منذ مائتي سنة الماضية عدم إمكانية التوصل إلى حل القضية الكردية بالمواقف القومية البرجوازية، والحكم الذاتي الإقطاعي، لأن واقع الدول القومية المجاورة لا تتيح الفرصة لهذا النمط، ويؤدي إلى خطورة الانعزال والاختناق في دائرة تحيط بها الأسوار، بالإضافة إلى أن ما أدت إليه المواقف القومية الإسرائيلية . الفلسطينية من التعقيد والنتائج الإنسانية باتت واضحة ومكشوفة.

إن هذا النمط القومي الذي هذبه الاشتراكية المشيدة والموروث من القرن التاسع عشر، مسؤول عن تطوير منطق إما الأبيض أو الأسود، بينما يقدم النظام الديمقراطي الذي وصلت إليه الحضارة الغربية مفتاح الحل لجميع القضايا بعد أن دفع ثمناً باهظاً لتجربتها، لقد استطاع الغرب حل جميع خلافاته التاريخية، وبدأ الآن بتعليم العالم، ولا يمكننا القول أن النظام الديمقراطي قد أخذ الشرق الأوسط في شموليته، ولكن يتم قرع أبوابه من خلال هذا النظام، كما لا تلوح في الأفق طرق حل المشكلات الاجتماعية القومية المزمدة خارج نطاق النظام الديمقراطي، ناهيك عن أن النظام الديمقراطي يثبت تفوقه في هذا المجال مع مرور كل يوم، من خلال نتائجه كأفضل طريقة للحل، لأنه يؤدي إلى اقل الخسائر وتحقيق المصلحة المشتركة العظمى لكل الأطراف، كما يقبل الحدود السياسية الموجودة كمعطيات، ويحقق حقوق الأوساط والمجموعات والثقافات التي تعاني من المشكلات، كما يقدم فرصة الحل لكل ظاهرة، لأنه يحقق التطور الذي تستحقه بنفسها من خلال التطور نحو المساواة والحرية ضمن المرحلة، ويرغم نفسه على التعليم والتنظيم والترشيح والانتخاب بنحو دائم، ويعكس ذلك على الدولة والقوانين من خلال السياسة الديمقراطية، إن المجتمعات الغربية لم تكن في تفوقها مدينة للتطور العلمي والتقني، أما النظام الديمقراطي هو الذي خلق هذا التفوق، إن الذين يقولون: "الاقتصاد أولاً ومن ثم الديمقراطية" أي الذين يخافون من الديمقراطية يضعون العربة أمام الحصان، حيث يجب أن تكون الديمقراطية في الأولويات من أجل نمو سريع للاقتصادات المتخلفة، وعلى ضوء هذه الحقيقة التي تأكدت علمياً وحبلى جوائز نوبل لأصحابها، نرى إن البحث عن حل لعموم الشرق الأوسط والقضية الكردية بشكل عاجل في ظل النظام الديمقراطي، ليس أحد الطرق الممكنة وحسب، بل يعد أفضل طرق الحل في الظروف الراهنة، ويجب ألا نرى ابتعاد الدول القومية الحاكمة عن الديمقراطية تشكل عائقاً أو تصبح وسيلة للانحراف إلى طرق أخرى.

فكما أكدنا سابقاً أن القضية الكردية ذاتها ستضغط على هذه الدول من أجل الدخول في مسار التحول الديمقراطي، لأن الأزمة العميقة واللا حل اللذين تشهدهما هذه الدول، قد جعلتا النظام الديمقراطي الخيار الصحيح لها، لذلك فإن مواجهة الحضارة الديمقراطية الحديثة مع البنى التي لها مشاكل في الشرق الأوسط سيحقق انتقالها إلى النظام الديمقراطي، لا سيما في القضية الكردية وتسير بها نحو مرحلة لا يمكنها سوى القبول، "لن أشرح هذا الموضوع مرة أخرى لأنه تم شرحه بشكل مفصل في القسم المعني"، نمارس الضغوط على الشرق الأوسط من أجل خلق الحضارة الديمقراطية بمضمون جديد، مثلما رأينا في التاريخ ميلاد الحضارة السومرية، إن القدر يمنح الكرد مرة أخرى فرصة القيام بدور المفتاح في الحضارة الديمقراطية التي هي شكل حضاري يتم فيه تجاوز البنى الطبقية التي لا معنى لها، ولن يتوقف الكرد عند حل أصعب مشاكلهم الذاتية، بل ستتاح لهم الفرصة من أجل تقاسم الأخوة والوحدة الحرة ضمن النظام الديمقراطي مع الشعوب المجاورة، وسيقدمون المفتاح الذهبي للتحرر الحقيقي والسلام والحياة المرفهة التي كانت تحلم بها شعوب المنطقة على مدى التاريخ، إن رؤية هذا الموقف كضرورة للواقع، وسبيلاً آمناً لتجاوز التخلف والوصول إلى عصر ليس خيالياً،

ويجب أن نفهم أن القيام بالمهام التي تقع على عاتقنا هي ضرورة للالتزام الصحيح بالمهام التاريخية.

لنحاول فيما يلي تقديم الجوانب الأساسية على مستوى الطرح حول أشكال الحل المحتملة لكل الدول التي تشهد هذه القضية على ضوء هذا الإطار العام المتعلق بالقضية الكردية.

١ . القضية الكردية في تركيا والحل الديمقراطي

إن البحث عن الأسباب التي جعلت القضية الكردية تتفاقم، وطرح حلها ضمن منطق تكوين وتطوير العلاقات الكردية - التركية هو المنهج الأصح، بينما الحل نفسه هو نتيجة، ويمكننا التحدث عن منهج علمي عند تحديد الخطوط الأساسية للمصادر التاريخية وللظواهر التي تستند إليها القضية وكيفية تطورها من أجل نجاح الحل، ولنكتفي بالتذكير ببعض الخصائص المتعلقة بالمسار، لأننا شرحناها مطولاً في الأقسام المعنية.

أ . عصر الإمارات الإقطاعية والسلطنة: إن هذه المرحلة التي بدأت بموجات السلاطين السلاجقة الكبار وأعراق أوغوز في القرن الحادي عشر، قد تميزت بالحكم الوفاقي أكثر من الصراع، واتخذ التحالف الإسلامي التقليدي أساساً لهذه المرحلة ضد الإمبراطورية البيزنطية، لقد اعترفت الإمارات التركية والكردية ببعضها البعض واحترمت حقوق بعضها، كما أدى عقد تحالفات فيما بينها في عدة حروب وفي مقدمتها حرب ملاذكرد، دوراً مصيرياً في تحقيق النتائج، وفي حين قويت الإمارات والسلطنات التركية من الناحية العسكرية والسياسية، كان الكرد متفوقين من الناحية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وكانت الثقافة الكردية تقوم بتذويب وصهر الثقافات الأخرى بنحو عام، وكانت المشكلات القائمة ناتجة عن القتال الدائر بين الإمارات والسلطنات التي كانت موجودة في كل مكان في القرون الوسطى من أجل تحقيق الهيمنة، ولا تتضمن أية جوانب أجنبية أو قومية واعية في القتال على الأغلب، وكانت التناحرات الملكية والسياسية والعسكرية تدور بين الطبقات الحاكمة، ولذلك فإن البحث عن قضايا أجنبية أو قومية في العلاقات الكردية التركية في تلك المرحلة لم يكن له أي معنى هام.

انتظمت العلاقات واكتسبت مكانة في مرحلة نظام السلطنة العثمانية، فقد استمرت هذه المكانة التي كانت تعتمد على الاعتراف بحرية الإمارات الكردية في شؤونها الداخلية وعلى شكل حكومات يرثها الابن من أبيه حتى القرن التاسع عشر، كما يمكن رؤية أكبر الأوضاع تطوراً ضمن بنية الإمبراطورية، ارتباطاً بكثير من فرمانات السلاطين الذين كانوا يقيمون هذه العلاقة على المستوى الاستراتيجي، فالعلاقات مع الكرد التي كانت تأخذ طابعاً رسمياً من خلال مصطلحات أسسوها بأنفسهم مثل مقاطعة كردستان وحكومتها وإماراتها، حيث كانت كلها تحمل صفة مميزة، فدور البقعة الجغرافية التي تقطنها العشائر والأقوام الكردية بكثافة، والأهمية التي تحملها هذه البقعة بالنسبة للسيادة على الشرق الأوسط، تعد من الأسباب الأساسية لهذا الواقع، فمن المؤكد أنه لا يمكن التفوق على الإقطاعيين الإيرانيين وإقطاعيي شبه الجزيرة دون الوفاق مع الإمارات الكردية، وكان السلاطين العثمانيون يدركون عمق هذه الحقيقة تماماً، وقد قيمت الإمارات الكردية هذه الحاجة الاستراتيجية بشكل جيد وبنيت أقوى الإمارات ضمن الإمبراطورية، بحيث أصبح الحكم الذاتي الكردي يحظى بمكانة نموذجية للعصر الإقطاعي، وكان أحد أنواع طرق الحل.

إن امتداد تأثير الاستعمار الأوروبي إلى الشرق الأوسط اعتباراً من بداية القرن التاسع عشر قد زعزع هذه المكانة في العلاقات الكردية التركية، فقد نما تيار خطير على شكل تجريد الكرد واستخدامهم كورقة في سياسات الدول الرأسمالية الاستعمارية البارزة، وفي مقدمتها بريطانيا التي تبنت الأقليات المسيحية في الشرق الأوسط، وحماية السلطنة ضد التوسع الروسي، وقد ادت بريطانيا دوراً خطيراً جداً بممارسة سياسة "فرق . تسد" التي ليس لها أي مكان في أية قاعدة أخلاقية، إن التلاعب بجميع القوى من أجل النفوذ كان السبب الحقيقي للمجازر، فقد تم إفساد السلام العثماني الذي كان سائداً منذ قرون بنحو أو بآخر، وبدأت المرحلة التي أخذت فيها الأقوام تنهش بعضها البعض، واحتلت القومية المعتمدة على الاستعمار الرأسمالي مكانتها في التاريخ كعصر التششت والافتتال، ويجب تناول هذا العصر كمرحلة أساسية والتي فيها ولدت وتطورت المشكلات في العلاقات الكردية . التركية .

ب . مرحلة القومية والتمرد والتنكيل: تعد هذه المرحلة التي أطلقتها الرأسمالية الاستعمارية، المرحلة التي ولدت فيها القضية الكردية وتصادت بمعناها المعاصر، أما المنطق الذي يكمن وراء ذلك فهو، استخدام الكرد كشبح في هذه المرحلة من أجل تحقيق ارتباط الأقليات المسيحية، واستخدام التمردات الكردية التي ادت فيها دور المؤهب بالذات من أجل فرض التبعية على الأتراك ومن ثم الإيرانيين والعرب، وتمت محاولة استخدام الكرد كحقل تجارب وأداة تحريض، حيث لم يكن للرأسماليين أية نوايا تتعلق بأية مهمة حضارية، وكانت بريطانيا قائمة على رأس هذه السياسات، ولم تتوقف الدول الرأسمالية الاستعمارية الأخرى عن مواصلة هذه السياسات وجعلها أساساً لها، ان السياسة الكردية للرأسمالية الامبريالية التي التزمت بها ولا تزال أدت إلى عيش شعوب الشرق الأوسط عامة، والشعب الكردي خاصة في أسوأ مرحلة دمار في تاريخها، إن المفهوم القومي البرجوازي الذي هو جزء لا يتجزأ من هذه السياسة قد ادى دوراً سلبياً جداً لاعتماده على سياسة فرق . تسد، فبينما ادى هذا المفهوم دوراً إيديولوجياً أساسياً في تكوين السوق واللغة والثقافة والدولة القومية في أوروبا، تحول إلى أداة لنهش وتناحر شعوب الشرق الأوسط فيما بينها، وكان للمفهوم القومي البرجوازي الدور الاساس في انخيار الإمبراطورية العثمانية، بالإضافة إلى تمزق اللوحة الموزائكية للشرق الأوسط، وانفراد وانعزال الشعوب بل وحتى إلى تمزق القومية الواحدة ذاتها كما نرى لدى الكرد والعرب، وبذلك تحولت الشعوب إلى طعم سهل، كما أدى هذا المفهوم إلى تعميق القومية الإقليمية والقومية العرقية الصغيرة، وترسيخ التمزق وذلك بتأثير سياسة فرق . تسد.

إن المفهوم القومي التركي كان على رأس القوميات التي تصاعدت في المنطقة كرد فعل على تششت الإمبراطورية العثمانية، فهذا المفهوم القومي الذي تصاعد على أساس تقديمي ولو بنحو محدود مع نامق كمال من أجل نظام المشروطية، تحول إلى مصطلح العثمانيين الجدد وإلى النزعة التركية مع جمعية الاتحاد والترقي في أواخر القرن التاسع عشر، وإلى النزعة الإسلامية من قبل السلطان عبد الحميد، أظهر نظام المشروطية القومية كإلحجاز لها، وكانت تفتقر للجوهر الديمقراطي، وتخلت عن مزايم الحرية والأحوه التي أطلقتها في البداية وتركت مكانها للديكتاتورية والعرقية، وقد انتهت الحرب العالمية الأولى التي تم خوضها بهذه السياسة، بتقسيم الإمبراطورية العثمانية.

إن المفهوم القومي الأتاتورك في عصر الجمهورية، يختلف عن سواه، إنه ليس بمفهوم عنصري، ويجعل من جميع حضارات الأناضول مصدراً له ويحتزمها، فاستخدام الجمهورية شعار "كم هو سعيد من يقول أنا تركي"، هو لرفع معنويات الشعب التركي ومستوى الوعي القومي لدى الشعب التركي الذي تعرض للازدراء من طرف العثمانيين، فهذا

الشعار لا يهدف إلى توجه عنصري، بل إلى التحول القومي للشعب التركي الذي قلل السلاطين من شأنه طوال القرون الوسطى، وهناك فرق بين المفهوم القومي الأتاتوركى ومفهوم القومية التركية العنصري الذي نما فيما بعد.

إن المفهوم القومي التركي العنصري لعصر الجمهورية، أكثر تحلفاً من مفهوم الاتحاديين رغم اعتمادهم عليه، إن هذا المفهوم القومي للجمهورية الذي تحول إلى سياسة بعد عام ١٩٦٠ ضد الأزمة الاقتصادية المتفاقمة، والنزوح من القرى إلى المدن، وازدهار اليسار، قد أوجد نفسه في حزب الحركة القومية وجمعيات الكماليين، إن هذا المفهوم القومي انقسم إلى عدة تيارات وأصبح الآن شريكاً في الائتلاف الحكومي بعد أن أدى دوراً هاماً في تصفية اليسار، وإن تناقضه مع الحداثة الأتاتورية، وعدم خضوعه للتحول الديمقراطي ومواصلته السلطة الفاشية، قد جعله يؤدي دور العائق على أساس عنصري، بحيث لم يستطع المفهوم القومي الأتاتوركى القيام بالقفزة المطلوبة رغم أننا نرى أن جهوداً تبذل من أجل التجديد، وحزب الشعب الجمهوري يأتي في مقدمة من يحاول ذلك، ويرتبط مصير المفهوم القومي الأتاتوركى بتحقيق هذه القفزة نحو التحول الديمقراطي.

هناك من أراد تطوير العثمانية التقليدية بتيار التركيب التركي الإسلامي، هذا التيار الذي استند على الازدهار السياسي للإسلام وأخذ شكلاً على أساس التيار الليبرالي لبرجوازية الأناضول التي تطورت أكثر، ويحاول هذا التيار الذي يتمسك بالإسلام أكثر من العنصر التركي، والذي يحاول استمداد قوته من التيارات الإسلامية الموجودة في إيران والعالم العربي، يحاول أن يتطور على غرار الحزب الديمقراطي المسيحي في أوروبا.

يشهد معسكر السلطة التقليدية لبرجوازية تركيا الذي يدعي بالتحول الليبرالي والذي انسلخ عن حزب الشعب الجمهوري، مرحلة الانحيار من تجارب الحزب الديمقراطي وحزب العدالة وحزب الوطن الأم، حيث لم يتمكن هذا المعسكر من تقديم المثال الديمقراطي الصادق، والأمر الذي يجري التركيز عليه في يومنا هو، المحاولات التي تهدف إلى خلق معسكر الحزب الديمقراطي المركزي للبرجوازية، ويحاول مركز اليمين ومركز اليسار التركيز على الديمقراطية وحقوق الإنسان من أجل سد هذا الفراغ.

إن الأزمة المتعددة الجوانب التي دخلت تركيا فيها في أنحاء العالم، تظهر حالة التعقيد والمأزق الذي دخل فيه المفهوم القومي الذي ترك بصمته على تركيا في القرن الأخير، والتعقيد وعدم التوصل إلى الحلول يكمن فيه. إن عدم إظهار المفهوم القومي الأتاتوركى تطوراً ديمقراطياً هو السبب الأساس للتعقيد، رغم أنه أدى دوراً هاماً في تأسيس الجمهورية، كما يشهد الشرق الأوسط المرض والتعقيد نفسه، إن أوروبا التي فتحت أكثر مراحل القومية تقدماً، ووصلت إلى ذروة القومية العرقية بفاشية هتلر، تمكنت من دفن القومية في التاريخ وتعلي راية الديمقراطية، لتطبع هذه الميول الأساسية المتصاعدة في النصف الأخير من القرن العشرين بطابعها، لقد استفاد أتاتورك من القومية الغربية ولو بنحو محدود عندما كانت تقدمة، وبهذا المعنى فقد كان معاصراً، ولكن بعد تعريف الحداثة بالحضارة الديمقراطية بعد الحرب العالمية الثانية، لم تستوعب الأنظمة التركية جوهر التطور الحضاري من هذا النوع، فحتى لو فهمته فإنها لم تؤمن به، لأنها تتناقض مع مصالحها، حيث رأت هذه الأنظمة أن إدارة الجمهورية بسلطة أوليغارشية ينسجم مع مصالحها، واعتقدت بأن الديمقراطية الحديثة خطراً يهددها، مما يعني ابتعاد الجمهورية عن الحضارة الحديثة.

وهذا هو السبب الذي يكمن وراء الأزمة الاقتصادية التي تتعرض لها تركيا، فقد ظلت تركيا بعيدة عن التحول الديمقراطي، في حين أن سائر الدول الأوروبية المخطمة والمنهارة استطاعت الوصول إلى هذا المستوى بالنظام الديمقراطي، واعتقدت تركيا بأنها ستحقق إنطلاقة من خلال التستر خلف ديماغوجية ديمقراطية، واعتقدت أنها ستؤدي وبالمكر القروي دور الحداثة وهكذا أغوت الجميع، كما لم تفهم النخبة السياسية جوهر الحداثة بالنسبة للجمهورية ولم تتردد عن استخدام ميراثها المحدود بطريقة سيئة إلى أن بدأت تشعر من جديد باصطدام تركيا بصخرة كبيرة، كان رد فعل الجيش على ذلك هو الأشرف الدائم على الهوية السياسية، ومنع الجمهورية من الخروج عن المسار، من خلال أربعة انقلابات عسكرية مهمة، وأقتصر دور الانقلابات على تأثيرات آنية لكونها لا تستند إلى برامج جادة، بل اتخاذها المقاييس التقليدية أساساً لها للحفاظ لها على الجمهورية، مما أدى إلى انطواء الجمهورية على نفسها، ووصولها إلى وضع متزومت. إن ما تشهده تركيا في نهاية القرن العشرين ليس أزمة اقتصادية، بل أزمة شاملة في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، وهكذا فإن الخطوة التالية لهذا الوضع تكون الفوضى والتضخم المجنون، ولا مفر من أن تشهد ذلك في حال إصرارها على الماضي.

أدى المفهوم القومي الرجعي، والحركات اللاديمقراطية للأنظمة الأوليغارشية إلى توسع الهوة الموجودة بين تركيا والحضارة الديمقراطية الحديثة، وتشهد تركيا الآن نتائج هذه التناقضات على نحو أكبر أزمة دائمة في تاريخها، ونظراً لاستبداد النظام وانغلاقه على نفسه، عرقل التدخل حسب الظروف الداخلية، فمن المنتظر حدوث تدخل خارجي من أجل الحل، وهذا ما شهدناه كثيراً في التاريخ. يحاول صندوق النقد الدولي والاتحاد الأوروبي القيام بهذا التدخل، ولكن المخاوف التقليدية للدولة وبنيتها المغلقة ضد الانفتاح الديمقراطي، تمنع التدخل الخارجي على نطاق واسع، ولذلك تظل تركيا عرضة لانفجار اجتماعي نتيجة للأزمة القائمة، بسبب امتناعها عن الالتزام بامكانيات الحل الداخلية والخارجية، في الوقت الذي يشهد فيه المفهوم القومي التركي بشكل عام أكبر مأزق له، يواجه المفهوم القومي التركي العنصري الذي يبحث عن انطلاقة عبر الفاشية، عراقيل قوية على صعيدي الظروف الداخلية والخارجية، وتثور الفاشية وتغضب عندما لا تجد دعائم متينة لها من أجل ازدهارها واستلام السلطة، وتعرض لطوق وخطورة خسارة القوة، تفرض الظروف الداخلية والخارجية على كلا المفهومين القوميين، ثنائية التحول أو الانسحاب، ويدرك الجيش أنه عاجز عن القيام بأشياء كثيرة من خلال الانقلابات، وإن استلامه السلطة كلياً من أجل برنامج إصلاحية شامل، لا يندرج بين الاحتمالات بسبب التحالفات الخارجية والظروف الداخلية، ولكن يمكن للجيش أن يقوم بتدخل واضح إذا ما تعرضت الجمهورية للتشتت، ناهيك عن أن الجيش يقوم بالإشراف على الوضع من خلال مجلس الأمن القومي الذي زاد دوره.

تناقش تركيا مشكلات التحول والتغيير الأكثر شمولية في تاريخها في ظل هذه الظروف، وهذا النقاش ينعكس على كل منطقة قاصية في تركيا، من خلال عملية الوساطة التي تقوم بها وسائل الإعلام، وهذا النقاش لا يشبه نقاش المثقف البيروقراطي الجامد قبل المشروطية، ولا يشبه انطلاقة الديمقراطيين في حزب الشعب الجمهوري بعد الحرب العالمية الثانية، كما أنه يتجاوز نقاش يسار ويمين تركيا في السبعينيات، فالمرحلة التي وصل إليها النظام الاقتصادي والاجتماعي ووصول النظام السياسي إلى طريق مسدود، والشكل الذي وصلت إليه القضية الكردية، وعدم الانسجام مع العالم الخارجي، يؤدي دوراً أساسياً في ذلك، ولا يؤمن أحد بتجاوز أو القضاء على الأزمة الاقتصادية من خلال تدابير عادية كما كان في

الماضي، إن تدابير الحل التي يتم اتخاذها من طرف واحد لا يؤدي سوى إلى تفاقم الأزمة والمشكلات ، وهذا يؤكد بأنه لم يتم تشخيص الوضع بطريقة صحيحة وكافية.

لقد تم الوصول إلى مرحلة الذروة في الإيديولوجية القومية، ولكن لا يمكن حل المشكلات من خلال هذه الإيديولوجية، بل أنها تزيدها تعقيداً وواقع الشرق الأوسط يؤكد هذه الحقيقة، كما تظهر الأزمة في تركيا الوضع العام للظروف الإمبريالية، وينبع التشابه الوضعي في الأرجنتين والبرازيل وإندونيسيا من هذا الوضع العام.

عندما ننظر إلى مثال تركيا ومن قرب يمكننا القول بأن الاقتصاد الرأسمالي لا يمكن أن يتطور بالنظام الحالي، بل يمكن أن يتراجع. كانت مرحلة قيام الجمهورية هي مرحلة تحقيق التراكم الرأسمالي، وحماية وولادة البرجوازية البيروقراطية بيد الدولة، وبذلك تم وضع أسس الرأسمالية، بينما كانت مرحلة الخمسينيات هي مرحلة تطوير ونشر الرأسمالية، حيث قامت الرأسمالية الزراعية في الريف والرأسمالية الصناعية في المدن بمحلة في هذه المرحلة، وتم في مرحلة تراكم خاصة إلى جانب الرأسمالية البيروقراطية، وتقدمت الرأسمالية التجارية الصناعية إلى الأمام، وبدأت حملة الرأسمال المالي بعد الثمانينيات، وتم القيام بمحلة في الصناعة والبديل الداخلي من خلال الانفتاح على الخارج، وقد وصلت الرأسمالية التركية إلى مرحلة معينة من خلال هذه الخطوات، ووصلت إلى وضع بدأت تنافس فيه الدول الأوروبية من الظروف التي يمكن تسميتها باقتصاديات العالم الثالث غير النامي، كان النقص هو عدم مواكبة بناء النظام السياسي لهذه البنية الاقتصادية في تركيا، حيث تصرفت بتردد حيال ذلك، وكانت القضية الكردية تشكل العائق الاساس أمام ذلك.

وإذا تناولنا ذلك ارتباطاً بالتاريخ القريب نرى أنه هناك وضعاً مشابهاً عند تأسيس الجمهورية، فقد نسيت الجمهورية الكرد في الوقت الذي كانت تنظم فيه نفسها لأنها شعرت بالخوف منهم دائماً، ووافقتهم على النظام بينما بقيت بعيدة عن الحل. إن التمردات الكردية لم تقم على أساس الانفصال كما يتم الحديث عنها، وحتى التمردات الكردية التي استمرت طوال القرن التاسع عشر لم تكن تستهدف الانفصال عن النظام، ولكن بعد أن أبعد الكرد خارج النظام، وتفاقم المركزية لم تعط للكرد مكاناً، ليجد الكرد أنفسهم وقد فقدوا حكمهم الذاتي الواسع، ودون ان يكون لهم مكان في النظام المركزي الجديد، وعدم دعم الدول الكبرى الانفصال رغم تحريضها للأحداث في بعض الأحيان من أجل تكريس التبعية التركية لها، وتحول الوضع من سيئ الى أسوأ في عصر الجمهورية، إذ لم تقتصر خسارة الكرد على فقدانهم لحكمهم الذاتي وحسب، بل واجهوا إنكار وجودهم بالكامل، وطبعاً استغلت بعض الدول التي لها مصالحها وفي مقدمتها بريطانيا تمردات الكرد واتفقت بالنتيجة مع الكماليين، أما المرحلة التي تلت ذلك، فهي المرحلة التي تم ترك الكرد للتفسيخ والنسيان، وتعرضوا للخطر، أما الجواب الذي تم تقديمه من خلال حزب العمال الكردستاني، فهو الحرب غير مكثفة في الربع الأخير من القرن العشرين.

في حين كان يجب على الجمهورية التي لم تشهد التحول الديمقراطي بذريعة التمرد الكردي عند إنشائها، إكمال نظامها في التحول الديمقراطي الذي يعد من أهم مراحل الحداثة، فاعتقدت أنها ستحل المشكلة من خلال قمع الكرد نتيجة لخوفها من الانفصال، وجعلت تصفية القضية من الأولويات الهامة من خلال اتباع كل الأساليب الخاصة بطريقة هستيرية والنفير العام، فبعض المصادر تقول بأن تركيا رصدت مائة مليار دولار، بينما تقول مصادر أخرى أنها رصدت أربع مائة مليار دولار من أجل تحقيق هذا الهدف، وإن دخولها في الأزمة الاقتصادية الحالية وفقدان الساحة الاجتماعية

لتوازنها العقلي، هو إفلاس تام للبنية السياسية، فقد انخفض دعم الجماهير للسلطة إلى أقل من عشرة بالمائة، ولم يستطع اقتصادها الذي ينتظر العالم أختياره في كل لحظة مواصلة نفسه ليوم واحد فقط لولا تدخل صندوق النقد الدولي، فقد وصلت إلى وضع لا يمكنها من مواصلة نفسها كجمهورية لولا دعم أمريكا والاتحاد الأوروبي والمؤسسات التابعة لهما، هذا هو الموقع الذي وصلت إليه تركيا من خلال المفهوم القومي التركي، لم تستطع هذه الجمهورية إبادة كردها أو صهرهم بنحو كامل، بل يوجد واقع كردي شهد تحولاً ديمقراطياً بقيادة حزب العمال الكردستاني.

هناك محاولة الأقدام على خطوات للتوجه نحو المرحلة القادمة في هكذا واقع موضوعي، حيث يحاول مركز اليمين ومركز اليسار لم شملهما، والتحول إلى أحزاب، ولا يزال الموجودون منهم، أي الذين أصبحوا قدماء، يواصلون ادعاءاتهم السابقة في حين دخلت الحكومة في وضع تؤدي فيه بدقائق الوقت الضائع من المباراة، ويريد الشعب إحداث تغييرات جذرية على نطاق واسع ويؤيد الحضارة الديمقراطية بنحو قطعي، وأصبح الجيش بعيداً عن الانقلابات، كما لم تعترض التوازنات الموجودة على التحولات الجديدة في البنية الديمقراطية والعلمانية للجمهورية، ولن تكون في مواجهة الدولة صعوبات كثيرة، بينما يوحد حزب العمال الكردستاني في موقع الدفاع المشروع، وقد اتخذ موقفاً حاسماً حيال خيار الحل الديمقراطي.

يتضح من هذه اللوحة التي رسمناها أنه لا يمكن حل المشكلات من طرف واحد، بينما الحل الشامل والمتداخل هو ضرورة للمنطق، إن ترك إحدى زوايا المبنى فارغة عند إنشائه لا جدوى منه، وفي الوقت الذي يتم تعديل الدستور والقوانين يتم إبعاد الكرد وبذلك تترك الأرضية مهياً لنشوب قتال جديد منذ الآن، حيث لا يزال المفهوم القومي العنصري يتلاعب بمصير تركيا ويربط مستقبلها بالمخاوف من جديد، ولهذا تتعمق الأزمة يوماً بيوماً، لأن التجرد عن العالم والعزلة الداخلية تدفع بالجماهير إلى الانفجار.

تعرض الجمهورية إلى تغييرات كبيرة في الأصل ويتم تجاوز الأسس القديمة بسرعة، وحب التجديد يكسب قوة مع كل يوم ويواجه الذين يعارضون التغيير رد فعل قوي، وكأنه لم يبق أحد إلا ويريد التغيير والتحول والوفاق، لكن تركيا خائفة من تاريخها القريب وخائفة من الجرائم التي اقترفتها بحق الكرد، كما تخاف من الجرائم التي اقترفتها بحق القوى الديمقراطية في المرحلة القريبة، وتخاف من المفايس الديمقراطية، كما تخاف من الازدواجية التي طبقتها، ولكن كل هذه المخاوف تعمق الأزمة أكثر فأكثر، إذ ان الأزمة لم تكن ذات بعد واحد كما يجري الحديث عنها، بل هي أزمة سياسية أولاً، وأبعادها السياسية والنفسية والاجتماعية والمعنوية والاقتصادية متداخلة في بعضها البعض إلى أبعاد كبيرة، ووصلت إلى نقطة الحل الشامل أو التعقيد التام، ويجب على هذه المرحلة أن تكون مختلفة عن غيرها، لأنه بات من الواضح أنه لا يمكن حل المشكلات من خلال القمع والانقلابات، إذ لا تتوافر الامكانيات لهذا الأمر في الوقت الحالي، وما من مشكلة يمكن حلها بالمفهوم القومي، فلا وجود ليسار كي يُقمع، أو حركة كردية في حالة حرب كي تُقمع، فضد من سيحارب المفهوم القومي؟ كل الجيران يريدون الصداقة، والشعب لا يؤيد العنف بل تخلى عنه وينبذه ويهدد بانفجار اجتماعي في حال ازدياد الضغط عليه أكثر من هذا.

إن كل هذا يعني أن تاريخ تركيا يشهد مرحلة لم يبق فيها أرضية مادية للمفهوم القومي والتمرد والتنكيل، وأنها قد أكملت وظيفتها وجاءت نهاية مرحلة القومية والتمرد والتنكيل، فحتى ولو لم يرغب البعض، بذلك فإن القومية الحاكمة،

قد دخلت في مرحلة لا يمكن أن تؤدي فيها أي دور حتى ولو كانت من دعاة اليسارية القديمة أو الإسلام السياسي، وتدخل تركيا في مرحلة جديدة حتى لو كانت تعاني من بعض النقص من ناحية الجاهزية الإيديولوجية والسياسية، والجماهير الشعبية تتلهف للمرحلة الجديدة، وستشهد الدولة وضعاً مميّناً إذا لم تتوجه نحو التغيير، وسترسب في صفها إذا لم تنجح في المرحلة السياسية الجديدة، على الصعيد الإيديولوجي والسياسي والمعنوي، إذا كانت هناك رغبة في تجنب حدوث انفجار اجتماعي يجب الدخول في المرحلة الجديدة، لأن الخطر يتعاظم مع مرور كل يوم، فالاقتصاد لم يتخلص من الأزمة، بل لا مفر من تفاقمها إذا لم يتم تحقيق إعادة البناء، بينما ظروف المرحلة الجديدة تزيد من أبعاد الأزمة السياسية والنفسية والاجتماعية مهما تم الحقن بالدولارات، بل ستكون المرحلة الجديدة هي المرحلة التي يتم فيها تجاوز كل هذه المشكلات المتشابكة من خلال التغيير والتحول من الناحية الذهنية وإعادة البناء، لتكون مرحلة الجمهورية التي أعيد بناؤها، كدولة ديمقراطية وعلمانية وحقوقية، وهي المرحلة التي لا يمكن فيها إبعاد القضية الكردية والتوجه نحو الحل على أساس الوحدة الديمقراطية.

ج . مرحلة إعادة بناء الجمهورية والحل الديمقراطي للقضية الكردية: هناك إجماع على أنه يمكن لتركيا أن تتجاوز الأزمة التي شهدتها في أعوام الألفين من خلال التحول الديمقراطي في بنية الدولة والسياسة والمجتمع، إن الوحدة حسب المفهوم القومي والتوتر من جديد كلاهما لا يعكسان آمال المرحلة، فقد بدأ الشعب برفض الشعارات القومية ومواقف المواجهة الديماغوجية، إنه يرغب في نظام اقتصادي في ظل نظام ديمقراطي ودولة حقوق خال من الفساد، ومتخلصاً من التضخم، قادراً على حل مشكلة البطالة ويحافظ على التقاسم العادل ويريد السلام والحرية والعدل الذي يلي تطلعاته التاريخية. ستتحدى شخصية هذه المرحلة بهذه القيم وهذا يتطلب دستوراً جديداً، إن اعتماد هذا الدستور على إرادة الشعب التي باتت واضحة هو شرط اساسي للديمقراطية، إن قانون الأحزاب والانتخابات الديمقراطية هو شرط اساس من أجل اكتساب السياسة بنية ديمقراطية، عندما يقوم الدستور بتحويل الدولة إلى دولة ديمقراطية فهو يقوم بدمقرطة الأحزاب السياسية وقانون الانتخابات والسياسة، أما المؤسسات المدنية التي تحصل على الضمانات من خلال الحقوق والقوانين فهي الوسائل الأساسية للتحول الديمقراطي الاجتماعي، وستحصل حقوق الإنسان الأساسية على فعاليتها عند ضمان حرية التعبير الفكري والثقافي، ولا يمكن لأي حركة سياسية تريد الوصول إلى السلطة أن تنجح دون الالتزام الحقيقي بمشروع التحول الديمقراطي، إن التيار العام يعكس نفسه بهذا الاتجاه بشكل متزايد يوماً بعد يوم، إن تحقيق هذه التطورات البنوية بحاجة إلى ثورة ذهنية، إن قول كل شخص: "أنا غيرت" يظهر تقدم الثورة الذهنية.

سيكون واقعياً أن تقوم تركيا كدولة ومجتمع بجعل المرحلة المقبلة التي هي بصدها، مرحلة لترسيخ مصطلح تركيا الديمقراطية، فإن المرحلة الأولى للجمهورية قد كانت مرحلة التأسيس والإصلاحات وحماية الذات والجمهورية السلطوية فيما بين ١٩٢٠ . ١٩٥٠، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الجمهورية الأوليغارشية كنظام مشترك وكيفي لطبقة ضيقة من الطبقات الفوقية فيما بين أعوام ١٩٥٠ . ٢٠٠٠، أما المرحلة الجديدة فهي مرحلة الجمهورية الديمقراطية التي تعني انعكاس إرادة الشعب على أساس تفعيل الديمقراطية، أي المرحلة التي دخلنا فيها وتكون على أساس نشاط اجتماعي كثيف، من حيث الذهنية والتماسك.

إن الحل الديمقراطي للقضية الكردية هو السبب الاساس للمرحلة وهو مكملها أيضاً، فقد تم استبعاد الكرد وإنكارهم

في المرحلتين السابقتين للجمهورية بسبب التمرد والمفهوم القومي، رغم كونهم حلفاء استراتيجيين عند تأسيس الجمهورية، كان قائد التحرر الوطني مصطفى كمال قد أعلن عند تنظيمه لحركة التحرر، الأتراك والكرد كحلفاء استراتيجيين يحتاجون لبعضهم البعض كما الظفر واللحم، إن استخدام التمردات ذات القيادة الإقطاعية، تعد حادثة سيئة الفال بالنسبة للجمهورية، وأدت إلى بقاءها معاقة ومتناقضة مع منطق التحرير، كما لم يؤد إنكار الظاهرة والقضية إلى إزالة كيانها عن الوجود ولم يمنعها عن التداول بنحو متفاقم أيضاً، بل أدى إلى ظهور المخاوف بنحو دائم، التي أدت بدورها إلى تصلب الجمهورية ومنعها من التحول الديمقراطي، وهكذا أصبح المفهوم القومي الشوفيني عائناً أمام رؤية الحقائق التاريخية.

وكما نظرنا سابقاً في الأقسام المعنية، كان الكرد يمثلون السند الاساس في الشرق لتعاضد قوة الأتراك المزدهرة في الأناضول، ومن الصعب على تركيا أن تقف على رجلها في الأناضول في حال سحب هذا السند، وقد تمت رؤية هذه الحقيقة في كل المراحل الحرجة من التاريخ، حيث يثبت التاريخ بأنه لم يكن من الممكن تحقيق النصر للأتراك في ملاذكرد في عام ١٠٧١ من دون الكرد عند الدخول إلى الأناضول، وأصبح وصول الإمبراطورية العثمانية إلى مركز القوة في الشرق الأوسط ممكناً بعد النصر في حرب جالديران عام ١٥١٤ من خلال مشاركة الإمارات الكردية، إن العديد من التصريحات والأوامر لمصطفى كمال قد أظهرت انه لا يمكن النجاح في حرب التحرير بدون الكرد، كما أن هناك أحداث وتطورات كثيرة انتهت لصالح الأتراك من خلال وجود ومشاركة الكرد، إن إنكار وجود الكرد رغم كل هذه الحقائق يشبه من يضرب ساقه ببلطة، وهذه هي النقطة التي تعبر عن عمى الشوفينية، إن النظر إلى الكرد كحلفاء بمثابة حاجة الظفر لـ (اللحم)، واعتبارهم غير موجودين عند انتهاء هذه الحاجة هي من أكثر السياسات سلبية للجمهورية، وهذا الموقف لم يعط أية نتيجة سوى ضرب الذات كما لم يتم تحقيق الصهر المتوخى، كما أن تطور التكنولوجيا والاتصالات في يومنا هذا أظهرت عدم جدوى هذه الأساليب.

ومن المهم توضيح بعض المصطلحات المتعلقة بعدم فعالية المخاوف التي يتم الشعور بها من الظاهرة الكردية.

أولها، الحساسية حول وحدة البلد والدولة، تأتي هذه الحساسية من الخوف من المسألة الكردية على الأغلب، والخوف يجلب معه الإنكار، والإنكار يجلب معه التمرد غير المتوازن والأزمات الدائمة، والنتيجة كانت خداع الذات والخسارة المادية والمعنوية الكبيرة، فمن الواضح أنه سيتم تحقيق وحدة البلد على أرضية أكثر صلابة من خلال احياء الكرد لكيانهم الثقافي واللغوي، عن طريق الأخوة في وطنهم الأم، وهناك مخاوف من الانفصال والتحول إلى قومية أخرى في حال تم الاعتراف بحرية الكرد، ويمكن إثبات عدم جدوى ومعنى الانفصال ببساطة عن طريق النقاش الحر، ويمكن إظهار التأثير الغني من كل الجوانب في حال العيش سوية بحرية، وفي الحقيقة يتم التحريض على الانفصال من خلال المفاهيم القومية لكلا الطرفين والمسؤول عن ذلك ليس طرف واحد، بل الطرفان، إن الترياق المضاد للانفصال هو خيار الوحدة والحرية والديمقراطية، ويمكن تجاوز مشكلة التحول إلى قومية أخرى، والقضية القومية الأساسية من خلال نقاش علمي، إن وصول الكرد إلى المرحلة القومية أو عدم وصولهم، أو أنهم يشكلون خطورة على الأتراك حتى لو وصلوا إلى المرحلة القومية، هو عبارة عن ادعاءات للتطرف القومي، ومن الواضح أن اعتبار الكرد أتراكاً بطريقة قسرية، لن يؤدي إلى تعاضد الأمة التركية، علماً بأنه يمكن للأتراك أن يصبحوا أقوى من خلال الاقتصاد المتطور والديمقراطية، وليس من خلال تزايد العدد، وسيكون تقييم الكرد كظاهرة اجتماعية لصالح القومية التركية، إن القومية التركية التي تقبل بالكيان الكردي ستلقى

الاحترام ورغبة العيش المشترك في صفوف الكرد، بينما منع اللغة والثقافة وإنكار الوجود يؤدي إلى الشعور بالدونية والسخرية، ولا يمكن إظهار موقف يضر بالطرفين أكثر من هذا الموقف.

ولدي اقتراح بأمر يمكن أن يكون تفاهماً مشتركاً في هذا الموضوع، وأريد توضيحه وهو قومية الانتماء إلى دولة واحدة كما يشاهد في العديد من الدول، مثل أمريكا وسويسرا وبلجيكا وأسبانيا وروسيا ودول أخرى، حيث هناك شعب أمريكي أو أسباني أو بلجيكي واحد، مهما كان عدد اللغات والقوميات الموجودة في ذلك البلد، ويمكن أن تكون هناك قومية واحدة كقومية تركيا وستكون قومية تركيا أكثر واقعية ومنسجمة مع الحقيقة التاريخية والاجتماعية بدلاً من القومية التركية، ويمكن لكل ثقافة ولغة أن تكون غصناً في كيان واحد، كأغصان الشجرة الواحدة، حيث لا يمكن إنكار وجود الكيانات الثقافية والظواهر الاجتماعية التي يعدها العالم مصدر ثراء له، حيث أن ذلك الإنكار لا يفيد أحداً، إن إبقاء الكرد كغنى في الكيان القومي للبلد الواحد سيقدم مساهمة حقيقية للقومية التركية، وقد تم إثبات بما فيه الكفاية بأن الشك الدائم والقتال والحملات العسكرية تشكل مصدراً أكبر الخسائر، إن ترك الظواهر الاجتماعية للصهر الطبيعي وإعطاء فرصة وتوفير الامكانيات للكيانات الثقافية التي ترغب بالعيش، كان هو التوجه الاساس للإنسانية طوال التاريخ، ولكن المستبدن المتعجرفين قد اتجهوا إلى تصفية الكيانات الثقافية وأن مكافئهم في التاريخ معروف لدى الجميع.

لن يبقى أي حاجز حدي أمام أن يصبح الكرد مواطنين أقوياء وذوي وعي في الجمهورية، فيما إذا تم التخلي عن فوضى المصطلحات والمواقف الشوفينية، عندها ستبدأ مواطنة الجمهورية التي يشاركون فيها بحرية وبهويتهم الثقافية، إن الدولة الانفصالية لا تشكل حلاً، ولا الإنكار ولا الحملات العسكرية، بل الجمهورية الديمقراطية التي تكون الخيار المنظم وذا معرفة للمواطنين الأحرار الذين يمتلكون حقوقاً متساوية في كافة المواضيع، إن ذلك ليس انفصلاً بل هو الوحدة الأخوية والافادة من جميع الحقوق، كما ليس في هذا الموقف أية خطورة لتحول اللغة الكردية إلى لغة رسمية، ومن ثم إنشاء فيدرالية، وهناك بعض المواقف القومية الشوفينية التي تعبر عن هذه الديماغوجية بنحو دائم، فهؤلاء يطرحون هذه السفسطات لأنهم لا يفهمون أن الديمقراطية الحقيقية هي نظام أثن من الدولة والفيدرالية وتقدم حقوقاً أكثر منهما، وتأتي قوة الديمقراطيات من قدرتها اللا محدودة على الحل، وخاصيتها التي تحقق الوفاق الاتلافي الواسع، وربما أمكن التحدث عن خطورة الانفصال والفيدرالية لو لم تكن الديمقراطية نظاماً أرقى منهما، ويمكن لأقلية أن تطمح إلى ذلك، لكن الديمقراطية أثبتت تفوقها كنظام يضع الشعوب والمجموعات وحتى الطبقات في المستوى الأعظم للفائدة.

بات من الصعب التصدي لمشاركة الكرد كظاهرة تاريخية في الجمهورية الديمقراطية بهويتهم الثقافية كمواطنين أحرار، ولا يمكن منع ذلك من ناحية التحول الديمقراطي في الدرجة الأولى، إن محاولة منعها بديماغوجية من قبيل: "إما أن تتخلى عن الديمقراطية أو ستقبل بالمشاركة الحرة"، قد أصبح تخلفاً يستحيل قبوله في عصرنا، إن ذلك ليس من ضرورات الحداثة ولا يمكن شرحها بالأتاتورية، بل هي مقولة الفاشية، ويجب التخلي عنها، وما يتبقى هو تحقيق تكامل الوطن ووحدة الدولة التي تحددها الشعوب بشكل قوي وإرادتها الحرة.

كما ينسجم هذا الموقف مع روح العلاقات التركية . الكردية على مدى التاريخ، وأيضاً مع الخصائص الديمقراطية، وحقوق الإنسان لعصرنا، وإذا انتبهنا قليلاً نجد أن هذا الحل لا يتحدث عن تغيير الحدود ولا عن الحكم الذاتي أو قائمة اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو حقوق سياسية مختلفة، إن ما نراه ضرورياً هو الالتزام الحقيقي بالنظام الديمقراطي،

والتخلي عن المقولات الفاشية والشفوفينية، وإحياء كل مجموعة هويتها الثقافية والتعلم دون نكرانها للنظام الرسمي، إن هذا هو جوهر الحل الديمقراطي للقضية الكردية، ويمكن لبعض البؤر القومية الكردية أن تنزعج من هذا الأمر وتقول "إنها خيانة للقضية الكردية الممتدة على مدى قرن"، لكن هذا المفهوم القومي لم يستطع إنتاج أية قيم سوى العداوة والمأساة والخسارة المادية والمعنوية مثل المفهوم القومي الشوفيني للقومية الحاكمة، وهم لا يقتربون من الحل الديمقراطي لكونهم يفتقرون للتأييد الشعبي، ويبقون بعيدين عن الديمقراطية لأن الحكم الذاتي يتفق مع مصالحهم الطبقية.

ستدخل الأبعاد الدستورية والحقوقية للمشكلة، طريق الحل ضمن إطار المرحلة من خلال الإئتلافات المختلفة، عند فتح الطريق أمام الحل الديمقراطي في هذه الظروف الصغرى، إن اتخاذ مكان في الدستور والقوانين هي مشكلة وقت ونضال ديمقراطي، ولا بد من الحصول على نتائج ذلك عاجلاً أم آجلاً، ويمكن وضع خطط اقتصادية واجتماعية وتشكيلات تتناسب مع المنطقة، إن الأنشطة الثقافية والفنية والتعليم بلغة الأم والنشر بها، هي مسائل يمكن حلها ضمن إطار المرحلة من خلال استعدادات طويلة، ولا يمكن التفكير بعدم حل هذه المشكلات عندما تصبح الديمقراطية ثقافة للحياة.

من الواضح أن هذا الحل المتواضع للقضية الكردية سيقدم دعماً حقيقياً لتكامل تركيا ووحدة الدولة وتعزيز قوتها أيضاً، وسيقدم مساهمات إيجابية في علاقاتها مع الكثير من الدول، ابتداءً من عضويتها في الاتحاد الأوروبي وحتى علاقاتها مع دول الشرق الأوسط والقوقاز والبلقان وآسيا الوسطى، وكل ذلك سيكسبها الاحترام، وستحقق تركيا التي تضع كل جهودها في التطور الاقتصادي، بعد أن نحل قضايا السلام والأمن مع كل مواطنيها، وستحقق النماء بسرعة، إن وصول الكرد إلى وضع المواطنين الشرفاء، وعيشهم في مدعهم وقراهم، سيسهم في حل عدم التوازن السكاني في المدن الكبرى وكثيراً من القضايا كالصحة والمواصلات والتعليم والتوسع المتطرف للمدن، كما يعد السكان الكرد الذين يحققون الانفتاح على الإنتاج والسوق مصداً كبيراً للغنى، ويجب ألا يغيب عن بالنا أن الإنسان الحر ينتج ويستهلك أكثر، وذلك هو الطريق الحقيقي للتطور الاقتصادي، وناهيك عن تجاوز الأزمة يمكن لتركيا أن تصبح دولة رائدة في المنطقة من خلال تفوقها على دول متطورة كثيرة، ونرى هذه الحقائق كأمينة في آفاق هذا الحل، وبات من الواضح ما هو ميراث عدم الحل، إنه الدم والآلام والخسائر من كل الجوانب والعودة إلى نقطة البداية، إذا كانت الجمهورية التركية تفكر بتجاوز أزمتها بالتحول الديمقراطي في المرحلة المقبلة، من خلال إنكار وجود الكرد، وإذا كانت تفكر بأنها ستواصل طريقها من خلال الوحدة في الداخل والتحالفات الخارجية، فإنه من الواضح ومن خلال ما نشهده بوضوح وكثافة، أن ذلك خداع لذاتها، ويكفي لحملة غريلا جديدة واحدة لحزب العمال الكردستاني الذي يقف في حالة وقف إطلاق النار أن تجعل تركيا تخسر ربع قرن آخر في القرن الحادي والعشرين، وليس هناك من يريح شيئاً من ذلك من دون شك، ربما سيشعر الكرد بوجودهم بعمق أكبر وسيفاقمون المشكلة بنحو أكبر، وسيأتي يوماً ليتم طرح نفس طريقة الحل.

كم هو مؤلم أن يتأخر الحل الديمقراطي ويتعرض للمشكلات، ذلك الحل الذي كان يجب أن يتحقق في بداية الجمهورية، وكم يحمل من خسارة للبلد والشعب، إن الحل لم يكن مستحيلاً وهو يفيد الجميع، فلماذا يتم الهروب منه...؟ إن من يهرب من الحل هو تلك الشرائح التي لا تعرف الرحمة، والتي تربط حياتها بالآزمات والحروب والمنسلخة عن العمل والجهد وتحقق الربح دون العمل كشريحة السماسرة، لكن الوقائع تظهر أنه قد حان وقت نهاية هؤلاء، لأن الشعوب قد

استيقظت، ووصلنا إلى نهاية اللعبة ولذلك نقول بأن المرحلة المقبلة هي مرحلة إعادة البناء الديمقراطي والجمهورية وحل القضية الكردية من خلال العيش معاً بحرية، إن هذا هو الاتجاه الذي دخل فيه التاريخ، ومن المؤكد أنه سيتم الوصول إلى الهدف حتى لو شهد الطريق حوادث عابرة.

يمكن لوضع الدفاع المسلح المشروع لحزب العمال الكردستاني أن يتسبب في بعض المشكلات ويمكن تجاوز ذلك من خلال طلبات يمكن تلبيتها، ويمكن لعفو عام وموقف حكيم حل هذه المشكلة، ولكن يجب أن يتم إدراك ذلك جيداً ويجب ألا يتم انتظار إنهاء حزب العمال الكردستاني والتيارات المشابهة له دون توفير الضمانات الديمقراطية بشكل عام، وإتاحة الفرصة للشعب الكردي كي يعبر عن كيانه بشكل حر، وإعادة هويته الثقافية ولغته الأم، وسيؤدي الوضع إلى منظمات مفتوحة على جميع الخيارات طالما كان هناك مشكلة كبيرة كالجبل.

يجب على الدولة الديمقراطية أن ترى أن تجاوز هذه المشكلات مرتبط بموقفها الناضج وبما يتناسب مع الحكمة المطلوبة وقيامها بإلقاء خطوة إلى الأمام من أجل الحل، وإنهاء مرحلة الاقتتال القومي والتمرد والقمع، ولتعرف أن دخول جميع المشكلات في مرحلة الحل ممكن من خلال الوفاق الديمقراطي، وسيكون ذلك ذا معنى تاريخي، ويجب أن تقوم بذلك كضرورة لمسؤوليتها التاريخية.

إن التاريخ مليء بالأمثلة التي تظهر خسارة الأشخاص والأحزاب والدول التي لا تحطو الخطوة المناسبة في الزمن المناسب من أجل حل مشكلاتها وتتغاضى عن ذلك، وتعد تركيا إحدى الدول التي شهدت هذه الأمثلة أكثر من غيرها، فربما كان مجرى التاريخ مختلفاً لو اقتربت الإمبراطورية العثمانية إلى الموقف الليبرالي لبريطانيا حتى ولو بنحو محدود، ولو استطاعت الجمهورية إظهار قدرة التطور نحو الديمقراطية الذي أكد عليها أتاتورك منذ قيامها، لأصبحت كاليابان على الأقل، أما الآن فتواجه تركيا خطورة البقاء متخلفة عن دول المعسكر الاشتراكي التي تعرضت للإنحلال بالأمس فقط، نتيجة لموقفها المتعصب حيال القضايا التي تواجهها، وأدى عدم تطويرها لمواقف إيجابية حيال القضايا والمشكلات إلى خسائر وآلام كبيرة، وتمر تركيا في ضائقة تاريخية في أعوام الألفين ومرحلة امتحان ولا يمكن أن تبرر خسارتها بسبب تعلقها بأخطائها وانسياقها وراء مخاوفها التي لا يمكن أن تشرحها لأحد بأية حجة، ويجب رؤية عدم وجود أي حاجز جاد أمام النجاح والسير بنحو يرتبط مع روح المرحلة وقواعدها الأساسية، إن تحويل الغضب الذي يتم الشعور به تجاه المأساة والخسائر الماضية إلى قوة واكتساب المستقبل، يجب أن يكون هو التاريخ الذي سيدون في المستقبل، ويقدم التاريخ لنا أمثلة كثيرة حول قيام الوطنية الحقيقية والأخوة بتسطير الأشخاص والشعوب الملاحم في المراحل المشابهة لذلك، ويجب أن يؤكد على إيماني وتصميمي بأن القوى ذات المسؤولية الحقيقية في تركيا والمناضلون الحقيقيون في سبيل الحرية من أبناء الشعب الكردي سيحققون نجاح الجمهورية التركية معاً، من خلال هذه الروح والمبادئ، وإن حكم التاريخ سيكون بهذا الجرى.

٢. المشكلة القومية في إيران والحل الإسلامي الديمقراطي

أدت بنية التعددية القومية في إيران إلى اكتسابها نظاماً على شكل مقاطعات منذ بدايات التاريخ بنحو عام، حيث

تتكون الدولة من أربعة مناطق أساسية لأوطان أثنىة لكل منها أساسها التاريخي، وعدة مناطق على مستوى الأقليات، فتوجد مقاطعة فارس في جنوب وجنوب غرب إيران التي يتكاثف فيها القوم الفارسي في التاريخ، وأسسوا فيها مراكز حضارية، ويوجد في شمال شرق البلد مقاطعة خراسان التي كان يطلق عليها اسم "بارتيا" في التاريخ، وتأوي هذه المقاطعة عدة هويات ثقافية في يومها، بينما مقاطعة بلوچستان في جنوب شرق البلاد، والتي تعد الوطن الأم للبلوچيين ذوو الجذور الآرية، ويطلق على الشعب الذي يتحدث بلهجة قريبة إلى التركية في شمال غرب البلد اسم آذربيجان، وتأوي هذه المنطقة عدة خصائص أثنىة، أما القسم الأهم من الشمال الغربي، الذي شكل الكونفدرالية الميديّة والتي كانت مهداً للإرث الزرادشتي وديانة مازدا والتي تأوي الكرد الذين يعدون أقرب قومية إلى الفرس سميت بميديا، ويطلق عليها اسم كردستان رسمياً في يومنا هذا، ويتم تقييم هذه المنطقة كوحدة سياسية وإدارية باسم كردستان منذ عصر السلاجقة، وتوجد منطقة خوزستان التي تعيش فيها الأقلية العربية، وعدة مناطق جغرافية ثقافية أخرى، ويتم الاعتراف بها من أجل بقاءها أصيلة من الناحية الدينية والثقافية، واحترام ثقافات والساحات التي تكونت فيها، لا مكان في تاريخ الإرث الإيراني للإنكار وتذويب الأقليات أو مواقف مشابهاة لذلك.

أدى هذا الموقف الواقعي الذي يحترم المجموعات القومية والأثنىة والحقائق التاريخية والثقافية، إلى تكوين إرث نظام غني عبر التاريخ في إيران، واستطاعت كل قومية وثقافة إخراج حكام وسلالات حاكمة، ولا يوجد اعتبار للمفهوم المتطرف للقومية أو للأمة، وتؤدي القوميات دورها حسب قدرتها وتفوقها الثقافي، وتمت المحافظة على هذه الأصالة إلى حد ما منذ عصر الإمبراطورية البرسية وحتى الجمهورية الإسلامية الإيرانية في يومنا هذا، ولم يتخلص النظام من السقوط حتى ولو كان أقوى شاه، ومن أي ثقافة وأي سلالة كان، من خلال التمردات التي يؤدي الشعب فيها دوراً أساسياً عندما تصبح هذه الأنظمة غير مؤهلة للحكم.

كما كانت إيران التي كان الإرث الزرادشتي والاعتقاد المزدني قوياً فيها ومركز ميلاد لخلق ثنائي الشرق - الغرب عبر التاريخ، وادت أدوراً تاريخية في استيعاب وتحويل الثقافات والأديان والقيم الأثنىة سواء كان منشؤها غربياً أو شرقياً، إن الإرث المزدكي والزرادشتي الذي يعطي فرصة لإرادة الإنسان وأخلاقه الحرة أكثر من مثيولوجيا العبودية السومرية هو المثال البارز للتحويل المذكور، وقد استطاعت تعريض عدة معتقدات وفلسفات ذات جذور هندية إلى تحول مشابه، إن الإرث الشيعي الذي ادى دوراً كبيراً في دين وتاريخ الإسلام، هو أكبر تحول شهده الإسلام استناداً إلى الإرث الإيراني.

إن تعرض كثير من الإرث الفلسفي والقومي والديني إلى تحويل ذو معنى دون الإنكار في الظروف الذاتية هو خاصية تفوق التاريخ الإيراني، وتسعى إيران إلى القيام بأكثر حملة بهذا الاتجاه من خلال تكوين الإسلام الديمقراطي في يومنا هذا.

يجب تقييم تجربة الإسلام الديمقراطي لبنية الدولة والمجتمع الإيراني بدقة، من قبل جميع دول الشرق الأوسط والدول الإسلامية، ونرى انطلاقات ديمقراطية تقليدية كثيرة في المجتمع الإيراني، إن العصور الوسطى مليئة بهذا النوع من الانطلاقات، فقد قام الشعب بالرد على الأنظمة القمعية منذ العصر العبودي السومري، وتشكل الزرادشتية والمأنوية والمزدكية والهورامية والبابكية وأبو مسلم الخراساني والإرث الأثنى عشري والثورة الإسلامية الإيرانية الشيعية، الحلقات الأساسية لسلسلة هذه الانطلاقات التي حدثت عبر التاريخ، لذلك يمكن للإسلام الديمقراطي أن يعني الحملة.

لقد تقدم الإسلام في المرحلة المطلقة مع وفاة النبي محمد، وقد ترك الحس الديمقراطي المحدود في عصر الخلفاء الراشدين الأربعة، مكانه إلى السلطنة المطلقة ووصول السلالة الأموية إلى السلطة، ووصول السلاطين إلى وضع لا يقدمون فيه حساباً إلا للإله، لأن المسؤولية حيال الله هو الشكل المرن لمفهوم الملك الرب عند السومريين، ويستمد قوته من هنا، أصبح سلاطين القرون الوسطى أكثر سلطوية وقوة من ملوك القرون الأولى بسبب مصطلح الله الذي تمت تقويته بنحو كبير، فقد كان مصطلح الله في العصر الأول ضعيفاً، وليس بعيداً عن الإنسان، أما آلهة العصر النيوليتي فقد كانت صديقة للإنسان ومتداخلة معه، لكن إله العصور الوسطى الذي تم دعمه من خلال تسع وتسعين صفة، والذي يأمر البشر فقط، يعكس ويمثل المجتمع الإقطاعي الطبقي الذي يحتاج إلى السلطة والقواعد أكثر من غيره، وتم تقييم السلطنة على أنها ظل الله على الأرض، إن المطلق يرتبط بجوهر مصطلح الله، ويجب تحليل مصطلح الله من أجل تحليل الحكم المطلق، ولذلك فإن التحول الديمقراطي للإسلام، يرتبط بإخراج الإسلام عن أن يكون دين الطبقة الإقطاعية الحاكمة وتحويله إلى دين الشعب، وهذا يتطلب التحليل العلمي الاجتماعي لمصطلح الله وإخراجه من أن يكون رمزاً معنوياً تلجأ إليه السلطنة الإقطاعية وتفسيره وشرحه بمفهوم رمزي معنوي وفلسفي بنحو يفهمه الشعب.

إن شرح المعنى التاريخي والاجتماعي والفلسفي والسياسي لظاهرة الدين والله يتطلب ثورة ذهنية، وإذا لم نستطع شرح الدين والله من الناحية الفلسفية والعلمية لن يتخلص التحول الديمقراطي للإسلام من أن يكون شعاراً مخادعاً، ويوجد هكذا نقاش بين المثقفين والمسلمين الديمقراطيين في إيران ولو بنحو محدود، إن الذهنية التي تمتلك تفسيراً دوعمائياً مسيطراً على النظام الحاكم على شكل نظام إلهي مطلق متبقي منذ السومريين له تأثير قوي في جميع أنحاء العالم ودول الشرق الأوسط وإيران أيضاً، إن فرق مفهوم العلمانية الراسخة عن اللاهوت الإيراني محدود بعدم الاعتراف بالله، وهذا يعني الدين الراسخ، لذلك فإن مكافحة الدين على أساس العلمانية الراسخة الحالية خطأ في جوهره ولا يخدم التحول الديمقراطي في المجتمع، فلا يمكننا القيام بالتحول الديمقراطي، وتجاوز سلطة الدولة ذات المصدر الإلهي إلا عن طريق التحليل الصحيح للدين، وإظهار شخصيتها الحاكمة والاستغلالية، ومأسسة الأشكال الضرورية للسلطة المعنوية والأخلاقية الضرورية لكل الشعب، لذلك فإن مشكلة التحول الديمقراطي للإسلام المتداولة يومياً في تركيا، تتطلب تأسس نقاش لاهوتي فلسفي شامل، ونمطاً ذهنياً جديداً على أساس علمي وأخلاقي لصالح الشعب، هذا الموضوع العميق يتطلب التحول الإيديولوجي والسياسي والأخلاقي، والحملة لن تعبر سوى عن ديمagogية دينية إذا لم يتم القيام بذلك.

يمكن أن تحمل الحملة التي يتم القيام بها باسم الإسلام الديمقراطي معنى كبيراً، ويمكن أن تؤدي دوراً هاماً في نخضة الشرق الأوسط إذا طورت إيران النقاش الموجود في هذا الصدد، واسهمت في تكوين خيار الشعب الواعي والحر لإرثه الأخلاقي حيال الدين، لكن من الصعب على الإسلام التقليدي الإقطاعي أن يسمح بذلك، ورغم ذلك فإن تقييم هذه التجربة بدقة وأخذها بعين الاعتبار كنمط من الحلول الديمقراطية يجب التعامل معه كموقف جدي، ومن المؤكد أن التفسير الإيراني للإسلام أكثر تقدمية وشعبية من التفسير العربي، ولكن إلى أي درجة سيستجيب ويسهم في الديمقراطية، وهذا موضوع مثير للنقاش، توجد ضرورة لتجربته وتحقيق مكاسب باسم الشعب، كما يمكن لحل المشكلات العرقية والقومية ذات الأساس التاريخي أن يجد طريقاً مرناً وسهلاً، إن إيران ليست دوعمائية أو ناكرة بهذا الصدد، وحتى وضعها الحالي يشكل مرحلة هامة في طريق الحل الديمقراطي، ومن الضروري القيام بتركيب من خلال التفسير الأكثر حداثة

للمدعراطية والظروف الإيرانية، ولذلك تؤدي القضية الكردية الدور الاساس في التفسير الإيراني الحديث والوصول إلى تركيب إيراني.

كانت الحركة الكردية الإيرانية تحمل الطابع الإقطاعي العشائري حتى تجربة الحزب الديمقراطي الكردستاني وتواصل خاصيتها هذه منذ الميدين، إن استيطان الكرد في سفوح جبال زاغروس قد أتاح فرصة لحبهم للحرية، وأدت المواقف الاستغلالية للإمبريالية حيال الكرد في إيران إلى نتيجة سلبية كما حدث في الأجزاء الأخرى، تكتسب الحركات بقيادة الشيخ عبيد الله في نهاية القرن التاسع عشر، وبقيادة اسماعيل سمكو في الربع الأول من القرن العشرين صفة تعليمية، كما كانت تجربة جمهورية مهاباد بقيادة قاضي محمد ضحية لتلك الألاعيب، قدم تنظيم الحزب الديمقراطي الكردستاني في إيران الذي لم يستطع تجاوز الطابع القومي البدائي، الزعيم عبدالرحمن قاسمelo شهيداً بسبب عدم استيعاب الإرث الإيراني وعدم فهمه للألاعيب الغرب، وأظهرت التجمعات القومية البدائية واليسارية أنها لا تمتلك القدرة من أجل حل القضية الكردية في مرحلة الثورة الإسلامية الإيرانية، وفي الحقيقة كانت الظروف ملائمة من أجل تحقيق مكاسب متقدمة، حيث كانت الامكانيات متوافرة لنجاح نمط حل يتخذ الواقع الديمقراطي أساساً له، وبنحو ينسجم مع الواقع الإيراني، وكان يمكن للقضية الكردية أن تجد فرصة الحل ضمن الحملة الإسلامية الديمقراطية، وبالأصح تقوم بتحديد نفسها وتلجأ إلى الحل الديمقراطي للقضية الكردية وبذلك يمكنها أن تؤدي دور المفتاح لحل القضايا القومية في عموم إيران، ويمكن لإيران الإسلامي الديمقراطي والفيدرالي أن يكتسب معنى كمنظور وشعار، إن الوصول إلى تركيب من خلال الانتباه إلى الوقائع الثقافية والقانونية والإدارية في إيران، وتفسير كيفية تمازج المعايير الديمقراطية الحديثة مع هذه الوقائع مجدية، يمكن أن يكون خطوة هامة على طريق الحل، بل وأكثر من ذلك فإن حرية التعبير الثقافي والتعليم باللغة الأم وحرية النشر باللغة الكردية موجودة حتى ولو كان بنحو محدود، كما أن سلطة مقاطعة كردستان حقيقة قائمة، ويمكن أن يؤدي تحويل مضمون هذه المصطلحات والمؤسسات إلى مضمون شعبي بجهز تقديمي، واقامة المؤسسات اللازمة من أجل ذلك إلى خطوة متقدمة، كما يمكن تناول الترتيبات التي تعكس هذه المرحلة في الدستور والقوانين في جدول الأعمال اليومي.

ترتبط كل مشكلة بقيام الحركة الكردية في إيران بقراءة أصالة إيران بنحو صحيح واستوعابها للمقاييس الديمقراطية الحديثة بنحو متين، وتقديمها على خطوات بنحو متواضع من خلال تبنيها للجوانب الإيجابية الموجودة، إن معرفة الوقوف ضد المواقف القومية البدائية والحكم الذاتي والألاعيب الخارجية، ستؤدي إلى تفهم السلطات الإيرانية للمشكلة، كما ان تطوير الحوار الموجود وجعل الآخرين يشعرون بقرب الروابط الثقافية للكرد، وإعطاء المعنى اليومي الصحيح للأخوة التقليدية سيسهم في الحل بنحو أكثر، وتمتلك المرحلة الجديدة المعتمدة على تركيب التحول الديمقراطي للإسلام والديمقراطية الحديثة، فرصة من أجل نجاح الحل بدلاً من مرحلة المفهوم القومي البدائي والحكم الذاتي، ويمكن لحركة الحرية لكردستان إيران تجديد نفسها ضمن هذا الإطار، ويمكن أيضاً أن تؤدي إلى الدخول إلى مرحلة جديدة مركزة ومنظمة بذاتها كقوة منسجمة ومؤثرة، ويمكن أن تصبح مثلاً له طموحاته في المرحلة الجديدة إذا استطاعت استخلاص الدروس من تجارب الحركة الكردية في الأجزاء الأخرى ولاسيما تجربة حزب العمال الكردستاني، ووضع الدفاع المشروع الموجود حالياً، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى تقدم في مجال الحملة الإسلامية من خلال مساهماتها وجوابها من خلال وجودها.

وبالطبع لا يمكن إهمال التحرك بمسؤولية وواقعية على المسار التنظيمي والتطبيقي، لأن الأرضية الموجودة مليئة

بالحواجز والألغام، أما عكس ذلك فقد يؤدي إلى تلقي ضربة قاسية من خلال المؤامرات التي نراها كثيراً في التاريخ، إن تقييم حركة الشبيبة والمرأة ضمن هذا الإطار بنحو صحيح وإعطاءها الشكل المناسب، سيقدم امكانات هامة من أجل النجاح، ويمتلك الشكل الإيديولوجي العملي الصحيح في حركة المرأة والشبيبة معنى ومضموناً كبيرين، والأمر المهم هو التواجد في موقع متوازن مع الحركات الموجودة في الأجزاء الأخرى، والذي يعطي إمكانية التطور بنحو متبادل، والذي يحول دون الاختناق في ذاته، كما يحول دون تحوله إلى لاجئ.

وفي الحقيقة سيطبق طراز الحل الديمقراطي في تركيا بطرازه الإسلامي هنا، وبناءً عليه إذا أجريت مقارنة جيدة بين طرازي الحل، فقد يسفر ذلك عن تركيب في الحل الاسلامي يتفوق على التفسير الغربي المعاصر، ومن خلال الآمال الكبيرة والخطوات العملية السليمة يمكن أن تكسب الحركة جوهر معنويات ومعتقدات زرادشت المعاصر والحركة الإبراهيمية، وتكسب الحركة التحررية الميديّة كاوا المعاصر الذي تحتاج إليه، وبذلك يمكن أن تسهم بنحو قوي في تركيبة الحرية والأخلاق والعدالة للبشرية.

٣ . القضية الكردية والعرب والحل العراقي

إن الجار الآخر الذي يعيش معه الكرد بنحو متداخل هم العرب، والعرب هم القبائل السامية التي حققت الانطلاقة الأخيرة من صحراء شبه الجزيرة العربية، فقد تطورت الموجة الأولى نحو مصر وميزوبوتاميا السفلى في الألفية السادسة قبل الميلاد تقريباً، وادت دوراً في ظهور الحضارة السومرية والمصرية، من خلال انخراطها في الثقافة الجديدة التي تكونت هناك، أما الموجة السامية الثانية، فقد تطورت منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد، وكانت اليد العاملة الرخيصة للحضارة المصرية والسومرية، وكان لها تأثير في تغيير سلالات الحضارة السومرية بقيادة زعماء القبائل القوية، ودخلت منذ ذلك التاريخ إلى نظام المدن، لقد شكلت هذه القبائل التي أطلق عليها أسم العموريين إمبراطورية بابل ومن ثم آشور بعد هذا التاريخ، وواجهت القبائل والسلالات السامية التي تحركت نحو الشمال بسبب حاجتها للمعادن ومنتجات الغابات، حيث كان الهوريون الذين يرجع جذور الكرد إليهم، ومازالت بقايا هذه القبائل السامية والهورية التي تستمر علاقاتها وتناقضاتها منذ عام ٢٠٠٠ ق.م بحسب المعطيات التاريخية موجودة بشكل متداخل في ميزوبوتاميا الوسطى وفي مقدمتها "حزان"، إن أحد مزيج هذه القبائل هو أعرق القبائل العبرية التي كان النبي إبراهيم رائدها، وتمتلك علاقات مشتركة من خلال الجذور السامية والآرية، لقد طور الإرث الإبراهيمي هذا التركيب ومثل الانطلاقة الكبيرة للأديان التوحيدية.

لقد حصرت الحضارة السومرية من قبل هذه القبائل ذات الجذور الثقافية الثنائية على الأرجح، واستمر حكم السومريين أكثر من ألفي عام من خلال التحالفات التي عقدوها مع كلا الطرفين وازدادت المواجهات بين القبائل السامية والهورية بعد سقوط السومريين بعد عام ٢٠٠٠ ق.م، واحتدمت المواجهات بين الطرفين في عصر الآشوريين والبابليين، كما يرجع الهوريون والكويتيون والقيسيون الى نفس الجذور الثقافية، وتتوافر معلومات غزيرة عن علاقاتهما وصراعهما في اللوحات الآشورية والبابلية، ووصلت المواجهات إلى الذروة في عصر الميتانيين والأورارتيين والميديين، حيث أنهى الميديون مرحلة بتخريب وهدم العاصمة الآشورية عام ٦١٢ ق.م، وبدأت مرحلة السيادة الميديّة البرسية.

ابتدأ النبي محمد موجة الانتشار الثالثة الكبيرة، بعد أن وحد قبائل الصحراء من خلال الإيديولوجية الإسلامية، وأصبح العرب في موقع متفوق من خلال الحضارة الإسلامية، غير أن القبائل العربية كانت متخلفة أكثر من القبائل الموجودة في الشرق الأوسط، وتداخل الكرد والعرب مرة أخرى في هذه المرحلة، ولكن الكرد والآشوريين هما الثقافتان الأكثر تداخلاً، ربما لكونهما جيراناً لأطول مدة من التاريخ، إن الآشوريين هم قبائل ذوي جذور عمورية قبل الانطلاقة العربية، تختلف لهجتهم عن العرب، وثقافتهم أكثر تقدماً من الثقافة العربية، لقد تطورت العلاقات الكردية العربية كثيراً في العصرين الأموي والعباسي، وتم الدخول تحت تأثير الحضارة العربية الإسلامية بعد انهيار الإمبراطورية الساسانية في عام ٦٤٠م، وبقيت الطبقة الكردية الفوقية تحت تأثير اللغة والثقافة العربية بنسبة كبيرة، وأعلنت عن امتلاكها لجذور عربية تعود للنبي من أجل اكتساب ميزة، بينما بقيت الطبقة التحتية كردية والفوقية عربية، وأكتسب هذا التمييز انتشاراً رغم مجيئها من الجذور نفسها، وقامت حركة الأسياد والملالي والشيوخ بنشر اللغة والثقافة العربية، والنظر إلى اللغة والثقافة الكردية نظرة دونية.

لقد فقد التأثير العربي سرعته في عصر السيادة العثمانية، وقدمت العلاقات مع الأتراك خدمة لتطور اللغة والثقافة الكردية أكثر من العلاقة مع العرب، حيث أدى ضعف اللغة التركية دوراً هاماً في ذلك بالإضافة إلى التوازن في العلاقات.

بدأت مرحلة جديدة في العلاقات الكردية . العربية بعد تركز الإنكليز في العراق في القرن التاسع عشر، من أجل السيطرة على طريق تجارة الهند ومصادر النفط، حيث قام الإنكليز بربط كلا الطرفين بأنفسهم من خلال استخدامهما ضد بعضهما البعض وممارستهم لسياسة فرق تسد، كما حاول الإنكليز مواصلة حكمهم من خلال دعم أحد الأطراف مرة، ودعم الطرف الآخر مرة أخرى كسياسة دائمة لهم، لقد حقق العرب التفوق على الكرد في العراق بفضل النظام الإنكليزي الذي تم تأسيسه في العراق بعد الحرب العالمية الأولى، وأوصل الإنكليز شيوخ ورؤساء العشائر العربية الإقطاعية إلى مواقع متفوقة في العراق في مواجهة الكرد والتركمان والآشوريين، مثلما جعلت اليهود متفوقين على الفلسطينيين، وأسست نظاماً ملكياً في العراق في تلك المرحلة، مثلما فتحت عصر سلطنة إسلامية من جديد، وبدأ الكرد الذين لم يتقبلوا هذا الوضع بالتمرد في بداية القرن التاسع عشر، أفشل الإنكليز هذه التمردات من خلال استخدامهم للعثمانيين أحياناً وشاهات إيران أحياناً أخرى، وخاصة الحركة الكردية بقيادة محمود البرزنجي من ضمن هذه الحركات الكردية في عام ١٩٢٠ من خلال مثلث الضغط الذي شكله الحلف المذكور.

بدأت مرحلة الحزب الديمقراطي الكردستاني على شكل تنظيم يتبنى مفهوماً قومياً بدائياً بعد الحرب العالمية الثانية، أراد توحيد رؤساء العشائر الإقطاعية والمثقفين البرجوازيين الصغار في المدن لكنه لم يؤدي دوراً يتجاوز الأداة بيد القوى الإمبريالية والإقليمية، لقد سقطت الملكية المطلقة في العراق من خلال الدعم الذي قدمه السوفييت للبرجوازية الصغيرة المتطرفة، وكان العصر الجديد هو العصر الذي ازدهر فيه المفهوم القومي العربي، ولم يتخلص الحزب الديمقراطي الكردستاني من الهزيمة، بعد أن اختار السوفييت تقديم الدعم إلى المفهوم القومي العربي، وهكذا حدث فرز في المفهوم القومي البرجوازي، ومع تشكيل الاتحاد الوطني الكردستاني من قبل جلال الطالباني في عام ١٩٧٥، أصبحت الحركة الكردية العراقية أداة أكثر استخداماً بيد الآخرين عندما فقدت وحدتها، وتطور تأثير إسرائيل وأمريكا وزاد نفوذهما، وأصبحت

المصالح الضيقة كالمرض الذي ينهش جسد الحركة الكردية، وتم الدخول في مرحلة متخلفة وعميلة حيث زادت التناحرات العشائرية القديمة ولم تستطع الحركة الكردية استغلال مرحلة عام ١٩٨٠ التي كانت ملائمة والتي بدأت بالحرب العراقية. الإيرانية ومن ثم حرب الخليج.

ودخل الكرد عصر الحكومة الفيدرالية بعد عام ١٩٩٠ بحماية أمريكا والدعم القريب لتركيا، مما فتح المجال أمام إدارتين منفصلتين اعتماداً على الفرق التقليدي بين منطقتي صوران وبهدينان، وقاموا بالأعيب عسكرية وسياسية ودبلوماسية على حزب العمال الكردستاني في هذه المرحلة، وقطعوا شوطاً في تحقيق المصالح المادية، كما لعبوا دوراً أساسياً في التشهير بحزب العمال الكردستاني وتجريده مع قيادته، وما زالت القضية الكردية في العراق بعيدة عن الحل رغم الظروف الملائمة الموجودة، حيث تركض السلطات الكردية وراء المصالح الشخصية ونفوذ السلالات، وهي غاطسة في هذا التوجه حتى أذنيها، ولم يتم تشكيل حكومة كردية فيدرالية بموجب تفعيل الديمقراطية الذاتية في أي شكل من الأشكال، وتحولت القضية الكردية إلى كبش فداء في سياسة أمريكا وبريطانيا ضد صدام، بينما تواصل تركيا مراقبتها وسيطرتها على المنطقة من أجل منع نفوذ حزب العمال الكردستاني في المنطقة عن طريق قوات "المطرقة"، ورغم ذلك انتشر حزب العمال الكردستاني في المناطق الجبلية ومازال يواصل تأثيره كما لم تستطع تركيا القضاء على مقاومة حزب العمال الكردستاني بالرغم من الدعم الكبير الذي يقدمه الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني منذ عام ١٩٩٠، بل منذ عام ١٩٨٦، ومن الواضح أيضاً أن إيران لن تتخلى بسهولة عن تأثير الحوار الذي تواصله مع جميع الأطراف.

تشبه كردستان الجنوبية بوضعها الحالي لبنان الثانية، بل حتى وضعاً من الصراع يشبه نمط الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، وهذا الوضع المعقد له اتجاهات كثيرة، فقد تداخلت القوى العالمية والإقليمية والمحلية ببعضها البعض إلى درجة كبيرة، وأدت إلى وضع متشابك أكثر من الصراع الفلسطيني. الإسرائيلي، كما لا يبدو في الأفق أي وضع محدد واضح حيال الحل، ولا حول ولا قوة للعراق بنحو عام ولوضع الكرد بنحو خاص، هناك أطراف كثيرة دولية تعترض على دحر صدام حسين في الوقت الذي تحاول أمريكا وبريطانيا إسقاطه، لقد فقدت عقوبات الأمم المتحدة وظيفتها، لذلك يتواصل الوضع المتداخل على الساحة العراقية.

من الواضح أن حل مشكلات العراق سيتطور على جبهتين، الجبهة الأولى هي محافل الأمم المتحدة، حيث ستواصل أمريكا الضغوط على النظام العراقي من خلال هذه المحافل، وستحاول خلق يوغسلافيا جديدة من خلال استخدامها الكرد ومؤسسة المؤتمر الوطني العراقي في الداخل، إن نظام بوش الجديد مُصّرٌّ على الموضوع، ولإسرائيل تأثيرها الكبير على هذه المسألة منذ البداية، أما تركيا فتقوم بإجراء حسابات مع كل الأطراف وعلى كل الاحتمالات، وتقوم بدعم قدرة الحركة التركمانية كأداة تدخل يزداد تأثيرها يوماً بعد يوم، أما إيران فهي في موقع تتمكن منه من مواصلة قوتها دون أن تفقد أي شيء بواسطة شيعة العراق وعملائها في الحركة الكردية، كما تتواجد أوروبا وروسيا والصين والدول العربية الأخرى ضمن هذه المسألة بأبعاد مختلفة، وتتفق كل هذه القوى حول حل يتخذ من وحدة العراق أساساً له، لكن عدم رغبة أمريكا بصدام حسين يضع حواجز أمام مثل هذا الحل أو التطبيع، لذلك لا يمكن رؤية أي حل في الأفق في الوقت الحاضر.

أما الحل الثاني فهو طريق الحل الديمقراطي الذي تستطيع قوى البلد تطويره ومن ضمنها نظام صدام حسين، ولكن

ابتعاد بنية جميع القوى بما فيها النظام العراقي عن الديمقراطية، لم يتح إمكانية لتأسيس العراق الديمقراطي الذي يعد أفضل طريق للحل، وفي الواقع فإن التحول الديمقراطي للعراق سيجعله صاحب دور تاريخي وإقليمي كبيرين، وبذلك ستتحقق خطوة عظيمة في التحول الديمقراطي للشرق الأوسط بكامله، وبهذا يمكن حل المشكلات القومية والأثنية والثقافية والدينية في إطار السلام وضمن إطار هذا النهج، إذ يجب على الكرد أن يلعبوا دوراً ريادياً في هذا النوع من الحل، وكان باستطاعتهم توحيد النظامين الفيدراليين وتشكيل النظام الفيدرالي الديمقراطي الكردستاني الذي لا يمكن استصغاره، وإذا كان يصعب تحقيق فيدرالية ديمقراطية مع النظام العراقي اعتماداً على قواهم الذاتية يمكن الوفاق مع النظام الجمهوري الديمقراطي الذي يكون سارياً على كل العراق، بضمانات دستورية حيث لا يمكن استصغار حل يعتمد على الحقوق والحريات الأساسية التي يضمها الدستور والذي يعترف بكل المجموعات اللغوية والثقافية ويعد العراق ذو المضمون الديمقراطي بنحو كامل في الظروف العراقية خطوة جبارة لحل مجمل المشكلات .

يحظى دور الكرد بالأولوية على صعيد خطو خطوة كهذه، ولكن القيادة الإقطاعية البرجوازية تخشى من القيام بمكثدا خطوة بسبب مصالحها الطبقية وتمسك بالأنانية بخصوص حل هذه المشكلات ، متجاهلة مصالح الشعب، ولهذا تنفكر إلى روح الوفاق الديمقراطي، وتنطلع إلى التوفيق بين الحكم الذاتي الكردي التقليدي والجمهورية العراقية السلطوية دون مس جوهر النظام ودون تفعيل المرحلة الديمقراطية في كردستان، وتهدف إلى حل من دون الديمقراطية وهذا هو سبب خلافها مع حزب العمال الكردستاني في جميع أنحاء كردستان، فهي تعتقد أن الانفتاح الديمقراطي سيحلب معه نهايتها، وتحاول إحياء الجبهة المناهضة لحزب العمال الكردستاني في جميع الساحات من أجل الحيلولة دون تطور هذه المرحلة، ولا تبذل جهوداً من أجل حل المشكلة، ولا تريد للقوى الشعبية أن تمسك بزمام المبادرة من أجل الحل، وموقعها الحالي هو المكان الأقصى الذي يمكن الوصول إليه من خلال المصالح التي حققتها، فناهيك عن البحث عن مراحل واستقصاءات جديدة، إنها تعد منع التطورات المحتملة بهذا الاتجاه مهمة أساسية لها، وتصر على مواصلة الموقع المفتوح على كل المواقف بما فيها الخيانة من أجل الحفاظ على المصالح التي حققتها، وذلك عن طريق ربط وإقفال المسألة الكردية في جميع أنحاء كردستان بنفسها منذ خمسين عاماً تقريباً.

ولكن لا يمكن للحياة أن تتوقف أمام هذه المحاولات المترتبة والمتخلفة، وستقوم الأزمة الموجودة بفرض طرق الحل الجديدة على جدول الأعمال في كردستان العراق وفي العراق عامة، حيث لا يمكن لمشكلة تشغل الرأي العام العالمي بنحو دائم، ان تظل على حالها دون تطوير الحلول، ولذلك لا بد من أن تظهر امكانات الحل المحتملة ولهذا السبب فإن الاستعداد وخلق البدائل أمام التطورات المحتملة يحظى بأهمية بالغة، ولهذا يواصل موقع حزب العمال الكردستاني دوره المؤثر أكثر من الماضي في إنتاج الحلول، فجعل حزب العمال الكردستاني كحزب لكردستان الجنوبية هو موضوع مدرج على جدول الأعمال منذ زمن طويل، بل أكثر من ذلك فإن حزب العمال الكردستاني قد أصبح حزباً لشعب كردستان الجنوبية من خلال آلاف الشهداء والمنضمين إلى صفوفه من أبناء هذه المنطقة، وإن إظهاره كظاهرة خارجية يعود إلى استمرار القوى العميلة في دعاياتها بكل قوتها، ولذلك يجب على حزب العمال الكردستاني أن يرى نفسه كقوة حقيقية لهذه المنطقة أكثر من جميع هؤلاء، وتحويل نفسه عملياً من عدة جوانب ومن خلال اتخاذ مواقف سياسية وعسكرية واجتماعية وثقافية، كما يجب عليه أن يتمسك بإصرار بتأسيس سلطة فيدرالية كردية ديمقراطية، ومن الأفضل أن ينضم

إليه الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني، أما إذا رفض أحدهما هذا الانضمام فعليه أن ينضم إلى الآخر، وإذا استحال ذلك فيجب على حزب العمال الكردستاني تكوين تشكيله الديمقراطي بسرعة اعتماداً على جهوده، وجعل ذلك ذو تأثير كبير في ساحات نفوذه، كما يجب عليه أن يرفع من شأن السلطة الفيدرالية الديمقراطية بين الكرد بإصرار، في حين يؤدي دوره في تشكيل جبهة ديمقراطية عامة تشمل المجموعات الأثنية والدينية والثقافية في عموم العراق، ويجب أن يحقق تعاضلاً لهذه الجبهة عمقاً وعرضاً، إن أفضل حل للمسألة الكردية هو إعادة بناء الجمهورية الديمقراطية العراقية، واتخاذ الفيدرالية الديمقراطية الكردية موقعاً فيه، وهو ما يجب على الكرد طرحه على النظام العراقي والمجموعات والأحزاب والعشائر واتحاد الجبهات وأن يصروا على هذا الحل الديمقراطي.

إن جميع الظروف الداخلية والخارجية تفرض على العراق تحولاً ديمقراطياً، وبوجد احتمال لأن يحدث تطور على نمط يوغسلافيا وهذا يتطلب تطوير جميع أنواع تدابير الحل من خلال رؤية ضرورة تجاوز الوضع الراهن، والتمسك بالتغييرات الدائمة، ويجب القيام بخطوات عسكرية وسياسية إما إلى الأمام أو إلى الوراء بحسب التقييمات اليومية بعمق واتساع، كما يجب القيام بالاستعدادات ووضع البدائل كأسوأ احتمال في حال قيام النظام مع العملاء الكرد بشن الاعتداءات في حال تغير وضع التمثيل الحالي للنظام، بالإضافة إلى ذلك يجب جعل هذا الأمر نمطاً للعمل والحياة والنضال للمرحلة الجديدة، وفي مقدمتها القيام بالتدريب وكل المهام ببالغ الانضباط كما يجب أن يكون هناك تعاضل كافي وكمي مؤثر يمكنه التصدي لأي اعتداء محتمل والقيام بحملة مضادة، كما يجب القيام بمهام المسؤولية والنجاح أمام شعبنا الذي يتعرض لمعاناة كبيرة وأمام أصدقائنا ورفاقنا في السجون وشهداءنا وجرحى الحرب، ويجب خلق ردود ناجحة لأمال الحل دون اللجوء إلى أية ذريعة في تلك الساحة التي شهدت مأساة كبيرة وهدراً كبيراً للدماء، إن تجاوز المفهوم القومي البدائي والمفهوم القومي البرجوازي في الحركة الكردية في كردستان العراق بما فيها حزب العمال الكردستاني وتفوق الحركة الكردية على الحواجز السرية والعشائرية المتخلفة وقيامها بدورها في فجر شروق الحضارة الديمقراطية في الشرق الأوسط مثلما حدث ذلك في فجر الحضارة، يمكنها من حمل شرف جعل نفسها قوة تبتدئ المرحلة الجديدة والعصر الجديد، من خلال دورها التاريخي في كل أنحاء كردستان والشرق الأوسط، إن هذا الأمر أثمن من كل شيء، ولا يمكن التفكير بعدم نجاح الذين يعيشون بهذا المفهوم التاريخي، وهذا الشرف في أية مهمة يحملون أعباءها، إن تقدير التطور التاريخي ذو المعنى بهذا الجانب وانتظار انتصاره هو المبرر الوحيد لحياتنا.

٤ . مشكلة امتلاك كرد سورية للهوية، وحل المشاركة الديمقراطية

مثلما يوجد للعرب "الآشوريين" أجزاء ممتدة إلى داخل الكرد، فللكرد أيضاً أجزاء ممتدة إلى داخل العرب، وبأني الكرد السوريون في مقدمة الذين يشكلون جزءاً كهذا على صعيد الجغرافيا والثقافة، كما شهد التاريخ امتدادات كثيرة بنحو متداخل بين الشعوب، لقد واجه العالم ولا سيما في آسيا وأوروبا هذا النوع من الظواهر والمشكلات بنحو كبير وأدت المواقف القومية إلى حروب كثيرة من خلال جعل ظاهرة الأقليات المشابهة ذريعة للعنف، كما تم الاعتراف بكيانات هذه الأقليات ضمن الوطن والدولة، وتم جعل مشاركتهم الديمقراطية موضوعاً لحقوق الإنسان والدستور وتم النجاح في حل هذه القضايا عند استقرار النظام الديمقراطي.

يملك قسم كبير من كرد سوريا ميزة التجمع في عدة مناطق عبر التاريخ نتيجة التمردات واقتتال العشائر وانعدام القانون، ويظهر التاريخ تكاثف الكرد في مناطق شرق البحر المتوسط وفي مقدمتها سورية من خلال الهجرة منذ انطلاقة النبي إبراهيم من أورفا حتى انطلاقة حزب العمال الكردستاني، مثلما نرى نزوح العرب "الآشوريين" إلى داخل كردستان والأناضول بسبب المناخ الحار والأهداف التجارية والأسباب المشابهة لذلك، مثلما نرى أشكالا كثيرة للنزوح والاستقرار والتبادل الثقافي والتجاري عبر التاريخ، ولهذا الأمر وظيفة هامة على صعيد التبادل الثقافي وتحقيق التحولات، كما نرى أن التركمان والأرمن قد شاركوا بهذه المرحلة بنحو كثيف فيما بعد، وبذلك يتحقق تعدد لغوي وديني وثقافي والمساواة بنحو غني، لقد أخذت سورية طابع دولة غنية من هذا النوع، إن تقديمها للأجواء الملائمة لأجل الوفاق الديمقراطي والتسامح يرجع إلى هذه التشكيلات التاريخية، ويمكن حل هذه المشكلات الأساسية لكل المجموعات بما فيهم الكرد من خلال الحفاظ على هويتهم الثقافية وتطويرها والتعليم باللغة الأم وحقوق النشر والطبع وحقوق المشاركة في الحياة السياسية على أسس المساواة كمواطنين أحرار من خلال تطبيق ذلك على أرض الواقع.

هناك مشاكل كثيرة يعاني منها الكرد وتنتظر الحل، فحتى لو تم الاعتراف ببعض الحريات في هذا الصدد فإن ذلك يخص مسائل تتعلق بالتعليم واللغة الأم والحقوق السياسية والطبع والنشر، واستخدام هذه الحقوق يحتاج إلى الضمانات القانونية حتى ولو لم يتم المنع بطريقة قاسية، ويعد انتهاء النضال القانوني بنجاح مكسباً ديمقراطياً هاماً وسيسهل في التحول الديمقراطي بنحو عام في سورية، وتوجد في هذه الساحة مجموعة كبيرة من الجماهير المؤيدة لحزب العمال الكردستاني، والمهمة الأساسية هؤلاء هو توحيد التنظيم والنضال القانوني الديمقراطي مع حملات سورية الديمقراطية والوطنية العامة، من خلال برنامج يتم وضعه ضمن إطار هذه الحقوق القانونية من خلال الدعم والتضامن مع نضال الحرية في الوطن الذي جاءوا منه.

لأسباب كثيرة تقع المهمة نفسها على عاتق الكرد المنتشرين في العالم للقيام بمسؤولياتهم انطلاقاً من أسس ديمقراطية، إن مهمة الكرد الموجودين في كل بلد من البلدان وفي مقدمهم الكرد الموجودين في المدن الكبرى ومناطق النزوح في البلد الذي يتواجدون فيه، هي تحقيق المحافظة على الثقافة واكتسابهم الجنسية والتعلم باللغة الأم وأنشطة الطبع والنشر والمشاركة في الحياة السياسية بنحو فعال على أسس المعايير الديمقراطية وحقوق الإنسان، ويجب أن يقوموا بتأهيل أنفسهم لأجل تحقيق ذلك من الناحية الاجتماعية وفي مقدمتها الفن والرياضة والتعليم والتقنية وما شابه ذلك، والمحافظة على تطوير ثقافتهم من خلال حياة نشيطة والمشاركة في النضال والحياة مع الشعوب الأخرى، على أساس مشرف ضمن إطار المساواة والحرية، وتقديم الدعم والتضامن والمشاركة في نضال الحرية لأجل الوطن بحسب القدرة والإمكانات المتوفرة.

إن آخر نقطة هي مشكلة وحدة جميع الكرد، فقد تم رفع شعار كردستان المستقلة والموحدة والاشتراكية في الماضي، إلا أن هذا الشعار الذي كان نتيجة للمفهوم القومي لم يكن واقعياً من الناحية العملية، ومهما كان ذلك جذاباً من حيث الخيال والسماع إلا أن شعار الوطنية والأمية على الأسس الآتية هو أكثر واقعية وهو "وطن ديمقراطي والحرية للوطن الأم، والشرق الأوسط الديمقراطي والوطن الأم الموحد" في كل دولة وبلد يعيش الكرد تحت سقفه، إن هذين الشعارين ساريان بالنسبة لكل شعوب الشرق الأوسط، فالعرب مقسمون إلى أكثر من عشرين جزءاً، وكذلك تقسيم الأتراك أمر شامل وترى إيران نفسها في وضع مقسم، أما تقسيم الكرد فله شمولية مختلفة ومصدر مميز، فإذا دخل كل شعب مقسم

إلى قتال من أجل قومية ووطن موحد، فإن الشرق الأوسط برمته سيتحول إلى ساحة حرب من بدايته حتى نهايته، وسيشهد بذلك وضعاً فوضوياً لا يمكن الخروج منه، بسبب تقسيمه على أكثر من صعيد من الناحية الجغرافية والاجتماعية والدينية، وتحول كل مناطقه إلى صراع إسرائيلي - فلسطيني، إن هذا النمط من المفاهيم القومية والوطن الموحد هو ناتج عن المفهوم القومي، وأدى إلى الحروب الأكثر دموية عبر التاريخ في القرنين التاسع عشر والعشرين، إن تحريض الصراعات في الشرق الأوسط على منهج المفهوم القومي، يعني مرور القرن الواحد والعشرين بالحروب والمجازر، ولهذا فإن هذا الأمر لا يتطابق مع معايير الوطنية ولا الأممية ولا مع معنى المعايير البشرية.

إن العمل الصحيح هو القيام بنضال ديمقراطي في إطار وحدة كل البلاد والدول مع اتخاذ الحدود السياسية الموجودة في الشرق الأوسط أساساً كمعطيات والانطلاق لأجل تحقيق الحق والمساواة والوحدة الحرة، إن التحول الديمقراطي في كل بلد يعني خطوة نحو التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط، وسيكون الشرق الأوسط الديمقراطي جواباً لأمال وحدة وحرية الشعوب من خلال مؤسسات من نوع الاتحاد الأوروبي، إن التطورات الجارية في الدول العربية والتركية تؤكد صحة هذا التوجه على الأغلب، وتم إثبات افتقار منهج أنور باشا ذو النزعة التركية وجمال عبد الناصر ذو النزعة العربية الواقعية وأنه عبارة عن مغامرة.

إن الدور الفريد الذي أوكله التاريخ للكردي يشد البلدان والدول التي يقطن فيها الكردي نحو الحضارة الديمقراطية، من خلال الحل الديمقراطي في كل جزء، إن هذا الدور هو الطريق الأكثر واقعية والاشمل معنى والأكثر انسجاماً مع واقع الإرث التاريخي والجغرافي والاقتصادي والاجتماعي لحضارة الشرق الأوسط، ولأجل إيصال حضارته الديمقراطية وترسيخها.

وفي النتيجة نرى أن القضية الكردية خرجت من كونها قضية يمكن حلها من خلال مواقف عصر المفهوم القومي ومنهج، إن المفهوم القومي الذي وضعته الثورة الفرنسية هو موقف إيديولوجي تم تطبيقه على الظاهرة القومية للطبقة البرجوازية والمشكلات التي نجمت عنها، وادى هذا المفهوم دوره الاساس في ظهور الدولة القومية البرجوازية وقمع النضال الطبقي والنضال لأجل الديمقراطية، والقتال القومي والأثني، كما ادى المفهوم القومي البرجوازي الشوفيني دوراً مصرياً في القرنين التاسع عشر والعشرين وجعلهما قرنين دمويين، لقد وضعت أوروبا التي كانت مصدرراً للمفهوم القومي في الدرجة الثانية منذ النصف الثاني من القرن العشرين، من خلال الدروس التي استخلصتها من هذه الحروب، وجعلت المعايير الديمقراطية أساساً لنظامها السياسي، وأثبت النظام الديمقراطي تفوقه على بقية الأنظمة الأخرى بما فيها الاشتراكية المشيدة، واحتل هذا النظام المكانة الأولى في العالم بعد سقوط الاشتراكية المشيدة في نهايات القرن العشرين.

لم يكن للمفهوم القومي للقوميات الحاكمة في القضية الكردية وللمفهوم القومي البدائي الإقليمي دوراً سوى تعميق حالة التعقيد، وجر البلاد إلى مآزق لا يمكن الخروج منها، إن الإصرار على هذه المواقف والمناهج يعني تعميق الأزمات والتمرد والقمع والمجازر، وهذا أمر يتناقض مع تطور الحضارة الديمقراطية الحديثة، وأصبحت هذه المفاهيم في موقع إيديولوجي متخلف موروث من القرن التاسع عشر، تظهر هذه الحقيقة أهمية ضرورة اتخاذ مقاييس الحضارة الديمقراطية أساساً للقضية الكردية، وفي العصر الجديد لتاريخنا يتواجد الكردي في موقع يستطيعون فيه أن يكونوا قوة أساسية للنضال لأجل الديمقراطية التي تفتح باب تحررها من جهة والحل الديمقراطي للشعوب المجاورة من جهة أخرى، وفرض مرحلة الحل

الديمقراطي من خلال القيام بدور الجسر بين الشعوب الثلاثة الكبيرة في الشرق الأوسط، لأن ظروفهم الجغرافية والتاريخية والاجتماعية تساعدهم على ذلك، وهم في وضع الضمان الاساس للنجاح في تحقيق الوحدة والأخوة والحرية الحقيقية لشعوب الشرق الأوسط، وتحقيقهم للنضال الديمقراطي في كل جزء يحول دون الدخول في مذابح حدودية دامية.

الفصل السابع

أن تكون محارب الحرية لأجل شعب في طوق المؤامرة

مدخل

إن تحليل الوجه الداخلي للمؤامرة التي تعرض لها عبد الله أوج آلان، سيكون ذا صفة تعليمية من زاوية فهم أهم مأساة لشعبنا المحاصر من أربع جهات، وفي داخله الكثير من الخونة، إن تحميل نتائج مسؤولية المؤامرة على سذاجة الأصدقاء وضعف الرفاق هو موقف ضيق الأفق، لكن شرحه من خلال التدخل الفوقوي للإمبريالية لم يكن روحاً مشبعة تبعث على راحة النفس.

كان عليّ التركيز على الموضوع كثيراً، وهكذا فعلت، ولكن كلما قمت بذلك رأيت الانبعاث العظيم للتاريخ ومرآوته لي كالموجات، فقد كانت الوقائع الأساسية تحيا وكانت الكيانات تكسب معانيها واحدة تلو الأخرى والتي لم أكن أفهمها عندما كنت في الخارج حتى ولو عشت ألف سنة، كنت قادراً على تحليل لغة الطبيعة كلها وليس اللغة الأساسية ومنطق المجتمع فقط، وفهمت الحقيقة التي تسمى بالأسطورة، وعرفت ان الحقيقة اليومية عمياء، وكنت أتخلص من قهر آخر سنة في القرن العشرين الذي أعد فيها هذه المؤامرة كلما فهمت كيفية مسيرة الإنسان الأول، ومعنى النقطة الأولى ومعجزة اشتقاق الكلمة الأولى، كان يغمري فرح كبير للزرع الأول والتي تعني العبد، والثقة التي تمنحها الصداقة مع الحيوانات، وتحول القوى الطبيعية إلى آلهة، ومصدر كل الألوهية وذلك هو أول تعريف وضعه المجتمع لنفسه، وفضيلة الربة الأم، والبيوت التي بنتها من حولها من الطين والحجارة، والطاحونة البدوية وحياة الحراث التي كانت تمثل ثورة كبيرة، وكنت أطور المعاني أكثر، وبدأت بتحليل التحول دون عمل كالحصان الموضوع في دولاب الغرافة فوق الأراضي التي ولدت فيها، وكنت افهم سبب صعودي السريع إلى سفح الجبل كالحصان المحارب من الإسطبل، وقيام أُمي بما يشبه إعدامي بثلاث مرات، وفهمت أن أُمي التي كنت اعتبرها أكثر جهلاً من الآخرين هي أفضل من فهمتي، من خلال كلامها الذي يقول: "لن يشاركك أحد بمكذا عمل وسيستفيد الجميع منك، وستبقى وحيداً"، كان عمري عشر سنوات وكنت أتذكر أنني قلت لها من دون الالتفات إلى الوراثة: "فليكن، أنا مصمم على السير بمفردتي"، كنت أحلل الأراضي التي ولدت فيها، عندما أفهم نفسي هكذا، وكنت سأدرك لماذا رمى القرن العشرون بثقله عليّ بكل ما فيه، ولماذا ينتقم، وكنت أرى أنني أهرب من نفسي، ولم تبق سوى عدة نقاط ذات معنى، عندما فهمت بأني أواجه اعتداءً يشبه اعتداء دولة الكهنة السومرية على الأراضي الخصبة للربة الأم، وكنت سأشعر أنني وراء الحياة الخالدة مثل جلعاش، ولكنني أواجه قوى الموت الأكبر بملايين الأضعاف منها في عصره، وأنا رهنت حياتها منذ زمن طويل ومستعدة للاعتداء عليّ من الجهات الأربعة وكأنني في مركز الكرة، وكنت سأفهم كيفية تحول الإنسان إلى حيوان خطير كلما كبرت الحضارة المسماة بالوحش، وكنت سأشعر بهيجان كبير كلما أدركت كيفية امتلاك الآلهة في ميثولوجيا الكهنة للنظام العبودي المقرف، وكنت سأفهم أن جدنا النبي إبراهيم قد خلق ديناً وجدانياً من خلال إبعاد هذه الآلهة إلى ما وراء السماء، ولكن كنت سأؤكد بفرح إيماني

بأن الذي يسمى بإله أو الله هو من اختراع سومر وبابل، وهم الذين خلقوا النظام العبودي، وكنت سأكتسب احترام نفسي لأول مرة بهذا المفهوم كلما فهمت أن آلهة الخوف التي تم خلقها، هي القوى التي تحاول أسري منذ أن كان عمري عشر سنوات، وهي عبارة عن معنى فاسد، وكان فضولي يزداد حيال معابد الكهنة السومريين، وتوصلت إلى أحكام قطعية حول هذه المعابد مفادها : كنت سأفهم بأنه تم تحويل أصحاب النظام العبودي إلى آلهة وتم وضعهم في السماء وتقديسهم، وتم جعل البشر العبيد في أسفل الأرض زبانية، ليقوموا بأصعب الأعمال كالخدم، وتم خلق الدولة وتمركزها في وسط الظاهرة المسماة بالفرز الطبقي للمجتمع كرمز لهم، وبأن المعابد هي الرحم الأساسية لهذا العمل، كما كنت سأرى مدى ما قامت به المعابد من عمل مذهل، وأنها قامت بأكبر اختراع مازال مسيطراً على كل التاريخ ويشرف على يومنا وحتى عليّ بالذات.

ولم أعد أشك في أن هذا هو ما يسمونه بالعمل الإلهي، وشعرت بالراحة لأنني فهمت من هم الآلهة، وشعرت بأنني على حق واكن الاحترام لنفسي لأنني لم أؤمن بها بجدية ولم أعبدوها.

اسمي عبد الله ويعني العبد لله، ولكنني لم استطع هضم العبودية في قلبي، لأنني أمنت بأن الإنسان الحر هو فضيلة كبرى مهما كان تحامل القوى الإلهية، فإني سأشعر بالاحترام لنفسي، فقد كنت ألد من حديد أكثر قوة، وأخذ هذه الولادة الثالثة التي أحققها لنفسي مأخذ الجدية كثيراً، وأعجبها بعد ولادتي الأولى من أُمِّي التي لم أعجبها، وولادة التحديث والجهود المبذولة التي لم أؤمن بمجديتها مطلقاً رغم كل القتل، ولم أكن أشعر بالحاجة إلى الرفاق الذين عايشتهم جميعاً، فقد بدأت بإيجاد كل رفاقي في الأساطير، وكلما رأيت أن ما قام به المتآمرون والمنافق زيوس ضد بروميتا وهكتور وتشابه ذلك مع ما قاموا به أولاد العاهرة في أثينا، كنت أتعرف على رفاقي بنحو أفضل، فالصداقة مع بروميتا وهكتور هي أشرف بكثير، وكنت أشعر بالاعتزاز والفخر لأنني تحققت من ذلك.

كما فهمت حتى النخاع كيفية قيام الكهنة السومريين بأخذ أُمِّي الربة عشتار وامرأة العشق إلى المعبد ومن هناك إلى قصر الملك إلى جانب الملوك الأرباب وقيامهم بدفنها معهم حية عندما ماتوا، ولم أقبل قط أن أكون جزءاً من المتعة على موادثهم حتى لو كانوا ملوكاً آلهة، ولكنني فهمت كيفية قيامهم باستغلال أُمِّي الربة وامرأة العشق حتى يومنا هذا ذرة بذرة وبدقة كبيرة، وكيفية أكلهم لها وتقديمها إلى العبيد الرجال لأجل إسكاتهم وإلى كلابهم العبيد ولاستخلاص عصارتها تحت اسم زوجية ثنائية الرأس، وكلما أمنت بأنني سأكون الابن الجيد لأُمِّي الربة وامرأة العشق وأنني لم أقبل في قلبي بهداياهم هذه كرجل، كنت أشعر بمزيد من الفرح وأمتلئ فخرًا، وأبدأ فهم أعماق التاريخ لهذه الأرض الأم لأول مرة، وأقوم بتحليل العقد الكأداء القائمة منذ آلاف السنين، وبذلك أدرك بأن ميلادي هذا سيكون ذا معنى، ومهما كان الذين يفرضون الموت وكل القرن العشرين وكل المتآمرين، فأنا سأتحملهم جميعاً، وأردت أن أنقل ذلك كرسالة إلى الأصدقاء الذين ما زالوا يثقون بي لأنه جيد وأهم وأقبل بأنهم يستحقون ذلك، أنا قادر على تحليل ما يفرضونه بأنه أخطر من هيروشيما وأمثالها، وأعرف تفاصيل تحويلي إلى طرد خطر لإلقائي على رأس شعوبنا، وكنت أرتاح لأنني قمت بسحب مسمار هذه القنبلة وتفجيرها في وجه صانعيها، إنني أقف إلى جانب الإنسان وقد ألحقت الهزيمة بالآلهة المتعجرفين مرة أخرى.

يستند الديبالكتيك التاريخي للشعب الكردي على كيفية التخلص من الدائرة المحاطة به، لقد كانت الظاهرة الكردية منذ الحضارة السومرية وحتى النظام العالمي في يومنا بين فكي كماشة بهدف تذويبها واستسلامها، وأداة استخدام ضرورية من أجل جعل النظام الذي يريدونه سارياً في بلدهم، وعندما تخرج عن الوضع السائد قليلاً، يقوم أصحاب النظام بالضرب والقتل ويعتقلون المتبقين ويؤدبون بعضهم من خلال التجويع ويخلقون الوضع الذي يريدونه من جديد.

حاولنا شرح تاريخ الحضارة ومكان الكرد في هذا التاريخ وشرح طوق الأسر، ولذلك لن أكرر ما سبق شرحه، إن تاريخ القرنين الماضيين هو تاريخ أرذل المؤامرات، حيث أصبح التآمر اسماً للسياسة والدبلوماسية الماهرة، وبات القليل يقترب بصدقة إلى الشعب الكردي، أما الضرر الذي يلحقونه بأنفسهم وبالشعب الذي يدعون بأنهم ممثلوه، فليس أقل من ضرر المتآمرين عن معرفة، لقد جعل النظام القائم من المؤامرة نمطاً لحياته من خلال المساندة الداخلية والخارجية وهي في حالة انتشار كالأمرض المعدية.

كانت الحركة اليسارية التي من المفروض أن تمثل المساواة والحرية وشرف الإنسان، تهتم باستخدام الشباب الكرد كأدوات تكتيكية بسيطة من خلال شخصنا عندما كنا في انقرة، وكانت لا تستطيع أن تكون أكثر من امتداد ناعم ودقيق لتكتيكات الطبقة الحاكمة، وعندما أدى هذا الوضع إلى ردة الفعل، جاء الوقوع في شبكة المؤامرة الأوسع، وكأنه قدر الظاهرة الكردية والقضية المستندة إليها، ولم تكن حياة محارب الحرية المخلص سنيماً، بل أنها لا تتجاوز الأشهر وكان ذلك يكفي للحل للقيام بذلك من قبل الشبكات المسماة بالرفاق والأصدقاء بمعرفة أو عن غفلة قبل الوقوع في شبكات الدولة.

وتمت مواجهة وقائع فن المؤامرة، مواجهة على مستوى الخبر في الوسط الذي دخلنا به بعد الهجرة إلى الشرق الأوسط، بادعاء محاربين في سبيل الحرية، من خلال استخدام حفظنا وفراستنا قليلاً، وتم الذهاب والجيء بين دمشق وبيروت وحلب التي ترسخت فيها التجارة في التاريخ كروح وتنظيم، كانت السياسة شكلاً أنيقاً أكثر من التجارة، وكان يتم تحديد الثمن النقدي من الناحية السياسية بالمعنى التجاري، وكانت السياسة والدين كشكلهما في العصور الأولى والوسطى عبارة عن إيديولوجية التجار، وكان تعبيرها المكثف والمعطي شكل موضوع قدسي هو: يوجد لك مكان بدرجة قيمتك، إذا كنت تعرف قيمة نفسك ربما لا تهدر نفسك بثمن رخيص، لا يمكن أن نتظر من السياسيين، حتى لو كانوا كالملائكة الممثلين للبنية الذهنية الحاكمة التي أعطت شكلاً قدسياً للدين إلى هذه الدرجة، تجاوز هذه القدسية أو إجراء موقف صديق وأخوي والتي يجري الحديث عنها كثيراً، ولم تكن بعض المواقف الإنسانية المحدودة إلا مواقف عابرة واستثنائية.

لم تعش روحي ثانية واحدة من دون قلق عند التوجه إلى الشرق الأوسط، فتشعر وكأنك قد بدأت بالسير في ساحة مليئة بالألغام وهذا الشعور عاشه الإنسان الكردي بنحو عام، وأنصار حزب العمال الكردستاني بنحو خاص، لأن الحركة على أثر واضح تمنح الثقة، لا يستغل عقل واحد من بينهم الزمان أو الإمكانات المتوافرة، والأهم من ذلك لم يقيم بدوره رغم الصرخات الفظيعة التي أطلقها، لقد بذلت جهوداً كبيرة من أجل خلق إمكانات لتمزيق المؤامرة في الشرق الأوسط، وتم الحصول على إمكانات مهمة، ولكن بعض الشخصيات الملعونة لم تتح المجال من أجل استغلال الفرص، ولم يسفر تكرار الكثير عن أية نتيجة، وكانت كل الحملات تصطدم بالجدار وترجع إلى الوراء، لذلك يجب تعريف الوجه

الحقيقي وبنية التآمر من كثب من أجل فهم هذه الحقيقة بنحو أفضل.

إن التآمر حركة تتوحد فيها القوى التي تعدها قريبة منك، مع القوى المضادة، عن معرفة أو بغفلة، في المراحل الاستثنائية للأحداث الاجتماعية للقيام بإسقاط الشخص أو المجموعة أو الحزب أو القوة الشعبية، من خلال توجيه الضربة ووضعه في موقع غير شرعي.

يقوم الذين يتبنون التآمر بتطوير خطط ضد الشخص أو المجموعة أو الحزب والشعب أو الأهداف الاجتماعية رفيعة المستوى، ويعملون قواهم في جميع النقاط الحرجة، ويتخذون اصطلياد الهدف أساساً لهم عند مجيء الفرصة.

يتم التوجه نحو حركة الحرية للشعب الكردي على الأساس السياسي، وحتى بحسب قواعد الحرب العسكرية، وتلاحق بالقانون في كل دولة من الدول كلما خطت خطوة حتى لو كانت صغيرة، وبالإضافة إلى ملاحظتها من خلال مخططات ترسم في الظلام، يتم استخدام كل الأساليب التي لا يمكن أن تستوعبها أية قاعدة، وفي مقدمتها الإبادة والبطش والتخويف والتحرير والتعذيب والسجن والإفلاس الاقتصادي والتلاعب بالقيم المعنوية واستخدام نزعات الحياة المزيقة واستغلال الضعف والنقود وما شابه ذلك، وكله من أجل إسقاط والحق الهزيمة بحركة الحرية، ويجب ملاحظة أن ذلك لا يواكب منطق أية حرب اعتيادية في هذا الأمر، إن التآمر ممارسة أصعب من أي حرب خاصة أو قدرة، لأن في داخله أناس يدعون الصداقة ورفاق غافلون، ولا نكون قد بالغنا حين نقول أن تاريخ الحرية للشعب الكردي بهذا المعنى هو تاريخ للمتآمرين في الوقت نفسه، بل أننا نصل إلى حقائق كثيرة لأننا لم نشهد تاريخاً يشبه تاريخ الشعوب الأخرى.

إن الجانب الأخطر للتآمر هو عدم تنفيذ الذين يدعون أنهم أصدقاء ورفاق لمهامهم في الوقت المحدد، بحسب القرارات والوعود، ويشكلون الأرضية الحرجة في إيصال مخططات المتآمرين إلى النجاح من خلال موقفهم هذا، مهما كانوا أصحاب نوايا حسنة وجهود، إن الدور الذي يقومون به هو الدور الذي دفع قيصر إلى القول: "حتى أنت يا بروتوس" وهو دور يهودا الاسقريوطي الذي أدى إلى صلب عيسى وجرائم الخلفاء وكثير من الأحداث التي أدت إلى تغيير مسار التاريخ، والشيء الأكثر إبلاماً بالنسبة للشعب الكردي أن ذلك لا يتم على شكل أحداث فردية ومنفردة، أن تاريخه كله مليء بهذه التوجهات، إنك تتلقى الضربة ممن تعدهم أصدقاء في مكان وزمان لا تتوقعه، في الوقت الذي يأخذك فيه مرشدك إلى الهاوية عن معرفة أو من دونها، وتعتقد أنه يسير في الطريق الصحيح، وتسقط أنت في مكان غير متوقع وهو أشبه بحقل الغام، وكأنه قدر في مواجهة صعوبات كبيرة في الثقة بشريكك أو أخيك، ولا تستطيع الادعاء بان جميعها ارتكبت عن قصد، وقد تفقد الشخصية غير الموزونة كل توازنها في الظروف الصعبة بينما يواصل التاريخ الملعون حكمه الذي صنعه الإنسان بيده، والذي يسمى بالقدر، أما ما يجري مع الشخص المسمى بالقائد فهو مشهد "التضحية بالملك" في الميثولوجيا، ويتم إزالة اللعنة والشؤم عن كل المجتمع من خلال تضحية الشخص الموجود في موقع قائد الشعب والمجتمع، في العصر الذي لم يتكون فيه الملوك الأكثر قمعاً واستغلالاً، أما إذا كان القائد عند الكرد لم يقتل ولم يستسلم ولم يصب بالجنون ومازال عقله وكرامته في حرز، فإن الشيء الذي ينتظره هو "الحرية أو الاحتفال بقتل الملك"، إن الشيء الغريب في المسألة هو مواصلة هذه الأحداث ميثولوجية ما قبل التاريخ وعيشها بنحو دائم، ولذلك فإن الأسطورة

والميثولوجيا تتحولان إلى حقيقة عند الكرد، أما الحقيقة الموجودة فتصبح عميةا وصماء وبكماء.

إن الانتماء إلى شعب بهذه الخصال مؤلم جداً، أما الهروب فهو الجبن بعينه، وعدم الهروب يعني تحمل المنطق الظالم للتأمر والممارسات التي لا تعترف بأية قاعدة، ويتم تنظيف اللعنة الموجودة على عنقك بدرجة تحملك، وإلى درجة ستكون فيها الضحية، وطالما بقيت اللعنة فكل شيء سيكون حراماً، إن قيمة سماع القلب هي أقل من قيمة حيوان، أما منطقها فهو خيانة لكل الحقيقة بالكامل، ويتسرب الجذام من كل أطرافها، والكل يهرب منك، فالسبيل الوحيد للتخلص من ذلك هو الحرية أو الموت، وعدا ذلك فلا توجد أية كلمة يمكن أن تقولها لأملك أو لأجدادك أو لأصدقائك ولأحبائك، ولا يحل لك مد يدك لمرة واحدة.

لقد شعرت بالجذامية الاجتماعية عندما كنت صغيراً وكنت أتهم أمي التي كانت الملجأ الوحيد لي في طفولتي وأقول: "أعرفين مدى المأساة التي دفعني إليها بولادتك لي؟"، وشعرت بالحياة التي كانت كل خطوة منها قهراً، لكنني لم أكن الحياة، كل العالم في ناحية وأنا في ناحية، وكنت سأواصل سيرتي وحيداً من خلال تحطيم القدر المفروض عليّ جزءاً وراء الآخر، وإسقاط قناع الآلهة واحداً تلو الآخر من دون ملل، وأعلم بأنني سأفتح الطريق أمام آلام كبيرة وكنت سأجلب قوة للحياة أمام الشجاعة والتضحية اللاحودة للأبطال الذين أحرقوا أنفسهم من أجلي، لقد كان تاريخ التأمر والحياة الملعونة يخلقان ألماً كبيراً في شخصيتي، تقول الملحمة أنه رمي النبي إبراهيم إلى النار بالمنجنيق، وتحولت النار إلى ماء، وستكون المأساة التي وضعوا شعبنا أمامها في شخصي عبء أمام جميع رؤوس ثماريد العالم المعاصرين، من خلال نظام لعبتهم الذي يترك أفضل مسرحية وراءه كضرورة لسلطتهم التي لا تعرف حدود، ولن يستطيعوا حتى تعريف الحرب التي يخوضونها معاً بنحو صحيح، ولا ينفذون قواعدها، لكنهم كانوا سيحملوني الذنب كله، وسينكرون الشعب الكردي مرة أخرى، وكأنهم يقولون "أنت لا شيء"، وكأنه يوجد أمامهم "إرهابي" ضخم يهدد عالمهم، ويجب أن يبقى على كرسي الإعدام بنحو دائم ومن المفروض أن يتوقف قلبه من دون إعدامه، ويجب أن يصاب بالجنون، فقد كان ذلك من آخر اختراعاتهم للتعذيب لما بعد الحداثة، كنت آخر ضحية للحلبة الحديثة التي جعلت كل التبرونات في موقع الصفر على الشمال.

وكنت سأحاول العيش عند دخولنا إلى القرن الحادي والعشرين من أجل الشرف والحرية ضد الخطوات التي أرادوا دفع الشعب الكردي إليها، هذا الشعب الذي كان ضحية للمتمارين من خلال المؤامرة التي نفذوها في آخر سنة من القرن العشرين، إنني أقابل الحياة التي قبلتها في تابوت بقلب حجمه كقبضة اليد وبعده نقاط من المعاني تتسع للملايين، وغرفة جعلتني بعيداً عن أسياذ العالم بكل شرف.

أ. تاريخ المؤامرات والدروس التي يجب استخراجها

١. تأمر العصور الأولى والميثولوجيات المخادعة

إن المؤامرة هي ظاهرة للمجتمع الطبقي أساساً وتهدف إلى إحداث الشلل بالأساليب الفجة والناعمة، للقوى الاجتماعية التي تخارب القمع والاستغلال الطبقي، هناك منهجان ساريان دائماً: المغالطة الإيديولوجية وطرق القمع الفجة

حيث يتم استخدام كل منهما بحسب الوضع، وغالباً ما يتم استخدامهما معاً، وفي حال استطاع النظام الإيديولوجي مواصلة نفسه عن طريق الدور المخادع وكان مقنعاً، عندها يتم تفضيل هذه الطريقة بالدرجة الأولى، وعندما لا يعود كافياً مع ظهور المعارضين الذين يحاولون فرض نظامهم العقائدي، عندها يتم استخدام منهج القمع بكل وسائله من أجل الوصول إلى نتيجة.

إن الحضارة السومرية هي التي أبدعت ذلك وأهدته للتاريخ، كما كانت الأولى في كثير من المجالات الأخرى، كان أهم عمل تتم المحاولة من أجل إنجاحه في المعابد هو كيفية جعل الإنسانية تقبل بالنظام الاستغلالي كأفضل نظام، وربما كانت الميثولوجيا التي خلقها الكهنة السومريون هي من أكبر المؤامرات التي تم ارتكابها بحق البشرية، لقد خلقوا نمطاً فكرياً إلى درجة جعل البشر عبيداً بالفطرة منذ ولادتهم من أمهاتهم، وتم جعل أكبر مغالطة اجتماعية عرفها التاريخ والتمايز الطبقي ساريين عن طريق جعل الآلهة الذين أحاطوا بكل مكان مسيطرين على ذهن الإنسان، وجعل البشر خدماً للآلهة بنحو طوعي، وقام الكهنة السومريون بتحويل آلهة النظام السماوي إلى نظام جعلوا أنفسهم ممثلين له على الأرض، وأعلنوا أنفسهم فيما بعد كملوك آلهة، وعكسوا سيادتهم كحقيقة إلهية في إطار أكبر حصانة وجعلوها مسيطرة على الأذهان، وسأخذ التاريخ شكل تطوره على أساس تحويل هذه المؤامرات والخدعة الكبيرة بحسب الواقع الملموس، وانتشارها في جميع المجتمعات على نحو قصص وروايات، وبالطبع كتاريخ للحكام والمستغلين.

إن تقييم المعبد السومري كأول مقر للمؤامرات هو أمر واقعي، والمعنى الميثولوجي للآلهة وعبيدهم هو من أهم المسائل التي يجب تحليلها بهذا الصدد، لا سيما تحليل "أنكي" كمنسق ومدبر وعقل للآلهة، الذي سيكون له قيمة تعليمية، كان أنكي علامة المؤامرات اللذيذة ويعد الانتقاص من شأن المرأة أهم جزء من المؤامرة التي تم تحقيقها في المعابد، إن الشروح المذهلة المتعلقة بتطور التمايز الطبقي والتمايز الجنسي بنحو متداخل، هي خاصية مهمة للميثولوجيا السومرية، وتؤكد هذه الخاصية الميثولوجية صحة التقييمات التي تقول أنه تمت تعريض المرأة لأقدم تمايز طبقي في التاريخ من خلال الحط من شأنها كجنس بشري، وذلك من زاوية أول مجتمع تحقق فيه التمايز الطبقي، وتنعكس عبودية الطبقة والجنس في الميثولوجيا السومرية في عصر حكم السومريين الذي استمر ألفي عام، ونفهم قدرة المرأة في الماضي نتيجة تخفيض شأنها مجدداً، ونرى الخدعة حيال المرأة في الميثولوجيا عند القتال والوفاق بين الرب أنكي والربة "نينهورساغ" أي التي تحولت وأصبح اسمها "إنانا"، إن ربة العصر النيوليتي قد تعرضت لمحاولة تذيبها وإزالتها من قبل المجتمع الرجولي الذي يرمز إليه بالإله أنكي، ولكن إنانا لم تكن لتستسلم بسهولة، وإن نضالها العقلاني يعد مثيراً للحيرة.

في النتيجة فإن تحقيق عبودية الإنسان وجنس المرأة في معابد الكهنة وقصور الملوك في المجتمع السومري قد اكتسب نصراً كاختراع أساس لتاريخ الحضارة كنقطة بداية، وسيأتي دور استخدام جنس المرأة كإحدى أدوات السقوط الأساسية في مواصلة النظام، وكأنه لم يكن بخفض شأنها، بل إسقاطها، وستلعب الفتيات اللواتي تم اختياريهن للمعابد وسيجري تدريبهن، للدور الأكثر تأثيراً في اصطيد رجال النظام، وبذلك يدخل المجتمع تحت سلطة المعابد، ويتم إسقاطه من قبل اللواتي تم إسقاطهن، وهكذا تم تنظيم أرذل مؤامرة، ولأول مرة يقدم تحويل الجنسين إلى كلاب للمعبد قوة عظيمة للنظام، وانتقل هذا النظام من المعابد إلى أول بيوت الدعارة، ونرى أن أول بيت دعارة في التاريخ تم إنشاؤه في مدينة "نيبور" المشهورة كمركز ثقافي وعقائدي، وأدت بيوت الدعارة التي تسمى "بالمستقيم" دور المستنقع الذي تم تلويث كل المجتمع

به، وسيتمسك المجتمع بهذا المستنقع وبالجنس الذي تم إسقاطه، والمجتمع العبودي، بحيث لا يستطيع الخروج منه أبداً، وتنطلق هنا مقولة الشاعر عن الكمين الذي قال فيه "لم يتخلص رأسي من الكارثة بعدها"، لقد تم الانتقام من الربة والإنسان الطبيعي الحر، بينما تحول أسياد المجمع الحاكم إلى آلهة، وتم خنق عبيدهم في المعبد أولاً، ومن ثم في بيوت الدعارة، أي في المستنقع الذي لن يستطيعوا التخلص منه، وسيواصل تاريخ الحضارة نفسه كتنطير لهاتين المؤسستين، وستتحول معابد الكهنة إلى كنيسة ومعبد يهودي وجامع وما إلى ذلك، وستتحول بيوت الدعارة إلى بيوت خاصة وبيوت عامة وبيت الأسرة وبيت القرويين وبيوت المدينة لتتفرق وتستمر.

إن المجتمعين الإقطاعي والرأسمالي هما وليدا المجتمع السومري، وقد أخذنا مورثاتهما الأساسية من هنا، وأخذنا شكلهما النهائي من معابد وقصور التآمر لدى المجتمع السومري كمصدر أساسي وتسميتنا لهما بأهم الاختراعات في التاريخ لم يأت من فراغ.

كم هو مؤلم تطوير أول ممارسة خارجية للمؤامرة السومرية ضد المجموعات الأثنية الكردية التي أطلق السومريون اسم كردي "كرد تعني جبل، وإضافة تي تعني الانتماء"، عليها لأول مرة في التاريخ، إن متابعة هذا الموضوع من خلال ملحمة جلجامش التي تعد أول ملحمة في التاريخ مثيراً جداً، إن جلجامش نفسه كان الملك البطل لـ "أوروك"، التي كانت من أولى دول المدن، وإن حاجته لخشب الغابة من أجل المدينة والمعادن، قد أرغمته على القيام بحملة إلى الغابة، ولذلك كان يحتاج إلى مساعدة من يعرف الغابة جيداً، وبذلك وجد أنكيكو في الجبل لهذا الغرض، واصطاده كدليل وعميل له، وذلك عن طريق استخدام عاهرة المعبد، ويتعلق قسم من الملحمة بذلك، لقد تم اصطيد العميل عن طريق أنوثة المرأة، وكانت فتيات المعبد اللواتي تلقين تدريبات ذوات تأثير كبير في ذلك، وأنزلن أنكيكو من الجبل وعودنه على المدينة في مدة وجيزة، ولم يستطع جميع الأنكيكيين إنقاذ أنفسهم من هذه الكارثة مرة أخرى، وتم العثور على مفتاح لفتح بلاد الغابة، وبذلك تم اصطيد الحجل الذي سيتم وضعه في القفص باستخدامه لاصطياد الحجل الآخر.

إن جلجامش عند سيره نحو جبال زاغروس كأقرب الجبال إليه في سفره الجبلي المشهور قد أخذ معه أنكيكو الذي رؤّضه، نفهم ونلاحظ بنحو جيد أن أنكيكو يمثل أول عميل كردي من خلال سير الملحمة، كان أنكيكو يأخذ جلجامش إلى أصحاب الجبل، أي أنه كان سيصطاد قومه، كان "خبابا" أول من وجدوه في الجبل، والذي قالوا له أنه حارس الغابة وأظهره كالمارد الوحش، لقد كان زعيماً للعشيرة يدافع عن وطنه ولم ينج من الهزيمة أمام جلجامش الذي كان يمتلك أسلحة منظمة وأكثر تأثيراً، وهكذا تم أسر أول مناضلي الحرية الكرد، أراد جلجامش أن يترك خبابا كعميل له، إلا أن أنكيكو اقنع جلجامش بقتله، لأنه خاف من أن يأخذ مكانه كدليل، ولأن لا يفقد سيادته، فقتل جلجامش خبابا، وبدأ بذلك المسار الدموي، تتناول الملحمة علاقة تناقض ديكالكتيكي استمر طويلاً بهذا الصدد، إن الجبل - السهل، والعشيرة - المدينة، الملك - المتمرّد، الوطن - العميل، والنقوش المشابهة لها، تحول القصص التي تتناقلها الأجيال إلى ملاحم، والأمر المهم بالنسبة لموضوعنا هو: ذكر القصة الأليمة للكردي في أول ملحمة مدونة في التاريخ بنحو مبطن، وبدء التاريخ بالمؤامرة، حيث لا يمكن الدخول إلى وطن الكرد دون إيجاد عملاء من بينهم، ويتم إسقاط هذا الوطن من خلال العملاء الذين تم تجميدهم من خلال أنوثة المرأة في مجتمع المدينة، وسيطور هذا التاريخ ويتوسع وينتشر إلى يومنا هذا، إن ما يحطم الشجرة هي الديدان الموجودة في داخلها، وسيظهر أماننا هذا النوع من الأشكال في نقاط التحول

الرئيسة من التاريخ، إن الأمير "ماتي زاو" العميل هو سبب سقوط الدولة الهورية الميتانية، ولقد أدى البرسي "كورش" ابن الأخ الدور الأساس في إسقاط السلالة الميديّة.

وتستمر المؤامرات في كل الأحداث التي تترك أثراً في التاريخ، لقد كان سقوط طروادة التي أدت دوراً أساسياً في وصول القيم الحضارية إلى القارة الأوروبية عبر الأناضول بالمؤامرة أيضاً، كان البطل "هيكتور" يدافع عن طروادة، ولم تسقط المدينة بأي شكل من الأشكال، يشرح هوميروس هذه اللحظة بمشاهد أليمة في ملحمة الألياذة، فكر الرب الأب "زيوس" إله الطبقة الفوقية للهيلينيين الصاعدين حديثاً وأثينا التي خلقها من جبينه، بأنه لا يمكن حل هذه المشكلة إلا عن طريق التآمر، وتفتحت "أثينا" في شكل شقيق "هيكتور"، واسمه "ديفوبو"، وحرّضت هيكتور في مكان وزمان غير ملائمين للحرب، من خلال إقناعه بأنه سينتصر ضد "أخيلوس"، وبذلك يتم قتل هيكتور، وتسقط طروادة وتفتتح أبواب الأناضول على مصرعها أمام الهلنيين، وبدأ عصر السيادة والثقافة الهلينية التي استمرت ثلاثة آلاف سنة، وأدت المؤامرات التي اعتمدت على استخدام أوثنة المرأة في تفوق الغرب على الشرق، وأوروبا على آسيا دوراً مهماً، إن اللغة الميثولوجية لم تشرح الحقيقة كما هي، لكنها تعد مصدراً تاريخياً مهماً في التعبير عن المراحل التي تعد ظواهر مهمة ومنتشرة، إن مقولة إنه يوجد تحت كل قصة حقيقة، هي مقولة صحيحة بهذا المعنى.

إن أكبر مؤامرة عرفها العصر الكلاسيكي هي قتل يوليوس قيصر، الذي مثل دور من يقتل على يد أقرب المقربين إليه، على أساس إنقاذ روما من ديكتاتورية قيصر، عند قيام ابن أخته "بروتوس" بدور أليم في المؤامرة، يظهر قاعدة هذه اللعبة أمامنا مرة أخرى، فلا يمكن أن تنجح أية مؤامرة دون تجنيد بعض الأفراد القريبين إلى الشخص أو الشعب أو الحزب، ويتعرض كثير من الملوك والسلاطين لنفس المؤامرة التي تعرض لها القيصر، إن السلطة والمؤامرة تابعتان لبعضهما البعض بنحو كبير، وتؤدي المؤامرة دوراً في إحداث السلطة بمقدار الحروب في الأقل، إن تقدم مثال عن العبريين في التاريخ الإسرائيلي سيكون تعليمياً، حيث يقول الأنجيل: لقد استخدمت القبائل العبرية المومس "راهف" في المدينة عند محاولتهم إسقاط المدن في فلسطين "إسرائيل الحالية" بعد موسى، وهم يعدون بني إسرائيل شعب الله المختار، لإلههم يهوا وعملائه، فإن العمالة في إسرائيل هي مهنة منحهم الله إياها، ولذلك فهم أقوياء في مجال التجسس في كل أنحاء العالم، ويذكر أن التلميذ الثاني عشر الذي أخبر عن النبي عيسى، يهوذا الإسقاريوطي كان تابعاً للكهنة الأول، ويجمع المؤرخون رأيهم حول عدم إمكانية ظهور ديانة اسمها المسيحية لولا صلب عيسى المسيح، ونرى في التاريخ القليل من المؤامرات التي أسهمت في التطور التاريخي ولها تأثير بمقدار إلقاء القبض على عيسى.

إن الرابطة الموجودة بين المجتمع الطبقي وهذه الظاهرة الملغونة للعصور الأولى واضحة بنحو ملموس، إن المؤامرة من النوايا السيئة أو هي ضد محبة الله للبشر، وهي ليست لعبة لأناس سيئي الأخلاق، بل هي آلية سلطة مرتبطة ببنية المجتمع الطبقي كالتحام الظفر باللحم، إن الوجه غير المكشوف للسلطة هو المهم وليس الوجه المكشوف لها، وإن السلطة الحقيقية يتم اللعب بها بنحو سري بعيداً عن الشعب والمجتمع، وإن اسم هذه اللعبة هي المؤامرة على الأغلب.

إن التآمر كخاصية متجذرة منذ العصور الأولى في ظاهرة المجتمع الكردي تؤدي دور ديدان الشجرة، وإن الديدان كثيرة ومضرة تنهش الشجرة من أطرافها الأربعة لمواصلة كيانها، وإن تناول المأساة والفلكلور الكردي لهذه الخيانات والضعف على نحو ملاحم وأساطير مؤلمة لم يأت من فراغ، لأن الديدان الموجودة في قلب شجرة الحرية هي التي تنهش

المجتمع، ويعني ذلك مرور الحياة بالمأساة ثم تصرخ الملاحم والأغاني بهذا الواقع.

لقد تفاقم التآمر في ظروف العصور الوسطى، وإمكانات الاستعمار المتزايدة ومراكز السلطة المنتشرة طورت فن التآمر ومهارته.

٢. العصور الوسطى والمؤامرات بالأقنعة الدينية

إن عدم انتقاد الدين كمنظ فكري هو نقص كبير بالنسبة للعالم الإسلامي، ومثلما يرفض الواقع القائم الإنكار الفج للدين، فإن الالتزام به بإيمان يبعدنا عن العالم الواقعي أيضاً، توجد حصة كبيرة لطريقة موقف الدين الإسلامي في عدم تطور الفكر العلمي لدى مجتمعات الشرق الأوسط، حيث تم تقديم الدين كقواعد عقائدية صلبة بعد أن تم تمريره من تحول مثيولوجي في العصور الأولى، إن الدين هو المجموع العام للأفكار التي وصل المجتمع المتطور إليها حول الطبيعة وواقعه، ويشكل اعتقادات وتصورات الماضي والحاضر والمستقبل، لقد وجدت انعكاسات ظواهر الدولة والملكية والسلطة مع ظهور المجتمع الطبقي تعبيرها في الفكر الديني التوحيدي، وقد حاولت هذه المؤسسات أن تجد وسيلتها التي تؤدي إلى السيطرة على الأذهان في الأديان التوحيدية عندما أصبحت المثيولوجيا غير كافية لتحقيق هذا الغرض، والآلهة في هذه الحالة تشكل انعكاساً للقوى الاجتماعية أكثر من أن تشكل انعكاساً لقوى الطبيعة، إن الطبقة الحاكمة الأمرة ترمز إلى القوة المعنوية للملك، إنهم يؤدون إلى سحب المعنى الصحيح من التعريف العام للمجتمع، إلى تعريف الطبقة الحاكمة والملك، إن الرب بذاته يكون أكبر ساعد للسلطان كطبقة حاكمة بنحو ساقق ولسلطته الاحتكارية، ويؤدي إلى تعدد خصائصه الطبقية والسياسية ويجعلها ذات قدرة، يتجه الإله كتعريف للطبيعة والكون والمجتمع ككل نحو التكامل مع المؤسسات النظرية بشكل ملتزم مع كيان الفكر الفلسفي العلمي، إننا نقوم بهذا التمييز من أجل مايلي: تدعى العصور الوسطى كعصور المؤامرات بأنها قامت بجرائمها وألاعيبها من أجل السلطة، وحتى بالاستغلال المجرد باسم الرب، حيث يتم جعل الغطاء الديني والإلهي ذريعة لكل أشكال الاستغلال والقمع الاجتماعي، ويقال "إن كل شيء من أجل الدين والله، إلا أننا عندما نكشف عن مضمون هاتين الكلمتين نرى أن كل أنواع القمع والسلطة والاستغلال مخبأة فيها، والدين كنوع إيديولوجي جديد يؤدي دوراً أخطر من المثيولوجيا في العصور الأولى ويقوم بدور الأسر، لقد أزيلت المرونة الموجودة في المثيولوجيا وبات الإيمان بالقواعد والقوالب العقائدية للدين شرطاً أساسياً، وبذلك تمت إزالة بقايا حرية الإنسان ليدخل تحت ضغط العقوبات القاسية والتطبيقية، إن تصفية الإنسان الحر هي من أهم العمليات التاريخية التي نجحت فيها القرون الوسطى باسم الدين، وهنا لا يتم نكران الدور التقدمي والتنويري للدين الجديد الذي أداه في تصفية أشكال الدين الأقدم، ولكن عدم رؤية الظلام الذي خلقه يعد عدم احترام للإنسان الحر ويعني إنكاره.

إن العقيدة الدينية الدوغمائية تطور نظام المؤامرات على المجتمع لا سيما في مرحلة تحلفها، وتعد هذه المرحلة التي استلمتها سلالة معاوية والعباسيين في الإسلام عبرة، لقد أوقف معاوية الحرب عندما شعر بقرب الهزيمة بوضع القرآن على أسنة الرماح بالذات، لكنه أصبح فيما بعد الجزار الشرس لأهل البيت، وربما لا توجد مؤامرات في تاريخ أي دين آخر أكثر من تاريخ الدين الإسلامي إذ تم قتل ثلاثة من الخلفاء الراشدين الأربعة نتيجة مؤامرات، وإن ما جرى مع الأئمة الاثني عشر كانت مؤامرات على الأغلب، وقد قام الإسلام بتحديد قواعد ذلك أيضاً، فالمداينة والدسياسة هي المؤامرة

بالذات من حيث المصطلح وقد تم إقرار جرائم كثيرة من خلال تطبيق هذا المبدأ.

إن لكل ذلك علاقة بجهز إيديولوجية الدين، إذ يعلن الدين عن كل الذين يقفون خارجه كفاراً ويقوم بالتفريق القاسي بين البشر بهذه الطريقة، كما يقوم بتصنيف هؤلاء بكل السبل إعلاءً لشأن الرب ويعدّه أكبر فضيلة، وعندها تغص كل العصور الوسطى بالحروب، ورب العصور الوسطى لا يقبل له بأي شريك، فهو كيان واحد ووحيد، وهذا الأمر يعني في الواقع توجهاً نحو السلطة المطلقة، ولا توجد أية قيمة عملية لوجود الله ووحدته سوى الرمز إلى إرادة السلطان ككيان عام وواحد، ووحدّة سلطة السلطان تتطلب وحدة الله بالتأكيد، وعندما تكتسب السلطنة هذه القوة كإيديولوجية، فإن هذه القوة لا تترك إنساناً إلا وتسقطه، لكن البشرية ستحاول المحافظة على حريتها من خلال الطرق الصوفية والتمرد العلني في ذرى الجبال، ويتم اعتبار التحول إلى عبد لله أهم فضيلة للإنسان وكأنه بذلك قد قطع أنفاس ربنا الأم.

إن المرأة ناقصة في نظر رب العصور الوسطى، وتم تخفيض مستواها إلى وضع لتصبح ممسوخة وملحقة خاضعة للرجل، وتم إيصال عبودية الجنس إلى أشكال لا معنى لها، فالمرأة أصبحت عبارة عن هدية يتم تقديمها للرجل، ويمكن أخذها واستخدامها عند الرغبة ليس كإنسان بل كسلعة يمكن النيل منها بحسب الرغبة، وكأن الأديان الأخرى في العصور الوسطى قد تسابقت من أجل تلبس البشرية هذه المؤامرة، وتم الوصول إلى وضع تم الترحم فيه على العصور الأولى، إن المحاكم الدينية في المسيحية وإغلاق باب الاجتهاد في الإسلام أسفرا عن وضع أشبه بإرهاب شامل على البنية الذهنية للإنسان، ومن جهة أخرى فإن مؤامرات القصور قد شهدت العصر الأكثر تطوراً لها، إن الإيمان في المعبد ينتهي بالمؤامرة في القصر، وهما يخلقان بعضهما البعض.

إن غربة الشعوب عن هويتها الحرة ستزداد كلما تطورت السيادة المعتمدة على جذور الدين في مجتمع العصور الوسطى والتطور الكيفي والكمي للحكام وتكاملهم مع الإيديولوجية الدينية الجديدة يجعل الشعب مضطراً للعيش بمفرده مع كيانه الثقافي الأثني، ويؤدي الحكام دوراً مخادعاً كناقلين للهويات الإلهية التي لا يفهمها الشعب، ويتم تركز الاستغلال والسلطة من خلال الهوية الإيديولوجية الجديدة، ثم تنتشر عمقاً واتساعاً، بينما يقتصر رد فعل الشعب على تخريب الدين الرسمي وعلى شكل مذاهب باطنية، ويبحث الشعب عن طرق جديدة تحت اسم الطرائق الدينية ضد المؤامرة التي تعرض لها، وتكون الطريقة التي تعني السبيل هي اسم الانطلاقات التي لم تتناقص أبداً، والحيلة التي جرت ممارستها على الكردي في العصور الوسطى كانت تحت غطاء ديني، وتكاملت العمالة المتبقية من العصور الأولى مع الدين الجديد بسرعة وتعمق اغترابها أكثر، وتقوم بأفضل دور كخادم للسلطين، ويظهر الشعب مقاومته من خلال كثير من المذاهب والطرق ويدخل مرحلة حياة السجن الطبيعي داخل الجدران التي بنتها حضارة العصور الوسطى حوله.

إن ما قام به الحكام الذين يحاولون إيجاد مكان لهم بين السلطين والشاهات هو تمثيلهم للخيانة، وهم يجسدون أرضية للمؤامرة، ويجعل الحكام الذين غاب عن بالهم وحدة الشعب وحيوية الحياة عبارة عن ساحة للمؤامرات من خلال القتال الأثني والديني العقيم، إن مبدأ الإيقاع ببعض يعمل ابتداءً من أسرة السلطان ويصل إلى الطبقة السفلية من الغلمان وإلى داخل القرويين كنتيجة طبيعية للأخلاق الإقطاعية، أي تمأسس الخيانة.

إن الاغتراب الذي شهدته كل شعوب الشرق الأوسط في العصور الوسطى له علاقة بالتحول الذي شهدته أدوات

الإيديولوجية الأخيرة الأكثر تحلفاً لثقافة الكهنة السومريين، إن المذهب السني الرسمي للدين الإسلامي الذي يمثل الاشتقاق الثالث لهذه الثقافة، يجعل الشعوب في حالة احتراب دائم على كل مستوى وفي حلقة عقيمة، والذي يستفيد من كل ذلك هو حفنة من حاشية القصر وعملائهم وآغوات الحرب الذين لا مبدأ لهم.

لقد أرغم الشعب الكردي مضطراً ليعيش هذه الظاهرة بعمق وبنحو مطوق من الجهات الأربعة، وتحول إلى وضع شعب على الحلبة، فمثلما كان يتم تمزيق المسيحيين الأوائل من قبل الأسود في الحلبة، كان واقع الشعب الكردي في العصور الوسطى يتمزق تحت مخالب آغوات الحروب وعملاء القصر من بدايته إلى نهايته، إن مسألة ضحاك في ملحمة كاوا الحداد، الذي لم يستطع العيش بنحو طبيعي إلا عن طريق تحطيم رأس كرديين وأكل دماغيهما، هي تعبير عن هذا الواقع الشعبي، وفي الحقيقة فإن كل النمرايد والضحاكين وإيديولوجياتهم وجنودهم وموظفيهم الفعليين يأكلون دماغ الشعوب كل يوم، أي يواصلون حياتهم من خلال أكلهم للفكر الحر والكيان الثقافي والإمكانات الإنتاجية للشعب، إن الضحاك لم يكن موجوداً في العصر القلسم فقط، بل تكاثر وازداد عدده وعملاؤه، وهم يأكلون أدمغة الشعب وكل الشباب لا دماغ شابين فقط، ويقفون أمامنا كالجوارح التي تأكل الجثث الميتة بكثرة ومنتشرة، إن تعريف الإيديولوجية والخدعة العملية والتآمر في العصور الوسطى والتدين الرسمي والإسلام السني كميّرات للتآمر الرأسمالي بصورة كاريكاتورية هو إحدى ضرورات احترامنا للحقيقة.

٣ . القومية الرأسمالية والفاشية هما أكثر أشكال التآمر تطوراً

إن المفهوم القومي الرأسمالي والفاشي تآمر أكثر تطوراً، ويجب التفريق بين إيديولوجية المفهوم القومي والفاشية كامتداد طبيعي للمفهوم القومي الرأسمالي، وبين الوطنية وحب الثقافة من أجل فهم منشأ هذه الإيديولوجية، يعبر الحب والارتباط بالأرض التي تم أصبحت وطناً من خلال العمل المستمر لآلاف السنين للمجموعات الأثنية والقومية عن قيمة مقدسة، إن الإنسان الذي يفتقر لهذه القيمة أي الوطنية، هو الإنسان الذي دخل في حالة الاغتراب والبعد عن قدسية الحياة ويستحق اللعنة، ويعد كل مجتمع يتعرض للاغتراب هو مجتمع مذبذب حلت عليه اللعنة وهو يليق بها، إن الحروب من الوطن الأم والتخلي عنه يعني النظر باستهزاء للأراضي التي ولد فيها وخيانة ثقافة الأم والأم الربة، ولكن ترك الوطن الأم نتيجة نزوح قسري أو أسباب اقتصادية مع الاحتفاظ بحب الوطن في القلب دائماً هو أساس لأسى العواطف والأفكار، وإن الذين لا يمتلكون هذا الحب، تكون أفكارهم وعواطفهم قذرة وخطرة وأخلاقهم سيئة وعدوانية، والمجموعة التي تبين الإنسانية تتكون من هذه المجموعة، سواء تشكلت على أساس المفهوم القومي الشوفيني أم على نحو كوزموبوليتي، ولا تمتلك هذه المجموعات حب الأرض وحب الوطن وحب الثقافة، إن مفهومهم القومي والكوزموبوليتي هما وجهان لعملة واحدة.

يقوم المفهوم القومي الرأسمالي بدور الدين الجديد بدلاً من الإيديولوجية الدينية، التي أصيبت بالضعف نتيجة للحركة العلمانية، والفرق الوحيد بينهما هو اتخاذ المفهوم القومي بعض المصطلحات العلمية أساساً له، ومحاول الافادة من المعطيات الأخيرة لمفاهيم الأمة والدولة والمجتمع والنظام، إنه يختلف عن الشوفينية العشائرية والأمة، أي شوفينية الجماعة التي تنتمي لدين واحد، لكنه نوع من الشوفينية الحديثة وله علاقة وثيقة بذلك، ويمكن تعريف الشوفينية بالمعنى الذي

تعطيه المجتمعات من خلقها لوقائعها وعبادة تلك الوقائع، إن تعريف القبيلة الصغيرة في عصر المشاعية لنفسها برموز تسمى الطوطم، بينما يحصل هذا التعريف على تغييرات مع تغير المجتمع وتطوره، ويؤدي المجتمع النيوليتي إلى المجتمع الأمومي الأكثر تطوراً وإلى دين الربة الأم، وتطورت عبادة اتخذت الأم والمرأة محوراً لها، واكتسبت خصائص الأنوثة سيادة في المجتمع، وترمز الربات إلى هذه الحقيقة.

إن الظاهرة الحاكمة في المجتمع العبودي هي الدولة، وتشكل الدولة حول المعبد الذي يقوم بوضع وتطوير تعاريف معاني ورموز المجتمع ليتم السمو بها بنحو دائم من حيث أهميتها، وتحاول الطبقة الحاكمة الموجودة أن تكون رمزاً للمزايا الجديدة، والتي لم تكن تتخليلها في الماضي، وتقديماً كدين مهمين على المجتمع، وتم ترتيب الميثولوجيا كتعبير أكثر تطوراً لهذه الجهود، كما تحاول في جوهرها التستر على المجتمع الطبقي، وجعل الطبقة الحاكمة ودولتها متفوقة بمصطلحات ترمز إلى كيانات مقدسة وأكثر طبيعية، وخلق الكادحين في المجتمع كخدم فقط ويستحقون كل عقوبة، وهو من الوظائف الأساسية للميثولوجيات، وتقمص الإيديولوجية الحاكمة بالدور الواقعي الكبير كمسيطرة على المجتمع على شكل شوفينية يجب فهمها كعاطفة، وشكلها المتفان هو الدين، وتحتل هذه الشوفينية الميثولوجية جميع أفكار وعواطف المجتمع وتمنح الطبقة الحاكمة قوة كبيرة، ولهذا يسبب ازداد أهمية المعابد، وكان أول عمل تقوم به دولة المدينة هو إنشاء معبد باهر كمكان مقدس، إذ لا توجد أية مؤسسة تحقق الراحة للنظام مثل المعبد، إن السجون وبيوت الدعارة وبيوت الفن مهمة أيضاً، ولكن لا يمكن أن يصل دورها إلى مرتبة المعبد.

إن الأمة هي المجتمع الديني للعصور الوسطى وتساوي القومية في يومنا هذا، وإيديولوجية الأمة هي الدين، فالمجتمع الإسلامي والمجتمع المسيحي والمجتمع اليهودي يشكل الأمة الإسلامية والمسيحية واليهودية أيضاً، إنما بنى إيديولوجية، ولا توجد فيها اتحادات أثنية فيما عدا اليهودية، ولكن يوجد بينهم تمايز أثني لكونهم دين لطبقة فوقية، إن التعصب الديني يعني الشوفينية باللغة العربية، ويوجد تعصب لدى كل الإيديولوجيات التي لا تتخذ من العلم أساساً لها، لا سيما الشخصية الدينية بالذات كضرورة لطبيعتها، وتستند جذورها إلى المنشأ السومري والمصري، لكنها تتحول كلما غيرت مكائدها، وبالنتيجة تصبح وكأنها لا علاقة لها بأصلها، بل وحتى التستر على جوانبها المتشابهة، أما إنكار الأصل فهو القاعدة، ولا يمكن حدوث العكس لأنه يتناقض مع فرض نفسها كإيديولوجية جديدة ومميزة.

إن المفهوم القومي يستند إلى الأرضية التاريخية نفسها، والأمر المختلف هو بروز الحقيقة القومية بسبب السوق التي خلقتها ظروف الإنتاج الرأسمالي، ويتربع طوطم الأمة أي إله ودين القومية بدلاً من طوطم القبيلة والعشيرة، ويتم الانتقال من الأمة إلى الدين القومي والمفهوم القومي، إن المفهوم القومي ليس هو الدين بالمعنى التقليدي، لكن العلاقات الموجودة بينهما واضحة وتجعل التطورات في الظروف الإنتاجية والمجالات العلمية واتخاذ الانطلاقة الدينية اللون القومي ضرورياً لها.

يمكن أن يؤدي المفهوم القومي دوراً تقدماً في المراحل الأولى لانطلاقتها، كما هو الأمر في كل انطلاقة دينية، إذ عندما تعيش الشعوب التي فقدت هويتها في مخالاب الأمة التقليدية إنبعاثاً ثقافياً بتأثير من المفهوم القومي يكون هذا الدور إيجابياً، وتكمن هذه الظاهرة في أساس إظهار تطور سريع، ولكن تخلف الرأسمالية وتوجهها إلى الاستغلال يؤدي إلى النظر

إلى المفهوم القومي باستصغار للقوميات الأخرى، وإلى اكتسابه طابعاً شوفينياً، وبذلك يخرج المفهوم القومي عن كونه الإيديولوجية الحاكمة لشعب قومية مسحقة ويتحول إلى أداة سيادة للقوى التي تكون في مرحلة الانتشار، ويتم جعلها حجة لكل قتال وحرب ومؤامرة كقوة ديمagogية، مثلاً: نرى عند هتلر وموسوليني بروز هذه الخاصية، فقد جرت محاولة تطبيق أكبر مؤامرة في التاريخ من خلال المفهوم القومي الألماني، وتوجد جوانب مشابهة للمفهوم القومي اليهودي أيضاً، إذ يعتقدون بأنهم خلقوا كشعب الله المختار وتؤدي هذه العقيدة الشوفينية إلى النظر باستصغار إلى بقية المجتمعات البشرية، ويكمن في جوهر كل الشوفينيات مفهوم "إن طوطمي هو أئمن من طوطمك" ولذلك فهي تستند إلى البدائية، فإستناد المفهوم القومي إلى الحداثة لا يعني أنه لا يستند إلى البدائية، بل لا يظهر سوى الشكل الحديث للطوطمية والبدائية، مثل بحث الأديان عن التفوق، مثلما يعكس أيضاً مفهوم العصور الأولى الذي يقول: "إن صمني أكثر تفوقاً من صنمك"، وعندما نتحدث عن الشخصية الدينية للمفهوم القومي فإننا نقصد هذه المسائل.

يجب أن نفهم أن مفهوم الأمة المستند إلى حب الوطن والكيان الثقافي يتميز من حيث الصفة عن هذا الموقف، بل أنه مصاد له، إن احترام الكيانات الثقافية وأن نكون وطنيين هو أساس للمفهوم الإنساني، فالإنسان الذي يفقد الشعور الوطني ولا يحترم الكيانات الثقافية، يعني انسلاخه عن التاريخ والواقع الاجتماعي، والإنسان الذي ينسلخ عن الواقع الاجتماعي والتنظيمي هو الذي يجب أن ننتظر فيه الخطر، فمن الصعب على هؤلاء أن ينتجوا قيماً ذات معنى أو أن يعبروا عنها.

إن إقامة رابطة بين المفهوم القومي والتآمر ليس صعباً، لقد لجأ هتلر إلى أساليب التآمر، عندما كان يستعد للحرب العالمية الثانية، واستخدم نَجح التآمر عند وصوله للسلطة وابتداء الحرب أيضاً، فقد احتضن سلاح التآمر القومي من أجل التستر على خداع الشعب في الداخل والتوسع في الخارج، فالتآمر هو السلاح الأكثر تأثيراً بين السبل الرخيصة، ويواصل العمل الممتاز الميثولوجي للرهبان السومريين تقدم ثماره على شكل المفهوم القومي بنحو مستمر، وشكل الإنتاج الذي يأتي فيما بعد هو إيديولوجية الاشتراكية المشيدة، بل أن الاشتراكية المشيدة تشبه إيديولوجية المعابد السومرية أكثر من غيرها، وتشكل كلا الإيديولوجيتين اشتراكية الدولة كإيديولوجية مجتمع دولة مركزة، ويقول آخر إنهما يشلان العبودية، وطالما كانت الدولة موجودة فإن أشكال الإنتاج الموجودة حولها لن تتخلص من تمثيل الجوهر نفسه، ابتداءً من السومريين وحتى السوفيات، ولن تتردد عن خلق نفس التأثير العبودي على المجتمع، كما لا يمكن أن توجد الدولة والاشتراكية مع بعضهما بالمعنى الطبقي، فإذا كان أحدهما موجوداً يجب أن يكون الآخر غائباً، أو يجب أن يمر بتغيير جذري، لقد أظهرت الاشتراكية المشيدة كلما أصرت على اشتراكية الدولة على أنها مؤامرة ونظام الأعباء بشكل لا يصدق عند مرحلة سقوطها، ويكمن هذا الواقع في نط دولة الكهنة السومريين، حيث يوجد في أساس كل الدول ميثولوجيا الكهنة السومريين من الناحية الإيديولوجية.

إن الفرق بين ميثولوجيا الكهنة السومريين والقوالب الإيديولوجية للاشتراكية المشيدة هو فرق شكلي وليس جوهري، إن كل الإيديولوجيات التي تعد ذات جذور تلهث وراء تحقيق السيادة على الذهن والعواطف من أجل تحقيق الحكم على الفرد والمجتمع بنحو أسهل، واستخدامها العلم والفلسفة أكثر من غيرها لا يمنع اعتمادها على الأساس نفسه وقيامها بالمهمة نفسها، بل أن الإيديولوجية التي تستخدم العلم تزداد خطورتها أكثر من غيرها، لم تكن الميثولوجية

السومرية مدمرة أكثر من فاشية هتلر، والإيديولوجية القومية هي سرطان عصرنا وتؤدي إلى مرض قاتل عند كل شعب تتمكن منه، إن كانت على الشكل السوفيياتي أو بشكل شوفينية اجتماعية، والحل لا يكمن في الاستخدام القليل أو الكثير بل يكمن في التخلي عنها بنحو كلي، كما يجب مكافحة هذا النوع من الإيديولوجيات وليس بالاكتماء بالتخلي عنها، كما لا يمكن لعالم فكري وروحي تعرضاً لهذا المرض أن يحقق سلامة الوطن والمواطنين من دون القيام بنضال من أجل تنظيف نفسه، والسبيل الوحيد إلى ذلك هو حب الوطن واحترام الكيانات الثقافية وحب البشرية بنحو عميق وتحقيق المبدأ الإنساني.

لقد وجد المجتمع الكردي نفسه أمام كمين المؤامرة القومية في القرنين الماضيين، في حين لم يتخلص بعد من مصيدة الميثولوجيا ودين العصور الأولى والوسطى وكان لا يزال في صراع معها، كمن يهرب من المطر فيتعرض للثلج والبرد، وتسابقت مراكز المفهوم القومي من الداخل والخارج إلى إعداد فرمانات قتلهم، حيث واجه ألعاب ومؤامرات القوميين البدائيين الأرمن والآشوريين الذين يعيشون بينهم، وكأن مؤامرات القوميين الإنكليز والفرنسيين والألمان في الخارج لم تكف وكذلك عملائهم القوميين الأتراك والعرب والفرس الموجودين في محيط الشعب الكردي قاموا بذلك، فعلى من سيتمكن الشعب الكردي؟، عصر الكوارث سيحل عليه بنحو غير متوقع ليتلاعب به، بينما تقول القوميات الحاكمة: "لا يمكنك إلا أن تكون تركياً أو فارسياً أو عربياً"، أما الأقليات القومية فتقول: "نحن الأصحاب الأصليون لهذا المكان"، وكانت حسابات القوميين لدى الأمم الكبيرة تقوم على أساس "أين وكيف نستخدم الكرد كورقة؟"، أما القوميون المخلصون البدائيون فقد كان همهم الوحيد هو بيع أنفسهم بخمسة قروش كآخر سلعة بقيت لديهم، لا يمكن لشعب أن يكون معرضاً لفواجع أكثر من ذلك، وربما تعرض للعنات لا مثيل لها في التاريخ.

يمكننا إظهار عصور التآمر القومي على عدة مراحل بنحو أفضل:

أ. "مرحلة ١٨٠٠ - ١٩٤٠" هذا العصر يتضمن لعبة ضمن لعبة، ونرى فيه تأثيراً قومياً إقليمياً بدائياً وضعيفاً، ويتم تمثيله من قبل الإمارات ورؤساء العشائر والشيخ، بينما كانت الإمبريالية البريطانية تكمن وراء الأنظمة والأرضية العملية التابعة لها في المنطقة، ووضعت سياسة "فرق تسد" قيد التنفيذ لأجل الوصول إلى تبعية الأقلية المسيحية والعرب وجنوب إيران لها، كانت الإمارات والعشائر الكردية تتعرض للتحريض للضغط على العثمانيين ونظام إيران، إضافة إلى إرغام الأقلية المسيحية من أرمن وآشوريين، وتمكنت بريطانيا التي استفادت من هذا الوضع بربط العثمانيين والنظام الإيراني بنفسها بنحو أوثق، وأظهرت نفسها حامية للأرمن والسريران، وكان الكرد ضحية لهذا الوضع، فقد كان ازدياد التمرد يعني ازدياد الاحتلال والاستيلاء والنفي، حيث يتم قتل زعماء التمرد أو إخضاعهم، بينما الشعب لا يفهم شيئاً مما يدور حوله، يرى نفسه وسط حصار ونهب من كل الأطراف، وهكذا نرى أن التمردات ابتدأت من تمرد بابان زادة عبد الرحمن باشا من السليمانية في الجنوب ١٨٠٦ حتى تمرد السيد رضا رئيس عشيرة كوج أو شاغي في ديرسم في كردستان الشمالية ١٩٣٨، قد كلفت الشعب الكردي غنائم باهظة، ولكن لم يتم حساب الخسائر، لم تستند التمردات لأي مفهوم استراتيجي أو تنظيمي أو خطط عمل، بل كان يتم إعداد المؤامرات حولها، في حين كانت كل قوة ذات علاقة تلهث وراء مصالحها، وليس هناك عقل كردي في الميدان، له بيكوات كثيرون، ولكنهم فاقدوا العقول، وفي هذا الوضع لا يبقى أمام الشعب خيار سوى الاهتمام

بإنقاذ روحه، فهو على شكل مجتمع ممزق ويخضع لممارسات قمعية من تهجير قسري وتحويله إلى أفتان كمجتمع مشتت، أما طبقته الحاكمة فلم تهتم بأية مشكلة من مشكلاته، بل كانت تسعى وراء العلاقات التقليدية والمصالح الأسرية.

إن المفهوم القومي التركي والعربي والإيراني التابع والمزدهر في الشرق الأوسط حديثاً، يمتلك مزايا كثيرة مقارنة بالمفهوم القومي الكردي البدائي، فالقوميات المذكورة تمتلك قوى دولة حتى ولو كانت بدائية وأحزاب قومية قوية، وتمتلك طبقة برجوازية صغيرة قومية نامية، أما مراكز القومية البدائية الكردية فهي ضعيفة جداً، بينما القوات العشائرية قد فقدت قوتها وطاقاتها، وتمت إزالة الإمارات الكردية القوية، وبوصلنا إلى نهاية هذه المرحلة نرى أن ضحايا المؤامرة القومية يواجهون مرحلة التصفية والمأساة، كما كانت الحركة القومية الأرمنية تتعرض لمجازر كثيفة لتترك أراضيها وتعيش في الخارج، ويكون قدر الآشوريين الذين هم أحد أقدم شعوب المنطقة مشابهاً لقدر الأرمن، ويتحولون إلى شعب يعيش في المنفى بعد المجازر والنزوح، ويترك الروم وطنهم الأناضول الذي عاشوا فيه على مدى ثلاثة آلاف عام للأسباب نفسها، أما الكرد فهم يشهدون إسكاناً إجبارياً ويقيمون في أماكنهم فيزيائياً فقط، كمجتمع مزعزع، وربما كانت فائدة الإسلام الوحيدة لهم هي البقاء في مكائهم، ولا يمكن القول بأن وضع الشعوب الأخرى كان أفضل من ذلك.

يعيش الأتراك والعرب والإيرانيون والشعوب المسلمة الأخرى أفقر وضع لهم بعد أن فقدوا كل شيء في الحروب التي خاضوها، بسبب المفاهيم القومية ولا سيما المفهوم القومي للاتحاد والترقي الذي أدى إلى ملايين الضحايا من أبناء شعوب الشرق الأوسط، وهو المسؤول الأكبر عن أوسع دمار تعرضت له المنطقة، إن المفهوم القومي العربي والإسرائيلي على وشك التآكل، وتحوم القومية على أفق المنطقة كالسحب السوداء، بينما تتم تصفية بعض أقدم الشعوب في التاريخ في عصرنا هذا، أما الشعب الكردي فإن جروحه بليغة، بينما الشعوب الأخرى أي الأتراك والعرب والإيرانيين فتعيش في أتعس وضع، لقد كان ميراث المفهوم القومي للشعوب هو السبب في هذه الحقائق المأساوية والدامية والتصفوية.

ب. مرحلة الأحزاب الديمقراطية الكردستانية ١٩٤٠ - ١٩٧٥: إن الطبقة الكردية الفوقية التي تسعى لاكتساب القوة وتحقيق مصالحها، قد تأثرت بظروف الحرب العالمية الثانية والتطورات الجارية في العالم، ولذلك حاولت إعلان نفسها كمنظمة ذات مفهوم قومي وبرجوازي تهدف إلى تحقيق حكم ذاتي، وشاركت الأوساط الإقطاعية والبرجوازية الصغيرة في هذا التنظيم، بينما كانت القوى الإقطاعية هي الحاكمة على الأغلب، ولذلك لم يستطع التنظيم النجاح في تأسيس تنظيم بمفهوم قومي حديث، حيث أرادت هذه الطبقة تحقيق حكمها الذاتي اعتماداً على معسكر الاتحاد السوفيتي الذي اكتسب مكانة مهمة في العالم، ونظراً لقيادة الطبقة الإقطاعية كان لا مفر من دخولها تحت تأثير بريطانيا وأمريكا كأقدم قوتين إمبرياليتين في المنطقة وكضرورة للبنية الطبقة لهذه المجموعة، بالإضافة إلى أن هذه الطبقة دخلت تحت الإشراف الإسرائيلي تلك القوة المتصاعدة حديثاً، بينما الإمبريالية التي كانت تتخوف من الأحزاب المتعاملة مع الاشتراكية المشيدة ومن التيارات القومية اليسارية المتطرفة التي بدأت بالازدهار في ذلك العصر رأت أن إعطاء مهمة الإشراف على القوة الكردية الكامنة إلى الأحزاب المسماة بالحزب الديمقراطي الكردستاني أمر يتناسب مع مصالحها، حيث قامت هذه الأحزاب بمهمة مانع الصواعق في ابتلاع الطاقة الثورية، ولم تر الحركة الثورية التي تبرع في صدر الشعب الكردي مناسبة متوافقة مع مصالحها، ولهذا قامت هذه الأحزاب بوضع الكرد تحت إشرافها من أجل تربيته وتحويلهم إلى أدوات للترويض، بينما قامت الدول المجاورة بحماية

هذه الأحزاب من أجل الإشراف وفرض الرقابة على القضية الكردية للأفاداة منها، وكانت هناك رغبة في إعداد أسياذ برجوازيين من العشائر القديمة وعائلات البيكوات في بداية عصر اليقطة القومية للشعب الكردي، فقد كان جوهر المؤامرة الجديدة يستند إلى الإشراف على الكرد من خلال الأسياذ البرجوازيين الذين يتم إصطناعهم، إن جعل الشعب الكردي محروماً من قيادة شعبية ثورية قادرة على محاسبة العملاء كان أحد الأهداف المهمة لهذه المؤامرة.

وهكذا تم قتل سليمان معيني القائد الثوري للأكراد في إيران وسعيد قرمزي توبراق قائد التيار الثوري لأكراد تركيا، وكثيراً من الثوريين الكرد من خلال المؤامرات التي تم تطويرها بقيادة البرزاني، ومن خلال هذه الأحزاب قاموا بالتجسس في كل أجزاء كردستان كصيادي حجاج من أجل عدم ظهور قيادة أو تنظيم ثوري مستقل، لم يستطع أنصار الحزب الديمقراطي الكردستاني تشكيل قيادة كردية وطنية ثورية بسبب المؤامرة التي أدت فيها قيادتهم الدور الأول، رغم تقدم القيادة الثورية أمثلة ناجحة في حركات التحرر والنضال الديمقراطي في جميع أنحاء العالم، فقد كان الهدف الأساس للمؤامرات والألاعيب هو جعل الشعب الكردي خاضعاً لسيادة المنتمين إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني القومي المزيف، وإبعاده عن قيادة كردية وطنية ثورية، وجعل التنظيم الاشتراكي المشيد مشلولاً كنتيجة طبيعية لذلك الوضع، فقد كان ذلك أهم دور أنيط به إلى قيادة هذه الأحزاب.

يمكن وصف هذا الدور بالقول: "إنني لن أقوم بالمهمة الوطنية الديمقراطية ولن أسمح لأحد أن يقوم بها"، هذه هي الخصوصية الموجودة في هذه الأحزاب والعمالة الكردية، إذ أنها لا تكتفي بتنفيذ أوامر قوة واحدة فقط، بل نراها تعد تصفية الجهات التي قد تحاسبها من خلال كل أشكال المؤامرات، وقبل أن يقوم العدو بذلك تقوم هي بتصفيته وترى في ذلك مهمة تقع على عاتقها، إن تحولهم إلى عناصر أكثر تحلفاً في الشرق الأوسط يعود إلى هذه الخصائص البنيوية، ومحاربتهم لحزب العمال الكردستاني نابع من هذه الخصائص أيضاً، إن السبب الأساس لحربهم ضد حزب العمال الكردستاني هو الخوف الذي يشعرون به، وهو نابع من عدم سماح أوضاعهم بتقدم تبرير وكشف حساب للشعب عما اقترفت أياديهم فيما إذا تم الكشف عن وجههم الحقيقي، إن تخلص الشعب الكردي من ذهنية وقوى التآمر القائمة منذ ألف سنة مرتبط بتقييم ناتج هذه الحرب بنحو صحيح ومن قرب، والإعراب عن تمسكهم بخيار الحرية بطريقة سليمة.

ج. مرحلة ١٩٧٥-٢٠٠٠: إن هذا العصر هو عصر بزوغ فجر الحرية وحزب العمال الكردستاني، ويمكننا القول أنه لا توجد أية حركة اجتماعية تعرضت للخيانة والمؤامرات الداخلية والخارجية مثل حزب العمال الكردستاني، إن الحرب التي تم خوضها ضد الإيديولوجيات القومية والشوفينية الاجتماعية، تعد الخاصة الأساسية لهذه المرحلة، والهدف الأساس يتعلق بحاجة الشعب إلى القيادة، ولهذا لم يتورعوا عن القيام بكل الألاعيب السياسية في كل أنحاء العالم عندما فقدوا السيطرة على الشعب الكردي لأول مرة في التاريخ، إن النضال الدائر على الجبهة الإيديولوجية سيحدد نوعية وكيفية هوية القوة التي تعتمد على الشعب وتقوده.

كان المفهوم القومي للقوميات الحاكمة في المنطقة يواصل تغذية العناصر الكردية التقليدية العميلة في هذه المرحلة، ويحافظ عليها بجانبه كقوة احتياطية، وكانوا يواصلون سيادتهم وسيطرتهم على الذهنية المتبقية منذ العصور الوسطى من خلال الطرق الدينية، ويستخدمون المؤسسات السياسية الحديثة بنسبة تأثيرها، والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والفنية والرياضية وفي مقدمتها الأحزاب السياسية في سبيل الحيلولة دون اكتساب الشعب للذهنية الحرة قدر الإمكان، لتوفير

إمكانية التوجيه والتحفيز بحسب رغباتهم ومصالحهم، لأن إفشال وحدة الذهنية الحرة المحتملة للشعب من خلال المفهوم القومي للقومية الحاكمة والمفهوم القومي البدائي ومن خلال التآمر المتعدد الجوانب والاتجاهات، لقد كان هذا هو الهدف الأول لهم، وجهودهم الكبيرة التي بذلوها من أجل تحقيقه.

أما القوى العالمية كالولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي فقد كانت تجري حساباتها حول مستوى تأثيرها من خلال الورقة الكردية، وكانت تمارس سياساتها بحسب ذلك، وعندما تم اكتمال سلسلة التآمر في كل أنحاء العالم حول حزب العمال الكردستاني، اصطفت القوى التاريخية والحالية حول الظاهرة الكردية، وانشغلت كلها بكيفية تحديد المكان الذي ستضرب منقارها فيه "كالغريبان التي التفت حول الجثة".

ب. حقيقة المؤامرة التي تعرض لها حزب العمال الكردستاني

إذا بدأت المنظمات ذات الأساس الاجتماعي بالاستقرار على جذورها عن إيمان ووعي، فإن ذلك يعني أن هذا المجتمع يحقق إنبعثاً تاريخياً من جديد، ويعمل بكل علاقاته وتناقضاته لإيجاد حياة تحت ظروف جديدة، وبهذا المعنى فإن كل تنظيم يعد تدخلاً اجتماعياً، وفي بداية ظهوره يقوم باستحواض ومحاكاة أشكال الحياة القائمة كافة، ففي الوقت الذي يتحد فيه مع الأشكال التي تتوافر لها فرصة الحياة، في سبيل خلق أشكال جديدة تحارب الأشكال التي لا تملك فرصة الحياة بضراوة وبجوانب متعددة، ويمكن أن يمتد الصراع إلى الكثير من المجالات على البعد الإيديولوجي، وحتى اللجوء إلى العنف لأن العملية هي عملية بقاء أو موت، وعبور العملية بنحو مؤلم ودموي وبخاصة في ظروف الانطلاقة أمر لا بد منه، وفي نهاية الحرب المدمرة يظهر الشكل الذي يمتلك القدرة على الحياة ويذهب الشكل الذي لا يمتلك هذه القدرة، فإذا تم خوض النضال بالعمق الكافي وبالنحو الصحيح في هذه المراحل التي تسمى بالأوقات الثورية يتم القضاء على الجوانب التي يجب تدميرها، وتبقى عملية البدء بتحديد المجتمع، وتعد هذه المرحلة من أكثر اللحظات التاريخية حساسية، ومن الأهمية البالغة أن تتم بمنتهى الدقة ودون أخطاء، بل إن أكبر الأخطاء ومن ثم الهزائم المأساوية في التاريخ هي التي تحصل في هذه اللحظات، بينما باستمرارية ظروف المرحلة نفسها وعدم إعطاء الأجوبة الكافية على ظروف المرحلة الجديدة ينعكس على شكل تهميش نوعي وعلى شكل طرق رجعية، فإذا لم تشكل المنظمة الثورية أجوبة إيجابية في هذا الوضع، فهي لن تستطيع التخلص من التهميش ذاته أو من التحول إلى أشكال طرق دينية، وتعني كل هذه المراحل أن الحقائق كافة التي شهدتها المجتمع على مدى التاريخ وفي وقت عنيف جداً ولحظي بكل بطولاتها ودناءتها وبكل صحتها وانحرافات المتآمرة وبكل جمالها وقبحها، تنتشر من جديد بقوة وفي مدة زمنية قصيرة وكأنها تنبعث من قبرها من جديد.

إن هذا التعريف العام بشأن التدخلات الاجتماعية تعمل على تحديد الواقع الاجتماعي في الشرق الأوسط بمزايا أكثر خصوصية، إذ أن نقل طراز تشكيل تنظيمات الحضارة الأوروبية كما هي إلى هذا المجتمع، يتضمن مخاطر كبيرة لعدم التقائها وعدم انسجامها مع الجذور، فمثلما لا تحتمل كل تربة جميع الثمار والمنتجات فإن كل ثقافة قد لا تحتمل منتجات وثقافات المجالات المختلفة، ولا يمكن أن تتم عمليات الزراعة والحراثة والحصول على الإنتاج دون إبداء الاهتمام بالخصوصية ودون تطبيق ما هو ضروري.

ومثلما تبين معنا من تقييماتنا نرى أن مجتمع الشرق الأوسط عبارة عن مادة مصنوعة من خليط متمايز ومختلف، وهو خليط ثقافة فقدت قدرتها على الإبداع منذ ألف سنة الأخيرة، على الرغم من أنها شكلت منبعاً ومصدراً للثقافة العالمية، وقد انتقل الدور الإبداعي إلى أوروبا بفضل هذه الجذور، لقد بات التراب المتعب والثقافات المتعبة شبه ميتة وغطت في سبات عميق، أما أوروبا فقد باتت أكثر إعجاباً وغروراً بنفسها وخاصة منذ عام ١٥٠٠، وكأن العالم قد بدأ بها، وواصلت سيرها وكأنها مركز العالم وراحت تخلق جهنم وجنات كما يناسبها، ولم يكتف هذا النموذج الراهن الحديث الذي وصل إلى مرحلة الاكتفاء حديثاً ولم يحترم جهود الأجداد بعدم اعترافه بالمنبع الشرق أوسطي، بل لم يتردد لحظة في شن حملة لتشويه صورته والاستهزاء به.

وكلما كانت أوروبا تواصل خلق نفسها ومؤسساتها وكلما كانت تقوم بحملات توسع وسيطرة على العالم كانت تحس بوقوع مهمة قبول هذه الحقيقة كما هي على عاتق الجميع، وكان من الممكن أن يتم قبول وجهة النظر هذه في المناطق الأخرى من العالم كافة، ولكن كان من الصعب أن ينفذ ذلك كما هو على مجتمعات الشرق الأوسط، فالذين أبدعوا الحضارة كانوا لا يزالون في أماكنهم بالرغم من تقزمهم وحتى لو تم قتلهم بالكامل، فإن ثقافتهم التي تم مثلها في كل بقعة على الأرض تفرض خصوصياتها، ولم تكن توفر الفرصة لأوروبا للسيطرة عليها بعد أن توافدت إلى المنطقة على نحو موجات، فقد كانت أوروبا تتحطم وتتجزأ ولذلك لم تستطع أن تتخلص من حساب قوة ثقافة المنطقة، مع أن منطقة الشرق الأوسط لم تكن تقاوم القوة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية للمجتمع الحي، وإن حاول مقاومتها فلم يكن يملك أية فرصة للانتصار، لأن مقاومتها كانت بتعليم الحضارة والثقافة القديمة التي اكتسبت ميزة وراثية، وكانت النتيجة نفسها صحيحة بالنسبة لتوسع نظام الاشتراكية المشيدة، حيث لم تستطع أوروبا يمينها ويسارها أن تتخلص من فشلها في الضغط على الشرق الأوسط، ولم يكن هناك أي نجاح أو انتصار يذكر للشرق الأوسط ذاته، ولكنه لم يصل إلى المستوى الذي وصلت إليه دول أفريقيا وأستراليا وأمريكا الجنوبية على الرغم من أنه لم يصل إلى المستوى الذي وصلت إليه اليابان والصين أيضاً، والشيء الوحيد الذي نجح فيه الشرق الأوسط هو عراقته واعترافه أنه لم يستطع أن يتخلص منها حتى لو رغب في ذلك، وقد كان الصراع العربي الإسرائيلي، والصراع الإيراني العراقي، وصراع الكرد مع الجميع عبارة عن بوادر مختلفة لحقيقة هذا الاعتراف.

ففي حين بقي امتداد الثقافة الإيديولوجية والسياسية اليسارية منها واليمينية الموجودة في جميع تكوينات الثقافة الأوروبية قديمة وغير مثمرة عند انتقالها إلى الشرق الأوسط، بقيت اشتقاقات النزعة الإسلامية التي تطورت كشكل من أشكال رد الفعل على هذا الامتداد الأوروبي، والتي أرادت أن تكون جواباً للرد عليه من خلال مزيج من إسلام النظام الإقطاعي في العصور الوسطى مع المصطلحات الرأسمالية، بعيدة عن تكوين الرد الذي يتميز بخصوصية ما، بينما كل الذي حدث لم يكن أكثر من حلقة مفرغة أو تقليد بسيط، فبالإضافة إلى أن الخصوصية ضرورية جداً لأجل تكوين اطروحات مضادة لاطروحات الحضارة الغربية، كذلك هي ضرورية من أجل عملية خلق جديدة، وكان لا بد من أن ينعكس التخلف الذي جمع النظام الرأسمالي مع العملاء المحتملين على التراب الذي صار مهداً للمؤامرات في هذه المرحلة على شكل حقيقة حركات ومنظمات وشخصيات مشوشة ومضطربة، يصعب تعريفها ولا يمكن التمييز بين العدو منها والصديقة، والمتغيرة والمبتدلة كالحرياء بحسب المكان الذي توجد فيه، كثيرة الكذب والمؤامرات، تصدق قليلاً وتكذب

كثيراً، وضمن هذه الشروط إذا قلنا منذ البداية: "إنني أسير الى الأمام على خط مستقيم"، فإننا نخدع أنفسنا كثيراً، فهذا القول قد يتفوه به عضو في طريقة دينية متطرفة، وقد عرف التاريخ نماذج كثيرة منها، إذ أن المحافظة على التوازن وتحقيق الاستمرارية في الوقوف يحتاج لأكثر قدر ممكن من المهارة، خاصة وأن القول: "إن هذه الأرض مهد الإنسانية"، ومن ثم الادعاء بأنه "لا يمكن تركها بمجزل عن أبنائها وبناتها الحقيقيين"، وتحدث ثلوث في جميع الطبقات وأنواع الحضارة من دون التحلي عن الخصائص الأساسية لهذا الكائن الذي يسمى بالإنسان، تحتاج لقوة تحمل وقدرات تفوق معايير العصر.

وفي ظاهرة حزب العمال الكردستاني يوجد ادعاء إنساني من هذا النوع من حيث الجوهر، وأريد له أن يبقى سليماً ومختبئاً في زاوية ما، واعتماد حزب العمال الكردستاني على الظاهرة الكردية وجعلها أساساً لهذا الادعاء كان عملاً واقعياً وصحيحاً، فإذا كان المراد هو استمرار الحقيقة الكردية في الحياة، فإن ذلك أمر ممكن بتحديد نفسه كإنسان جديد وشامل، إذ أن الإنسان في الظاهرة التي تسمى الكردية موجود في الحضيض الذي وضعته فيه الطبقة المستغلة والمهيمنة، وهذا موقف لا يوجد أكثر انحطاطاً منه، إذ لم يبق لديه أي شيء لم يفقده، حتى أن سلاسل نظام العبودية قد استعبدت منه، وهذا هو حكم من يقبل أن يعيش حياة العبودية مثل الحمار دون الحاجة للسلاسل، لأنه قد اعتاد عليها، وإذا تمت المحاولة بنحو صحيح مع هذا الإنسان فإنه سيكون بمثابة أداة راقية المستوى لم تتلوث بوسخ وقذارة الطبقة والجنس، وحتى لو تلوثت فهناك احتمال كبير جداً وأن يكون إنساناً قابلاً للنظافة دون إظهار عناد كبير.

زعم حزب العمال الكردستاني أثناء ميلاده بأنه سيجسد في شخصه العلاقات والتناقضات التي تضمنتها الأحداث التي شهدتها الشعب الذي لم يستطع الخروج من الحضيض على مدى التاريخ وسيحلها، بالرغم من كونه مهداً للحضارة على ضوء الحقائق المعاصرة السائدة، تم القيام بذلك ولو بنحو محدود كما ظهر في التقييمات التي أجريتها، ولكن الأمر الأكثر سخونة هو الذي سيظهر خلال مرحلة حياة حزب العمال الكردستاني، حيث أن العصر والتاريخ سيجبران على إحياء جميع الخصائص الموجودة في الظاهرة الكردية بأهدافها وممارستها ونواياها الحسنة والسيئة ووجهها القبيح أو الجميل، وحقائيقها وأخطائها، إخلاصها أو تأمرها، في واقع حزب العمال الكردستاني مرة أخرى، فإما أن يدخل الشعب والإنسان الحر إلى طريق الحياة، أو سيكون مصيره الموت، وأي مفهوم أو موقف آخر سيكون أكثر قذارة من الخيفة، ولن يستطيع تطهير الحياة اللعينة القدرة، و تقييم تاريخ حزب العمال الكردستاني ضمن هذا الإطار سيكون مفيداً جداً.

١ . من الولادة وحتى الإعلان الرسمي

إن هذه المرحلة التي امتدت من عام ١٩٧٠. ١٩٧٨ تعبر عن توافر النوايا بتطبيق المبادئ التقدمية المعاصرة تحت شعار "أنا أيضاً موجود" على كيانها الاجتماعي اعتماداً على ما تبقى من الإنسانية فيها، وقد تأثرت بالكثير من الشخصيات والمنظمات التي نشطت تحت اسم الطبقة العاملة في تركيا في تلك المرحلة، وقد كانت تسمع مزاعم الكرد القوميين البدائيين ضمن هذه الأجواء، وصلت نضالات الشعوب التحررية على المستوى العالمي في تلك المرحلة إلى نقطة الذروة، فإذا كان الإنسان مسحوقاً ولا يخوض تجربة فرصته في الحرية يعني أنه يخون الإنسانية، ولكن إذا كانت الظاهرة التي

تعرض للسحق والقمع هي الظاهرة الكردية فإن ذلك يعني ان البقاء من دون دعم في صحراء قاحلة أمراً طبيعياً، وكأنه لم تبق أية مؤامرة أو خيانة أو عمالة لم يجربها طوال التاريخ، فما هي القيمة التحررية لشعار الحرية الذي يطلقه مجموعة من الشباب؟، لقد وصل الكرد إلى حالة مجتمع لا يملك أية طموح حول موضوع الحرية في العالم، والأسوأ من كل هذا هناك الطبقة المتأمرة والعميلة التي يندر وجود مثيل لها في العالم والتي ترسخت كمن يقوم بمهمته في كل زاوية، فهناك عقرب أو أفعى تحت كل صخرة وبالرغم من ذلك لم يكن يتردد لحظة في محاولة إنشاء حركة معاصرة مشابهة بحركة عيسى المسيح، إذ أن نقاط التشابه ملفتة للنظر فعلاً، فحركة الأسينيين وحركة الطبقة العاملة تحلان خصائص متقاربة، وهناك تشابه كبير بين "يوحنا المعمدان" وبين الداعين للاشتراكية، أما الجانب الأكثر غرابة فهو أن المجموعة التي شكلت حزب العمال الكردستاني كانت حوالي اثني عشرة شخصاً، وكان يحتمل وجود شخص أو اثنين من المخبرين بين صفوفهم.

لم تكن هذه المجموعة على درجة عالية من الوعي والتنظيم، أما الجوانب المميزة لهم فهي الإخلاص والمنبت الفقير، والمجتمع يثمن هذه الجوانب فيهم ويشكل قاعدة لهم، وغلب على نمط نضالهم جانب الدعاية الشفوية، حيث عملوا على نشر البلاغات والمنشairs بنحو محدود، ولو لم يقتل "حقي قرار" في مؤامرة تم ترتيبها ضده في عام ١٩٧٧ وهو من أصول تركية من سواحل البحر الأسود ويعد من أكثر أعضاء المجموعة إخلاصاً وتضحية، لكان من الممكن أن لا تتوجه هذه المجموعة إلى طريق التطرف، وهنا أيضاً توجد نقطة تشابه لافتة للانتباه، فمثلما أدى صلب النبي عيسى إلى تقوية إيمان وعزيمة الحواريين وإلى انتشارهم في كل مكان، كذلك أدى مقتل حقي قرار إلى النتيجة ذاتها، فقد أصبح المعيار الرئيس للالتزام بذكرى الشهيد هو مزيد من التصميم والانتشار في كل مكان، ومهما كانت النتيجة الخاصة بالتشتيت للمؤامرات قوية، فلا يمكن التقليل من تأثيرها الغالب على صعيد التحول إلى التطرف، ففي موضوع حزب العمال الكردستاني أدت أول مؤامرة دوراً تاريخياً في مواضيع دعواه وجديته وغوه، فلو لم تحدث هذه المؤامرة لأخذ موضوع الشكل الذي يجب أن تتخذه هذه المجموعة قيد النقاش، ويعد اسم حزب العمال الكردستاني وبرنامجها النتيجة المباشرة للالتزام بذكرى حقي قرار و أدت إلى الإعلان عن الحزب.

فعندما كان حقي قرار على قيد الحياة، لم يكن الإعلان عن البرنامج وبناء الحزب والاحتراف وارداً ولا مطروحاً في جدول الأعمال، بينما كانت العفوية هي المسيطرة، ومن حيث الشكل لم يكن مختلفاً كثيراً عن بقية المجموعات، بل وأكثر من ذلك لقد كانت أكثر تشتتاً وكانت محط السخرية من طرف الكثير من المجموعات بما فيها قوى الأمن، فحتى التسرب الجاد الأول الذي حدث بـ "نجاتي قايا" الطيار من آغري، كان يستهزئ كما نذكر، لقد أنهت حادثة حقي قرار مرحلة المرونة التي كانت تعيشها هذه المجموعة، وشكلت النقطة الأساسية التي أدت إلى الإعلان عن التحول إلى حزب، وهذه المؤامرة أدت إلى اتخاذ خطوة تاريخية وتشكيل حركة شعبية لا يمكن التراجع عنها، فلو لم يتعرض النبي محمد لخطر الموت لما فكر بالهجرة من مكة في آخر لحظة، وعندما فرضت خطة القتل نفسها أدت إلى الهجرة بنحو حتمي والتي تعد حجر الأساس في تاريخ الإسلام، ولو لم تحدث الهجرة لكان تطور الإسلام بهذا النحو، وكذلك حادثة صلب عيسى كانت سبباً لتحولات وتطورات ما كانت لتحدث لولا الصلب.

إن من يقوم بالمؤامرة كتقليد في الظاهرة الكردية تعود إليه الفائدة والريح، بل وأكثر من ذلك أنه يفتح الطريق أمام مرحلة انتقام دموية، ويمكن التفكير بالتأثير المساعد على تجسيد المؤامرة على أنه طريق للتأثير على المجتمع، وضمن هذا

المعنى أيضاً كانت مؤامرة شهادة "خليل جاوگون" في حلوان عام ١٩٧٨ قد حدثت، وكانت تهدف إلى تشتيت وتفتيت المجموعة التي أظهرت تطورات كثيرة في حلوان، ويجب أن نوضح هنا بأن وجود الدولة في هاتين المؤامرتين أو عدم وجودها لم يؤثر على النتيجة، ولكن التحديد الأصح هو أن الدولة كانت في مستوى لا يمكنها أن تتجاوز هذا الموقف، فكما جرى في حادثة موت النبي عيسى، حيث أُلقيت بمسؤولية موته على الكهنة اليهود الرجعيين المحليين المتآمريين، كذلك من الأفضل تحميل مسؤولية هاتين الجريمتين للرجعية المحلية، فقد أدت مواقف العصابات المتآمرة التابعة للرجعية المحلية دوراً أساسياً في أثناء تشكل حزب العمال الكردستاني، وتبدأ مرحلة طويلة من الصراع بين حزب العمال الكردستاني وهذه العصابات المحلية التي أخذت مظهر اليمين الفاشي حيناً والشوفينية الاجتماعية اليسارية حيناً آخر، ولم تكن للدولة موقف واضح، إذ لم تكشف عن مواقفها، حتى ذلك الوقت، فلقد كان المتآمرون المحليون يتبعون الأساليب كافة بما فيها اقتراف الجرائم كي لا يفقدوا السيطرة من أيديهم، وكان طريق عدم فقدان السيطرة على الشعب يمر عبر الحرب ضد مسار حزب العمال الكردستاني، كما لم يتأخر الحزب الديمقراطي الكردستاني صاحب التجربة العميقة في هذا المجال، عن إدخال يداؤه في العمل، وفعلاً تم إثبات أن علاء الدين قبان الذي قتل الشهيد حقي قرار هو أحد عناصر مجموعة "الأجزاء الخمسة" الموالية للحزب الديمقراطي الكردستاني، بل أن هذا الحزب كان وراء حركة "KUK" المحررون الوطنيون لكردستان"، التي اقترفت جرائم متنوعة ضمن الجرائم الأولى التي نفذت ضد حزب العمال الكردستاني.

وسيريز الحزب الديمقراطي الكردستاني بمهمة أساسية في هذه المرحلة ليقوم بقمع نمو المجموعات الثورية الوطنية بواسطة منظمات عميلة مشابهاً موجودة في جميع أنحاء كردستان نيابة عن الإمبريالية من جهة وعن أنظمة الأمم الحاكمة الإقليمية، ولأجل إبقاء الساحة تحت سيطرتها من جهة أخرى، ولم يكن يعطي المجال للانطلاقات الثورية الديمقراطية الموجودة في أجزاء كردستان كافة، وكان نهجه الأساس في هذا التوجه هو تحويل تنفيذ المؤامرات في كل مكان إلى حالة يومية، وبهذا النحو لن تستطيع الحركات الوطنية الكردية من تحقيق الانطلاقة الديمقراطية وأن تصحوا بنحو سليم في الأجزاء كافة بأي شكل من الأشكال، فإما أن يتم سحقها أو إرغامها على العمالة له وهكذا تتم التصفية، وفي مواجهة هذا الوضع تم الاستمرار بالالتزام بمواقف مضادة مستقلة، مصممة في شخص حزب العمال الكردستاني، ويتم تمييز الرقابة والهيمنة التي كانت الإمبريالية والقوى القومية المحلية القمعية تريد إقامتها على يد الحزب الديمقراطي الكردستاني، وبذلك استطاعت المنظمات الإيديولوجية والسياسية والعلمانية أن تظهر إلى الوجود ضمن الإطار الوطني الثوري والديمقراطي، وهذا بدوره يعني ولادة وضع جديد وإرساء الأسس اللازمة للخطوة الثانية.

٢. التآمر الداخلي والتصفوية بين عامي ١٩٧٨ . ١٩٨٨

عندما تمت محاصرة الرجعية المحلية، ومع إفراغ الحملة الأولى للمتآمريين من محتواها، بدأ حزب العمال الكردستاني بمرحلة الإعلان الرسمي عن نفسه، وتوصل لأول مرة في التاريخ إلى قرار التصميم على السير ضمن المسار الثوري الوطني باسم الشعب، ومن الطبيعي أن تهم الدولة بتطور كهذا من قرب، حيث لم يجر الاكتفاء بالعملاء المحليين والمنظمات التابعة، فقد كانت هذه المنظمات تكلف ثمناً باهظاً بحيث تصبح البطانة أغلى من وجهها، وبالرغم من أنها كانت تلجأ كثيراً إلى الإيقاع بين المنظمات اليسارية أو بين المجموعات اليمينية واليسارية لكي تدفعها إلى التقاتل، ويوجه الحزب في

مرحلة التمزيق الداخلي بواسطة المدسوسين من قبل الدولة وبنحو جزئي بهدف السيطرة على الحزب. لكن حزب العمال الكردستاني وصل الى مستوى أبعد من إمكانية تصفيته بواسطة منظمات تابعة.

لقد حقق حزب العمال الكردستاني في هذه الفترة التفوق على بؤر الرجعية المحلية في ممارساته في حلوان وسيورك، مما أكسبه جماهيرية، وانفتح على الشرق الأوسط، وبات من الصعب على الدولة أن تضعه بالكامل تحت رقابتها، وكان لا بد من الاعتقالات والقمع المباشر، علماً بأن انقلاب ١٢ أيلول قد حدث، واستولت السلطة العسكرية على الحكم لأجل هذا الهدف، وبدأت حركة اعتقالات واسعة على نطاق تركيا، وتلقى حزب العمال الكردستاني ضربة جراء ذلك، أن القنوات المؤدية إلى الجبال وإلى الخارج كانت مفتوحة أمام الحزب، مما وفر الإمكانية لحماية بعض قواته، وكانت غاية الدولة إرغام الكوادر المعتقلة على الاعتراف والاستسلام وشل حركة المجموعات الموجودة خارج البلد.

في هذه الفترة يمكن الحديث عن اسمين أساسيين أديا دور المفتاح لهذا الموضوع وهما "كسيرة يلدرم وشاهين دوغز"، حيث كان دوغز يمارس نشاطه بين المعتقلين، بينما كانت كسيرة تمارس تأثيرها على العناصر الموجودة خارج الوطن، وقد جعلنا موضوع السيطرة على المنظمة مهمة بارزة وأساسية لهما، ومن المفيد جداً تحليل هذين الاسمين من قرب، كان لعبد الله أوج آلان مكانة القائد الطبيعي للمجموعة، وقد أهتم بهذين الاسمين كثيراً، فكلاهما من ديرسم، وشاهين ينحدر من أسرة ساقطة من مخلفات تمرد ديرسم، بينما كانت كسيرة عكسه تماماً، حيث تنحدر من أسرة تمثل أعلى طبقات الجمهورية، عرفت بصفتها العميلة لقوات الأمن في فترة التمردات في المنطقة، بدرجة أنها نالت تقديراً وثناءً من إينونو، وكلاهما كانا يظهران بمظهر اليساريين ضمن الوسط الجامعي في انقرة، وأقيمت العلاقة معهما في مرحلة الانقطاع عن اليسار التركي، حيث ارتضى كلاهما بالانضمام إلى المجموعة التي تشكلت باسم كردستان.

هذا المزيج كان يثير قلق الأعضاء الآخرين من المجموعة، فقد كانت لشخصية شاهين المذبذبة ولشهرة عائلة كسيرة في قمع التمردات الكردية أثر كبير في هذا القلق، ولكن الميزة الأساسية لهذه المجموعة الجديدة كانت الإيمان بالفرد وعدم الاعتماد على الانتماء العائلي، بالإضافة إلى ذلك فقد كان هناك اعتماد على مرشح من كل فئة وعن كل منطقة نظراً لضرورات الوحدة الوطنية، فقد أردنا الاعتماد على مرشحين من أصول تركية هما حقي قرار وكمال بير، كضمانة للأخوة بين الشعبين منذ البداية، وقد كان ينظر إلى وضع كسيرة باعتباره ضرورياً من زاوية إعطاء المعنى للحرية والمساواة بين الجنسين بنحو عام، ولمنح الثقة للشباب المنحدر من عائلات كثيرة مشاهجة، فقد كانت هذه الخطوات ضرورية لبداية تنطلق من حسن النوايا.

لقد أوصلت هذه الخصائص عبد الله أوج آلان إلى تقييم أقرب إلى المثالية من الزاوية السياسية والإيديولوجية والوحدة بين الجنسين وعلى تجربة الزواج من كسيرة، مع أن أوج آلان كان صادقاً جداً في عواطفه وفكره، فإن حقيقة كسيرة مازالت بعيدة عن الوضوح حتى يومنا هذا، حيث ألفت هذه العلاقة بتأثيرها على حزب العمال الكردستاني بنحو لا يقل عن مقتل حقي قرار، وكان من الساذجة وعدم الكفاية أن يتم تقييم علاقته مع كسيرة على أنها علاقة استخباراتية ساذجة، فمن المعروف أن هذه الشخصية لم تكن لديها هم لتقول: "لا بد أن أنضم إلى هذه المجموعة"، ولم يكن الزواج يشكل مطلباً ضرورياً لديها، فقد تبين بوضوح أنها اتبعت مساراً ميثاقاً، ويمكن أن تؤكد أنها لم تكن تؤدي دور استخبارات عادية، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنها لم تؤدي دوراً نشيطاً من أجل المجموعة رغم أنها تتوقد ذكاء وبالرغم من نظرتها

السليمة فإنها أبدت مواقف عالية المستوى من حيث التحريض ضد شخصيات المجموعة المهمين وفي مقدمتهم عبد الله أوج آلان، وأنها دخلت في مواقف ظهرت فيها أكثر برودة من دم الأفعى وأنها تتحرك بمفهوم علاقة قاسية القلب ودخلت في ممارسات لا يمكن أن يتحملها أي زوج لأربعة وعشرين ساعة فقط، ولم تعكس حماساً ثورياً على الرغم من استيعابها الكبير، فإذا أخذنا كل هذه الأمور بعين الاعتبار بالإضافة إلى وجود نوع خاص من التحريض لديها فستكون هناك حاجة ماسة لأجراء تقييمات أكثر عمقاً حولها. وهناك مواضيع أخرى يجب طرحها باهتمام، في حادثة لم تكن المنظمة قد خبرتها يقوم شاهين بإجبار شاب يدعى جلال "من ملاطيا" على حفر قبره بيده ثم يقوم بقتله، وكذلك قيام كسيرة بسجن "عيشة" ابنة مختار بازارحق في مغارة في البقاع حتى الموت لأنها رأها في علاقة غير طبيعية مع أحد الشباب، وبعد ذلك يتحول هذا إلى تقليد في حزب العمال الكردستاني.

من المعلوم أن شاهين كان يقود سياسة التعذيب التي تمت ممارستها ضد المعتقلين، وقد كان لهذا الموقف تأثير فعال على أحداث الإضراب عن الطعام حتى الموت التي قامت بها الكوادر القيادية في الحزب وفي مقدمتهم مظلوم وخيري وكمال بير وفهاد كورتاي، وفي العمليات الانتحارية التي نفذت حرقاً، للتلأمر الداخلي الذي كان له ارتباطات بالخارج، نصيب وافر في مئات الحوادث من الاعترافات، وقد جلب هذا الموقف الكثير من الصراعات المتبادلة حتى فتحت الطريق أمام ظهور الرد على نحو ممارسة سميت بـ "مقاومة سجون ديار بكر"، لقد تم فرض مؤامرة تقليدية كان هدفها جميع المعتقلين، وقد أدت الدولة دوراً رئيساً في الدخول إلى هذا الطريق الظالم، ولكن مقاومة السجون في ديار بكر أدت دوراً تاريخياً في تحول هذه السياسة عن طريق الاستمرار في المقاومة والتمسك بها عشرين عاماً، حيث اكتسب حزب العمال الكردستاني مكانة تاريخية باعتباره تعبيراً رمزياً عن موقف سليم ضمن نهج حرية الشعب، وقد أثرت عمليات الإضراب عن الطعام حتى الموت في الوصول إلى قفزة ١٥ آب، فلو لم تحدث هذه العمليات لما كتب لهذه القفزة أن تتحقق وتتطور، فمثلما أدى الالتزام بذكرى استشهاد حقي قرار إلى الإعلان الرسمي عن حزب العمال الكردستاني، أدى الالتزام بذكرى مقاومة سجون ديار بكر إلى الإعلان عن قفزة الخامس عشر من آب، حقاً إن هذه الأمثلة المتعلقة بكيفية تأثير الكثير من المؤامرات على التاريخ مفيدة جداً، فلو لم تصل الأعمال التي تمت ممارستها باسم الدولة إلى عمليات الإضراب عن الطعام حتى الموت، ولو لم يجر استخدام بعض المستسلمين كمحرضين، لما تم تخريب الجو الديمقراطي والسلمي في البلد، ولخرجت الدولة والديمقراطية بمكاسب مبكرة وعالية المستوى، ولما ازدادت الآلام والخسائر المتبادلة، حيث نرى أن سياسة التدمير التقليدية في الشرق الأوسط التي تفتقد للمصالحة الديمقراطية كلفت الدولة والشعب والمنظمات وفي مقدمتها حزب العمال الكردستاني ثمناً باهظاً.

إن تأثير كسيرة على هذه المرحلة بحاجة إلى تقييمات وإلى دراسة أكثر عمقاً، ويمكن اعتبار محاولة خنقها للقاعدة في الخارج، كان بهدف ضمان تأثيرها القيادي، والموضوع الذي استمر في أوروبا والذي أريد التحول إليه عن طريق الانقسامات والعلاقة التي طورتها كسيرة مع المحامي حسين يلدرم، وكذلك موقف حسين يلدرم في السجن ومواقفه نحو القيادة هي أمور لا بد من تسليط المزيد من الضوء عليها، فمن الواضح أنهما كانا يحاولان أداء دور مهم في تصفية PKK، ولكن هل كانا يفعلان ذلك لشخصيتهما أو لأجل تأسيس PKK آخر أو بصفتيهما عميلين، فهي أمور تحتاج إلى مزيد من البحث رغم توافر العديد من الدلائل.

ويمكن وضع النقاط ذاتها بما يخص علي جتین آر، ومحمد شنر، وسليم جوروك قايا. إن جتین آر هو النسخة الرجالية من كسيرة، حيث أن سلوكياته المتعصبة والشكاكة بالرغم من سعة إطلاعه وقيامه بالإدارة المشتركة على الساحة الأوروبية مع يلدرم في جريمة اغتيال أولف بالملة، وقيامهم بوضع حزب العمال الكردستاني في موضع شك بالرغم من عدم وجود أية علاقة رسمية له بهذا الأمر وتقلدهما خامات لطحهما بوجود "الأثر الكردي" كلها نقاط تشكل الجوانب المظلمة في سلوكياتهما، لقد عكس كل من سليم جوروك قايا ومحمد شنر في شخصيتهما نفس مواقف شاهين . يلدرم، حيث أرادوا أن ينفذوا كل شيء بطمع وحشع عن طريق الاستيلاء على المنظمة من الداخل من دون أن يأخذوا موقفاً علنياً ضدها، من الواضح وبنحو موضوعي أنهما اتجها إلى التصفية تحت اسم حزب عمال كردستاني مختلف، أما الجانب الذي يجب إدراكه فهو إلى أي درجة وكيف أراد هذا الثنائي مواصلة دور المعتزف السري المستسلم إلى جانب اعترافات شاهين الواضحة والمكشوفة، ومن خلالهما أيضاً يمكن معرفة الشخص الذي ترتبط به العلاقات التي أقامها في دول أوروبا، فمن الواضح أن لهما جوانب ماثلة للمسار الذي اتخذه جيتین غونغور، لقد قامت ألمانيا بحماية هذه العناصر كي تؤدي دوراً تاريخياً فعالاً على الكرد بنحو خاص، وعلى تركيا وفي الشرق الأوسط بنحو عام، وقد اتضح يوماً بعد يوم أن هذا الموقف جزءاً من أعمال الفرع المرتبط بها بنحو وثيق، والذي لا يمكن لحقوق الإنسان ولا للموقف الديمقراطي أن يفسره.

من الواضح أن ألمانيا أرادت تشكيل كتلة كردية من الحزب الديمقراطي الكردستاني، والحزب الاشتراكي الكردستاني، ومن مخلفات حزب العمال الكردستاني، ووضع ذلك ضمن خطة قانونية، فمن الطبيعي أن نعمل على التحالف مع دول المنطقة ومع تركيا في هذا الموضوع، ولهذا عندما أدركت أنها لن تستطيع السيطرة على حزب العمال الكردستاني، بذلت جهوداً حثيثة لمنع ومحاوله شرائه وترويضه، واعتباراً من هذه المرحلة تقف ألمانيا في مقدمة الدول التي تناولت قضية حزب العمال الكردستاني، والتي أرادت الحصول على نتيجة عن طريق الضغط عليه، وقامت بدعم معارضيه، ووفرت الكثير من الإمكانيات للمجموعات الكردية القريبة منها، وتحركت معتمدة على المسار التاريخي الذي يفرض هيمنتها على الشرق الأوسط وميزوبوتاميا وتركيا، وكما نرى أنها لن تنصرف بما ينسجم مع حقوق الإنسان ومع التحولات الديمقراطية، بل استخدم ذلك كأداة لخدمة مصالحها.

أرادت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تشكيل كتلة كردية مرتبطة بهما وقامت بدعم الاتحاد الوطني الكردستاني كقوة عملية، ولأن تطورات حزب العمال الكردستاني لم تتناسب مع تطلعات هذا الفرع، فقد بدأت بحملة ملاحقة كثيفة، ابتداءً من عام ١٩٩٠ وطلبت بتسليم قيادة حزب العمال الكردستاني مستخدمة في ذلك تأثيراتها على دول العالم، إن عدم تمكن دول المنطقة من السيطرة على حزب العمال الكردستاني أرغم الولايات المتحدة ودول أوروبا ذات المصالح في المنطقة على اتخاذ مواقف مباشرة بذاتها، ولهذا لم تتردد في تقديم الإمكانيات المادية والدبلوماسية للمعارضين ولأولئك الذين يحاولون التصفية الموجودين داخل حزب العمال الكردستاني، كما لم يتوانوا عن بذل الجهود في محاولات لوضع الدمى التي صنعوها محل الحزب، لقد أولوا اهتماماً خاصاً بمهدف عدم ظهور الإرادة الكردية التي تأكدت وظهرت في حملة ١٥ آب والتي جاءت نتيجةً ورداً على القمع الذي تمت ممارسته ضد حزب العمال الكردستاني وأسفر عن خلق أوضاع تجاوزت الوضع في تركيا، وأدى إلى بلورة مواقف الكثير من دول الأطراف التي لها مصالح ضمن الحركة

الكردية ضد حزب العمال الكردستاني.

كذلك بذلت دول المنطقة جهوداً حثيثة بغية وضع الحركة الكردية تحت سيطرتها بدلاً من الاعتراف بالإرادة الكردية الحرة، ولم تسمح لحزب العمال الكردستاني بأكثر من أن تعمل على أساس علاقات تكتيكية، وذلك لأن مصالحها لم تتوافق مع هذا الأمر، ولولا ذلك لأعتمد الجميع النزعة القومية المعتمدة على الإنكار والرفض، كما واصلت كل دولة مجاورة للكرد سياسة أساسية في بقاء "كردها"، تابعين لها من دون أن تعترف بحريتهم، وقد عبرت هذه السياسات عن نفسها في أثناء إبداء المواقف من حزب العمال الكردستاني.

وعلى الرغم من كل هذه المؤامرات والتصفيات من الداخل وسياسة القمع المدعومة من الخارج، لم يتمكنوا من قمع الإرادة الحرة لحزب العمال الكردستاني، وبقي محافظاً على حيوية فرصة الشعب الكردي في تحقيق إرادته الحرة رغم كل هذه الخسائر وقلب التوازنات التي حدثت. فقد استهدفت مقاومة السجون الشجاعة حماية كرامة وضمير الإنسان، كما أكدت قفزة الخامس عشر من آب معاني التأكيد على الإرادة الحرة، ولأول مرة تفشل مركبات المنظمات والشخصيات العميلة الداخلية والخارجية، وتتم إفشال جميع جهود القمع والرقابة التي بذلتها الدول المهتمة بالأمر، ونجحت إرادة الشعب الحرة في صمودها وترسخت بعد أن دفعت ثمناً غالياً من الخسائر والآلام ضمن هذه المرحلة من التاريخ.

٣. مرحلة العصابات والتدخل الإمبريالي على النطاق العالمي من ١٩٨٨. ١٩٩٨.

إن استمرار الإرادة الحرة للشعب الكردي قد عززت تصعيد النضال رغم كل الضغوطات الخارجية والداخلية التي تمت ممارستها ضد طليعة حزب العمال الكردستاني، فقد ظهرت النزعات التي تطورت في الداخل والتي أرادت استخدام الكفاح المسلح بحسب أطماعها السياسية وبحسب مواقفها المزاجية التي تتنافى مع الأخلاق ومع مساق النضال، قامت تلك الشخصيات بسحق الكادر الذي لم يطور نفسه بحسب احتياجات الكفاح المسلح باستخدام خصائص المجتمع المتخلف وأطماع الطبقة المهيمنة التي استيقظت حديثاً، حيث استهدفت هذه المواقف التآمرية المستوى الإيديولوجي والسياسي للمنظمة وتدميره بشكل منهجي، ولم تعرف حدوداً لاستخدام وتقوية المواقف الآنية والقدرة التسلحية وتأثير الجبال الذي يحول الإنسان إلى النزعة الحيوانية مما خلق صعوبات في الإشراف عليها وتطورت نزعة التحول إلى عصابات بدلاً من التجيش، واعتمدت شكلاً أساسياً من العمليات يصعب من خلاله التمييز بين المجرم والبريء دون الالتزام بقواعد الحرب، وظهر وضع مأساوي لا يشبه أي شكل من أشكال الحروب، وحدث نوع من المعاناة يمكن تعريفه على أنه قائم على إنشاء عصابة كونتر كريل (مضادة للكريل).

سنكون قد قدمنا تفسيراً قاصراً إذا ربطنا هذه التطورات بالعملاء التقليديين وبممثلهم الأساس الحزب الديمقراطي الكردستاني فقط، فهناك عاملان لعبا دوراً أساسياً في هذا الأمر، أولهما بنية المحاربين والكوادر المخلصة التي لم تقم بتدريب نفسها بنحو كامل استعداداً للمهام التي ازدادت صعوبة، وثانيهما الجهود التي تم بذلها لتحويل مكر ودهاء البرجوازية الصغيرة إلى منظمة متميزة، والاعتقاد بحسب أقوالهم بأن طبقة القرويين قد وجدت الفرصة للاستيلاء على

السلطة من المثقفين.

يجب انتظار ظهور هذه الأوضاع في كل مؤسسة لأنه لم يتم تنفيذ المهام الصعبة ضمن المراحل الصعبة، وبخاصة في الأجواء التي تستمر فيها المؤامرات بنحو مكثف وتزداد الاستفزازات ، فإن تكاثر مثل هذه العصابات العاصية المتمردة يكون أمراً حتمياً، ولكن التدريب العسكري والإيديولوجي الكثيف يستطيع تجاوز هذه المرحلة بنجاح، ولكن ومن جديد لا يمكن إغفال الدور الذي أدته المؤامرات الواعية والقوى العميلة التي كانت تواصل دعمها، والحزب الديمقراطي الكردستاني بنحو خاص في خلق هذه المرحلة، فقد أدت مرحلة التحول إلى عصابات وللحزب الديمقراطي الكردستاني دوراً بارزاً في عرقلة إنشاء الجيش أكثر من القوى الأخرى كافة ، ويمكن النظر إلى هذا الوضع على أنه صراع طبقي في جوهره، وقد كان لهذا التطور المنحرف نصيب من الخسائر يقدر بتسعين بالمائة من مجموع الخسائر غير المبررة، لقد تمت التضحية بكل المكتسبات التي كانت ممكنة، وأقلها النضال التحرري الذي كان من الممكن أن يؤدي إلى خطوات ديمقراطية في عام ١٩٩٣، وبسبب التحول إلى عصابات فقد أدى ذلك إلى الكثير من الآلام والخسائر لكلا الطرفين، حيث أدى مفهوم العصاة وممارساتها دوراً مضيئاً في سلبات هذه السنين التي خرجت فيها الدولة وحزب العمال الكردستاني عن مسارهما ونحجيهما، لقد استمدت الدولة جرأتها من هذا الوضع واعتقدت بأنها انتصرت، وقامت بانتهاك القانون أو في الأقل قامت حكومة جيللر بانتهاك القانون بذهنية لا مثيل لها في التاريخ.

ففي حين كان حزب العمال الكردستاني يعيش هذه المؤامرة وهذه الانحرافات في بنيتها المسلحة، تم تسليط عصابات القتل التي تقنعت بقناع حزب الله على رقاب الشعب الوطني وتم تنفيذ الآلاف من الجرائم بواسطة هذه العصابة، وتم تفريغ ما يقارب أربعة آلاف قرية ومزرعة من سكانها، كما تم العمل على تفريغ كردستان من سكانها عن طريق تهديد الشعب بالجوع وارتكاب الجرائم، فقد أظهرت المؤامرة وجهها الأكثر وحشية بهذه الجرائم التي نُفذت بنحو سري، كما قامت فئة من الموظفين الخاصين بتنفيذ جزء من هذه الجرائم خفية عن الدولة، ولأنه تم الخلط بين " أثر الفرس وأثر الكلب" (مثل شعبي)، كان من الصعب على الدولة أن تميز بين ممارسات القوة الخارجية وممارسات بؤر الرجعية المحلية لهذه الجرائم، ولكن الأمر المؤكد هو أن هذه المرحلة كانت واحدة من أخطر المراحل الدنيئة التي نفذت ضد الشعب الكردي الوطني الشريف، وأن الأزمة التي شهدتها ولا تزال تشهدها تركيا بنحو أعمق، هي من نتائج تلك المرحلة، فقد تم نسف المرحلة التي كان من الممكن أن تؤدي إلى تحرر وأخوة بين الشعوب بواسطة اقتصاديات الحرب الخاصة وذهنية السمسرة والكسب السريع وبالرأي العام الذي لا يشعر أبداً بالمسؤولية الاجتماعية، وقد كانت فترة ٢٨ شباط التي تطورت كرد فعل على هذه المرحلة عبارة عن خطوة ترميمية ناقصة، ولم يتم تطبيقها بالكامل، وهي محاولة لاعادة الدولة التي خرجت عن مسارها المشروع، وعلى الصعيد الإيديولوجي تتحول الدولة إلى جمهورية للطرق الدنيئة، وتضع الجمهورية بالكامل وتبتعد تماماً عن مبدأ العلمانية الذي كان يعاني من النقص أصلاً، وكذلك يتم الابتعاد عن الحقوق ويتوجه الاقتصاد نحو مرحلة مليئة بالآزمات التي تزداد عمقاً يوماً بعد يوم.

كان ٢٨ شباط رداً إيجابياً على الخطوات الإيجابية التي تطلع إليها حزب العمال الكردستاني، ولو تطور الحوار لتولدت الإمكانية لحدوث تطبيع أكبر، ولما أعطيت هذه المرة فرصة للعمليات الموجهة لخنق حزب العمال الكردستاني وقيادته، وفي الحقيقة كان يتم جر تركيا إلى نهج ١٩٢٥، لقد كانت تجري تقييمات مبالغ بها عن الحركة الكردية لإظهارها

على أنها تشكل تهديداً مثلما حدث في عام ١٩٢٥ لأجل جعل العراق من حصة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، بعد أن يتم الحصول على جميع أشكال التنازلات من أنقرة، ومن ثم العمل على تدمير قيادة حزب العمال الكردستاني وجماهيره الوطنية، لكونه يمثل حركة التحرر الكردية التي لا تناسب مصالحهم، ويتم تصعيد وتطوير وتحضير للبؤر الكردية العميلة المتمثلة بالحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني على مسارات انقرا وواشنطن ولندن، لكي تنفذ نفسها من عبء حزب العمال الكردستاني.

حقاً لقد كانت المؤامرة شاملة وكان يشك بأنها تنفذ لمصلحة تركيا، علماً بأن حزب العمال الكردستاني كان قد أظهر تجاوبه في وقف إطلاق النار من طرف واحد، وكان يمكن إلقاء خطوة على طريق الحل الأخوي بواسطة التحول الديمقراطي عن طريق العراق ودون وضع تركيا في موقف صعب، ولكن هذا الموقف لم يكن يناسب الذين يعيشون في الداخل على موارد الحرب، وقد كانت إسرائيل تتأجج حزب العمال الكردستاني من أجل توثيق روابط تركيا بها، وكانت تركيا تنظر إلى حزب العمال الكردستاني من موقف عاطفي مبالغ وأعلنت عنه على أنه الخطر الأكبر، ووصلت إلى وضع الاستعداد لتقدم كل أنواع التنازلات، وقد عقدت الأوساط المعتمدة على السمسرة في الداخل والخارج الآمال على هذه السياسة، لدرجة بدأت فيها بعمليات تفريغ البنوك في ليلة واحدة وسلب الموارد الاقتصادية، ولم ترغب أية حكومة بسحب يدها من الحرب دون أن تأكل من غنائمه، وبات الجو مثالياً بالنسبة للدول الغربية الكبرى ولاقتصادياتها القوية التي تريد توثيق روابط تركيا بسياساتها، وقد أصبح حزب العمال الكردستاني الضحية بينما الشعب الكردي الوطني لا يمثل لديهم أية قيمة أمام المكاسب اللذيذة، إذ أنهم لا يعدونهم شعباً كي يعتزفوا له بالحقوق، بل تم الإعلان عن الكرد بأنهم إرهابيين، وقدمت الدول الغربية كل الدعم لهذه المزاعم.

وراح العملاء التقليديون الكرد والنزعة القومية البدائية البرجوازية الذين تقهقروا أمام حزب العمال الكردستاني ينتظرون تدميره بفارغ الصبر، واستنفرت الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وبتخطيط مركزي لندني على نطاق عالمي وفي نهاية القرن العشرين وضعوا كل قواهم الاقتصادية والاستخباراتية والدبلوماسية والعسكرية في خدمة المؤامرة التي تم إعدادها لعبد الله أوج آلان، لقد قرروا هذه المرة أن يقضوا على إرادة التحرر الكردية نهائياً من خلال شخص حزب العمال الكردستاني وأوج آلان، وكان من الممكن شرح الخطة بعمق أكبر، ولكن ظهر في المراحل الأخيرة أن طرفه الآخر كان يهدف إلى إدخال تركيا في أزمة عميقة، وإن عدم بروز موقف التمرد الأعمى المنتظر، بل على العكس من ذلك أن الدخول في موقف وفاق أخوي مرن وسلمي وديمقراطي، وقف عائناً أمام إتمام نجاح المؤامرة الإمبريالية.

إن المؤامرة الشاملة التي تم تدبيرها وتنفيذها ضد حزب العمال الكردستاني وضد الشعب الكردي الحبيب لوطنه وضد عبد الله أوج آلان هي آخر وأكبر مؤامرة في القرن العشرين، فقد تم إعدادها على مستوى عالمي وكان من أهم أهدافها ترسيخ النظام في تركيا، ولا يمكن لحركة تتمسك بوحي أخوة الشعوب والوطنية وتجعل ذلك موقفاً أساسياً لها، أن تفتح المجال لاستخدامها كأداة لهذه الألاعيب أكثر من ذلك، بل على العكس تماماً إذ أن قيامها بما يقتضيه تحرر الشعوب والعلاقات الأخوية فيما بينها هو من ضرورات احترام جوهرها والالتزام بها، ولا يمكن لحزب العمال الكردستاني أن يحترم نفسه من دون أن يتخلص من الاعترافات والتعذيب في السجون، ومن الدسائس بين صفوفه، ومن تشكيل العصابات.

ويعمل حزب العمال الكردستاني في هذه المرحلة الجديدة على تحقيق ما تقتضيه مسؤولياته فيما يتعلق بالديمقراطية والسلام ضمن مفهوم الدفاع التكتيكي المعتمد على نهج الدفاع المشروع من خلال موقف استراتيجي يعتمد على وحدة الدولة والبلد من أجل الابتعاد عن المسار الذي يخدم النزعة الانفصالية، ويواصل وبعمق هذه المرحلة التي بدأت مع بداية الألفية الثالثة ويسهم بجهوده من أجل عدم الانزلاق إلى تعصب قومي من الطراز الفلسطيني الإسرائيلي أو الروسي الشيشاني، وذلك عن طريق تقييم مرحلة السكون النسبي وعن طريق قيام الدولة بما يقع على عاتقها، ويجب على حزب العمال الكردستاني وعلى إرادة الشعب الكردي أن يقوموا بما يقع على عاتقهما لأجل التحول إلى قوة للديمقراطية في تركيا وتحويلها إلى دولة الحقوق والعلمانية، وهذا الوضع الذي يبدو بسيطاً يشهد حقيقة الحل السلمي والأخوي للشعبين.

يؤمل من حزب العمال الكردستاني في أن يخطو خطوات واقعية وناضجة حول هذا الموضوع من خلال مؤثره الثامن الذي تجري التحضيرات لأجله، وبذلك يكون حزب العمال الكردستاني قد برهن عن نفسه بالتحول وإعطاء الأجوبة للأسئلة التي تطرحها الظروف الواقعية وظروف واقعه، فالإمكانية متوافرة للدخول إلى مرحلة جديدة متسلحاً بأسلوب قوي، ويكون حزب العمال الكردستاني الذي يمثل التعبير التنظيمي والوعي للإرادة الحرة لشعب تركيا، قد دخل في مرحلة ما بعد الألفين بالتجديد على كل الأصعدة، وإن هذا التجديد لن يتحقق من تلقاء نفسه، بل عن طريق التحول الواعي والتنظيمي من قمة رأسه وحتى أحصى قدميه، ومن أجل هذا يجب عليه تجسيد هذا التجديد بالمسار التنظيمي والعلمي والإيديولوجي والنظري والبرامجي والاستراتيجي والتكتيكي، الذي يجد التعبير الكافي في الممارسة ويعتمد على التقييم النقدي الشامل للماضي.

فإذا لم يتم استخلاص الدروس الأساسية الضرورية من الماضي وإذا لم يتم تحقيق مهام المرحلة الجديدة بوضوح و"كمال"، فإن المرحلة الجديدة لن تكون أكثر من مصطلح لا معنى له، هناك دروس من الواجب استخلاصها من تاريخ حزب العمال الكردستاني المليء بالآلام والخسائر التي لا معنى لها وبفرض الحرية غير المستخدمة وبالبطولة والمأساة والانحطاط والتصفوية والتآمر، وكذلك توجد مهام من الواجب تنفيذها، حيث يمكن ترتيب هذه الدروس والمهام كما يلي:

أ . إذا لم يتم التسليح الكافي بالأيديولوجية بما يتناسب والمهام التي تصادفه، فلا بد من ولادة انحرافات كبيرة في ممارسة صلاحيات الإدارة وفي عملية التكليف بالمهام التي سيتم الدخول إليها، إذ لا يتم إعطاء مهام للأشخاص وللوحدات التنظيمية التي لا تمتلك القدرة على الإشراف والتنفيذ ولا تمتلك القدرة على التخطيط، ولا تمتلك الوضع الوجداني والمعنوي وبعيدة عن وضوح المسار وعن النضوج الإيديولوجي، وإن تم تكليفها بهذه المهام فيجب انتظار مواقف أسوأ من الخيانة حتماً، ولذلك فإن المهمة الأساسية المستخلصة من هذا الدرس هي التخطيط بوضوح للمواضيع التي تقتضي التنفيذ بأمر ومسؤولية، والتي تتضمن طبيعة المهمة التي أمامه، وكيف ومتى وفي أي ظرف سيتم تنفيذها، وعدد الأشخاص التي تحتاجها، وفي مواجهة من ستكون المسؤولية والأوامر، وكذلك تطبيق هذه الخطة والإشراف عليها.

ب . يجب التفكير ألف مرة قبل القيام بعملية واحدة قد تؤدي إلى حدوث نتائج كبيرة مثل التمردات والكفاح المسلح، فإذا تم اللجوء إلى التمرد والكفاح المسلح دون وضوح نقاط مثل: لماذا ولأي هدف وضد من وكم من الزمن ستستغرق وكيف وبواسطة من سيتم التنفيذ، وإذا لم يتم تجنب عمليات القتل والانحرافات فإنه لا يمكن تجنب الفشل،

ولكن إذا تم سد جميع الطرق المؤدية إلى الحياة المشروعة والتحرر، وإذا تم انتهاك الحقوق، وإذا تم فرض الموت بلا وجه حق على الأشخاص والثقافات وعلى الشعوب، فسيتم اللجوء إلى حق الدفاع المشروع، ليس على اعتبار أن التمرد والكفاح المسلح أصبح ضرورة فحسب، بل لأنه يتم التعبير عن هذا الحق في الدستور وفي الحقوق الكونية، إن هدف الحرب التي تكون على شكل تمرد مسلح أو حرب كريليا هي مقاومة حتى تتحقق متطلبات الحقوق الكونية، والتعبير الدستوري لهذا الكلام كما ورد في قوانين هيئة الأمم المتحدة يتضمن استخدام حق المقاومة المقدسة للشعوب صاحبة الحقوق الديمقراطية والمواطنة الحرة باعتبارها شكلاً مشروعاً للنضال وذلك حتى يتم تنفيذ ضرورات "حقوق الأجيال الثلاثة" المقبولة من قبل الكثير من الدول بما فيها تركيا، وهي ملزمة بتطبيقها، وعدم اللجوء إلى هذه المقاومة يعني عدم الإيمان بالديمقراطية وعدم تنفيذ مقتضيات الحقوق، وهذا يعني عدم القيام بالمهام التي تقتضيها دولة الحقوق الديمقراطية، ويجب القيام بالنقد الذاتي ضمن هذا الإطار.

ج . لقد تجاوزت أعمال الكريلا والتمرد التي نفذها حزب العمال الكردستاني في الماضي، حق الدفاع المشروع سواء على الصعيد السياسي أو على الصعيد الاستراتيجي العسكري من الزاوية التكتيكية، وهذا يعني وإن لم يكن من حيث الجوهر فهو من حيث الشكل برنامج مفتوح أمام النزعة الانفصالية، ووقوعه في وضع يلجأ فيه إلى الكثير من الأهداف التكتيكية التي لا تقتضيها المسؤولية والتي وصلت إلى مستوى الاعتداء من الناحية الاستراتيجية العسكرية.

وأمام وضع كهذا فإن المطلوب لأجل المصادقية، هو اللجوء إلى النقد الذاتي للانسجام مع إيديولوجية الحزب، وذلك يعني إعادة بناء برنامجه السياسي بما يتناسب مع الحفاظ على وحدة البلد، والتعبير الشامل والشعار العام لذلك هو: بنية برنامجية تعتمد على احترام الحدود السياسية لكل بلد يضم جزءاً من كردستان، ويهدف إلى الوحدة الحرة ضمن هذه الحدود، وهذا سيؤدي إلى "الوطن الديمقراطي، والجزء الحر"، وهذا هو التعبير البرنامجي للضرورة السياسية لحق الدفاع المشروع.

ومثلما يعد الوصول إلى هذا النوع من البرامج كإحدى ضرورات النقد الذاتي، فإنه من الناحية العسكرية يقتضي الانتقال إلى وضع الدفاع المشروع الاستراتيجي، ويجب أن يكون وضع الدفاع المشروع الذي تم الوصول إليه أكثر مبدئية وتسليحاً، وأن يكون بالنظام وبالقوة التي من شأنها أن تعمل على تكامل السلام والديمقراطية مع دولة الحقوق، ويجب أن يتم استخدام هذا الحق، بعد حساب أسلوبه في القيادة والتنظيم وتدريباته والنواحي اللوجستية الخاصة به وتوحيده ووضع الكمي والكيفي بحيث تكون هذه الخصائص بالقوة التي تسمح له بالرد على أي هجوم محتمل.

ولا يمكن لقوة الدفاع المشروع أن تكون قوة تؤدي إلى المجازر، لأن هذه القوة لا يمكنها أن تفعل أي شيء سوى تدمير ذاتها في النهاية، وقد تم الانزلاق إلى هذا الوضع بكثافة في الماضي، وإذا كان وضع القوات الكمي والكيفي لا يملك القدرة على امتلاك القوة اللوجستية والقيادة والتمركز المناسب، وإذا كانت ستؤدي إلى الدمار فإن عليها إما أن تحل نفسها عن طريق التحول إلى الوضع المدني، أو أن تسحب نفسها إلى ما وراء الحدود وتقسم القرى كما كان يحدث في الماضي كثيراً على مبدأ "هذه القرية لك، وتلك لي"، أو كالتحركات السابقة مثل التنزه كالوحدات العاصية من هذه القمة إلى تلك، التي كانت منتشرة في الماضي لا يمكنها أن تكون واحدة من أشكال الدفاع المشروع، إذ أن هذا الوضع مسؤول عن تسعين بالمائة من الخسائر والسلبات، إن الوحدات التي تريد أن تتموقع ضمن الوطن على أساس الدفاع المشروع،

مضطرة للانصياع لجميع شروط وظروف هذا الوضع، وبالعكس ذلك لا يمكن أن تعمل هذه الوحدات باسم حزب العمال الكردستاني ولا يمكن تقسّم الدعم لها، لأن النزعة التدميرية لهذا النوع من الوحدات والأعمال وتقديمها الفرصة المناسبة للأوساط التي لا ترى مصالحها في أجواء السلام والديمقراطية، ستضع نضال الشعب لأجل السلام والديمقراطية في موقف صعب جداً.

لا يمكن أن يظل نظام الدفاع المشروع خلف الحدود إلى ما لا نهاية، لأن شروط عالمنا المعاصر التي تتغير بسرعة لن تسمح بذلك، وحتى إن سمحت بذلك فإنها ستؤدي إلى الكثير من السلبات، ومن ثم لا يمكن أن تبقى وراء الحدود بالنسبة لكل جزء إلا لمدة معقولة، حيث أنها ستبحث عن وفاق السلام والديمقراطية مع كل دولة ذات علاقة، وذلك ضمن نهج الدفاع المشروع، وإذا لم تحصل على الرد أو كان هذا الرد من النوع المحموي، فإنها ستضطر لمواصلة طريقها في وضع إسهاماتها السلمية والديمقراطية على شكل الحرب المسلحة ضمن الإطار المرسوم لها، والتوحد ضمن الطراز الصحيح والدفاع عن الشعب، ويصح هذا الوضع ضد الدول والقوى ذات العلاقة كافة، وإنه لمن ضرورات النقد الذاتي السياسي للمرحلة الجديدة أن يتضمن حق المقاومة المقدسة، دون إراقة أي نقطة دم لا ضرورة لها، أي أن يتضمن القيام بكل شيء من أجل النجاح في حرب الدفاع المشروعة حتى يتم تنفيذ " حقوق الأجيال الثلاثة الأساسية" التي أصبحت واحدة من أشكال الحقوق الكونية، وتقدم النقد الذاتي والوصول إلى هذا الوضع بالأسلوب الناجح، وعكس ذلك يعني التمسك بالماضي بإصرار والنتيجة ستكون الوقوع في وضع يساعد على المؤامرات ذلك أكثر سوءاً من الخيانة.

د. إن من أهم المهام الأساسية الآن هو القيام بالنقد الذاتي وإجراء إحصائية وبحث شامل عن النساء والأطفال والرجال الأبرياء وعن الجنود وأفراد حرب الكريلا الذين قُتلوا، وعن القرى التي أفرغت من سكانها وعن أفراد الشعب كافة الذين قتلوا وراحوا ضحايا للعمليات التي نفذت باسم حزب العمال الكردستاني أو باسم الدولة أو باسم قوى التآمر والعصابات بنحو مكشوف أو سري، بالأسلوب القانوني أو بالأسلوب العصابي والمؤامرات، ومحكمة المسؤولين عن ذلك ومعاقبتهم على وفق القانون الدولي والقانون الوطني أو على وفق قانون المنظمة واستخلاص الدروس الضرورية من ذلك.

لا يمكن القيام بالأعمال الضرورية إلا عن طريق تحمل المسؤولية والالتزام بالجدية خلال القيام بهذه المهام، ولا يمكننا الادعاء بأننا نقوم بنحو صحيح لمهامنا أمام التاريخ والشعب والإنسانية والقانون والديمقراطية، دون أن نقدم طرحاً شاملاً للعمليات الإجرامية والسلوكيات والمواقف المتعددة التي قامت بها الأطراف المعنية كافة، تلك المواقف التي لا معنى لها والتي ألحقت الضرر بالأطراف نفسها، والتي تجاوزت جميع المفاهيم السياسية والعسكرية والأخلاقية والدينية ودون أن نقدم كشف حساب عما يقع على عاتقنا، ومن دون محاسبة جميع المناصب والأشخاص والقوى المعنية، إن طرح موضوع الحوادث والمسؤولين من أعلى الهرم وحتى أسفله، والذين تم تقديمهم للمحاكمة ولو بنحو محدود من قبل القانون الوطني، والذين خدعوا دولهم حتى عملوا على تشكيل العصابات وانتهكوا القوانين، ومحاسبتهم هي من ضرورات مسار الدفاع المشروع، فمثلاً لا يمكن لمجرم أن يتحرك باسم حزب العمال الكردستاني كذلك لا يمكن للدولة أن تتراح لمن يقتترف الجرائم باسمها.

وإن لم يكن القانون الوطني بالقوة التي تمكنه من المحاسبة بنحو رسمي، فإن من ضرورات المسؤولية أن تتم محاسبة

هؤلاء المجرمين باسم الحقوق الكونية أو باسم المقاومة الشعبية المقدسة، ولا يمكن أن يكون هناك أية علاقة بين المحاسبة والسلام والديمقراطية، كذلك فإن إحدى ضرورات الدفاع المشروع في المرحلة الجديدة تتمثل في القيام بتنفيذ ضرورات الدفاع المشروع بما فيها الدفاع المسلح ضد جميع المناصب والأشخاص والقوى التي لا تزال حتى الآن تراوح ضمن موقف "لنعدم، لنذبح، لنبيد"، وذلك ضمن الظروف كافة وفي كل مكان وزمان، وعن طريق حساب أدق التفاصيل من أجل تحقيق دفاع ناجح، ولكن إذا لم يتم في هذه الحالة الدفاع عن مفهوم دولة الحقوق الديمقراطية وعن الجمهورية، فيمكن أن يطبق أي شيء من أجل تحقيق هذا الدفاع، إذًا من الممكن تحقيق ضرورات النقد الذاتي الجوهرية في الممارسة العملية ضد المواقف الإجرامية كافة وضد السلبات كافة التي تم اقترافها في السابق من قبل الأطراف كافة، والقيام بمتطلبات هذا الأمر عملياً.

هـ . يتطلب نخب الدفاع المشروع العمل ضمن الشعب بحسب مقتضيات السياسة الديمقراطية، حيث لا يمكن التحرك ولا ممارسة النشاط السياسي باسم حزب العمال الكردستاني، باستثناء التموقع السليم الذي يمكن حمايتها، ولا يمكن اتخاذ أي موقف باستثناء المجالات التي تسري فيها اللا ديمقراطية، ويعمل على تنظيم وتنفيذ الأعمال المناسبة لتشكيل أنشطة المجتمع المدني الشامل والمناسب للضرورات الحقوقية والديمقراطية، وعكس ذلك يعني الوقوع في المواقف الاستفزازية حيث لا مفر من ذلك، إن تحول حزب العمال الكردستاني في هذا المجال يقتضي إعادة بناء ابتداءً من اسمه وحتى برنامجه وممارساته القانونية بحسب الوضع السياسي والثقافي والحقوقى لكل دولة، في جميع المجالات القانونية الأدبية والفنية والبيئية والاقتصادية والاجتماعية والحقوقية والسياسية والجنسية، إن هذا التحول ممكن مع تحويله إلى ضمانة أساسية من أجل تشكيل إعادة البناء هذه، وتحويله إلى حالة وظيفية من أجل نجاح دولة الحقوق الديمقراطية وإعادة بناءها إذا لزم الأمر، ومن أجل هذا يجب اكتساب القدرات الإيديولوجية والسياسية والعملية الضرورية، وكذلك فإن المحتوى الفكري والعقائدي والمعنوي يعطي الرد الضروري لذلك، ويعد هذا من المهام الديمقراطية المهمة التي لا تعطي فرصة لديماغوجي حلول المفاهيم المذهبية من اليساريين التقليديين الأتراك، مثلما لا يخلق جواً لديماغوجي مفهوم النزعة القومية الكردية الاستفزازية ومحاولات التحريف، يُعد تبني المهام الديمقراطية وتبني تضامن الشعوب السلمية والحرّة من ضرورات الثورة المسؤولة عن القيام بما يقع على عاتقها، لأن الطرق اليسارية أو اليمينية لا تعد ثورية ولا يمكن أن تؤدي سوى دور الثورة المضادة، ولا يمكن للنقد الذاتي أن يكون ممكناً سوى بالتبني الصحيح لهذه المهام الموجهة ولجعل المسار ناجحاً بواسطة التسليح الكافي لهذه الضرورات.

و . إن التحول ضمن هذه الأسس، يطرح البحث الواعي والصحيح من جديد على الصعيد العالمي، ويتطلب إيجاد التنظيم المناسب لهذا النهج كما يتطلب تمثيله أيضاً، إن البحث عن حل بالمعايير الديمقراطية ضد النزعة القومية البدائية، سيقدم خدمات أكثر للدعم وللتضامن، ويمكن لهذا النهج ألا يلاقي الدعم في أوروبا وأمريكا وفي جميع الدول والمجالات التي يمكن أن يصل إليها، فإذا لم يتم التمكن من إيجاد الدعم، فسيكون ذلك بسبب قلة الأنشطة والتمثيل، إن الأوساط التأميرية في أوروبا وأمريكا محدودة جداً، وهي مدينة في نجاحاتها للمواقف المنافية للقانون وللنشاطات السرية، وبأخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار، فإن تفسير كل ما حدث في الأوساط الحكومية والمجلس الديمقراطي وحقوق الإنسان، بل وفي المؤسسات الدولية كافة وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وإظهار المسؤولين عن المؤامرات، تحمل

أهمية من منظور تجاوز الماضي والاستعداد لتجاوزه إلى المرحلة الجديدة، وكذلك هناك نقاط يعد تطبيقها من المهام الأساسية وهي: الكشف عن الأطراف التي واصلت الأعمال الإرهابية بإصرار، ومن هي الدول والقوى التي لم تأت إلى المصالحة السلمية والديمقراطية، وإظهار الإرادة الحرة للشعب الكردي والمؤسسات التي تمثلها والتي ستقدم دعمها حتى النهاية، وتحويلها إلى مؤسسات وظيفية، إن تجاوز الماضي في هذا الموضوع والعمل ضمن مجال النقد الذاتي سيكون ممكناً عن طريق الرد على هذه المهام الموجهة بأسلوب الممارسة الناجح والناضج والصحيح، وستكون العولة ممكنة بواسطة نسج وحياسة جبهات تضامن وحرية الشعوب والعمل على تطويرها ضد جبهة الاستغلال، وبواسطة الرد وباستخدام المساواة والحرية والعدالة العريقة والقوية من مهد الإنسانية إلى النزعة الإنسانية والأمية لمرحلة الألفية الثالثة.

ز. لا يمكن تقديم النقد والنقد الذاتي في هذه المواضيع الحياتية، إلا بتدريب قوي، ولا يمكن أن يتم تسليم مصير التنظيم والشعب للذين لا يغذون أدمغتهم بالفلسفة الديالكتيكية والتاريخية، والذين لا يوجد في وجدانهم مكان لقيم المحبة والخير والجمال للإنسانية، والذين لا يطبقون إعادة البناء من أجل المرحلة الجديدة.

إن التدريب هدف لا يمكن الاستغناء عنه على أساس الطوعية، حتى وأن أدى إلى خلق صعوبات كبيرة، ولا بد من إظهار القوة الجديدة التي تعكس أطروحات ثقافة الشرق الأوسط، التي تسهم في تطور الحضارة الديمقراطية في أماكننا المقدسة من خلال التعليم بخبرة وجهود كبيرة كالتالي بذلها الكهنة السومريون الذين واصلوا تأثيراتهم على الحضارة حتى يومنا هذا، ويجب أن نأخذ النجاحات التي حققها الكهنة السومريون في مجال الحضارة والدولة دليلاً لأنفسنا للنجاح في الدرب الطويل المؤدي إلى الحضارة الديمقراطية والادولة، إن طراز حضارتنا الجديدة التي ستحتضن الإنسانية الحقيقية والتي ستجاوز خطوة بخطوة المجتمع الذي يسيطر عليها الرجل والطبقة المستغلة والتي ستعطي مجالاً مرة أخرى لإظهار الرباط الجميلات القويات اللاتي كن في المهد المقدس للإنسانية، وبلغة أباونا هذه إن الحضارة الديمقراطية تفتح أبواباً مشرعة على المستقبل، ويجب أن نؤدي دورنا التاريخي في هذه الحضارة التي تعد المهد الوليد، بتعطش كبير وحماس وحب عظيمين وإيمان وعزيمة وإرادة وفكر لتحقيق النجاح في كل عمل، إن إعطاء الجواب ولو عن طريق إحياء نقطة من الأمل البسيط لآلام الماضي التي لحقت ليس بشعبنا وبمنظمتنا فحسب، بل بجميع الشعوب والإنسانية وبذل كل ما بوسعنا من أجل النجاح في ذلك، يعد ضرورة من ضرورات مفهوم مهمتنا المقدسة، ومن ضرورات الالتزام بذكرى قيمنا العظيمة، ولكي نكون لائقين بجهودنا وأملنا في المستقبل، وفي الوقت الذي يدخل فيه حزب العمال الكردستاني كمثل لإرادة الشعب الحرة التي مزقت القمع الذي تمارسه القوى الإمبريالية والتدميرية كافة، في مرحلة تحول شاملة من خلال هذه الحقائق التاريخية، فإن الحزب أصبح بالقوة التي ستمكنه من الرد بواسطة تشكله الجديد على جميع المؤامرات الخارجية والداخلية التي فرضت على الشعب وعلى الإنسانية وعلى عمليات التصفية وعلى مفهوم العصابات وممارساتها، وكذلك أصبح الحزب يمتلك القوة التي تؤهله على السير بنجاح نحو عالم الحضارة الديمقراطية.

ج. المؤتمرات التي فرضت على قيادة حزب العمال الكردستاني هي اعتراف بالخوف من الهوية الحرة للشعب..

إن ما حدث في محاولات التصفية والتآمر على قيادة حزب العمال الكردستاني كشخص وكمؤسسة أمر لا يحدث بسهولة إلا في الروايات، وذلك بالإضافة لتحليلها من الناحية السياسية والأمنية، ولا شك بأن الجوانب الإيديولوجية والسياسية والاستخباراتية هامة جداً، ولكنها لا تفسر سوى الهيكل العظمي للحقيقة، وأما الشرح الحي المجسد يتضمن الدقة والإفادة، حيث يجب تحليلها بنبرة روائية باستخدام المواقف الميثولوجية والدينية والفلسفية والعلمية بالإضافة إلى المقارنات التاريخية والطوباوية.

لقد كان حزب العمال الكردستاني كمؤسسة، وعبد الله أوج آلان كشخص يتضمنان معان تتجاوزهما، وليس من الممكن تحليل وضع الشعب الكردي سواء بواسطة مصطلح علم الاجتماع المعاصر ونظرياته، أو بواسطة معايير علم السياسة المعاصرة، فقد تم ستر أو حرق الظاهرة بخصائص المرحلة الميثولوجية والدينية، وأما ما تبقى فهو عبارة عن شعب واقف أمامنا بحالته الفيزيائية فقط، ويعد بأنه ينتمي إلى جنس البشر، ولكن إذا نظرنا إليه بمنظور المعايير المعاصرة، فإننا نجد بأن لهذا الشعب مكانة أسوأ من مكانة أية قبيلة زولو بدائية في جنوب أفريقيا غير معترف به وبلا هوية وجميع حقوقه مسلوقة ومحروم حتى من استخدام لغته، إن وضعاً كهذا تعسفي لدرجة أنه لا يمكن أن يتناسب مع أي معيار إنساني، إنه موجود وغير موجود، إنسان وليس بإنسان، إنه شعب وليس بشعب، ويمكن زيادة هذه التناقضات بنحو أكثر، ناهيك عن أن السياسات الرسمية مازالت تتحدث عن هذا الأمر بوضوح وتمارسه، غير أنه من الخطأ تحميل المسؤولية في ذلك للحكومات وللسياسات المعاصرة، بل وإن تفسير هذه الحادثة بالقول أنها نتيجة للمصالح الدولية والإقليمية يعني لفت النظر إلى جانب محدود من هذه الظاهرة.

لقد تعرضت هذه الظاهرة خلال جميع العصور التاريخية المهمة لتأثير عدد كبير من انقلابات القوى، وقد شهد العالم في أماكن مختلفة أوضاعاً مشابهاً لذلك، ولكن خصوصية الظاهرة الكردية، هي أنها وصلت إلى نخط لا تشبه ذاتها ولا الآخرين الذين تم فرضهم عليها وبقيت في واد بين الحالتين، ولم يعرف حتى الآن فيما إذا كانت عذراء أم عاهرة، لقد تلوثت بشور كل قادم لم ينجح في فتحها، والأغرب من كل هذا فإذا ما قيل للذين يزعمون بعدم وجود هذا الشعب أو للذين يقولون أنهم جزء من هذا القسم، "فما دام هذا الشعب جزء منكم والجسد وحدة متكاملة لماذا تتركوهم كعضو سرطاني؟.."، فإنهم لن يستطيعوا أن يجيبوا على هذا السؤال، توجد في هذا العالم مؤسسة تسمى هيئة الأمم المتحدة، تمتلك صلاحيات واسعة باسم شعوب وأمم العالم، إنها تتخذ قراراتها بحق أكثر القبائل الأفريقية تخلفاً، وتقبل في داخلها كل الدول عضواً، حتى تلك التي تسمى دولاً ولا يزيد عدد سكانها عن المليون، ولكن عندما يتم الحديث عن الظاهرة الكردية، فإن وجوده يصبح موضوعاً للنقاش ولا تعترف بحقوقها، إن جميع جذور هذه الحقيقة مختفية في التاريخ، ولا يمكن أن نفهم شيئاً من هذه الظاهرة إلا إذا حللنا لغة الميثولوجيا والأديان، وإذا استنفرتنا جهود بعض العلماء الأخلاقيين الشرفاء عندها يمكن أن نفهمها جزءاً جزءاً.

لا أريد أن أطيل الشرح النظري ولكنني شعرت بضرورة ملامسة هذا الموضوع كي نلفت النظر إلى أي أرضية يجب أن نقف في أثناء تحليلنا للقيادة، لقد انشغلت بنفسي لسنين طويلة، و كنت في بنية تشبه شخصاً يشعر بالشك حتى في

ذرة غبار، كشخص تكون توازنه العصبي والروحي في شروط صعبة، لقد كان هذا الموضوع المتشابك، بل الذي يتجاوز طاقتي، وحتى لو لم أكن نبياً لما كان لي أثر أبعد من القيام بالنداء، ولكن جاذبية أجسام الثقوب السوداء الموجودة في الكون كانت تسحني إلى ظلامها، ولم أكن بعد ذلك أستطيع إنقاذ نفسي من الأوضاع التي لم ولن يستطيع أي إنسان أن يكتبها أو يفسرها في أي كتاب.

لم تكن المشكلة في قوتي العقلية وفي مداركي، فأنا شخص مدرك لمصيري، كان عمري عشر سنوات حين كنت أحاسب أمي سائلاً: "لماذا أتيت بي إلى عالم يصعب احتماله...؟"، ولن يستطيع أكبر أديب أن ينجح في تحليل منطق ووجدان عملية اعتقالي التي تمت على نحو أكثر ظلماً من الأربعين حرامي، وكأنهم يصطادون الهندي الأحمر الأخير، بمساعدة ودعم الألعاب الدنيئة التي قام بها الأمرون الذين كنت أعتقد أنهم أصدقاء لي، وبمعرفة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذي طور أعلى أشكال القمع والاستغلال والذي لا يعرف كيف يعيش ويعد الأقل توازناً في ثقافة الكوبوي المجنونة التي خدعت العالم حينما قدمت المجازر التي ارتكبتها الرجل الأبيض ضد الهنود الحمر على أنها أرقى أشكال الحضارة وهذا ما علمي أن أوضحه أيضاً.

لقد قابل الأتراك حادث اعتقالي بفرح عظيم واعتبروه من أهم الحوادث في تاريخهم، ولكن بنجاحهم لم يحمل أي معنى، أكثر من اعتقال كياني الفيزيائي في تابوت بعد أن لفه أصحاب الضمير الأسود والذهنية التي لا يمكن أن تجد لنفسها صديقاً، وكأنهم يصلّبونه ثم يضعونه في طرد بريدي، لقد أورد الإنجيل الكلمات الأخيرة للنبي عيسى عندما تم صلبه حيث قال: "ربي لماذا تركتني وحيداً"، وأنا موافقي الروحية والذهنية لم أكن ضد أي شخص ومؤسسة تستحق هذا التوبيخ، ولكن هذه الحادثة وجبت الالتزام بالآلام وذكرى الذين عايشوها وفي مقدمتهم المئات من البشر الذين أحرقوا أو قتلوا أنفسهم، والأهم من ذلك هو وجود عدد كبير من الحوادث والعلاقات التي يجب تبنيها باسم الإنسانية، وكان يراد خنق الشخصية والحركة التي كانت تعبر عكس الاتهامات كافة، وتم العمل على إنكاره ورفض الحركات النبيلة التي نفذت باسم الأخوة بين الشعوب، وكانت أفضل ذهنية سمسارية عديمة الضمير تريد أن تحصل على نتيجة من ذلك، ان الألم الذي خلقه هؤلاء يفرض العيش باسم الإنسانية، وكان يقع على عاتقي مهمة إظهار القوة اللازمة كي لا تلحق المؤامرة الأذى بشعوبنا وبجوهر هوية الشرق الأوسط، لقد عملت أوروبا وابتتها الشريرة أمريكا مع قوى الحضارة كل ما بوسعهما من أجل إذلالي، وقد كنت في حالة ذهول وأنا أتسأل عن سبب عدم احترامهم لي، لكنهم كانوا قد مارسوا تكتيكاً دقيقاً في الحرب، فقد كانوا يفعلون ما كانوا يمارسون منذ عدة قرون، في الوقت الذي كانوا يصلبون شعبنا وحزب العمال الكردستاني ويصلبونني أيضاً بلا أدنى رحمة أو احترام، كانوا ينسبون كل ذلك للأتراك، فبالرغم من قيام أوروبا وأمريكا واليونان، هذا الحلف الديني بإعداد كل شيء فقد أنيط بدور الجلال للأتراك، وكانت هذه تعبير وتطبيق أكيد لسياسة "فرق . تسد" و"دع الكلب يفتك بالكلب"، إذ أنهم كانوا يستخدمون الطغمة المهيمنة في تركيا على أسوأ شكل، وكان علي القيام بإفساد اللعبة مهما كانت صعوبة ذلك، وهو السلوك الأكثر نبلاً في القرون الأخيرة.

يجب ألا يتهمني أحد لأنني حاربت ضد الشوفينية التركية التي لا تعرف الأخوة ولا تعترف بالشعوب، وألا يعتقد أحد بأن الموقف الذي أتخذته من أجل السلام والمصالحة الديمقراطية هو موقف استسلامي أو خضوعي، بل ان المقاومة الكبرى تكمن في هذا الموقف، إن المساهمة في وحدة شعوبنا عن طريق الوفاق الديمقراطي الحقيقي والسلام المشرف هي

الجواب المؤثر على المؤامرة، وبالنسبة لي في الأقل فان المواقف الأخرى كافة تخدم آمال الذين ينتظرون الحرب دون حجل ضمن شروط القوة غير المتوازنة، إن أكثر ما أحنزني هي الإهانة التي وجهوها من خلال شخصي إلى الشعب الكردي، حيث كان بإمكانهم تصفيتي، ولكنهم لو استطاعوا في الأقل فهم هذا الشعب الذي ضحى بالآلاف من أبنائه، وكنت مصدر أمل لشعب ليس له معين، وليس لديه من يعرف طريق النجاح من بين أبنائه، وقد واصل هذا الشعب تطلعاته من الرجل المصلوب من جهة والموجود في التابوت من جهة أخرى، كان ينتظر من الرجل الذي تعد ولادته كشخص جريمة كبرى، أن يؤدي دور القابلة لولادة حياته الحرة، فلم أصدر أمراً في أي وقت من الأوقات، سواء لحزب العمال الكردستاني أم للشعب الكردي بأن يتبعني، ونظراً لعدم وجود معين لهم فقد بث في موقع أتخذ موقفاً أصعب من الموقف الذي أتخذه عيسى قبل ألفي عام، وتبنيت أيضاً دور كاوا الحداد وأحييت قدسية النبي إبراهيم.

لقد صرت مم ودرويش عبيدي لزين وعدولة، مثلت آخر تأوهات المانيين والمزكدين والبابكيين، وعشت وحدة الحسين في كربلاء، وأصبحت أعشق الحقيقة لدى منصور الحلاج، ووصلت إلى مرتبة الصداقة عند بير سلطان، وكنت صديقاً لديز وماهر وإبراهيم، وكنت المحارب في سبيل الثأر لمظلوم وخيري وكمال وفرهاد، لقد مثلت بذلك النموذج الأخير الذي وحد ورسخ في الوعي آلاف الأسماء من كل العصور ومن كل الأمم، لم يكن هؤلاء الخالدين في ذاكرة الإنسانية حروبهم ومقاومتهم فحسب، بل كانت لهم قضاياهم السلمية التي لم تجد فرصة لتحقيقها، إن هذه المرافعة ليست لي، بل هي مرافعاتهم السلمية الأخيرة التي بقيت ناقصة، فقد أردت أن أسد هذا النقص، إني مؤمن بأنه تم تقليم التعريف الصحيح للإنسانية والتاريخ والعصر والاستغلال والظلم والمقاومة والحرية والسلام، وتم فتح الطريق أمام تاريخ الشعوب، وأدرك أيضاً أن العمل الذي قمت به ليس قيادياً، أنه تطهير لقاذورات الذين ادعوا القيادة منذ آلاف السنين، إني أنظف مرحاض التاريخ، وأوضح لمن وبأس من وبأي معنى وضَع وسخه، ولم أتطلع إلى شيء من الدولة ولا إلى مرتبة وموقع، وحتى لم أفكر أبداً بقيادة امرأة بسيطة ترضى بكل شيء وفي أي وقت، واعتبرت إقامة الصداقة مع المهتمين فوق كل شيء، دون التمييز بين رجل أو امرأة أو قومية، وربما لم يكن أصدقاؤني يتخيلون بأنني سأكون في هذا الموقف في أي وقت من الأوقات، لقد أوضحت لهم الحقائق مرة أخرى، فإن أعجبهم ذلك ووجدوها صحيحة فإن وضعي المساوي سيكون مصدر قوة كبيرة بالنسبة لهم، وإذا كانوا لازالوا يعملون كثيراً من دون أن يحققوا أي نجاح، فهذا يعني أنهم يخدعون أنفسهم وأقول لهم ليتراجعوا.

في القسم الأخير من مرافعتي، سأوضح هويتي أكثر، وفي هذا القسم سأحدث عن المؤامرة وعن بعض المواقف أمام الخدع المشابهة، المشكلة لا تكمن في أن أموت ببطولة، إذ نجح الكثير من الأبطال في هذا الدور أكثر مني وبقوة غير محدودة، وإنما إجراء تحديد الحياة التي تليق بهؤلاء الأبطال وهذا ما ينقصنا، وقطع الطرق كافة التي يمكن أن يستخدموها الظالمون والمخادعون كي لا يستثمروا ميراثهم وسد جميع السبل أمامهم، وأواصل هذه المهمة كضرورة للالتزام بذكرى القادة.

من المؤكد أن القيادة فن، ولا يمكن أن يقال بأنني مثلت هذا الفن على أكمل وجه، ولكنني على فناعة بأنني حللت وبنحو جيد خصائصها المؤسساتية والشخصية، سواء بشكل عام أو للکرد، ربما لم استطع القضاء على مظلهم وخداعهم، لكنني قدمت إسهاماً جيداً في إسقاط أقنعتهم، وهذا ما قصدته بقولي نظفت أوساخهم، وقد شرحت بنحو

جيد طبيعة هؤلاء، ابتداءً من الذين تستروا خلف قناع الله، وحتى مختلف أنواع الديماغوجيين العلميين، لقد وضحت من خلال سلوكي وتحقيقي وبكل ألم كيف يمكن أن يكون التظاهر بالرجولة اعتماداً على المرأة والمسحوقين بنحو خاص، وحاولت إظهار أن المؤسسة التي تحاول أن تقدم نفسها على أنها الله الكامل أولاً والتي تقدم نفسها على أنها شبه الله فيما بعد هي الانموذج الأول للدول، وكذلك حاولت تحليل وهدم الهوية المتجبرة كأولوية وإن كانت تحاول قيادة الشعب، وبأن الشكل القيادي الجديد يكتسب معنى التنسيق العام لأعمال الشعوب، وبهذا لا يمكن أن تحل محل دولة الشعوب، وحاولت تطوير نظريتي ضمن هذا الاتجاه على ظاهرة الشعب الكردي.

عندما رأيت أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً سوى تقديم طراز شبيه بالآغا سواء داخل المنظمة أم خارجها بالرغم من كل الدعم الذي قدمته، أظهرت احتراماً لتسميات مثل "قائد" أو "رئيس"، هذا ما كان يريده الشعب والذين يضحون بأنفسهم في سبيله، حيث لا يمكنني إلا أن أحترمهم، ولم أقهر من دوري القيادي والقائد العام بحسب معلوماتي، حتى ظهر الذين لديهم القدرة والمعرفة في كل مجال وكل موضوع، وقد كانت هذه مسؤولية كبيرة وقعت على عاتقي، لقد كان هناك فراغ تاريخي وسياسي واجتماعي وعسكري كبير جداً، وكان الجميع يريدون أن أمنحهم حقوقهم في كل مجال، أردت أن أحارب عبر وتيرتي وبممارسة عملية أصغر في الأقل، دون أن أهمل في أي وقت مهمة التحليل النظري التي تحتاج لمواهب شاملة ولو ليوم واحد، فكل الميادين كانت تطالبني بمحقتها، ووجب عليّ أن أختار بنفسني نمط قواعده وممارسته، لأنه لا يوجد أي مثال أو أي شيء ليكون قاعدة للاعتماد عليها في هذا الموضوع، وكان هذا يشبه السير في غابة موحشة مليئة بالوحوش، ورغم علمي بكل ذلك لم أتردد في أن أبدأ بمسيرة جلعامش، كضرورة لاحترام الشعب والمتميزين بي، كان جلعامش ينتصر على القيادة الشعبية ويفتح الطريق أمام القيادة الملكية، أما أنا فقد كنت أريد أن أنتصر على الملوك الموجودين في الغابة وأعيد للشعب حقوقه في الحكم الذي سلب منه بألف حيلة وبالعذر والدسيسة والاستبداد، فقد كان همي تمهيد السبيل أمام ظهور القادة الشعبيين، وفي الوقت الذي كان جلعامش يصطاد عميلته ويروضها عن طريق اختزالها من إلهة إلى عاهرة، كنت أنا أفعل عكس ذلك، فقد كنت أحاول تحويل المرأة التي آلت إلى وضع أسوأ من العهر إلى إلهة، وبذلك كنت أعمل للوصول بالرجل أي بأنكيدو إلى مكانة القائد الواعي للشعب مرة أخرى، وكان باستطاعة مكانة الإلهة أن تُهدب الرجل بواسطة جوهر المساواة والحرية المؤسساتية السليمة لمؤسسة القادة الشعبية، ولكن الذين يمثلون دور أنكيدو وتظاهروا بالالتزام ترددوا بمعنويات محبطة وبرفض موضوعي، راحوا يلعبون لعبة القروء الثلاثة، فقد كانوا يلعبون أمام كل نداءاتي لعبة "لا اسمع، لا أرى، لا أعلم" إذ لم يكن هؤلاء بحاجة لإلهة، بل لعاهرة عمومية أو خاصة، وهنا أيضاً بدأت حرباً ضد واقع القيادة الرجولية المهيمنة التي تمتلك قيماً مؤسساتية كبيرة، وقيماً تطبيقية غير قليلة.

قام الذين حاصروا غابة العالم خلال خمسة آلاف سنة في كل زاوية وناحية، وخاصة الأوروبيون الواعون، بنصب شبكهم الدقيقة بمهدف اعتقالي لأنهم لم يجدوني قريباً منهم، ولم يكن هناك أي شيء يمكن القيام به، وقد كان الهروب أو الانتحار سيخدم مصالحهم أكثر، وكان الشيء الذي يمكنني القيام به هو أن أحافظ على حرية قلبي حتى النفس الأخير، وأن أواصل حياتي باحترام كبير لقطرات المعنى الذي يمكنني أن أطورها، بينما كانوا هم يتجاوزون نبرون ويلقون الضحية إلى الحلبة ليطلعونها للأسد الذي قاموا بتربيته، وأن يعيشوا وسط مزيج من صرخات المحبة والفرح والخوف، وكانوا يريدون أيضاً رؤية نهايتي على شكل تسلية لعدة متفرجين، لقد كانوا مسيحيين بالاسم فقط، وفوق ذلك كانوا أرثوذكسيين،

وكتبوا منذ زمن بعيد أنهم يمثلون روما التي يمكن أن تصلب عيسى وأمثاله ألف مرة من جديد، إذ توجد ثقافة الصلب في مورثاتهم، ولم يكن يصعب عليّ أن افهم ذلك، فقد كان عيسى منا، كان جارنا، وكان الدفاع عنه بفخر من ضرورات حسن الجوار، فقد تم ترتيب عمليات الصلب والإطعام للأسود بحقه وبحق آلاف من التابعين له، وكنتُ ضحيتهم الأخيرة، لقد اجتمع في داخلي وبنحو غريب، تقاليد المقاومة السامية، لأجداد عشريننا من أجل جوهر الإنسانية من جهة، ومن جهة أخرى تقاليد السلام السامية لجدنا النبي إبراهيم وللنبي عيسى، كما لا بد من سمو إلهي، شرحت مفهوم الإله، وبينت ما الذي يعنيه، ولكنني احترمت المفاهيم الإلهية للشعوب وللنساء وللشيوخ العاثرين وللأطفال، لقد كنت داخل سمو الهي لخصائصهم الإلهية، حقيقة لقد كان هذا في السمو داخل المفهوم الإلهي للشعب، وكان الموت ضمن الشرط والشكل الذي كنت موجوداً فيه أكبر عنواناً للسمو، ولم تكن هذه الحقيقة تولد الخوف، بل تولد خياراً للسلام المشرف للإنسانية كل يوم، لقد كانت قوتي تمكيني بأن أبادلهم بواسطة الحرب عن طريق المقاومة والدفاع المشروع والنجاح حتى النهاية إذا فرضوا الحرب والإبادة، وقادر على أن أبادلهم السلام المشرف والعدل إن أرادوا، لذلك لقد كنت على طريق مقاومة وسلام الأبطال، كما تم إيضاح ضرورات وصاياهم عبر الدفاع، وأسمعتها إلى العالم فليات الموت كما يريد، ولكن الحقيقة الواضحة تؤكد أن النصر سيكون حليف الإنسانية وحليف شعوبنا.

١ . فترة الولادة القيادية لأجل الشعب ١٩٧٠ . ١٩٨٠

إن السير في حقل الشعب الكردي المليء بالألغام الخيانة والتآمر منذ قرون هي الأرضية التي ظهرت فيها القيادة، فمنذ البداية يجب الأخذ في الحسبان التمزق في كل لحظة، إذ أن الخطورة لم تكن ناجمة عن الألغام الفيزيائية المكونة من عنف الدولة فحسب، بل كانت الخطورة الحقيقية ناجمة عن الألغام الفعالة التي ترسخت في عالم الذهن والروح التي تعد أخطر من الأولى بألف مرة، إنها من النوع الذي يملك القدرة على تفتيت الدماغ والقلب في لحظة واحدة، ولهذا تركت هذه الأرض أي واقع الشعب الكردي قاحلة مثل الساحات المليئة بالألغام على الحدود، فمهما كانت التربة خصبة، فإن الزراعة المكثفة حولتها إلى صحراء أو جبل، وإذا وضعنا بالحسبان عدم وجود كاسحات الألغام والأيدي الخبيثة فإننا سنجد أن العمل يدخل في إطار المعجزات.

كانت لديّ بعض المواهب أمل أن أتوقف عليها في فصل الهوية، لقد كانت آهتي مكونة من دماغ يشك بكل شيء وقلب لا يخفق إلا من أجل الحرية في كل زاوية من زواياه، وكان هذان الإلهان يملكان القدرة على ملاحقة الحقيقة وابتهاج الحرية، وكانا عنيدين لدرجة أنهما كانا يبحثان عنهما، إن لم يجداها سيخلقنا إن لم يتم خلقهما بعد، لقد كان صوت الشباب الثوري في انقرة السبعينيات قوياً وشجاعاً، وكان يمكن الإحساس بشجاعته في ساحة مليئة بالمصائد، فإذا كان لدى هؤلاء الجرأة والتضحية للدفاع عن وجودك، وإذا كان لديك شعور بالكرامة ولو بنحو محدود، فإنك لن تستطيع التخلف عن اللحاق بمؤلاء الشباب، لقد أعطيت لنا نحن الأنصار الشرفاء مهمة متابعة مسيرة ذكرى استشهاد ماهر جايان ورفاقه في قزل دره، وإعدام دينيز كزيميش ورفاقه، فلم تعد المدرسة أكثر من ذريعة، وكان من المؤكد بأنني سأمارس نشاطي من أجل الشعب، ولكن منذ البداية قد تُودي اسم شعبي على كرسي الإعدام، ولكن ما هو نوع الشعب الكردي؟!، كان لا بد من معرفة ذلك، وهكذا بدأت بالمسألة الوطنية.

لقد كانت موجودة في السابق، فعند وجودي في المدرسة الابتدائية، كانت الكردية تلاحقني كذنب يلوح من ورائي، وكانت النزعة القومية الكردية البدائية تسير على المثل القائل: "الاصطياد في المياه العكرة"، تحاول اصطيادنا، كانت كل هذه الأحداث سبباً يدفعني للتعرف على المسألة الكردية التي تشبه الثقب السوداء، ولم يكن في تلك المرحلة العثور على شاب نشأ على ثقافة الشرق الأوسط، يمكنه تجاوز الذهنية الدوغمائية، بل كان ذلك قريباً من المستحيل، وقد بينت التجارب الكثيرة أنه لا يمكن التخلص من الدوغمائية عن طريق الاختيار بين الإسلام والاشتراكية، كما تبين منذ تلك المرحلة أنه من دون تجاوز الدوغمائية لن يكون هناك أي فرق بين ترديد العموميات الاشتراكية وترديد الآيات، واعتماداً على ثقتي بالاشتراكية المشيدة، تم تكليف طالب ذو ذهنية دوغمائية خام بتطبيق الاشتراكية المشيدة التي لم تتجاوز الذهنية الدوغمائية، على مسألة صعبة جداً مثل المسألة الكردية، لقد التقت المسألة مع مُحاورها وكان لا بد من ظهور شيء ما، وكان هذا الشيء هو الأبوجية.

ضمن فوضى الحركات اليسارية واليمينية في عام ١٩٧٥، قدمت رئاسة "الجمعية الطلابية الثورية في انقرة" الأرضية الضرورية للمجموعة، لقد توافرت الأرضية من أجل انطلاقة ما، ضمن الشروط التي لم يكن هناك تأثير كبير لجمعية الثقافة الديمقراطية الثورية DDKD التي حاولت أن تترسخ بعد كتلة ثقافة الشرق الثورية DDKO، التي تنتمي للنزعة القومية البدائية الكردية، وبعد التصنيفات التي شهدتها اتحاد الشباب الثوري "ديف كنج"، بدأنا بتحقيق وتطوير الأبوجية ضمن هذه الشروط كميلاد جديد، وكانت الشببية في هذه المرحلة عاطفية بما يتجاوز الدوغمائية، لقد كانت مجموعتنا تتكون من شباب يقارب عددهم الدزينة، من الأصول الفقيرة، وكان قسم منها ذو أصول تركية، إذ أنهم انضموا إلى هذه المجموعة بحسب تعبير كمال بير بمفهوم أممي وهو أن "طريق تحرير تركيا يمر عبر نيل الشعب الكردي لحرية"، وأما الشخص الذي كان مختلفاً عن باقي المجموعة كان كسيرة يلدرم، إذ أنها تنحدر من أسرة مشهورة بعماليتها، بل أكثر من العمالة، كانت قد قامت بدور ميليشيا نظام انقرة وتنسب إلى حزب الشعب الجمهوري وهذا أمر طبيعي للميل إلى اليسار لأن حزب الشعب الجمهوري كان خصوصية المرحلة.

ومهما بدت هذه القضية التي نحن بصدها كقضية شخصية إلا أن لها نتائج عميقة تاريخياً واجتماعياً وثقافياً، لأنها أخذت شكل عقدة لهذه المزايا، فقد قيل الكثير حول شخصية كسيرة يلدرم ونوقشت بنحو جدي فيما إذا كان لها منصب في الدولة أم لا، ولن أدخل كثيراً في مناقشة هذا الجانب، سأحاول أكثر تحليل علاقتها مع المجموعة.

إن انضمام كسيرة إلى المجموعة يأتي بمعنى إشارة قف، وكان يمكن إدراك ميولها لدرجة "إن القضية الكردية والقضية اليسارية من مسؤوليتي فنحن أصحابها"، وكانت تمتلك جاذبية أنثى رقيقة وذكية، وأما من الناحية الفيزيائية فقد كانت تحمل الخصائص الكردية، ولا أعرف إن كان هذا نوع من المصادفة، أنها عبارة عن سدٍ وضعت أمامي لتغيير مجرى حياتي رأساً على عقب، ومثلت ذلك في شخصيتها فقد كنت أدرك ذلك يوماً بعد يوم، ومواقفي وحتى إن لم تكن واعية فهي تشمل بعض النقاط المهمة، كان باستطاعتها أن تحول وضع أسرتها في الشروط الجديدة إلى ميزة، كانت شابة، وكان من الممكن أن تكون اشتراكية جيدة، فلم تعد القضية الكردية هي قضية الإقطاعيين، بل أصبحت قضية الشعب الكادح، وكان من الممكن أن تبني ذلك باعتبارها اشتراكية، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت من ديرسم، وموقفها الصحيح نحو القضية كان يمكنها أن تكون مثلاً لتحول وحدة الشعب من جهة ولتحول الكثير من الشخصيات المشابهة من جهة

أخرى، فقد وضعت حرية المرأة على جدول الأعمال، ولذلك كان بإمكانها أن تكون إنموذجاً لهذا الطرح، إن هذه المواضيع متعلقة بالجوانب الإيديولوجية والسياسية للعمل، بالإضافة إلى ذلك فقد كانت هناك علاقة عاطفية تتطور، وعندما تتوحد كل هذه الأهداف بالإضافة لثقافتها العائلية التقليدية وجدت نفسي بنحو مبكر أطور فكرة وعرض "الزواج"، كان الموضوع ذا حساسية بالغة، وكان يُفهم أن عقارب التاريخ كانت ترن بألم، لقد تطور هذا الميل إلى حالة من الصراع، وربما تكون قد فسرت عرضي هذا بأنه نوع من الإشراف على الحركة وشلها، أو أنها أرادت تجربة ذلك كي تختبرني، في هذه الأثناء تم الدخول في عملية "إما أن تخطب لي أو لأحد عناصر المجموعة" مما أدى إلى وقوف المجموعة وجهاً لوجه أمام خطر التشتت، وأتذكر أنه راودني فكرة هجرة المجموعة لمدة، لقد كانت تظهر قدرتها كامرأة، وما عدا ذلك كان يصعب عليّ تحليله.

لقد كانت هذه الخطوبة المصطنعة التي كلفتنا أحد عناصرنا عبارة عن تأمر بالنسبة للمرحلة، فقد أرغمني العناد أو الشرف الكردي أو يمكن ما أسميه الخصائص المترسبة، على عدم التراجع، أنهيت هذه الخطوبة المصطنعة بزواج رسمي تم في عام ١٩٧٨، ثم نزلت في ديار بكر مع أول طيران، وفي نهاية العام نفسه تحقق اجتماع قرية فيس، من أجل الإعلان الرسمي عن حزب العمال الكردستاني PKK، كنت أضحي بالعواطف الدوغمانية من أجل القضية، إن الذي كان منتظراً ليس النصر، بل التعريف بالقضية عن طريق تعظيمها، ومع ذلك فقد كانت خطوة مهمة جداً، فهل كانت الدولة نائمة؟ جرى نقاش كثير حول هذا الموضوع، لقد أُلّف "أوغور موجو" كتاباً زعم فيه أنه حاول أن يلقي الضوء على هذا الموضوع، وبعد ذلك بمدة قصيرة ذهب ضحية ذلك بعد تدبير مؤامرة له، ولم يتم فهم العلاقة بين الكتاب وهذا الموضوع، كان والدكسيرة علي بلدرم خادماً ذا خبرة لدى الدولة، وعلى ما أذكر قرأت مقالاً له في إحدى الصحف عام ١٩٨٥: "لقد قبلنا بإعطاء الفتاة كي نحقق تقارباً مع الدولة"، ولكن هذا بمفرده لم يكن كافياً من أجل تفسير موقف الدولة.

تتحلى الأهمية التاريخية للحادثة بما يلي: لقد دخلت القيادة والأسرة والمؤامرة في جدول أعمال أكثر المراحل حساسية في التاريخ، فقد تحولت العلاقة التي كان يجب النظر إليها بنحو طبيعي على أنها علاقة أسرية، إلى أزمة اجتماعية وسياسية وتنظيمية راحت تتفاقم يوماً بعد يوم، ومررت المرحلة التي امتدت قرابة العام في ديار بكر كجهنم، فناهيك عن العلاقة الموجودة بين زوجين، كانت هناك امرأة لا يمكن فهمها، حيث كانت تقوم بعرض القوة بتحريض لا يمكن احتماله ولا يفهمه إلا من يقرأ الجوده، لقد كان الشهيد العظيم محمد خيري دورموش شاهداً في إحدى المرات على هذه العلاقة في تلك المرحلة، وإلى جانبه جميل بايق والنتيجة التي توصلنا إليها هي "ليس لها الحق في أن تفعل ذلك" ثم "يجب أن نزيلها من الوجود هذه الميول" تحدثوا عنها فيما بعد، وكمال بير أيضاً شاهد على الوضع نفسه في بيروت، ويقال بأنه ترك وصية قبل ذهابه إلى الاستشهاد تقول: "يجب ألا نترك لها ما فعلته"، كانت هذه وصيته كما قيل، وكانت صحيحة، وبقيت حتى عام ١٩٨٧ محتملاً هذه العلاقة التي لا يمكن أن يحتملها أي رجل لأربع وعشرين ساعة فقط، وبالرغم من أنها قهرت معظم الذين كانوا شهدوا عليها من أصدقائي.

لم يكن من السهل علينا أن نعلم بمدى تمثيل كسيرة للدولة بنحو واعٍ أو بطريقة غير مباشرة، ولكن هذا ليس مهماً، إذ كان باستطاعتها أن تستخدم أنوثتها باسم الدولة بنحو إيجابي، وبنحو عام كان هذا الأسلوب متبعاً، ولكن الأجواء المفروضة عليّ موضوعياً هي: "إما أن تستسلم أو سيحل عليك كل شيء" وعبارة "ماذا سيحدث لك" تقال

على الأغلب بمعنى انك ستصاب بالجنون، وأقيم هنا ما قالته بعد ذلك في مرحلة قريبة من الانفصال "لا تخف، إنني لن أسمعك" وهو ما لم أقيمه، ربما ما أوردته يكون غريباً ولكن التخلص من هذه المكيدة ليس سهلاً كما يعتقد الذين يريدون أن يفهموا الديالكتيك الكردي بعمق، لقد كان قتلها سهلاً، ولكن هذا لا يشكل حلاً، فحتى لو كانت عبارة عن عامل ضغط من الدولة سواءً بالمعنى الموضوعي أم الذاتي، فلا يمكن حل المشكلة بالعنف، وإن تم ذلك فإنه يعني الوقوع في اللعبة، وبالرغم من كل تحريضاتها، فإنني على يقين بأن الوقت الذي تم احتمالها فيه كان ضرورياً من أجل المجموعة ومن أجل حزب العمال الكردستاني PKK، فإذا ألقينا نظرة على التاريخ، سنجد أن التجارب القيادية كافة قد تأثرت بشدة بالقضايا العائلية، فقد كانت هذه المشكلة منتشرة جداً في العصور القديمة والوسطى، وأما عند الكرد فقد أدى دوراً مميّزاً، إن العائلة كمؤسسة اجتماعية، أشبه بالوحش الذي يمسك بالرجل الكردي في سن مبكرة بين أعوام ١٥ - ٢٠ سنة ويشل حركته، ومن المعروف بأنه لا يرجى خير ممن أمسكت به هذه سواءً على مستوى الأزواج أم على مستوى الأبوين، إذ أنه يستثمر جميع وقته وطاقاته تقريباً في هذه المسألة، والنتيجة تكون بنحو عام شبه مجنون أو معتوه، أو القضاء على الشخصية ذات المعنى من الناحية الاجتماعية والسياسية، إنها دوامة تبتلع الفرد من البحر الثقافي والاجتماعي الكردي، وما أن يضع قدمه في المستوى الأعلى المتعلق بالدولة أو السياسة حتى يقع بالمصيدة التي وقع فيه أنكيكو، ودور المرأة كان وسيلة إيقاع تفوق ما يفعله أقوى المخربين، وذلك من دون أي داعٍ لوجوده الذاتي، فمنذ نظام الدولة عند الكهنة السومريين، كانت المرأة كياناً أساسياً مؤهلاً لربط الرجل بالنظام والسياسة والدولة، فإذا تذكرنا كيف تم تربية أنكيكو سندرك تماماً جوهر النظام.

وفي حادثتي كانت كسيرة تؤدي بمفردها دور الدولة، فإذا أجرينا تقييماً موضوعياً فإننا سنجد بأنها كانت امرأة . آغا، استمدت قوتها من علاقات الدولة والأسرة البرجوازية شبه الإقطاعية، ولم تكن امرأة كسائر النساء، فقد كانت تمتلك معظم المزايا القادرة على تحريك الرجل والتلاعب به على أعلى المستويات، وقد لا تحتاج للدولة مطلقاً، ونظراً لأنها امرأة . آغا، فمن الواضح أنها لم تكن من اللواتي تستطيع قبول شخص قروي بسيط مثلها، أكثر من أنها لن تكن تبيع نفسها رخيصة، لم يكن في نيتها التراجع عن عشق السيطرة والهيمنة، وكضرورة لطابعها الطبقي فهي تنحدر من مؤسسة تلاعبت بين الكرد والدولة، ويبدو واضحاً أنها أرادت استخدام الطرفين، شريطة أن تكون بنمط موضوعي، ومن المنتظر ألا تتخلى بسهولة عن المكانة القيادية ويمكن لهذا الموقف أن يكون أكثر واقعية لو أمسكت بي في قبضة يدها كمناضل يعمل بنحو جيد، وكانت بذلك تستطيع تحقيق إنجازات مهمة لنفسها، ومن المحتمل أنها حسبت آداب الزواج لهذا الهدف، وتراهن على هذا المسار حتى الموت وتمضي في دورها حتى النهاية عن طريق تحريض وإثارة المجموعة وتحويلها لولادة حزب العمال الكردستاني إلى كابوس، وتجعلني أندم على ولادتي، لقد واصلت موقفها الطبقي العميل بعناد كبير وبرودة دم الأفعى حتى النهاية.

حسناً ولكن ما الذي كنت أحسبه؟ أدركت قبل كل شيء أن المشكلة ليست مشكلة عائلية بسيطة، وأدركت طبعها المتعصب لواقع العائلة، وأدركت بأن كبير أنه لم يكن بعد وقت الأحاسيس السامية في الواقع الكردي، لقد انفجر حلمي لوطن حر مع امرأة حرة، ومنذ الخطوة الأولى كانت كالكارثة التي انفجرت في قلبي وعلى رأسي، وقد كان وراء ذلك أن المرأة التي كانت أمامي تتجاوز أن تكون امرأة عادية، فقد كانت مثلاً لامرأة . آغا، لنموذج العائلة الكردية

العميلة التي تعرضت للغيلة والتصفية منذ آلاف السنين، فلم تكن أحوالها تقبل بأن يكون أمثالنا أكثر من مرافقين في منازلها، ولكنني أنا أيضاً كنت أمثل الكردي المتميز الذي ولد حديثاً وكنت أراهن على ذلك، لقد أدركت المرأة التي أمامي هذا الأمر مبكراً، وفي فترة كانت تنشر الكلام التالي لمن حولها وبنحو متزايد " إنه لا يشبه أحداً منكم " وأما الذين يظهرون بأنهم الذين يشبهون سيتحولون إلى صيد ساذج بين أيديها.

لقد بدأ يظهر شيئاً فشيئاً بأنني لا أحمل علامات الزوج التقليدي وهذا ما كان يثير جنون المرأة، ومن المحتمل أن خاصيتي هذه كانت تفسد كل مخططاتها وتعيقها، فلم تستطع أمني أن تقيدي بالسلاسل، بينما هي كانت تسعى إلى ذلك، وكانت حربي مع المرحلة قد بدأت منذ زمن بعيد، وأمر الآن في المرحلة الحساسة، فهل سأؤول إلى أنكيديو؟ أم هل سأستطيع تخليصها من بين يدي العاهرات الخاصة والعامة للأنكيديين وأضع الربة على عرشها مرة أخرى؟ حقاً لقد كانت القضية تاريخية، وحلها صعب جداً، إن استمرار الصراع وتعمقه على هذا المنوال مرتبط بأوضاع القوى المتبادلة بنحو وثيق، ففي وضع كهذا يصبح القتل الفيزيائي غير ذا قيمة، بينما حل العلاقة يمتلك قيمة تاريخية، ولم أشك لحظة واحدة بصحة أسلوبي، وكانت المشكلة تتجلى في الزمن الذي سأستغرقه من أجل الوصول إلى الحل وبقدري على التحمل وكيف يمكنني أن أحمي المجموعة وحزب العمال الكردستاني الذي كان يشق طريقه بصعوبة وسط هذه الكارثة...؟ شهدت هذه المرحلة لحظات حياة أو موت مع المؤامرات الموضوعية والذاتية، أنا لا أتحدث عن الموت المادي والفيزيائي، بل إنني أتحدث عن نمط الموت الذي خبره أنكيديو، ربما ابتلعتني العائلة والمرأة، ولكن القدر والخطة جعلاني أحتمل ذلك.

يجب أن أقول أمام التاريخ بأنني حققت الخطوة الأولى الناجحة بخروجي من الوطن، ومن ثم يتم إجراء التحليل الكافي لتحلصي من هذه العلاقة دون اغتيال مادي ومعنوي، ولكن حتماً هناك أهمية محددة لإنهاء مرحلة من الديالكتيك الكردي وهذا يعني السير إلى مرحلة جديدة، ويمكن إجراء تقييمات واقعية حول المرحلة التي تبين فيها تطلعات ومواقف الدولة في هذا الموضوع، وعندها يمكن إجراء تقييمات واقعية حول المرحلة، وينعكس البعد الأعلى لهذا الموضوع في أنشطة الشرق الأوسط وأوروبا التي بدأت عام ١٩٨٠، وسأعمل على تقييم ذلك في الجزء الثاني.

كما أن بعض العلاقات المهمة المرتبطة بالتطور القيادي في مرحلة نشوء المجموعة وتأسيس حزب العمال الكردستاني يضفي أهمية بالغة على تقييمي للأمور بنحو صحيح، وهذه العلاقات هي : نزعة شاهين دوتغر للانطلاق إلى المقدمة ومقتل حقي قرار، وعلاقة الكابتن نجاتي قايا، حيث تم الوصول إلى قناعة بأنه عميل مأجور، فقد كان حقي قرار مثلاً للجرأة والتضحية ضمن المجموعة، ويمثل روجي الخفية، ويجب أن نذكر حياته القصيرة والغنية باستمرار، وأن نعدده مصدر إلهام لنا لإيصال شعبينا إلى الأخوة الناضجة والوحدة والحرية، ونعد ذلك إحدى مهامنا، على الرغم من الدور التحريضي الذي لعبه بعض أفراد أسرته وفي مقدمتهم باقي قرار، الذي تسبب دوره التأمري في أضرار جسيمة، فإن قيمة هذه الذكرى ستبقى جليلة، وربما يكون نزوع علاء الدين قابان الذي ينتمي لجماعة "الأجزاء الخمسة" التابعة للحزب الديمقراطي الكردستاني ذو القومية البدائية لاقتراح جريمة القتل، ربما كانت عملية مخططة، فهي تشبه جريمة متعامل ومحرض، ويمكن أن نقول أنهم حرموني من ساعدي الأيمن بهذه الجريمة، فإذا كانت عملية القتل مخططة فقد تم اقترافها لتحقيق هذا الهدف، إذ كان حقي يراقب الكابتن نجاتي من قرب، لكن المجموعة عززت علاقتها وألقت خطوة إلى الأمام احتراماً لذكرى شهيد المجموعة، وبذلك تكون هذه الحادثة قد أعطت نتيجة بعكس ما كان منظرًا.

يمكن أن يشكل نجاحي قايماً مثلاً على تدخل الجيش لأول مرة، اقتراحه لي مباشرة بعدة عمليات استفزازية، وعلاقاته الأخرى ساعدتني على تشخيصه بنحو مبكر، كان كردياً من أغري، لم أستطع فهم عالمه الداخلي ولم أستطع إدراك هدفه الحقيقي، أذكر مرة عندما كنا في المبنى الذي أقطن فيه قال: "يا أخي ما عليك إلا إصدار الأوامر، فإنني على استعداد لأرمي بنفسي من الطابق الرابع، وأن أسرق أمين الصندوق وأن أقتل أي فاشي" ولكنني لم أمره، وقالوا لي فيما بعد أنه أصيب بالجنون عندما خرجت من البلد، وبعد ذلك سمعت أنه لقي مصرعه في حادث طائرة زراعية، لقد احتفظت به ذاكرتي كرجل مهمات، وكان من الممكن أن يكون نسخة أخرى من المقدم إلياس أيدين الذي نفذ عملية مع ماهر جايان ورفاقه، ولكنني كنت أسأل نفسي ألا يمكن أن يكون متعاطفاً؟ لقد كانت له إسهاماته في تقوية المجموعة بنحو موضوعي في انقرة، وكان يبدو أنه لا يوجد أي عضو في المجموعة إلا وقام بتغذيته.

كان شاهين دومنز الكادر البارز في تلك المرحلة وكان يراهن على أن يكون معاوناً لي، أما داخلياً فهو الذي ارتكب أول جريمة وحشية ضد رفيق له، ويمثل هذه المبادرات كان يرغب أن يتظاهر بالقوة، وتعميداته النفسية كانت ناجمة عن بينته العائلية. وشكل نقطة الضعف في مرحلة تشكل القيادة، لقد أدى اختياره المباشر باستجوابات الشرطة للإسراع بحملة المبادرة إلى الشرق الأوسط، ولو لم ينهار لتغير مجرى التاريخ، ولو لم يرغب رفيقه الذين يخوضون حرب الكرامة على الإضراب عن الطعام حتى الموت، لما تطورت مرحلة ١٥ آب بالنحو الذي تطورت به، وشاهين يمثل النموذج الكردي الذي يغير مواقفه بسهولة في الظروف الصعبة، بينما في أيام الراحة يفضلون أن يتظاهروا وكأنهم قدوة.

يمكن أن نوضح ذلك بأن الدولة أرادت أن تسيطر على المجموعة وعلى شخصي بنحو خاص عن طريق كسيرة ونجاحي، وأنها أرادت القيام بذلك عن طريق النقود والمرأة لأنهما النهج التقليدي للسيطرة، ولو ارتكبت أخطاءً كبيرة لتمت تصفية حزب العمال الكردستاني قبل ولادته وهو لا يزال مجموعة، حيث تم استخدام المال والمرأة كسلاحين فعالين ضد الشخصية الكردية وسبب هزيمتها، لقد جاءت الجريمة والانقياد المبكر مع أولى خطواتي في سبيل تغيير مجرى التاريخ، فلأول مرة في تاريخ الجمهورية يقف تاريخ الإرادة الحرة للشعب وجهاً لوجه أمام حالة تأسيس تاريخية، فقد تجاوزت شخصيتي مرحلة صعبة، ولأول مرة تبلورت الوطنية وتم التخلص من طوق العائلة والتخلص من العاطفية المريضة للشباب دون انقياد واكتساب هوية جديدة باسم حزب العمال الكردستاني، وظهر لأول مرة على مسرح التاريخ في تلك المرحلة، كانت ولادة خيار الشعب، لقد أعطت المؤامرات التقليدية نتائج عكسية ليست أقل أهمية من الأمثلة التاريخية للهجرات إلى الشرق الأوسط، إنها تمثل محطة مهمة في صيرورة القيادة.

٢. التفتت الاجتماعي في الشخصية وإعادة البناء

تعد فترة ١٩٨٠ - ١٩٩٠ من زاوية تطور القيادة فترة تمزيق الشخصية المحلية وتكوينها من جديد، لقد أُنقذت المهجرة الهياكل الأساسية للمجموعة بالرغم من بعض الخسائر، فقد تم إنشاء مقر في أسخن مثلث في التوازنات العالمية، حيث يعد مثلث إسرائيل لبنان سورية في مقدمة ساحات المهجرة التقليدية لسكان ميزوبوتاميا، لقد شهدت هذه الساحة أكثر أيامها سخونة في اشتباكات وتوازنات بين الشرق والغرب، لقد استمرت الحرب الإيرانية العراقية عام ١٩٨٠ - ١٩٨٨ "كأهم مرحلة صراع تاريخية مهمة داخل الإسلام، كما شهد الصراع العربي الإسرائيلي إحدى أهم مراحله

الساحنة، وكانت النزعة القومية الكردية تعيش مرحلة استقصاءات جديدة، وتحاول النزعة القومية البدائية الافادة من الظروف الجديدة، فقد كانت هذه المرحلة فرصة لترسيخ الإرادة التحررية للشعب الكردي وانتشارها، حيث التمس شمل فئة مهمة من المهاجرين وشكلوا كياناً يقارب من ثلاث مائة شخص بإرادة واحدة، وفتح أكراد سوريا ولبنان صفوفهم، كما خلقت الثورة الإيرانية إمكانات واسعة وكان النضال يواصل سخوته في الوطن، بينما صادق الغرب على نظام ١٢ أيلول خوفاً من خروج تركيا عن السيطرة، أما موقف منطق التجار للفلسطينيين فقد حصل على تنازلات من انقرة لرفض وجودنا ولم يبق لهم صداقة جادة نحونا، وكان السوريون يقتربون إلينا كاحتياط بعيد الأجل، بينما زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني ذو النزعة القومية الكردية الذي تحول إلى ذئب واستطاع استخدام أشخاص أغرار كثيرين حاول استخدام قيادة حزب العمال الكردستاني بالشكل نفسه، لقد تغيرت الأوضاع من النواحي كافة وكان لا بد من تجنب أي خطأ ليتم التمكن من أداء دور تاريخي، بالإضافة إلى ذلك كان يجب ألا تتحول الهجرة إلى لجوء متفسخ، كما يجب الانتباه لتأثير أوروبا الذي يؤدي إلى البلادة، وكان يجب أن تكون الاستعدادات للعودة إلى الوطن في الوقت المناسب من أهم الأعمال الأساسية.

بهذا الشكل أستطيع أن أقيم هذه المواضيع كافة، لقد كانت استفزازات كسيرة والافتقار إلى الطموح لدى الرفاق الذين كان من المفترض أن يكونوا عوناً لي، في مقدمة القضايا التي خلقت الصعوبات، لم تحتمل قوتي تأثير اتحاد هذين الوضعين، بل كانت تصيبها بالشلل، لقد ذهب محمد قره سونغر بسهولة وفي وقت مبكر ضحية المواجهات التي نشبت بين الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني في ربيع ١٩٨٣، أما المجموعات اليسارية التركية والمجموعات ذات الدهنية البرجوازية الصغيرة والإقطاعية الكردية لم تعبر عن أي شيء سوى أن تكون عائقاً، وفي ربيع ١٩٨٠ توجهت المجموعات للعودة إلى الداخل من جديد، وجاء اعتقال كمال بير نتيجة لذلك، وفي الحقيقة كان لشخص مثله أن يكون الساعد الأيمن لي، وكنت أندب حظي باستمرار قائلاً: ليتني بقي لكي نترك له جميع أعمال الممارسة النضالية، لقد كان أكثر رفيق ترك موته فراغاً كبيراً، كان رقيقاً جميلاً وذكياً بدرجة أنه كان وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، يحذر من موضوع كسيرة وجان يوجه كنقطة حساسة في موضوع القيادة كوصية له، ومثلما نفذ حزب العمال الكردستاني خروجه الناجح إلى الخارج وبالرغم من كل الاعتقالات التي جرت في الداخل استطاع تنفيذ عودته الأولى، لقد كانت أهم نقطة في الأرضية التي تم الوصول إليها هي استقلالية القيادة وخصوصيتها وطهارتها، فمن الممكن أن تشكل بريق أمل بالنسبة لكافة شعوب الشرق الأوسط، وكان يتزايد عدد المؤمنين بذلك ويكبرون، وكانت شروط السجون في ديار بكر والإضراب عن الطعام حتى الموت ترغم على إسراع النشاط، حيث جاءت مرحلة ١٢ أيلول الجديدة، وكان لا بد من إظهار أن النزعة الثورية لم تنته بعد، ولهذا لا يمكن السكوت من دون ردة فعل على أساليب التعذيب، ويمكن النظر إلى أن قفزة ١٥ آب جاءت التزاماً بهذا المسار، حيث بدأت المرحلة الجديدة بنحو فعلي، ولولا شهداء الإضراب عن الطعام حتى الموت ربما تطورت الأمور بنحو مختلف، إذ كان العنف يجلب العنف، وكان على التاريخ أن يأخذ طريقه ضمن دوامة العنف، لقد كانت مرحلة ١٥ آب في الوقت نفسه الجواب المناسب على وصية مظلوم دوغان الذي كان يقول "لنسمع نداءاتنا للعالم".

نشرت في هذا التاريخ كتابات اكتسبت قيمة تقليدية في أيامنا وفي مقدمتها التقرير السياسي المقدم إلى

الكونغرس الأول باسم القيادة ١٩٨١، ومسألة الشخصية في كردستان، وخصائص المناضل الثوري وحياة الحزب، ودور العنف في كردستان، وحول التنظيم حيث نشرت كلها في مرحلة ١٩٨٠ - ١٩٨٥، وقد كانت كل واحدة من الأحاديث الطويلة التي وجهت إلى المركز تساوي كتاباً وكانت تنشر في الصحف والمجلات بعدة لغات، وكانت تحمل الكثير من المشكلات التقنية والمادية بسهولة كبيرة، وكانت التفسيرات النظرية والممارسة غنية لدرجة أنها تفتح الطريق أمام النجاح، لقد تم الدخول في نهج ممارسة تاريخية، وكان التصميم والنمط والوتيرة في هذه المرحلة على مستوى يليق بقيادة الشعب التي لم يكن باستطاعتها تحديد كيف ومتى وإلى أي درجة ستكون النتيجة في مواجهة ١٢ أيلول الذي لم يكن مفتوحاً أمام الوفاق الديمقراطي والسلام، إن الافتقار للمعاونين الأقوياء لم يكن بالثقل الذي يحبط المرحلة. ولكن نقاط الضعف التي لم تكن ظاهرة في المرحلة السابقة بدأت تظهر إلى السطح فإلساحات المختلفة كانت مصممة على عدم التحول.

في البداية كان فرض كسيرة لنفسها يفوق حدود الاحتمال، كانت تصعد استفزازاتها، وكانت تضرب بعض الرفاق وبعض الأوساط الصديقة في أكثر النقاط حساسية، ولم يكن أحداً يعرف مثلها النقطة التي وصلت إليها ثقافة السلالة العميلة من الناحية التاريخية وكان لها عوالمها، كانت هذه الدنيا تتفكك وتفتح دنيا الشعب الجديدة، ولم تكن تريد أن تعد نفسها لهذه الدنيا من ناحية الروح والبنية وكأنها كانت تريد أن تبرهن على أنه لا يمكن أن يكون للشعب عوالم حرية وجمال تتجاوز تلك التي تعيشها، وكلما تفتح عالم الشعب بشخصيتي فإن ألوأها كانت تصبح باهتة، إن موقفها هذا بالرغم من أن له شكلاً كاريكاتورياً ساذجاً، لكنه كان يذكرني دائماً بموقف كليوباترا في أحد الأفلام، ولهذا لم يكن لها أي أساس في إمبراطورية قيصر الرومانية بل وفي قصور مصر القديمة، ولم يكن باستطاعة قصر واحد من قصور فرعون أن يحقق تغيير العالم، ولكسيرة أيضاً قصرها وسلالتها المكونة من أسرتها، فإن كان دنيا الشعب جنة فلن تجلب لها إلا الضيق والهم.

كانت تريد أن تفجر آخر أكبر تأمرها في أثناء التوجه إلى المؤتمر الثالث لحزب العمال الكردستاني عام ١٩٨٦، ونظراً لخوفي من شروها، فقد فضلت أن أراقب المؤتمر عن بعد، لقد كانت في حالة غضب وكأننا نتقاتل منذ ألف سنة، لم تكن تستطيع أن تقبل الخسارة، وكأنها كانت تلفظ آخر أنفاس الطبقة العليا الكردية في ذاتها، علماً بأنني كنت أحمل لها كل متطلبات ومقتضيات الزوجية والصداقة والرفاقية حتى آخر لحظة، لقد أعلنت دائماً أنه لا يجوز إعطاء الفرصة حتى لي أنا ضد قيادة الشعب، فالصحيح هو العالم الحر للشعوب، وبأن الاتحاد بهذا سيحمل قيمة كبرى، ولكنها لم تمتنع عما تعرفه، ولهذا حكمت المنظمة عليها بالموت، وهي أيضاً كانت تريد الموت، وهذا ما كان يجعلني أفكر كثيراً، وقد قلت بأن أكبر عقاب لها هو أن تبقى على قيد الحياة، بالإضافة لذلك فهي كردية ومن الجنس المسحوق، وقد وصلت إلى هذه النقطة نتيجة لتاريخ لعين عمره آلاف السنين، ولم يكن من اللائق أن يتم الانتقام منها وهي على هذه الحالة، والأهم من ذلك أن علاقتي كانت منذ البداية تبحث عن الوفاق، ولهذا السبب دخلت في علاقة معها ومع أسرتها، وكانت هذه مبادرة عن نية مصالحة سياسية ديمقراطية، ولن أخون وأقول أن ذلك لم ينسجم مع واقعي القيادي، ولكن هذه العلاقة التي يمكن أن تفسر بعمق من خلال سطور رواية وهكذا دفنت في الظلام مثلما أتت منه، بلا ذكرى ولا رحمة ولا كلمة وداع وذلك في صيف ١٩٨٧ بعد فترة ملتبهة دامت عشر سنوات.

لقد كانت تجربة عشق ستكلفني وتكلف الشعب ثمناً باهظاً، ولهذا السبب قد آلمني كثيراً دفعها لبعض الرفاق إلى درجة الانتحار، ولكن لا يمكن تنفيذ النضالات الاجتماعية والوطنية دون معرفة العلاقات الديالكتيكية السائدة ودون

إجراء التحول، والاختيار المساوي لبعض العلاقات ضروري من أجل خلق علاقات جديدة، وما نتحدث عنه يشبه هذا كثيراً، فلو لم تنفتت هذه العقدة الكأداء لما كان بالإمكان معرفة ربة العشق، ولم يكن بإمكانني أن أعرف المرأة مطلقاً، أن الذي تحلل بمذه العلاقة تاريخ ضخم وطبقة ضخمة، إن ما تحدثنا عنه هو أقدم علاقة عبودية، لقد كانت تتجاوز حقيقة الشعب التاريخية والاجتماعية، وعلى الرغم من أن آلامها كانت كبيرة وأضرارها أسفرت عن تفككها بهذا النحو لم يبعدني عن المرأة، ولم يجعلني أكرهها، وربما ساعدني في أن أعرف واقع وحقيقة المرأة أكثر من أي مثقف آخر، هكذا كنت أنتقم من تلاعبها المخيف بكرامتي، كنت مصمماً على أن أقتل الأنثى التي في داخلها والرجل الذي في داخلي والذي فتح أمامي هذه العلاقة، كنت سأدفع الثمن فقط، إذا ما نفذت هذا من أجل الإنسانية والوطنية والمساواة والحرية، منذ تلك السنة وحتى هذه الأيام كتبت الكثير عن المرأة وانفتحت عليهن أكثر، ورأيت عظمتهم ورأيت صغري، وحللت علاقة الرجل والمرأة المقرفة، وبيّنت الوجه الداخلي لبيوت الدعارة العامة والخاصة، وأرجو ألا يفهم من كلامي أنني اتهم علاقات مؤسسة الأسرة، ولكن وبسبب إحلائي واحترامي للعشق أرى أن هذه مهمتي حيال الذين لا يزالون يعتقدون ألاماً كبيرة والذين أحرقوا أنفسهم إثباتاً لذلك، يجب أن يعيش العشق على هذا التراب، ويجب أن يجارب من أجل ذلك.

لقد خضت هذه الحرب التي أوليتها قيمة كبيرة ونجح العشق، وما تبقى فهو يقع على عاتق نبل النساء وفضيلة الرجال، لقد أصبحت الابن اللائق لهذه الأرض التي ارتقت بجميع قيم الربات الحضارية وعلى رأسها العشق، لقد أجريت نظرية وممارسة العشق بنحو صحيح، واستطاع الذين يحملون بأيديهم مشاعل انتصار الحرية الوصول إلى ربة العشق، إن من حق اللاتقون بما أن يستمروا في هذا التراب الذي بدأ بالزراعة والتدجين بمجد الربات، حيث يوجد للعشق قانون يجب إطاخته.

إن جميع أنواع الحروب صعبة جداً في ساحة الشعب، فحتى لو كان صعباً إذا وضعت امرأة كهذه أمام قائده وحاولت أن توقعه في لعبة الجنس التي تم التلاعب بها آلاف السنين، فيجب أن تقبلي بهذا الرد الذي يليق بك، هكذا أعطي الرد لأكثر أساليب وأدوات المؤامرات التاريخية تأثيراً باسم الإنسانية وسموها وعشقها، وأما الباقي فقد ترك للجهود وللتجارات النبيلة التي يبذلها أصحاب الكلمة والقرار في هذا الموضوع.

من الصعوبة أيضاً أن يكون الإنسان بلا معاون، وعدم امتلاك المعاونين في ارتقاء القيادة فتح الطريق أمام مأس كبيرة، بخاصة عندما يظهر الخونة، لقد رددت دائماً: لو وجد ثلاثة أو أربعة أشخاص يرسخون أنفسهم لنمط القيادة بالكامل، لما وصلت الآلام إلى هذا الحد الكبير، ولما وصلت الحرب إلى درجة العنف، ربما عملت الوحداية على تضخيمي، ولكنها أحييت الكثير من الآلام والخسائر للرفاق وللشعب لم يكونوا يستحقونها، كنت أذكر دائماً النبي موسى في هذا الموضوع، حيث ظل يصرخ أربعين عاماً في الجبل وفي الصحراء من أجل توحيد قومٍ ملعون، وأبدع الوصايا العشرة، ولكن القوم كانوا يفعلون ما اعتادوا عليه، ويكتب التاريخ أنهم تركوا قائدهم الذي يدعى يشوع وحيداً، وتقول روايات أخرى أنه قتل من قبل قومه، إن وحداية موسى أمر حزين، إن التاريخ كما يبدو يقتضي ذلك، أعرف أن هناك من هو أكثر مني تضحية وجراً بألف مرة، وأعرف أن أعدادهم تفوق الآلاف، لكن وجود خليفة أو معاون في أثناء ولادة التاريخ يقتضي خصوصية مختلفة جداً.

هناك تطور آخر اصطدمت به القيادة في أثناء تكوينها، وهو الظهور التلقائي لمجموعة هربت من الإيديولوجية

والانضباط تحت اسم القيادة القروية، لقد تسبب شروط الجبال التي تدفع الى البدائية وضعف الإشراف في فتح الطريق أمام كثير من النماذج المرائية التي تفتقر للانضباط القيادي لاستغلال أدنى فرصة تظهر أمامهم، إن تشتت المؤتمر الثالث وعدم اعتراف المركز بالحزب، فتح الأبواب على مصارعها أمام هؤلاء، وإن التشكيل الذي نسميه " العصابة الرباعية" هو نتاج لهذه الظروف، فمن جهة تعمل هذه النزعة على تحطيم البنية المضحية والمؤمنة، ومن جهة أخرى ترمي بجهود القيادة قي بئر ليس له قاع وتفرغها من محتواها، لقد كانوا يفتقرون الى الأخلاق والتربية التي تسمح لهم بتفسير ارتقاء القيادة وممارستها، إن الخروج على النهج الذي أدى إلى قتل النساء والأطفال كان يتغذى على هذا المصدر أساساً، لقد كانوا يضعون الأساس لتحريف جاد، لقد لفت الشهيد معصوم قورقماز الانتباه إلى هذه النماذج التي رآه عقبة أمامها ووصل الأمر بها إلى قتل بعض القيميين من منتسبي الحزب، ويجدر البحث عن دور هؤلاء في استشهاد معصوم.

بعد شاهين دونغر برز كل من محمد شنر وسليم جوروك قايا اللذان لعبا دوراً أشبه ما يكون بدور المتعامل مع العدو في السجون، ولكنهما نفذوا دورهما بدماغوجية فظة جداً، وجعلنا ما يشبه المعارضة شعاراً لهما، لقد أرادا أن يحصلوا بدماغوجية مطلقة على نتيجة ما من خلال شهداء الإضراب عن الطعام حتى الموت، والشهداء الذين أحرقوا أنفسهم، واختاروا أسلوب التستر باستخدام دماغوجية المعارضة من أجل إنقاذ نفسيهما، ولم يترددا في استثمار الإمكانيات المتوافرة كافة، هناك نموذج مختلف أيضاً هو ديالور يلدرم، إذ أن انتحاره بعد توجيه عدة انتقادات اعتيادية له، تعد عملية بحاجة للتحليل، إن بنيت العائلة الشبيهة ببنية كسيرة وعدم بذله جهوداً إيجابية في الممارسة بعكس ما كان منتظراً منه، ومن جهة أخرى رسمه لصورة القيادة دائماً كلها أمور تجعل وضعه غريباً، ولم يكن يشبه الرفيق المسؤول في خروجه من الوطن وفي لقائه مع القيادة، كان شخصاً يملك طاقة عظيمة، وكنا متفائلين به جداً، فإذا كان ضحية لاخلاصه فهذا أمر مؤسف جداً، وهو موضوع جدير بالبحث.

لقد تمت في هذه المرحلة عدة محاولات اغتيال، وأجريت الكثير من التحقيقات، ومن المحتمل أنه حدثت معاقبات بسبب الكثير من الاتهامات الملفقة والذهنية الدوغمائية، ومن ناحيتي أن أكبر نقص لدي في تلك المرحلة هو الثقة المفرطة ببعض الثوابت العامة وترك المسؤولية في التفاصيل العملية لبعض الأشخاص بنحو عشوائي لأجل أن يكتسبوا الخبرة وجعل ذلك أساساً لقناعتي، يجب أن أعترف بأنني أخذت نصيبي من هذا المرض المزمن الذي تعاني منه الاشتراكية المشيدة، إن وضع الحقائق المجردة محل واقع الإنسان المعقد هي إحدى مكتشفات حضارة الكهنة السومريين، فقد بقيت الحقائق الكونية والحقائق الإلهية والمبادئ الفلسفية تحت اسم الحقائق العلمية بينما بقيت حقائق الواقع الملموس في المرتبة الثانية، وكانت هذه العادة الفكرية هي التي تغذي الدوغمائية، فبعد النطق بالحقائق يتم الدخول إلى شعور وكأنه تم تنفيذ كامل الخدمات الإلهية للكهنة المقدس وهذا ما حدث هنا، يجب أن أعلن بأنني عشت نقداً ذاتياً جريئاً في هذا الموضوع حتى لو جاء متأخراً، ولقد تم عكس هذا النقد الذاتي في هذه المرافعة بنسبة كبيرة، وكنت على قناعة بأن لذلك قيمة كبيرة وضرورية.

نستنتج مما سبق أن هذه المرحلة تشكل خطوة متقدمة في تطور القيادة، فقد تم تجاوز العراقيل المباشرة وغير المباشر التي أقامتها الدول، وتم شل أساليب الدول التقليدية التي شلت الثوريين والمتمردين الكرد في الماضي، ولم يتم الوقوع في الأعياب الذين يدفعون نحو ارتكاب الأخطاء الكبيرة، سواء أكانت لاكتساب الأصدقاء أو بقصد التحريض، بل وتم

إحباط الجهود الرامية إلى تطوير البديل لمثلي القيادة على المستوى الشخصي، مثلما تم بالنسبة لحزب العمال الكردستاني، لقد كانت الرجعية الداخلية الكردية التقليدية والشخصية التي أفلست، أكثر من ألحق الضرر بعملية الإحباط هذه بكل جرأة وينحو غير متوقع، كما تم إحباط العديد من محاولات الاغتيال، وتم الكشف عن أن المنظمات الاستخبارية الأوروبية هي التي تقف وراء محاولة جذب الحركة إلى أوروبا وترويضها، وتم إحباط هذه المحاولات أيضاً.

تتحلى الخاصية المميزة لهذه الفترة في الاعتماد على مراقبة قيادة حزب العمال الكردستاني من قبل دول المنطقة، فلقد أثر النظام الإمبريالي أن يستخدم العملاء بدلاً من تدخله المباشر، بخاصة أن أهداف ألمانيا في المنطقة وفي تركيا اقتضت استهداف حزب العمال الكردستاني منذ البداية، لقد أصيبت الأعمال التي نفذتها بواسطة عملائها بالعقم بسبب حزب العمال الكردستاني، والقيادة مسؤولة عن ذلك، فقد كانت تتجنب أن يتم إحباط الحسابات التي عقدتها على الكرد، خططت منذ البداية لأحد خيارين، إما أن يخضع حزب العمال الكردستاني لسيطرتها، أو أن تطرح عملية تجزئته على جدول عملها، لقد كانت اعتقالات ١٩٨٧ تجربة مهمة لخلق البديل عن قيادة حزب العمال الكردستاني وساندت جميع برامج الحرب الخاصة التي نفذتها تركيا، ولكن تناقضها في بعض النقاط والقوة المتزايدة أدت إلى خلق صراع بينهما، وانتهجت منذ البداية وبتصميم كبير سياسة شد القيادة إلى أوروبا بهدف عزلها أو فرض الخنوع عليها، وأرادت كل من الولايات المتحدة وإنكلترا أن يكون لهما تأثير على الاتحاد الوطني الكردستاني، وقامت كل من إيران والسعودية بفرض مجموعات إسلامية، ومثلما حدث بالنسبة لحزب العمال الكردستاني فقد تم البدء بتضييق المجال الموجود حول القيادة، وإفساح الشعب المجال لقيادته كي تتقدم رغم رقابة دول المنطقة يعد تطوراً تاريخياً مهماً، وأنه لم يكن قد تم بعد فهم القيمة الحقيقية لأنشطة الشرق الأوسط، ويجب أن أبين بوضوح أن الوقت ما زال غير مناسب للكشف عن هذا الموضوع، و يجب أن ندرك بأن أعمال القيادة في الشرق الأوسط قد مرت ضمن مرحلة من حرب أعصاب رهيبة، وقدمت مقاومة عظيمة كي لا تفقد روح الحرية.

لا يمكن لهذه المواضيع أن تفهم بمعناها الحقيقي إلا ضمن روايات شاملة، ولا يمكن أن تفهم المرحلة التي أدت إلى مؤامرة ١٥ شباط من دون فهم أنشطتي في الشرق الأوسط، ومازال حزب العمال الكردستاني يجهل هذا الموضوع بخاصة ببعده الذي يتضمن الحرب النفسية، ويمكن استخلاص الدروس وإزالة النقص في هذه المرحلة، وقد تؤدي إلى نقد ذاتي حقيقي ويجب مطلقاً فهم القيادة في تلك المرحلة بنحو صحيح.

د. كيف يجب فهم الوجه الداخلي لمؤامرة العصر...؟

١. المؤامرات التاريخية لا توقف التطورات، بل تسرعها

تعد مرحلة ما بعد ١٩٩٠ مرحلة جديدة بالنسبة للعالم والمنطقة والوطن ولحزب العمال الكردستاني ولي أنا شخصياً، فقد تم قبول الانخراط الفعلي للاشتراكية المشيدة بشكل رسمي، ويدفع النظام السوفياتي ثمن امتناعه عن القيام بالتحويلات المناسبة فيما يخص الانسداد الداخلي في الزمان والمكان المناسبين، وهذا الثمن هو الانحلال والتشتت، وتصح مرة أخرى القاعدة السارية على كل ظاهرة اجتماعية، إذ لا يمكن مواصلة التناقض بين الهدف والظاهرة زمناً طويلاً باستخدام العنف، فلا بد من التقدم نحو الأمام بواسطة الإصلاحات أو الثورة، ومن ثم القفز إلى مرحلة أعلى، أما إذا لم

يتحقق ذلك فإن التفسخ الداخلي والتشتت سيخضعان لعملية ترميم بواسطة العنف الرجعي أو ما نسميه في عصرنا بالفاشية، وإن الترميم يؤمن للبناء ذاته ديمومة ومظهراً أكثر قوة من السابق، وذلك عن طريق استخدام معدات جديدة، ونظراً لأن الديناميكيات الاجتماعية تفرض على الحركة فإن هذه الأبنية ستتحول إلى متاحف غير صالحة للسكن، ولم تستطع الأنظمة الفاشية وأنظمة الاشتراكية المشيدة التي هي نتاج الثورة والثورة المضادة أن تحمي نفسها من الانهيار لأنها لم تستجب لعمليات التطبيع، ولأنها قاومت كي لا تقوم بإجراء التحولات الضرورية، بينما كانت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية تشهد انهيار الفاشية، كانت فترة ما بعد التسعينيات تشهد انهياراً داخلياً للاشتراكية المشيدة التي كانت نتاجاً لهذه الحرب، ولقد اكتسبت المرحلة التي تم الدخول فيها تفوقاً لنظام الحضارة الديمقراطية الذي التقى فيه يسار العالم مع يمينه بواسطة التطور الارتقائي عبر التحولات، حيث سيتحقق طريق حل المشكلات بواسطة معايير النظام السائدة، وقد حقق النظام العالمي مستويات تقدم أجوبة على الشروط الجديدة عن طريق إعادة النظر في مبادئه ومؤسسته، لقد تم التحول على نطاق عالمي ضمن هذا الاتجاه، كما تم تحليله أكثر باعتباره مرتبطاً بهذه الظاهرة الرئيسة في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، ويزعم أن القرن الواحد والعشرين هو عصر الحضارة الديمقراطية وحقوق الإنسان.

وفي الشرق الأوسط يشهد وضع الحرب والسلام الموجود في أساس النزعة القومية الرجعية التي تعود للقرن الماضي، مرحلة اختناق كاملة، حيث يتم ابتلاع طاقات الشعوب بواسطة ممارسات النزعة القومية الرجعية، ولا يتم حل المشكلات بل تحويلها إلى نمط حياة تحفنة من سماسرة الأزمات، ونتيجة للتعقيد المتطرف تحولت المرحلة إلى إنتاج الإيديولوجيات الرجعية والطرق الدينية المتخلفة.

وباعتبارها إحدى الدول الرئيسة في المنطقة فقد شهدت تركيا حالة الاختناق هذه عن طريق معاشتها للأزمات المتكررة والمكثفة، ولم تستطع أن تضع أية خطوة سواءً على طريق التغيير الذهني أم عن طريق التحول النبوي، وقد عملت الحرب الخاصة التي حولتها تركيا إلى نفي عام خرجت الدولة عن مسارها التقليدي، وتحولت إلى ساحة لممارسات العصابات الخارجة على القانون.

عاش حزب العمال الكردستاني الوضع نفسه، إذ لم يتم تقييم التغييرات التي كانت تجري على نطاق عالمي، وكذلك لم يتم تقييم التشكلات التي كانت تجري ضمن البنية الداخلية بنحو واقعي، فقد تم إخراج المفاهيم والمواقف القديمة عن مسارها الإيديولوجي والسياسي والتنظيمي، وتحويل المنظمة إلى مجموعة عصابات، إن هذه البنى قد أرغمت حزب العمال الكردستاني على التحول إلى شكل رجعي يختلف عن طريق أنماط الحياة والعمليات الخارجة عن القواعد في كثير من مناطق الحرب المسلحة، وكان المركز والكوادر الواجب أن يكونوا المسؤولين عن ذلك يجدفون في الهواء ضد التيار.

لقد تم اختزال وضعي القيادي أمام هذه الحقائق إلى ساحة ضيقة بالتدرج، أما حملات التحول وسحب المنظمة إلى المسار الذي عملنا على تحقيقه ببذل جهود كبيرة بخاصة ضمن الوطن فقد كان يتم إحباطها من قبل مفهوم العصابات، لقد شهدت هذه المرحلة بروز مجموعات خارج المسار الفعلي للدولة ولحزب العمال الكردستاني، وقد فتح هذا الوضع الطريق أمام عمليات لا معنى لها، وكانت تتضخم الآلام والخسائر المأساوية مثل الكرة الثلجية، إن التكرار المكثف من أجل تجاوز الوضع جعل مؤسسة القيادة لا مفعول لها، وهكذا تطور الوضع المناسب للمؤامرة والتصفيات، و راحت شبك المؤامرات التي دبرت لي منذ بدايات ١٩٩٠ وحتى عام ٢٠٠٠ تحوم حولي، واعتباراً من بداية التسعينيات كان وقع

أقدام المؤامرات الداخلية والخارجية المتزايدة يقول: "إنني قادم" حقاً تعد حادثة مقتل صديق طفولتي حسن بيندال برصاصه طائشة كما زعموا في ٢٥ كانون الثاني ١٩٩٠ من الحوادث التي أخفت في داخلها الكثير من الأسرار، ومن المحتمل أن تكون هذه الحادثة هي مؤامرة تم تدبيرها من قبل ساري باران ومحمد شتر وشاهين بال، الذين كانوا في إدارة المعسكر، ولو أهملت هذه الحادثة لاستكملت بتصفيتي في مدة قصيرة جداً، لقد شهدت بنفسني في تلك الأيام عندما وجهت الاتهامات في محطة تلفزيون ستار لأثنين من المخبرين المكلفين رسمياً بتصفيتي، واعتقد بأنهما قالا دفاعاً عن "جم أرسفر": "نحن لسنا فاشلين فقد كان بإمكاننا أن نقتله لو أردنا، ولكنهم كانوا يريدون اعتقاله حياً"، لقد كان هذا يعبر عن اعتراف واضح وفيه شيء من الحقيقة، فلقد كان بإمكانهم أن يحققوا ذلك بواسطة العصابات التي أخذت مسافة ضمن حزب العمال الكردستاني، ولكن جوهر الموقف الاستراتيجي كان يتضمن أن يتم تصفيتي في المرحلة الثانية، أما المرحلة الأولى فإبقتني حياً ووضع المنظمة بأكملها بين أيدي العصابات ليتسنى لهم الإشراف على المنظمة، فقد كانوا يتطلعون إلى وضع المنظمة كافة في أيديهم، ولهذا كان يتوجب عليهم أن يقتلوا جميع الكوادر المخلصة والملتزمة الذين كانوا يرون أنها تشكل خطراً عليهم وذلك بعد أن يموهوا عمليات قتلهم بحوادث معينة، لقد بدأت هذه المرحلة ضمن نطاق شمدين وكور جمال وهوك وشاهين كل في مجاله، حيث بدأوا بهذه المرحلة بموت معصوم قورقماز الغامض اعتباراً من عام ١٩٨٦.

يتضح الآن أن المئات من الأشخاص الوطنيين والكوادر القيمة والشرفاء تمت معاقبتهم بالموت إما عن طريق الادعاء بوقوع الحوادث أو بتهمة وحيدة هي "كان عميلاً"، ومن أجل تنظيف بنية الحزب من الكوادر القيمة والفدائيين المخلصين، فقد كانوا يرسلونهم إلى الموت المحتم تحت اسم تنفيذ عملية، ولهذا كانوا يتصرفون بحساسية رهيبية في موضوع مبادرة الأوامر القيادية، لأنه كلما كانت صلاحيات الأوامر القيادية واسعة أصبحوا أكثر قوة وأصبح لديهم المجال لارتكاب الجرائم وترتيب المؤامرات، ولن أقول أن كل هذه المؤامرات من ترتيب الدولة، ولكن مثلما لم يتم حتى الآن توضيح حادثة جم أرسفر، فإن هناك احتمال كبير لوجود أوساط ما ذو علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتشكيل هذه العصابات داخل حزب العمال الكردستاني، فمن المعلوم أنه كان من الصعب في تلك المرحلة السيطرة على العصابات التي كانت موجودة في بنية الدولة، وأيضاً نفذت بعض فصائل "KUK"، والكثير من العشائر والعلماء التابعين للحزب الديمقراطي الكردستاني مهام مكثفة ضمن هذه المرحلة.

لقد افتضح أمر زعماء العصابات مما أدى إلى عدم النجاح التام لهذه المرحلة، فقد تحطم تأثير هذه العصابات بنسبة كبيرة بعد معاقبة شاهين بال والموت وهروب ساري باران ومحمد شتر وهوك ومعاقبة كور جمال السابقة، ووضع شمدين تحت المراقبة، إن الأهمية الكبرى لحادثة حسن بيندال تأتي من كونها فضحت كل نوايا العصابة وعلاقاتهم المحتملة، ولو لم يتم تحليل هذه الحادثة، لكانت القيادة ستبقى بأيديهم ويعملون على استخدامها كما يرغبون، يصعب أن نقول بأن جميعهم قد قاموا بمهمة العمالة عن وعي، ولكن من المؤكد أن لقسم كبير منهم علاقات خاصة مع بؤر الدولة التي تحولت إلى عصابات، ولم ينفذ هؤلاء أدوارهم كعملاء لهم قيودهم في السجلات، بل على شكل اتفاق ضمني، كالذي تعتمد عليه مصالح الأشخاص والعائلات عند الكرد، كان هؤلاء من النموذج الذي يمكن أن يلجأ لكل الأساليب في سبيل السيطرة على وحدات المنظمة، إنهم في ذلك يشبهون نمط استخدام الدولة لزعيم حزب الله ضد حزب العمال الكردستاني، كما قام الحزب الديمقراطي الكردستاني وبعض مجموعات KUK والكثير من العشائر والمنظمات الأخرى

تحت أسماء مختلفة بارتكاب الجرائم وعمليات السلب والنهب، لقد امتد مصدر مهم من السمسة المسماة بإكرامية أبو إلى داخل حزب العمال الكردستاني وسرت فيه كالمرض بوعي أو بنحو تلقائي.

بحسب قناعاتي الشخصية أن لهذا الطراز من العصابات يد في مؤامرة محاولة اغتيال أوزال وموته، ومقتل القائد العام للجندرية وبعض ضباطه، لأنهم يعدون أوزال والقادة الذين يدعون بأنهم اختلطوا به قد فشلوا، وهذا احتمال لا يمكن الاستصغار من شأنه.

لقد شهد عام ١٩٩٣ فترة انتشار للانحراف عن المسار الرسمي في تاريخ الدولة وحزب العمال الكردستاني، إذ أن البنية السياسية لتوركات أوزال المفتوحة على الحوار أدت إلى ذهابه ضحية للقوى التي لم يتمكن من السيطرة عليها، وكذلك كان مقتل القائد العام للدرك أشرف بدليس بحادثة طائرة غامضة غريباً، وتلا ذلك الجرائم المقتنعة لحزب الله التي تزايدت كالكرة الثلجية، وتفريغ آلاف القرى من سكانها، والعمليات العسكرية المكثفة التي جاءت على شكل حملة إبادة، حيث لم يستطع حزب العمال الكردستاني أن يفعل شيئاً أبعد من زيادة الخسائر وفتح الطريق أمام اختناق المرحلة بتكتيكاته غير العاقلة كثيراً، كما لم يستطع أن يحول الكريلا إلى وضع مفهوم دفاع مشروع صحيح وأن ينفذ ذلك، وكان الإرهاب الذي مارسه النظام السياسي والعسكري في تلك المرحلة، قد انتهك جميع حدود الحقوق وتسارع خروج الدولة عن مسارها.

إن أهم مؤامرة اغتيال في تلك المرحلة هي انفجار السيارة المحملة بنصف طن من المتفجرات أمام بيتنا المزدحم الموجود في دمشق بتاريخ ٦ أيار ١٩٩٦، فقد راقبوا الخطوط الهاتفية واعتقدوا بأنني موجود في البيت في تلك الساعة، وهذا ما جعلهم يفجرون السيارة في ذلك الوقت، لقد كان لهذه المؤامرة التي مولتها رئاسة الوزراء تانسو جيلر من الرصيد السري بقيمة خمسين مليون دولار أبعاداً كثيرة، لقد عكست الصحف في تلك الفترة تورط العصابة التي أطلق عليها اسم السوسرلر، بمشاركة محمود يلدرم الملقب بـ "يشيل" وأشخاص من أسرة كردية سورية ورئيس بلدية ويران شهير في تلك الفترة في هذه المؤامرة، في أثناء استجوابي قال أحد العاملين باسم العسكرية على أن هذه الفرقة غير مسؤولة وكانوا يقولون أنهم لا يمثلون الدولة، وأنهم لو أرادوا ذلك لكان باستطاعتهم أن يحققوا نجاحاً أفضل في هذه العملية باستخدام الصواريخ، ومن المعلوم أيضاً أنه كان ضمن الدولة رأيان مختلفان، ومع هذه الحادثة تطورت العمليات الانتحارية الطوعية، وتساعدت حدة العنف.

وراح كل شخص يراقب خروج الدولة عن مسارها يقلق، حيث ترتبط عمليات "دقيقة ظلام من أجل النور" مع هذه المرحلة، وقد شهد الطابع العلماني للدولة تجاوزات سريعة جداً، وطرحت مرحلة ٢٨ شباط في التاريخ على أنها حركة ترميم أكثر من أي شيء آخر، حيث كانوا يدعون حزب العمال الكردستاني إلى المسؤولية باسم التطبيع بطرق غير مباشرة، لقد اقتربنا بنحو إيجابي وحذر من هذه الدعوى، ففي الأقل من أجل توقف قتل الناس الأبرياء، والتوقف عن تفريغ القرى والحد من الحصار، وإذا كان لا بد من استمرار الحرب فلتكن بحسب قوانينها ومفاهيمها، ولكن الاتفاقات التي تم توقيعها بين تركيا وإسرائيل عام ١٩٩٦ والتي وصلت إلى المستوى الاستراتيجي، قدمت فرصة كبيرة للاستخبارات، حيث أعلنت الاستخبارات الإسرائيلية في كل أنحاء العالم بأن حزب العمال الكردستاني "منظمة إرهابية"، مما سهل على تركيا ملاحقة قيادته، ففي عام ١٩٩٦ توصل كل من سميتس الذي استلم رئاسة الوزراء بعد بابانديرو والرئيس الأمريكي

كلنيتون إلى وحدة في الرأي حول موضوع عدم الاعتراف القانوني بقيادة حزب العمال الكردستاني، وتسليمه إذا سنحت الفرصة لذلك بحسب المعلومات التي تأكدت فيما بعد، وبذلك ضاقت الساحة القانونية حول حزب العمال الكردستاني، وبدأت كثير من الدول وعلى رأسها ألمانيا وفرنسا وإنكلترا حملة اعتقالات مكثفة بأهداف سياسية ضد أنصار حزب العمال الكردستاني.

ثم دخل زعماء الحزب الديمقراطي والاتحاد الوطني الكردستاني في جنوب كردستان في علاقات مكثفة مركزها انقرة ولندن وواشنطن، أشبه ما يكون بالتحالف الذي تم مع إسرائيل ١٩٩٦ معتمدين أساساً لذلك حملة مناهضة حزب العمال الكردستاني ووافقوا على عزله وقيادته من شمال العراق، وتقدم الدعم اللازم للعمليات العسكرية، بقيت سورية هي الحلقة الأخيرة في خطة تصفية حزب العمال الكردستاني وقيادته، فبعد أن أخذوا مصر إلى جانبهم لم يستمر الضغط النفسي على سوريا طويلاً حتى أعطى نتائج، لقد وجدت سورية أن الخضوع لهذه الضغوطات والتحالف في موضع حزب العمال الكردستاني أنسب لمصالحها.

كانت مواقف إحدى الأقنية التي تقدم المعلومات بطريقة غير مباشرة باسم الجيش غربياً جداً، وذلك طيلة الصيف قبل مغادرتي للأراضي السورية، حيث كانت المرحلة الجديدة تتطلب وفقاً لإطلاق النار، لقد اعتمدت تجربة وقف إطلاق النار من طرف واحد في نهاية شهر آب ١٩٩٨ على هذه المعلومات، ولكن لم يعط أي معنى لخرق وقف إطلاق النار، فلو تم البدء بالحوار غير المباشر بنحو رسمي الذي كان يغلب عليه الطابع الإيجابي والذي يوصلنا مباشرة إلى استخدام حقنا في الدفاع المشروع، لتطورت هذه المرحلة بنحو إيجابي، وأعتقد بأن هذا متعلق بالمراحل التي تجاوزتها مرحلة ٢٨ شباط.

تم الوصول إلى مفترق طرق، وفهمنا أنه لم يعد باستطاعتنا استخدام ساحة الشرق الأوسط كما كنا نستخدمها سابقاً، وكان أمامنا خياران اثنان، فإما أن نتختر القيادة مقرأاً لها في الجبال وتنقل الحرب إلى مستوى عال، وتصعيد حملة العمليات في المدن، أو أن نعمل على تطوير عملية البحث عن الوفاق ضمن الشروط الأوروبية باعتبارها أكثر ضماناً، إن وضع الاختناق الذي وصلت إليه الحرب واعتمادها على نقطة عمياء، واعتقادي بأنه في حال توجهي إلى الجبل فإن هناك احتمال لاستخدام جميع أنواع الأسلحة وهذا ما سيضيف أعباءً جديدة، ولذلك لم يتم تفضيل هذا الخيار، فإذا تركزت الحرب حولي، سيكون لها أخطار كبيرة على الأصعدة كافة، ولم يكن من اللائق من الناحية الأخلاقية أن أجعل من نفسي عبئاً، بالإضافة إلى ذلك فقد كانت القيادات الكردية العملية مفتوحة على جميع أنواع الاستغلال، والحقيقة التي كانت واضحة وقتئذ هي أنهم سيستخدمون وجودي هناك بنحو سيئ جداً، فقد كانت اتفاقية واشنطن التي وقعت في ١٧ أيلول ١٩٩٨ مؤشراً على ذلك، وبالرغم من مخاطر الظروف الأوروبية فقد كانت تدفع إلى الشعور بالأمن بمفهومها السياسي والثقافي والديمقراطي ضمناً في إطار الحقوق، ولم يوضع في الحسبان أو يتوقع بأن تصل الحكومة اليونانية إلى هذه الدرجة من السفالة منذ أن وضعت قدمي على ترابه في ٩ تشرين الأول ١٩٩٨، لقد كانت تتحقق المؤامرة على نطاق عالمي ضد الإرادة الحرة للشعب الكردي خطوة بخطوة في ثيابات القرن العشرين، بعد مرحلة تخطيط واستعدادات طويلة، وإذا كررنا مشاهدة هذا الفيلم مرة أخرى سنرى بأن هذه الخطة قد وضعت منذ بداية التسعينيات بأشراف لندني وتمت المطالبة بالبدء بتنفيذها على نطاق عالمي وبالبعد الأوروبي والأمريكي ولم يتم فهم البعد الأوروبي والأمريكي بنحو تام، رغم

ظهور أبعاد تركيا ضمن المخطط بعض الشيء، وإذا لم نر البعد الدولي في هذه المؤامرة فإن تقييمنا سيبقى ناقصاً، وإذا عدنا إلى التكرار بنحو مختصر:

أ . لقد تم استخدام جريمة مقتل بلمة ذريعة بمهدف حماية تركيا من الثورة التحريرية الكردية ومن أجل استمرارية تبعيتها للخارج خلال وبعد نظام ١٢ أيلول، بالإضافة لأهداف أخرى بالطبع، إن دعم بلمة للحركات الموجودة في دول مثل فيتنام وجنوب أفريقيا واقترابه منها بتسامح، حول السويد التي كان يشغل بلمة منصب رئيس الوزراء فيها، إلى مركز كان يمكن أن تكون السويد مركزاً لحركة التحرر الكردية، حيث كان بلمة ضد نعت الحركة الكردية بالإرهاب، إن نظرية الأثر الكردي والجهود الرامية إلى إعلان حزب العمال الكردستاني حزباً إرهابياً، وبالإضافة إلى ذلك منع بلمة لهذا التوجه، ومحاولة إزالة الوضع الإيجابي للسويد مرتبطان أشد الارتباط بمقتل بلمة، وسيأتي اليوم الذي ستتوضح فيه علاقة منظمة غلاديو التابعة لحلف الناتو التي لم تكن قد ظهرت في أوروبا بعد بهذه المؤامرة وبغيرها الكثير من المؤامرات، وبعد عملية ١٥ آب ١٩٨٤ مباشرة وبعد أن وضعت ألمانيا كل ثقلها وحققته وفقاً مع الحكومة التركية، بدأت مرحلة من العزل والتجريد ضد حزب العمال الكردستاني في أوروبا، بعد اتضاح الكثير من المصالح الاقتصادية، وتعد عملية "بلمة" التآمرية إحدى الحلقات المهمة لهذه المرحلة، وما كان يتم إعداد قيادة في هذا الاتجاه، كتطور آخر لأحياء عملية انقسام في صفوف حزب العمال الكردستاني من خلال مجموعة يترأسها جتين غونغور، وكأن تحريضات "كسيرة" بدأت تعطي ثمارها، حيث تم إبعاد الكثير من المثقفين مثل محمود باكسي وشفان برور، ولا يمكن تفسير ذلك بأنها عبارة عن جهود تركيا بمفردها، حقاً لقد كان قراراً تم اتخاذه في مركز أوروبا، وأما بالنسبة للياسر التركي فكان قد تم إقصاءه منذ زمن بهذه الطريقة، بينما كانت تتم ممارسة مخططات مشابهاة لحركات التحرر الأخرى في العالم.

كما أن قيام ألمانيا باعتقال أعضاء من حزب العمال الكردستاني، يشكل جزءاً واعياً من هذه الخطة، حيث استهدفت إلى إحداث الانشقاق فيه، ووضع جزء مهم منه تحت سيطرتها، لقد عكست الصحف تقييم رئيس الأركان العامة التركية دوغان كوريش عندما كان يقوم بجولة في لندن في بدايات عام ١٩٩٠ حين قال: "لقد تمت المصادقة على خطتنا" ويتضح أن بريطانيا كانت كالألمانيا تؤدي دوراً في عملية التصفية، ومن جهة أخرى فقد اتفق رئيس الاتحاد الوطني الكردستاني جلال الطالباني مع وزير الخارجية التركي حكمت جتين سراً في العاصمة النمساوية فيينا، على الإعلان عن حزب العمال الكردستاني حزباً إرهابياً في عام ١٩٩١، لقد كان موقف الطالباني هذا متداخلاً مع مواقف ألمانيا وفرنسا وإنكلترا، وأدى دوراً مهماً وأساسياً في الإعلان عن الحزب حزباً إرهابياً، لقد استهدفت وحدة الرأي هذه التي تم الوصول إليها في أوروبا، إلى خلق حركة كردية خالية من حزب العمال الكردستاني، لأن تشكيلة من هذا النوع تعد ورقة ضرورية جداً بأيديهم ويمكنهم استخدامها في الشرق الأوسط كما يريدون.

ب . بعد فشل تجربة وقف إطلاق النار مع أوزال في عام ١٩٩٣ بدأ العمل هذه المرة بتكتيك آخر استقر في جدول الأعمال وهو "نعم لحزب العمال الكردستاني ولا لـ أبو" لقد تم طرح هذا التوجه التكتيكي لأنهم فشلوا في مقاومة وتشتيت حزب العمال الكردستاني الذي امتلك قاعدة جماهيرية تقدر بالملايين، حيث بدأت كل دولة تشكل كوادرها لحزب عمال كردستاني خاص بها، وقد وضعت خطوات مهمة في هذا الاتجاه ابتداءً من الشرق الأوسط وحتى روسيا وأوروبا.

ثم اخترعوا لقب "الرجل الثاني" وأطلقوه على شمدین صاقق، وتم العزم على تصفية أبو، وراحوا يحسبون حساب المرحلة التالية، وبدأوا حملة اعتقال لا معنى لها، من أجل إعطاء كاني بلماز دوراً في هذا الاتجاه، حيث كانوا يهدفون إلى استخدامه كقائد لحزب العمال الكردستاني بعد أن تتم عملية الاستسلام أو التصفية المحتملة، وأما موسكو فقد كانت تعمل على استخدام نعمان أوجار، كما توضح الشيء نفسه بالنسبة للعديد من دول الشرق الأوسط، فقد تكاثفت الأعمال والجهود حول الاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب العمال الكردستاني، وكانت تنفذ عمليات مشابحة ضمن بنية HADEP حزب الشعب الديمقراطي، وفي الوقت الذي كان يتم فيه اعتقال خطيب دجلة ولبلى زانا والنواب الآخرين الذين لم يستسلموا، كان يتم إغلاق منظمة حزب الديمقراطية "DEP" وكان يتم التنازع حول HADEP بالإضافة إلى ممارسات مثل تفريغ كردستان من سكانها بأساليب وحشية واستخدام المنظمة التي تستر بحزب الله لقتل الآلاف من الوطنيين الذين لا ينتمون إلى أية منظمة، وقد كانوا يعرفون الأحداث بنحو مسبق، فمثلاً قبل أن يمر نصف ساعة على تفجير مقر القيادة في ٦ أيار ١٩٩٦ نشر خبر من لندن على العالم عن مقتل أو تفجير عبدالله أوج آلان.

ج . لقد كان لتحالف إسرائيل وتركيا عام ١٩٩٦ وعلاقات تركيا مع المنظمات الكردية والتركمانية في شمال العراق التي تمت بنفس الفترة المحتوى ذاته، فقد كانت أهم مادة في اتفاقية الحكم الذاتي للأكراد التي وقعت في واشنطن في ١٧ أيلول ١٩٩٨ تعبر عن الموقف المعادي لحزب العمال الكردستاني مثلما حدث في عام ١٩٢٥ تماماً، فقد تحقق اتفاق مصالحة مشابه في نهاية عام ٢٠٠٠ مقابل قائمة طويلة من التنازلات التي قدمتها تركيا، ويعد هذا الأمر من جهة تكراراً وتجييداً لمعاهدة لوزان، حيث كان يتم عزل حزب العمال الكردستاني والحركة التحررية الكردية بالكامل، وكان يتم إعطاء تعهدات مختلفة من أجل أسر القيادة، كما كان يعطي الضوء الأخضر لجميع عمليات العملاء الكرد والخبراء التقنيين الإسرائيليين، فقد كانت هذه عبارة عن خطة تصفية شاملة.

إن ما يقع على عاتق قيادة حزب العمال الكردستاني هو أن تواصل سيرها بشك ضد مجهول، مع الرفاق الذين لم يحلوا بعد مشكلة العصابات التي في داخلها، والذين أعادوا تركز قواتهم، والذين اعتادوا على الحياة الرخيصة على مائدة القيادة، ولم يتخلصوا من أسلوب القيادة والأوامر المزيفة، وأمام بعض الأصدقاء وفي مقدمتهم اليونانيين الذين لم يكن قد أنكشف بعد وجههم الداخلي ومواقفهم المصلحية والجبانة، وتبدأ المؤامرة في ٩ تشرين الأول ١٩٩٨.

في أثناء تقييم خروجي في ٩ تشرين الأول ١٩٩٨ يجب إجراء تحليل صحيح وصميمي لأرضية الشرق الأوسط، وما تعنيه هذه الأرضية، لقد عشت ممارسة عمرها عشرون عاماً على هذه الأرضية، ومارست الكثير من الأنشطة وأقمت الكثير من العلاقات وظهرت تطورات مهمة وتاريخية، لذا يجب أن نوضح وينحو أكيد كيف حققت هذه التطورات وما هي الأعصاب والروح التي امتلكتها والتي استقبلت بها هذه التطورات، وكيف استطعت تحمل كل ذلك وتفهم جميع جوانبها، في البداية لم تكن الكثير من الأوساط وفي مقدمتها بنية حزب العمال الكردستاني تظهر قدرة على فهم الجوهر الأساس لهذا الأمر، باستثناء المظهر الرسمي الذي لا يعبر عن أي شيء، ولا تستطيع فهم الجوهر المصري، حيث يُعتقد أن جبهة التقدميين الاعتياديين قد عاشت وعملت في وئام ونجحت، ولكن هذا لم يكن موجوداً، طبعاً لقد كانت التفسيرات الرخيصة تؤمن لهم الراحة، فقد كانوا يُشبعون مفاهيمهم السياسية والتنظيمية الدوغمائية، ولما وجدوا أن هذا

الموقف لا يكفي، لجأوا هذه المرة إلى المفاهيم القدسية التقليدية، وفسروا ما يريدونه باستخدام خصائص الشخصية "فوق الطبيعية" وبذلك كانوا يريدون أن يتخلصوا من المسؤولية بسهولة، ولذلك لم يقترب أحد من تحليل الممارسة التي عايشتها بمعانيها التاريخية والمثولوجية والفلسفية والدينية والعلمية، فقد كُتِب الكثير من الكتب، وأنا أيضاً كتبت، ولم أعد في وضع يسمح لي بأن أكتب عن الحقائق التي عايشتها، ولهذا يجب تطوير مجالات الحرية، ولكن الذين تتوفر لديهم الأوضاع المناسبة والذين لم ينجحوا في فهم الشروط اللازمة لتطويرهم، وعلى رأسهم الذين يدعون أنهم رفاق ومؤسسات، ولا يحاولون أن يطوروا أنفسهم بهذا الموقف ويحكمون عليه بالفشل، فليحلل هؤلاء هذه السنين إن كان ذلك ممكناً، وليبينوا ما الذي تعنيه هذه السنين بالنسبة لتاريخ ومستقبل الإنسانية والكرد والشرق الأوسط، لأنهم من دون هذه الإمكانية، لن يستطيعوا تحليل الحقائق التاريخية المعاصرة ولا الحقائق الواقعية اليومية، كما لن يستطيعوا إنارة الطريق المؤدي إلى الحياة الحرة، فهذا هو الطريق الوحيد الآن الذي يجب فهمه بمجد كبير وتطبيقه.

يمكن تقييم الجانب المتعلق بالسياسة والدبلوماسية من الحياة التي عشناها في الشرق الأوسط وبخطوطها العريضة فهي كما يلي:

إن الخروج من داخل الدهاليز المفروشة منذ السومريين وبعد كل هذه السنين بسلامة، وتقدم بعض الهدايا لحرية الشعوب أمر ممكن بموقف وبشخصية نبوية بكل معنى الكلمة، إن هذه المرحلة لم تجعلني استوعب المؤسسة النبوية فحسب، بل وأظهرت لي بجوهرها الحقيقي الممارسة التي يمكن من خلالها الدفاع عن الإنسانية، وهذا يعني بأن كل نبي هو عبارة عن ارتقاء في المعنى في أثناء التطور الاجتماعي، وكلما كانت لغته تاريخية يفتح جوهره الطريق أمام تسجيل مرحلة ثقافية مختلفة في الكثير من المواضيع الأساسية وفي مقدمتها معنى المجتمع المتطور وذكرته وتقاليدته وضميره وحرته ومساواته، إن الشعب يعرف هذا الموضوع، لقد اندهشت بقولهم "إن ما فعلته هو خلق دين جديد، وهذا يعني أنك تعمل من أجل دين رابع"، ويقصد الأديان الثلاثة الرئيسة وبعد ذلك فهمت ما الذي يريدون قوله، ومهما قيل بأنه تم إغلاق الطريق أمام أية نبوة أو أي دين جديد بعد الإسلام، فإن هذا الرأي عبارة عن دفاع يشبه تفسير كل عصر على أنه أبدي، فمن دون تحليل النتائج الناجمة عن تأثير نتائج ثقافة الأديان القديمة في الشرق الأوسط التي أرست دعائمها في المجالات الاجتماعية كافة وفي مقدمتها السياسية والإيديولوجية حتى أيامنا هذه، لا يمكن فهم الحضارة الأوروبية، كما لا يمكن خوض حرب تحررية داخلية وخارجية ذات معنى بنجاح، إن التاريخ ينفذ حكمه، إن العلمانية السطحية لن تستطيع أن تحل الدين، ولا أن تخلق مجتمعاً حديثاً، أما نتائج تجارب تحديد القومية فيها هي أماننا منذ مائتي عام، فإن تم الإصرار على هذا الطريق، يمكن البت في الخسائر والآلام والخيارات التي يمكن أن يسببها كما يحدث في المأزق العربي .

الإسرائيلي، إن الحل يخلق إمكانية الحرية عن طريق تحليل طبيعة التاريخ والانطلاق من هذه النقطة.

ليس هناك أي معنى لاطلاق تعبير "الدين الرابع" على هذه الحركة في عصرنا، ولكن المعنى الذي يحمل صفة الجواب على الاحتياجات التاريخية سيحقق في تحديدنا لهذا العمل على أنه نخضة الشرق الأوسط، التي تشبه النهضة الأوروبية التي حدثت في عام ١٥٠٠م، ولكن هذه النهضة تعتمد على أساس تركيب أفق حضارة ما بعد الرأسمالية مع جذورها الحضارية الخاصة، فإذا قلنا بأننا حققنا ذلك نكون قد دخلنا في حيز المبالغة، إذ ما تم القيام به هو إسهام يقدم حركة الحرية الأصيلة لأيامنا هذه عن طريق تمثيل الجوهر الإيجابي المناسب لجوهر ثقافة هذا التراب دون الوقوع في قيود

رجعية العصر، وأني لعل قناعة تامة بأن هذا التوجه سيجلب لنفسه معنى في التاريخ، وبأنه سيكون تياراً قوياً له ديمومة الارتقاء يسير إلى أهدافه التحررية حاملاً بيديه مشعلاً لا يخبو، وأن كان يأتي من بعض النقص فإن إيماني لم يتزعزع لحظة في أن مثليه أقوىاء وسيصلون إلى أهدافهم الحقيقية والمناسبة خطوة بخطوة بعد أن يقدروا هذا التيار ويمنحو حركتهم قوة لا تلين، ولأن هذه الجغرافيا قد حصلت على القوة الذهنية والروحية الضرورية مثل الخبز والماء والهواء، فإنهم سيصلون إلى أهدافهم، عن طريق إنقاذ حياتهم من هذا الظلام وهذا المأزق الذي أقحموا فيه منذ آلاف السنين، وبالتقدم بكل حماس على هذا الطريق الصحيح الذي تمت إنارته، إن خلق حياة ذات معنى كهذه أكثر قيمة وأهمية من أي شيء آخر، ولهذا السبب يجب معرفة قيمتها، إن التزامنا واحترامنا لأصحاب التضحيات الكبرى والآلام والبطولات التي لم يعرف التاريخ مثيلاً لهم، مشابه لإنقاذ أنفسنا من الواقع الذي بقي ملعوناً لآلاف السنين وجعله مقدساً، وإذا كان لا بد من إطلاق معنى الدين الجديد لهذه الحركة، فيجب أن يتم رؤيتها ضمن هذا الإطار، إذ يوجد تقديس في الموضوع وهذا جوهر يتم العمل لأجله لتسليط الضوء عليه، إن مرافعتي هذه تعمل على توضيح ما الذي تعنيه الحياة المعاصرة المقدسة التي تم تخليصها من اللعنة.

يتم تفسير المقارنة بين خروجي من دمشق إلى أوروبا مع بعض الأمثلة التاريخية بشكل خاطئ، ولكن بما أن القدسية تسري على الجوهر التاريخي واليومي فإن هذه المقارنة صحيحة ولا بد منها، ولكن التواريخ المخرفة التي تعتمد على النفي يمكن أن تقف عائقاً في وجه حقيقة تمثيل القيم المقدسة، ولكن حتى هذا الوضع لا يمكن أن يكون أكثر من ستار، فالحقيقة تتجلى في حركة تسلسل المقدسات.

وسأحدث هنا عن الكاهن العظيم "باول"، الذي خلق المسيحية بخاصة الفرع الأوربي، ففي البداية كان يعادي الحوارين، ويتحدث التاريخ عن أن لقاءه مع الحوارين على طريق الشام الذي حدث بواسطة معجزة ما، كانت عبارة عن حادثة غيرت مجرى التاريخ، ينحدر الكاهن باول المولود في طرسوس من أسرة يهودية، ويقوم بعدة رحلات يبدأها من إنطاكية وبعد ذلك إلى الأناضول واليونان وإيطاليا عدة مرات، وكان عبارة عن داعية ومؤمن كبير، ولولا وجوده لما امتدت المسيحية إلى أوروبا ولما عرفت إلى هذه الدرجة، وقد تم قتله في روما.

إن قيام الأوربيين ببناء كاتدرائيات سانت باول في كل أنحاء أوروبا إحياءً لذكرى هذا الكاهن لا يأتي من فراغ ولا لأجل الفخامة، بل لأن الأخلاق الأوروبية والمرحلة التي وصلت إليها اليوم انطلقت في أساسها من الجهود الإنسانية التي بذلها الكاهن باول، وتعد أوروبا النصف الآخر من الكاهن باول، وإن تعرضه للخيانة من كل جانب واستخدامه كآلة من طرف مصدر السليبيات لا يغير العديد من الغدارين والأصدقاء المزيفين بقدر الأصدقاء الجيدين في اليونان، وقد كان يشكو كثيراً من لا مبالاة بعض أصدقائه.

إن خروجي من دمشق في ٩ تشرين الأول ١٩٩٨ تذكر بمهذه الظاهرة التاريخية، وقد كان لدي الكثير من الأصدقاء قدموا لي العديد من الدعوات من الحزب الحاكم، لقد دعوني بأغلبية قادرة على تغيير البرلمان والدستور، وتحدثت المترجمة أيفر كايا مع صديق يدعى كوستاس بادوفاس الذي شغل منصب وزير، ولا يزال عضواً في البرلمان حتى الآن وخلال المكالمات الهاتفية حصلت منه على موافقة على أنه باستطاعتي المجيء.

وعندما وصلت لم أجد الصديق بادوفاس، بل استقبلني رئيس الاستخبارات ستافراكس وكالندريدس الذي اتخذ لنفسه لقب عكيد ولعب دور يهودا الاسقريوطي المعاصر " الحوارى الذى أفشى عن مكان عيسى"، ولم يكن موقفهم يختلف عن موقف الهلبيين قبل ثلاثة آلاف عام، فموقف الهلبيين الذي لم يتغير هو إطلاق اسم البربر على الآخرين غيرهم، والذين لا يتناسون مع مصالحهم، فهم ينظرون إلى كل من لا ينتمي إلى عالمهم البسيط على أنه أجنبي، وهذا إحساس متحذر لديهم، ولكن هذا الموقف لا يعبر عن كل الحقيقة ويمكن أن يفسر الوجه العاطفي والمعنوي لها، وأما الحقائق السياسية والدبلوماسية فهي مختلفة جداً.

من المفيد أن نتناول الحقيقة التالية: النظر إلى أن الحركة التحررية الكردية بقيادة حزب العمال الكردستاني هي حركة بلشفية معاصرة، وفعلاً إن صفة "الستالينية القاسية" تؤكد هذا الرأي، فبالرغم من كل الخصائص المختلفة، فإن لهما مواقف متشابهة، لم ترغب السياسة الرسمية وأنظمة الدول بالاعتراف بعلمية حزب العمال الكردستاني وبالحركة التحررية الكردية ككل، وأما العديد من الدول فقد سحبت هذه العلاقات إلى الموقع السري، وتأتي ألمانيا في مقدمة تلك الدول بنحو خاص، بينما أمريكا فقد كانت الأكثر صلابة وكانت دول الشرق الأوسط تتبنى الموقف نفسه، كانوا يعدونه سرياً، وأما الأصدقاء فقد كان لهم مواقف شخصية غير رسمية، وسورية التي عرفت بأنها أكثر دولة صديقة حتني فلم تتجاوز مسار النزعة القومية العربية المتطرفة في أي وقت من الأوقات، ولكن موقف رئيس الدولة حافظ الأسد كشخص كان يحمل أهمية كبيرة، ويمكننا أن نقيم موقفه بمجملتين: إن حافظ الأسد يقف على خط بين الدولة التقليدية الاستبدادية، والدولة الثورية الديمقراطية، بسبب سلطته الكبيرة والظروف التي مر بها، حيث رسخ إحدى دعائم الدولة ذات المعنى الإلهي ضمن الشعب، وقام بوضع الدولة السلطوية المقدسة بكل بساطة في خدمة الشعب وعلى عكس ما يعتقد، ولكنه اعتمد على دولة الكهنة السومريين وحافظ عليها، كان يملك هوية شرق أوسطية نصفها نور ونصفها الآخر ظلام، لم يكن عدواً لحركة التحرر الكردية، ولكن الإيديولوجية التقليدية ومفهوم الدولة والنزعة القومية والقوى الدبلوماسية المعاصرة كانت تمنعه من إقامة علاقات صداقة معها، لقد تجلت شجاعته في أنه لم يعاد لأن الآخرين أرادوا ذلك، ولكن في الأيام الأخيرة التي سبقت فراقنا، أظهر بأنه لا يملك القوة التي تمكنه من تجاوز حفيد الفراغة ورئيس مصر حسني مبارك ومن تجاوز الطبقة البيروقراطية التي كانت تحيط به.

والحقيقة إن الذي يجب أن يوجه له النقد ليست سورية، بل هو وضعي أنا فحسب، فلو أنني تركت الساحة العربية في بداية التسعينيات أو في بداية الثمانينيات لتغير مجرى التاريخ، وكان الخيار الأفضل هو أن استقر في جبال زاغروس، ولكن لم يكن ممكناً أن نتوقع ما الذي يمكن أن ينجم عن القرب من الإيرانيين والعلماء الكرد، وثانياً كان يوجد هناك رفاق يمكن أن يؤديوا هذا الدور بكل راحة وبكل نجاح، وكان يسيطر علينا انتظار أن يستخدم هؤلاء الرفاق حقهم في هذا الدور، لكنهم كانوا بسطاء جداً وتبين أنهم أقزام يمكن أن يغرقوا في شبر ماء، ولن يفهموا أبداً الخدمة والفرصة التاريخية التي اعترفت لهم بها وألقيت على عاتقهم مهمة تنفيذها، واستغلوا هذه الإمكانيات كمن ورث الملايين وراح يبددها، واستخدموا أنفسهم أيضاً، مع القيم الكبرى والجهد والعمل الذي أعطي لهم، وكذلك استخدموا صبري بغفلة كبيرة، وهذا هو الموضوع الحقيقي الذي يجب أن يتم التوجه إليه بالنقد والنقد الذاتي، ولكنني مازلت مؤمناً بصحة عدم خروجي إلى هناك في ٩ تشرين الأول ١٩٩٨، لأن الحرب عندها كانت ستتحول إلى حرب شخصية، وتصبح مجرد

عملية انتقام، وسيتم القضاء تماماً على أية فرصة لسلام أو لأخوة محتملة، وبالرغم من أن الخروج إلى الجبل قد داعب مخيلتي على مدى أربعين عاماً، فإن السبب الوحيد الذي يجعلني أتأسف وأتفجر حزناً، أنه إذا وجدت إمكانية سلام ولو بحجم رأس دبوس لحياة وحرية الإنسان فعليه أن يجربها، والسبب الوحيد الذي جعلني أمتلك معنويات عالية حتى عندما كنت في تابوتي هو أنه لا يوجد أي شيء أكثر قيمة من حرب جعلت حياتي أكثر نبلاً من أجل سلام مشرف.

ومن الأهمية البالغة أن نفهم جوهر موقف حكومة سميتس، إذ أن هناك احتمال لأن يكون هذا الموقف ضمن ما صادقت عليه الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بل حتى ألمانيا، وكذلك فإن عدم التزام بادوباس بالدعوة التي قدمها لي يثير الشكوك، حيث كان باستطاعته ألا يدعوني، فلا يمكن أن يكون هذا موقفاً يتخذه شخص شغل منصب وزير، والأكبر احتمالاً هو أن تكون الاستخبارات البريطانية هي التي أدت دوراً أساسياً في مغادرتي للشرق الأوسط، وليس بعيداً أن تكون قوى مختلفة قد دخلت على المسار، أما التطورات اللاحقة فقد بينت الحقيقة التالية: من المحتمل أن يكون قد وضع خطة لسحبي إلى أوروبا لأجل تحطيم شخصيتي وشرفي، وبعد ذلك استخدامي في معادلات الشرق الأوسط وفي مقدمتها تركيا كوسيلة في أيديهم، وما أن وضعت قدمي في اليونان حتى أدركت أن الحقوق وقواعد المجتمع الديمقراطي وحقوق الإنسان لا تخصني، فقد تم الاعتماد في أثناء التعامل معي على السياسة القاسية والمصالح الاقتصادية، ولم يكن الموقف الذي بدأ مع اليونان ناجم عن خوف من تركيا أو أنه تم اتخاذه بالاتفاق معها، بل على العكس من ذلك فأنا على قناعة تامة بأن النظام الغربي وفي مقدمته الرئيس كلينتون كان قد درس الموقف التركي مسبقاً وبنحو دقيق وعلى أعلى المستويات، ويجب أن أوضح بأنهم كانوا مدركين جيداً، لتفجير ظاهرة حزب العمال الكردستاني وأوج آلان على رأس تركيا واستخدامها بنحو واعي جداً في سبيل مصالحهم، كانت استراتيجيتهم وتكتيكهم تتضمن الاستفادة مني من أجل استخدام حزب العمال الكردستاني والكردي وتركيا والأترك، لكي يعملوا على خلق حرب تستمر خمسين عاماً إذا لزم الأمر، ومن الممكن تقييم الأجزاء الرئيسة للاستراتيجية التي تم اتباعها، إذ أن الوصول إلى درجة يجعلون فيها تركيا تنفذ عملية القتل بيدها أو في الأقل تنفيذها بواسطة الرجعيين الشوفينيين التابعين لهم، سيؤدي إلى تبعية تركيا لهم وتحويل الكردي إلى لاجئين أذلاء محتاجين لهم، لقد أكدت المؤامرة التي استمرت أربعة أشهر في أوروبا صحة هذه التوجهات.

كنت أعلن دائماً عن نزعتي نحو الصداقة، فإحدى مزايا طباعي أنني عندما أتعرف على صديق أثق به حتى النهاية، حتى وإن كان طفلاً عمره خمس سنوات، وربما يكون هذا النوع من الثقة الزائدة هي إحدى نقاط ضعفني "أنا لا أؤمن بذلك وبعدم خرق شرط الثقة في الرفاقية والصداقة، وما زلت أعتقد بأن الخرق هو عقيدة باطلة"، وأعرف تماماً أنه تم استخدام هذا الجانب باسم الصداقة والرفاقية بنحو رهيب، ولكنني واثق من أن هذه الثقة هي قيمة إنسانية أساسية، ومؤمن بضرورة عدم التراجع عنها، وبحسب ذلك فإن التلاعب بالصداقة والرفاقية هو أمر يشبه قيام المرء ببيع أمه أو زوجته، ولذلك فإن علاقة الصداقة والرفاقية قد نالت ضربة قاضية باسم القرن العشرين، وفي النهاية كنت أنا ضحيتها الأكثر مأساوية، وبهذا المعنى يجب أن أتحدث عن حالة الصراع مع القرن العشرين، ومن المفيد أن أتحدث عما جرى للصداقة بداية في اليونان وبعد ذلك في روسيا التي ذهبت إليها كمحطة ثانية باسم صداقة محتملة.

مع تركيزي بعد هاتين الرحلتين رأيت أن الطابع اليوناني قد وفر لي إمكانية التحليل وإن كان بنحو محدود، أقصد الطابع اليوناني السائد الذي تحدثت عنه، فلا شك أن للشعب بعض الخصوصيات المختلفة عن الخصائص الجهورية

للطبقة المسيطرة، إن الشعب اليوناني يمتلك خصوصية مستمرة منذ الرب ديونيسوس، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، كالصدق والحماس ولكن كما حدث في كل دول العالم فإن هذه الشخصية أصيبت بالهزيمة ولا يمكنها إلا أن تبكي، إن شعوب العالم كافة لا تدافع عن صداقاتها ولكنها تبكي كثيراً بعد ذلك، ويفعلون الشيء نفسه حتى عندما يربطون فيما بينهم في علاقات صداقة أو رفاقية، أنهم يقومون بتغطية فراقهم وفقدانهم لبعدهم ووحدهم بالمحبة الرخيصة وبالبكاء، وحتى لو استيقظت عاطفة الاحترام فهي ليست ذا قيمة عندهم، لقد عملت دائماً على تمهيش أية محبة واحترام لا يستطيع أن يحمي علاقة الصداقة والرفاقية حتى لو كانت أمني لنظرت إليها باستهزاء، ولم أظهر أبداً محبة وبكاء متبادلاً، وكأن القدر يقول لي: "إن أصدقاءك الذين تمنحهم قيمة كبيرة لا يستحقون البكاء"، أنني لا أقف ضد الصداقة أو الرفاقية، بل على العكس من ذلك ضد من لا يثمنون الصداقة والرفاقية.

إذا ألقينا نظرة إلى تاريخ الطبقة الحاكمة اليونانية نراهم وبحسب الأنماط الفكرية التي اكتسبت شكلاً مثيولوجياً منذ الميكانيين عام ١٦٠٠ ق.م، فأنا سنجد أنه كان بإمكان الرب "زيوس" أن يقوم بكل أنواع الدونية والغدر، وكان يغوي أية امرأة تقع في طريقه، وقد استطاع أن ينجب العديد من الربوات الصغيرات من مؤخرته وجبينه وفي مقدمتها "أثينا"، وكانت هذه تمتلك خصائص إلهية قائمة على الكذب والخداع والغش، حيث خدعت هيكتور بطل طروادة، ويركع هوميروس المؤمن بما على ركبته، الأمر المهم هنا هو أن يكون في ذلك مصلحة للهلينيين، أنه أشبه ما يكون بإله الإسرائيليين يهوا، ولذلك فمهما فعل الهلينيون وأبناء إسرائيل ضد البشرية أي ضد البرابرة فإنهما دائماً على حق، لأن كلاً منهما يرى بأنه شعب الله المختار، والله هو الذي يأمرهم بذلك، وكان لا بد لهذه الحقيقة المثيولوجية أن تتحول فيما بعد إلى واقع ديني وسياسي، ويجب ألا نغفل من أهمية المثيولوجيا لأنها الأساس الذي يركز عليه الدين والسياسة حتى يومنا هذا.

إن هذه الخصائص المثيولوجية توضح كيفية نشوء الطبقة الحاكمة اليونانية، وإن مصدرها الأساس هي المثيولوجيا السومرية، فمن المعروف أنهم أخذوا عن الأناضول والفينيقيين والمصريين المثيولوجيا واجتمع المادي، وقد وقف أمامي هذا الطابع القومي والطبقي الذي لم يتغير أبداً منذ تلك الأيام، إنها الأخلاق والذهنية المحتالة والمخادعة التي لا تعترف بأية قيمة إنسانية لا تحدم مصالحها، وتعد أن كل من لا ينتمي إليها لا قيمة له وهو عبارة عن بربري، وجرت مواجهة بين الحقيقة الإنسانية والشعب والتاريخ التي أمثلها وبين الحقيقة التاريخية والسياسية والثقافية المختلفة التي لا يمكن أن تلتقي مع الأولى، وهذا يعني أنها كانت عبارة عن استمرارية للمواجهة بين الشرق والغرب المستمرة منذ عهد الميديين والفرس، ويمتنع الباب الغربي عن السماح لدخول الانطلاقة الشرقية التي أمثلها، فقد كانت لأثينا حساباتها الأخرى، كل ما كانوا يريدونه هو الافادة من أي شخص وبأي أسلوب ضد الخطر التركي، ولم يكونوا واثقين من الافادة مني شخصياً "طبعاً بنحو ودي"، ولهذا كانوا من أنصار الافادة على الطريقة الإنكليزية التي تعتمد على أسلوب "دع الكلب يفتك بالكلب" وكان واضحاً أن صداقاتهم كانت عملية خداع ومكر.

أمام الخروج الذي لم يكن مخططاً له والصعوبات التي ظهرت كانت روسيا في مقدمة الدول التي يمكن تجربتها، فقد كانت تعيش في مرحلة متأزمة لعملية المخططات وقعت بما بعد الاشتراكية المشيدة، وكان رئيس الوزراء بريماكوف والرئيس يلتسن من أهم نخوة الاشتراكية المشيدة، وقد كانت عملية "بيعي" مناسبة جداً في تلك المرحلة حتى وإن كان لي وضع

استراتيجي، وذلك بسبب المصالح الاقتصادية المرتبطة بالاستخبارات السرية القذرة، وقد كان انتظار الاحترام لقيم الحرية من أناس باعوا النظام السوفيتي العملاق فيه خداع كبير للذات، فقط كانت العلاقات مع صندوق النقد الدولي والولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وتركيا تؤكد بأنه سيتم اتخاذ موقف لا قانوني ضدي، علماً بأن مجلس الدوما أصدر قراراً بشأن الاعتراف بي كلاجئ سياسي بأغلبية ٢٩٨ صوتاً مقابل صوت واحد، ولكن هذا لا يعني شيئاً بالنسبة لدولة مستبدة، فقد أرادوا أن يرسلوني إلى قبرص عبر تركيا، وهناك احتمال كبير أنهم كانوا متعاونين مع التآمر وكانوا يريدون تسليمي منذ تلك الأيام.

إن ما فعلته لم يكن خياراً جاء بعد دراسة وإيمان، ولكن احتواء نظام منحرف كهذا كان عليه ان يمثل الحرية والمساواة التي بذلت لاجلها دماء كثيرة، كان يدل على الانحراف العميق الذي كانت تعيشه الاشتراكية المشيدة، وكان هذا الوضع يبرهن على أنها لم تنسلخ عن نظام الاستغلال والقمع التقليدي، وتدل على أنها كانت في موقع أكثر رجعية من اشتراكية معابد الكهنة السومريين، وبذلك تبين ان النزعة الثورية الروسية لم تتجاوز أفق الرأسمالية والإقطاعية، وبأن رأسمالية الدولة لن تنحب الاشتراكية وبأنها لن تستطيع أن تتماسك أمام الرأسمالية الليبرالية المعاصرة، إن رؤيتي الشخصية لذلك فتحت الطريق أمامي لكي أتعرف على وجه القرن العشرين مرة أخرى، أنه يشبه عصر الخيانات، فقبل أن يصل عصر الثورات والحريات إلى نهايته، وصل إلى عام ٢٠٠٠ وكأنه عصر لا يرتبط بأية قيمة إنسانية، وقد اسر القيم والمبادئ كافة ضمن مصالحه المادية، إذ أن سفكه لكل هذه الدماء لا يدل على سموه بقدر ما يدل على بربريته، إن القومية البدائية والمادية الفجة هما من حكما على العالم، والذي حدث طوال التاريخ البشري هو عبارة عن ثورة مضادة شاملة ضد خصائص سامية حقيقية تتضمن حقوق الإنسان والديمقراطية.

لقد تمت المواجهة مع نتيجة تفرض إجراء تعريف للثورة وللثورة المضادة من جديد، فاللوحة التي واجهتني أرغمتني على إجراء مواقف وتحليلات أكثر صحة لواقع الإنسان، وأضاء أسلوب الحياة المفعمة بالمبادئ، المواقف وأمطاط الحياة. إن وقوفي عند بعض القوالب الرمزية كان يزيد من وعيي وجرأتي بضرورة تحطيم أفعنة الإله والإنسان بكل جرأة وكلا القناعين يعبران عن المعنى نفسه، وكان يجب تحطيم أصنام القرن العشرين، كما كان يجب أن تعطى الأولوية لوجود الفرد وحقوقه على وجود المجتمع وحقوقه، أو في الأقل يجب أن يتم الاعتماد على النقطة المثلى بينهما وهي وحدة العطاء والحرية، إن ترك الفردية والحقوق المتعلقة بها لعدالة النظام الرأسمالي مغالطة مشبعة بالأوهام، وكل تجمع لا يعتمد على تطور كيان الفرد أو التطور الحر، هو أسلوب كهنوتي سومري محكوم عليه بولادة الطبقات الاستغلالية، وإن شعار "كل شيء من أجل المجتمع"، عبارة عن شعار تنبأه أقدم مجتمع طبقي، ولكن حتى لو بدا شعار "كل شيء من أجل الفرد" متناقضاً، فإنه سيبقى شعاراً للمجتمع الطبقي الأكثر تطوراً أي شعار النظام الرأسمالي، إن الطريق الأساس هو الذي يعتمد على المثل الإنسانية والحرية والمساواة دون الوقوع في أسر شعاري كلا المبدئين، وأما إذا أرادت الاشتراكية العلمية أن تكون ظاهرة، فيجب عليها تطهير نفسها من الدوغمائية ومن اشتراكية المعابد، فكل نضال في سبيل الدولة يتناقض مع الاشتراكية، يجب أن يحل البحث والاستقصاء محله لأن هذا هو جوهر الاشتراكية، وحتى وأن وجدت ديكتاتورية البروليتاريا فإنها لن تعطي نتيجة مختلفة عن كونها أداة جديدة لنظام العبودية، وكان من الممكن تجاوز بربرية الطبقة المهيمنة بواسطة النظرية والممارسة السياسية المعتمدة على تجاوز نظام العنف وبواسطة إيديولوجية الحرية والمساواة التي تسمو بالعمل الجمعي وبواسطة

الإمكانات التي نجمت عن التقنية والعلمية، وكان من الممكن أيضاً الوصول إلى التعبير الواقعي لليوتوبيا الاجتماعية.

إن تسريع التركيز الإيديولوجي لمرحلة موسكو هو المقابل الذي يمكن أن أقدمه لذكرى الذين بذلوا الجهود الكبيرة والذين آمنوا بـ "يوتوبيا" الاشتراكية، لقد أصبحت موسكو القرن العشرين بسيطة جداً لدرجة لا يمكن أن يتصورها أي شخص له خيال سليم، ومن الواضح أن هناك ضرورة للوقوف على ظاهرة الشعب الروسي كما وقفنا على ظاهرة الشعب اليوناني، وهنا أيضاً يفرض الموقف نفسه عن تحطيم بعض الأصنام من أجل الوصول إلى الحقيقة.

فقد اتجهت إلى روما في ١٢ تشرين الثاني ١٩٩٨ باعتبارها العاصمة والدولة الوحيدة في أوروبا التي يمكنني أن أذهب إليها، تم الوصول بمساعدة النائب رومان مونتوفاني، من مجموعة إعادة البناء التابعة للحزب الشيوعي، وقد تزامن وصولي مع مرحلة حكومة ماسيمو ديلما التي استمرت عدة أشهر، لقد كانت مواقفهم ملتوية، إذ لم يقدموا آراءً سياسية ولا حقوقية بنحو واضح، وكانت سلوكياتهم خالية من المبادرة بسبب تحريض الأوساط المالية الإيطالية الكبرى، وعدم تقديم الدول الأوروبية الدعم الكامل، وبسبب الموقف الذي اتخذته ألمانيا بفرض نفسها وشخصيتها، فمنذ البداية كان يتطور موقف لإبعادي، إذ تمت ممارسة ضغط نفسي مكثف بواسطة مجموعات بوليسية مدربة جداً، ولم يسمح لي بمغادرة الغرفة مطلقاً، وكانوا يفرضون رقابة شديدة جداً في حال الإصرار على الإقامة أو فرض الهروب، وكان من الواضح أنه يجب على كل شخص يحمل كل هذه المسؤوليات أن يغادر في أقرب فرصة ممكنة، ولم يبق إلا أن يرموا بنا إلى الخارج عنوة، وقد تبينت نواياهم من محاولات تقلص الأموال للعديد من الدول من أجل تأمين مكان لي، ولم يكن باستطاعتهم اتخاذ موقف حقوقي ديمقراطي.

كنت أنوي الوصول بالمسألة الكردية إلى محفل ديمقراطي، ولو تم دعم ذلك لما كان صعباً على تركيا الانصياع لهذا الموقف، وقد اتضح أن أوروبا لا تقف إلى جانب إيجاد حل جدي للمسألة الكردية، لأن انشغال تركيا بهذه المسألة كان يناسب مصالحهم، وقد تبين ذلك من موقف اليونان، وكان بإمكان السياسة الأوروبية أن تنتهي الحرب، ولكن هذا لم يكن مناسباً للاستراتيجية الغربية بما فيها الولايات المتحدة، وكان موقف ألمانيا هو فتح الطريق إلى الجبل في أقرب فرصة ممكنة، إذ أنه من الواضح أنهم فكروا ملياً بالموضوع، فقد كانت الفوضى المعتمدة على الكر في الشرق الأوسط تناسب مصالحهم، ولذلك فإن خروجي المفاجئ خلق وضعاً لم يكن بالحسبان، وكان بعيداً عن تكتيكاتهم، كانت الاستعدادات كافة تعتمد على الشخصيات الكردية العميلة التي تم ترويضها، وكان وجود حزب العمال الكردستاني ووجودي بنحو خاص يجعلهم يخسرون الورقة الكردية التي تعبوا عليها عشرات السنين ودفعوا الكثير من المال لأجل هذه الورقة، وظل أمامهم خياران، فإما زعزعتي ووضعي في موقع إنسان لا شخصية له، أو طردي، وكان اتجاه أمريكا حول ذلك يضاف إلى الحسابات، ولو تمسكت بالبقاء لبقيت، لقد كان طردي من المركز الذي ولد فيها القانون الروماني صعباً، ولكن الأخطار السياسية كانت كثيرة، وكان يجب أن يوضع في الحسبان الاتجاهات الخطرة التي يمكن أن تتخذها دولة تمارس عليها كل هذه الضغوط الخطرة، وجب عليّ أن أغادر في أقرب فرصة ممكنة.

لقد أظهرت الأشهر الأربعة التي قضيتها في ثلاث عواصم تاريخية أوروبية بعض الحقائق المهمة، لم يكن في نية الديمقراطية والحقوق الأوروبية أن يعطيا الحق لإرادة التحرر الكردية، حيث لا تتبع أوروبا سياسية كردية إنسانية وإنما تستخدم القضية الكردية كنزاع في الطلبات الموجهة إلى تركيا، في الحقيقة كانت تواصل السياسات المتبعة منذ مائتي عام،

وينظرون إلى الكرد كوسيلة مناسبة من اجل إرغام الأنظمة في إيران والعراق وتركيا على إتباع سياسة تناسبهم في الشرق الأوسط، وهذا هو السبب الأساس لعدم اتخاذهم موقفاً يحقق حلاً عاجلاً، إذ كان يلزمهم ظاهرة كردية تخلق مشكلة بعيدة الأمد، ولم يكونوا يتركون أية أداة يمكن أن تستخدم في الحل.

ويسري هذا الموقف أيضاً على الكرد العملاء في شمال العراق، إذ ستكون تركيا المليئة بالمشكلات بحاجة لهم، ولذلك فإن بقاء حزب العمال الكردستاني كمشكلة، ضروري من أجل مصالحهم السياسية، ولم يكونوا يفكرون بالوصول إلى حل معي، بل مع أشخاص يمكن أن يقدموا خدمات لسياساتهم على المدى البعيد، فقد كنت مخالفاً لتصوراتهم السياسية المستمرة منذ مائتي عام، ولن يقبلوا ضعفاً أكون فيه صاحب شخصية حرة وذو مبادرة في اتخاذ القرارات المستقلة، فالقبول بذلك يعني خسارتهم للكراد والعملاء الذين يدعمونهم منذ عشرات السنين، وكانت إيطاليا تريد من تركيا إمكانات استثمار وإمكانات تجارية عديدة، ولهذا السبب كان بإمكانها أن تأخذ دوراً متطرفاً واضحاً، ولكن وضعي وكما تبين في الممارسة يفسد هذه الحسابات، ولم تكن مصالحهم تتناسب مع تحملهم لشخصيتي، ويفهم من هذا أن القانون والديمقراطية الأوروبيين لا يتضمان حدود المسألة الكردية، ولكن هذا يصح بالنسبة للمواقف الكردية المستخدمة كأداة بعيدة الأمد في سياسات الشرق الأوسط، التي تجعلهم يستفيدون من الأيدي العاملة الرخيصة، وضمن هذا الاتجاه كانت السياسة بعيدة عن إعادة تشكيلها من جديد، وكان الجانب الغالب هو عدم تشكل السياسة الأوروبية حول المسألة الكردية كما هي الحال في العديد من المشكلات العامة وفي مقدمتها دول البلقان، ولم تكن كل دولة تقترب إلا ضمن الإطار البوليسي والاستخباراتي وتعمل على التسرب بواسطة مؤسسات المجتمع المدني.

إن أكثر قوة كانت مهمة بي عندما كنت في روما، وأعتقد عندما كنت في موسكو أيضاً هي الموساد، حيث ظهرت شيئاً فشيئاً كقوة طورت في الأساس استخباراتها وشبكة رقابتها وكأنها تقول: "أنا صاحب الأساسي للمسألة الكردية".

لقد كانت أمريكا وإسرائيل وبريطانيا تقف كأجنحة منفصلة، بينما كانت أوروبا لا تزال مشتتة، وفي الحقيقة إن هذا النموذج يفتقر إلى سياسة مشتركة في المسائل المهمة، كانت بريطانيا تقوم بعملية القيادة منذ مائتي عام، ولم يكن من الممكن التفكير بسياسة كردية محتملة من دون وجود بريطانيا، ومع ميلاد إسرائيل أصبحت تنفذ رقابتها بيد الموساد، وتم ربط كثير من الكرد بالنظام بما فيهم البارزاني والطالباني، غير أن وضع حزب العمال الكردستاني كان يفسد كل الأنظمة التي خلقوها، وكان يهدد التوازن الذي عملوا على ترسيخه، ولهذا السبب اعتبروني المسؤول عن ذلك وقاموا بوضعي ضمن سياسة تشهير وعزل مكثفتين، وقد فتحت المعاهدة مع تركيا في عام ١٩٩٦ الطريق أمام تبنيهم لأدوار عملية، وهذا نقص لم يتم حسابه بنحو جيد، فعدم التعامل معنا بجدية عندما كنا في روما، ناجم عن النقص في أخذ قوة إسرائيل بالحسبان، وسيتبين فيما بعد أن إسرائيل كانت تمسك بي في قبضتها عندما كنت في موسكو، وإن لإسرائيل دوراً رئيسياً في ملاحقتي وشل حركتي، طبعاً كان يتم تنفيذ ذلك بتمويل مالي وتأيد دبلوماسي كبيرين من قبل أمريكا، فلقد تم استخدام قرض قيمته ثمانية مليارات دولار من صندوق النقد الدولي كي لا أبقى في موسكو، ولهذا السبب أيضاً تم احتطاف "مشروع التيار الأزرق" من يد تركيا، أما الجانب الأكثر سفالة في هذا الموضوع فهو أنهم كانوا يقتطفون من بعضهم الكثير من التنازلات عن طريق استخدام وضعي المتأزم بشدة، من دون أن يقدموا أي شيء، وقد وجد النظام السمسرة المسمى

"إكرامية آيو"، في تركيا تطبيقاً واسع النطاق في الساحة الدولية أيضاً وتنال كافة دول أوروبا وروسيا وأمريكا وأخيراً البيروقراطيون في كينيا فوائدهم، فكم هي منحطة المساومة على طالب تحرر الشعب المتمثلة بشخصي مقابل المصالح المادية.

لقد أعطت الحرب النفسية في إيطاليا ثمارها، وكنت مستعداً للخروج في أقرب فرصة ممكنة، إن البساطة القروية التي يتمتع بها مندوب موسكو "نعمان أوجار"، ساعدت على استمرار المؤامرة وتعميقها، كما أن سلبية وعدم مسؤولية مندوب إيطاليا "أحمد" جعلته بعيداً عن معرفة ما يجري حوله، لقد أستهلك الجميع ضمن عوالمهم الساذجة، لقد ارتحت أنا كما ارتاح رئيس الوزراء داليم، عندما خرجت من إيطاليا، فقد قدم داليم امتحاناً سيئاً للغاية في مادي حقوق الإنسان والديمقراطية، كان جباناً أمام رأس المال الإيطالي، فلو امتلك صوتاً قانونياً وديمقراطياً قوياً لقدّم مساهمة لا تنسى في تاريخ الحرية.

وصلت إلى موسكو للمرة الثانية وكان يتم إعداد آخر فصل من فصول المسرحية، وقد بدأوا بتمثيله، لقد تحقق كل ذلك بالمواقف الساذجة والقاصرة لمندوبي حزب العمال الكردستاني ومع قوى الظلام لكلا الطرفين، كانت هذه الفترة هي التي تم فيها إعداد الصليب أو التابوت، فقد كان الذين في موسكو يدقون أولى المسامير، ولأول مرة أرى في وجوههم مظاهر لا تدل مطلقاً على الصداقة، وكان واضحاً أن القرار قطعي وقد اتخذ على أعلى المستويات، فقد كانوا يفكرون بالنهاية المعروفة، وضعوني في طائرة شحن بكل استبداد وتلاعب، وبعد اعتقال دام أسبوعاً في منزل ريفي في العاصمة التاجيكية "بشكك"، جاءت مندوبة أثينا أيفر قايا بصحبة الجنرال المتقاعد ناغازاكيس الذي كان يدل مظهره على الصديق الغريب المتعب، عن طريق بتروغراد ركبنا الطائرة واتجهنا إلى أثينا، لقد كان واضحاً أن هناك علاقة بين الطائرة والدولة، في البداية طلب إنزالي في رومانيا، فقد تم الادعاء بأن ناغازاكيس كان قد اتفق مع سيميتس على تسليمي هناك، وربما كان ذلك صحيحاً، ولما لم أقبل بذلك نزلنا في أثينا قسراً، كان ينتظرنني هنا زبانية الحميم ستافراكيس وكالينديريديس وكان سيحدث ذلك بعد يوم واحد، ومثلما جئت في اليوم الأول عبرت من صالة الشخصيات المهمة وأقمت يوماً واحداً عند حماة ناغازاكيس، وهي امرأة صديقة من عامة الشعب قلت لها: "هل يمكن لبانكالوس أن يخون...؟" أجابت بالنفي وبنحو قطعي وقالت: "لا يمكن أن يجد فرصة أفضل من هذه من أجل الانتخابات".

لقد لجأ وزير الخارجية بانكالوس إلى حيلة مكشوفة، فقد أرسلوا إلى البيت الذي دعاني إليه لأجل لقاء رسمي، فريقاً من رجال الاستخبارات رفيعي المستوى وقالوا بلهجة تهديد لا تحمل أي أثر للصداقة: "إننا نمسكك مهلة حتى الساعة الرابعة صباحاً وإلا سنقوم بتنفيذ ما نعرفه عنوه" لقد كان هذا الموقف عدائياً، اظهروا وجههم الحقيقي، بدا واضحاً أنهم كانوا متفاهمين مسبقاً، ويبدو أنهم كانوا يستغلون ما تبقى من ثقتي بصداقتهم ليسحبوني إلى المكان الذي يريدونه، وفهمت فيما بعد أنهم قاموا بإعداد كينيا مع المخابرات المركزية الأمريكية منذ زمن بعيد، قال كالينديريديس الذي كنت أثق به كثيراً، وهو يقسم بشرف دولة اليونان بأنهم وجدوا حلاً بواسطة جواز سفر جنوب أفريقيا، سيقوم بإعداده وزير الخارجية خلال خمسة عشر يوماً، وأن الحل هو في كينيا، نظراً لأن اليونانيين لهم تأثير قلم عليها وهي بعيدة عن الأخطار، ولم يكن بالإمكان عدم قبول عرضه لأن الأساس عندي هو الثقة بالصديق ولم يكن بجاني من يحذرنني بنحو جاد، ولم أكن أستطيع أن أفهم شيئاً من المترجمة ملسا التي كانت تتحرك ببطء، بينما كانت قادرة على تحليل زيفهم،

فكانوا قد حجزوا على أيفر، ولكن في الحقيقة كانوا قد فرضوا العزلة عليّ.

في هذه المرحلة لاحظت عدة حركات تعبر عن الخيانة بنحو غير مباشر، لقد وجه السائق ضربة عنيفة إلى الطائرة التي كان يجب أن أركبها، وكنت على ثقة بأنه قام بذلك عن وعي، لم تنطلق الطائرة ولكن فيما بعد تم تأمين طائرة من سويسرا بحسب توقعاتي، وكانت طائرة خاصة جداً وطاقم غير يوناني تنتظري في مطار عسكري سري، وهناك احتمال كبير أن تكون هذه الطائرة تابعة لـ CIA أو للاستخبارات الإنكليزية، وقبل أن اصعد إلى الطائرة ذهب سائق التاكسي وأتى أكثر من عشر مرات، ولم يكن الوصول إلى الطائرة، ولم أستتج أي شيء من ذلك أيضاً، إذ أنني كنت مؤمناً بأن كتاب الصداقة لا يتضمن هكذا خيانات، وقد كنت مؤمناً إلى درجة لو قال لي أحد في تلك اللحظة: "أنك تتعرض للاختطاف" لعاكسته، لأنه لا مكان لمثل هذا العمل في كتب الإنسانية.

بعد ذلك اتضح لي بأنه تم التخطيط لكل شيء، استلمني سفير اليونان في كينيا كوستولاس من المطار بكل سهولة، لقد كانت كلمته الأولى ذات مغزى، حيث أراد أن يشعرني بأنه قد يتمتع الإنكليز والألمان ببعض الشرف ولكن اليونانيين لا يمكن أن يتمتعوا بذرة شرف أو كرامة، ولم يكن بإمكانني أن أفهم شيئاً من هذه الكلمات، فقد كان ينوي أن يتركني لاجتماعات الأمم المتحدة عنوة، كذلك لم أفهم أي شيء من هذا، وبعدها أمتنع عن تناول الطعام معي، وكان يحاول ألا يجالسني ربما كان يقضي آخر أيامه، الأمر الذي أتى من أتيانا كان يطالب بأن يتم طردي من السفارة مطلقاً، أرسلوا أربع غوريلا، لكنهم تراجعوا عندما قلنا بأننا سنقاوم، وجررت مكالمات هاتفية على مستوى وزراء الخارجية ووزارة المجتمع والعدل والاستخبارات حتى الصباح، وتبين أنهم مصممون على ضرورة إخراجي من السفارة والإلقاء بي في الشارع، ذهب كوستولاس إلى اجتماع حضره ابن رئيس المخابرات في وزارة الخارجية الكينية، ثم أوضح لي بأنه قد علموا بكل شيء، وأخذت صوري والمدة التي سمحوا لي بها كانت حتى ١٥ شباط، وإذا لم نخرج فإنهم اتخذوا قراراً للقيام بذلك عنوة، ويمكن أن يحدث كل شيء بما فيه القتل إذا لم نخرج يوم ١٥ شباط، ولذلك كان لا بد من الخروج في ذلك اليوم، لأن البقاء كان سيعني الاقتحام والمقاومة والاشتباك المسلح ليكون ستاراً للقتل.

وأما آخر خيانة كبيرة لكالبينديريس فهي قوله: انني تحدثت مع سميتس وقدم لي ضمانات حول ذهابنا إلى هولندا عن طريق مصر، ولم يكن أمامي أي خيار سوى القبول، وقد كان هناك التفكير بسفر إلى هولندا عن طريق "منسك" عاصمة روسيا البيضاء، في الحقيقة كان ذلك احتمال كبير من ترتيب تم وضعه من طرف الاستخبارات المركزية الأمريكية والاستخبارات البريطانية واليونانية منذ خروجي من دمشق كمتطلبات لمخطط لم ينكشف وجهه الداخلي حتى الآن، ولم يكن لدي أدنى شك بأنه قد تم إعداد واحدة من أكبر العمليات التآمرية في التاريخ، ولكن يستحيل القول بأنني علمت بالوجه الداخلي لهذه الحقيقة، لأنه لا يمكن لأحد أن يعرف ذلك سواهم، وما يمكننا القيام به هو أن نصل إلى تفسير صحيح للتطورات التي تظهر أمامنا، أدخلوا الشرطة الكينية داخل السفارة، وحاولوا أن يشعروني أن عدم ذهابي يعني الهجوم، لقد كان المسؤول يقول ذلك بعدة جمل "نحن لا نريد سفك الدماء على تراب وطننا"، وكان من الممكن في تلك اللحظة أنهم استخدموا العقارات أو المخدر، لأن الذين في المطبخ كانوا تابعين للسفارة مطلقاً، كان وضعي يشبه كمن يسير وهو نائم، ومن المحتمل أن يكونوا في هذه المرحلة قد استخدموا جرعات دوائية معينة لكي يضمّنوا انصياعي دون تفكير سليم، وربما يكون تأثير المخدر هو السبب الذي أفقدني القدرة على تحليل أكثر الأوضاع شكوكاً.

لقد لفت انتباهي وجود رجال حول الطائرة التي ركبت فيها، طويلي القامة ذوي بشرة حنطية وشقراء وعيون خضراء، يحملون بأيديهم بنادق آلية، ومن المحتمل أن يكون هؤلاء من رجال الاستخبارات الأمريكية والموساد، وكذلك هناك احتمال أكبر بأن الذين سحبوا لي الصور الفتوغرافية كانوا من عناصر الموساد، بينما قامت فرقة القوات الخاصة التركية بتمديدي على الأرض وأخذوا كل ما كان عليّ، وقيدوني بأحكام ووضعوا عصبة على عينيّ، وتركوني في مؤخرة الطائرة، كانت الطائرة لجاويد جاغلار، وكانت حادثة تعكس نوعية حكومة الطريق القوم DYP، هبطت الطائرة مرتين، المرة الأولى في مصر والثانية إما في قبرص أو في إسرائيل، نقلت إلى الجزيرة بواسطة السفينة، وفي صباح ١٦ شباط اردت عند رفع العصبة عن عينيّ في الطائرة، أن أوجه هذه الرسالة "إن هذا النصر ليس لكم، بل أنه للذين يقولون بأنهم أصدقاء لكم، أنهم لا يتصرفون بإخلاص، ويريدون أن يلعبوا هذه اللعبة على الطرفين، أنا لم أكن في يوم من الأيام معادياً لتركيا، بل توجد رابطة دموية من جهة الأم، إن السلام والأخوة هما الطريق الوحيد الصحيح، من المؤكد إنني من الآن فصاعداً سأواصل نضالي على هذا الأساس"، في الحقيقة كان موقفي الأول يتجلى في الالتزام بالصمت، ولكنني فهمت فوراً أن هذا الموقف سيحافظ على سرية المؤامرة، وكان الاستمرار في الحياة هو الطريق الأفضل من أجل فضح المؤامرة، وعندما أنزلوني من الطائرة وسحبوني قليلاً، قلت لهم "هل تأخذونني إلى جريمة ستقيد ضد مجهول؟" أذكر أنهم قالوا لي "لن نعطيك هذه الفرصة، أغلق فمك، وإلا فنحن سنقوم بإغلاقه لك".

كان أول من قابلني في الجزيرة ضابط برتبة عقيد يمثل رئاسة هيئة الأركان العامة، إن مختصر ما قاله: "توجد ألاعيب كثيرة في هذا العمل، نحن نريد حله بالأخوة، ولن نعط فرصة لهذه المخططات"، حقيقة لم أكن انتظر موقفاً كهذا ولم أكن في وضع يسمح لي بقياس مصداقيته، فبالإضافة للخداع التكتيكي ربما يكون قد تحدث بلهجة سياسية، ولم يكن أمامي أي خيار سوى الانتظار لنرى، بقيت عشرة أيام في حجرة ذات شروط سيئة جداً، أجري معي تحقيق بنحو متداخل اشتركت فيه استخبارات أربعة جهات، مديرية الأمن والاستخبارات القومية التركية "الميت"، والدرك، والأركان العامة، كان التحقيق خالياً من الضغط الفج أو الشتائم ولكن الوسط المعنوي والنفسي كان قاسياً جداً بالنسبة لي، وكانت التوقعات تحتاج لمعجزة، تحدثت لمدة عشرة أيام عن ما عرفته ووجدته صحيحاً واتخذت موقفاً، وقد نشر جزء منه ولم ينشر الجزء الآخر، من المؤكد أنني التقيت مع وجه مختلف للدولة، فقد كانوا يطرحون مواقفهم بنضوج، ولا أستطيع أن أبت في موضوع ما إذا كانوا هم مع هذه الألاعيب أو ضدها، إن الموقف السياسي الذي اتخذته هو الدفاع بإيمان وتصميم ووعي عن المسار الذي يؤدي إلى التضامن والأخوة والسلام المشرف للشعوب، ولم يكونوا يعارضون مساري الإيديولوجي والسياسي، وتابعت موقفتي بسهولة، لأن ضرورة النهج الإيديولوجي تقتضي أن اتخذ موقفاً ضد النزعة الانفصالية والعنف الذي يتجاوز حدود الدفاع المشروع.

لم يكن لمحاكمة إيمرالي أي أساس مشروع أو يتطابق مع الحقوق الكوني، ولا تستند إلى معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، لقد كان في أساس هذا العمل مؤامرة وعملية اختطاف رهينة، وكان يجب ألا تحدث محكمة في هذه الظروف، بالإضافة لذلك فقد أبلغت محكمة حقوق الإنسان الأوروبية بكثير من جوانب المحاكمة التي تتنافى مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، إن الذي أقصده هو أن هذه المحاكمة كانت قسماً من المسرحية التي تم إعدادها بعيداً عن كتاب السيناريو والمخرجين، لتقدم إلى الرأي العام وبنحو مسرحي، وأفضل موقف لي كان تقديم "رسالة سلام ووافق ديمقراطي"،

لكن الوضع لم يسمح سواءً من ناحية المدة الزمنية أم المواد أم الاستعداد النفسي لكي أقدم مرافعة شاملة.

تقدمت بالكثير من التصريحات المتعلقة بفترة إيمرالي وآمل أن يتم نشرها في كتاب مع الحفاظ على جوهرها، وليس من المناسب هنا أن أكرر تلك النقاط، ناهيك عن أن هذه المرافعة تقدم الأساس الإيديولوجي والسياسي والمعنوي لحواري مع المحامين، وتحمل صفة المتمم للمرافعة، لقد أردت بعض الأوساط أن تفسد موقعي سواءً على الصعيد الداخلي أم الخارجي، وهذا هو أخطر وضع، فقد أردت دائماً أن يتم إظهار هذه النقاط التي تعد أهم من صحي وموتي، وانتشرت دعايات مغرضة حول "اتفاقي مع الدولة العميقة، ومع الأركان العامة، وبأنني تصالحت معهم أو استسلمت لهم"، لأن أصحاب هذه الدعايات يريدون إخفاء وجههم الحقيقي، فلو تم الوفاق لأعلنت عن ذلك بكل شرف، وقد أكدت مراراً على أنه لم يحدث وضع كهذا، وقد توقفت على موضوع وقف إطلاق النار منذ عام ١٩٩٣، وأعلنت عن وقف لإطلاق النار آخر مرة عندما كنت في دمشق في الأول من أيلول عام ١٩٩٨، وارتباطاً بذلك طالبت بالانسحاب إلى خارج الحدود بعد فترة معقولة وبحسب الظروف المتوافرة ابتداءً من الأول من أيلول عام ١٩٩٩ بمهدف التصميم على جعل وقف إطلاق النار أكثر واقعية وكخطوة ثانية له، والوضع القائم يتطلب بقاء قوة محدودة في الداخل بسبب الظروف الاضطرابية، أما القسم الأكبر فيتموقع في الخارج على أساس الدفاع المشروع في وضع يهدف انتظار "الحوار لأجل الوفاق الديمقراطي والسلام".

إن السياسة والحكومة والبرلمان يتحملون مسؤولية عدم البحث عن الحلول، فمن المعلوم أن الوضع القائم يحمل أخطاراً كبيرة على كل الأصعدة، إذا لم يتم تجاوز هذا الوضع على أساس إيجابي، فلا يمكن غض النظر عن الخطر الذي سيدهم المنطقة بعنف أكثر شدة وأطول استمرارية، إن الوفاق يبحث عن حياة ضمن جوهر مصطلح الجمهورية الديمقراطية العلمانية"، فالأترك يدركون جيداً أن الكرد قد ساهموا في جميع التكوينات السياسية والدول التي أسسوها في الأناضول، وآخرها كان إنموذج تأسيس الجمهورية التركية، وقد تمت البرهنة على هذا الواقع مرة أخرى خلال حرب التحرير التي سبقت ذلك، فإذا تم التراجع عن هذه السياسة التي أنكرت وجود الكرد بسبب التمردات والتي لا تزال مستمرة حتى اليوم بأشكال مختلفة، فأنا على يقين بأنه ستظهر إمكانية إيجاد الحل وتنطلع لذلك، ويرى الكرد بأن تكاملهم مع الجمهورية مهم كشعب ومواطنين لهم خصوصيتهم بما يتناسب مع معايير الحقوق الكونية، وهو الموقف الإستراتيجي.

لقد تم شرح هذا الموقف الذي يعكس برنامج وإستراتيجية وتكتيك حزب العمال الكردستاني للمرحلة الجديدة خلال مرافعتي في الفصول المعنية بنحو موسع ولهذا لا داعي للتكرار هنا، يجب على الدولة الآن وعلى أعلى المستويات أن تحدد سياستها وموقفها، وهذه الحقيقة ليست من أجل كرد تركيا فحسب، بل أننا نقترحها كموقف إستراتيجي من أجل كرد كافة الأجزاء.

ففي حين تبدو الحقيقة واضحة إلى هذه الدرجة، يقوم البعض بتحريف قسم مهم من المواقف وتوجيهها ضد حزب العمال الكردستاني قائلين: "لقد دفن آيو المسألة الكردية في إيمرالي" وهذا افتراء يريدون به إخفاء وجوههم الخائنة القبيحة جداً، وهم الذين تزعزعوا وتم الكشف عنهم، حيث يجب متابعة هؤلاء جيداً ومساءلتهم لأهميتها الكبيرة.

فهؤلاء هم الذين يفرضون الخيانة منذ عشر سنوات بنحو خاص، ولن يستطيع المتآمرون في كردستان الجنوبية

وكذلك الملتهجين إلى أوروبا ممن ارتبطوا بها على الأصعدة كافة، ولا يعترفون بأية قيمة معنوية، واختزلوا كل ممارساتهم تحت فكرة "الصراع ضد أبو" لن يستطيع هؤلاء أن ينقدوا أنفسهم من خلال هذه الافتراءات وحملات التضليل، إن موقف حزب العمال الكردستاني من الحرب والسلام واضح جداً، وكذلك جماهيره وقوته وشهداءه، فأين هم هؤلاء؟.. إنهم يريدون الحرب ومن بمنعهم؟.. لمن ولأية قوة يقدمون خدماتهم عندما يحرضون حزب العمال الكردستاني؟.. إن كانوا مخلصين، فما هي الساحة مفتوحة، فليمثلوا القضية الكردية في الجبل والسهل، في المدينة والقرية، في الداخل والخارج، وليكونوا قدوة لنا عن طريق مقاومة حتى النهاية، ليفعلوا ذلك كي يفضحوا أنفسهم بأنهم ليسوا أكثر من منافقين، كذابين ومزيفين.

يعيش المتآمرون الجنوبيون منذ عشر سنوات في أحلام الاستقلال على ظهر حزب العمال الكردستاني، فقد طور كل من الحزب الديمقراطي والاتحاد الوطني والقوات التابعة لهما مواقف رهيبة تجاه حزب العمال الكردستاني، وأمامهم أن يختارا أحد الطريقتين، إما السلام والوفاق الديمقراطي عن طريق تقديم النقد الذاتي الصادق، أو التراجع عن حلم الاستقلال الذي لا يستحقونه ولن يستطيعوا تحقيقه دون حزب العمال الكردستاني، فلقد حققوا من خلال السياسة والدبلوماسية التي مارسوها منذ أربعين عاماً أضراراً بالغة بالشعب الكردي وكان أكبر وأكثر فداحة من الذي أصاب الشعب الكردي نتيجة السيطرة الأجنبية عليه خلال أربعة آلاف عام، وبعد كل ما جرى فليعرفوا ولو قليلاً كيف سيكونوا مخلصين، وأن يدركوا معاني السلام والديمقراطية، أما عكس ذلك فحتى لو قامت الدنيا فإنهم لن يستطيعوا أن ينقدوا أنفسهم من الضياع الذي هم فيه، وليتدركوا دائماً جميع الشهداء والرفاق والشعب ولا ينسوا أن هذا هو تصميمي وقراري.

وستستمر مرحلتي في إيمرالي بما تتناسب مع روح مرافعتي هذه، وموقفي يعطي جواباً بكل إيمان وعزيمة وإصرار، وأني دائماً سأكون ضد حرب الإبادة وكأنها ستبدأ بي غداً، مثلما سأكون مستعداً في كل لحظة للسلام والديمقراطية والوفاق وكأنها ستحدث غداً، وباستثناء ذلك لا أعرف أية حياة ولا أفهم أي معنى للحياة، وبالنسبة للذين عبروا عن ارتباطهم وآمالهم بي فعلى الرغم من النواقص الكبيرة جداً يجب أن يفهموا ماذا تعني هذه الحقيقة بكل جوانبها وأن يقوموا بما يقع على عاتقهم بحسب الظروف التي يوجدون فيها، فهي قضية حياة بالنسبة لهم، ومن الأهمية بمكان أن يبقوا مرتبطين وأن يتحركوا ضمن المقاييس، فحياتهم تتطلب التمسك بالاستعداد المنظم بالكامل في مواجهة أية تطورات محتملة.

إنني على قناعة بأنني استطعت أن أقدم جواباً شاملاً من خلال مرافعتي هذه في كثير من المواضيع التي بقيت غير واضحة أو تلك التي كانت تدور حولها إشارات استفهام كثيرة، وأمل أن أكون قد سددت ديني لشعبنا ولرفاقنا ولأصدقائنا في كل العالم ومن الشعوب المجاورة كافة وفي مقدمتها الشعب التركي ولتطلعائهم من خلال تقديم إجابات شاملة في مرافعتي وفيما يتعلق بمرحلة إيمرالي في الأقل، التي مازلت أعيشها ضمن ظروف صعبة وقاسية، وأنا انتظر و من حقي أن يطوروا انتقاداتهم ضمن الشعور بالمسؤولية نفسها وأن يقوموا بمتطلبات النقد.

وفي النهاية نقول بأن المؤامرة ظلت بعيدة عن تحقيق النتيجة التي خططت لها ونفذتها، تلك المؤامرة التي جرت بين ٩ تشرين الأول عام ١٩٩٨ و ١٥ شباط ١٩٩٩ والتي تعد أكثر شمولية من المؤامرات كافة التي اعتمدت على الأشخاص والقوى العميلة التي تظهر بمظهر الأصدقاء، والتي تعد جزءاً لا يتجزأ من الجهود الرامية إلى تحويل شعبنا إلى

مستعمر، وتلك الجهود المستمرة منذ عهد السومريين، إن المهمة التي يجب أن تقوم بها شعوبنا والقوى كافة التي تشعر بالمسؤولية هي تحويل المؤامرة التي توحدت بين جميع الخونة والمتآمرين والعملاء في القرن العشرين تحت سقف أعلى إرادة للإمبريالية، إلى سلام يعم الأناضول وميزوبوتاميا. إن القيام بهذه المهمة هو الموقف الصحيح الوحيد من أجل وحدة الوطن وتكامله القوي ومن أجل الوحدة الجوهرية للجمهورية العلمانية الديمقراطية، وهذا هو نفس الطريق الذي يؤدي إلى المساواة والحرية والأخوة والسلام المشرف الذي تم النضال لأجله على مدى التاريخ.

٢. يمكن تحويل مؤامرة ١٥ شباط إلى ديمقراطية وسلام دائم لأجل الشعوب

إذا قمنا بتفسير مؤامرة ١٥ شباط من الناحية التاريخية نتوصل إلى خصائص مهمة:

أ. نرى أن المؤامرة بشكل عام قد تحققت على مسار الصراع الغربي - الشرقي، فهم يروني على شكل النقطة التي تسبب الضعف للأناضول وتركيا، فالطفل المدلل للغرب وأقصى نقطة فيه اليونان وسياساتها أرادت لي دائماً أن أبقى من دون مبادئ وفي وضع يلحق الضرر فقط، وعندما رأوا عكس ذلك وأن علاقائي بدأت تلحق الضرر بهم، لم يترددوا في أن يحاولوا إلقائي في النار، ودورها في المؤامرة الأخيرة كان على نحو عمالة خائنة مستفيدة من الصداقة أساساً. ولم تكن اليونان المخطط والمنفذ بل كانت على شكل آلة مأجورة، فمن الواضح أنها كانت تنتظر بعض التنازلات في قبرص وإيجة مستقبلاً مقابل مهمتها هذه، فقد توضح هذا الأمر وأصبح مكشوفاً في التصورات اللاحقة. وأمر التسليم قد صدر من الرئيس كلينتون بالذات، بحسب ما صرح به مثله الخاص "بليندكن Blinken" للصحافة، وإذا شرحنا ذلك بموقف مناهض للإرهاب فسيكون ذلك رؤية ضيقة، فإسرائيل تقف وراء هذا العمل قطعاً. ولهذا الأمر علاقة وثيقة بالوعود التي قطعها الجناح المتطرف الموالي للحرب من اليمين الإسرائيلي مع تركيا، فقد كان بينامين نتياهو رئيساً للوزراء آنذاك وهو زعيم الليكود وجناح اليمين، وأدت إسرائيل دوراً رئيساً في تنفيذ المؤامرة بهدف الاحتفاظ بتركيا إلى جانبها في التوازن الاستراتيجي القائم في الشرق الأوسط، ولكنها ليست لوحدها، ومن ناحية أخرى فإنني لا أعتقد بوجود علاقة بين هذا الأمر وبين اليساريين الديمقراطيين في إسرائيل ونهج شمعون بيريز، كما يجب ألا ننسى أن اغتيال اسحق رابين أيضاً كان بيد المتطرفين اليمينيين، وعندما تكثف الاعداد للمؤامرة كان قد تم تقييد كلينتون من خلال فضيحة "مونيكا"، حيث أضحى في وضع يلبي كل مطالب اللوبي الإسرائيلي دون أي تردد، وبات من الممكن إصدار كثير من القرارات الرئاسية بواسطة هيلاري أو الابتزاز بواسطة مونيكا، وهنا يظهر وضع التواطؤ المرحلي بين استراتيجية اليونان وإسرائيل بشأن تركيا، ويقوم كلينتون بالتنسيق بينهما، حيث تم إرساء أسس هذا التنسيق في لندن، لأجل ابعادي والقضاء على PKK والكرد، وحسابات ذلك دقيقة وقوية، فوضعي القيادي للكرد يزعم كيان السياسات الغربية التقليدية التي تتم ممارستها نحو الكرد، وجوهر هذا الحدث يعتمد على هذه الحقيقة، ولهذا وجدت أوروبا أن تصفيتي تناسب مع مصالحها، لأن سياساتها الكردية التقليدية تتعرض للفشل بسبب وجودي، والجانب الآخر العام الذي توحدوا فيه هو أنهم لم يستطيعوا تحليل الثقافة الشرقية في شخصي.

ب. هذا الجانب شكّل الذريعة النفسية والثقافية لأجل تسليمي، حيث لم تكن الثقافة تتمتع بالبنية التي تستطيع تذويبي، وهذا ما دفعها إلى النظر على أنني شخصية يجب التخلص منها، وعلى الرغم من أن المصالح المادية الاقتصادية

تؤدي دوراً مصيرياً، فلا يمكن التفاوضي عن الأسس الثقافية أيضاً، وبدأت تهب رياح عدم الرغبة في إظهار لينين أو خميني آخر، وقد ظهر جلياً أنهم لن يتساحوا مطلقاً مع من لا يقبل باستغلالهم ولا يرضخ لهم أو لا يقلدهم أو لا يتواطأ مع ثقافتهم. واستطاعوا حماية نهج بربريتهم المتحضرة في هذا الحدث، وكان واضحاً أنهم كانوا يراقبون شخصيتي منذ زمن بعيد، ووجدت نفسي في أجواء تدل على أنهم قد توصلوا إلى قرار عدم ملائمتي لذهنيتهم منذ زمن بعيد، وتم خلق هذه الأجواء عن وعي.

ج. بقيت الرأسمالية الأوروبية ملتزمة بجوهر سياستها الكردية التي تمارسها على مدى القرنين الماضيين، وتعتمد هذه السياسات على استخدام الكرد وسيلة تحديد لأجل تحقيق مزيد من ارتباط العرب وإيران وتركيا بنحو خاص، وأنا كنت أفرض حلاً للقضية الكردية إما بالحرب أو بالسلام، بينما هم يريدون دائماً إبقاء هذه القضية في أيديهم كورقة يستخدمونها عند اللزوم، ويجعلون من ذلك أساساً لسياساتهم، وانتزع هذا السلاح من أيديهم أمر لا يتناسب مع مصالحهم، وكانوا لا يرغبون التخلي عن سياستهم الاستعمارية التقليدية التي تشكل أقدار مختلفاتهم. فالقضية الكردية المحلولة استراتيجياً كانت موضوعاً لم يأت وقته بعد، وبنحو واضح جداً كانوا يريدون الاحتفاظ بالورقة الكردية حتى تتم تصفية حساباتهم مع العراق وإيران وتركيا كاملاً وتتوافر الضمانات لمصالحهم، وهذا الوضع يشبه حال أولئك الذين ربطوا مصالحهم بوجود واستمرار القضية الكردية تماماً، وهي سياسة "لا تمت ولا تحي" بالنسبة للكرد، أي الدفاع عنهم حتى لا يموتوا، والإبقاء عليهم في الهاوية حتى لا يعيشوا، أنه موقف في منتهى الوحشية، ولو قاموا بتقديم بعض المساندة لتولدت ظروف في منتهى الإيجابية على الأسس السلمية، فمثلاً لو توافر للكرد الموقف نفسه الذي اتخذوه نحو كوسوفو أو مكدونيا لدخلت القضايا إلى طريق الحل منذ زمن بعيد، والموقف نفسه يسري على وضع إسرائيل والعرب وروسيا والشيشان. حيث أن مصالحهم تكمن في استمرار القضايا لأمد بعيد، أما إذا كان الموضوع متعلقاً بداخل أوروبا أو بالقرب منها، فهم يتصرفون بمنتهى السرعة وتكثيف الجهود ويضعون الحلول اللازمة، ونظراً لأن وضعي الذي يدفع إلى الحل لا يتناسب مع مصالحهم فكان لا بد من استعبادي.

د. الهدف الواضح من تسليمي هو تصفية حركة التحرر الكردية وقيادتها. فقد أرادوا بهذه التصفية تفعيل دور الكرد المتواطئين الذين لهم علاقات معهم منذ سنين طويلة، ويعزمون أنهم سيصنعون قيادة كردية ديمقراطية وليبرالية، وتستفيد العناصر التي قامت كل دولة بإعدادها من الفراغ لإقامة تنظيمات ومنظمات مختلفة، وألمانيا تنزع هذا التوجه، فقيام الألمان بإعداد مجموعات موالية لهم من العرب والأتراك والكرد والفرس، هي سياسة ألمانية تقليدية في الشرق الأوسط وهذه السياسة سارية منذ أيام أنور باشا، فبينما أصبح الكرد العراقيون دودة هذه السياسة، أرادوا إلقاء بعض الخطوات المتقدمة المشابهة في تركيا أيضاً، فالارتياح تحت حماية القوى الخارجية أصبح غمطاً للمعيشة، فعدم تصفية حركة التحرر الكردية سيفتح المجال مرة أخرى أمام جهود التصفية والتجزئة أو التشتت والانهاء بالإضافة إلى إمكانات الافادة من الظروف المواتية للسلام ولو بدرجة محدودة للقيام بمحاولة استغلالها عن طريق مؤسسات المجتمع المدني، التي لم تستطع حركة التحرر تأسيسها بنحو حر، وبناءً عليه فإن اليقظة تجاه التنظيمات الرجعية من طراز الطرق الصوفية القديمة، و شكل تنظيمات المجتمع المدني المزيفة المتواطئة، وعدم إعطائها فرصة خداع الجماهير يحظى ببالغ الأهمية.

هـ. إن مرحلة إيمرالي أصعب من خوض حرب لأجل انبعاث السلام بين الثقافتين الأخت في ميزوبوتاميا

والأناضول وأما نتائجها فهي أكثر ثورية وإثارة، وستكون أفضل وأصح جواب على الجوهر الثوري للجمهورية التركية ونخضة ميزوبوتاميا والأناضول، ولأجل ترسيخ السلام اعتماداً على الوجود الثقافي واستخدام هذه الثقافات بحرية. وانطلاقاً من مبدأ أن لكل حرب سلامها نرى أن الجهود لأجل السلام مهمة وضرورية لتحقيق ما يتناسب مع مصالح الشعوب، والذين لا تسفر حروبهم عن السلام لا يستطيعون إنقاذ أنفسهم من الاستخدام من لدن القوى الأخرى ضد مصالحهم بالذات.

إن البحث عن السلام أو إحداثه و لو بنحو محدود لا يعني خسارة أو إضاعة الوقت في أمور تافهة على الإطلاق، والذين لا يستطيعون إيجاد سبل السلام الواقعية لخروبهم لا يستطيعون إنقاذ أنفسهم من الفشل في النهاية حتى ولو انتصروا عسكرياً، وأي خطأ في الحساب على موضوع السلام يجعل أهم الانتصارات العسكرية جوفاء لا معنى لها، والقادة الذين يشعرون بالمسؤولية نحو شعبهم وجنودهم هم الشخصيات التي تستهدف إيجاد الحلول الواقعية وتقوم بالبحث والتدقيق في قضايا السلام مثل القضايا العسكرية في الأقل، والقائد أو الزعيم الذي لا يفلح في ذلك لا يستطيع التخلص من الخسارة.

وإذا نظرنا إلى جذور المواقف والجهود التي تعادي السلام في مرحلة إيمرالي نرى أن الذين يحاولون فرض البلادة والترويض والتخريب والعداوة وجعلوا من ذلك حرفة لهم يؤدون دوراً في ذلك، لأن السلام الجاد ذو المضمون سيقضي على حالة الفوضى التي ترعى الزيف، ولا تخدم المجتمع ولا تعلي من شأن الفرد، وبحول دون الأوضاع اللا قانونية، ويفرض هيمنة النظام الذي يوفر نمط الحياة والمعيشة المشروعة. أما الذين لا تتوافق مواهبهم ونمط حياتهم مع هذا الوضع والذين لم يتحولوا إلى هذا الوضع في الوقت المناسب فهم لا يفهمون من السلام ولا يريدونه وهؤلاء لا يعرفون آلام وصعوبات الحرب أيضاً، ولكن رغم ذلك يجب رؤية أهمية وجدية المرحلة، فهي مرحلة مهمة سواء تم التوصل إلى النجاح أو لم يتم، فحتى الحرب التي قد تحدث بعد هذه المرحلة ستكون حرباً مختلفة عن السابق، فأطول أزمة تعاني منها الجمهورية التركية على مدى تاريخها كانت نتيجة للحرب الماضية، فإذا لم يتم الاعتراف الصحيح بذلك، ولم يتم تحويله إلى سلام عادل فلا يمكن التخلص من الأزمة، لأنه ليست هناك رغبة في وضع التشخيص السليم، ولهذا فإن المعالجة لن تكون سليمة أيضاً، وهذا هو التناقض الذي تعيشه تركيا في أعوام الألفين، فهذه الأزمة يمكن أن تزول إما بحرب جديدة أكثر دموية وإما بسلام مشرف عادل، وبغير ذلك لا يمكن التخلص من الكوابيس الاجتماعية اليومية.

و . إن مرحلة إيمرالي من ناحيتي وعلى صعيد التأسيس تمثل مرحلة الميلاد الثالثة، فالمرحلة الأولى هي الميلاد من أم عاشت في مجتمع القرية الزراعية في ظروف تتناقض مع القرن العشرين وتتضمن الفترة التي مرت حتى الوصول إلى الطراز الرسمي، هي المرحلة التي مرت ضمن النواقص والمعاني الكبيرة للانفصال عن خمسة عشر ألف سنة من التاريخ، حيث لا يمكن تحليل شبكة الحياة بعد التي ترسخت قبل ١٥ ألف سنة، وهذا التعقيد أدى إلى الصراع مع الأسرة داخلياً ومجتمع القرية، فقد كنت متمرداً قروياً، وأستمر ذلك التمرد حتى الوصول إلى المجتمع الرسمي، و من ثم أضيفت إليها مرحلة التكوين الثانية التي ابتدأت بالمدرسة الابتدائية والمراحل الأخرى التي تلتها حتى الوصول إلى نقطة التمرد ضد الجمهورية الأوليغارشية، وكانت مرحلة تشبه حملات دونكيشوت ضد طواحين الهواء، حيث أدى إلى بروز مزيد من القضايا وتناقلها، حيث أضيفت إلى تناقضات المجتمع النيوليبي والمجتمع الإقطاعي خصائص الرأسمالية أيضاً، ونظراً لعدم وجود

الطراز الثوري هيمنت أجواء من الفوضى، فالتمرد الذي تم اللجوء إليه بقي عاجزاً حتى عن تحليل الرجعية القائمة في داخله، وفترة هذا التمرد الذي أستغرق عشرين عاماً، فتح الباب أمام تأثيرات على المنطقة والعالم، تحول إلى مرحلة إيمرالي نتيجة للمآزق التي واجهته.

إن ظروف إيمرالي لا تعني ميلاداً على صعيد شخص، بل ميلاداً على صعيد الجمهورية وميلاداً لشعب، فالميلاد الثاني كان يعبر عن الولادة والتطهر بالحرب، فوجود قانون الأضداد ووحدها في الجبال وفي المجتمع وفي كل ظاهرة، واعتماداً عليه بدأت مرحلة مناهضة الجمهورية الأوليغارشية التي سترك مكانها للتحول الديمقراطي في جمهورية علمانية ديمقراطية التي ستحقق، فمثلما لا يمكن تحقيق تطور من دون تناقض، فإن الصراع الدائم مع التناقضات المعقدة التي لا معنى لها لا يحقق أي تطور، بل يفتح المجال أمام التخريب والهدم والأزمات، ونظراً لأن تركيا قضت وقتها في فهم تناقضاتها بما فيه الكفاية وتأخرت في حلها، فمن الطبيعي أن تنزلق إلى مرحلة تأزم وهي غير قادرة على الخروج منها بأي شكل.

المرحلة ترغم جميع القوى على تحقيق ميلاد جديد والتكون من جديد، ابتداء من الدولة إلى الاقتصاد ومن السياسة إلى الحقوق ومن الأخلاق إلى الفنون، حيث بدأت كل الأوساط تتزعزع وتتأزم، وبدأت بالبحث عن الحل مع تفاقم الأزمة، ومرحلة إيمرالي التي تخصني كانت بمثابة الضغط على الزناد في هذه الحقيقة، فمثلما وجدت المرحلة السابقة مع معناها في تعبير " أنا والحرب " فإن هذه المرحلة تجد معناها في تعبير " أنا والسلام " فالإرادة والوعي الكردي التحرري يمثل جزءاً من وجودي على صعيد التأسيس، وهذه الإرادة والوعي اللذين عبرا عن مرحلة اختبارٍ بالحرب، تمران الآن إلى مرحلة السلام، فمرحلة الحرب فرضت نفسها على شكل مناهضة الإقطاعية ومناهضة الجمهورية الأوليغارشية، فإن مرحلة السلام هذه تتطلب التجديد في الجوهر والشكل لأجل "الجمهورية العلمانية الديمقراطية" فليست هناك رغبة في العنف والانفصال.

أما إذا كانت هناك رغبة في إبعاد الكرد عن النظام تماماً، فإن قيام الكرد ببذل الجهد مع الأتراك على مدى التاريخ في تأسيس الدولة والوطنية مما يتطلب عدم إبعادهم بالعنف والإنكار، فالسلام يشترط على السياسة والحقوق إعطاء مكان للكرد ليعيشوا وجودهم وثقافتهم بحرية ليتكاملوا مع الجمهورية، فالجمهورية التي تنتكر لإرادة الكرد الحرة هي جمهورية أوليغارشية ولا مفر من أن تسفر عن العنف و الانفصال، بينما انفتاحها على الوحدة الحرة أي على الوفاق الديمقراطي يفتح المجال أمام الحياة في أجواء السلام والوحدة، وعدم الوصول إلى ذلك حتى الآن ناجم عن انتهاء الصراع بين الجمهورية الأوليغارشية والجمهورية الديمقراطية، ومن هذا الجانب فإن مرحلة إيمرالي تشير رمزياً إلى تطور تاريخي، فإما أن يتولد السلام من هذه المرحلة، وإما إذا لم يتحقق النجاح في ذلك واستمرت الجمهورية الأوليغارشية في سياسات الإنكار والإبادة، فسيُسفر ذلك عن مرحلة يزداد فيها العنف و يصبح شاملاً، مما سيعمق الانفصال.

هذه هي الحقيقة الأساسية الكامنة خلف هذه الأزمة التي تمر بها تركيا خلال تاريخها بهذا العمق، فإذا لم تقم الحكومة والبرلمان الذي هو الميدان السياسي للحل بتناول هذا الموضوع في حينه وبنحو واقعي، ولم يقوموا بما يقع على عاتقهما، فذلك سيعني التستر على القضايا وتركها لمزيد من التفسخ والتعقيد، مما يدل على أن السياسة هي مصدر الأزمة كما تقول الصحافة.

إن السياسة تلوح بقرار الإعدام على رأسي مثل سيف ديموقليس وتظن أنها بذلك ستوصل إلى نتيجة، وبذلك ترتكب أكبر أخطائها، وهذا هو الموقف الذي يجعل تركيا محكومة بنظام مفروض من الداخل والخارج وفي جوهره يعتمد على عصابات السمسة والكسب غير المشروع، بناء عليه ستبقى محكومة بالأزمة التي تسبب في خسارة مليارات الدولارات كل شهر وكل سنة، وتسبب في مزيد من الآلام والمعاناة على الصعيد المعنوي والمضايقات التي تصل إلى درجة الاختناق، فما دامت الحرب التي استمرت على مدى خمسة عشر سنة قد أسفرت عن حصيلة أربعين ألف قتيل وخسائر مادية تتجاوز مئات المليارات من الدولارات، فالذي يمكن القيام به هو تناول هذه الظاهرة في إطار الظروف الدولية الاجتماعية والتاريخية ووضع تعريف صحيح لها للتوجه إلى وضع حل، فإذا لم نستطع القيام بذلك فإن الأزمة ستفاقم إلى أبعاد كبيرة ولا مفر من تصعيدها.

إن هذه المرحلة بالنسبة لي كشخص ومؤسسة قيادية تتطلب تقييم القضية ضمن هذا الإطار، ونظراً لأن ذلك لن يتحقق بذهنية الافادة والاستخدام، فإن مواقف التطرف المعتمدة على الإنكار والإبادة والافتراء، سواء جاءت من الأوساط الرسمية في الدولة أم من الأوساط الكردية المتواطئة، فأنا ستؤدي إلى فرض مرحلة من الحرب تعمق من المأزق، وحتى لا يحدث الانزلاق إلى هذه اللعبة يجب الالتزام بمنتهى الحساسية والتصرف بحكمة، مع العلم بأن أي تصعيد يعتمد على الإبادة المادية والمعنوية نحوي، يعني محاولة لإبادة قوى الإرادة الحرة الكردية والتركية، وحتى تسفر الحرب التحررية عن نتائج لصالح شعبنا، يجب تسيير جميع الاستعدادات الإستراتيجية والتكتيكية لأجل الحرب الدفاعية المشروعة وكأنها تبدأ غداً وهذا هو الشرط الأساس لأجل إنجاح المرحلة، وهذا هو المعنى التاريخي لمرحلة إيمرالي من حيث الدولة والمجتمع وشعبنا وPKK وبالنسبة لي.

ز . كما يجب على أوروبا والولايات المتحدة أن تستنبط النتائج الصحيحة من مؤامرة ١٥ شباط على ضوء معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، فوضع إلقاء القبض واعتقالي الذي يتناقض مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، ويخرق الحقوق قطعاً ومحاولة تستهدف الإرادة الكردية التحررية، كل ذلك يضع مؤسسات الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي تحت المسؤولية الحقوقية والسياسية، أكثر من الجمهورية التركية، فمثلما أوضحت في مرافعتي بنحو شامل، فإن القوى والمؤسسات المذكورة تقوم بخرق معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية انطلاقاً من مفاهيمها الاستعمارية والسياسية، وتسببت في خلق هذا الوضع الذي حدث نتيجة لخرق الحقوق، وبناءً عليه فعندما نتوجه إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، فإننا لا نستهدف الجمهورية التركية ووضعها المتناقض مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية فحسب، بل نرى أن محاكمة المسؤولية الناجمة عن التجاوزات الحقوقية والأخلاقية التي تم ارتكابها في شخص الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية ضد الإرادة التحررية الكردية تحظى بالأولوية عند النظر في هذه المحاكمة. إن الصليب الذي تم نصبه في العواصم الأوروبية المهمة الثلاث لأجل صلي " الصلب بالكردية يعني التعليق في أربعة مسامير " أو يتم دق المسامير في نعشي، وبعد ذلك يتم إلقاء في الطائفة التركية بيد آكلي لحوم البشر الأفريقيين بلعبة رأسمالية تم حبكها بمنتهى الدقة.

المكان الأول الذي وضعت فيه على الصليب هو أثينا العاصمة، وسواء قامت أثينا بما فعلته نتيجة لخبرتها أو نتيجة لثأرها الأعمى الملهم من الثقافة الرجعية وبروح جبانة لأجل الانتقام لهيمنتها المفقودة التي استمرت على الأناضول على

مدى ثلاثة آلاف سنة من خلال شخصي ضد أترك الأناضول، حيث انتظرت نصراً رخيصاً يفتقر إلى المبدئية، وعندما عرفت بأن ذلك لم يعد ممكناً تصرفت وكأنها تملكني وقدمتني كهدية في سبيل الحصول على بعض التنازلات في قبرص وإيجة، أو جعلت مني كبش الفداء لتقدمه إلى الحكومة التركية، وبذلك ارتكبت خيانة لا مثيل لها في التاريخ من حيث الدناءة والاختطاط، وقامت بأكبر قلة شرف لا مكان لها في قاموس الصداقة، وبذلك ارتكبت خرقاً فاضحاً لمعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية والحقوق الأوروبية كعضو في الاتحاد الأوروبي، وجرمتهها هذه واضحة من حيث اللا أخلاقية وخرق الحقوق في هذا الموضوع، بحيث لا يمكنها أن تتقدم بأي عذر يبرر موقفها، ويمكن التأكيد على ذلك من خلال الكثير من التصريحات والشهود إذا احتاج الأمر إلى ذلك.

الكاتب اليوناني كازانجكيس كتب روايته "صلب عيسى من جديد"، منذ زمن بعيد، ولكن وضعي لا يتميز بالفردية، فقد تم صلب الملايين من الكرد أصحاب الإرادة الحرة الذين يرتبطون بقيادتهم حتى الموت، فاليونانيون يعدون أنفسهم ماكزين منذ أيام الآلهة "زيوس" فالرية أثينا التي ولدتها زيوس من حبيبها كأبنة لها، تقوم بالحيلة بإلقاء "هيكاتور" الطروادي في نار الحرب بعد أن تجعله يرتدي ثياب أخيه "دايفويوس"، وتقوم بتصفيته، وبذلك تتمكن من فتح أبواب الأناضول، هذه الواقعة تحدث في الميثولوجيا، ولكن إيقاعي في المصيدة يقع في العام الأخير من الألفية الثانية بينما كنت أحياء في القرن العشرين، فلو قاموا هم بالذات بقتلي ولو بمؤامرة تأخذ شكل حادث عابر لما تأسفت كثيراً وقلت بأنهم صادقون مع ثقافتهم، ولكن أسلوب تسليمي على شكل مغلف هدية فهو غير موجود في أي كتاب إنساني، ولا ينطبق على أي مبدأ أخلاقي من دون احترام وتقدير دماء ثلاثين ألف شهيد، وبين آلام ودموع الأمهات في وقت لم أكن مستعداً له، وفي لحظة حرجة كانت الجماهير تنتظر مني الكثير لتقوم بتسليمي إلى الوحدات الخاصة الحربية التركية، فكيف تتجرأ على ذلك؟، لقد كان الرئيس الأمريكي كلينتون من ورائها، وهو الذي أمر "هذا التصريح ورد على لسان مستشاره الخاص بليند كن رسمياً" لقد قام اليونانيون بالتلاعب بقيم الصداقة بمنتهى قلة الشرف.

لقد كان كلينتون في تلك المرحلة يتعرض لضغوط الامتثال أمام المحاكمة في مجلس الشيوخ بسبب فضيحة مونيكاس، فقد تم إعداد زوجته هيلاري وعشيقته مونيكاس منذ زمن بعيد وجرى وضعهما في البيت الأبيض، وهما عميلتان تتحدران من جذور يهودية، واليهود يقولون بأن الله منحهم هذه الموهبة كما يمر في الإنجيل حديث العبريين، يتم الحديث بافتخار عن الجاسوسة الأولى العاهرة "جاهال" بينما كلينتون ممثل ثقافة الرجل الأبيض الذي يصيد الهنود الحمر والكابوي الذي لا يعرف حدوده، وحتى ينقذ نفسه من فضيحة مونيكاس بنحو رخيص يقوم بتنفيذ الأمور التي وضعها الموساد كشرط لتخليصه من الفضيحة، والأوامر تقتضي بتسليمي. هذه ليست مهمة الحكومة اليونانية ما لم تتوافر المساندة الكبيرة من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وتم القيام بكل ما يلزم، وإلا فلن يتجرأ أحد على القيام بارتكاب هذا العمل اللاأخلاقي والخروج عن القانون.

ليس لإسرائيل الحق في أن تقدمني إلى تركيا في سبيل تأسيس توازنها الاستراتيجي عن طريقها، فجدنا المشترك سيدنا إبراهيم هو النبي الأول الذي أخرج الإنسان من كونه ضحية تقدم إلى الله، والاحترام للذكاء ولدينه يفرض على الموساد أن لا يقوم بهذه الممارسة، حيث يجب أن تكون هناك حدوداً أخلاقية للتفوق، في الأقل كان على الحكومة اليونانية أن لا تكون آلة لهذه اللعبة القذرة، وبالتفاهم على القيام بالألعاب دقيقة إلى هذه الدرجة نحو تركيا لجعلوا مني،

الكردي الذي لم يخطر ببالهم أن أكون متعللاً، قبله نووية حية ويلقوها في أحضان تركيا، كان عليهم أن لا يفعلوا ذلك ويفكروا بأن ذلك الكردي قد يتعطل يوماً ويحسبوا حساب انتقامه في يوم ما، وكان يجب عليهم أن يعتقدوا حسابهم على ذلك ولو بنسبة واحد بالألف، وكان يجب عدم ارتكاب هذه الجريمة بهذا النحو الرخيص ليقوموا بصلب روح المسيح مرة أخرى في مركز المسيحية الأرثوذكسية، وكان عليهم أن لا يتحولوا إلى مشتق من "يهودا أسقريوطي" المعاصر، والأسوأ من ذلك كان عليهم أن لا يقوموا بمحاولة التستر على هذه الجريمة اللاأخلاقية من خلال تصريحات مزيفة، ولن أطيل كثيراً، ولكن هذا هو الإطار الإنساني والتاريخي الذي تم فيه إعداد الصليب أو تم دق آخر مسمار في نعشي في أثينا، فإذا كان التصرف المستقيم هو أساس كل شيء فيجب تناول كل الجوانب السياسية والحقوقية لهذا الأمر للنظر فيها من كتب قطعاً.

أما المسمار الثاني فقد تم دقه في موسكو، وأنا لم أستغرب ذلك ولم أغضب، ولا أرى معنى للتشكي من هذا الأمر، فالروس تجاهلوا أكثر تقاليدهم أصالة وأكثر الأشكال دناءة، ولا أعتقد أن حكومتهم تقلق على لا أخلاقية وإنسانية تصرفها هذا، حيث لا توجد أي قيمة إنسانية لا يمكن التضحية بها لأجل المال، فقد تأكدت هذه الحقيقة مرة أخرى في هذه المرحلة وروسيا التي تنتمي إلى المجلس الأوروبي ملتزمة بمعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، وبناءً عليه فإن تغاضيها عن الالتزام بقرار الدوما الذي هو بمثابة البرلمان الذي صوت على قبول حق اللجوء السياسي الذي تقدمت به بنسبة ٢٩٨ صوتاً، مقابل صوت واحد، وقيامها بإلقاء خارج روسيا عنوة، هو خرق للحقوق وهذا أمر يهم الاتحاد الأوروبي ومحكمة حقوق الإنسان الأوروبية.

أما المسمار الثالث الذي تم دقه في العاصمة المقدسة لأوروبا روما، فقد حدثت أمام أنظار البابا ومهما كان مقتل الإنسان العظيم "العزيز بول" هو الإنسان المسيحي الأول الذي يجري قتله في روما، إلا أنه كان يجب أن لا تتم فرض ممارسات تتجاوز الموت بحقي، لأن أوروبا وروما تدعيان تمثيلهما للحضارة المعاصرة، وكان يجب على روما أن لا تقوم بممارسة تشبه ما تم بحق "سانت بول" مرة أخرى في السنة الأخيرة من الألفية الثانية وأنا مثله قدمت من بلاد الشام، فقد كنت بصدد قول بعض الحقائق عن الحضارة بمقدار ما ينطق به لساني فلماذا وصلوا إلى هذه الدرجة من الرفض؟ وكأنهم وضعوني في قفص حديدي على مدى ستة وستين يوماً، وحولي قوات البوليس التي تشبه الفولاذ من كل جوانبي لاتخاذ تدابيرهم، بينما كنت أسعى إلى النطق عن وجود وتطلعات شعب لم يستطع فرض قبول اسمه حتى الآن، ولا يتمتع بأي حق إنساني على الإطلاق رغم أنه يمثل أقدم شعب في التاريخ، وبحسب القيم السياسية والحقوق الأوروبية يعد هذا حقاً ومطلباً ديمقراطياً ولم يتم احترام هذا الحق مطلقاً، بل تم القيام بكل الممارسات لأجل إرغامي على الخروج، وتم القيام بكل ما يلزم من ممارسات وضغوط نفسية لأجل صلي، وتم شحني، وعلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية أن تركز على هذا الجانب من الحقيقة، وتقوم بمساءلة سبب هذا الوضع في العاصمة روما التي أعطت الشكل والروح للاتحاد الأوروبي، وتنظر إلى ما يجب القيام به.

لقد تم اختطافي إلى عاصمة كينيا بالإرادة المشتركة لأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية تماماً، حيث أوكّل الطرفان هذا الدور الأكثر دناءة إلى الطفل المدلل لهما وهو حكومة اليونان لتقوم بلعبه، وقصة ذلك طويلة، وتحدثت عنه جزئياً، وإذا تطلب الأمر فإنني قادر على سرد قصة الاختطاف إلى كينيا والقيام بتسليمي عن طريق السفارة هناك بنحو شفوي

أمام محكمة حقوق الإنسان الأوروبية وبنحو موثوق، أما مهمة شد حبل المشنقة أو تسليم الهدية أو الوضع في النعش أو التعليق على الصليب، فقد تم على يد أكلي لحوم البشر الأفريقيين الذين تم تربيتهم بنحو ممتاز على مهمتهم وهذا يمثل أقذر مراحل المؤامرة، وبذلك يدعون أن أوروبا بريئة تمام البراءة لأن كينيا قامت بهذه الجريمة، ولكن يبدو أن أوروبا قد كسبت تجربة كبيرة على صعيد تقثيل الشعوب فيما بينها، وهنا دفعت الآخرين إلى لعب الدور البسيط للجلاد، ونظراً لخوفهم من الرأي العام والقوانين التي وضعوها أدخلوا هذا التكتيك إلى المسار أي أنه لا يمكن أن تكون هناك أعمال قدرة في أوروبا، ولكن يمكن أن يحدث ذلك لدى أكلي لحوم البشر!.

إن دور الولايات المتحدة الأمريكية واضح وبارز في كينيا، وحقاً تبنى رئيس الولايات المتحدة دوره المناط به وأعترف بإصدار أمر التسليم علناً، وبحسب قناعتي، فإن CIA والاستخبارات اليونانية لم تقوما بإنجاز هذا العمل حياً في تركيا ولأجل سواد عيوغها بالتأكيد، ولا أشك أنهما فعلتا ذلك حتى تتم تصفيتي بيد الأتراك كهدف استراتيجي لهم، وأنا واثق أن ذلك يمثل الموقف الإنكليزي أيضاً.

وقناعتي أن لعبتهم هذه لم تصل إلى أهدافها المخططة بسبب أنني لم أكن متمرداً فحاً مشحوناً بالعداء نحو الأتراك كالمقاومين الآخرين، وجزئياً بسبب الموقف الحذر لهيئة الأركان التركية، لم تنفجر القنبلة الحية التي وضعوها في أحضان تركيا التي كانت ستتسبب في مقتل عشرات الآلاف، وبذلك تمت الحيلولة دون تحول القرن الحادي والعشرين إلى قرن للصراع الكردي التركي، ولكن هذه اللعبة التي تمت ممارستها على الطرفين الكردي والتركي تحت ستار الصداقة هي لعبة بندر وجود مثيلها في التاريخ بشناعتها التي تتجاوز المكائد البيزنطية، ومؤامرة كبيرة من حيث الدناءة وقلة الشرف، وأنا واثق من وجوب رؤية هذه اللعبة من طرف الكرد والأتراك معاً بكل وضوح.

لقد أدت إسرائيل دوراً بارزاً في تجريدي عن العالم وتسليمي، لأنها وجدت في خروجي إلى الشرق الأوسط وتطويري لنهج جديد في الحركة التحررية الكردية منافساً لها وخطراً عليها من الناحية الاستراتيجية، فعند الحديث عن القضية الكردية تقليدياً تتبادر إلى الأذهان القوى الكردية العراقية المتواصلة وتحاول إسرائيل بسط هيمنتها من خلال هؤلاء على كل الشعب الكردي بشبكة استراتيجية، وقيامي بتمزيق هذه الشباك وتصرفي بنحو مستقل تماماً، بالإضافة إلى قيامي بتضييق الخناق على هؤلاء المتواطئين باستمرار، وبقائي في الساحة العربية لمدة طويلة، دفع بالإسرائيليين إلى وضع استراتيجية بشأنني على المستوى العالمي، فإني كنت بالنسبة لإسرائيل وضعاً يتجاوز عرفات بكثير من حيث عدم الرغبة فيه، وهذه هي الأسباب الرئيسة لدخولهم في تحالف استراتيجي مع تركيا من أجل استهدافي، ولا أشك مطلقاً في أن هذه الاستراتيجية هي من صنع اليمين الإسرائيلي ورغم ذلك لا أعلم بمدى علم شعومون بيريز بهذا الأمر ومدى تورط نجه في هذا الأمر، حيث لم يتوضح ذلك بعد، فقد امتدت الأيدي إلى قبل ٩ تشرين الأول ١٩٩٨، فإسرائيل لها علم ودعم للقنبلة التي استهدفتني في ١٦ أيار ١٩٩٦، وموضوع استخدام اليونان كآلة هو موضوع جدير بالبحث والتدقيق، أما قيام رئيس الوزراء برماكوف بنفسي من موسكو له علاقة مباشرة بإسرائيل واللوبي اليهودي بكل تأكيد، فأنا أتذكر مجيء أرييل شارون إلى هناك في المرة الأخيرة، وإسرائيل هي التي مارست الضغوط على إيطاليا من خلال الولايات المتحدة، والاحتمال الكبير هو أن الموساد يكمن خلف الموقف الذي تبنته أوروبا ولندن وجعلته نجعاً لكل أوروبا لتجعلني الشخص غير المرغوب فيه، والقوة اليهودية هي التي تكمن وراء إصدار أمر تسليمي الصادر من الولايات المتحدة الأمريكية، وقد

قمت دائماً بتشبيه هذا الوضع بما فعله اليهود بموسى عند خروجهم وربما هم الذين قتلوه، وأنا الذي طالبت دائماً بمكان للشعب اليهودي في الشرق الأوسط الديمقراطي وأكن احتراماً وتقديراً كبيرين نحو الطاقات اليهودية في مجال العلم والفنون والفلسفة، وهم الذين سيفهمون بأنهم الحقوا ضرراً بالغاً بأنفسهم مما اقترفت أيديهم مع مرور كل يوم، فكلما تعرف الكرد على هذا الواقع فهم سيستيقظون بنحو أفضل وسيصلون إلى قوتهم وأنا واثق من أنهم سيستطيعون تحقيق العدالة.

الفصل الثامن

هل يتمكن نظام الحقوق الأوروبي من إيجاد إمكانية لحل القضية الكردية..؟

إن اختزال القضية الكردية والأحداث التي تتصاعد حولي لوضعها ضمن إطار حقوق الاتحاد الأوروبي يمثل حقاً إلى جانب كونه فرصة لتوفير إمكانيات الحل السياسي لإحدى أهم القضايا القائمة في يومنا، فمثلما تمثل الجمهورية التركية جزءاً من هذا النظام الحقوقي فهي مازالت ترتبط بكثير من المعاهدات الإيجابية. إذ صادقت على معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية وتقبل بالرضوخ لصلاحيات محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، وهي ما زالت بحاجة إلى إزالة بعض المخاوف المحدودة لديها، وبناء عليه فإن موضوع الكرد الذي يشكل أهم قضية أساسية لدى تركيا يدخل ضمن الصلاحيات الممنوحة لمحكمة حقوق الإنسان الأوروبية، فقد انتقلت آلاف الدعاوي الناجمة عن هذا الموضوع إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية وتم اتخاذ قرارات بشأنها، وحقي الفردي في اللجوء إلى هذه المحكمة تم تناوله ضمن هذا الإطار، فقد تم تناول الموضوع ضمن التناقض مع بعض المواد المنصوص عليها في معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية وتم قبوله بعد التدقيق، ونظراً لأنني طرف في القضية وشاهد وحيد على كثير من القضايا فإن مرافعتي الكتابية والشفوية تغطي بالبالغ الأهمية، ولا شك أن وضعي القيادي الذي يمثل جزءاً من شخصيتي الشعبية يضيف على الدعوى بعداً سياسياً واجتماعياً مما يتطلب إبداء الأهمية اللازمة للموضوع، إذ تمثل شخصيتي الإرادة الحرة للشعب الكردي الذي يبحث عن مكان له ضمن الحقوق الأوروبية، وبذلك يبحث عن حق من حقوقه، وهذا هو الجانب الذي يحظى بالأولوية في هذه الدعوى.

ويجب عليّ أن أوضح بأنني لا ألتخذ من الحقوق الفردية التي أبحث عنها أساساً لهذه الدعوى، بل أجعل من هذا الموضوع مناسبة للبحث عن حقوق الملايين من الكرد الذين هم في وضع أصعب من وضعي من حيث الغدر بهم ووضع نهاية لانتهاك حقوقهم، أو القيام بوضع تعريف سليم لهذه الحقوق في أقل تقدير، وإحقاق بعضها من الناحية الحقوقية، ولهذا السبب أريد أن أعبر عن أكبر احترام و تقدير لمحكمة حقوق الإنسان الأوروبية التي تمثل إحدى أهم المؤسسات للحقوق الكونية، وعلى هذا الأساس قمت بنقل الدعوى المتعلقة بي إلى هذا المقام، كما أود التعبير عن ثقتي الكاملة بأن هذه المحكمة ستنظر إلى كل المواضيع المتعلقة بي سواء أكانت مباشرة أو غير مباشرة، وتقوم بالتدقيق اللازم لتصدر قراراتها المناسبة، والكثير من الأوساط تعبر عن قناعتها بأن النتائج ستكون ذا معنى ومضمون تاريخي، فالموضوع يتجاوز وضعي الشخصي بكثير، فهل القضية الكردية ستصل إلى نتيجة الوفاق بشكل سلمي عن طريق الحقوق الديمقراطية، أم ستزاد تفاقمًا وثقلًا لتدخل إلى أجواء الحرب..؟ وهذا أمر يتعلق بالقرارات التي ستصدر عن محكمة حقوق الإنسان الأوروبية مثلما يتعلق من قرب بقوة تنفيذ تلك القرارات.

من الممكن أن تسهم قرارات محكمة حقوق الإنسان الأوروبية في الوفاق السلمي الديمقراطي، ولهذا يجب أن تتخذ القرارات من روح ومضمون حقوق الاتحاد الأوروبي أساساً لها مثلما تبدي القوة والتصميم على تنفيذها، وفي حال اتخاذ

قرارات غير كاملة أو محدودة من الناحية الحقوقية أو عدم توفير الإمكانيات اللازمة لتنفيذها سيفتح المجال أمام ولادة مرحلة تشبه ماكدونيا أو كوسوفو أو بوسنة في الأقل بما تسببه من متاعب لأوروبا، وفي حال تقلص الدعم والمساهمة الإيجابية فسيؤدي ذلك دوراً إيجابياً وكبيراً على صعيد إيقاف الهجرة الكردية ووضع حد للأنشطة الاجتماعية الكردية التي تجري في أوروبا وتأسيس جسر للصدقة بين الشرق الأوسط وأوروبا وستسهم في ترميم العلاقة بين الثقافة الشرقية والغربية، كما ستؤدي دوراً بارزاً على صعيد إزالة آثار السياسات الاستعمارية التي تمارسها أوروبا على الشرق الأوسط منذ قرنين من الزمن، كما ستسهم في تفعيل ميلاد ووفاق بين المسيحية والإسلام.

لكل هذه الأسباب جعلت من المرافعة التي تقدمت بها إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية تحليلاً للعلاقات الأساسية بين أوروبا والشرق الأوسط أو بين ثنائي الشرق والغرب ضمن الحضارة التاريخية بمهدف تطوير هذه العلاقات، وكذلك حاولت توضيح الموضوع الكردي - التركي الذي يهم أوروبا من قرب، وثقتي كبيرة بأن يؤدي الحقوق دوره التاريخي على ضوء هذه الحقائق الثقافية والسياسية بعد فهمها بشكل جيد، وبناء عليه فإنني مفعم بالأمل بأن محكمة حقوق الإنسان الأوروبية ستكون متفهمه لطول المرافعة وعدم إبداء الاهتمام الكبير بما ظاهرياً، وفي هذا الفصل سأحاول توضيح مطالبتي وأفكاري حول كيفية تطبيق الحقوق الديمقراطي للاتحاد الأوروبي على دعوانا وقضايا شعبنا...

١. ميلاد الحقوق وتطوره

مع الدخول إلى مجال الحقوق أرغب في التطرق إلى ما أفهمه من هذه المصطلحات. الحقوق هي القواعد التي يجري التطابق بها بالقوة في المجتمع، ويمكن أن تكون مكتوبة أو شفوية، ولم يكن الحديث يجري بكثرة عن الحقوق عندما كان المجتمع يتكون من القبيلة أو العشيرة، حيث يتم الالتزام بما نسميه الأعراف التي كانت تمثل نوعاً من القانون الطبيعي من ذاتها، والاسم الآخر للأعراف هو الأخلاق، والفرق بين الحقوق والأخلاق هو أن أحدهما يقترن بالقوة وبالعقوبة المعروفة مسبقاً، أما الأخلاق فهو ما يجب الالتزام به من دون أية عقوبة، أي لا تقترن بالتطبيق عن طريق القوة. فالحقوق هو نظام القواعد الذي يبحث عن حلول للقضايا التي ظهرت مع تأسيس المجتمع الطبقي وفرض المجتمع إلى طبقات، حيث جرى كتابتها على ألواح حجرية مختلفة، لأجل أن يكون مواطنو دولة المدن على دراية مسبقة بها، وبذلك تتحقق السهولة في استمرار النظام.

ومنذ ميلاده نرى أن هناك ساحتان للحقوق ليقوم بترتيبهما. القسم الذي يحدد ترتيب الدولة ويقوم بتحليل العلاقات مع المواطنين ويسمى ذلك بـ "الحقوق العامة" والقسم الذي ينظم قواعد التعامل بين المواطنين وهو ما يسمى بـ "الحقوق الشخصية".

الإدارة هي التي تخلق الدولة على الأغلب وتحكم وتتحكم بالمصادر، وكون ذلك ملكاً أو مجلساً لا يغير شيئاً من جوهره الطبقي، وكما نرى أن الأعراف القديمة أيضاً أصبحت مصدراً للقواعد الحقوقية مع تحول المجتمع إلى الطبقة، بل كان مصدراً مهماً لتلك القواعد، بالإضافة إلى أن العارفين من الأوساط المتهمه بالحقوق تضع القواعد الحقوقية أيضاً، كما تعد أحياناً الإدارة الخارجية المختلفة التي تضع القواعد مصدراً للحقوق أيضاً، وفي حال قيام ممثل السياسة أو الملك

بتأليه نفسه يتم تقييم الأوامر الصادرة كالحقوق الإلهية، وفي هذه الأحوال فأن التوجيهات الإلهية تأخذ شكل الإرادة السياسية المطلقة وفي الحقيقة فإن الحقوق الإلهية هي الحقوق التي تنص على اللامساواة على الأغلب، فكل كلام يصدر من الملك الإله الذي يجمع أسباب القوة في ذاته ولا يحتل أي توافق ولا يقبل بأي نقاش يتحول إلى قانون ملزم، وبناءً عليه يكون هو المصدر الوحيد للحقوق. هذا المسار الذي ابتدأ لدى سومر هيمن بطابعه على كل الحضارة لمدة طويلة، وبخاصة لدى المجتمعات الشرقية حيث جلبت الحقوق الإلهية معها سلطة ملكية مطلقة الإدارة على هذه المجتمعات. ويمكن الاستدلال على أن الحقوق الإلهية هي أكثر أشكال الحقوق رجعية، لأنه لا يتضمن أي شكل من الأعراف ولا خصوصية الوفاق، ونرى في سلطة الملك الذي ارتقى إلى مرتبة الرب لدى المجتمع المصدر الوحيد للحقوق، وهذا المفهوم للحقوق وتأثيره الواسع يؤدي دوراً كبيراً في تراجع المجتمعات الشرقية، وطرز الإدارة المستبدة لديها وعدم تطور الديمقراطية فيها بسهولة.

ويبدأ الميلاد الأصلي للحقوق لدى مجتمع روما في أعوام ٧٥٠ ق.م عند تحوله إلى دولة المدنية، تتكون الحقوق منذ البداية على يد المبعوثين الذين تم اختيارهم كممثلين للمجتمع، أكثر من أن تتكون بإرادة الملك، كما أن إرادة الملك أيضاً تضع الحقوق، ولكن الأساس هو إدارة شؤون مواطني روما بقواعد يضعها ممثلوهم كضرورة للمجتمع منذ البداية ولتكون لهذه القواعد عقوباتها المحددة من طرف هؤلاء الممثلين أيضاً، ونظام حقوق روما هو الذي طبع العصر بطابعه حتى عصر إمبراطور روما الشرقية جوستينيان في عام ٥٦٥ م، كما أصبح ذلك النظام الحقوقي مصدراً وأساساً للحقوق المعاصر بعد ادخال التعديلات عليه. والجانب المهم فيه هو أنه لا يتم النظر إليه كحقوق من مصدر إلهي، بل كونه ذا صبغة علمانية تم ترتيبه من طرف المواطنين بالذات، والسبب الذي يكمن خلف تفوق الحضارة الغربية على الحضارة الشرقية هو هذا الفهم المختلف للحقوق، ويؤدي ذلك دوراً مهماً، فالحقوق العلماني يقوم بتنمية الوعي لدى الفرد والمواطنين ويحمي ذلك الفرد المواطن في مواجهة الدولة والمجتمع بنحو أفضل ويبحث فيه القوة.

حقوق العصور الوسطى مازال يحافظ على مصدره الإلهي لدى المجتمعات الشرقية، بينما في المجتمعات الغربية تقوم الطبقات الجديدة بفرض إرادتها على السلطات الملكية وتحقق بدايات جديدة على صعيد قبولها، وابتداء من القرن الثالث عشر تشكلت إرادة الطبقة البرجوازية المتطورة حديثاً طليعة لإدارة المجتمع بقيادة "ماغنه كارتا" magnecharta ويحقق استمراراً لتقاليد الحقوق الرومانية، أما لدى المجتمعات الشرقية فلم يحدث أي تحديد حقوقي يمثل إرادة قوة اجتماعية، "ومنع الاجتهاد الذي هو تفسير مختلف يسد الباب أمام أي تطوير للحقوق" الشريعة لا تعني شيئاً سوى وضع حقوق "المونارشية" من طرف واحد للتعبير عن إرادتها.

الجانب الأهم في الحقوق هو أن أية قوة أو حركة اجتماعية تستطيع أن تأخذ مكانها ضمن الوضع القائم أو النظام القانوني الساري، أما القوى التي لا تعكس إرادتها على القوانين فحتى لو كان لها مكاناً فعلياً فإنها تبقى محرومة من حقوقها رسمياً، والقيام بتحويل الحقوق الفردية أو حقوق المجموعات إلى قوانين يأتي على رأس القضايا الأساسية لكل الأنظمة الحقوقية، والسبيل الوحيد إلى إنهاء التوتر الاجتماعي والتخلص من ممارستهم هو إيصال هذه الرغبات والتطلعات إلى التعبير القانوني، هذا الطريق يعني التحول الديمقراطي في الحقوق.

تولدت بنية اجتماعية معقدة جداً مع هيمنة الشكل الرأسمالي على الإنتاج، حيث لا يمكن للطبقة الجديدة .

البرجوازية . أن تواكب الحقوق المونارشي الإقطاعي السابق، وحتى تتمكن البرجوازية من وضع حقوقها قامت بإحياء حقوق روما القديم، وأحدثت تجديداً على الحقوق المدنية بنحو خاص، وبدأ مسار وضع أساس للنظام القانوني وسماه "بالدستور" وأصبح لكل دولة قومية دستور مختلف خاص بها، بحيث أصبحت الدساتير ترمز إلى التحولات الاجتماعية الجديدة وتؤدي دورها في هذا التجديد.

إن المعاصرة تعبر في الوقت نفسه عن هيمنة الحقوق، والتوجهات تسير نحو عدم إبقاء أي علاقة من دون قاعدة حقوقية وإجراء التحول الحقوقي الواسع في كل دولة وفي الساحة الدولية، وأجراء التحولات الديمقراطية في الأنظمة السياسية يحقق توسعاً في أسس الحقوق أيضاً، وتبدأ مرحلة جديدة على صعيد توفير الضمانات لحقوق المواطنين و تبرز على شكل " حقوق الإنسان" والتعريف الجديد للحضارة الغربية هو تسميتها بـ " عصر الحقوق الديمقراطي".

٢. دور الحقوق في حل القضايا الاجتماعية

تم الوصول إلى حلول للقضايا المهمة على مدى التاريخ بالسبل العسكرية والسياسية، وتحول الطبقة العسكرية إلى قوة كبيرة يعتمد على هذه الحقيقة، فالقوة العسكرية هي التي تقوم بتحقيق الحق، أما ما يقع على عاتق السياسة فهو الحصول على أفضل النتائج التي تتناسب مع قوتها العسكرية، ولا يمكننا التحدث عن سريان مبدأ كوني أو عالمي لأجل تحقيق العدالة الاجتماعية، والسياف هو الذي يحدد العدالة، والحقوق المعاصرة تنامت وتطورت على أساس محاربة هذا المفهوم، وأكبر نجاح حققه الحقوق المعاصر هو جعل القوة العسكرية والسياسية ملتزمة ببعض القواعد الأساسية، وتم تأسيس مؤسسات دولية مهمة لهذا الهدف وفي مقدمتها تأتي هيئة الأمم المتحدة ومؤسسات الاتحاد الأوروبي، وتم تجاوز الحدود الوطنية لتأسيس حقوق ذا أبعاد كونية، وهي أمثلة ساطعة لهذا التوجه، وهذا ما يحقق المزيد من الاستقرار والثقة ويسهل الحياة في النظام العالمي.

بات حل القضايا ممكناً في النظام الوطني أو الدولي من دون اللجوء إلى السياسة والسبل العسكرية والبحث عن الحلول للقضايا حتى آخر رمق ضمن النظام الحقوقي بات من الأساليب الحضارية المعاصرة، أما التغاضي عن الحقوق واللجوء إلى السبل العسكرية والسياسية فوراً يشكل خطأ جاداً في الأسلوب، والأمر الأصح هو القيام بإرغام الحقوق حتى الرمح الأخير لأجل الوصول إلى حل للأوضاع التي تشكل مصدراً للقضايا والمشكلات في الأحداث والعلاقات، وإذا لم يتم التوصل إلى سبيل الحل بذلك، وتقف كل الأبواب والسبل الحقوقية عندها يصبح اللجوء إلى السبل العسكرية والسياسية أمراً مشروعاً.

وبنحو خاص توقفت الدول الأوروبية على النظام الحقوقي الديمقراطي بعد ان عاشت حروباً دينية واجتماعية وقومية كبيرة في العصور القريية، وبعد حربين عالميتين، والحروب التي أسفرت عن الآلام والمعاناة وتخريب على أوسع نطاق، والعداء السياسي دفع بهذه الدول إلى البحث عن سبل تحول دون ذلك، وتدفع بالقضايا نحو الحل بسبل غير دموية، وشعرت بالحاجة إلى وضع نظام حقوقي متطور والذي أصبح حاجة ملحة، وأهم خصوصيات الحقوق الأوروبية المعاصرة هو عدم الاكتفاء بتطوير المعايير الحقوقية، بل الالتزام بمفاهيم حقوقية ديناميكية تضع الحل لكل قضية مستجدة بالقوانين

الإيجابية مما يشكل تفوقاً مميزاً، ومع ذلك يبقى الدور الأساس للحقوق هو تسليح المواطن بحقوق أساسية قوية جداً وحمائته في مواجهة قوة الدولة، وليس تقوية وحماية الدولة في مواجهة المواطن، فالذي يحتاج إلى الحماية ليست الدولة بل هو الفرد أو المواطن، بل أحرز مزيداً من التقدم على صعيد الثقافات والأقليات التي كان يتم التغاضي عنها من جانب النظام الذي لا يرى مشكلة في قمعها ليقوم النظام الحقوقي بوضعها في إطارها الأساس من أجل حمايتها وبدأ هذا الأمر يشكل حساسية كبيرة، فقضية وجود الأقليات وثقافتها بدأت تأخذ مكانها في القوانين مع مرور كل يوم انطلاقاً من الحاجة إلى إيجاد حل لها، وبذلك بدأت كثير من القضايا التي كانت سبباً للتمردات والحروب والتناقضات الاجتماعية والعداء تشكل موضوعاً يأخذ مكانه ضمن إطار الحقوق وتصل إلى وسائل حلها اللازمة، ونظراً لأن هذا التوجه يشمل كل المجتمع ويتسلح بالحقوق بنحو واسع يتم تسميته بـ " نظام الحقوق الديمقراطي " وهذه النتيجة التي توصلت إليها أوروبا من خلال تجاربها التاريخية الكبيرة تشكل مثلاً للعالم كله، والتعبير الملموس الواقعي للنظام الحقوقي الديمقراطي في أوروبا هو: محكمة حقوق الإنسان الأوروبية التي تمثل الجهاز التنفيذي لمعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، والمساعد تسير نحو وضع دستور للاتحاد الأوروبي.

إن هذا التقييم التاريخي المقتضب والتعريف العصري هو الإطار الذي سيحدد إطار تناول القضية الكردية، وتقيم هذا السبيل على أنه يمكن أن يسهّل توفير الإمكانية لحل حقوقي لها.

٣ . القضية الكردية والجمهورية التركية ونظام الحقوق الأوروبي

لقد ولدت الجمهورية التركية في أجواء العلاقات والتناقضات مع أوروبا، والعنصر المؤسس المتمثل في الكمالية هو إنموذج من الحضارة الأوروبية، فالمؤسس مصطفى كمال أتاتورك مقيم بالحضارة المعاصرة، ومعاهدة لوزان التي تمت بتوقيع ومصادقة الدول الأوروبية الرئيسة هي التي ولدت الجمهورية التركية، واقتدت الجمهورية بالحضارة الغربية في فلسفتها وبناء مؤسساتها، ونقلت كثيراً من النصوص الحقوقية إلى بنيتها كما هي، وفي النصف الثاني من القرن العشرين أصبحت عضواً في كثير من المؤسسات الأوروبية الأساسية، فهي عضو عسكري بارز في الحلف الأطلسي "الناتو"، ودخلت إلى المجلس الأوروبي الذي هو جهاز سياسي أساسي في بدايات الخمسينيات، وهي عضو المنظمة الاقتصادية (oecd)، وهي الآن العضو المرشح للاتحاد الأوروبي.

بالرغم من استحواذ تركيا على كثير من الشروط الشكلية اللازمة للتحويل الديمقراطي إلا أنها تتصرف بمنتهى التعصب على صعيد إلقاء خطوات تتناسب مع جوهر حقوقها وديمقراطيتها، وتريد الاكتفاء بمفهوم الجمهورية في القرن التاسع عشر، وهذا يجعلها في وضع عدم التوافق مع أوروبا المعاصرة، أما السبب الأساس الكامن وراء ذلك فهو تخوفها من القضية الكردية، وهذا الخوف دفع بها أما إلى الإنكار أو إلى القمع الشديد مما أوصل القضية إلى التعقيد، واعتقدت أنها بذلك تستطيع فرض نسيان القضية، ولكن هذه القضية تحولت إلى قضية أساسية قائمة بالأنشطة التي انفجرت بقيادة PKK، ونظراً للتعقيد القائم فقد ربطت هذه القضية كل قضايا تركيا الأخرى بذاتها وفتحت السبيل أمام مرحلة أزمة يصعب الخروج منها، وبالرغم من المعاناة والآلام ومقتل ما يزيد على أربعين ألف شخص تصر الدولة على أنها مشكلة إرهابية بسيطة ولا تحاول الدخول إلى جوهر القضية، وهذا الوضع بدأ يشمل كل الميادين وأخذ يتحول إلى أثقل

مرحلة من الأزمة في تاريخ الجمهورية التركية، فلما أن يتم حل القضية الكردية وتستطيع الجمهورية التركية تحقيق التقدم، وإما مزيد من التمرغ في المستنقع ليكون ذلك سبباً لتفسيحها وإحلالها.

إن أزمة تركيا في عام ٢٠٠٠ أعمق ولها أبعاد أكثر مما يعتقد، فالبعد المالي ضم إليه الطبقة الوسطى أيضاً وزعزعتها ولذلك أصبح هذا البعد موضوعاً للصحافة والإعلام، ونظراً لوجود الكثير من المتحدثين بأسمها يبدو هذا الموضوع في مقدمة الأولويات، ولكن الأزمة المالية لا تشكل سوى جزءاً من الأزمة العامة المتفاقمة، علماً بأنها ليست السبب بل هي نتيجة للأزمة، والمساعدات المالية التي تطلب من الدول منذ شهور وتلبيتها تزيد من الأزمة وتفاقمها باستمرار، مما يؤكد على أنها أزمة نتيجة.

إن وضع الجمهورية هذا يشبه كثيراً الوضع الذي آلت إليه الإمبراطورية العثمانية في السنوات السبعين الأخيرة من عمرها، ونظراً لعدم قيامها بالإصلاحات الجوهرية وإعادة الترتيبات التي تتطلبها الإمبراطورية في حينها بالديناميكيات الداخلية لها، والإطاحة بالسلطان سليم الثالث، وبقاء الإصلاحات التي أجراها السلطان محمود سطحية، بالإضافة إلى الخسائر التي سببتها الحروب، ففتح الطريق أمام إضاعة فرصة تاريخية، بينما الإصلاحات التي أجرتها كل من ألمانيا وروسيا في بنية الإمبراطورية قد أسفرت عن نتائج أكثر نجاحاً، فالشخصية المتحجرة للسلطان محمود وعدم تأثره بالثقافة الأوروبية كثيراً، لم تعط الإمكانية لتطور تحول على الطراز الياباني في الأقل، أما في مرحلة عبد الحميد الذي جاء بعده، فقد أصدر "فرمان تنظيمات" بنحو مستعجل حيث كان يفتقر إلى المضمون ويشبه ما يفعله عدد من البيروقراطيين اليوم، ولهذا لم يسفر عن أية نتيجة دائمة، مما فتح الباب أمام فرصة التحول في الإمبراطورية والدخول في مرحلة تؤدي إلى انتهائها. فلأول مرة دخلت الإمبراطورية في مرحلة الاستدانة مع حرب القرم، وقد تم إجراء الإصلاحات في مواجهة أوروبا ليس من أجل الشعب ومنافع الوطن، بل لأجل الابتزاز وإيجاد الأموال اللازمة مثلما نراه اليوم تماماً، وهذه الإصلاحات التي تتصف بالرياء وتفتقر إلى المضمون تؤدي إلى تفاقم الأزمة وتعميق الانحلال بطبيعتها، فالإصلاحات لا تجري لأجل الحل، بل تجري كرشوة وكأنها تقول: الإصلاح بمقدار ما تدفعونه، حيث لا مفر من النتيجة المؤدية إلى الإفلاس والتشتت، وفي سبيل الحيلولة دون التشتت قام السلطان عبد الحميد الثاني بإجراء بعض التغييرات بنحو خاص نزولاً من الأعلى إلى الأسفل، وهي أيضاً لم تكف لإنقاذ الإمبراطورية من التشتت، وقيام الاتحاديين بممارسة سياسات مشابهة بمزيد من التطرف القومي أدت إلى نفس المصير المشترك، ولهذا السبب فقد تم التحول إلى مؤسسة تصفية الإفلاس "ديون عمومية" التي يشبه نظامها نظام "IMF" مؤسسة النقد الدولية في يومنا هذا تماماً.

إن ظروف تأسيس الجمهورية التركية وشخصية أتاتورك فتحتا المجال أمام إصلاحات متطرفة من الأعلى إلى الأسفل في الدولة والمجتمع رغم أنها تميزت بالبيروقراطية، وتلك الإصلاحات شكلت أكبر خطوة متطرفة لدى المجتمعات الشرقية من الناحية التاريخية، ولكن الوضع الذي ساد بعد الحرب العالمية الثانية أدى إلى تفضيل النظام الأوليغارشى بدلاً من تعميق الإصلاحات الاجتماعية والتحول التام إلى الديمقراطية، مما فتح المجال أمام ضياع فرصة الإصلاحات الدائمة في الجمهورية، والخصائص الإصلاحية التي وردت في دستور ٢٧ أيار تعرضت للفشل بسبب ردة الفعل الطبقة العنيفة من طرف الأوليغارشية وتصاعد الاشتباك بين اليمين واليسار، وبذلك يتكرر ما حدث عام ١٨٥٦ عندما لجأت الإمبراطورية العثمانية إلى الاستدانة بعد أكثر من قرن ويتم اللجوء إلى "IMF" مؤسسة النقد الدولية ليمت تنظيم معاهدة من ثمانية

عشر بنداً كسياسة استنادية، ويصبح ذلك جزءاً من سياسة الدولة ، وبعد هذه المرحلة ونظراً لأن برنامج التغيرات الاقتصادية والاجتماعية لا يتواءم مع الديمقراطية، وبسبب النظر إلى الديمقراطية بعين الشك وعلى أنها لعبة سياسية فإن القضايا تفاقم وأخذ الصراع يتصاعد، وضاعت فرصة التحول إلى جمهورية علمانية ديمقراطية على الطراز الغربي، إلى أن آلت الأوضاع إلى أزمة عام ٢٠٠٠ حيث الإفلاس والتفسخ والانسداد في كل مكان وبدأ يظهر إلى السطح على نحو أزمة شاملة.

وأصبحت تركيا في مواجهة ثنائية لا تعطي المجال للمناورة كثيراً، فإما أن تفضل الحضارة الديمقراطية المعاصرة على مسار الاتحاد الأوروبي وإما أن تقوم بإسقاط خيار الديمقراطية من إستراتيجيتها، ولن تستطيع احتزالها إلى وسيلة تكتيكية تستخدمها بحسب متطلبات سياساتها، لتقوم بالمساومة على موقعها الاستراتيجي مثلما فعلت منذ عهد التنظيمات في مواجهة الغرب وتعتمد نظاماً بليداً ولتستمر في أزمتها وتذهب، وفي هذه الحال لن تستطيع التلاعب بالديمقراطية كما فعلت سابقاً، ولا يمكنها أن تنهرب من أجواء أزمات أكثر تفاقمًا وصراعاً أكثر توتراً، وبأحد جوانبها ستشبه يوغسلافيا القديمة والعراق وكوريا وبكستان ولكن واقعها الجيوستراتيجي ، والقضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لن تعطيهما الفرصة لاستمرار ذلك الوضع طويلاً، وبناءً عليه فإن مسار الاتحاد الأوروبي، والمسار المقابل له اللذان يشكلان مفترق طرق، بدأ يتطلب نتيجة مصيرية، ويجب أن تدخل تركيا أحد المسارين، وكل يوم يتم فيه تأجيل حل القضايا يشكل خسارة لها، وباتت تركيا مرغمة على اتخاذ قرارها ضمن هذا الإطار نظراً للأسباب الشاملة التي ذكرناها.

المفهوم العملي لخيار الاتحاد الأوروبي هو الالتزام بمعايير كوبنهاغن وتطبيقها، وهذا يصبح ممكناً بدخول الدولة والمجتمع إلى نظام ديمقراطي كامل وسليم من خلال التصميم والإصرار، ولكن تركيا غير قادرة على اتخاذ هذا القرار بسبب العطالة التي اعتادت عليها عبر التاريخ والقوالب التي وضعتها لنفسها، وبناءً عليه فإن المكتسبات القائمة تذهب هدراً، وتقر في وضع تخريب ذاتها بذاتها أو يتم فرض هذا الوضع عليها، وهذا الواقع ناجم من اقتصاد السمسرة المرتبط بالحرب المتدنية الكثافة، فإن قيام PKK بالإعلان عن وقف إطلاق النار من جانب واحد لا يعني أن الحرب المتدنية الكثافة قد انتهت، بل يعني أنه قد تم تجديدها، فالنظام ما زال قائماً كما هو، وإذا لم يتم انحلال النظام فلا يمكن تناول أية قضية ضمن المعايير الطبيعية، وإذا لم يتم تناولها فإن تأثيراتها المتسلسلة ستعكس على كل الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليتحول الوضع إلى أزمة الدولة الإيديولوجية، والاتحاد الأوروبي بهذا الوضع لا يستطيع قبول ضم تركيا كما لا يستطيع استبعادها، لأن استبعادها سيسفر عن سلبات كبيرة لا يمكن التحكم بها من الناحية الإستراتيجية وستضاف قضايا جديدة أكبر على قضايا البلقان والقوقاز والشرق الأوسط القائمة مما يسبب تسارعاً للفوضى وأجواء الاشتباك، وانطلاقاً من هذا الواقع فإن الاتحاد الأوروبي يتناول الموضوع بمرونة، ولكنه لا يستطيع لعب دور فعال حيال عدم إقدام تركيا على اتخاذ الخطوات اللازمة على طريق حل القضايا القائمة. إن القوى القومية الشوفينية المحلية في تركيا بتعصبها وتزمتها تعزز هذا الانسداد القائم في هذا الموضوع، ويأملون تعزيز موقعهم السياسي بالافادة من حدوث أي فوضى أو أجواء الاشتباك، ويحاولون تعزيز موقعهم داخل الدولة والمجتمع من تغذيتهم على الاشتباك والصراع ويرون في مسار الاتحاد الأوروبي والتحول الديمقراطي الكامل نهاية لسياساتهم.

إن دور المفهوم الذي يمثل القومية الأتنية التركية وتنظيماتها، كان بارزاً في تفاقم الأزمة الأخيرة، فهؤلاء مازالوا

يسعون إلى أنورية " نسبة إلى أنور باشا" متأخرة، وحتى لو كان التحريض السياسي الديني قد أدى دوراً في هذا التعصب، إلا أن الاتصال الذي حدث مؤخراً والذهنية التي توجهت نحو الديمقراطية وتغيير المواقف كان تطوراً إيجابياً، وبالطبع إن هذه الميول صحيحة بالنسبة لغير أصحاب الذهنية المتصوفة، وعدم قيام الكمالية بتغيير ذهنيته على مسار الحضارة الديمقراطية وإحداث التجديد فيها هو أهم نقص وبشكل أكبر عجز لدى الجمهورية، أما أحزاب السمسرة الأوليغارشية فهي تسير نحو مرحلة الانتهاء، والاجتماع يتعد عن هؤلاء بسرعة وكلها تتوجه إلى القاع إلى ما دون الحد الأدنى اللازم للانتخابات.

تسعى تركيا عادة إلى الخروج من الأزمات المماثلة بتدخل الجيش تقليدياً، ولكن الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية، والمعادلات كثيرة الجوانب، تجعل من قيام الجيش بأية خطوة عملاً خطراً جداً، ويقوم الجيش الآن بممارساته من خلال مراقبة مشددة، والمذكرات الداخلية للقيام بتوجيه التطورات، وذلك لا يعني أن الجيش ساكن ولا يشعر بما يجري، بل على العكس فهو يقوم بأعمق الأبحاث حول كل موضوع ويضع المخططات ويحدد السياسات، وبذلك يكون أهم مؤسسات المتابعة ويشبه حزباً حديثاً نشيطاً يحظى بعمقه الخاص به من حيث الإستراتيجية وتطبيق تكتيكاته، وفيما عدا البيانات لا يرغب الجيش في القيام باللعب علناً، وكل هذه الحقائق تدل على الوضع المختلف لتركيا عن الأرجنتين والبرازيل وأندونيسيا، ولهذا السبب لا يمكن القيام بمراقبة دولية للأوضاع في تركيا إلا من خلال الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، حيث تسعى الولايات المتحدة إلى الحيلولة دون الانهيار الاقتصادي وإلى تحقيق مزيد من الترابط التركي بها، بينما الاتحاد الأوروبي فإنه يسعى إلى جانب الإصلاح الاقتصادي، إلى الحيلولة دون تشتت المكتسبات الديمقراطية الموجودة بالكامل ويحاول الإمساك بتركيا، وهذا الوضع يؤدي إلى التنافس على تركيا بينهما ولو بنحو محدود.

كما لا يمكن الاستصغار بالقوى المؤيدة للاتحاد الأوروبي، حيث تعمل هذه القوى لأن تكون مؤثرة في الفترة الأخيرة، و تضطر أوساط الرأسمال وفي مقدمتها "TUSIAD" جمعية رجال الأعمال التركية إلى الإعلان عن تمسكها بالخيار الديمقراطي لأول مرة، وبذلك يقدمون على إلقاء خطوات أكثر تقدمة من نقابات العمال المتواطئة، أما اليسار المسؤول عن تطوير البديل من الكادحين فما زال خائفاً لتأثير الاشتراكية المشيدة والقومية المحلية، أما ميول الديمقراطية الاجتماعية واليمين الليبرالي فلم تتمكن من تشكيل اليمين المركزي تماماً وبعيدة عن ملء الفراغ القائم.

ورغم كل هذه الحقائق لا يمكن القول بأن دخول تركيا إلى طريق الديمقراطية أمر مستحيل، بل على العكس فأول مرة تصبح الظروف الداخلية والخارجية في تركيا مرغمة إلى التوجه نحو الخيار الديمقراطي، وبناءً عليه فإن فرصة تحقيق مخرج ديمقراطي من الأزمة القائمة متوافرة وكبيرة، وبذلك تتوافر إمكانية الانضمام إلى النظام الحقوقي الديمقراطي للاتحاد الأوروبي، حتى لو تم التطابق الكامل، فتركيا قوية وغنية من حيث التجربة في هذا المجال، والقضية تكمن في كيفية تخطي النقاط الحرجة، فمن المعلوم جيداً أن النقطة الحرجة جداً هي الموضوع الكردي، فالقضية الكردية تسبب صداماً ليس في بنيتها فقط، بل وفي بنية عموم تركيا وحلفائها، بل وهي بمثابة الضاغطة على الزناد لكل القضايا الأخرى، فاليمين التقليدي والشرائح القومية في تركيا مازالت تعد قبول الكرد كمصطلح خيانة وطنية عظمى، وتعد النطق بكلمة كردي انفصالية وتهديداً للأمن القومي، وقد ظهرت هذه الحقيقة المجردة في النقاشات التي دارت في الفترة الأخيرة.

وبالطبع لا يمكن أن تحتل تركيا مكاناً لها ضمن إطار حقوق وديمقراطية الاتحاد الأوروبي بهذه الذهنية، فهي لا

تعترف بأبسط الحقوق الفردية التي هي بمثابة الحقوق الخاصة مثل التعليم باللغة الأم وتوفير إمكانيات الطبع والنشر، وتقوم بتصنيف هذه الحقوق ضمن الانفصالية بحسب حديث كثير من الأوساط، بينما نجد بأن العراق وإيران اللتان تبعدان كثيراً عن مقاييس الديمقراطية، ويتم حكمهما بأنظمة مختلفة بدأت بتعليم اللغة الكردية وسمحتا بالطبع والنشر، وتركيا بوضعها الرأهن تصبح أكثر دولة غربية عن النظام الغربي، فعندما فهمت الشوفينية القومية بأنها ليست قادرة على ابتلاع الكرد بتكتيكاتها، فلجأت إلى سياسة التذرع بأنهم يشكلون أكبر تهديد للأمن الوطني، وبذلك يعد هذا المفهوم للقضية الكردية التي يمكن حلها ضمن الوفاق الديمقراطي بكل سهولة مصدراً لأكثر تهديد ضدهم، فإذا قاموا بإنكار وجود أكبر وأقدم شعب قائم في مركز الشرق الأوسط واعتبروا كل الوسائل مشروعة لأجل تصفيتي ولجأوا إليها كمهمة وطنية، فلا بد من أن يصبح الكرد أكبر مصدر للتهديد، فالقيام بفرض الحظر والقمع والمنع على كل شيء ليشمل حتى اللغة بنحو لا مثيل له في العالم وفي التاريخ، لا بد أن ذلك سيمهد المجال أمام أجواء العنف والانفصالية. وكأن تركيا تقع عنوة في مصيدة أولئك الذين يطالبون بذهنية الانفصال ووسائل العنف، والحقيقة فأن هذه الأوساط محدودة، ولكن نظراً لأن حياتها التقليدية وقوتها مرتبطة بهذا الموقف، فهي داخلياً منظمة بشكل قوي ومرتبطة فيما بينها ولديها مهارة في خلق الانسداد والحيلولة دون القيام بمحاملات إلى الأمام.

هناك أمثلة تاريخية كثيرة على هذا الموقف، إن اغتيال توركوت أوزال وموته المشكوك فيه، ومحاولة الاغتيال التي استهدفت بلند أجويد، والجرائم مجهولة الفاعل، والجهود المبذولة لأجل إبقاء الأجواء متوترة، كل هذه الأمور لها علاقة وثيقة بهذه الأوساط والقوى، والقيام بربط هذه الأوساط مع الجيش ودولة العمق، يمثل تشخيصاً خاطئاً، بل على العكس لو كان هؤلاء أقوىاء في الجيش وداخل الدولة فلن يترددوا في تحقيق الفاشية الكاملة الشاملة، فهذه القوة فرضت الاستسلام على المجتمع والسياسة أساساً، ونقصهم الوحيد يكمن في عدم سيطرتهم على بعض المراكز الحساسة في الدولة والجيش، ولهذا السبب تماماً نرى أن قيام بعض الأوساط بأظهار الجيش والنقاط الحساسة في الجيش على أنه شكل متداخل مع التكوينات العصبانية يتضمن خطأً وتحريفاً كبيراً، وفي هذه النقطة نرى أن الوساطان المضادان يريان أن ستاراً ضبابياً يحول دون وضع التحليل السليم للدولة والجيش مما يسفر عن صورة مبهمه وعن أخطاء.

إن عدم قيام الحركة التحررية الكردية بطرح وتطوير استراتيجية السلام والوفاق الديمقراطي لمدة طويلة، فتح المجال أمام الظروف الموضوعية لاستمداد القوة للأوساط العدوانية المناهضة للديمقراطية، وبؤر القومية والدينية المتطرفة، وكان ذلك ناجماً عن قلة الجهود التي كان من المفروض أن تبذلها القوى اليسارية الديمقراطية التركية على صعيد السلام والوفاق الديمقراطي.

إن وقف إطلاق النار الذي أعلنه PKK من طرف واحد وتصعيد هذا المسار من خلال مرحلة إيمرالي، تسبب في إسقاط اقتصاد السمسة والكسب السريع مع الأوساط المرتبطة به في فراغ كبير، ودورهم الذي تسبب في جمود البلاد وأخذها رهينة تعرض لضربة قاضية، فعلى الرغم من التحريض الكبير الذي مارسوه، بقينا مصممين على نخبنا مما أدى تقليص دور قواهم الرسمية وغير الرسمية التي تسربت بنحو كبير إلى داخل الدولة والمجتمع، ولكن هذه الأوساط بقيت مصرّة على دعوتها للحرب ولم تتخل عن موقفها، ولكن المرحلة الماضية كشفت عن وجوههم الحقيقية، وظهرت أسباب محاولاتهم في سبيل الإبقاء على وضع الاشتباك، وظهر حقيقة الدور الذي يلعبونه في اقتصاد السمسة والكسب غير المشروع، ولهذا

ألو إلى وضع التجريد بسرعة، وبذلك توافرت الإمكانيات للنقاش حول حقائق تركيا وقضاياها بنحو أفضل. كما ظهر أنه يمكن حل القضية الكردية بالوفاء الديمقراطي، وتأكدت حقيقة أن الأمن الوطني يمر عبر الحل الديمقراطي للقضية الكردية، هذه التطورات التي تشير إلى تطور متطرف، أظهرت الأسس اللازمة التي يجب أن تتوفر في الأجواء والطريق المؤدي إلى الحل السليم للقضايا رغم التباطؤ القائم. كما أوضحت الشكل الصحيح لكيفية التخلص من الأزمة التي تتعمق وتأخذ أبعاداً جديدة كل يوم.

إن هذه التطورات أظهرت المفهوم التاريخي الذي يتضمنه الموقفان المضادان لبعضهما في موضوع القضية الكردية، فحل القضية الكردية بشكل ديمقراطي أخذ دوراً مصيرياً على صعيد تطابق تركيا مع حقوق الاتحاد الأوروبي ودخولها إلى الطريق الديمقراطي، وبناءً عليه تحولت القضية الكردية إلى قضية تهم حقوق الاتحاد الأوروبي، وبالأحرى تهم معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية من قرب. إن تطبيق معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية تحظى بالأهمية المصيرية على صعيد قيام تركيا بحل القضية الكردية وتوجهها نحو الديمقراطية الكاملة، ومعنى آخر فإن القضية بدأت تدخل طريق الحل الحقوقي، وهكذا فإن الحقوق القانونية التي سيتم الاعتراف بها للکرد ستقدم مساهمة كبيرة ومهمة في جلب مرحلة الاستقرار والهدوء للاتحاد الأوروبي وتركيا، وبالعكس ذلك فإذا لم يتم تطبيق معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، فإن دول الاتحاد الأوروبي ستواجه قضايا كثيرة وفي مقدمتها قضايا القوة الكردية الموجودة هناك، إلى جانب أنه سيتم دفع تركيا إلى أجواء الاشتباك وهذا سيفتح الطريق أمام ابتعاد تركيا بجميع جوانبها عن الديمقراطية والحقوق، وبذلك لا يمكن التهرب من قضايا ومشكلات أعمق وأكبر من حيث نتائجها من التي عاشتها يوغسلافيا بعد تشتتها.

فمثلاً يهتم الاتحاد الأوروبي بقضايا البوسنة وكوسوفو ومقدونيا، فعليه أن يتناول ويهتم لأهم قضية تواجه تركيا التي هي عضو في كثير من مؤسساته، ويعمل على حل هذه القضية بما يتناسب مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، فالاتحاد الأوروبي مارس سياسة الكيل بمكيالين حتى الآن، وتُحرب من تطبيق قواعد حقوقه في هذا الموضوع بذرائع سياسية، وهذا الموقف أدى بتركيا إلى عدم الاكتراث بالديمقراطية والحقوق، بينما أكبر دعم مفيد يمكن تقديمه لتركيا هو ما يدفعها إلى إلقاء خطوات في موضوع التحول إلى دولة ديمقراطية حقيقية، فإن الدور الذي لعبته معاهدة حقوق الإنسان ومحكمة حقوق الإنسان الأوروبية هو دور محدود، وتم الاكتفاء بتغريم تركيا في الدعاوى المتعلقة بالکرد، فعدم القيام بإجراء التغيير في كثير من قوانينها بحسب متطلبات المعاهدة والمحكمة يتسبب في ولادة ازدواجية حقيقية، بينما كان يجب رؤية النتائج الحقوقية المهمة لآلاف القضايا الكردية، وكان يجب التصرف بصرامة لأجل إزالة المواد اللاديمقراطية والنواقص الموجودة في حقوق وقوانين تركيا، وبخاصة نرى أن المجلس الأوروبي المكلف بمراقبة ومتابعة أحكام وقرارات معاهدة ومحكمة حقوق الإنسان الأوروبية لا يؤدي دوره حيال تركيا ويتصرف بمنتهى التسامح، ولا يقوم بنقل الموضوع إلى المؤسسات المعنية، ولا يتناولها بالثقل المطلوب. فقد تم تفرغ ما يقارب أربعة آلاف من القرى والمزارع، وتم هدم أغلبها بنحو غير قانوني، وهذا يتناقض تماماً مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، وفي الحقيقة فقد قامت محكمة حقوق الإنسان الأوروبية بإصدار قرارات كثيرة حول موضوع تفرغ هذه القرى، مما يدل على أن القضية ليست فردية، بل ذات صفة شاملة، وتهم الشعب بكامله بنحو واضح.

وهذا الوضع يدل أيضاً على أن هذه القضية ليست فردية، بل وصلت إلى أبعاد تهم مصير الشعب بكامله،

والتدريج بإرهاب PKK في هذا الموضوع واستخدامه، لا يتوافق مع مبادئ الحقوق الديمقراطية، بينما تناول المظالم التي تستهدف وجود الكرد ضمن نطاق حقوق الإنسان على نحو فردي وتمريرها بعدة آلاف من الدولارات هو أمر يجب تناوله على مستوى الفضيحة، فمعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية تتناول "حقوق ثلاثة أجيال أساسية" وجزء من هذه الحقوق يتمثل في حق تقرير المصير بحرية، والتعبير عن الحياة الثقافية بحرية، وبالنسبة للكرد فلا يتم الالتزام بالحقوق الأساسية وعلى رأسها الحقوق المذكورة، وتحدث أوضاع متناقضة مع المعاهدة بنحو مفضوح وشامل، ويتم إبقاء الكرد خارج نطاق الحقوق بنسبة كبيرة، فبينما يتم تناول الأفراد ضمن نطاق الحقوق جزئياً، بينما وجودهم كشعب وثقافة فهو بعيد عن الإطار الحقوقي، حيث لا يوجد وضع مماثل لدى أية دولة من أعضاء المجلس الأوروبي، والقرارات المتخذة في البرلمان الأوروبي بهذا الصدد من وقت لآخر لم يتم أخذها مأخذ الجد في أي وقت، فمثلما تعد تركيا الأكراد غير موجودين ولا يشملهم الحقوق إلا إذا كانوا أتراكاً، فإن الحقوق الأوروبية أيضاً تتخذ موقفاً مشابهاً لذلك، والموقف الذي نستطيع صياغته على شكل "نعم كأفراد ولا كثقافة وشعب" يتناقض تماماً مع حقوق أوروبا ومعاييرها الديمقراطية كما هو واضح.

إن عدم القيام بتقييم سجل تركيا السليبي في هذا الموضوع بنحو جاد، وعدم اتخاذ القرارات المطلوبة في حينها، كان سبباً مهماً في تعميق واستمرار القضية الكردية والأزمة القائمة في تركيا، وهذا ما يذكّرنا بشكل ما بتكتيكات السياسة الاستعمارية التقليدية التي تحقق مزيداً من ترابط الدول بها عن طريق القضايا الداخلية.

وعندما أقوم بوضع مرافعتي فإنني أطلب عدم إعطاء الأولوية لوضعي الفردي، بل استهدف إزالة هذا الموقف السليبي أساساً. فأنا كفرد من شعب يحيا الفواجع ويتعرض وجوده للتهديد بالكامل، ولا ينظر إليه مثل الشعوب المعاصرة ويترك خارج إطار الحقوق، فإن تناول وضعي ضمن إطار الحقوق لا يمثل أية مصادقية بحسب قناعتي، ومن دون الاعتراف بالحقوق الأكثر أساسية للشعب وحتى لو تم الاعتراف بحقوق أفرادهم فإن ذلك لا يعني شيئاً بحسب ما أعتقد، بل إن الإصرار على القضية على أنها تعكس "الدفاع الحقوقي عن عضو في منظمة إرهابية تعرض للظلم" هو وضع فاجعة، وهذا يعني التحول إلى وسيلة للظلم الكبير باسم الحقوق، فهذه الازدواجية الخطيرة جرت في موضوع القضايا المتعلقة بالكرد، والأمور التي تخطر على البال في هذا الوضع هي: ألا تريد الديمقراطية الأوروبية وحقوقها رؤية الكرد ضمن مفهوم شعب..؟ فإذا كانت تريد ذلك فلماذا لا تتبنى المواقف التي تبنتها لأجل قضايا كثير من الشعوب الأخرى المشابهة..؟ وهل تقييم الكرد مثل الطيور "أينك" التي تتعرض للانقراض..؟ ومتى سيتم تطبيق معاهدات هيئة الأمم المتحدة التي أصبحت مشمولة بالحقوق وتحولت إلى حق قانوني على الكرد..؟ وهناك أسئلة مشابهة كثيرة تتطلب الإجابة عليها، وعندما تم تناول الدعوى المتعلقة بي في ستراسبورغ وجرى التدقيق فيها فإن أصوات مئات الآلاف من الجماهير الذين عبروا عن مطالبهم قد وصلت إلى قاعات المحكمة، ولابد أن تلك الأصوات كانت تعبر عن حقيقة ما.

إنني على قناعة تامة بوجوب رؤية القضايا التي يعاني منها الشعب الكردي مطلقاً عندما تقوم محكمة حقوق الإنسان الأوروبية بتناول وضعي الشخصي. فحقوق روما الذي يشكل المصدر الأساس لحقوق أوروبا ينص على احترام أعراف الشعوب، أي احترام وجودها القانوني، ولا يمكن أن يكون الحقوق الأوروبي في القرن العشرين متخلفاً عن حقوق روما الذي تم وضعه قبل ألفين وخمسمائة سنة على هذا الصعيد. فإذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني إنكار جوهره.

إن اعتمادي في مرافعتي على الحقيقة التاريخية للشعب الكردي وكيفية تطوره كان أمراً ضرورياً لأجل التوصل إلى إجابة لهذه الأسئلة، وكان من الأهمية أن أتناول ذلك مع تاريخ الحضارة، حتى يتم التوصل إلى الإجابات اللازمة على الادعاءات التي تنتكر لوجود الكرد الحضاري ويدعون بعدم وجود مكان لهم، فالذين لا يستطيعون تعريف وجودهم في المراحل التاريخية، لا يستطيعون التعرف على ذاتهم في يومنا أيضاً، ولا يمكن أن يعطوا النضال الذي يخوضونه حقه.

التحليل التاريخي الذي يظهر أن كل الحضارات مترابطة ببعضها كسلسلة، وأن الحلقة الأخيرة في هذه السلسلة هي الحضارة الأوروبية بنحو علمي يخدم تناول القضايا بنحو واقعي وليس بنحو عاطفي، ووصول هذه الدعوى إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية له علاقة بهذه الحقيقة.

وفي سبيل إظهار المسؤولية المباشرة للحضارة الأوروبية عن الشعب الكردي، كان لابد أن أشير إلى السياسات الاستعمارية التي تمثل إنكلترا طليعتها وأوضح كيفية تأثيرها، مما يتطلب الإحساس بالمسؤولية السياسية والأخلاقية، فالمعنى العملي لقيام الاتحاد الأوروبي وحقوقه الديمقراطي، يتجاوز هذه السياسات الاستعمارية، ويرتبط بتطبيق معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية على القضية الكردية بنحو حقيقي.

ونظراً لأن القضية الكردية باتت قضية أوروبية، فإن القيام بوضع وجود الكرد على طاولة البحث بهذه الشمولية، سيقوم بتنوير الموضوع الكردي لدى محكمة حقوق الإنسان بحسب قناعتي، فنظراً للظروف الحاكمة في إيمرالي لم استطع إجراء هذه التقييمات في مرافعتي حينها، ورغم وجود كثير من النواقص والأخطاء فإنني واثق من أنها تستطيع ملء الفراغ الموجود على هذا الصعيد.

لقد حاولت إجراء تقييمات شاملة بصدد PKK، فإن محكمة حقوق الإنسان الأوروبية حتى لو لم تقصد بنية التنظيم برمته، فقد أصدرت قرارات مختلفة حول الاتهامات المتعلقة بالنوعية الإرهابية، ولهذا أبدت إهتماماً بتنوير هذا الموضوع في مرافعتي، وأعطيت مكاناً واسعاً لشرح ظاهرة العنف عموماً، وصولاً إلى مفهوم العنف لدى PKK، وبذلك حاولت إضفاء النقاء على موقفني وموقف التنظيم حول استخدام العنف في مواجهة الحرب، فالوجود الكردي الذي هو حقيقة قد تعرض لهيمنة الغرباء وعنفهم بشكل ربما لم يتعرض له أي شعب آخر، ولهذا السبب لم تتوافر له إمكانية التطور الحر مثلما طرحته بنحو واسع، مما دفع بالكرد نحو اللجوء إلى الجبال على مدى تاريخ الحضارات لحماية وجودهم، ولهذا لم يتوصلوا إلى القوة التي تمكنهم من تأسيس حضارتهم المدنية وتحقيق الاستمرارية لها بإرادتهم الحرة، أما التي تأسست فلم تستطع إنقاذ نفسها من الاستيلاء بعد فترات قصيرة، وبقاؤهم على شكل مجموعات عشائرية حتى الآن نابع من هذه الخصوصية التاريخية.

لقد أراد PKK تحطيم هذا الطوق الكبير من العنف، ولكن الذهنية العشائرية والقروية القوية المتحكمة في بنيتها لم تمكنه من التحكم في طراز الكفاح المسلح الكافي الذي يواكب حق الدفاع المشروع عن الذات بنحو كامل، فمن المعلوم أن الحق المشروع للدفاع عن النفس بالنسبة لشعب يتم التنكر لوجوده إلى درجة حظر لغته هو حق مشروع منصوص عليه في الحقوق الكونية وفي كل الدساتير الوطنية، وناهيك عن الاستخدام، بل عدم استخدام هذا الحق يشكل خرقاً للحقوق، ولهذا فإن نهج الدفاع المشروع لـ PKK هو حق دستوري، بل هو مهمة مقدسة يجب القيام بها نحو

شعبه، ولا يمكن أن تقوم أية مؤسسة حقوقية بتوجيه أي اتهام للشعب الكردي لكونه قام باستخدام حقه المشروع في الدفاع عن الذات. أما الذين يجب توجيه التهمة إليهم فهم الذين لا يعترفون بالمتطلبات الأساسية للحقوق المعاصرة التي لا بد منها لأجل شعبنا، وفي هذا الوضع فإن حق الدفاع المشروع عن الذات يبقى بين أيدينا كدفع وهو الخيار الوحيد، وقد تم استخدام هذا الحق الدستوري، وإذا لم يتم تطبيق بنود معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية التي أصبحت ضرورة لشعبنا، وبقي إنكار الوجود قائماً على شعبنا واستمر الحظر على اللغة وتعليمها والتعبير بها بمطلق الحرية، واستمر الحرمان من أبسط الحقوق الإنسانية، فإننا لن نتخلى عن استخدام حقنا المشروع في الدفاع عن الذات حتى النهاية، بل ذلك هو من متطلبات الحقوق. والمتهم الحقيقي في هذا الموضوع هو سياسات الدولة، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال القرارات الكثيرة التي أصدرتها محكمة حقوق الإنسان الأوروبية في كثير من المواضيع، فتعرض الآلاف من المواطنين المدنيين من دون أي ذنب للقتل على يد العصابات التي تقوم الدولة بتغذيتها كما ظهر واضحاً، وآلاف القرى التي تم تفرغها نتيجة ممارساتها تشكل جرائم إرهابية كبيرة. إن شعبنا يمر بإرهاب لم يعان منه أي شعب لا في التاريخ ولا في يومنا، فمثال حلبجة لم ينس بعد، وبناءً عليه فإن اللجوء إلى الحق المشروع للدفاع عن الذات حتى لو كان بالكفاح المسلح هو من متطلبات الحقوق الكونية والدستورية.

الأمر الذي لا يقبل هو النضال لسنين طويلة ورغم الصعوبات الجمة، لأجل الحيلولة دون حدوثه هو العنف الذي يتجاوز حدود الدفاع المشروع عن الذات، حيث قام بعض الأفراد والشخصيات والمجموعات داخل PKK بممارسة العنف على رفاقهم وعلى الشعب المدني وعلى مؤسسات الدولة والشخصيات الباقية خارج إطار العنف، ومعلوم أنني اعترضت على ذلك وأعتبرته خطأ، وجاهدت كثيراً حتى لا يتحول هذا التوجه إلى الظاهرة الإسرائيلية - الفلسطينية، ولا يصل إلى ذلك المستوى. فعدم وصول العنف إلى ذلك المستوى كان نتيجة للجهود الكبيرة التي بذلتها، فمذ عام ١٩٩٣ وعندما كان أوزال رئيساً للجمهورية استمددت الجراءة عندما وحدته راغباً، فقمت بالإعلان عن وقف إطلاق النار من جانب واحد، حيث تم الالتزام به وتطبيقه بانضباط كبير بعد عدة مراحل وما زال مستمراً حتى الآن، وقد قمنا بسحب نسبة كبيرة من قوات PKK المسلحة إلى خارج الحدود وتم وضعها في حالة الدفاع المشروع عن الذات، والتصريحات الصادرة من الدوائر التركية المختلفة تؤكد المحافظة على هذه الترتيبات، وارتباطاً بهذا الموضوع فإن PKK في مؤتمره السابع الذي عقد في عام ٢٠٠٠ أعلن عن عدم تطلعه إلى الانفصال بشكل مكشوف وقام بطرح إستراتيجيته وبرنامجه الذي يؤكد ذلك، وقام بالإعلان مراراً وتكراراً عن استعداداته للسلام والوفاء الديمقراطي لحل القضية الكردية ضمن إطار تكامل الوطن تركياً بدولتها ووحدتها، ومن دون طرح أية مطالب متطرفة، فإن هذا الموقف يعبر عن الحل على أساس استخدام الحقوق الواردة ضمن معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية وليس سواها، بينما لم تقم الدولة بالإجابة على ذلك حتى الآن بنحو رسمي، فإن الدولة تعاني من الصعوبات حتى على صعيد تعريف القضية الكردية، ولا تقترب من الاعتراف بالحقوق الديمقراطية الأوروبية و ثوابتها، بأي شكل من الأشكال، فرغم أنها عضو مرشح للاتحاد الأوروبي هي الدولة الوحيدة التي لا تلتزم بمعايير كوبنهاغن.

وفي مواجهة هذا الوضع فإن محكمة حقوق الإنسان الأوروبية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار قيام PKK بمسؤولية كبيرة بالالتزام بحق الدفاع المشروع عن الذات بانضباط كامل عملياً على أرض الواقع، منذ سنتين وبنحو رسمي وقيامه

بسحب قواته إلى خارج الحدود بما يتضمن ذلك من أخطار، كما يجب على محكمة حقوق الإنسان الأوروبية أن تعلم أن PKK قام بتطهير نفسه من جميع الأحداث الإرهابية الخارجة عن القانون، ويسير كل شي حسب الحق المقدس في الدفاع المشروع عن الذات منذ ذلك التاريخ، ويبقى على المحكمة أن تقوم بتقرير ذلك، فذلك سيسهم في نقاش القضية الكردية على أرضيات مشروع للدخول بما إلى مرحلة الحل، والقرارات التي ستصدر من المحكمة الموقرة سيكون لها تأثير إيجابي على مسؤولي الجمهورية التركية وعلى مؤسسات الاتحاد الأوروبي لأجل تناول القضية ضمن إطار الحقوق الديمقراطي، وستقوم بتشجيع PKK على الحل ضمن معايير الحقوق الديمقراطية، وبناءً عليه فإنني أحب أن أبين بأن القرارات التي ستصدرها المحكمة من الآن فصاعداً وانطلاقاً من هذه الحقائق ستحظى بأهمية تاريخية كبيرة على صعيد حل قضية كبيرة، ورغم أنني أشعر بالاحترام الكبير للقرارات الكثيرة التي صدرت فيما يتعلق بهذا الموضوع، إلا أن مرافعتي هذه تتضمن نقدي حول النواقص بشكل واضح، حيث تقوم المحكمة الموقرة بالإشارة إلى موضوع العنف الانفصالي ولكنها لم تبحث عن أسباب العنف والانفصالية الحقيقية، ولم تعمل لأجل الكشف عن المسؤولين عنها، فعدم الخلط بين المغدور والغادر يحظى بأهمية كبيرة، ولهذا السبب فإن النظر إلى PKK بنحو متكامل يحظى بأهمية بالغة بالنسبة للمحكمة، والكثير من الدعاوى التي تأتي لها علاقة بـ PKK، ولهذا السبب فإنني واثق من طلبي مرة أخرى بوجوب تقييم القسم المتعلق بـ PKK في مرافعتي مثلما يتم تقييم الأقسام الأخرى المتعلقة بالشعب الكردي تماماً، فمرافعتي هذه تشكل وثيقة يمكن للمحكمة الموقرة أن تعتمد عليها كأهم وثيقة في الوقت نفسه، كما يتضح.

ولا يمكن تناول وضعي الشخصي إلا على ضوء حقيقتين أساسيتين، أي الوضع القانوني للشعب الكردي، والوضع السياسي والعسكري والقانوني لـ PKK ومقدار ما يتم تقييم وإلقاء الضوء على هاتين الحقيقتين يمكن تناول وضعي بنحو موضوعي.

٤. مرحلة محاكمة إيمرالي، ومعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، ومحكمة حقوق الإنسان الأوروبية.

إن الافتراض الذي يمكن أن يجا فيه الأفراد بمفردهم وبلا مسؤولية يمكن أن يحدث علمياً قبل سبعة ملايين سنة عندما تم التحول إلى النوع الإنساني، وحتى في ذلك الوقت فإن الإنسان قد عاش على شكل جماعات صغيرة في نظام من اللعب وهي الرؤية العلمية المقبولة، ومنذ ذلك التاريخ كلما تطور المستوى الاجتماعي تطور مستوى أفراد المجتمع أيضاً، لأن الابتعاد عن المجتمع يعني الموت وهذا أمر يمكن معرفته بكل سهولة، وفي مرافعتي توقفت على هذا الجانب أيضاً، أما سبب ذلك فهو: يبدو كأنني وحش هبط من السماء و تحول إلى إرهابي لتقوم الزعيمة الكبيرة الولايات المتحدة الأمريكية ورئيسها الكابوي الأخير بإصدار الأوامر العلنية والسرية، وتنصاع له كل القوى البظلة العظيمة في العالم وخاصة وحداتها الاستخباراتية والأمنية باعتقاله، أخيراً ليتم وضعه في غرفة محصنة وسط بحر مرمرة في جزيرة إيمرالي وسط تدابير فوق طبيعية لأقيم لوحدي في تابوت لا يزيد عن ثلاثة أو خمسة أمتار، هذا وضع لم يشهد له مثيل، لأنني قمت بقتل ثلاثين ألف شخص في الأقل فأنا في وضع أكبر إرهابي، ويتم تقديمي لتكريا وللعالم بدعاية لا مثيل لها على الإطلاق، ابتداءً من كيفية وجوب إعدامي، لدرجة أن أكل لحمي إرباً إرباً ونياً لن يكفي، وأن موتي الفوري لن يكفي، بل إن تركه للموت كل ساعة يخدم الهدف بنحو أفضل، وفي هذه الأثناء يجب ممارسة سياسات خاصة حتى لا يتبقى لي صديق وحيد، وقيل

الكثير بصدد هذه السياسات وكتب عنها وتم تنفيذها.

وحتى يتم تقييم محاكمتي في إيرالي ومدى تطابقها مع الحقوق عموماً، ومع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية بنحو خاص، كان لابد من توسيع مرافعتي مطلقاً، وهناك أسباب مفهومة لذلك، فقبل كل شيء لا أعتبر مرافعتي المتعلقة بالتأكيد على "إنني من البشر ولدي شعبي الذي أنتمي إليه" وتقييمي لهذا الوضع لكي أثبت هذه الحقيقة ليست من الكماليات. فنحن في مواجهة عالم مقنع لا يعدني من البشر ولا يعد شعبي من الشعوب التي لا رحمة فيه ويتم تسييره بأكاذيب مغلفة لا مثيل لها، علماً بأن ذلك لم يكن خاصاً بيومنا فقط، بل هي حقيقة تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ، فلو تم اعتبارنا من البشر ومن الشعوب، ولو تم تطبيق حقوق المساواة الساري على الجميع وعلى شعبي لما حدث ما رأيناه في إيرالي على الصعيد الحقوقي، ولما تحققت هذه المسرحية المأساوية الكوميدية بأسم الحقوق، فالقضية لا تكمن في الظروف الظالمة التي جرت فيها المحاكمة، وتناقض هذه المحاكمة مع كثير من بنود معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، ورغم أن هذه الجوانب مهمة فهي تبقى في إطار خلافات تتعلق بالشكل المطلوب، فالموضوعية هو مبدأ أساس في الحقوق الذي لا يعتمد على النوايا، والادعاءات الافتراضية، وبالطبع عندما أقول ذلك فإنني أقصد الحقوق المعاصر، فمن الواضح أنه لا يمكن تسمية الأحكام الإلهية وأوامر الدولة بالحقوق، وبهذا المعنى لا يمكن التحدث عن الحقوق، بل يمكن التحدث عن الاعتداء وهتك العرض والإبادة من طرف الظالمين والكاذبين الذين يعدون أنفسهم منتمين إلى الجذور الإلهية.

إن محاكمتي في إيرالي لا تشكل تنكراً للحقوق وجريمة بحق الحقوق فقط، بل تشكل وسيلة خطيرة وخفية للقضاء على الحقائق التي جعلت منها هدفاً لي، فالصدمات التي تعرضت لها ليس في مرحلة إيرالي فقط، وإنما في كل مرحلة أوروبا وكينيا هي صدمات تواترت وتتابعت وكانت تستهدف إزالة الحقائق التاريخية والإنسانية بالنسبة لي ولشعبي، وكانوا بذلك يريدون الإبقاء على شعب في مستوى الحيوان فاقداً لشخصيته أكثر من بؤساء الهند، وذلك هو الوضع الرهيب. والجانب الأكثر إبلاماً هو أنهم أرادوا القضاء على وعيي للوصول إلى تلك النتيجة، فقد تمت ممارسة مرحلة من العناية المكثفة بنحو واسع وعميق لأجل الإنهاء وحتى لا يبقى لدي صديق واحد، ولا أستطيع القول بأن خطر ذلك قد زال تماماً، صحيح إنني ذكرت في المحاكمة بأنني لم أتعرض للتعذيب اللفظي، بل وتحدثت عن مرحلة تحقيق في أجواء الاحترام المتبادل، ولكن هذا الأمر لا يمثل غطاءً للمرحلة، فالحقائق تكمن في مكان آخر، بالإضافة إلى أن القيام بربط المسألة بتناقض الحقوق في تركيا، ومحاكم أمن الدولة والإدارة مع الحقوق ومعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية يشكل تناولاً ضيقاً جداً للقضية، بل إن قناعتي هي أن الأتراك كشعب ودولة لم يكونوا على علم بما يجري بنحو صحيح وكاف، وكانوا بعيدين جداً عن فهم الحقيقة، ومن هذه الزاوية فأني لم أحيد مطلقاً القيام بمناهضة القومية التركية بنحو رخيص، وكنت دائماً أدرك الحقائق مثلاً أعرف أنها في أماكن مختلفة، وعرفت دائماً كيفية التصرف بمنتهى المسؤولية، وأن الموقف العلمي هو ضروري ومصيري، وقيامي بمرافعة غنية بعض الشيء كان ينبع من هذه الأسباب بعض الشيء.

إن أكبر إساءة نرتكبها بحق المحاكمة والحقوق، هي فقدان قدرة الشعور بالحقيقة، وقابلية فهمها، ولهذا الأسباب حرصت دائماً على الكشف عن الحقائق إلى آخر مداها حتى ابتداء مرحلة الاعتقال، فإذا كان رئيس أعظم دولة في العالم "الولايات المتحدة الأمريكية" كليتنتون يقول: "أنا أصدرت أوامر التسليم"، وإذا كان رئيس وزراء ثاني أكبر دولة في العالم "روسيا" بريماكوف يحذر كل دول رابطة الدول المستقلة قائلاً: "يجب أن لا يأتي إلى بلدانكم" ثم أتعرض

لجميع أشكال الضغوط النفسية الرهيبة لأجل إرغامي على الخروج من إيطاليا رغم تمتعي بحريتي من الناحية الحقوقية، وإذا كانت هناك حكومة وثقت بصداقتها حتى النهاية في اليونان وتقوم بتوجيه ضربة قاتلة مميتة من خلال خرق الوعد والعهود التي أعطتها، إذا كانت المصالح السياسية والاقتصادية غير العادلة وراء هذه المواقف، وأخيراً إذا كان شخصاً بمستوى الوزير يقول: "إننا نأخذك إلى هولندا"، ويقوم بتسلمي إلى قوات الأمن الخاصة التركية بشكل ليس له مكان في الحقوق إطلاقاً، فمقابل كل ذلك لا يمكن التحدث عن خرق للحقوق فقط، بل يدل على أننا في مواجهة مؤامرة يصعب وجود مثيل لها في هذا العصر.

المسألة لا تكمن في ان كنت مذنباً أم لا، ولكنها تكمن في الذهنية والمصالح التي تدفع إلى تبني هذه المواقف التي تتعارض مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية إلى هذه الدرجة، فهناك خيانة كبيرة لمعايير الحقوق الديمقراطية في أوروبا من خلال شخصي، بحسب إطار معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية يجب أن تنطبق عليّ المادة الحقوقية التي تنص على اللجوء السياسي، علماً بأن محكمة الاستئناف في روما، قبلت حق اللجوء السياسي لي، وبهذا الوضع فإن كل القوى والمؤسسات التابعة للدولة ومن يمثلها الذين أدوا دوراً في إبعادي عن أوروبا بشكل ليس له مثيل، قد ارتكبوا جريمة، والذين ارتكبوا هذه الجريمة شاركوا في الاعتقال الذي يتناقض بوضوح مع المادة الخامسة من معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، وبناءً عليه فإن الذي يفترض اتخاذ قرار بحقه أولاً هو هذا الشكل من القبض والاعتقال الذي يتنافى مع الحقوق تماماً وإلغاء الاعتقال تماماً، وعليّ أن أشرح هذا الموضوع بمزيد من التفاصيل، ولكن يجب على المحكمة الموقرة وكما ترى بنحو مكشوف جداً، لماذا لا يتم اعتباري بشراً، ولا يتم اعتبار شعبي من الشعوب، فعليها أن تتعرف إلى أسباب ذلك جيداً، فهذا هو الموضوع الذي يحظى بالأولوية المطلقة، فقد قمت بهذا الشرح المطول لأكون عوناً للمحكمة، فقامت بشرح خصوصياتي، وكيف تعرضت للإرهاب المخيف على مدى التاريخ على الأسس العلمية وأصبحت ضحية له حتى وصلت إلى هذا اليوم، لأن ما يتم ممارسته بحقي لا يتم ممارسته حتى على الوحوش، والممارسات التي تحدث على شعبنا من نفي للوجود هي ممارسة لا يمكن ارتكابها بحق أكثر القبائل تخلفاً، وعندما نتخذ من موضوعية الحقوق أساساً لنا فإنني أقصد هذه الحقيقة. إن النظر في هذه الدعوى التي تهم الملايين، يجب أن يكون ضمن مبادئ الحقوق الكونية وبذلك فقط يمكن إعطاء هذه الحقائق حقها، ويمكن للمحكمة الموقرة ان تتعرف على ذلك من خلال الأصوات التي تصل الى قاعات المحكمة.

ثمّة أمر آخر يجب عليّ توضيحه جيداً، حيث أن القيام بالنظر فيما إذا كانت مرحلة محكمة إيمرالي مطابقة أو غير مطابقة لمعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، وإصدار قراراً بهذا الشأن سيكون بمثابة استمرار في المؤامرة وسأضطر إلى تقييمه على ذلك النحو، ولا يمكن أن أقبل بذلك على الإطلاق، فقبولي لذلك القرار يعني أنني قد ارتكبت خيانة للتاريخ ولشعبنا في يومنا هذا، بعد أن كسبت هذه الثقة والاحترام من جانب شعبنا، وقبولي يعني انضمامي إلى صفوف الخونة العملاء من بين الشعب الكردي، وأنا الذي ناضلت دائماً في مواجهة هؤلاء العملاء الذين يقلدون من يقوم بارتكاب هذه الممارسات اللا حقوقية ضد شعبنا، وحاولت دائماً جذبهم إلى السبيل الشريف الذي يطالب به الحقوق، ولكن كل جهد يستهدف إلى قبول شرعية محكمة إيمرالي يعني احتواء المؤامرة، ويعني نجاح لعبة أولئك المتواطئين والعملاء، وإذا ارتكبنا هذا الظلم، فذلك يعني تحول المحكمة إلى أداة لذلك، وأما إذا قبلته أنا فذلك يعني من دون شك أن هذا الوضع الذي يتم ممارسته على شعبنا الآن سيبقى مستمراً حتى لا يبقى إنسان مستقيم واحد، بمنتهى الأشكال الظالمة، ربما

تكون رؤية هذه الحقيقة صعبة بعض الشيء نظراً للحقائق القائمة في أوروبا، ولكن الذي يتعرض للمحاكمة هنا هو أمل وإرادة شعبنا الذي هو الشيء الوحيد الذي يجب حمايته، والذي أضرم النار ببدنه من أبناء الشعب باسمه، وناضلوا حتى النفس الأخير ضد القوى التي ليس لها مثيل عبر التاريخ، للدفاع عن كرامتهم وللحفاظ على هذا الأمل والإرادة، فحتى لو لم أستطع تمثيل هذه الإرادة والأمل كما يجب، فيجب عليّ أن لا أسمح بأن تنال هذه القيم ضربة من خلال شخصي تحت أسم الحقوق، ولن أعطي الفرصة لإضعافها قطعاً، ولن أكون أداة لذلك، وعلى ضوء كل هذه الحقائق فإنني أطلب من المحكمة الموقرة أن تقوم بتعريف تلك القوى وذلك النظام بنحو صحيح، وأولئك الذين قاموا بخرق الحقوق الأوروبية خطوة بخطوة، وقاموا باختطافي ليس بمؤامرة واحدة وإنما سلسلة من المؤامرات، وأطالب المحكمة الموقرة بإعطاء الأولوية لهذا الموضوع والقاء الضوء عليه واتخاذ القرار اللازم بشأنه، وأرى فيه أهمية تاريخية كبيرة.

لا يمكن اعتبار حادث اختطافي واعتقالي حدثاً اعتيادياً، فلأجل استنكار هذا الحدث المشؤوم، قام المئات من أبناء شعبنا بإضرام النار في أبدانهم، أو ألقوا بأنفسهم إلى الموت، فقد كانوا يريدون إلحاق ضربة قاصمة بآمال ومعتقدات شعبنا، والأسوأ من ذلك هو لو حدث الانتحار الذي كانوا يدفونني إليه، لكن ثمن ذلك غالياً جداً، أي موت عشرات الآلاف في مرحلة لا يمكن التهرب منها، ولذلك فقيامهم بوضعي في مغلف وتقديمي إلى تركيا بأحد جوانبه كان سيسفر عن تأثير يفوق ما حدث في اليابان وحليجة بأضعاف مضاعفة، من حيث الانفجار الذي كان سيحبه انفجار القنبلة الذرية وما سببته من تخريب، ولكن رغم كل الصعوبات التي تعرضت لها بما في ذلك الدفع بي نحو الانتحار تمكنت من إفشالها، مما أدى إلى إفشال أولئك الذين خططوا لهذا الأمر، فكل حساباتهم كانت معقودة على أنني لن أحتمل الظروف الظالمة التي أتعرض لها وأني سأمارس "الصوم حتى الموت" أو أنني سأقدم على الانتحار بالمسدس الذي أعطاني إياه السفير اليوناني لأضع بذلك نهاية لحيايتي، والنتيجة ستكون عمليات انتحار بالآلاف، وبداية مرحلة عنف دموية تتجاوز الوضع الفلسطيني الإسرائيلي لتأخذ بالتعمق والاستمرار، ولكن المسؤولية الأخلاقية التي أشعر بها نحو شعبي والأصدقاء والرفاق، وشخصيتي التي تميل إلى السلام دائماً حالت دون الانزلاق إلى هذه اللعبة، واستطعت إقناع نفسي بأن البقاء على قيد الحياة هو الموقف الصحيح مهما كانت النتائج، ويجب أن ابذل الجهد الممكن لأجل ذلك، وبذلك استطعت إحباط تلك اللعبة والمؤامرة التي أصبحت عقيدة بتقري هذا، وأصبحت غير فاعلة، وبذلك استطعت الحيلولة دون دخول ميزوبوتاميا والأناضول في لعبة دموية تستمر لسنوات كثيرة، والحقيقة هي أن السياسة التي جرت ممارستها كانت بمثابة ملخص للسياسات التي تمارس منذ قرنين من الزمن، حيث يجري دفع الكرد إلى التمرد أولاً ويتم تركهم من دون دعم أو مساندة فيما بعد، ثم يتم دفع الأتراك إلى وضع كمن يقول لهم: "أضرب" وهذا يمثل جوهر تلك السياسة، ويقول آخر: "للأرنب اهرب... وأمسك به يا كلب الصيد"، فمن الواضح أنه تتم ممارسات ظالمة.

لقد أوضحت في مرافعتي الدور الذي أدته بعض الدول في مرحلة اختطافي كما أشرت إلى بعض الأدوار في أماكن مختلفة، وإذا تطلب الأمر فإنني قادر على الإدلاء بتفاصيل ذلك شفويّاً أو كتابياً مع الشهود، أو الرد على الأسئلة بهذا الشأن بنحو مطول، وأرغب في سرد ما بنحو ملخص فيما يلي:

أ. مرحلة اختطافي والمواقف الخارجة عن الحقوق: بدأت هذه المرحلة بتاريخ ٩ تشرين الأول عام ١٩٩٨ عند استقبالي في مطار أثينا. فقد جاء رئيس الاستخبارات ستافراكيس الملقب بـ "بيبي" بدلاً من "بادوفاس" البرلماني والوزير

القلم والصديق الذي قام بدعوتي إلى اليونان، مع كالينديريس "الذي يدعي صداقته لنا والملقب بـ "عكيد"، ورغم أنني شرحت لهما بأنني راغب بتقلم طلب حق اللجوء السياسي، ولديّ الحق في القيام بذلك، وعندما فهمت بأنهم سيستخدمون القوة نخوي، أخذت طريقي نحو موسكو، حيث تم استقبالي من طرف عضو البرلمان "جيرونوفسكي" حيث أوضح ممثل حزبنا هناك "نعمان أوجار" فيما بعد، بأن "بريماكوف" قال بأنه يمكن أن يبقى لمدة تسعة أيام على الأكثر وأشعروني فيما إذا لم أغادر فإنني سأعرض للطرد عنوة، وأقمت خلال تلك المدة في منزل عضو البرلمان متيبروفانوف، ومرحلة موسكو التي استغرقت ثلاثة وثلاثين يوماً، انتهت بتوجهي إلى إيطاليا، بعد أن رفضت الحكومة تنفيذ قرار الدوما بمنحي حق اللجوء السياسي الذي صوت له ٢٩٨ عضواً مقابل رفض عضو واحد، وبينما كنت انتظر الصداقة في روما فقد تم إلقاء القبض عليّ وفيما بعد رفعت المحكمة قرار الاعتقال، ولكن تم فرض حصار عنيف جداً وتم اللجوء إلى كل الوسائل لأجل إرغامي على الهرب، وبعد ستة وستين يوماً لم يبق أمامي سوى الخروج في أول فرصة سانحة، وفي تلك المرحلة كان المحامون والمترجمون إلى جانبي في إيطاليا، وهم قادرون على توضيح كل شيء، فالخامي عضو البرلمان "بيابيسا" والمترجم أحمد شاهدان على كل الأحداث، وعندما عدت إلى موسكو مرة أخرى، واجهتني معاملة أقسى من المرة السابقة رغم وعودهم لنا، والوزيران اللذان قدما إلى هناك بأسم الولايات المتحدة وإسرائيل هما، مادلين أولبرايت وشارون، بينما كان يجري النقاش حول قروض (IMF) صندوق النقد الدولي، كما كان مشروع خط أنابيب الغاز عبر البحر الأسود مطروحاً على جدول الأعمال، واعتقد أن المسؤولين في موسكو تفاهوا بشأن القروض وخط الأنابيب مقابل تسليمي.

وكموقف أخير انتقلت من بتروغراد إلى أثينا بالطائرة الخاصة التي أتى بها كل من الجنرال المتقاعد "ناغزاكيس" والمترجمة "آيفر كايا، حيث خرجت من المخرج الخاص وقضيت الليلة لدى أحد أقارب "ناغزاكيس" وعندما توجهت في اليوم الثاني إلى المكان الذي سأقابل فيه وزير الخارجية "بانكالوس"، تواجعت مع رئيس الاستخبارات "ستافراكيس" مرة أخرى، فقد كنت قد وقعت في المصيدة، ثم أخذوني عنوة إلى مكان آخر، وبعد التجوال بالطائرة في الهواء على مدى ليلة كاملة تم إنزالي في جزيرة "كورفو" حيث قالت الصحف الأوروبية عن تلك الليلة "أن كل مطارات أوروبا قد أغلقت في وجهه أبو" كما كان رئيس الوزراء الروسي قد أغلق كل مطارات رابطة الدول المستقلة، فقد كان واضحاً بأن ثمة قرار تم اتخاذه من الأعلى، وفيما بعد استطعنا فهم ذلك القرار فقد تم اتخاذه في سويسرا، أما القوة التي اتخذت القرار فهي وحدة من وحدات "غلاديو" السرية التابعة للحلف الأطلسي، وتحت سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية، والحقيقة الأخرى التي ظهرت فيما بعد هي أن هذه الوحدة أيضاً خططت لاختطافي إلى كينيا، كما تأكد الدور الذي قامت به الاستخبارات الإنجليزية من خلال الصحافة مدعّمة بالإثبات، لقد قامت الحكومة اليونانية بأداء دورها استناداً إلى الصداقة، فقد وثقت بـ "كاليدريس" الذي تحدث معي بأسم الحكومة، والذي قال بوجود الإقامة في السفارة اليونانية في كينيا لمدة خمسة عشر يوماً حتى أكون في أمان وحتى يتم إنجاز جواز سفر صادر من جنوب أفريقيا، وبذلك تمكنوا من اختطافي إلى كينيا، ورغم أن الحكومة اليونانية وسفيرها يعلمون باختطافي لم يقوموا بإعلامي، وفي اليوم الأخير تفاهوا مع الأمن الكيني، وبضمانات صادرة من وزير الخارجية "بالكالوس" بالذات قالوا إننا متوجهون إلى هولندا، واعتقد أنهم استطاعوا اختطافي تحت تأثير المخدر إلى المطار ونجحوا في تسليمي إلى وحدة الأمن التركية الخاصة التي كانت تنتظر هناك منذ ٢ شباط.

وفيما بعد تأكدت أن تلك المؤامرة قد حدثت بأمر خاص من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كلينتون، عندما كشف مستشاره الخاص عن ذلك بتصريحه للصحافة. إن هذا السرد المقتضب يكفي لاستدلال على مدى الخرق الكبير لمعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية وموادها، فرغم قبول حق اللجوء السياسي الذي تقدمت به إلى إيطاليا وإلى السفارة اليونانية يتم اختطافي بصورة يتنافى مع الحقوق كما يتضح جلياً، وفي المكان الذي تم تسليمي فيه . أي السفارة اليونانية . تقدمت بطلب اللجوء وتم قبوله ووضع قيد التنفيذ، كما أوضح لي السفير اليوناني لدى كينيا "كوستسولاس" بذاته، فقد كنت أحاول تسيير هذه المعاملة في أثينا من خلال محام جاء من اليونان إلى السفارة، فحتى في كينيا كنت مشمولاً بمعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، ولهذا السبب رفضت محاولاتهم بهدف إلقائي إلى الخارج، وقمت بالمقاومة، وباختصار: كان يجب تطبيق أحكام معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية عليّ ابتداءً من ٩ تشرين الأول ١٩٩٨ وإلى ١٥ شباط ١٩٩٩، وليس لأية دولة الحق في خرق هذه المعاهدة بما فيها روسيا، وأنا أنضم إلى المحامين المؤكدين عني في رفع قضايا على تلك الدول لدى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، فأنا أؤكد على أنني مدعي عليها، بل أطالب بالنظر فيها قبل النظر في دعوى إيمرالي، وأنضم إلى طلب المحامين في النظر إلى الدعاوى المرفوعة ضد اليونان وإيطاليا وروسيا، وبالكشف عن الوجه الآخر لاختطافي يمكن الكشف عن إلقاء القبض عليّ الذي يتناقض مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية بنحو مكشوف.

عند تسليمي إلى الوحدات التركية لم تتم مراعاة أية قواعد، ولا توجد أية وثيقة تثبت ذلك، علماً بأن هذا الحدث قد وقع داخل الحدود الأوروبية، وبناءً عليه يشكل خرقاً فاضحاً لمعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية وأحكامها المتعلقة بذلك بنحو مكشوف، واعتماداً على هذا الواقع فإن محكمة إيمرالي تفتقد إلى الأسس الحقوقية، ولهذا " لا توجد دعوى، أو لم تتكون"، والتوصل إلى هذه الرؤية هو من متطلبات الالتزام بالحقوق، وأي قرار يصدر بعكس ذلك يعني التناقض مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، بل إن الحقوق يتحول إلى أداة في خدمة مرحلة اختطافي، مما يعني أن محكمة حقوق الإنسان الأوروبية تتحول إلى حلقة في تلك السلسلة، وأنا واثق من أن المحكمة المؤقرة لن تقبل بذلك، وألمي وثقتي كبيرة في أن المحكمة المؤقرة ستبني موقفاً ذو معنى ضد لعبة الاختطاف التي تهم المحكمة ذاتها، وتصدر قراراً تاريخياً يتناسب مع تاريخها، وإيماني كبير بذلك.

ب . عقوبة الموت، واستخدامها وسيلة للتهديد ضد الشعب الكردي: رغم قناعاتي بوجوب اعتبار الدعوى غير موجودة حقوقياً، ولكن لمزيد من المعلومات أرى من الأهمية تقييم عقوبة الموت الصادرة بحقي.

لقد تعمدوا إصدار قرار عقوبة الإعدام بحقي ليكون في ٢٨ حزيران، ١٩٩٩ لأن ذلك اليوم يوافق ذكرى إعدام الشيخ سعيد قائد التمرد الكردي في عام ١٩٢٥، والأهم من ذلك أن تاريخ التسليم الذي وقع في ١٥ شباط هو اليوم الذي بدأ فيه التمرد بقيادة الشيخ سعيد، وقد تم اختيار هذين اليومين عن عمد ووعي، أي أنهم يريدون بذلك أن يقولوا للشعب الكردي: " مهما كان تمردك فإنك ستصل إلى النتيجة نفسها"، وقد قال رئيس الجمهورية سليمان ديمريل في أحد أحاديثه: " لقد حدث ٢٨ تمرداً، وجرى سحقها جميعاً، وآخرها سيصل إلى المصير نفسه" وهذا يوضح أن تخطيط السيناريو كان قديماً، فذلك السيناريو الذي عرفته فيما بعد يضم إسرائيل، والولايات المتحدة واليونان منذ عام ١٩٩٦، وربما كانت أهدافها وتطلعاتها مختلفة ولكنها توحدت في تصفياتي التي تتناسب مع مصالحها جميعاً، فقد استطاعت تحجيم

تأثيرها على الكرد، وحركة التحرر الكردية وفشلت كل مراهنتها على المتواطئين والعملاء، ولهذا كانت جميعها غاضبة، فالمراهنات التي قامت بها هذه القوى على شخصيات ومنظمات صغيرة وكبيرة وفي مقدمتها البارزاني والطالباني، منذ أربعين أو خمسين سنة في كل أجزاء كردستان باتت غير فعالة بل فاشلة بسبي أنا، مما يشكل السبب المادي المباشر لمؤامرة آبو، فالورقة الكردية هي مصيرية لديهم دائماً، ولا يمكن لها أن تقبل بفقدان هذه الورقة بسبي، وانطلاقاً من هذه الحقيقة الجوهرية تم التفاهم مع المسؤولين في تركيا، فالتخلص من آبو كان مفيداً لجميع الأطراف، حتى أن ذلك كان صعباً على سوريا، ففي تصريح أدلى به عبد الحليم خدام نائب الرئيس السوري لصحيفة تركية قال: "إن عبد الله أوج آلان يلقي بتأثيره على الكرد في سوريا، والعراق وإيران، ولهذا السبب أبعدهنا فنحن لم نكن نريده أيضاً، ونهجننا واحد في موضوع".

PKK".

لقد تفاهمت حكومة اليونان مع كليتون في عام ١٩٩٦ بأن التخلص مني هو السبيل الأنسب لإدخال الحركة الكردية تحت سيطرتهم، فقد تم إفشال المتواطئين معهم حقاً، ولم يكونوا قادرين على إيجاد عميل واحد يخدعهم من بين الكرد، أما ألمانيا فقد حملت الضغينة ضدي لأسباب أخرى سيئة جداً، فهي لم تكن قادرة على استيعاب شخصيتي للغرور الألماني، لأنني كنت في الموقع المضاد لمصالحها وآمالها التقليدية في ميزوبوتاميا، وكانت لدى كل من إنكلترا وفرنسا والسويد وروسيا الآخرين أسباب مماثلة، فإن ذهني لم تكن تتوافق مع أي منها، وإيطاليا فقط كانت مبتدئة لأنها تقترب من المسألة حديثاً، فبقائي لديها لمدة قصيرة كانت كافية لتتوصل إلى نتيجة أن أفضل سبيل هو التخلص مني، ففي الحقيقة إن أكبر المسؤولين الذين يستخدمون مصالحهم على نطاق العالم، رأوا أنني أشكل عبئاً عليهم من النواحي السياسية والاقتصادية وهذه هي قناعتهم العامة على الصعيد الدولي والوطني والطبقي، فلم يكونوا على استعداد لخلق " لينين " آخر. بينما فتحو الأبواب على مصارعها لأتحول إلى "عيسى" ثاني، أما الأتراك فقد كانت تتعاطف قناعتهم بأنني قد أكون أكبر عدو لهم عبر تاريخهم، وفي الحقيقة فإن الرجعية التقليدية والشوفينية قد حققت إمكانات مصالحهم من خلال شخصي، أما اليسار التركي فقد أثبت أنه بعيد عن الوصول إلى الديمقراطية والمساواة، أما المتواطئون الكرد في كل أجزاء كردستان فقد كانت ثقتهم تزداد بأن هناك هوة بيننا. وباختصار فإن جميع القوى الحاكمة في القمة، في الداخل والخارج للنظام القائم توحدت على هدف تصفيتي، وكانت تقوم معاً بكتابة فرمان موتي خطوة بخطوة حتى ولو بسبل خارجة عن الحقوق عن طريق مؤامرة. قد يندهش بعض الأصدقاء والرفاق، ولكنني سأعطيهم الجواب العام التالي: " لم يكن سيدنا عيسى قادراً على وضع الإستراتيجية والتكتيك " ثم قام رهبان يهودا الذين هم عملاء رسميون لروما بالعمل الوحيد الذي يسفر عن نتيجة، أي السير نحو القدس، ذلك العمل الذي يليق بالتاريخ، وبعدها تعرفت على مدى تشابه الأقدار على هذه الأرض، فقيام الشخص الواحد في المرحلة بالتمرد على العالم المهيم هو عمل أقرب إلى عمل الأنبياء، مما يعني أن للمراحل المتشابهة روح مشتركة وشخصية واحدة تتجدد في ظروف مختلفة وبأشكال مختلفة في اللحظات المتشابهة للتاريخ، فالظروف كانت تدفعني بسرعة نحو تلك النتيجة. لقد بدا واضحاً أن القرار سيكون الموت، وتنفيذه كان يتسبب في صدام كبير، لدرجة أن والي روما بيلاتوس PILATUS لم يكن يؤيد صلب سيدنا عيسى، ولكن الكهنة اليهود العملاء أرغموه على ذلك، فحتى جلجامش لم يكن مؤيداً لقتل حارس الغابة " هبابابا " ولكن العميل أنكيديو أرغمه على قتله.

كان واضحاً أن قرار الموت سيستخدم لأغراض سياسية، وإنني لا أقيم ذلك على أنه جزء من المؤامرة بالكامل حيث يمكن أن أستخدامه كعلامة مميزة لأجل وفاق ديمقراطي بفضل تزايد الناس أصحاب العقل الراجح بهدف حسن النية وخلق السلام، والقيام بتقييم هذا التقارب على أنه لعبة لا يمكن إلا أن يكون من عمل الأوساط التي تأمل في تحقيق مكاسب من المؤامرة، وهم سيظهرون على المسرح.

كما يجب عليّ أيضاً أن أبين بأنني لم أأخذ قرار الموت أو الحياة بعد، فالأمر الواضح جداً هو: إذا كنت قد تحولت إلى شخصية جماعية حقاً، فإن البطولة الفردية وتحدي الموت لا يمكن أن تدخل ضمن نطاق ممارستي، ولا يمكن أن ألجأ إليهما فوراً، وعندما أصدرت المحكمة قرار الموت لم يرق الحاكم "ت. أو كتي" بكسر قلمه للاستدلال على مناهضته لحكم الإعدام مرغماً، أما كيفية حدوث موتي فهو لغز حقاً، فقد تحول ذلك القرار إلى ورقة سياسية رابحة، والأخطار تقول إنني قادمة، فقد كان PKK والكرد يجرون استعداداتهم للتمرد الجديد بحسب نتائج قرار الإعدام، أما الأوساط الرجعية والشوفينية فقد كانت تستخدم تطبيق حكم الإعدام رهاناً لأجل الانتخابات، وتم استنفار مشاعر الثأر والانتقام لدى الطرفين، وكل القوى الخارجية تقوم بتقييم النتائج المحتملة للقرار المتخذ، كان واضحاً بالنسبة لي أنه يجب أن أتصرف بمنتهى المسؤولية وما يتجاوز قلقي الشخصي، وكان من الأصح أن استفيد من كل يوم أعيشه بما يواكب متطلبات السلام المشرف والوفاق الديمقراطي، وليس من الصحيح أن أبدي أهمية نحو المنافع الفردية، فذلك غير مقبول لا سياسياً ولا أخلاقياً، ولهذا الهدف لم أكن قادراً على توجيه رسائل إلى أوساطنا التي تنتظر مني إشارة حتى لا يفتح الطريق أمام نتائج خاطئة، كما لم أكن قادراً على تسيير PKK بتكتيكات بسيطة، فلا الإمكانيات كانت تسمح بإجراء مثل هذه الحسابات الضيقة، ولأصبح ذلك موقفاً خاطئاً.

مقابل الموت حاولت جعل موقف ما نستطيع تسميته "بموقف سقراط" أساساً لي: "حتى موتي يجب أن يكون ذا معنى، والوصول إلى المعنى الفلسفي، لماذا الموت؟.. وكيف الموت؟..". فإني أعيش إلى مدى لا أستطيع توقعه، ففي ظل قرار الموت الذي يترنح فوق مثل سيف ديموقليس، كنت أرى السمو الكبير للروح، وأواجه التطور الكبير للمعنى في خشوع متزايد، فقد أصبح هناك معنى لشكل الحياة التي لا يمكن احتمالها في الأحوال الاعتيادية لعدة أسابيع، فحتى لو كان مجرأً فإنه سيتصدع، وفي الحقيقة فإن الموت لم يستطع تحليلي، بل أنا الذي قمت بتحليله، ولم يستطع قرار الموت تحييدي، بل أنا الذي استطعت تحييد قرار الموت بملاحقه القبيحة المشؤومة، فالموت قد خرج من كونه موضوعاً جاداً بالنسبة لي، ولا يهم من أين وكيف يأتي، وسواءً أكان غداً أم في السنوات القادمة فهذا لم يعد مهماً، بل لقد وصلت إلى القوة التي تمكنني من قول: مرحباً، وأهلاً وسهلاً بالموت، ولكن القضية تكمن في كيفية توضيح هذه الحقيقة لشعوبنا، وأصدقائنا و PKK وللدولة، وقد حاولت القيام بذلك أيضاً بمقدار ما سمحت به الإمكانيات وسمحت به قوتي، وتم العمل الشامل لأجل العبور من فلسفة "مت، وأمت" إلى فلسفة "عش، وأحي" وإذا عملت الأطراف فإنها ستتمكن من المشاركة معاً في الانتصار وتحقيق السلام المشرف.

لقد كانت هذه تطورات إيجابية، وإفشال النوايا المشؤومة في المؤامرة، كانت تسيير بالأمر نحو تحقيق مقولة: "ربما تضمن كل شر خيراً" ولا شك أن قرار محكمة حقوق الإنسان الأوروبية الذي تم اتخاذه بموجب المادة الثانية المتعلقة بحق الحياة، والتناقض مع ذلك الحق من معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية التي جاءت نتيجة لخبرة البشرية الإيجابية الطويلة،

والذي وضعت المحكمة بموجبه ذلك القرار تحت التدقيق شكّل مساهمة في التطورات، وشرع ذلك القرار في الحقيقة أبواب الحظ أمام السياسية التركية التي كانت تمر في أزمة.

فبذلك تحولت محكمة حقوق الإنسان الأوروبية في حقيقتها إلى حكم بين الأطراف تدعوها إلى الانصياع للحقوق الكونية ومتطلباته. فبينما تدعو الكرد إلى التخلي عن التمرد، تدعو الدولة التركية إلى فتح أبوابها أمام الحل الحقوقي الديمقراطي لقضاياها، وكل هذه الحقائق تدل بوضوح على الخصائص التاريخية والسياسية الكامنة وراء قرار الموت، وأن القضية هي ليست قضية إرهابي واحد، والقرار المتعلق بدعواي وبعقوبة الموت تحوّل إلى عامل مؤثر في العلاقات بين أوروبا وتركيا، فإما أن تتجمد تلك العلاقات وإما أن تتطور، وحتى هذا الأمر يشير إلى الطريق الذي يؤدي بتركيا نحو الانضمام إلى مرحلة الحقوق الحضارية الديمقراطية، فإعدام الكردي وإبادته، ونفي وجوده، يعني إغلاق أهم الأبواب في وجهها، علماً بأن متطلبات العصر لم تعد تقبل بأن يرتضي الكرد لأنفسهم قرار الموت، وبالتالي يملكون كل أسباب التمرد والنهوض، وربما يتم التفكير في قرار صادر بالموت في المحكمة وبوعي في قضية أكثر جدية في التاريخ، ليتم تحويل الوضع إلى سبب لقرار الحياة والوصول إلى السلام والتحرر، وإذا فكرت الأطراف بعمق في هذا الموضوع فربما ينجحون في التوصل إلى نتيجة مثمرة خيرة من كل الشرور، ولن يتم الاكتفاء بإفشال نوايا الأطراف المظلمة في المؤامرة المشؤومة، بل يملكون الفرصة لإيصال آمال الأطراف الخيرة في ذلك الشر إلى النجاح، ويبدو أن قرار الموت الصادر من إيمرالي يصل إلى التوازن بقرار الحياة لأجل السلام الحر لأول مرة، وليتم تحديد كل شيء بالنضال المرتبط بالحقوق، وبالوفاق الديمقراطي والسلام.

إن قرار إعدام الشيخ سعيد ورفاقه أدى بالجمهورية إلى الاستبداد وإلى إنكار الوجود الكردي وسياسة الصهر والتذويب القسري في العلاقات الكردية التركية، فقد سحقت تماماً علاقات الشعبين اللذين خاضا التحرر الوطني معاً، وفقدت الجمهورية فرصتها في التحول الديمقراطي، مما أدى تسلسل تمردات آغري دير سيم، وفهم بعض المسؤولين وفي مقدمتهم مصطفى كمال أتاتورك وعصمت إينونو بأن القضايا لا يمكن أن تحل بهذه السبل، حيث كانت لسياسة الإنجليز الذين كانوا يمثلون القوة الإمبريالية العظمى في تلك المدة دوراً بارزاً في تلك الأحداث، تلك السياسة التي تقول "أهرب للأرنب، وأمسك به لكلب الصيد" حيث تلاعبت إنكلترا بالطرفين لأجل إنجاح سياستها في كركوك والموصل، وبعد خمسة وسبعين عاماً تسعى إنكلترا مرة أخرى إلى ممارسة السياسة نفسها لأجل إنجاح حساباتها المعقودة على العراق من خلال استخدام الكرد المسؤولين الأتراك، وفي المحكمة قمت بتذكير عام ١٩٢٥ مرة أخرى، وأكدت على أن السبيل السليم هو استنباط الدروس من التاريخ، ففي هذه المرة سيتحول قرار الموت الصادر على التمرد الكردي وعلي أنا إلى سلام مشرف وأخوة ذات مضمون يخيّم على الجمهورية، وبموجب ذلك قمت بدعوة الطرفين إلى القيام بمتطلبات ذلك، وبيان السلام والوفاق الديمقراطي الصادر في ١٦ آب ١٩٩٩ مازال سارياً حتى الآن، فالتاريخ قد فرض عليّ بنحو غريب ثنائية إما السلام وإما الحرب، وتجعله متعلقة بي، فقوة PKK أقوى وأكبر من أي وقت مضى وهو قادر على خوض حرب شاملة، وهذا يدل على إمكانية فقدان القرن الحادي والعشرين خلال حدوث أي امر.

الصعوبة بالنسبة لي، هي وجودي تحت التأثير العميق إلى هذه الدرجة لثنائية الحرب والسلام، واستنباط النتائج الإيجابية من هذه الثنائية تحت قرار الموت يحتاج إلى صبر كبير وقوة فهم كبيرة، ولكن رغم ذلك فإن قيام كل من PKK والدولة بوضع سياساتهما الأساسية بحسب قرار الموت يحمل في طياته أخطاراً كبيرة وجادة، ولهذا لا بد من فرض مفهوم

الدفاع المشروع عن الذات على PKK ودفعه إلى السلام، ودفع الدولة التركية والمجتمع التركي بالإقناع طبعاً إلى قوة فهم نوعية وكمية لفهم هذا الهدف، فلا يمكن لأي سلام أن يتحقق من موقف ضعيف، والسلام القوي الراسخ يتوقف على جدية القوى وتوقعها وقدرتها، فتحويل حرب لا غالب فيها ولا مغلوب إلى سلام، يحقق المكاسب للجميع، ويجب أن يكون هدف الجميع هو أن تدخل العلاقات بين الثنائي الكردي . التركي بالسلام إلى مسار الأخوة التاريخية والبحث عن ذلك في الوحدة والسلام المشرف، وتطبيق الديمقراطية كاملاً، وهذا الموقف في حقيقته هو من متطلبات روح "قواي ميللية" التي شكلت الجمهورية في أعوام ١٩٢٠، فقد كان الكرد القوة الإستراتيجية في ذلك النصر، وقيام الجمهورية بمنحهم المكانة التي يستحقونها هو من متطلبات طبيعة التأسيس، بل هو دين في عنقها.

عندما قامت أوروبا بالتصديق على تأسيس الجمهورية التركية في لوزان، يقوم عصمت إنيونو بنقاش المسألة الكردية وبقِيم الأوضاع على شكل "نحن الأتراك والكرد معاً " مما يدل على أنه للكرد أيضاً مطالب ثقافية في الأقل لا يمكن التنازل عنها، وبذلك تعود الجمهورية عن خطأ تاريخي، وإن معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية والتحولات الديمقراطية في تركيا، وقضايا الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي باتت متعلقة بقرار الموت الصادر بحقي، كما تعلق حرب كردية . تركية شاملة بهذا القرار، وكل التطورات السلبية أو الإيجابية باتت مرهونة بنتيجة هذا القرار، ومعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية التي تشكل الإطار الحقوقي الأساسي للاتحاد الأوروبي، يمكن أن تؤدي دور الحكم العادل في هذا الموضوع، فإن اجتناب جذور خطر الحرب من أساسها أمر مرهون بأداء هذا الدور بنجاح، وعلى الجمهورية التركية أن تتجاوب إيجابياً بمقتضى حقوقها المعاصر مع هذا الحل العادل.

لقد قام الكرد بخدمة الأتراك على الأغلب وعلى مدى التاريخ، ولا يمكن أن يكون ثمن ذلك هو إنكار الوجود والحرمان من كل حقوقه المعاصرة، والقيام بالتلويح بقرار الموت فوق رؤوسهم مثل سيف ديموقليس هو أمر غير ممكن على الإطلاق، بل يجب الالتزام بالعظمة وإثبات الأخوة من خلال القيام بمتطلباتها، فعلى PKK أن يقوم بإثبات قوته العسكرية والسياسية في سبيل جلب السلام، ويثبت أنه يشكل ضماناً سلمية لوحدة الدولة وتكامل الوطن في الوقت نفسه، ومهما بدأ ذلك متناقضاً، فعلينا ألا ننسى بأن كل وحدة تتكون من تركيبة تناقضات، وبات من الضروري القبول بأنه يجب إعادة بناء الجمهورية على أسس ديمقراطية في إطار السلام الكردي والوفاء الديمقراطي معهم، كما يجب رؤية أن القرن الحادي والعشرين لا يمكن كسبه إلا من خلال هذا الخيار.

إن حرب البقاء أو الموت التي استمرت على شخصيتي منذ أربعين سنة قد وصلت إلى مرحلتها الأخيرة، ووصولها هذه المرحلة التي تموت فيها كل القوى الوطنية . الدولية إلى نتائج إيجابية حقاً لأجل وطن قوي وتكامل ديمقراطي للدولة، مرهون بقرار تتخذه كل القوى المعنية في المجتمع والسياسة والدولة في موضوع السلام والديمقراطية التامة، أما خياره فهو السلام والديمقراطية، ولكن إذا تمادت قوى الشر وبقيت مصرة على الاعتداء وفرض التفسخ، فإن نهاية هذا الأمر ستؤدي إلى حرب شريفة، وهذا لا غبار عليه.

ج . البطش السياسي في مرحلة إيمرلي: رغم أنني أرى أن محاكمة إيمرلي تتناقض مع الحقوق، فإنني أرى من المفيد

تقدم المعلومات وتقييماتي حول الموضوع، إنني أنضم إلى إدعاء المحامين بأنه تم خرق المواد : ٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٣، ١٤ من معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، والمرافعات الشاملة التي تقدموا بها في هذا الموضوع تتناسب مع تقنية الحقوق بالإضافة إلى أنها غنية في المضمون، وهذا ما يجعلها سارية من جانبي أيضاً، وأنا سأعمل على توضيح الجوانب التي تمثل التناقض مع الجوهر، فرغم أنني مازلت معتقلاً، فإن هذا الوضع الخاص بي في تركيا واعتقالي لوحدي في جزيرة يشكل وضعاً ثقيلاً جداً، وبسبب الاعتراض على ظروف طراز "F" من السجون في تركيا، سقط أكثر من خمسين شخصاً من المعتقلين شهيداً بسبب الصيام حتى الموت أو القمع الذي تعرضوا له، بينما الظروف التي أقيم فيها تتجاوز بكثير ظروف السجون من طراز "F" ولا توجد مادة واحدة في النظام الداخلي للسجون تنص على هذه الممارسات، فإنني أواجه معاملة سجين أو معتقل خاص أو كفي، ولا أحد يشهد كيفية حياتي هنا، فهناك من حولي قوات أمن خاصة على مدى أربعة وعشرين ساعة بحيث لا يقل عددهم عن العشرين في كل مرة، بالإضافة إلى المراقبة عن الطريق الكاميرات وبالعين المجردة باستمرار، أما ثقل هذه الممارسة النفسية وتأثيراتها فلا يمكن وصفها إلا من خلال تقرير تقوم بإعداده لجنة متابعة التعذيب التي هي مؤسسة لها صلة قرى مع محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، فأني تغيير في الطقس مهما كان صغيراً يتسبب في إرجاء اللقاءات الأسبوعية مع المحامين إلى أسبوعين أو ثلاثة أسابيع ولمدة ساعة فقط، واللقاء مع أخي الوحيد أو أخواني الاثنين لا يتم إلا مرة واحدة كل عدة شهور، ونظراً لبعد المسافة وتكاليف السفر والفقر يصعب اللقاء بنحو آخر، ولدي مرض الحساسية الذي يتفاقم كثيراً في الظروف الموجودة، فمناخ البحر يتسبب فيما يشبه الاحتناق لدي، وفي الآونة الأخيرة أضطر إلى البصق كل دقيقة بسبب السائل الذي يملأ البلعوم، وكأن مناعة جسمي وصلت إلى مرحلتها الأخيرة، أما الطعام فهو من طراز القروانة، ولا يمكن أن أقوم بتأمين حاجيات خاصة لأجل صحي، ورغم ذلك فإنني أسعى إلى مواصلة علاقتي مع قيادة الجزيرة وإدارة السجن ضمن المعايير المدنية، فمشكلتي لا تنبع منهم، بل من الوضع المفروض عليّ الذي يشكل وسيلة ضغط كبيرة على النفسية.

ورغم إنني لا أبالي كثيراً بهذه الأمور، إلا أنني أريد التطرق أساساً إلى نظام "البطش السياسي" فالعالم كله قد شهد كيفية تحويل الشرائح التي ترتدي الملابس المدنية إلى بث أجواء البطش السياسي من طرف وسائل الإعلام في مرحلة المحاكمة، لدرجة أن أي نقد صغير في قاعة المحاكمة كان يتحول إلى محاولات للبطش، فلولاء التدابير الخاصة للجيش كان من الواضح أنه يمكن حدوث كل أشكال الجنون، فموقف الإرهاب الذي مارسه وسائل الإعلام في الخارج كانت تستهدف إلى تخويف الشعب الكردي وثنيه عن التمسك بقضيته، ويريدون فرض الندم علينا لولادتنا، مما أدى إلى أن يقوم المثات من الأصدقاء والوطنيين إلى إضرام النار بأنفسهم، فقد كانوا يريدون تحطيم آمال الجماهير وهؤلاء الناس بالدعاية على شكل أنه سيجري إعدامي مطلقاً، ويريدون إظهارني بأني إنسان بسيط جداً لأجل إسقاطي من عيون الشعب بحرص شديد، ويريدون فرض التفسخ على نقاط المقاومة بتعليقات ورسوم كاريكاتورية عجيبة، ويقمعون أي تعاطف صغير بمنتهى العنف المتطرف، والهدف الأساس من نظام القمع الذي جرى ممارسته، هو القضاء على الوعي السياسي لدى الجماهير الوطنية، وإظهار أن هذه القضية ليست قضيتهم، فأني أغنية لصالح، أو أي قراءة شعرية كان كافياً للتعرض للبطش لدى المجتمع، فالفنان أحمد كايا الذي تجرأ على النطق بوضع كلمات لصالح بنحو غير مباشر وعن السلام، تعرض للبطش السياسي ولم يعد قادراً على البقاء في تركيا، وتم الإعلان عنه خائناً، ولم يستطع احتمال هذه المعاناة والآلام وسقط شهيداً في أوروبا بعد مدة قصيرة.

وقد تم تجاوز تلك الأجواء الشوفينية جزئياً بفضل تصميمنا الكبير على جهودنا للسلام والوفاق الديمقراطي، فالجتمتع بدأ يرى تناقضاته بشكل أقرب إلى الواقعية، وتعرف على الكسب غير المشروع الذي يتحقق باقتصاد الحرب الخاصة والسمسرة، وأستوعب أن بنية سياسة السمسرة هي الأسباب الحقيقية للأزمة المتفاقمة، ومن الجهة الأخرى كانت الدوائر المسؤولة في الدولة ترفع تقاريرها باستمرار وتفيد بأن الدولة لن تستطيع إنقاذ نفسها ببنيتها المعتمدة على الإنكار والإبادة التقليدية من القضايا التي تواجهها ولا مفر من إعادة البناء الديمقراطي، وبضرورة إجراء الإصلاحات في هذا الاتجاه بسرعة. أما PKK فقد فهم عدم إمكانية تجاوز الانسداد القائم إيديولوجياً وعملياً، ولا يمكن التوصل إلى الحلول من خلال المواقف القديمة، ولذلك توجه نحو إجراء إعادة بناء على نطاق واسع في ذاته.

كل الشرائح الاجتماعية بدأت تدرك بعمق ولادة وضع جديد والآلام الناجمة من هذا الوضع، فالوضع على صعيد القضية الكردية لا يعني السلام ولا الحرب، بل نوع من التخلي عن الحرب حول محور وقف إطلاق النار الذي تم إعلانه، وأخذت الأطراف تفكر بنحو عميق، وتحاول حسم الإنكار والممارسات التي يجب التوصل إليها، لتقوم بوضع سياساتها على هذا الأساس وتقوم بإجراء إعادة البناء، فكل المجتمع في تركيا دخل هذا المسار، وكل شريحة بدأت بإعادة النظر في ذاتها تاريخياً وحتى اليوم والمستقبل وبجوانب متعددة، وتقوم بتفسير أوضاع العالم والوطن على ضوء الظروف الداخلية والخارجية بنحو أكثر واقعية، وتعمل لأجل وضع برامج وتصورات جديدة، وتطالب بتحديد الحياة السياسية بأغلبية ساحقة، ولكن كل هذه التطورات الإيجابية لا تضمن تحقيق الحلول، بل تؤكد على أن الحياة القديمة لم تعد ممكنة، أما كيفية وجوب الحياة فهو أمر مرهون بالمعاهدة الاجتماعية التي تتضمن كل الهويات والمعتقدات والاختلافات الفكرية والجنسية وفي مقدمتها الكرد، ووضع هذه المعاهدة، وهذا الأمر يحتاج إلى دستور جديد، وقوانين جديدة.

إن مسألة السلام والحرب في تركيا لها أبعاد تتجاوز القضية الكردية، فالماضي التاريخي الطويل والتناقضات الاجتماعية والدينية والأثنية التي شوهت في الثلاثين سنة الماضية أظهرت هذه الحقيقة، ولم تنجح محاولات الإيديولوجية الرسمية للجمهورية وإدارتها الأوليغارشية في فرض غطاء ذو اللون الواحد عنوة على المجتمع، فالتناقضات والصراع أدى إلى تمزق هذا الغطاء، والمطلوب هو الوصول إلى نظام دستوري يقبل بتنوع الألوان وتعدد الثقافات ويعده غنى، بينما رغبات ومطالب المجتمع أخذت في الازدياد والتكاثف في هذا الاتجاه، فتركيا عام ٢٠٠٠ ترغم الجمهورية على التشكل من جديد على أسس الديمقراطية والعلمانية في الجوهر، فهناك حاجة إلى إجراء تحول جذري بمقدار أعوام ١٩٢٠ في الأقل.

إن مرحلة الحياة والموت بالنسبة لي في إيمرالي أبرزت بصورة واضحة الحاجة الملحة إلى هذا التحول، بالإضافة إلى الابتداء بوضع وتحديد السبل والأساليب وكيفية الوصول إلى الحل، ولا شك أن الارتباط الوثيق لـ PKK والأغلبية الساحقة للشعب الكردي بقيادته، أدى دوراً بارزاً في ذلك، فلأول مرة في التاريخ يصمد الكرد ولا يتعرضون للتشتت أمام مؤامرة متطورة لها جذورها الداخلية والخارجية، بل على العكس يتكاتفون بنحو غير اعتيادي ليعبروا عن طرحتهم الخاص بالسلام والوفاق الديمقراطي، وربما قوة هذا التصرف ومصادقته يلقي بتأثيره على الدولة وكل المجتمع، وبيعت فيهم الجرأة على إلقاء خطوات نحو السلام ووضع معاهدة اجتماعية جديدة، وتلك المعاهدة الاجتماعية التي تضم الكرد أيضاً ستكون النمط الوحيد الذي يحافظ على تكامل الوطن ووحدة الدولة، ونقاشها يجري على أعلى المستويات، والأغلبية تنظر إلى ذلك كموقف إيجابي وما نراه اليوم ما هو سوى آلام المخاض لولادة جديدة، ولكن كل ذلك لا يعني أن الأمور

تسير على الطريق السليم، فالقوى المحلية الرجعية والشوفينية ومخلفات السياسات القديمة وأصحاب الوضع البيروقراطي، مازالوا يشكلون قوة قادرة على خلق انفجارات جديدة لأجل العرقلة، وأخطار الانفجار الاجتماعي مازالت قائمة ولم يتم التخلص منها بالكامل.

انطلاقاً من هذه الحقيقة فإن مرحلة حياتي في إيمرلي وفيما يتعلق بموقع الدفاع المشروع عن الذات تلقي بأعباء متعددة الجوانب على عاتق كل الأوساط المعنية بالأمر وأنا في مقدمتهم، وحتى تتمكن هذه المهام من الوصول إلى سلام إيجابي وإلى الديمقراطية الكاملة، يجب على القوى المسلحة في PKK أن تتمتع بمزيد من القوة النوعية والكمية بالضرورة، وهذا لا يستهدف القوى الرافضة للسلام في تركيا فقط، بل لأجل إشغال الاعتداءات الرجعية القوية بين الكرد وعلى صعيد الشرق الأوسط، وإذا لم يتحقق ذلك فإن السلام والديمقراطية الكاملة لا يتجاوزان أن يكونا خيالاً.

الأمر المهم الثاني هو تجاوز البنية التقليدية للمجتمع الكردي، والقيام بتحقيق ظاهرة المجتمع المدني بحيث تضم تنظيمات المجتمع المدني الأغلبية الساحقة للمجتمع أفقياً وعمودياً، والتجاوب الشعبي للمرحلة التي أحيها في إيمرلي هو تأسيس مجتمع ضمن هذا الإطار، أما الحل بالنسبة للشعب التركي الشقيق والمجموعات الثقافية الأخرى فهو أن تقوم بتأسيس مجتمعاتها المدنية، واحد أهم المشاريع في تركيا هو تطوير المجتمع المدني وهو موضوع لا يقبل النقاش، فبدون تأسيس المجتمع المدني فإن القيام بإعادة البناء والتجديد بأوامر الدولة التقليدية يصبح خيالاً وخداعاً للذات، والذين يجب عليهم الدفاع عن هذا المشروع بنحو خاص هم اليساريون والديمقراطيون الاجتماعيون الذين يجب عليهم تجاوز بنيتهم المحافظة القديمة ليأخذوا مكانهم ضمن الطرف الذي يستند إلى تحالف المجتمع المدني، ليقوموا بأداء دورهم الطبيعي لأجل الحل لما لذلك من أهمية مصيرية، فإذا كان هناك احترام وتقدير لكل المعاناة والآلام ولذكرى الشهداء فعليهم القيام بمهامهم هذه بنجاح والدفاع عن هذا توجهه، وإلا فإنهم سيتكون السياسة وقيادة السلطة بأيديهم للقطاعات اليمينية التي لا تتوافر لديها المصادقية ولا تؤمن بالديمقراطية والسلام، وعدم التزامها بالمبادئ بات أمراً معروفاً.

إنني أخوض حرب الحياة أو الموت في إيمرلي، وإدرك وأعي تماماً مسؤولياتي، وأقوم بما يتطلبه ذلك بكل إيمان وعزيمة، وعلى جميع الأشخاص والمؤسسات المعنية بالأمر أن يحلوا ما تعنيه هذه الحياة بالنسبة لشعبنا بنحو جيد وعميق، لأن ذلك يتضمن معنى أكثر مصيرياً بالنسبة إليهم، فحل السلام المشرف والديمقراطية التامة هو خيارنا جميعاً ويمثل مركز الثقل لأنشطتنا، ولكن قوى الشر والعصابات يمكن أن تدخل في مرحلة البدء بقتلي ومن ثم لتشمل كل أبناء الشعب التركي وعلى رأسهم الكرد وقتل عشرات الآلاف منهم، وهذه الحقيقة يجب ألا تغيب عن الأذهان ولا للحظة واحدة، فذلك يمثل الهدف الأساس للقوى الداخلية والخارجية التي قامت بالإعداد للمؤامرة، ومن المحتمل أن تتوجه إلى مثل هذه الإبادة في الوقت والمكان الذي تراه مناسباً، ويجب أن لا ننسى هذه الحقيقة لحظة واحدة، وأن نتخذ التدابير الدفاعية وكأن ذلك سيحدث غداً، ولا يمكن النجاح في الوصول إلى السلام المشرف من دون ذلك والا فلا بد من بدء الحرب التحريرية الشريفة على هذا الأساس .

وعلى الاتحاد الأوروبي الذي يمثل معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، ومحكمة حقوق الإنسان الأوروبية وقوتها التي تحدد الحل الحقوقي الديمقراطي، أن يتخليا عن الذهنية الاستعمارية التقليدية وسياساتها للمساهمة في المسار الذي تسير نحوه تركيا بشكل إيجابي، ويتخذ القرار العادل اللازم لأجل السلام والوفاق الديمقراطي وبما يليق بالتاريخ، وأعرب عن كبير

أملّي في ذلك مرة أخرى.

د. الحل الودي ضمن معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، والبحث عن الحوار، والمهمة الملقة على عاتق المجلس الأوروبي: إن إحدى سبل الحل التي تطرحها محكمة حقوق الإنسان الأوروبية هي الحل الودي بين المدعي والمدعى عليه، والمقصود بذلك هو محاولة إزالة التناقض القائم بين الطرفين عن طريق الحوار المتبادل للتوصل إلى نقاط الوفاق وتقديم التنازلات اللازمة بنحو مشترك أو اتخاذ قرار مشترك حول ذلك.

ولو كانت الظروف السياسية مناسبة لذلك، ومؤسستها التي تتخذ القرار مستعدة لهذا الأمر، لثم اختيار ذلك الخيار للحل بالحوار المتبادل حول الجوانب المتناقضة مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية في القضايا المتعلقة بتركيا قبل اتخاذ محكمة حقوق الإنسان الأوروبية قرارها المتعلق بي، فأنا شخصياً أرى نفسياً مستعداً وطموحاً إلى هذا النمط من الحل، علماً بأنني عبرت عن تصميمي على مثل هذا المسار منذ عام ١٩٩٣ وفي عهد السيد تورغوت أوزال عندما كان رئيساً للجمهورية وبعد ذلك حدثت بعض الحوارات بطرق غير مباشرة، والدولة أثبتت بأنها ليست منغلقة أمام هذه التوجهات تماماً، ولكن بعض التطورات السلبية التي حدثت من طرف القوى التي لا ترغب بالحل وتمسك بالعنف حتى النهاية استطاعت إفشال تلك الخطوات، ورغم ذلك وأخيراً في بدايات أيلول عام ١٩٩٨، وبالإعلان عن وقف إطلاق النار من جانب واحد، استهدفنا إعداد الأرضية لمثل هذه الخطوات في هذا الاتجاه، وكذلك بعد السياسات القمعية التي جرت ابتداء من ٩ تشرين الأول ١٩٩٨ فضلت التوجه نحو أوروبا وليس التوجه نحو الجبال، كان بسبب البحث عن إيجاد سبل الحوار، وكذلك كانت مرحلة الاستجواب تسيطر عليها نفس الأجواء، فبدلاً من استجواب تقليدي، قمت بالتأكيد دائماً على وجوب البحث عن سبل الحوار والتأكيد على أن ذلك هو المخرج الوحيد الصحيح لحل القضية، وبعد ذلك قمت بتوجيه رسائل شاملة تتضمن موافقي اللازمة نحو هذا التوجه إلى الدوائر المعنية في الدولة وإلى المسؤولين في PKK، أما المرافعة التي قمت بإعدادها إلى المحكمة في إيمرلي، فقد كانت بمثابة رسالة لأجل البحث عن الحوار والسلام والوفاق الديمقراطي، ومرافعتي تلك كان لها تأثير بالغ مهم لتوجيه الأجواء نحو البحث عن السلام والحل الديمقراطي، والبحث عن السبل المؤدية لذلك، وأتمنى أن تقوم محكمة حقوق الإنسان الأوروبية بالتدقيق في تلك الوثيقة على أنها مرافعة ملحققة.

كما أن مرافعتي هذه التي أقدم بها إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية تستهدف بنحو شامل إنارة الطريق أمام الحوار على أساس الحقوق الديمقراطي، وعند تدقيقها يمكن رؤية أن البحث عن حلول تتناسب مع روح معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية هو أفضل السبل لكل الأطراف، وبناءً عليه فعندما تقوم المحكمة الموقرة بطرح اقتراح الحل الودي أتمنى أن تقوم بتدقيق شامل في مرافعتي لما فيها من أهمية.

كما تقوم تركيا بإجراء بعض التعديلات في دستورها من خلال البرلمان، وهذه الاستعدادات تأتي في مضمير التطابق مع معايير كونهن كنز لأجل الانضمام إلى عضوية الاتحاد الأوروبي، فإذا كانت التعديلات الدستورية مطابقة مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية عندها تتولد إمكانات الحل الودي، أما إذا بقيت بعض الأحزاب الشوفينية والرجعية مصرة على عقوبة الموت، وكانت مواقفهم إلى جانب استمرار الحظر على اللغة الكردية وحرية التعبير، فقد تفشل الخطوات التي تستهدف هذا التوجه، ولكن رغم ذلك فإن من مهام الأطراف المسؤولة القيام بالافادة من أية إمكانية

تظهر.

ومن جهة أخرى فإن تصميم PKK واستعداداته لأجل نظام الدفاع المشروع فيما وراء الحدود يستهدف على الأغلب إعداد الأجواء لكي تتناسب مع الحوار، والدوائر المعنية في الدولة هي الطرف الذي يقع على عاتقه إلقاء الخطوة التالية، واقترحنا هو أن تشجع الدولة بذاتها وتقدم على خطوة على هذا الطريق الشريف كثيراً، والحقيقة هي أن كل الظروف الداخلية والخارجية من حول الأطراف تجعل من مثل هذه الخطوات ضرورة تاريخية، كما يجب على محكمة حقوق الإنسان الأوروبية ونظراً لأهمية هذا الموضوع أن تبذل جهوداً خاصة في البحث عن الحوار بمهدف الحل الودي، وتقوم بتوجيه نداء إلى الأطراف المعنية، فإذا نجحت في ذلك تكون قد قامت بمهمة ذات مضمون تاريخي، وأود الإعراب عن حسن نيتي نحو كل الأمور التي تقترحها أو تتخذها المحكمة الموقرة في هذا الموضوع، وأعرب عن أمني الكبير في ذلك.

هنا أريد توضيح بعض أفكارتي واقتراحي باقتضاب فيما يتعلق بالمجلس الأوروبي الذي يمثل القوة التنفيذية للقرارات الصادرة من محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، ومسؤول عن مراقبة وتنفيذ أحكام معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، وتركيا هي العضو المؤسس وعضويتها مستمرة منذ خمسين سنة تقريباً، وبينما نرى أن كلاً من آذربيجان وأرمينيا اللتان هما آخر من تنضم إلى هذا المجلس، قد أنجزتا التغييرات المطلوبة في قوانينهما، في حين نجد تركيا لا تقوم بالتغييرات المطلوبة في كثير من قوانينها للتطبيق مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، وتقوم بتأجيل الكثير من التعديلات القانونية والدستورية بما يتوافق مع متطلبات القرارات الصادرة عن محكمة حقوق الإنسان الأوروبية التي تقيّد الحقوق الداخلي أيضاً، ولا شك في أن المجلس قام بتحذير تركيا في هذا الموضوع مرات عديدة، والآن بات بحاجة إلى اتخاذ تدابير تتجاوز التحذير، فإذا لم يتخذ المجلس مثل هذه التدابير فهو يقوم بخرق حقوقه، فكأن أحد أعضائه يتصرف بالتنازلات، وهذا الوضع يؤثر على تركيا بنحو سلبي، إذ يعوق تطورها نحو دولة الحقوق الديمقراطية، فهذه الماطلة التي تتبع من القضية الكردية والعلمانية بنحو خاص باتت غير مقبولة نظراً للضرر الذي تلحقها بالثقة التي يتم الشعور بها نحو الحقوق، لما لهذه الثقة من أهمية بالغة.

على تركيا أن تقوم بتعديل قوانينها المتعلقة بحظر حرية الفكر والتعبير وفي مقدمتها عقوبة الإعدام والقوانين الأخرى بما يتناسب مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، والدعوى المتعلقة بي أصبحت تؤدي دور المفتاح في هذه المواضع، بل يتم استخدامها كوسيلة للاستغلال تماماً، فعقوبة الموت الصادرة بحقي لا تستخدم داخلياً فقط، بل أصبحت مع الأسف وسيلة للابتزاز على صعيد الاتحاد الأوروبي والانضمام إليه، وهذا الوضع لا يهمني فحسب، بل يهمني المطالب العادلة للشعب الكردي ويجعلها موضوعاً للمساومة، بينما الاتحاد الأوروبي ومؤسساته التي لها قيم راسخة لا تتبدل، لدرجة أنه لا يمكن نقاشها حتى لو ضمنيّاً، لا يمكن أن تكون موضوعاً للتنازل، وأنا أحرص أشد الحرص على موضوع نقاش الحقوق المشروعة والقانونية لي وللشعب الكردي مع تركيا باستمرار، وهذا يعني جعل هذه الحقوق موضوعاً للمساومة، وأحب أن أوضح بأن ذلك تصرف خاطئ وظالم إلى أبعد الحدود، وأحب أن أوضح بأنه يجب على المجلس الأوروبي أن يقوم بتوجيه نداء إلى تركيا التي هي عضو مؤسس للمجلس ليطالبها بالالتزام والتطبيق مع معاييرها والقيام بمتطلباتها بنحو عاجل، وأخذ الضمانات اللازمة لذلك.

بالإضافة إلى أن علاقة المجلس الأوروبي القوية مع تركيا تمكنه من أن يؤدي دوراً بارزاً في دفع تركيا نحو الحوار

السياسي حول القضية الكردية، كما يمكن دفعها إلى الالتزام بالقرارات الصادرة من محكمة حقوق الإنسان الأوروبية لكي تتطور تركيا إلى دولة الحقوق العلمانية، وبالإفادة من الالتزام القوي لـ PKK بحق الدفاع المشروع عن الذات على كل الأصعدة، ووقف إطلاق النار الذي يلتزم به بمنح فرصة مناسبة للمجلس الأوروبي لأن يدفع تركيا إلى التجاوب مع مساعيها لأجل الحوار، ويبدل الجهود ويبدى الاهتمام مثلما أبداه نحو كوسوفو ومقدونيا في الأقل، ويقوم بدعم هذه الجهود لما لذلك من أهمية بالغة، فالكرد وكل تركيا تحتاج إلى مثل هذه المساندة، وعلى ضوء النتائج المحتملة لدعواي أريد توضيح رغبتني الضرورية هذه، وأملني وثقتي كبيرة بأن المجلس الأوروبي سيبدل جهوده الثمينة للمساندة.

وبالنتيجة فإنني أكون قد أكملت مرافعتي التي قمت بإعدادها لأجل محكمة حقوق الإنسان الأوروبية بهذا الشكل، وأنا واثق من أنه سيجري تقييمها مع مرافعتي المقدمة إلى إيمرالي، كما أطلب بالتدقيق في كثير من الأحداث والأشخاص الذين أدليت بمعلومات عنهم، وكذلك الوثائق المقدمة على أنها شهود، وأكرر مرة أخرى استعدادي لتقلد مرافعة كتابية وشفوية كملحق إذا تطلب الأمر ذلك، وأود الإعراب عن ثقتي الكبيرة في أن محكمة حقوق الإنسان الأوروبية ستصدر قرارها الصحيح العادل الذي يليق بالتاريخ حول المواضيع الواردة في مرافعتي وبشأن شعبنا وPKK وشخصي، ولأجل الإنسانية التقدمية وتركيا، وتقبلوا فائق احترمي.

الفصل التاسع

هوية آبو: من القبيلة نحو التحول إلى شعب

إن رسم تصور لهوية " عبد الله أوج آلان "، كشخص عاش هذه الظاهرة بصورة أكثف، هو واجب ملقى على عاتقي، فمثل هذه الصورة ستشكل مادة للتاريخ وعلم الاجتماع، وعلم الإنسان والفنون، ويشكل وثيقة مهمة تملأ الفراغ الموجود في هذا المضممار، بالإضافة إلى كونه مؤسسة نظرية وعلمية ولها تأثير على أوساط واسعة جداً وعلى تطورات كبيرة في المجتمع، فإن تعريف هذه الظاهرة بنحو صحيح أمر مهم جداً، وستفيد كثيراً فيما كتب وسيكتب عنه، وفيما قيل وسيقال، فإن تقييم كل ذلك على ضوء الحقائق هو أمر مهم، ولا شك أن هناك حاجة بوجوب تناول الموضوع بأبعاده العلمية والأدبية، حيث تزداد أهمية ذلك مع مرور كل يوم، لأن تكاثف التاريخ وشعب في شخص واحد إلى هذه الدرجة هو أمر نادر، كما أن قيام الفرد وحيداً بمسيرة ويعجن التاريخ والشعب ومزجه وتسييره إلى هذه الدرجة أمر يندر حدوثه، ومع مرور كل يوم يتضح أن هناك جوانب تتطلب مزيداً من التنوير، كذلك هناك الأسئلة التي تطرح نفسها من خلال الأصدقاء والرفاق بالإضافة إلى أفكار المعارضين، وبالإضافة إلى التغيرات المطلوبة لأجل التغيرات التي تحدث في حياتهم، ولأجل القيام بتعريف سليم للهوية، كل هذه الأمور تجعل من ذلك أمراً حيوياً ومهماً. والأهم من ذلك فإن التعريف الخاطئ يفتح المجال أمام مآسي جديدة لتضيفها إلى الكبيرة القائمة سابقاً وذلك خطر كبير يجب الحيلولة دونه، ثم هناك أوساط واسعة تكونت لأجل استغلال هذا الموضوع، وعدم وضع التعريف الصحيح يدخل في خدمة مصلحة أولئك ويجعلهم قادرين على مواصلة استغلالهم بكل راحة. وهناك أسباب أخرى كثيرة تضيف مزيداً من الحيوية على المرافعة المقدمة إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، وهذا يتطلب الكتابة عن الهوية، ليعكس معنى بقاء حطام من الشرق الأوسط أمام الحضارة الأوروبية، وهذا أمر يدفع إلى التفكير العميق أيضاً.

١. الميلاد الطبيعي، وتشتت الثقافة القبلية، والدخول إلى غابة الحضارة:

من الثوابت العلمية أن البيئة الطبيعية والتطور التاريخي يؤديان دوراً بارزاً في تكوين شخصية الإنسان الفرد، ويمكن القيام بإعطاء بعض المعلومات على مستوى التعريف حول البيئة والإطار التاريخي، فالبيئة التي ولدت فيها هي المنطقة التي تلقي فيها جبال طوروس الوسطى مع سهل ميزوبوتاميا من الناحية الغربية، هي هضبة فيها مرتفعات صغيرة تتسللها أودية كثيرة، في قرية أسمها " عمري " أو عمارة التي تبعد خمسة كيلومترات عن القوس الشديد الذي يشكله نهر الفرات عند انحداره من الشمال إلى الجنوب، في هذه المنطقة ولدت ونشأت، أما المناخ السائد فهو مناخ البحر الأبيض البعيد بعض الشيء، وهي منطقة تقع في وسط ما يسمى في التاريخ بالهلال الخصيب ومناسبة لحياة وثقافة كل النباتات والحيوانات، ومن معالمها وخصائصها المعاشة يبدو واضحاً أنها كانت إحدى المناطق الأساسية التي تطورت فيها الحضارة النبوليتية والمجتمع النبوليتي، والخصائص الإقطاعية فيما بعد، والخصائص الرأسمالية التي تصاعدت بالقرب من المنطقة لم تلق بتأثيرها الكبير على المنطقة التي ولدت فيها، تلك القرية التي كانت تضم مجتمعاً قروياً نيوليتياً راسخاً، هو وضع جدير

كما يبدو واضحاً أن هذه المنطقة تأتي في مقدمة المناطق التي شهدت أولى جهود السومريين الاستيطانية، ففي الجنوب تقع "فارقاميش" التي تعد من المستوطنات السومرية الأساسية، وفي شرقها أورفا . بيراجيك، وفي الشمال سمساط، وفي غربها منطقة بيرى، والقرية تقع في وسط كل هذه المدن وفي مركز ملكية "كوما غانا". والأمر المؤكد أنها تعرّفت على التاريخ في أعوام ٢٠٠٠ ق.م، وهناك احتمال كبير لأن تكون قد عاشت مع ميلاد المجتمع النيوليتي السابق الذي يمتد عمره خمسة عشر ألف سنة وحتى يومنا هذا، وقد شهدت وعاشت حضارات وعصور الآشوريين والميديين والبرسيين والساسانيين والهلينيين وكوماغاراً وروما، والعربية الإسلامية وأخيراً العثمانية التركية.

ثمّة خصوصية أخرى مهمة لتاريخ المنطقة، هي أنها تشكل بوابة العبور للمجتمعات الأتنية والأقوام المختلفة، فليس هناك مجتمع أثني واحد أو قوم واحد من حيث النقاء، وآثار خليط اجتماعي بما يشبه الموزاييك مازالت واضحة فيها، ومعطيات علم الآثار وعلم الأعراق والتاريخ تدل على أن أول من سكن المنطقة هم الهوريون المنحدرون من أصول آرية، فالبنية اللغوية القائمة في الكردية وتشابهها مع البنية اللغوية لدى الهوريين تؤكد هذه الحقيقة أيضاً، والمعلوم أن السومريين أطلقوا أسم الهوريين على الشعب الذي كان يقطن في المناطق الجبلية والتلال الواقعة على شواطئهم وكذلك يرى أن السومريين أسموهم بـ"الشعب الجبلي"، وأسموا الشعب القاطن هناك بـ"كورتى" KURTI، لأن "KUR" تعني جبل و"TI" تعني الانتماء، مما يعني أن التسمية هي "جبلي"، أما جنوب المنطقة فقد شهدت التسرب المتكرر لمجتمع أثني آخر ينحدر من أصل سامي وهم "العموريون"، وربما جاء أسم "عمار" من هذه التقاليد الثقافية لهم، وهذه المجتمعات التي تقطن الجنوب أغتذت على العرب، حيث انتقل إليها الإسلام في ظل قيادة" سعد بن أبي وقاص" فمازالت الأسماء العربية الإسلامية تطلق على كثير من الناس والقرى. والصراع التقليدي بين الهوريين والعموريين في المنطقة يمتد إلى التاريخ القديم كما يبدو، والآثار المتبقية من السومريين ما زالت قائمة في المنطقة، فهناك ألواح مدونة كثيرة تؤكد ذلك.

كما تعرّفت المنطقة على الأثنيات الأخرى أيضاً مثل اللوريين والأرمن، فعلى مدى عصور التذويب والصهر التي ابتدأت بالإغريق في أعوام ١٠٠٠ ق.م وتواصلت حتى ١٠٠٠ م، كان اللوريون يشكلون تجمعاً أثنياً مهماً، فكلية "GOND" التي تعني "القرية" هي كلمة لورية، وتعني "الثلة" فبينما يسمى السومريون مثل هذه المناطق السكنية بـ"UR"، كان اللوريون يسمونها بـ"GOND"، وهؤلاء أقدم شعوب الأناضول وسكنوا في الجنوب والجنوب الشرقي من الأناضول دائماً، بينما ثقافتهم ولغتهم فهي ذو جذور آرية.

فمن الآثار المتبقية التي تدل على أن الأرمن أيضاً هم من بين الشعوب التي سكنت المنطقة قديماً، هي القرية المجاورة لنا والتي ترددت عليها يوماً على مدى خمس سنوات لوجود المدرسة فيها وأسمها "جبين، سايلاك كايا"، كانت قرية أرمنية حتى سنوات تأسيس الجمهورية، أما مديرية المنطقة التي كنا تابعين لها فهي خلفتي "RUMKALE" وأسمها مشتق من شعب ينشغل بالتعدين ويسمى "HAL PAU" كاحتمال كبير، وهذا الشعب ينحدر من أجدادهم الأرمن كاحتمال كبير (نظراً لعرفتي أن أبناء هؤلاء ينشغلون بالتعدين منذ سن الطفولة، وقد رأيت ذلك بنفسني حيث أن الأرمن ينشغلون بالتعدين على الأغلب لدينا)، فالتعدين أمر يختص به الأرمن في المنطقة، كما يُرى حدوث نزوح تركماني إلى المنطقة اعتباراً من القرن الثاني الميلادي، فنظراً لوجود هيمنة كردية ساحقة في الشرق فقد جاء التركمان إلى مناطق غرب

الفرات وحاولوا التسرب إلى الشرق، وعلى ضوء الحقائق إذ قمْتُ برسم خريطة أثنىة لقريتنا والمنطقة المحيطة بها، فستبقى "عمار" أو "عمري" قرية كردية الوسط وفي غربها تقع قرية "عينو" (مشتقة من عين التي تعني نبع ماء وهو مهم في المنطقة)، وهي قرية تركمانية، أما في الشمال فتقع قرى بازور وديرتو وكولكان "وهي مركز الناحية بويوك كوكلو" وهي قرية كردية، أما في الشرق فتقع قرية آراه "أورته يول" وهي قرية تركمانية أيضاً، أما في الجنوب فتقع قرية تركمانية أيضاً، وربما تنحدر أسماء آراه وآرام من أصول آشورية عمورية كاحتمال، وفي الجنوب أيضاً توجد قرية جبين "سايلاك كايا"، كانت قرية أرمنية في الماضي وتحولت إلى قرية تركية في عهد الجمهورية، إنه موزاييك ثقافي أثني تماماً ونحن نقيم في محيط هذا الموزاييك، حيث تحيط بنا ثلاثة أو أربعة ثقافات أثنىة شرق أوسطية وكأنها تحيا تلاحماً كثيفاً، فالثقافات السامية والعمورية والآشورية والعربية تلقي بتأثيرها من الجنوب باستمرار، بينما الأرمن قد جاءوا من الشمال كشعب يمتحن التعدين والأشغال المعدنية اليدوية كحرفة، بينما التركمان والأتراك فقد كانوا آخر مجموعة أثنىة ثقافية قدمت إلى المنطقة، أما الكرد فقد لعبوا دوراً مركزياً في المنطقة منذ أن خلقوا الثورة النيو ليتنية وثقافتها، وهم المجموعة الأثنىة الأكثر قوة باستمرار، يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية كمهنة أساسية لهم، أما العموريون والعرب فيشتغلون بالتجارة والأرمن بالصناعة والحرف التعدينية، أما التركمان فهم رحل و يجرّون وراء الغزوات.

هذه الخاصية المميزة للمنطقة لا تسمح بسيطرة ثقافة قوم واحد، وتفرض على سكان المنطقة التعددية الثقافية منذ أقدم المراحل التاريخية بترسيخ التسامح الثقافي بين القاطنين، وعلى الصعيد العقائدي فهي منطقة عاش فيها المسلمون والمسيحيون جنباً إلى جنب وبنحو متداخل منذ أقدم العصور، وبناءً عليه فإن التعددية الأثنىة والثقافية والعقائدية هي السمة التي تميز المنطقة منذ أقدم العصور، والتداخل كبير بين المجتمعات الأثنىة، حيث هناك التزاوج بينها، وهذا الوضع يشرح لنا أسباب عدم قيام نظام قمعي طبقي قوي في المنطقة، فنظراً لعدم هيمنة مجتمع واحد ووجود مجموعات أثنىة من مجتمعات متعددة، وتأسيس كل مجموعة حماية ذاتية، والخصائص النيو ليتنية القوية للقرى يمنع من أن يقوم نظام عبودي أو نمط إقطاعي أو نظام دولة أو إمارة يطبع المنطقة بطابعها الخاص، ولهذا فإن مجتمع القرية في المنطقة لم يتجاوز مستوى القبيلة البدائية، وتحاول المنطقة تأسيس نظام أسرة قروية متحررة كنظام اجتماعي منذ آلاف السنين، حيث لا يتم ذكر وجود الإمارات "البكوات" إطلاقاً، فمنذ أيام السومريين كانت توجد بيروقراطية ذات قوة محدودة مرتبطة بالاستبدادية المركزية في بيراجيك وحلفتي وسمساط، وكانت هذه البيروقراطية غريبة عن ثقافة شعوب المنطقة، وكان هناك جداراً سميكاً قد تم بناءه بينهما، وهذه الميزة ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، فالشكل الاستعماري للبيروقراطية قد حال دون ترسخ الطبقة في المنطقة ولم يعط الإمكانية لتأسيس بيروقراطية محلية، ولهذا لا يمكن التحدث عن ثقافة طبقية قوية، وبقيت ثقافة القرية المتحررة هي الثقافة المهيمنة، بل أن الثقافة القبلية القوية لم تحكم في المنطقة أيضاً، أما الثقافة الرأسمالية فقد بدأت تتصاعد حديثاً وهذا الواقع هو من خصوصية المنطقة، حيث الثقافة الزراعية النيو ليتنية مترسخة بنحو قوي، ويسود جو من المساواة، والمرأة لم تتعرض للسحق تماماً، كل ذلك بسبب الأوضاع التي ذكرناها آنفاً، وذلك هو التعريف الذي يمكنني تقديمه عن البنية الطبيعية والتاريخية التي انحدرت منها.

الأسرة هي العامل الذي له علاقة مباشرة باكتساب الطفل لهويته، ثم يأتي بعد ذلك عامل مجتمع القرية التي تنتمي الأسرة إليه، وكما يتوضح من الإطار الذي رسمناه، مجتمع قريتنا كان يحيا تحت تأثير ثقافة العصر النيو ليتني منذ آلاف

السنين، ومن الناحية العقائدية فهو تحت تأثير المعتقدات الإسلامية الإقطاعية دون أن يفهمها كثيراً، ولا يوجد فيه تمايز طبقي، ويحاولون لتدبير معيشتهم بأراضيهم التي لا تكفيهم، أي أن القرية تتكون من الأسر التي لا يكفيها دخلها، وهي فقيرة تتوجه إلى الخارج كعمال وأقنان لتدبير أمورهم، ومجتمعها تجاوز العلاقات العشائرية وضعفت علاقة القرى والأسرة بشكل لا تكفي للتحويل إلى عشيرة، وفي مواجهة العلاقات الرأسمالية المتصاعدة تحولوا إلى قرويين فقراء كادحين، وهم مغتربون عن البنية البيروقراطية للجمهورية، ومستوى التعليم فيها محدود، فهم لم يدركوا الثقافة الجمهورية بعد، بل يمكننا القول: أنهم دخلوا تحت تأثير كل الثقافات بما فيها الثقافة النيوليتية والعبودية والإقطاعية والرأسمالية من الخارج من دون أن يمرروها في تحويل دياكتيكي، وذلك عملاً بمفهوم "قدر يجب احتماله"، أي حالة من السلبية العميقة، فكل الثقافات بالنسبة لهم لا تعني الكثير، أي أنهم تجمدوا مثل طبقات المستحاثات الدنيا، ولا يمكن انتظار أية خلاقة أو إبداع منهم ذهناً أو روحياً. يمكننا أن نسمي ذلك بـ "البقاء خارج الزمن"، وتسود علاقات الانغلاق أو التعصب التي مرت بها الشعوب الشرقية عموماً منذ أعوام ١٠٠٠ ميلادية، وفقد المجتمع ذكرياته الميثولوجية أيضاً ولا يعلمون بالفائدة التي يجنوها من الرب الذي يؤمنون به، وضحى مجتمعاً مريضاً يحيا في القاع بنحو مشترك، ولم ينضم إلى أية مرحلة ثورية من النظام الرأسمالي، مما يضيق عليهم الخناق بمعنى الترويض، ومجتمع القرية ليس قادراً سوى على إبقاء وجوده الفيزيائي بألف صعوبة، ويعيش الاغتراب العميق على المستوى الروحي والذهني من الناحية الإيديولوجية، ولا يملك أية أهداف جادة اجتماعياً وسياسياً وإيديولوجياً والإنقاذ يفقد مع فكرة الآخرة، والأمال محدودة وهي غالباً ما تعبر إما عن التحويل إلى موظف بسيط أو عامل في الخارج أي في أوروبا، فنحن بصدد واقع إنسان ليست لديه مساوئ ولا يملك كثيراً من الحسنات، ومغلوب على أمره، فكل شيء ممسوخ وفاقد لمعناه، ويؤمن بأن العجز قدره، وهو إنسان بعيد عن الخلاقة والإبداع، وجعل نفسه أسيراً في عالم يشبه السجن المفتوح وكأنه محكوم بأن يحيا هكذا.

إنني أنحدر من أسرة تنقسم هذا الواقع المذكور، ولكن إذا فكرت بإمكانات تأثير بعض المورثات، أدركت بوجود التدقيق في تاريخ الأسرة من قرب، ولكن ليست هناك معطيات تشير إلى سلالة أو قبيلة مشهورة، إلا أن هناك حديث يفيد بأنها تنتمي إلى أسرة أصيلة، فبالكردية تسمى بـ "مالا أوجي mala oce"، و"مالا" تعني عائلة أو أسرة معروفة و"oce" هو جدنا المعروف، وكنية أوج آلان تسمية تنحدر من ذلك الجذ بحسب قناعتي، وكان لأوجيه ولدان هما حسين وعبد الله، ولكل واحد منهما أسرة، والدي هو أبن عبد الله عمر. أي أن أسمى هو أسم جدي عبد الله، وقد كان من المعروفين وفارساً عنيداً وله صفات حميدة كثيرة كما ترد في الأحاديث عنه، أما والدي فقد كان ممسوخاً، ولكنه مرتبط بعقيدته بنحو وثيق ومستقيم، وصاحب شرف لا يسيء ولا يكن السوء لأحد، وأنا شاهد على ذلك، ولو سنحت له الفرصة لما تردد في الانضمام إلى ظهور تاريخي بحسب قناعتي، وفي الحقيقة كان عراًفاً، وقد عرفني بدرجة كبيرة، حيث أتذكر كلامه عند جلوسنا تحت شجرة الفستق عندما رأي أقوم بعملتي بمنتهى العناية ليقول بأن نمطي ينم عن شخصية الفاتحين، وكان يتألم من أعماقه لكونه عاجزاً، وإذا ذكرت الذكرى التي لن أنساها معه فهو في مكانه، فعندما كنت أعمل موظفاً في سجلات العقار والطابو في ديار بكر، التقيت به على جدار الولاية، عندما أتيت له ببطيخة وقشرتها، أعرب لي عن امتنانه، وكنت قد حزنت كثيراً على وضعه ذاك، فهو كان يقدر الكسب بجده، وإذا غضب علينا فكان يدعو علينا وهو على حق: "فليكن خبزكم أرنباً و لتكونوا كلاب صيد تلحقونه"، وبذلك كان يريد أن يجعلنا نفهم الصراع في سبيل الخبز، ولكن لم تكن على مستوى الاستيعاب آنذاك، وكان يقول لي: "إذا مث فلن تذرف عينك

دمعة واحدة"، وكان حديثه حديث العرافين وهو على حق.

كما كانت الأسرة تحت تأثير هيمنة الأصالة في موضوع آخر، فقد كان يقال بأنه ظهر واحد من الأسرة أسمة أو صمان باشا كأحد البيروقراطيين لدى الإمبراطورية العثمانية منذ الزمن القديم جداً، وفي الدراسة التي أجراها عصمت إيمست على الأصل حول شخصيتي توصل إلى نتائج مشابهاة على ما اعتقد من خلال ملفات هيئة الأركان العامة، وهناك احتمال كبير بأن الأسرة قامت قديماً بالتصدي للغزوات التي كان يقوم بها العرب والتركمان دفاعاً عن الكرد، فالعرب الذين كانوا يأتون من الجنوب، والتركمان من الغرب، كانوا يواجهون التصدي من قبل الأسرة، وقد كان ذلك واضحاً من خلال الأراضي الواسعة التي ملكوها، وهم ينتمون إلى "البيسكان" الذين يمثلون الجناح الغربي لعشيرة "البرازية" التي كانت تمثل وحدة متكاملة في القلم البعيد، والأسرة كانت تمثل الأسرة العسكرية الضاربة منهم، والبرازيون يعيشون في مناطق متفرقة، فقسم منهم يقطن قرب السليمانية على الحدود العراقية الإيرانية، وفي المرحلة التي عشت فيها كانت الروابط العشائرية قد فقدت تماماً وتم نسيانها، وبنحو عام فقد كانت كل أسرة تطلق على نفسها اسم "كرمانج"، حيث كانت الكرمانجية تعني انسلاخ الكردي عن العشيرة ودخوله إلى مرحلة التحول إلى شعب، والتحول الكرمانجي هذا الذي أنتشر كثيراً في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، كان يعني تحولاً كثيفاً إلى مرحلة التحول إلى شعب، وإذا رأينا أن كلمة "كرمانج" أصبحت تطلق على كل أسرة ابتعدت عن القبيلة والعشيرة نجد أن هذه المرحلة تشكل ديناميكية كردية مهمة من حيث ظهور القروي الحر، وكادحي الريف الذين استطاعوا تحطيم تأثير العشائرية والقبلية الإقطاعية واصبحوا "مشاركين أو فلاحين"، وأنا أنحدر من هذه الديناميكية شخصياً، ونظراً لأن PKK يمثل الكرد أساساً ويهتم بشؤونهم لذا فهو "حركة كرمانجية" في مضمونها، ومن الناحية الاجتماعية الاقتصادية فإن أساسه "كرمانجي" KURMANC " فالكرمانج تعني الكردي الذي دخل مرحلة التحول إلى شعب، حيث تتعرض المشاعر القبلية والعشائرية إلى الزوال، وحتى لو كان تلقائياً فإن وعياً قومياً أو شعبياً يملأ الفراغ الناجم، وبالمقارنة مع الوعي العشائري، نرى أن هذا المفهوم يمثل وعياً أكثر تقدماً من الناحية الاجتماعية والقومية، مما يعني تحولاً في الوعي، وهذه الأصالة التي تكمن في PKK سواء على صعيد البنية القيادية أو البنية الكادرية هي التي تميزه عن كل القيادات والتنظيمات الكردية الأخرى وتشكل أساسه الاجتماعي.

أما طرف الأم فهو أكثر تعقيداً، فأما والدي "بسي" تنتمي إلى فرع شابيكان من عشيرة كديكان المعروفة بحروبها التي تنتشر جنوباً حتى المناطق العربية قرب منطقة بيراجيك وجنوب منطقة خلفتي، وتسمى الموت الطبيعي بـ "موردار" أي الموت الحرام أو السبي، أما جدي طرف الأم فهو "حميد" الذي ينتمي إلى قرية "آراه" التركمانية، وهو المتزوج من حواء ووالدتي "عويش" هي ابنتهما، وكل من حواء وعويش مسيطرتان على الأسرة وتمثلان المرأة القوية ولا يمكن أن تقبل بموقع أدنى من موقع الزوج قطعاً، ويمكن القول أنهما كانتا تعيشان وتمثلان نضالاً اجتماعياً بنحو أكثر بدائية متولداً من التناقض بين الرجل والمرأة، والتوازن الذي تأسس لم يكن على شكل هيمنة، بل كان أقرب إلى الوفاق، ولكنه كان يحمل بذور الصراع الذي يمكن أن يتحول إلى اشتباك في أية لحظة، وقيام أسرتنا بالزواج من نساء تنتمي إلى جذور أخرى هو بسبب البحث عن القرى، وحاجتها إلى الوفاق وتنطلق من ذلك المفهوم الذي كان منتشرًا هناك، فعند الرغبة في وضع نهاية لأي صراع متجذر يتم التزاوج بين الطرفين تقليدياً، ويبدو أن هذا الأسلوب كان مستخدماً على نطاق واسع.

عندما ولدت في أسرة استطعنا رسم إطارها الذي يمثل أطلال القبلية والأسرية التي أمثلها أنا، وكأن التاريخ الأثني المستمر على مدى خمسة عشر ألف سنة سينتهي بي، والمسار الإيديولوجي والسياسي الذي سأدخله سيقضي على الأثنية بنحو مذهل، وسيفتح العصر الشعبي، وإن انطواءه على كثير من الآلام نابع من هذه الخصوصية، وكأنني أمثل الهندي الأحمر الأخير، وربما كان ذلك مهمة الأصل الأخيرة التي تحملتها من دون أعلم بذلك، عندما كنت أمزق الغلاف الأسري من دون رحمة، كنت في الحقيقة أشد الخناق على تاريخ أمتد على مدى خمسة عشر ألف سنة، وهذه هي الحقيقة التي أدركتها فيما بعد، وكنت أفهم بنحو متأخر معنى تلك الدموع المنهمرة من عيون والدي والديتي وسط أحزان كبيرة، ولكن لا بد أن يكون هناك جانب من القسوة في كل ثورة، وعدم إدراك الثورة لتلك الجوانب المؤلمة هو من طبيعتها، والجانب الوحيد الذي يعزيني، هو أن الآباء والأمهات عندما رأوا أن الأبناء يولدون من جديد ولم يخونوا ماضيهم، بل على العكس دافعوا عنهم وبذلك اختاروا السبيل الأصعب والأكثر إبلاماً، ولكنهم اختاروا السبيل الأكثر شرفاً وكرامة، ولهذا يمكنهما أن يرتاحا في قبريهما.

فمنذ ولدت تعرفت على نفسي لأجدها في غمرة ثورة القرية، ولم يكن أمامي أية أهداف عشائرية أو طبقية أو وطنية أرتبط بها، وحتى الدين كان باللغة العربية محفوظاً بعيداً عن الفهم والاستيعاب والإشباع، ولم تكن الظروف مواتية لبعث الأسرة من جديد وبنحو قوي، ولم يكن هناك أي شيء في الميدان ليشبع مشاعر السمو، حتى أنني أتذكر بأنني نظرت إلى المدرسة كأنها وحش سبتليني، وإلى المدينة بالشكل نفسه، وأني لن أقدر من التغلب عليها، وجماعات القرية لم تكن تبعث على الأمل مطلقاً، ولا تؤدي دوراً سوى أن تكون مقراً للثروة والفتنة والفساد، وفي ذلك توجهت أنظاري إلى الريف دائماً، لدرجة أنني أتذكر بأن والدي قامت بغلاق الأبواب عليّ ثلاث مرات، وفي المرات الثلاث أصبّ بنصف إغماءة، وأول عمل قمت به هو الانطلاق إلى الخارج فور صحتي بسرعة البرق أذهب إلى البراري وأدور هناك، وكان واضحاً أنني أبحث عن شيء ما، وبعد ذلك فهمت أن العديد من الأنبياء والفلاسفة كانوا بحاجة إلى مثل تلك الخلوة عند ظهورهم، فالتخلص من جمود الأمور اليومية والتكاثف على الحديد بنحو صحيح كان ممكناً على نحو أفضل بهذه الوسيلة، وكنت قد أصبحت معارضاً عنيداً لكل القواعد المهمة للأسرة، بما في ذلك تقاليدها ومفهوم الشرف لديها، مما زاد شكوكي فيها، وتزايد اعتراضي عليها، والشهيد "حسن بيندال" الذي كان أحد أترابي وصديقي منذ أيام الطفولة نخرج سوية إلى البراري بنحو سري، وعند عودتنا خلسة في أحد المرات رأينا جدتي حواء أقامت القيامة ولم تقعدنا، لأن رفيقي حسن كان أبن أعدائنا، وتجروني على ذلك كان يشكل جريمة كبرى، وما زلت أتذكر كيف انتصبت في وجه أمي وقالت لها: "عويش إن ولدك هذا قليل الشرف" ولا يمكن أن أنسى قولها ذلك، ورغم كل ذلك الغضب فقد أصبح التمسك بصداقة أبن الأعداء يشكل تعلقاً متزايداً بالنسبة لي، فعندما كنت أتخرب من أطفال الأقارب، كنت مصمماً على إقامة وتوثيق العلاقة مع أبناء الأسرة المعادية، بحيث تحول ذلك إلى ميول كبيرة لدي، وفيما بعد فهمت بأن ذلك كان تطوراً طبيعياً للإيديولوجية والتنظيم السياسي، وبذلك تولد لديّ المبدأ الأول لمشروع الاجتماعي.

إن رفض الأسرة والمجتمع القروي كان يتصاعد لديّ باستمرار مبدئياً وعلى الصعيد العملي، وكنت أقوم بتجربة الحياة الجديدة من خلال نمط ألعابي، فكل لعبة كانت تعني لدي واقعاً، بينما حقائق القرية والأسرة فهي التي تشكل قيوداً يجب التخلص منها، ولهذا السبب وعندما تعرفت على نفسي، حاولت تأسيس مجموعات الأطفال التابعة لي بمجهود خارق

وكان ذلك بالنسبة لي مبدأ ولعباً، فالطفل الذي يلعب معي أكثر من الآخرين ويثبت تفوقه، يكون الأعلى والأثمن كعضو في تنظيمنا الطفولي، ولم أكن أفرق بين العدو والصديق، وكنت مبدئياً في تصرفاتي على هذا الصعيد إلى أبعد الحدود، ويظهر ذلك جلياً من خلال موضوع الشهيد حسن بيندال، أما مبدئي الثاني في هذا الموضوع هو عدم التفريق بين الجنسين أيضاً، ومازلت أتذكر الفتيات اللواتي كانت لديهن قدرات مميزة في الألعاب، فرما لحقت بمن على مدى شهور لأجل شدهن إلى اللعب، والذكرى الحية لديّ على هذا الصعيد تتعلق بابنة عم حسن "أليف"، وحسبما سمعت فيما بعد فهي تروي ذكراها كما يلي: " عندما أصبحت عروساً كان يقترب من الباب بأصول ويقوم بدعوتي إلى اللعب"، وكان ذلك صحيحاً، وخاصة أنني لم أكن أقبل أن يتم زواج الفتيات في تلك السنوات المبكرة من عمرهن، وحتى في ذلك العمر أتذكر بأن علاقاتي الخاصة كانت مع النساء الجميلات والذكيات، وبحسب قناعاتي أن "الذكاة" منهن هي الجميلة"، وكل جميلة يجب أن تكون ذكية"، وأتذكر أن النساء اللواتي أدركن هذه الميول لديّ كن يترددن عليّ على نحو مجموعات في تلك المرحلة للاستماع إليّ واستقبالي، وكنت أستمع إلى كبار القرية، فإمام القرية "مسلم" الذي كان يراني وفقاً خلفه في الصلاة دائماً، قال لي ذات مرة: "إذا مضيت بهذه السرعة فإنك ستطير مثل الأولياء"، ومازلت أتذكر قوله ذلك، فالدين كان تقليدياً مهماً راسخاً في القرية ولكنه كان السبب المهم في أن أكون شخصي الشكاكة، وكنت أركز تفكيري على الإله من حين لآخر إلى درجة الاختلاج والجنون، ولكن أستطيع أن أقول بأنني استطعت إجراء تحليل جذري لهذا المصطلح في مرافعتي، وكسبيل للاحتفاظ بالأطفال على شكل منظم، كنت أقيم الصلاة لوحدي، وقيامي بدور الإمام للجماعة كان أمراً لافتاً للنظر، كما كنت شغوفاً بالألعاب التي تظهر المهوبة والقدرات أكثر من ألعاب الصراع والتشاجر.

لقد حدث ذهابي إلى المدرسة الابتدائية ضمن مشاعر مختلطة، فقد قابلت المدرسة بروح قلقة، ولكنني أدركت بأن سبيل التعالي والسمو الوحيد يمر عبرها، وكنت لافتاً للانتباه منذ دخولي إلى المدرسة في أول يوم وإلى آخر يوم لي في السنة الأخيرة من الجامعة، ففي البداية تحقق النجاح المتواصل في المقدمة، ولكن الازدواجية التي خيمت عليّ في تلك المرحلة أصبحت جزءاً من شخصيتي بما في ذلك حياة القرية أيضاً، فقد كنت أحقق تطابقاً غريباً على أعلى المستويات في البداية عند دخولي إلى مجتمع القرية أو الأسرة أو الدولة أو المجتمع العام، وأصبح في المقدمة بين من ينطبقون، بل كنت أجعل منها مثلاً مميّزاً في تحقيق ذلك، ولكن طبيعتي المتصوفة التي كنت مؤمناً بها، تدفعني إلى الشعور بتناقض مذهل في أعماقي، وحسب ما أدركت فيما بعد أن ذلك كان تناقضاً كونياً، فعندما كنت أظهار أنني من المجتمع الرسمي أو غير الرسمي كان ذلك التناقض سارياً، كما يسري ذلك الوضع على التناقض القائم بين علاقات الفرد والمجتمع، مثلما ينبع تناقض الدين الرسمي، والطرق الصوفية من نفس الوضع أيضاً، ولكن الشيء المختلف بالنسبة لي فهو كثافة واستمرارية هذه الازدواجية وتحولها إلى رؤية مزدوجة في نظري إلى الحياة، وهذا التناقض دفع بشخصيتي إلى التطور في وسط التردد والقلق، والشكوك باستمرار.

قرية "جبين" التي كنت أذهب إليها وأعود يومياً سيراً على الأقدام لأجل المدرسة الابتدائية، كانت قرية أرمنية قديماً، ثم تعرفت على الجمهورية، وكانت الأسرة معتبرة تعكس تأثيرات الجمهورية، وقد أدركت هذه الحقيقة جيداً، فالشعور بالكردية في تلك المدة كان في الوعي الباطني، وكنت قد أدركت بأنها ستشكل أكبر عقبة أمام طريق الصعود بالنسبة لي، وكنت أسمع كلاماً من قبيل "الكرد المذبذب"، وكلام الشوفينية المزعجة كان يصلني بالتدريج، وأحب

التوضيح بأنني استطعت تجاوز هذه العقبة بفضل أساتذتي وشعب قرية جبين المتفاهم بنجاح، فرغم كل الصعوبات وفي ذلك العمر استطعت تأسيس علاقات مع القرى التي تتحدث التركية يمكن أن تكون مثلاً يقتدى به على مستوى العلاقات الأخوية، وتلك القرى مازالت صديقة حتى يومنا هذا فهي لم تنزلق إلى الشوفينية الفاشية، بل ان علاقتهم واهتمامهم يفوق مواقف القرى الكردية.

الانقلاب الذي حدث في ٢٧ أيار ١٩٦٠ ترك عليّ أثراً كبيراً في المرحلة الابتدائية وفي حياة القرية، وبسبب هذا الحادث تطور الاهتمام السياسي الجاد لديّ لأول مرة، فقد أدركت بأن الجيش هو المصدر الأساس للقوة، وإعدام مندريس ترك لديّ انطباعاً بالتشاؤم، ولكن لم تحدث لدي ردود فعل على ٢٧ أيار، وأتذكر بأنني قلت لزميلي في المدرسة الابتدائية "عزيز" في تلك المرحلة بينما نحن جالسان على فروع الشجرة الكبيرة في القرية مقترحاً "ستكون أنت قائداً للقوات البرية، وسأكون أنا قائداً للقوات الجوية، وبذلك نستطيع تحقيق الأفضل"، هذا الموقف المميز سيكون له تأثير على التطور الثوري لديّ في المراحل اللاحقة بنحو دائم، فالقوة والتغير أصبحنا لديّ طموحاً وتأثيراً كبيراً لا يفارقي.

وطوال مدة إقامتي في القرية كنت فلاحاً جيداً وصديقاً للحيوانات، وأنظر إلى أعمال الزراعة والحصاد على أنها أعمال مقدسة تشبه العبادة، والاهتمام بالحيوان كان ذوقاً بالنسبة لي، ورعيتها في الأماكن التي تكثر فيها الأعشاب كان يسعدني، والاهتمام بالشجر كان بمثابة نزعة لديّ، وتبرعم الكروم وذبولها كانت ظاهرة مقدسة لديّ، أما الأغذية والعنب وثمار الأشجار فهي نعم مقدسة، وحتى كنت لا أرمي فضلات الخبز أبداً، وبخاصة إذا كان الخبز من دقيق القمح فإن أكله كان مزاجاً بالنسبة لي، ويبدو واضحاً جداً أنني كنت أحييا من أعماقي تأثير الحضارة النيوليتية.

كنت أرفض ادعاءات والدي بامتلاكي، وعندما كانت تفعل ذلك كنت أبدي ردود فعل كبيرة، والهدف من ذلك هو أنني ملك نفسي، ولذلك فقد كانت التناقضات كبيرة مع الوالدة، أما ادعاءات والدي فقد كانت محدودة أكثر، كما كنت على تناقض دائم مع أخوتي بشأن إنجاز الجودة فيما يقومون به من عمل، وتحدث اشتباكات بيننا، وكانت الأسرة بعيدة عن علاقات المجتمع الأبوي، فوالدي استطاعت تأسيس توازن حاسم بسبب شموحها وإبائها، وذلك التوازن خلق أسباباً مناسبة لنشأتي الحرة، واقتصار سلطة الأب والأم على الأسرة فقط كان يشكل فراغاً، والافادة من هذا الفراغ يمكن أن يقيم على أنه الفرصة الأولى لمسيرتي نحو الحرية، فقد رأيت في أحوالي مصدراً للقوة، فقدرحم على زعزعة السلطة في القرية كان سبباً لي في أن أكون قادراً على معاندة كل القرية بظروفها، وعندها فهمت أن الأدب الذي يتغنى بالخال لا يأتي من فراغ.

الابتعاد الأول الجاد عن القرية والأسرة أبتدأ بتمرد داخل الأسرة، وبحسب ما سمعت فيما بعد أن الكاتب "أحمد قهرمان" أراد أن يجعل من ذلك رواية سماها "بالتنمرد الأول"، والحدث يستحق التذكر لكونه يحدد نهاية مرحلة، فقد كان أخي الأصغر "محمد" يدخل إلى الكرمة ويقوم بتخريب ما قمت بترتيبه اعتماداً على جهدي وبحرص شديد، مما دفعني إلى اللحاق به ورميه بالحجارة، واستمراري في مطاردته حتى إلى المكان الذي يتم فيه إعداد البرغل "بسلق القمح"، وعندما اعترض أبي على ذلك، دخلت معه في شجار عنيف بالحجارة، وقد فهمت من ذلك بأنه لم يعد لي مكاناً في البيت، ولم أكن قادراً على البقاء في القرية أيضاً من الحياء، لأن الشجار مع والدي كان موضوعاً للاستهزاء في القرية، وفي اليوم نفسه ذهبت خلصة إلى البيت، واستطعت الوصول إلى الحقيقة التي خبأها والدي بحرص شديد، وأخذت منها "عشر ليرات"

وكان ذلك مبلغاً لا يستهان به في تلك الأيام وابتعدت بسرعة لوحدي، وسط الدموع والغضب وفارقت القرية وأنا أكيل اللعنت، وأخيراً وقفت تحت ظل شجرة أنظر إلى القرية والدموع تنهمر من عيني كالمنطر وتأوهت قائلاً: "لن أعود إليك ثانية" وأدبرت ظهري وابتعدت، وكان ذلك هو الابتعاد الجاد عن الثقافة التي سادت على مدى آلاف السنين في الحقيقة، وفهمت أنني بذلك دخلت في مرحلة البحث عن الجديد.

لقد كانت مسيرتي تلك لافتة للانتباه، فقد استطعت المرور عبر قرية آرام المجاورة من دون ان ابدي أي أثر للغضب أو الحزن وبنجاح، وعندما وصلت إلى القرية الثانية "قرة مزرة" انتظرت بثقة الحافلة التي ستأتي من خلفي، وكذلك أظهرت الثقة بالنفس عند ركوبي الحافلة، واستطعت عبور بيراجيك بشكل موفق أيضاً، وكنت بنفس الوتيرة عندما وصلنا إلى الجسر الذي تم افتتاحه في عصر مندريس وهو من الآثار الجادة لمرحلته، وكان هديتي هو الذهاب إلى نيزيب (NIZIP) حيث تقيم אחتي حواء، ووصلت، وفي اليوم الثاني خرجت مع بعض الأقارب إلى سهل باراك لأجل حصاد القمح وتدريبنا على شرب العيران الساخن وعملت على مدى يومين حتى تورمت يدي أو بالأحرى انتهى العمل، فقد استطعت كسب عشر ليرات، وكان ذلك يشكل خطوة أولى لإثبات ذاتي، فقد كنت قادراً على المعيشة من دون الاعتماد على أسرة أو قرية.

ثمّة أمر آخر يجدر بي ذكره، وهو موقف القرويين نحوي، فالليل العام كان على النحو التالي: "لا جعل الله أبن أحد مثل أبن عمر، إنه ينجون الجبل ولا يرتجى خير منه"، وتلك كانت القناعة السائدة، ولكن فيما بعد استطعت أن أفرض عليهم خيبة الأمل إلى درجة الخجل مني لتفوقي المذهل في المدرسة بنحو لم يكونوا يحلمون به، وكان ذلك نوعاً من الرد.

الذكرى الأخرى الجديدة بالملاحظة، هي التحدي الذي أظهرته في مواجهة شرور الطفلين الشقيقتين "جمو ومحو" فقد كان محو يدعو إلى الشجار دائماً، وفي أحد الأيام لجأت إلى زاوية بيت وملأت تلافيف ثوبي بالحجارة، وبدأت أمطره بالحجارة فجاء من دون أن أعطيه المجال، ولحقت به حتى أوصلته إلى حظيرة البيت ولم يعد مرة أخرى إلى طلب الشجار، وكذلك جمو الذي تابعته لمدة حتى وصل إلى بطن الوادي، ومن الحافة العليا للوادي بدأت أمطره بالحجارة بعد أن كنت ملأت ثوبي بها ولم أعطيه الفرصة حتى لحقت به إلى الحظيرة أيضاً، وخرجت أسرته حتى أنقذته مني، ونظراً لتلقيه درسه بنحو جيد لم يعد يشكل خطراً، وبناءً على ذلك فإن والدتي بدأت تدافع عني وتفتخر بي وتمدحني كما أتذكر جيداً، لقد كان لعجز والدي، والتمرد اللامحدود لوالدتي عندما ترى نفسها على حق، تأثيراً بالغاً على طرازي في المواجهة، وبحسب ما سمعت فيما بعد فإن رؤى والدي فيما يخصني كانت إيجابية وناضجة، واعتقد أن والدتي أجابت بالحقيقة عن سؤال وجهه إليها قائد اللواء في أورفا على ما اعتقد حيث قالت: "لقد بذلت جهوداً كبيرة لابقائه جائئاً عند ركبتي ولكنني لم أفجح" وهي التي توقعت بأن أبقى وحيداً بطرازي هذا، وهي التي نطقت بذلك لأول مرة حيث قالت: "الجميع سيستفيد منك ولكن لا يستطيع أحد العمل مع واحد مثلك"، وقد تحققت ما قالته، بالإضافة إلى تقييمها الأخير عني حيث قالت: "لقد كان إنساناً فريداً بالنسبة لي، فمكاته وشخصه كان مميزاً لدي"، وآخر كلامها كان عند وفاتها قالت: أدعو له بالاستمرار، وليفعل الجميع خيراً "وعندما قمت بتقييم الأم ودور الأم فيما بعد، وجدت أنه يجب عدم أخذها ببساطة ويجب إعطاؤها حقها، وتقييمها حول المرأة كان لافتاً للانتباه ومن عمل العرافين: "بهذا العقل وهذه الشخصية يصعب عليك إيجاد المرأة" بقصد الزواج، أمي التي لم أعرف لها ميزة سوى الغضب اضطرت أخيراً إلى الاعتراف بعقلها، فظنّاً

للتاريخ الذي أصابنا بالعمى كنا أغراباً عن بعضنا، ولكن عندما أعود إلى الوراء وأنظر، أرى أنها تمثل الصوت الأصيل لثقافة الربة الأم، وأنها استطاعت إيصال ذلك الصوت إليّ، ولا يسعني إلا أن أشعر بالامتنان نحوها، فالذي تمردت عليه لم تكن أمي، بل المجتمع الرجالي الظالم الذي نفى المرأة والأم، وجعلها غريبة، ذلك النظام المرائي ذو الوجهين، وقد أثبت بأنني الولد الصالح لوالدي حتى لو لم نقيم بالاحتفال بذلك معاً.

٢. المجتمع البرجوازي، والتعرف على الجمهورية، الشكوك والموقف الثوري

بدأت المرحلة الثانية في حياتي عندما ابتدأت في عام ١٩٦٣ بالدراسة الإعدادية في نيزيب "nizip" وبالإقامة إلى جانب أختي الكبيرة "كل سون" وجدتي لأمي "حواء"، كنت أسير على أضعف إمكانات علاقات القرى، ونيزيب هو المكان الذي يقطن فيه أحوالي وخالاتي، وكانت المدينة الأكثر تطوراً على صعيد المنطقة، ومثلما كان معنى كاركاميش مهماً للحضارة العبودية السومرية، فإن أهمية نيزيب التي تأسست بالقرب منها بالنسبة للظروف الجديدة التي جاءت مع الجمهورية، حيث كانت تتطور كمستوطنة جديدة للرأسمالية، بجانب كاركاميش وبلقيس زاغوما zeugma Belkis اللتان تحولتا إلى أنقاض، ولم أكن أعلم بما سوى من قدوم خالي مصطفى الذي كان يعمل صياداً للتحف مع الفجر وما جلبه معه من زجاج وهياكل صغيرة، وفي المدرسة ورغم شعوري بأنني لا أحقق التكامل الخاص إلا أنني كنت في المقدمة شكلياً، ومن موقف جدتي حواء كنت أشعر بأنني لست حرّاً في أكل ما أستطيعه من خبزها الخاف، وكنت أفهم بأنني أصبحت وجهاً لوجه مع العالم المعقد.

لقد كنت التلميذ المحبوب المجهّد لأساتذتي، فقد استطعت شد انتباههم، وكسب ثقتهم وأحصل على الدرجات المتفوقة واحدة تلو الأخرى، ونظراً للخصائص المتبقية من الإقطاعية وإداركي بأنني لن أتأقلم مع خصائص الحياة البرجوازية لم أكن أشعر بسعادة كبيرة، وبعد الدراسة الإعدادية كنت أفضل مواصلة التعليم في الثانوية العامة وليس دار المعلمين، ولكن كان يصعب الحصول على المال اللازم، والخيار المتبقي أمامي هو إما الثانوية المجانية أو الأكاديمية المهنية، ولكن رغبتني الأساسية كانت الثانوية العسكرية، وعدم تطابق عمري ربما كان السبب في أكبر خيبة أمل أصابني، وكان ذلك الحدث كان بمثابة ضربة قاضية على خيالي في تغيير المجتمع عنوة، وعندما فهمت بأنني لن أستطيع التطور في الميدان العسكري والديني، كان لا بد أن استهدف الميدان السياسي، ولذلك فإن نجاحي في ثانوية المساحة والطاير المهنية كان بمثابة مرحلة عبور بالنسبة لي، وتلك المدرسة كانت في مركز أنقرة ودرست فيها في أعوام ١٩٦٦-١٩٦٩، ونجحت في صفوفها كاملاً، وكانت الإيديولوجية الدينية هي الغالبة عليّ حتى الصف الثاني الثانوي، إذ تم استمراري في تكوين جماعات الصلاة في الثانوية أيضاً، وذهبت إلى جمعيات القوميين المتطرفين، وجمعيات محاربة الشيوعية، واستمعت إلى سليمان ديميريل الذي كان يقوم بزيارات لتلك الأماكن، وشعرت بأقوى تأثير جاذب من الناحية الأيديولوجية في الندوة التي عقدها "نجيب فاضل كيساكورك" فبقائي مستمعاً إليه إلى منتصف الليل كان يتضمن خطراً، إذ كان يتجاوب عاطفياً على ردة الفعل التي أشعر بها نحو المجتمع البرجوازي، ويشير إلى وجود سبل أخرى.

أحد أساتذتي المؤثرين في تلك المرحلة كان أستاذ مادة الآداب، وكان برتبة مقدم وأستاذ في المدرسة البحرية في الوقت نفسه وأسمه "فاروق جاغلان"، وكان اهتمامه بي غير طبيعي، حيث كان يحمل مواضيع الإنشاء التي أكتبها في

جيوبه ويأخذها مثلاً يحتذى به للنقاش مع الأساتذة الآخرين، ويقترح على طلبة الصف الاهتمام بي، ويبعث في الثقة بالنفس، وأخذني إلى طبيعته الخاصة، واهتمامه بي يمثل منعطفاً بارزاً على طريق ثقتي بنفسي.

وتطور لديّ الاهتمام باليسار عندما كنت في السنة الأخيرة، وهنا قصة جديدة بالاهتمام في هذا الخصوص، فعندما كانت اليمينية واليسارية تتحكم في الأجواء على شكل تقليعة، كنتُ حذراً ووصلت إلى درجة من الوعي المحدود الذي يمكنني من عدم اتخاذ القرار من دون الفهم، وفي أحد الأيام عندما قرأت كتاب "أبجدية الاشتراكية" الذي وجدته بجانب سريري، وعندما انتهيتُ منه أخذتُ أهمس بنفسي "لقد خسر محمد وانتصر ماركس" ولكن معلوماتي كانت قليلة في كلا الموضوعين، ولم أكن بالقوة التي تمكنني من تجاوز الدوغمائية، ولكنني رغم ذلك وصلتُ إلى مفترق طرق في عام ١٩٦٨، وتجاوبت مع وقع أقدام اليسار في عام ١٩٦٩ بالانضمام إلى جنازة رئيس المحكمة العليا "عمران أوكتم"، ومنذ ذلك الوقت أصبحت منضماً إلى اليسار عملياً، كل هذه التطورات الخارقة كانت تحدث خلال سنة أو سنتين، فكان عقلي قد تحول إلى مركز للشكوك تماماً، ومجرد التأييد لليمين أو اليسار لم يكن يشبع رغباتي، فقد كنت جائعاً من الناحية الإيديولوجية، ولم أكن أستطيع الاكتفاء بالشعارات.

ونظراً لأنني لم أكن مقتنعاً فكرياً، فقد كانت تصعب حياتي مع مرور الزمن، والشك وصل أعلى مستوياته وأصبحت أشك في كل شيء، والمعلومات الفلسفية المحدودة كانت تزيد من الشكوك، فلا يمكنني أن أكون كادراً يسارياً اعتيادياً، مثلما لم أصبح كادراً يمينياً، ووسط هذه الأجواء وفي ١٩٧٠ بدأتُ بعلمي في ديار بكر كموظف فني في دائرة المساحة والطابو في ديار بكر، ولأول مرة بدأتُ أكسب أموالاً طائلة، حيث انضمت النقاشات القومية الكردية إلى النقاش اليساري، وديار بكر مدينة كردية تماماً، وبناءً عليه فإن الوطنية كانت تفرض نفسها بنحو أثقل، وهدفي هناك كان النجاح في المواد المختلفة للثانوية لأذهب إلى الجامعة، وقد نجحت في ذلك، وفي الوقت نفسه حصلت على شهادة النجاح من ثانوية "ضياء غوك آلب"، وكنت قد جمعت الأموال اللازمة لأجل الجامعة، وفي تلك السنة دخلت امتحانات قبول الجامعة، وكسبت الحق في الدخول إلى كلية الحقوق في جامعة أستانبول، ثم نقلت وظيفتي إلى "بافركوي" في استنبول للدراسة والعمل معاً، وقضيت نهاية عام ١٩٧٠-١٩٧١ في استنبول، أصبحت عضواً فعالاً في (DDKO) جمعية الشرق الثورية للثقافة، ولكن الانتماء الإقطاعي كان يقيد التطور القيادي لديّ، ولجأت إلى الموقف النقي، ورغم ذلك كانت خطوة جادة، كنت أتصاعد في العضوية المتقدمة بسرعة، وحدث انقلاب ١٢ آذار ١٩٧١، فلو تأخر ذلك الانقلاب بعض الشيء فرمما كان سيقضى عليّ، ولهذا لامسني وعبر.

تعرفت في أستانبول على شخصيات مثل موسى عنتر وحكمت قفلجملبي من السياسيين، فقد كان موسى عنتر بمثابة الروح لـ "DDKO"، حيث ينقل تجاربه إلى الشباب ويقول: "لا تقعوا في الألاعب"، وقد سمعتُ من حكمت بذاته قوله: "يا أبناء ميزوبوتاميا أتمنى لكم النجاح في نضالكم"، ولكن في الأيام الأخيرة التي كانت في السنة التي ستحقق خياراً جذرياً في حياتي، وقبل أن أتحوّل إلى شخص متوارٍ عن الأنظار، استمعتُ إلى "ماهر جايان" شخصياً في جامعة استنبول التقنية "ITU"، وهو يصعد إلى الكرسي لوحده رغم انتقاداتي له ليقول بصوت عالٍ مفعماً بالإيمان والتصميم والوعي: "إن الإصلاحية حقيقة، ويجب مناهضتها، ولا يمكن التستر على القضية الكردية، و يجب قبولها، أما إذا صممت الانتهازية على مواقفها فيجب قطع الروابط معها" كلامه الذي كان بهذا المعنى عمق لديّ التعاطف مع اليسار، وفي العام

الدراسي ١٩٧١. ١٩٧٢ قمت بالتسجيل في كلية العلوم السياسية التي نجحت في امتحانات القبول بالدرجة عشرين كطالب منحة، وهكذا حققتُ رغباتي، وتعلمت السياسية في كلية العلوم السياسية، ولم يصعب علي أن أكون كادراً متقدماً بين تيار اليسار.

وعندما تعرضت الكوادر القيادية للتنصيف والاعتقال مع انقلاب ١٢ آذار، أصبح الطريق مفتوحاً أمامنا، وبالوعي المحدود والتجربة المحدودة قضينا ثلاث سنوات في أنقرة، أسهمت في ان أكسب الثقافة وأحقق مزيداً من التقدم، حيث كنت مؤيداً طبيعياً لـ "THKP-C" "جبهة . حزب التحرير الشعبي التركي"، فقد كان لهم ثقل في الجامعة، ولمدة طويلة انتظرت المتيمين الحقيقيين لهذا التنظيم، وعندما لم أجد ما أبحث عنه لديهم، بدأت بتركيز جهودي على طريقي الخاص بي، وبدأت بالاستعدادات اعتماداً على القضية الكردية، حيث كان يصعب السير مع اليسار التركي نظراً لمواقفهم الشوفينية.

الإضراب الذي نظمناه بمناسبة استشهاد ماهر جايان ورفاقه للمرة الأولى أدى إلى اعتقالي لمدة سبعة أشهر، ونظراً لعدم توافر الشهود تخلصت من عقوبة تصل إلى خمسة عشر عاماً، وكذلك كان قد تم إعدام "دينز كيزميش" ورفيقه، كما تم قتل "إبراهيم كاياك كايا" بالتعذيب، وكان قد تم سحق اليسار بدرجة كبيرة، وعندما خرجت من سجن ماماك مع نهاية عام ١٩٧٢ قمت بإعداد نفسي لأجل تأسيس مجموعة مستقلة تماماً، وتم عقد أول اجتماع للمجموعة التي تعتمد حل القضية الكردية في نيسان ١٩٧٣، بستة أشخاص في أنقرة بالقرب من سد "جوبوك"، حيث كنت أتناول أطروحة "كردستان مستعمرة" أساساً لنا، وكان ذلك ظهوراً ذا خصوصية، وفي السنة الأولى، استطعنا كسب ما يقارب دزينة من الشباب الجامعيين، حيث انضم إلى صفوفنا حقي قرار وكمال بير ودوران كالكان كرفاق لنا من اصول تركية، وفي سنوات ١٩٧٤ . ١٩٧٥، قمت بمهام رئاسة "ADYOD" جمعية التعليم العالي الديمقراطي في أنقرة" مما أسهم في تطوير المجموعة، وعند انقطاعنا عن اليسار التركي بصورة جذرية في عام ١٩٧٦، توصلنا إلى قرار بالانفتاح على كردستان، وفي الاجتماع الذي عقد في "ديكمن" في عام ١٩٧٦ تقرر لأول مرة إرسال حقي قرار إلى آغري ومظلوم دوغان إلى باطمان فقد كنا نقيم الحسور مع النظام ومنذ تلك الأيام تمت تسميتنا "بالآبوجين".

وباستشهاد رفيقنا "حقي قرار" في عنتاب عام ١٩٧٧ قمنا بإعداد البرنامج رداً على المؤامرة ثم حدث الزواج الخطير والعاطفي والمغامر مع "كسيرة يلدرم" وبعدها تم التوجه إلى ديار بكر نحو الهدف الأخير، حيث عقد اجتماع يضم ثلاثة وعشرين شخصاً في قرية "فيس" ليتم اتخاذ قرار بتأسيس الحزب وبذلك وصلنا إلى نهاية مرحلة، ومع توجه تركيا نحو انقلاب ١٢ أيلول لم يبق أمامنا سوى الخروج من الوطن، أو اللجوء إلى الجبال في مقاومة قد تدوم لعدة أشهر أو سنة واحدة على الأكثر لأجل إنقاذ الشرف، وباعتقال "شاهين دونمز وويلدرم ماركيت" واستسلامهما واعترافهما، وأمام مطالب "كسيرة" تم اتخاذ قرار بالانفتاح إلى الشرق الأوسط في الثاني من تموز ١٩٧٩، ويتم السير على درب سيدنا إبراهيم مرة أخرى، وتم الانطلاق من أورفا كشخص ينتمي إلى أورفا لأجل الأهداف المقدسة نفسها، ولأجل العدالة والمساواة والحرية للتوجه إلى موطن مقدس آخر.

يمكن إجراء تفسيرات كثيرة وتقييمات مختلفة لتركيا الجمهورية فيما بين أعوام ١٩٦٠ . ١٩٨٠، حيث تتم زعزعة مجتمع تركيا من طرف الرأسمالية، والدولة التقليدية ومجتمعها لم تعد تتسع للقوالب الضيقة، وبدأ البحث العميق عن

الديمقراطية، وذلك أمر صحيح، فدستور ٢٧ أيار وفر الإمكانيات لنقاش القضايا بحرية، ولكن الديناميكية الداخلية لوحدها في دولة تقع في منطقة متوترة من العالم، وفي ظروف الحرب الباردة، كانت عاجزة عن الوصول إلى نتيجة، والثورة الشعبية القوية وحدها كانت قادرة على التصدي للأوليغارشية المتسارعة في الجمهورية وإجراء التحول الديمقراطي لصالح الشعب، ولكن التوازن الخارجي لم يكن يسمح بهذه الثورة، وحركات الشبيبة التي تصاعدت باسم الشعب بمنتهى الجرأة، كانت تفتقر إلى القوة القادرة على تحطيم الجدران المقامة حول النظام، وحركات الطلاب والشبيبة في العالم كانت قصيرة النفس، فبدون تجاوز التعصب الحاكم على الاشتراكية المشيدة لن تتوفر الفرصة لظهور الديمقراطية، فحتى لو كانت هناك ثورة شعبية شاملة في تركيا في تلك المرحلة، لما كان من الصعب أن يتم قمعها بمساعدة من الإمبريالية العالمية، علماً بأنه تم ترسيخ أنظمة ١٢ آذار ١٩٧١ و ١٢ أيلول ١٩٨٠ بمساعدة الإمبريالية بمنتهى الراحة، هذان الانقلابان تركا انطباعاً على تركيا بأنها دولة تعاني من قضايا ثقيلة، ولم يستطع النضال الثوري تحقيق النجاح، ولكن الانقلابات والحكومة الأوليغارشية ومجالس البرلمان بقيت عاجزة عن إنقاذ تركيا من القضايا التي تعقدت بإضطراد، وتؤكد أن كلها لا تملك المهوبة والقدرة على إنقاذ تركيا.

وسيطرت عليّ الحيرة كشخصية وطنية واجتماعية، لأنني لم أكن مستعداً لهذا الوضع، فتركيا في أعوام ١٩٦٠. ١٩٨٠ لم تشهد نمواً على الطراز البرجوازي، وهويتي الثورية كانت تتميز بالمغامرة وتفتقر إلى القيادة ولا تحمل نهجاً عملياً واضحاً، مما اضطررت إلى الانضمام بوعبي الذاتي وبأسلوبي وإرادتي، حيث لم أكن أستطيع استيعاب مؤسسات الجمهورية بنحو متكامل، وكأن المقاييس بيننا كانت مختلفة تماماً، فالتعليم الذي تلقينته كان شفوياً، ولا يستهدف سوى إنقاذ الوطنية، وقيام الجمهورية التركية بإنكار الهوية الكردية أفقدتها فرصة استيعابها وتجسيدها وقبولها من جانبي، فماداً تستطيع أن تقول عن ظاهرة تنفي وجودك، أو إذا كان الموقف من طرف واحد ويقول "إنني سأحتك بالمرء وأعطيك الشكل الذي أريده"، فما هي النتائج التي ستكون لذلك..؟ فالذي يواجهك ليس شجرة، بل هو إنسان، فذلك المفهوم لم يكن سائداً سوى لدى السومريين والمصريين في الآلف الثالث قبل الميلاد في دولة الكهنة التي ولدت حديثاً، وحتى أولئك كانوا يقومون بذلك ضد اتباعهم بناءً على الإدارة الإلهية المطلقة ومن طرف واحد ويمارسونها بمفهوم لا يسري إلا على الزواحف، إذا كان أسم الإيديولوجية التي تعتمد على الإنكار جمهورية، فلا يمكن التوصل إلى معنى مختلف لتلك الممارسات، ولو تطورت الحضارة الغربية على شكل استعمار يعتمد على التذويب لربما كان هناك معنى لذلك، علماً بأنه لم يخطر على بال الأنظمة الكهنوتية في دولة مصر وسومر أن تقوم بحظر اللغات ولكن هذه الممارسة المحففة كانت موجودة لدى الإدارة في تركيا.

ومن الطبيعي أن تقوم شخصية كانت ولادتها وسط المشكلات بالاعتراض ومحاولة المقاومة في وجه نظام ينكر وجوده، ووقعه على النفس أشد من الكابوس، وتنزل هذه الشخصية إلى الشكوك والقلق، فإذا كان يتمتع بقليل من الشخصية الشريفة لا بد أن يقوم بالتساؤل عما يجري، وينظر إلى سبب إنكاره ويحاول الوصول إلى أسباب ذلك، وهذا يعني القيام بمساءلة المجتمع الرسمي والدولة التي تواجهها، والمزايا التمردية التقليدية ستكون مساعدة لأجل دوغمائية متطرفة، ليتحول إلى وضع المريد أمام الإيديولوجية والانطلاقة التي يؤمن بها، والصفة الأساس لتلك المرحلة هي الاشتباك القائم بين الجمهورية الأوليغارشية من جانب والشبيبة الثورية والهوية الكردية من الجانب الآخر.

أما نتيجة ذلك فكان ظهور الفاشية، فقد توافرت الفرصة للجمهورية من خلال دستور ٢٧ أيار للقيام بالتحول الديمقراطي، ولكن عدم نضوج الظروف الموضوعية بنحو كاف، والاهم من ذلك عدم توافر الوعي والإرادة اللازمتين لهذا التوجه أدى إلى هدر هذه الإمكانية، فالأوليغارشية التي شعرت بخطر نخوض الشعب، اعتمدت على خبرتها التاريخية وعلى حلفائها الغربيين، لم تلاق صعوبة في تحقيق بنية أقسى وأعنف من بنيتها السابقة، وبات النظام يحتاج إلى مزيد من الضحايا ليتغذى عليها، وعمليات وممارسات المجموعات الثورية واستشهادها، كانت توفر الذرائع للأوليغارشية لمزيد من التمكن والانتهاز، وكان نقص الكفاءة الثورية يعني الكفاءة المتزايدة للثورة المضادة.

وفي مواجهة هذه الحقيقة والواقع يستحيل البحث عن سبل الوفاق مع الجمهورية الأوليغارشية، لأنها باتت رجعية وتعتمد تماماً على الإنكار وقصص الدماء، والحل الوحيد للتجاوب مع ذلك هو الرد بالعنف على العنف، حيث لا فرصة أمام أي جواب آخر، فإما الاستسلام الكامل، أو ستظل المقاومة سبيلاً وحيداً لمواجهة هذا الوضع، وكان اليسار التركي بعيداً جداً عن أن يكون جواباً بسبب البنية التي تعرضت للتشتت، والفاشية أخذت تترسخ بإحداث الاشتباك المخرف بين اليمين واليسار، ومهما كانت المقاومة بطولية، فهي لن تتجاوز أسلوب الطرق الصوفية المتمثلة في بدر الدين، وبير سلطان عبدال، ومعاذقة دنيز وماهر وإبراهيم وأمثالهم من القادة الثوريين إلا دليل على ذلك الواقع، والعنف الثوري الذي تصاعد قبيل الثمانينات لم يكن سوى تكراراً متطرفاً لما سبق، ولن يستطيع تحقيق أية تطورات تتجاوز نتائج عام ١٩٧٠، وتخرج الجمهورية الأوليغارشية ظافرة مرة أخرى، أما اليسار فقد ترك نفسه للاهتراء والتآكل، ويبحث عن الإمكانات التي يوفرها النظام له ليبقى على قيد الحياة.

وعلى الصعيد الفردي كشخص كان لا بد من العزلة المتممقة، ومغامرة كسيرة كانت بمثابة ذر البهارات والملح على الأمور، وكل ما كان يجب علي القيام هو الافادة بمقدار موهبي وإمكاناتي من الخبرة الديمقراطية الوطنية المعاصرة كلها، ومن تراكمت اليسار التركي لأجل التوصل إلى كيفية خلق هوية كردية وجعلها أملاً للتمسك به، وذلك هو الجواب الذي يمكن إعطاؤه لذكرى هذا الكم من الثوريين وجهودهم الجبارة، وفي الحقيقة فإن خلق أيديولوجية ووضع سياسة وإقامة تنظيم بأسم كردستان لا يعني الانفصالية إستراتيجياً، بل هي وسيلة تكتيكية للوحدة الحرة كما كان التفكير، فالانفصال كان ضرورياً حتى تحدث الوحدة، فليس هناك أي معنى لأية وحدة قسرية لا تعتمد على أسس معاصرة ولا تملك أية مبادئ وأسس، وهذا الشكل يعد أكثر تخلفاً ورجعية من العهد العثماني، فالجمهورية قد حكمت على نفسها بدوغمائية قومية إنكارية، وبذلك لا يمكن التحول إلى شعب ولا إلى أمة، والفاشية كانت تتصاعد على الأغلب بمذه القومية والشوفينية، وقد استطاعوا خلق الظروف التي تمكنهم من استخدام قومية أتاتورك، بل كان يتم التنكر لقومية أتاتورك أيضاً، وبذلك كانت الطموحات والمكاسب التي تحققت في بداية الجمهورية تدخل في خدمة الرجعية، وكانت تلك مؤامرة أوليغارشية ناجحة، أما الإقطاعيون والكومبرادوريون الكرد فقد ثبتوا مواقعهم ضمن النظام الأوليغارشي.

وفي مواجهة هذا الواقع وعلى ضوء هذه الحقائق كان لا بد من استهداف الجمهورية شكلاً وليس في الجوهر، وفي الثمانينات عندما كان تكويننا يتشكل على الصعيد الشخصي أو على صعيد PKK فإن ظاهرة الجمهورية الموجودة أمامنا كانت تلقي بتأثيرها علينا، ناهيك عن قبول الهوية الكردية، كان يتم اللجوء إلى جميع الوسائل والسبل لأجل دفن الهوية الكردية، والعمل الوحيد الذي كان يمكنني القيام به بالوعي الطبقي والهوية الثقافية المتوافرة لدي هو محاولة الافادة

من الإمكانات الكردية في الأقل لأجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وبذلك فقط كان يمكننا التعبير عن صدق الارتباط بذكرى شهداء الثورة في تركيا وخاصة بذكرى "حقي قرار"، رفيقنا الشهيد الذي يحظى بمكانة بارزة لدينا، والوضع كان يشبه بالسير في وسط غابة مجهولة متوحشة تماماً، ففي مثل تلك اللحظات التاريخية تتحقق مثل تلك المسيرات دائماً، حيث لا يوجد استعداد كافٍ ولا وضع إستراتيجية خاصة، رغم ذلك لا بد من إلقاء خطوة إلى المجهول، وبذلك فقط يمكن ولادة الجديد، وخروج سيدنا محمد من مكة، ومسيرة القدس لدى سيدنا عيسى تتضمن المعنى نفسه في الجوهر، فإما الاستسلام للجهل والإنكار السائد في تلك المرحلة، وإما أن تقوم بالتصدي لها، ولا يمكن حدوث أي تطور تاريخي بغير ذلك، وهكذا كان خروج مصطفى كمال أتاتورك إلى "سمسون"، فهو لم يكن يملك أية إستراتيجية أو برنامج أو تنظيم في البداية، ولكن تلك الخطوة هي الصحيحة التي ستفتح الطريق التاريخي، أما الإعداد والإستراتيجية والتنظيم فهي ممكنة بعد أن تحقق الخطوة معناها، فالذي جعل مصطفى كمال عظيماً ليست مؤهلاته العسكرية ولا الإمكانات المتوفرة لديه، حتى ان ذلك يؤدي دوراً سلبياً في هذه المواضيع، فهو يحاول التخلص من هذه الخصائص في أسرع وقت، بل الشيء الذي أوصله إلى النتيجة هو آفاقه والمعنى الذي يمثله، ومثل هذه الظواهر كثيرة في التاريخ، والأمر الذي يجعل التقدم ممكناً بشكل عام هو الجرأة على إلقاء الخطوات المطلوبة.

وبناءً عليه وعلى الرغم من أن كل الظروف المادية كانت مضادة لـ PKK، فإنه يفكر ويتحرراً على إلقاء هذه الخطوات التي تهدف في جوهرها إلى الجمهورية الديمقراطية مهما كانت التحريفات بهذا الصدد، بينما المفهوم الإستراتيجي فهو أنه لا يمكن الوصول إلى كردستان حرة ومستقلة إلا من خلال جمهورية ديمقراطية، وتدريباً ستؤكد الحياة صحة خطواتنا التاريخية هذه لأجل وحدة القوى الديمقراطية بشكل حر ولأجل مفهوم الجمهورية الديمقراطية في مواجهة الأوليغارشية التي توحدت في المفاهيم الرجعية في الجمهورية الأوليغارشية.

إن التحرر الوطني الذي حدث في العشرينيات ١٩٢٠ بقيادة تركية كان يتطلب الوصول إلى التحرر الديمقراطي بقيادة الكرد لإتمام التحرر، فالوحدة الديالكتيكية بين الطرفين كانت تعبيراً معاصراً عن التطور التاريخي وبمثابة امتداد لذلك التطور، والمواقف المبدئية الصارمة لدى PKK نحو القومية البدائية الكردية ونحو شوفينية القومية التركية له علاقة وثيقة بهذه الحقيقة.

إنني أقوم بتشبيه شخصيتي في تلك المرحلة بدفتر أو قالب يسمح بكتابة عدة أحكام صحيحة دون السماح لتدوين الأخطاء التاريخية فقط، فأنا لم أتجرأ مطلقاً على التمسك بحياتي الشخصية، وكان اغترابي مستمراً عن القرن العشرين دائماً، وعدم الانغماس في الهموم الذاتية كان سبباً في اكتسابي بعداً تاريخياً، وليس من الخطأ أن يتم تقييم تلك المدة بأنها مدة الاحتضان لولادة من أجل الشعب الكردي، فالقيام بخلق ذاتي مع شعبي لم يكن يشكل قضية فلسفية ونوعية فقط، بل كانت قضية أخلاقية أيضاً، وعيش الشعب بعيداً عن واقعه كان يعني الانحطاط والسفالة واللاأخلاقية بالنسبة لي، والشكوك الإلهية التي كانت تسيطر على ذهني تركت مكانها للقضية الوطنية، والتنظيم والمواضيع السياسية والشكوك المتعلقة بها، حيث كانت هذه المواضيع المادية تتناسب مع الإشباع الذهني لدي، والأسلوب الديالكتيكي أصبح أكثر جاذبية عندي من الميتافيزيقيا، فلاشك أن ترسيخ وتمتين الهوية الكردية كانت تشكل خطوة مهمة في مواجهة المجتمع البرجوازي الشوفيني للجمهورية، بل ويشكل ذلك مكسباً كبيراً للجمهورية أيضاً، فعندما تحيا الديمقراطية بكل معاييرها

دوري هذا سيصبح مفهوماً بنحو أفضل ولم اشعر بأي شك في قناعاتي هذه.

وأكبر نقص لدي كان خلط الحقيقة مع الدوغمائية، وقد تعرفت على ذلك متأخراً، ولكن هذه الحقيقة لا تزال سارية على مجتمعات الشرق الأوسط عموماً، وليس غريباً أن يتم وضع الاشتراكية المشددة مكان الدوغمائية الدينية، فالدوغمائية علة أساسية يجب التخلص منها في كل مفاهيم الثقافة والهوية والأفكار اليمينية واليسارية على حد سواء.

٣. خلق الذات من خلال الحرب، ولكن إلى أي مدى؟.

إن الانطلاقة الثورية من أرض ميزوبوتاميا والأناضول نحو الديار المقدسة في الشرق الأوسط تذكرنا بأمثلتها التاريخية، فالذي حدث لا يشبه خروج مجموعة أئنية أو قوم ما، بل هي محاولة للإيديولوجية الثورية المعاصرة واكتساب الحيوية والحياة مرة أخرى بحسب قناعتنا، حيث يتم رفض كل أشكال الاستعباد، ويتم احتضان الحرية إلى آخر مدى، فالساحة التي تم اختيارها لتكون مكاناً للولادة الجديدة تمر في أصعب الظروف، والعنف الثوري يؤدي دور القابلة لهذا الميلاد، مما يشكل أحد أفضل الأماكن المناسبة في العالم، وبذور العقيدة التي تخمرت في التاريخ وانتشرت إلى العالم من هناك، وشخصيتي التي سيطرت عليها هذه المهمة بنحو شامل وعميق، كانت النواة التي أدت دور التفاف هذه البذور حولها، حيث تقوم بعجن الخصائص الوطنية والطبقية والثقافية والإيديولوجية والسياسية التي تأتي في مقدمة الخصائص التاريخية والمعاصرة، مثل العجين وتحولها إلى خلية أم، ليتحقق الميلاد الجديد القوي الحر مرة أخرى، بجهد بمائل الجهود التي يبذلها الكهنة والمؤمنون بمنتهى القدسية والإجلال، وأحاول فتح الطريق وكأنني رفيق صادق أمين لسيدنا إبراهيم، وحتى أقوم بإقناع القوم الملعونين الذين لا ينصاعون مثل قوم سيدنا موسى، اعتمد على فتح الأذهان حتى النهاية، وأقوم بإرسال رسل الإيمان إلى كل مكان كما فعل الكاهن "باول"، وأحاول التقرب من الطراز النبوي بقدر ما أستطيع حتى لا أتخلّى عن الضمير الإنساني، فلا أريد الانخراط أمام حقائق القرن العشرين، ولا أريد تسليم روح الإنسانية إليه، فالتمرّد كان جذرياً ومن النوع الذي يليق بالإنسانية وأمثلته التاريخية، وأكثر من الوطنية الضيقة فإنني لم أتخلّ عن مسؤولية أن أمثل أملاً باسم الإنسانية، ففي الجوهر ليست هناك قناعة بالحياة القائمة، بل رفض للاستسلام لها، ويتم الجري وراء هدف الحياة المعتمدة على العدالة والجمال بلا هوادة، ومهما كانت القوى المادية المعاصرة ساحقة، كان هناك تمسك بـ "يوتوبيا" صنع الشرق الأوسط الجديد، والعناد في مواجهة كل الصعوبات.

يصعب إعطاء حصيلة لأنشطتي التي مارستها عملياً في الشرق الأوسط فيما بين عام ١٩٧٩ و ١٩٩٩، بل ولا حاجة له، فالتاريخ سيوضح تلك الحصيلة الحقيقية في المستقبل اعتماداً على المواد الكثيرة المتوافرة لديه، ومن المفيد أن أقوم بتوضيح الخطوط العريضة لمواقفي.

أ. يجب عدم أسر إرادة التحرر ولا تحريفها: ليست السبل وحدها متعرجة في الشرق الأوسط، بل سبل الانتشار الإيديولوجي أيضاً متعرجة وصعبة وتتطلب قدرة وموهبة كبيرة لأجل التنفيذ دون الوقوع في التيه وهذه الحقيقة قائمة منذ بناء ورسم سبل الزيكورات السومرية والأهرامات المصرية التي تتيه الإنسان، وبمقدار ما تكون الإيديولوجيات والسياسات مهمة، يتحقق النجاح بنفس درجة التيه، وبناءً عليه فإن الخروج إلى الشرق الأوسط وممارسة السياسية فيه يعني الدخول في

طريق يكثر فيه التعرجات والألغاز اللامتناهية، وجوهر اللغز هو الإيقاع بالإنسان في حيرة لضمان ارتباطه، لقد كان الكهنة والكهنة السومريون والمصريون يستمدون كل قوتهم من إيقاع الأفراد في حيرة من أمرهم بتجارهم، ومن ثم الاستيلاء الكامل عليهم، وبعد ذلك تقوم كل الأنظمة الاستبدادية والإدارة الاستبدادية بتقليد هذه الأساليب، وتقوم بصنع كل من يواجهها وتأخذها تحت تأثيرها، وهذا يشكل نوعاً من ممارسة تربية الخنوع، وهذا هو الهدف من إجاعة الإنسان في حديقة غناء فيها كل شيء، وكذلك هذا هو الهدف من تمرير الإنسان بممارسة جهنمية، أي تحطيم الإرادة المختلفة أو الحرة وفرض الخنوع عليها، وعلى هذا الأساس تكونت المورثات السياسية في الشرق الأوسط.

إن ما تمارسه الجمهورية التركية هو القضاء التام على الإرادة بالوسائل العنيفة والحشية، بينما يجري ذلك في الشرق الأوسط بنحو أكثر مرونة وأكثر مخادعة وبحسابات وأساليب التجار الدقيقة، وبناءً عليه إذا قلنا: "إننا خرجنا إلى ساحة الحرية، وأنقذنا أنفسنا" فإننا بذلك نخدع أنفسنا، ويسري هذا الأمر بالنسبة لمن يخرجون إلى أوروبا أيضاً، فالخروج إلى هناك يمنح شعوراً مخادعاً بالحرية ولكن الذي يبقى هناك يصبح محاصراً بشخصية مريضة من الأعماق مثل الكارثة تماماً.

يجب عليّ أن أوضح بأنني بذلت جهوداً كبيرة كي لا افقد إرادتي الحرة، ففي هذه المنطقة التي تنامت فيها القومية كثيراً، يصعب جداً البحث عن علاقة ضمن الإرادة الديمقراطية المعاصرة، وكل جهد يُبذل يذهب ادراج الرياح، وما يتم فرضه هو العشائرية المعاصرة وفي مقدمتها المصالح القبلية والعشائرية، ومهما كانت الكلمات معسولة ومهذبة فهي لا تتجاوز نطاق الشكل المتطور من الشوفينية العشائرية أو القومية، أو تعبيراً سياسياً مُضخماً عن ذلك، وهذا يعني الأفق الضيق في الرؤيا وعدم رؤية الآخرين، ومادام الأمر كذلك فإن إرادتك الحرة تصبح مصدر تهديد دائم لهم بحسب نظرهم.

أستطيع القول بأن أصعب شيء بالنسبة لي كان الحفاظ على إرادتي الحرة ومحاولات حماية النوايا الحسنة الجديدة للمرشحين لأن يكونوا رفاقاً، وأصبحت هذه هي القضية الأساس، وما زال المنتمون إلى PKK والأصدقاء يجهلون معنى هذا الأمر، ولهذا السبب تبقى آفاقهم ضيقة ونظرتهم سطحية، ولا يستطيعون حماية أنفسهم من أن يصبحوا ضحايا رخيصة للتكتيكات البسيطة، والأمر الأهم شأنًا من مساهماتي العملية بكثير، هو نشاطي على الصعيد الداخلي والخارجي الذي حال دون وقوع الذين تمتعوا بإرادة التحرر ضحية للاستغلال الذي يمارسه المخادعون الكثر والمنتشرون في كل مكان، ويجب ألا ننسى بأن فقدان حرية الروح و الإرادة يؤدي إلى الانهيار والزوال حتى لو كان المقصود هو الدولة.

ب. إن حماية إرادة التحرر، أمر ممكن بالاستقلال الإيديولوجي وتعزيز التنظيم: حيث لا يمكننا التحدث عن الإرادة الحرة لأولئك الذين يفقدون الاستقلالية في تفكيرهم الحر وفي تنظيمهم، فهم سيرتبطون ببعض الأماكن لا محالة، وأي فراغ على الصعيد الفكري أو التنظيمي سيجري ملئه من قبل الآخرين مطلقاً.

لقد خضتُ نضالاً مريراً في الشرق الأوسط حتى لا أصبح ضحية للأسر الفكري وحتى لا أنزلق إلى وضع اللا تنظيم، وكثيرون هؤلاء الذين يلوذون بإنقاذ أنفسهم من الصعوبات بشكل فردي، ومن الصعب جداً التصدي لميوهم هذه، ومجرد الوقوع في هذه الميول يمثل بداية الابتعاد عن قيم التحرر وعن المفاهيم المقدسة للخروج بأشكال مختلفة، فبذريعة البيت والمأوى والأولاد وقضايا المعيشية، من السهل جداً أن يحدث الخنوع والارتباط بجهات غير متوقعة، وعلى هذا الصعيد فقد أصبح الشرق الأوسط وأوروبا مقبرة لآلاف من المقاتلين الثوريين في سبيل الحرية، فالذين لم يخسروا في

الحروب، وقعوا واحداً تلو الآخر ضحايا في هذه السبل، ونظراً لإدراكي العميق لهذا الخطر فقد كان جهدي منصب على وضع ضوابط لحياة أولئك الذين يمتلكون إرادة التحرر وربطهم بقوة فكرية وانضباط تنظيمي سليم، وعلى هذا الصعيد استطعت أن أكون مميزاً في كل شيء وضحيتُ بكثيرٍ من الأمور، وبينما كانت التنظيمات الأخرى تشتت وتنتهي، استطاع PKK الاستمرار والتطور بقوة، وهذا هو الأمر الذي يكمن وراء قدرته على تحقيق تطورات خلاقة.

وكما رغبت أن تكون الحقائق التالية معلومة: إن تطوير مستوى الوعي التحرري لدى شاب أو شابة بنحو خاص، وتطوير مستوى التنظيم لديهما هو من أصعب الأمور، ولكنه الأمر الحاسم في تحديد أية نتيجة بكل تأكيد، ومن المؤكد أن التضحية بالذات في غير أوانه والدخول في اشتباك والقيام بالمهام كالعناتلين يجلب الضرر أكثر من الفائدة، وخاصة إذا لم تكن المواهب التنظيمية والوعي التحرري اللذان يبعثان القوة في الإرادة التحررية مهمين، فإن الأنشطة العملية تجلب الكوارث على الأغلب، فرغم أن أنشطتي هذه كانت مصيرية وواضحة إلا أن فهمها كان في أقل المستويات، ونظراً لأن الشخصية الكردية تذكرنا بالعناتلين عند الحديث عن العمل لا يتم تقدير التفكير الحر والأسلوب التنظيمي كما يجب، وعلى هذا الصعيد تم خوض حربٍ إرادية كبيرة، ولولا تلك الحرب لتحول كل منتمي إلى PKK، أو قوة منتمة إلى PKK إلى "عتال بسيط"، أو متواطئ بيد هذه القوة أو تلك، من دون أن يعلم، مقنعاً نفسه أو مسكيناً منطوياً على نفسه من دون أن يستطيع تجاوز ذلك الوضع، وهذا هو الجانب الذي جعلني وحيداً بعنادي الكبير، وبحسب قناعتي فإن الافتقار إلى هذا العناد وهذا الجهد هو أخطر وأكثر دناءة من المساومة على الزوجة والأخت التي نسميها بالناموس، والقيم الرفيعة المعروفة لدينا.

ج. إن الدفاع عن الهوية الكردية على أساس التحرر كان أحد الأنشطة الصعبة في تلك المرحلة، إن الكردي يعني جزءاً من الأجزاء المتفسخة ليس في الإيديولوجية الرسمية التركية فقط، بل في الإيديولوجية العربية والفارسية أيضاً، والظهور في مواجهة هؤلاء بهوية كردية متحررة وشرقية، لا يختلف عن شكل عدو كبير لديهم، فظهور ذلك الكردي الذي أنكروا وجوده على مدى قرون وأواكل أشكال التآمر عليه أمراً طبيعياً، وبهويته التي اعتبروها انحطاطاً أمامهم هو نوع من القهر لديهم، ومن هذا يجب أن يفهم بأن جعلهم يقبلون بعدم خطورة الهوية الكردية عليهم، بل إن ذلك ضرورة للتعيش الأخوي الأمر الذي يحتاج إلى موهبة وطاقت كبيرة، وإلى كثير من الصبر والمهارة، وكان يصعب كثيراً إيجاد مكان مشرف للکرد بين موزاييك شعوب الشرق الأوسط، وأهم إنجاز قمث به في الشرق الأوسط هو أنني استطعت وضع الهوية الكردية في المكان المناسب الذي يليق بها، بعد أن جعلها العملاء الكرد سلعة رخيصة للبيع والشراء، ومازالت هناك أوساط كثيرة من بين PKK ومن الأصدقاء وخارجها من الكرد يعتقدون أن ذلك قد حدث من تلقاء ذاته، ومسألة عدم ترك PKK وحيداً أمر له علاقة وثيقة بارتقاء القضية الكردية إلى مستويات عليا، فالكامل مازال يرغب في خدع كرد رخيصين، وإذا تم رفض ذلك فيجري الابتعاد وتزداد المساهمات في المؤامرات والتخطيط لها، أما التمسك بالهوية الكردية المتحررة فقد جعلني هدفاً لأكبر أخطار التاريخ والعصر الذي نحن فيه، والواقع الملعون الكردي الذي يتضمن كثرة الأعداء قادر على تحطيم كل من يحاول التقرب منه، وهذا هو السبب الذي جعل الكردي يتهرب من الهوية الحرة على مدى التاريخ على الأغلب، ويلجأ إلى العمالة والتواطؤ بدلاً من ذلك، وعندما يرى الخطر في هذا الأمر فلا يتورع من الدخول في كل لون من ألوان الولاء الذي يطلبه أسياده، وقيامه بتحطيم كل هذه المفاهيم والتقاليد بل قيامي بإحياء الهوية الحرة

فوق ذلك، فتح المجال أمام قلق وانزعاج البنى التي لم تستطع تطوير هويتها من حيث التحرر والمساواة والديمقراطية، وحكمت على أن الهوية الحرة المتمثلة في شخصي لن تكون في صالحها، وعندما أقول: "خسرت أنا كشخص ولكن الشعب الكردي الحر قد انتصر" فإنني أقصد هذه الحقيقة.

ولو تم النظر إلى حياتي ونشاطي في الشرق الأوسط من حيث الحقيقة الجوهرية يمكن رؤية ثلاث تكوينات أساسية:

الأول: حقيقة بحسب ولادة أو خلق شعب محارب، فالجوهر الإيديولوجي والنهج السياسي لحركة التحرر الوطنية والقضية الوطنية، يعبر عن ضبطها بحسب الظروف الملموسة لدينا بنحو عام، وعلى الرغم من وجود تأثير الدوغماتيات بشكل كبير، والأمر المهم هنا هو تأسيس النظام الإيديولوجي اللازم للشعب الكردي بجهوده العملية وبقدرته الفكرية، من دون اللجوء إلى قوى وقوالب الاشتراكية المشيدة، وقد تحقق النجاح لهذا التوجه أو لهذه المهمة في السنوات والمرحلة والظروف التي تواجدت فيها في تركيا، ورغم تضمينها نواقص كبيرة وجوانب دوغمائية، فعلى الرغم من بعض الشموليات فإن النهج السياسي بالنتيجة استطاع ترسيخ إرادته الحرة على شكل إرادة تدخل في خدمة مصالح الشعب الكردي لأول مرة، وبذلك تم تنوير الطريق أمام حركة التحرر الكردية في المرحلة الجديدة، وتحديد المسار الذي يجب السير عليه، هذه المرحلة تصاعدت حتى عام ١٩٨٠ لتصل إلى الذروة في ٣٠ تموز ١٩٨٠ بعملية سيورك. بوجاق، وهذه النقطة تعبر عن نهاية مرحلة، وبداية مرحلة أخرى في الوقت نفسه.

أما الذي تم خلقه على مستوى الشرق الأوسط فهو أن الشعب يرد بالحرب على العلاقات والإيديولوجية الرجعية وقوى القمع الداخلية، ولأول مرة يسير الشعب الكردي على الطريق الذي تحدده مصالحه بإرادته الحرة، ولأجل الوصول إلى حقه في الحياة الحرة، ويسير قدماً نحو كل شيء يقف عائقاً أمام طريقه، ولا يتورع عن خوض الحرب على صعيد اتخاذ القرار والممارسة، فقد خاض الحرب أولاً ضد نزعاته وأفكاره الرجعية الممتدة على مدى آلاف السنين أولاً، وكان لا بد من تلك الحرب لأجل دماغه الحر وسواعده، ولم يتردد في تطهير ومهاجمة مخلفات العبودية التي تراكمت في أعماقه منذ العصور النيوليتية والعبودية والإقطاعية وأخيراً الرأسمالية والأنظمة الحاكمة حتى يومنا هذا، وما يجب القيام به لأجل التحرر هو حرب داخلية، ومهما كانت الآلام كبيرة يجب قطع ورمي الأعضاء والجوانب التي أصابها العطب من خلال تلك الحرب، فلأول مرة في التاريخ تم تحطيم العلاقات والروابط الأيديولوجية الرجعية التي لا تسمح بالتنوير وتدفع إلى كل أشكال العبودية والعمالة التي تنبع من العمالة الكردية، ومن دون خوض تلك الحرب والنجاح الذي تحقق فيها ولو بنحو محدود، لما أمكن التوجه إلى الخارج بالحرب التحررية، ولما توافرت الإمكانيات لتحقيق النجاحات التي تحققت، فالأمر الذي تم تأكيده بممارسة "بوجاق" هو هذه الحقيقة التي شرحناها، علماً بأن العصابات التي تأسست داخل PKK، وكذلك الحرب التي شنتها القومية البداية كانت تنبع في حقيقتها من هذا الواقع، فعدم ظهور الإرادة الحرة للشعب، أو قمع هذه الإرادة عند ظهورها بهذه الدرجة من الظلم ومن دون رحمة أمور ترتبط بخصائص هذه الشريحة منذ آلاف السنين وبمصلحتها الحياتية بنحو وثيق، وقد تحقق النجاح النسبي في هذه الحرب الشعبية حتى لو لم يكن على المستوى المطلوب.

إن التعريف الأفضل الصحيح لقفزة ١٥ آب هو أنها الدفاع الذاتي لواقع شعب أرادوا أن يخنقوه تماماً، فحتى لو ظهر ذلك على شكل هجوم إلا أنه كان بمثابة تحذير: "إنني شعب فلا تبديني"، وبخاصة بعد ردود الفعل المتصاعدة ضد

الوحشية التي تمت ممارستها في سجون ديار بكر وجاء بمعنى "نحن لن نتخلى عن وجودنا" كصرخة مدوية من السجون والتجاوب معها، فصرخة مظلوم دوغان: "يجب أن يسمع العالم صوتنا"، وصرخة محمد خيرى دورموش "لا يمكن أن تنكروا وجودنا" وكذلك قول كمال بير: "إنني أرى أن خلاص وتحرر الشعب التركي يمر عبر حرب تحرير الشعب الكردي" وهكذا فإن الحرب جاءت لتجعل من كل تلك الصرخات معنى ومضموناً، فقد استهدفت تلك الحملة قوى الاستبداد والرجعية من الكرد والأتراك معاً لتقول للأولغاربيين: "إن عصر ممارسة القمع والاستغلال اللامحدود على الشعوب قد ولى، وجاء زمن تحررنا" وكان يجب دفع الثمن لأجل حياة كريمة معاصرة، وهذا الثمن هو حرب الشعب ذاتها، حيث لا وسيلة أخرى للتخلص من القوى الأولغارشية والاستبدادية التي حاصرت من الجهات الأربعة، وبمقدار ما يتم خوض الحرب ضد قوى الاستبداد والقمع وبمقدار ما يتم ممارسة الدفاع عن الذات، فإن الشعب سيصل إلى الحياة الحرة الكريمة بنفس الدرجة.

ومهما كانت الآلام والخسائر كبيرة فكان لابد من التصدي لنظام القمع والصهر القسري لدرجة إنكار الوجود وتمزيق النظام من خلال حرب دفاعية يحياها الشعب ويشعر بها حتى النخاع، فمن دون مثل هذه الحرب لا يمكن للشعب أن يحصل على أي حق، بل لن يستطيع إنقاذ نفسه من الانتهاء والزوال الكامل، وبناءً عليه فإن الحرب التي خاضها الشعب الكردي ضد القوى الداخلية والخارجية والرجعية التي استهدفت في واقع الشرق الأوسط لم تكن ضرورية وبحسب، بل هي حرب مقدسة لأجل تحقيق الاستمرار لوجوده وتحرره، والأخطاء التي حدثت والخيارات التي جرت وعدم تطور قيادتها، واستمرارها لمدة طويلة لا يغيّر شيئاً من قدسيته وأهميتها ولا يبعدها عن مضمونها العظيم، مع العلم بأن تلك الحرب لم تستهدف الانفصال أو الابتعاد عن الشعوب المجاورة، ولم تكن هذه مطلقاً بل على العكس تماماً هي حرب تزيدها غنى وتعزز من وحدتها الطوعية الحرة وتمكّنها من تأسيس جمهورياتها الديمقراطية، وهي حرب ضد الرجعية والاستغلال الذي تفرضه القوى المتسلطة، ورجعيتها القومية والدينية والانفصالية، ولهذا فهي حرب تحررية ووحدية وتقديمية بالنسبة للشعوب.

إنني واثق من أن مراهنتي على كل ما أملك نظرياً وعملياً على هذه الحرب الشعبية هو واجبي نحو شعوبنا، وإذا لم يكن سير هذه الحرب حسبما أرغب، فإنني مؤمن تماماً بضرورتها وبجوهرها، ولكنني لا أستطيع التحدث عن نجاح كامل ضد العصابات الداخلية وضد القوى الإمبريالية التي عملت وتعمل بشتى الوسائل لاستغلال الأوضاع، وضد القوى الأخرى التي تعمل لتخريب الأوضاع، ولكن بالمقابل يجب عدم نسيان أن هذه المهمة أيضاً تقع على عاتق الشعب الذي يخوض حربه والقوى الطليعية التي تمثله، كما أن الارتباط الوثيق بتقاليد شعبي وشعوب الشرق الأوسط في المقاومة الممتدة على مدى آلاف السنين، وإبصار هذه المقاومة وتقاليدها إلى الجوهر المعاصر والتقدمي هو واجب ملقى على عاتقي ولابد من القيام به التزاماً مني باحترام وتقدير هذه الأرض التي أنتمي إليها وثقافات ووجود شعوبها، بينما حسرتي وأسفي فهو ناجم عن عدم قدرتي على قضاء عمري كله، بل وإضافة عدة أعوام أخرى على عمري للنضال لأجل تحقيق السلام المشرف، والوحدة الطوعية الشاملة، وعدم قدرتي على تقديم الجهد اللازم لذلك، ولكنني واثق بأن القوى المسؤولة لدى شعوبنا، قادرة على إزالة النواقص وتحقيق الانتصار المطلوب.

الثاني: العمل الثاني ذو المعنى الذي استطعتُ إنجازه هو خلق الكادر الحر، فالشعب المحارب يحتاج إلى الكادر

المحارب، حيث كانت الكادرية في ظروف تركيا عميقة ودوغمائية، وما كان متوافراً لدى PKK فقد كان قليل من القادرين على التفكير المحدود وممارسة لا تتجاوز عدة حفقات من البارود، ولا يمكن خوض حرب شعبية بما هو متوافر، ولا بد من تلك الجهود التي بذلناها لأجل خلق قوة إيديولوجية تتحلى بالصبر والجرأة، وهذا يتطلب مهارة فائقة، وأغلب وقتي وجهودي انصب حول خلق كادر الحرية، وتحقق ذلك كالمعجزة التي أنبتت فرعاً أخضر من غصن يابس، حيث تم خلق كوادرات الحرية من أفراد شعب كانوا محاربين خونة عميان يحاربون ضد أنفسهم ويفتقرون إلى قوة التفكير والمشاعر النبيلة ويتغذون على الرجعية، والتخلف القائم منذ آلاف السنوات بينهم، وكان هذا العمل من أصعب الأعمال التي تتطلب مهارة فائقة، حيث أُقيمت مئات الدورات التدريبية المتتالية، وعشرات الآلاف من الحوارات والأحاديث الخاصة في سبيل الوصول إلى كادر الحرية، واستطعت تحقيق ذلك من دون كلل أو ملل، وكانت عينايا ولساني يعملان من أجل ذلك حتى خلال الأكل والشرب، وكنت أدرك بأن مهمتي كبيرة وصعبة، وأعلم بأن ما أقوم به هو أشرف وأبل عمل، وأن الموت في سبيل ذلك لا يتجاوز وزنه الريشة مقارنة بثقل ما أقوم به، ولكن كان لابد من القيام بذلك لأجل تجاوز التاريخ الملعون وإعطاء عدة سنوات لتاريخ الحرية بنحو صحيح وتأمين ذلك بشكل عال، ولهذا وضعت كل جهدي في ذلك الكادر، وخضت عملاً كادرياً وقدمت توضيحات لم يقدمها أي فيلسوف أو نبي أو عسكري أو سياسي، من حيث النوعية والكمية على مدى التاريخ، ولكن قيام العصائيات الداخلية وعن وعي بالقضاء على هؤلاء الشباب اليافعين والتهام هؤلاء الشبيبة الذين يمثلون قلب وفؤاد الشعب، وجهدي الكثيف الذي وضعته فيهم ورعيتهم وأنشأهم كان مصدراً لآلامي وغضبي الكبيرين دائماً، وكان يصعب احتمال وفهم هذه الممارسة التأميرية الخيانية التي استهدفت ممارستي الخلافة هذه.

ولكن الكادر نفسه كان مسؤولاً عن ذلك أيضاً، ألم يكن يحترم نفسه؟.. ألم يكن يرى كل هذه الجهود؟.. ألم يكن يفهم بأنه الابن الأسد الغالي جداً لدى والديه، ومصدر أملهم وتطلعاتهم؟.. فما هو مدى دفاعه ومحافظته على الجهود التي بذلها والتي تروى لها حتى قلوب الظالمين وقلبي الضمير، ومتى سيستطيع تطبيق الوعود الكبيرة التي وعد بها؟.. وقبل كل شيء كيف سيتمكن من المحافظة على حياته لأطول مدة وكيف سيقوم بتطوير نفسه؟.. وكان لابد للكادر الذي يسعى إلى الحرب أن يجابو على هذه الأسئلة، وكان عليه الخروج عن طوعية أولئك القادة المزيفين قليلي الأصل ولا يصبح آلة لهم، ويعمل على الالتزام بمضمون مئات الوثائق والتوجيهات التي تلقي الضوء على الأوضاع، لاستمداد القوة العملية منها وليقوم هو بالذات بتمثيل الواقع، فقد كنت واثقاً من أنني منحت الكثير، أما مقابل ما منحت، فقد كان الموت الرخيص في غير مكانه وقتل الآخرين، ولم يتحول إلى معرفة أين ومتى وكيف يمكن الموت، أو متى وكيف وأين يعيش وما هي المهمة الرئيسة التي تنتظرهم، لقد رعيت وأنشأت الكثير، بينما قام هو بالقتال الكثير، وامتلك جرأة من دون حدود وأبدى توضيحات كبيرة، ولكنه لم يبدِ المهارة الكبيرة، ولم يحاول مطلقاً تأسيس نظامه، ولم يستطع إنقاذ نفسه من الحياة والموت السهل الرخيص، ولم يتحول إلى التجييش وإلى قائد، وأنا لا أنكر للإنجازات التي تحققت والبطولات التي جسدت، ولكن عدم القيام بتبني الموقف المطلوب نحو العصائيات والقومية البدائية في حينه، وعدم إبداء القدرة على تحقيق النجاح في مواجهتها يكفي للاستدلال على النقص الكبير، ولم أتردد في توجيه هذا السؤال إلى نفسي دائماً: لو علمت بهذا الوضع منذ البداية فهل كنت سأسمح لهم بخوض هذه الحرب؟.. وهل يمكنني قبول المسؤولية من جانبي في الأقل؟.. وعلى الرغم من أسفي الكبير فإن خلق كوادرات الحرية يشكل عملاً أسطورياً ولكن لم يتم إبداء اللياقة الكبيرة

نحوها وتم هدرها أو أستخدمها بخيانة ودون أدنى مسؤولية، ورغم ذلك اعتقد أن هذا الإنجاز قد أخذ المكان اللائق به في التاريخ، ولابد من خلق الحياة الحرة تجاوباً مع ذكرى آلاف الشهداء والشعب الكردي الحر الذي سيصبح حقيقة واقعية، أما الباقون فهم في وضع الدفاع المشروع، وأنا واثق ومؤمن وأملّي كبير بأنهم قادرون على إزالة النواقص، وقادرون على تحقيق السلام المشرف للشعبين الشقيقين على أسس الوحدة الحرة، وأنهم سيصلون إلى مستوى القوة النوعية والكمية القادرة على تحقيق ذلك وضمانة استمراره.

الثالث: هو النشاط الأسطوري في الشرق الأوسط والذي يتعلق بتحرير المرأة، وهذا الإنجاز كان من أصعب الإنجازات، حيث أعتقد أنه عمل أثمن وأكثر ضرورة وأولوية من تحرير الوطن والجهد، فالمرأة تمثل طبقة تعرضت للسلح الجذري قبل كل شيء من قبل النظام العبودي والرجعي من حيث الجنس والطبقة والأمة، فظاهرياً تبدو هذه الممارسات على شكل تمييز بين الجنسين واللا مساواة والقمع، ولكن إذا تم البحث التاريخي العميق، سنرى أن المرأة هي الضحية الأولى للهيمنة الاجتماعية والسياسية، بل وهي الضحية الأولى للعبودية واللا مساواة التي تم فرضهما على البشرية، وبعد استعباد المرأة تحوّل البيت إلى مطيع ومروض، بعدها جاء الدور إلى المجتمع الطبقي والدولة الطبقية، أي بعد أن قام الرجل الظالم الكاذب بإسقاط المرأة، واستمد من ذلك الجرأة ليقوم باستعباد الناس الآخرين من أبناء جنسه وأسره وسحقهم، ثم قام بتأسيس أكبر أنظمة فكرية للكذب والدجل الذي يسمى بالميثولوجيا والأديان، وبالطبع هناك الأديان والميثولوجيا التي تقوم بتقريب الشعوب من الحقيقة أيضاً، بينما نحن نتحدث عن الميثولوجيات والأديان التي تقوم بنشر الأكاذيب والخشونة التي تخدم المستعمرين والمهيمنين، فلو نظرنا إلى تلك الميثولوجيات والأديان، نرى أنه يجري إنزال المرأة من عرش الآلهة تدريجياً بالحيلة والفظاظة، حتى تفقد أهميتها ويتم القضاء عليها تماماً في آخر المطاف، وبالنسبة لي يستحيل أن أرى هذا الوضع وأنغاضى عنه، كأبن تحرري لهذه الأرض التي خلقت الدين والربا الأولى، وشهدت أكبر وأول عشق الآلهة، كان لا بد أن أرى وأبحث و أتعلم في عظمائنا والأولين، ومصدر طموحنا وتطلعنا لأجل فهمهم واستيعاب سبب وجودهم.

إن تحاملي على قضية المرأة يتجاوز كونها قضية كرامة شخصية بالنسبة لي، وفي الموقع المضاد للحاجات الجنسية البسيطة، فلقاء الجنسين يتجاوز الغرائز الجنسية الحيوانية مطلقاً، إلى صداقة عظيمة ليصل إلى مستوى الرفاقية، واعتبرت ذلك شهامة حقيقية، وأدركت أن التردد في الوصول إلى المرأة هو الخوف بذاته، فقد تم خلق رجل يهيمن عليه الخوف، وكان يلعب هذه اللعبة تحت أسم الناموس، فحتى لو قال "إنني أحب" كان يسعى إلى الطعن في المرة الثانية، وكان ظلمه رهيباً، حيث قام بسحق المرأة جنسياً وأبادها فيزيائياً، كما أباد ذكاءها ومشاعرها وفرض عليها الانحطاط بعمق لا يمكن تصديقه، وأكبر رجل يدعي الاشتراكية أو حتى المرأة لم يستطيعاً إنقاذ أنفسهما من تمثيل هذا الواقع واللعبة بكل بساطة، وأنا تحاملت على هذه القضية بكل قوة استمدتها من تعطشي إلى الحرية، وأجريت تحليلات كثيرة وحوارات كثيرة وأحاديث عميقة ليس كمالك أو صاحب لمن بل كفنان تناول الجانب الجمالي الفيزيائي، وإمكانية أن يتحولن إلى ذكاء متقد، وتدخلت بكل شيء يخصهن لأجل إبصاهن إلى تذوق كل ما يمكن تذوقهن بلغة لسانهن ومشاعرهن، فنشأن نشوءاً عظيماً، ولكنهن لازلن حديثات العهد، والحياة الملعونة والأسياد الرجال مازالوا إلى جانبهن، بينما كن يفتقرن إلى الخبرة والمهارة لأجل خوض حرب جنسية مع الرجال وفي مواجهتهم، ولهذا الألم ألقين بأنفسهم إلى الهاوية، ومزقن

أنفسهن بالقتال، وفعلن كل ما يمكن ببطولة كبيرة، ولكنهن كن وحيدات، فالرجولة التي كانت في مواجهتهن لم تكن ترغب في التفكير في المساواة والصداقة العظيمة والرفاقية بدلاً من مواقفهم الخشنة، بينما كنّ يذهبن ويذهبن كالأنهار.

بينما أنا فقد شعرت بالاحترام والمحبة إلى درجة الإيمان بثقافة الإلهة، ومهما حاولوا الانتقاص من قيمة وأهمية حربي التي تم المرأة، إلا أنني واثق من أنني أعطيتها حقها، فكيف بأحدهم يخون أكبر المهام المقدسة لأجل المرأة، ويقوم بإنكار ذلك في الوقت نفسه، ثم لا يقوم بمهامه نحو الرفاقية الأصيلة مع المرأة، وقد حاولت جاهداً أن أظهر لكل الأوساط وفي مقدمتها PKK بأن حرب المرأة أمر لا يمكن الاستهانة به، أو الإقلال من شأن جوانبه، ويجب الاعتراف بالأمور الصحيحة وبقوة العشق بمقدار ما كان يعترف به الرجل الإله الخشن والأكثر كذباً، ووجوب التعرف على عالم الربات، وإبداء الاحترام والتقدير والمحبة اللازمة نحو هذا العالم من الصميم، وحاولت الالتزام بمنتهى الجدية والمبدئية في هذا الموضوع، كما حاولت فرض ذلك على الآخرين.

على الرغم من ظهور الخونة والعلماء يستحيل نسيان أولئك الذين انضموا إلى هذه الجهود من أعماقهم، بخاصة أولئك الشهداء اللواتي هن عزيزات مقدسات لهذه الأرض ولهذا الشعب، وسيبقين في الذاكرة دائماً، إنهن آلهات حقيقيات شهيمات، أما الباقيات فقد احترمت وحدثن وتحولن الحربي، وحاولت أن أكون عوناً لهن، وطالبت أن تكون المرأة ضماناً للحياة الحرة الجميلة دائماً، واستمراري في جهودي الكبيرة حتى النهاية إيماناً مني بأنه سيتم الوصول إلى القدرة على فرض الاستقامة على الرجل الرجعي الكذاب الخشن يوماً ما، وأنهن سيصلن إلى مستوى المرأة القوية مطلقاً، فالإنسان لا يكبر فقط مع المرأة التي يملكها، ولا يصبح رجلاً، وأنا لم أرغب في أن أنشأ كذلك ولا أن أصبح رجلاً كذلك، بل وحدث في ذلك أمراً يقلل من شأن الكرامة، وأنا أعلم بأنني وضعت نفسي في موقع صعب، كما أعلم أنني جعلتهم كتلة من النيران، كما أعلم بالذين يعادوني كثيراً من بينهم، وأعلم الذين يمارسون ظلماً كبيراً، كما أعلم بأنني جعلتهم وحيدين، ولكن الحقيقة التي أرغب في أن يعلموها، هو وجوب وصولهن إلى القوة الكبيرة التي تستطيع تحديد مصير الحرب والسلام، ومن دون ذلك فإن الحياة حرام عليهن، ومن دون ذلك لن يكون هناك عشق، ولا يمكن تحقيق أي حلم، والوحدة والانفصال هما الدين والفاتورة التي يجب تسديدها على هذا الطريق لأجل كسب الهيمنة وتحقيق تلك العظمة.

أود الإعراب عن إيماني الكبير وأملتي العظيم في أن تستعيد المرأة ذكائها وجمالها من جديد في أرض الربة الأم وموطن عشق الآلهة، بعد أن فقدتها على مدى آلاف السنين، انطلاقاً من قوة المساواة والأنشطة والحرب التي تتخذ من المرأة مركزاً لها، وستكون قادرة على فرض معاهدة اجتماعية جديدة بعد أن تصل إلى قوتها الذاتية، فمثلما الاحترام والمحبة في الرفاقية مع المرأة يشكل طموحي الكبير، فإنني سأمضي في مساعي وجهودي كعامل لأجل العشق حتى الرmq الأخير بكل تأكيد، وإنني سأبقى كادراً نسائياً طالما كانت هناك حاجة إليّ، وما تتطلب الرفاقية مع المرأة وسأبقى كذلك من دون أدنى شك.

لقد كانت لديّ أنشطة أخرى في الشرق الأوسط، وبخاصة يجب العلم بمدى الجهود التي بذلتها على الصعيد الدبلوماسي لأجل إعلاء شأن شعبنا الذي وصل إلى مستوى الانحطاط الكبير نتيجة للدبلوماسية الكردية المتواطئة، فالقضية ليست ممارسة الدبلوماسية مع الشرائع التي تبدو كبيرة على الصعيد الرسمي، بل المطلوب هو أشعار كل المنطقة

وكل القوى العالمية بأن شعبنا ليس وسيلة رخيصة للتجارة، ولا يتحول إلى آلة للمؤامرات والألاعيب السياسية، وأن وجود حرية الشعب الكردي لن تكون موضوعاً للمساومات، وعلى الأعداء والأصدقاء أن يدركوا حقيقة هذا الواقع، فقد تم إلقاء خطوات على هذا المسار حتى لو كانت هذه الخطوات محدودة لأول مرة في التاريخ، فالشعب الكردي بجهوده وتضحياته استطاع أن يتمتع بهويته الذاتية ويمتلك إرادته الحرة أكثر من أي وقت مضى، وأنه لن يصبح ضحية للإبادة والقمع والمؤامرات والألاعيب بسهولة كما أصبح واضحاً، فهو لم يعد يفتقر إلى من يدافع عنه وقد وصل مع الطليعة إلى القوة التي تمكنه من إفشال أية مؤامرة أو لعبة تُمارس بحقه، فربما لم نستطع إبرام معاهدات برامة بأسم شعبنا، ولكن ترسخ في ذهن وقلوب الأصدقاء والأعداء بأن الكرد مصممون على الحياة الحرة وأنهم لن يتخلوا عنها مطلقاً، وأنهم يتمتعون بالجرأة اللازمة ولديهم الاستعداد لتقديم التضحيات اللازمة لذلك إذا تطلب الأمر، وأصبح ذلك معاهدة معلومة في الأذهان وحتى لو لم تكن معاهدة مدونة.

إن كل ما حققته العمالة الكردية في الآونة الأخيرة، وحتى المكاسب الدبلوماسية في الشرق الأوسط كلها كانت من وراء وجودنا، فحتى المعاهدات التي تحققت في معاداتنا، والمصالح المادية التي تحققت لهم كانت على حساب دماننا وجهودنا التي بذلناها، وسنقول ذلك لأسياد العمالة في يومنا هذا، وسيعرف شعبنا الذي حقق بطولة في بذل الجهود، وأرى من الأهمية الكبيرة أن يعلموا بأن **PKK** الذي يمثل الإرادة الحرة للكرد قد اعتمد على جهوده هذه ليكسب ما تحقق له من مواقع في الداخل والخارج، وللأمر علاقة وثيقة بهذه الجهود المبذولة، وأن يعملوا ليكونوا لائقين بهذا الوضع، وأملّي الكبير هو أن يصلوا بقواهم الذاتية إلى تحقيق النجاح في كل مجال يخوضونه ويصلوا إلى ممارسة الدبلوماسية الحقيقية دون أن ينخدعوا.

فقد تم الوصول إلى مرحلة تأسيس الأكاديميات الوطنية المختلفة حتى لو كان ذلك على نطاق محدود، وتم إبداء الاهتمام اللازم بذلك، فالدعاء التي سالت عبر التاريخ والجهود المبذولة لم تكن كافية، وتم الوصول إلى الاعتقاد بوجوب إعطاء المعنى والمضمون اللازم من الأعماق لتبدأ مرحلة تأسيس المدارس المنتشرة لأجل الشعب وطنيته، حيث وجب عليّ تحويل كل منزل أقمّ فيه وكل ساحة تواجدت فيها إلى مدرسة، بحيث أصبح ذلك جزءاً لا يتجزأ من نمط حياتي، وبشكل يماثل فلاسفة العصور الأولى جعلت من جوار كل حائط وظل كل شجرة مدرسة، انطلاقاً من ادراك حاجة شعبنا إلى قوة العقل التي يفتقر إليها شعبنا، وتحملت على هذه الأنشطة إلى درجة كبيرة، وانتشرت تجربة "أكاديمية معصوم قورقماز" في كل ساحة وكل مجموعة من إنساننا، بذلك توافرت الأرضية اللازمة لتأسيس نظام أكاديمي ليس لأجل الشؤون العسكرية والسياسية فقط، بل لأجل التاريخ واللغة والفنون وبذلك يتم ترسيخ الأسس الذهنية، لأن مرحلة نظام الأكاديميات تشكل مرحلة تاريخية على صعيد وجود الكرد الثقافي وحرّيتهم، وما يجب القيام به هو توحيد الإمكانيات المتوافرة في كل مكان لأجل تأسيس الأكاديمية الخاصة بذلك المكان، لتطوير جميع شؤون الحياة ابتداء من السياسة إلى اللغة ومن التاريخ إلى الفلسفة ومن الفنون إلى الاقتصاد لتصبح أكاديميات وطنية في كل المجالات، إن الإيمان بذلك وبذل الجهود المطلوبة في هذا الاتجاه وتقديم المساهمة يجلب السمو للأشخاص والحرية لشعبنا، والذين لا يحققون النجاح في هذه المهام يستحيل أن يأخذوا مكائهم ضمن الحضارة المعاصرة، فالهيمنة الفكرية والموهبة الغنية، تجلب النجاح في ممارسة الحياة العملية، كما تأتي بالجمال والإحسان.

وباختصار فإننا لم نكتفِ بخلق خيال الحرية التي خطت خطوات على أرض الواقع لأجل شعبنا وأصدقائنا في واقع الشرق الأوسط، بل عملنا على توفير الأسس التاريخية التي تعتمد عليها تلك اليوتوبيا، وقدمنا إمكانيات التحرر التي تحقق النجاح لذلك، فبينما قامت الشعوب بتأسيس يوتوبياتها على مدى عشرات القرون، قمنا نحن بخلق أسس وأرضيات النجاح لذلك خلال عشرين أو ثلاثين سنة إنطلاقاً من الآمال الضعيفة جداً على صعيد المستقبل، ومن الأشلاء الممزقة للماضي الذي لم يكن أحد يتنازل لها لأجل شعبنا، إن هذه اليوتوبيا كانت ضرورية مثل ضرورة الماء والخبز والهواء لشعبنا ولأصدقائنا، ويقوم الجميع من الشعب والرفاق الأصدقاء بتبنيها ويدافعون عنها ليسيروا على الطريق اللاتحائي للحياة الحرة.

٤. البحث عن السلام، وممارسة النقد والنقد الذاتي

إن مقولة: " لكل حرب سلامها" هو حكم عام صحيح، فمهما كانت هناك أسباب ووسائل وأهداف للحرب فهناك أيضاً أسباب ووسائل وأهداف للسلام أيضاً، فالسلام ليس عملاً خاملاً كما يُعتقد، ولا هو أمر يمكن الوصول إليه بسهولة وبنحو طبيعي أو تلقائي ولا طراز حياة من ذلك النوع، بل يمكن تعريف السلام على أنه نمط الحياة الذي يشهد أكثر أشكال السياسة كثافة فيما قبل وبعد الحرب، بل يمكن تقييمها كمرحلة غير مستقرة بين السياسة والحرب، كما يمكن وصفه بنظام القيم المعنوية الذي يتم خوض الحرب في سبيله للرغبة الجارحة للمجتمع، كما يجب عدم التغاضي مطلقاً عن أن السلام هو ظاهرة ديناميكية لها علاقة وثيقة مع الحرب، والذي لا يخوض الحرب لا يمكن أن يكون له سلام أيضاً، وعلى العكس فإن الذي لا يفهم من السلام لا يمكن أن يفهم من الحرب إطلاقاً.

إن التطرق إلى تاريخ الحرب ووضع نظرياتها أمر خارج عن نطاق موضوعنا، ولكن الرؤية العامة هي أننا عشنا حرباً متدنية الكثافة في المرحلة الماضية القريية، ففترة ١٥ آب التي حققها PKK والمرحلة اللاحقة لها والتي أسماها المسؤولون في الجمهورية التركية على أنها أكبر ممارسة إرهابية، أخذت منحاً عميقاً للبحث عن السلام ابتداءً من بدايات عام ٢٠٠٠، والأمر الذي يتطلب استجوابه هو مدى واقعية ومصادقية البحث عن السلام، وإلا فإنه تم طرح ظاهرة السلام كثيراً في مجتمع تركيا منذ قرون طويلة ولأسباب كثيرة، وتمت المطالبة بالسلام كلما حدثت الحرب والاشتباكات، وإذا كان السلام قائماً تم استخدام حق الحياة، ولكن المجتمع بأكمله ابتداءً من البعد الوطني وحتى داخل الأسرة يواجه ظاهرة العنف الثقيل نظراً لأن القضايا الوطنية والاجتماعية لم تصل إلى الحلول ولهذا هناك أجواء من تراكم الغضب والعنف، حتى جاء اليوم الذي انفجر فيه هذا التراكم وأدى إلى الاشتباكات والتمردات.

والقضية الكردية أصبحت ظاهرة تتضمن أكبر تراكم للعنف وللتقييد الثقيل الذي تعيشه، فقد حدثت تمردات على مدى قرون بسبب هذه القضية، ونظراً لعدم وصول هذه التمردات إلى السلام العادل المشرف، فقد سادت أجواء "اللاحرب واللاسلم" ليصبح قادراً بمسك بأعناق شعبنا كطراز صعب ومشووم من الحياة، فوضع الاحرب واللاسلم هو الطراز الأشد ظلاماً وقسوة لتسيير المجتمعات، ويعني تعريض شعب ضعيف بهذه السياسة إلى الاستغلال والقمع اللامحدود وتحويله إلى الهبل غير المتوازن، ونرى أن إدارات الشعوب الحاكمة في الجغرافيا التي يحيا فيها الكرد تعمل بهذه السياسات، حيث تقوم بممارسة وتطبيق حالة الطوارئ وإدارة عرقية أو أزمات بنحو مستمر، وكأن ذلك أمر طبيعي ومستمر، مما جعل هذه الأوضاع طبيعية لديها، ويكاد يكون هذا الطراز حاكماً على مدى القرن التاسع عشر والقرن العشرين بأكمله،

وبات من الواضح بوجوب التخلي عن هذه الأوضاع غير الإنسانية.

إن الممارسة التي تكاثفت حول PKK في الحقيقة ليست سوى ممارسات لأجل إبراز وضع "اللاحرب واللاسلام" القائم، هذه الممارسة تعبير عن العبور إلى وضع وجود طرفين في هذا العنف . حتى لو لم يكن بنحو متوازن . من وضع العنف المخفي والسري الذي يتم ممارسته من طرف واحد وبنحو متستر، أي الانطلاق من وضع ظالم وغير عادل وسائر نحو الاهتراء، إلى البحث عن العدالة ورفع الظلم ولأجل الدخول إلى المطالبة بالمعاصرة وتعبر عن الرغبات في التقدم والتطور، وبناءً عليه يجب عدم الخلط بين الممارسات التي حدثت حول PKK، أي الحرب التي تم خوضها وبين حركات التحرر التقليدية وحروبها، أو بينها وبين التمردات الثورية، فمن دون معرفة طبيعة الحروب لا يمكننا النجاح في الوصول إلى سبل حلها أيضاً.

وفي هذه الحال فإن القضية التي يجب نقاشها أكثر من غيرها هي: إن PKK قد خاض حرباً على مدى عشرين سنة تقريباً، بينما الآن عبر إلى وضع الدفاع المشروع عن الذات، ويجب تعريف هذا الوضع بنحو صحيح، ثم الانطلاق منه للإجابة على سؤال: "إذا كانت هذه الحرب ستستمر، فكيف ستكون هذه الحرب...؟" وبمقدار أهمية تسليط الضوء على هذا السؤال يجب النقاش حول سؤال: "إذا كانت الحرب لن تستمر فكيف سيكون السلام الذي سيتم الوصول إليه...؟"، لأن وضع "اللاسلام و اللاحرب" ليس وضعاً إنسانياً، وكما لا يمثل الوضع السليم والاستقرار، ولا يمكن لهذا الوضع إلا أن يعبر عن وضع مؤقت وقصير جداً، وبالنتيجة إما أن تحدث حرب جديدة وإما أن يتم الوصول إلى سلام دائم، بينما الوضع الراهن القائم فهو وضع "اللا سلم واللا حرب" الذي ينطوي على مخاطر كبيرة، ويدفع إلى البلادة ولا يخدم سوى مصلحة القوى التي لا ترغب في أجواء السلام والتقدم لأجل الشعب، واستمراره يعني استمرار خدمة هؤلاء ولا شيء سواه.

هناك إدعاء غير مقبول على النحو التالي: إذا كانت المرحلة مصابة بالانسداد سواء في وضع الحرب أو وضع السلام، فالأمر الذي يجب القيام به، لاشك أن الوضع لن يبقى مستمراً حتى النهاية، وكما نعلم حدثت خلال التاريخ حروب كبيرة أسفرت عن نتائج سريعة. وكذلك اندلعت حروب طويلة، وهي أيضاً تتضمن في منطقتها الحلول وليس الانسداد، أما الأمد البعيد فله علاقة بأسباب إستراتيجية وتكتيكية وكل خطوة تستهدف الحل، والشئ غير الصحيح ليس نمط هذه الحروب، بل يجب عدم قبول الحروب التي تكرر نفسها لأنها بذلك تقضي على أنماط الحلول، ومهما كان الطرف القاصر فإن النتيجة لن تتغير، فمن متطلبات الإنسانية والواقع القائم تتجاوز كل أشكال الحروب والاشتباكات التي لا معنى لها وتسفر عن آلام وخسائر كبيرة جداً، هناك قول في التاريخ لما يسمى بـ "إنتصار بيروس" وهذا القول يتحدث تماماً عن الموضوع الذي نريد التطرق إليه، فالحرب قد استمرت طويلاً لدرجة أن كلا الطرفين يكتفيان بالخسائر التي تعرضا لها، فحتى لو أنتصر أحد الطرفين فليست هناك مكاسب يستطيع الاستيلاء عليها.

إن نوعية الحروب المفروضة على الشعب الكردي تكاد تصل إلى هذا الوضع تماماً، أي أنها أصبحت حروباً لن يستفيد منها الطرف الغالب، وإذا لم يتم إنهاء الشعب الكردي تماماً في القرن الحادي والعشرين فليس هناك أي معنى للحروب، وحتى لو تم القضاء على الكرد كشعب فرما يحل محلهم شعب آخر، فإذا استحال ذلك فهذا يعني أنه لا سبيل للحل سوى العمل بالحريات المعاصرة، كما نرى أن منح الحقوق الأساسية الإنسانية لم يسفر عن أي ضرر بأية دولة ، بل

نرى أن منح هذه الحقوق المعاصرة هو تعزيز الدولة وتمدها بالقوة باستثناء الذين لديهم آمال شوفينية، وبالنسبة للشعب الكردي فلا يملك الإمكانات وليست هناك ضرورة للتوجه نحو الانفصال تحت تأثير اعتداء طويل الأمد، ومعايشة الشعب الكردي بحرية ضمن الوحدة الحرة مع كل شعب أمر يخدم مصلحة الكرد ذاتهم، ولهذا نرى أن في هذه الأيام التي أصبحت الحريات المعاصرة داخل الإمكانات، لم تبق أية قيمة للحروب التحررية طويلة الأمد.

إن مصلحة الشعب الكردي تكمن في سلام مشرف وتفعيل النظام الديمقراطي، ولكن كلما أنكر وجوده ولم يتم الاعتراف بالتعبير الحر عن وجوده الثقافي، ولم تتوافر الإمكانات لهذا التعبير، فإنه سيلجأ إلى وضع الدفاع المشروع، وعندها لو مرت مائة سنة وإلى أن تتحقق الحريات المعاصرة فإن وضع الدفاع المشروع سيظل قائماً كحق تمنحه الحقوق الكونية، حيث لا يمكن أن يكون هناك وضع أحقر وأكثر انحطاطاً من عدم الدفاع عن الوجود والقيم الثقافية، وليست هناك أية إرادة إنسانية تقبل السكوت على إنكار الوجود والحرمان من ممارسة الثقافة، وهذا الوضع لا يمكن القبول به إلا إذا حدث خروج عن المجتمع الإنساني، وفي هذه الحال، فليس هناك ما تكسبه الحروب الانفصالية طويلة الأمد، ولا الأنظمة التي تعتمد العنف والاستبداد وتحظر الثقافة، وإذا كانت هناك اشتباكات تحدث بهذا الهدف فيجب التخلي عنها، لأن ذلك من متطلبات الواقعية والانتماء إلى الأسرة الإنسانية.

إن الاعتراف بممارسات PKK التي تجاوزت أحياناً حق الدفاع المشروع في الماضي، ومحاولة تجاوز ذلك الوضع، هو موقف في مكانه، فالنقطة التي وصل إليها PKK تطالب بتحقيق هذا الأمر، وقد تحقق التحول إلى نهج الدفاع المشروع نظرياً وعملياً، وليس هناك ما يستطيع PKK القيام به أكثر من ذلك، والأمر بات متعلقاً بالدولة، حيث يجب أن تقبل بوجود الشعب الكردي وتعترف بحق حرية التعبير عن قيمه الثقافية، وتوفير الإمكانات اللازمة وتفعيل وترسيخ النظام الديمقراطي، وإصدار عفو عام مع هذه الممارسة، فإن إزالة الظلم هو من الشروط الأساسية لتحقيق السلام، أما إذا لم تقم الدولة أو الدول بتوفير الشروط الأدنى لتحقيق السلام للشعب الكردي، فإن المهمة التي تقع على عاتق الشعب الكردي وطلبعته هي خوض حرباً دفاعية مشروعة شاملة حتى لو استمرت مائة سنة، كما يجب ضبط الساحة الجغرافية المناسبة وعلاقات الصداقة والأساس الجماهيري ليكون جاهزاً لتلبية متطلبات الدفاع المشروع، وإذا تطلب الأمر رفع عدد جيش الدفاع المشروع إلى مائة ألف، فتعظيم القوة أمر مرتبط بحماية الوجود، فإذا كانت فضيلة واحدة تكفي لذلك فيجب الاكتفاء بها، أما إذا كان ذلك يتطلب مائة ألفا فيجب أن يكون العدد كذلك، حيث لا يمكن استمرار وضع الدفاع المشروع بغير ذلك.

إن وضع الكرد الراهن لا يوفر الإمكانية لشن هجوم وخوض حرب إستراتيجية، فحتى لو توافرت الظروف فهذا أمر غير ضروري، وخسائر ذلك ستفوق مكاسبها أضعافاً مضاعفة، ولكن الظروف متوافرة لخوض حرب دفاعية مشروعة حتى لو استمرت لسنوات طويلة، ولن يخسر الكثير في هذا الوضع، فرمما تحدث بعض الخسائر البشرية، والموت الطبيعي ليس أقل من خسائر الحرب، ولكن المكاسب التي ستتحقق ستكون كبيرة جداً، ولكن الشعب الكردي سيحقق كرامته ووجوده، وثقافته ووعيه وإرادته في وطنه الأم شيئاً فشيئاً في أجواء الحرب، وسيحقق حياته التي يريدها، فهو سيقبض كل يوم، وسيكسب مزيداً من الأصدقاء إلى أن يأتي اليوم الذي يكسب فيه الشعوب المجاورة والإنسانية جمعاء، بناءً عليه يكمن المستقبل في حرب دفاعية مشروعة، وهي لا توصله إلى درجة المأزق، فإذا لم يستطع حماية نفسه في الداخل فيمكنه

تحقيق ذلك في الخارج، إذا لم يتمكن من ذلك في السهل فيمكنه اللجوء إلى الجبل، إذا لم يتوافر الجبل فستتوفر المدينة، وإذا لم يتوافر السلاح فيمكن حوضها من دون سلاح، وإذا لم تتوافر أجواء النضال غير المسلح فيمكن حوضه بالسلاح، وإذا لم تتوافر الأجواء القانونية فيمكن القيام بذلك بشكل سري، وإذا لم تكن السرية مطلوبة فيمكن القيام بذلك علناً وقانونياً، أي يجب القيام بتجربة كل أشكال النضال اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وعسكرياً، ليتمكن الشعب من حماية وجوده وثقافته، علماً بأننا نحيا عصرًا يتم فيه تجريد وإبعاد أكبر وأقوى الدول في عصرنا من قبل العالم عندما تعتدي على الوجود والثقافات، ولا تعترف بحقوق الإنسان الأساسية.

أكتبُ كل هذه الأمور حتى لو تكررت بسبب: أنه لا يمكن التهرب من السلام مع الكرد، ويمكن الاستمرار في وضع "اللا حرب واللا سلم"، ولا يمكن التفكير في مكاسب من الحرب أكثر من مكاسب "انتصار بروس" ففي هذه الحال يجب أن تحقق قفزة ١٥ آب السلام المطلوب، ولو أستغرق ذلك وقتاً طويلاً، فذلك هو المطلوب وما يفرضه الواقع، كما أن مصلحة الدولة تطالبها بالإقدام على الخطوات المطلوبة مثلما تفعل الكثير من الدول المعاصرة، فكل ما يطالب به الكرد هو احترام وجودهم ومنح الحرية للثقافة وتفعيل النظام الديمقراطي الكامل، ولا يمكن التفكير في حل أكثر تواضعاً وإنسانية من ذلك، إن نظام الدفاع المشروع الجديد الذي يمارسه PKK هو من متطلبات الشعور بالمسؤولية الكبيرة، يجب على الدولة أو الدول أن تبدي الاهتمام اللازم وتتجاوب مع ذلك كما يجب.

إن البحث عن السلام ضمن هذا الإطار بالنسبة لي هو أمر أهم وأثمن من تطوير الحرب، وقد قمت بالإعراب عن ذلك بشقّي الوسائل قبل مرحلة إيمرالي، فالإعلان عن وقف إطلاق النار في الأول من أيلول عام ١٩٩٨ من طرف واحد، والموقف الإيجابي نحو الحوار غير المباشر، والقيام بكتابة رسائل إلى المسؤولين الكبار في تركيا، كلها كانت جهوداً تدخل ضمن هذا الإطار، كما أن الاتصالات غير المباشرة مع رئيس الجمهورية تورغوت أزال ورئيس الوزراء "أرباكان"، كانت ضمن هذا الإطار أيضاً، وقد شرحت هذه الأمور تكراراً، وفي مرحلة إيمرالي قمت بتكثيف الجهود على السلام مرة أخرى، ولم أفل ذلك مقابل إية تنازلات، بل رأيت في ذلك مهمة إنسانية سياسية كبيرة لملقاة على عاتقي، حيث هناك حاجة ضرورية لتطوير نظرية وممارسة السلام بما يشبه نظرية وممارسة الحرب في الأقل، فإذا كان السلام بمثابة المخرج إلى الحرية ولو بنحو محدود فيجب تفضيله على الحروب التي تحقق أعظم المكاسب، فإني مؤمن بأن إرادة ومشاعر ووعي السلام هي الأقوى والأعظم، والشعب الذي سيحقق سلامه بحرية هو الأكثر وعياً وتنظيماً، كما أنني واثق من أن ذلك الشعب قادر على تحقيق حقوقه بسهولة أكبر، ولا أشك مطلقاً بأن السلام لا يشكل ضعفاً بل هو قوة عظيمة، وتقييمي للتعبير الدوغمائية من قبيل "الوطن المقدس، و العلم المقدس والدولة المقدسة" هي نتيجة للوقوع أسيراً في يد الدوغمائيات القومية ولا تتجاوز سوى أن تكون أكاذيب فاشية، كما أن إيماني كبير بأن أصدق أشكال الوطنية يمر عبر إبداء الاحترام للوجود الثقافي وتعدد، والذين يريدون أن يكونوا مفيدين كثيراً لأمتهم، يمكنهم أن يحققوا ذلك باحترام الثقافات الأخرى مثلما يحبون ويحترمون ثقافتهم تماماً، والقرن الحادي والعشرين سيشهد السلام الكردي، ففي بداية القرن العشرين خاض الكرد والأتراك معاً حرباً تحريرية وطنية ضد الألاعيب الإمبريالية، ومهما كانت الأسباب فإن نوا قصهم هي أنهم لم يستطيعوا القيام بتسيخ النظام الديمقراطي والوحدة الحرة ضمن الجمهورية، والمهمة التي تقع على عاتقهم تنتظر القيام بذلك في بداية القرن الحادي والعشرين هذه المرة، ومثل هذا النجاح سيحقق لتكرياً دوراً طليعياً على صعيد الشرق

الأوسط والقوقاز والبلقان وآسيا الوسطى أيضاً.

إن مرحلة حياتي في إيمرالي، قد ساعدتني على التفكير في السلام بنحو عميق بلا شك، وقد قمت بعكس هذا الأمر إلى الخارج ضمن الإمكانيات المتوفرة، وكان لهذه الجهود دور مصير وبارز في تلطيف وتليين الأجواء في تركيا، وخاصة أن تصرفات الشريحة السياسية وعدم قيام البرلمان والحكومة بإلقاء الخطوات المنتظرة اللازمة لم تعط الفرصة لتحقيق سلام راسخ ودائم، وإنني لم أقدم على هذه الخطوة خوفاً من الموت، وأعلم بأن ذلك لن يجلب فائدة ولن يحقق الحل، ولكنني أشعر بالحاجة إلى توضيح أهمية إلقاء الخطوات المطلوبة لأجل الهوية الإيديولوجية، وأن لا يتم تفسير ذلك بنحو خاطئ، وأن لا يتم الدخول في حسابات خاطئة بصدد ذلك، إن ما يجري ممارسته بحقي هو نظام لأجل فرض الإهتراء، والأهداف التي وضعتني هنا لأجلها باتت مؤامرة معروفة، بينما أنا مازلت مصمماً ومتمسكاً بموقفي الذي لا يعطي فرصة للمتآمرين لممارسة سياساتهم التقليدية وأملهم التي عقدوها على الأناضول وميزوبوتاميا، وشعوب تركيا، لن أعطي الفرصة للشرائع الشوفينية الرجعية لتمارس سياساتها الدموية والحرية، بل سأبقى متمسكاً بالسلام والوحدة الحرة اللتان تخدمان مصلحة ومناخ شعب تركيا.

علماً بأن إبادتي لن تبقى محصورة بشخصي، ولو كان الأمر كذلك لما قمت بشرح الأمر إلى هذه الدرجة، ولن أجعلها قضية كما شرحت ذلك سابقاً، ولكن نظراً لاستمرار المؤامرة حتى الآن، وأن موتي سيشكل البداية لإبادة الآلاف من الرفاق والأصدقاء والوطنيين المرتبطين بي من الأعماق من أبناء شعبنا بشكل متسلسل مثلما أعلم جيداً، ونظراً للوجود القوي لهذا الاحتمال وظهور هذا الخطر في الآفاق، حيث الاستعدادات الكبيرة والنهوض، كان لابد من اللجوء إلى وضع الدفاع المشروع، بل بات نظام الدفاع المشروع أمراً ضرورياً لابد منه، ويمكن انتظار كل شيء من الذين لا يقومون بإلقاء خطوات معقولة لأجل السلام، بينما إفشال المؤامرة يحتاج إلى مزيد من الجهود، كما يجب إجراء حسابات دقيقة للمدى الذي ستؤدي إليه سياسات الإهتراء، ففي البداية حاولوا فرض وضع الانتحار عليّ، وتم اتخاذ تدابير كثيرة وتم وضع مخططات لما بعدي، وما قام به "الطالباني" ليس سوى أحد تلك التدابير، فقد كانت هناك مخططات متعلقة "بالبارزاني" أيضاً، وكل قوة مهمة أو لديها أطماع كانت قد وضعت مخططاتها، ومازالت هذه المخططات موجودة، بل تم نشرها مع الزمن، ولا أحد يعلم بنمط الحل الذي تطرحه تركيا، ولكن الأمر المؤكد هو أنها تسعى لأجل فرض الإهتراء، وتنتظر أفضل الظروف المواتية لها من خلال الزمن لتكوين بديلها.

أما موقفنا فمعروف، حيث تتركز قواتنا للدفاع المشروع في الدول الأربعة المجاورة لأجل تحقيق حل السلام والوحدة الديمقراطية ويشترط على هذه القوات أن تكون جاهرة نوعاً وكماً، فإن أكثر أشكال السلام تواضعاً تحتاج إلى أقوى وأمتن قوة لأجل الدفاع المشروع، وهي مرغمة على أن تحسب حساب أية دولة أو دول تحاجم، وتقوم بوضع المخططات الناجعة والاستعدادات الكاملة من حيث التموقع والتمركز الأفقي والعمودي، حيث لا يمكن توفير فرصة الحل السلمي الديمقراطي سوى بوجود نظام دفاعي مشروع قادر على التصدي لكل أشكال الهجوم والاعتداءات، وأكرر مرة أخرى بأن ذلك يسري على الدول الأربعة، وانطلاقاً من ذلك نرى حاجة كبيرة إلى نشاط سياسي واسع يعتمد على تحالف القوى الديمقراطية، ونشاط واسع للمجتمع المدني، فقوى التحالف الديمقراطي وأنشطة المجتمع المدني هي التي ستحقق السلام والحل الديمقراطي أساساً، وبهذا النحو فقط يمكن أن تتعزز وتتقوى الأنشطة في نظام الدفاع المشروع داخل وخارج الوطن،

ومقدار ما يتعزز التحالف القائم، ستتحقق وتتسارع التطورات المطلوبة.

إنني سأحاول الاحتمال مهما كانت الظروف صعبة وثقيلة، ولن يصعب عليّ أن أنتج الجرأة والمعنى والصبر خلال حياتي في إيمرالي، والصعوبات الفيزيائية خارجة عن إرادتي، والأمر الإيجابي هو أنني سأعمل على تقييم التاريخ العام وتاريخ الحركة التحررية تكراراً بمشاعري وقوتي الفكرية، وسأحطط لبعض الأعمال الأدبية، ويمكنني توضيح ما يلي: إن فهم مشاعري وقوتي الفكرية خلال مرحلة إيمرالي أمر يحظى بأهمية فوق العادة، ويؤدي إلى قوة خارقة، إن العظمة والتعاضد التاريخي يكمن في اقتسام الحقائق الموجودة في إيمرالي معي وتمثيلها، ويرتبط بها بنحو وثيق، إن معايشة التاريخ والحاضر بهذه الكثافة التي لا هواده فيها، تدفعني إلى استنتاج النتائج، ويمكن أن يصبح هذا مصدر قوة كبيرة لأولئك الذين يثقون بأنفسهم، بل وتلقي بهمهم كبيرة على عاتقهم، إنني لا أحبذ تضخيم نفسي، ولكن هناك فائدة كبيرة من عقد مقارنة مع عيسى وبولوس ومحمد ولينين وستالين والأمثلة التي تماثلهم، وهذا النمط من المرافعة والتحليل تفتح الآفاق كثيراً، وتغني الفكر والمشاعر بتأثيرها الكبير وأنا واثق من أنها ستلبي الحاجة بدرجة كبيرة، أما إذا كانوا يريدون سلاماً مشرفاً وحياة حرة لأنفسهم فهناك حاجة لأن ينضم الجميع إلى هذه المرحلة ويقدم مساهمته فيها.

مازلت أحمل أعباء الدولة وPKK والشعب بنسبة تسعين في المائة، وأنا أجعل من ذلك شرفاً لي، وأما الذين لا يستطيعون تحمل الأعباء فلا تتوافر لهم فرصة الارتقاء والتعاضد كثيراً، ولهذا السبب هناك حاجة إلى التحامل على النمط الناجح والجرأة وتقدم التضحيات، فمثل هذه المراحل هي التي تحدد على الأغلب مصير قرن أو قرنين في الأقل، فتقييم الأمور على هذا النحو يجعلنا نتجاوز التقزّم على مدى قرون، إن المراحل التي تتطلب اللياقة بالتاريخ مرتبط بوجود القوى الأصلية، وتفتح الطريق أمام التحول في الشخصيات، ولا أشعر بالأسف على عدم استخدام هذه الفرصة باسمي، بل بأسم الجميع، حيث كان يجب أن لا تبقى هذه الأرض التي يمكن أن تخلق الجنان في هذا الوضع من البدائية، وتصبح ركاماً، ولكن عظمة آمالي أقوى من أي زمن مضى، كما إنني أرى الاقتسام غير العادل وعدم التمثيل، مصدراً للأسف والحزن ليس لأحلكم فقط، بل لأجل كل من يتفهمون الأمور، وهي خسارة أيضاً، بينما أنا لم أستطع فهم أو إعطاء معنى لعدم نجاح هؤلاء الذين يمثلون كل هذه الأمور الصحيحة، ويمثلون طموحات الحياة والجمال إلى هذه الدرجة، وبناءً عليه فإن تفاؤلي كبير بالنجاح والحل أكثر من أي وقت مضى.

إن مراحل حياتي هذه المكثفة والطويلة لا يمكن التقليل من شأنها إذا ما تم تناولها بالنقد والنقد الذاتي، حيث سيكون ذلك مصرياً وحيوياً جداً، سأحاول سرد ذلك بخطوطه العريضة وعلى شكل تعريفات بعناوين رئيسية:

أ. لقد تم تخفيف أرضية الحياة الفردية باستمرار لدى المجتمعات الشرقية منذ أيام نظام الكهنة السومريين، حيث يتم تقرير كيفية حياة الفرد وكيفية تفكيره منذ آلاف السنين، ويتم تقديمه إلى المجتمع على شكل القدر المكتوب على الجبين، وهذا الأمر يعتمد على النظام الثابت القائم في السماوات وانعكاسه على نظام الأرض، كما كان لدى النظام العبودي في مفاهيمه الجهورية، بينما تقوم الميثولوجيا والأفكار الدينية بتغذية وتعزيز هذا النمط من النظام باستمرار، وهذا ما ألحق ضربات ساحقة بالفردية من جذورها، ونظراً للظروف العبودية الاجتماعية الأولى هو أن الفرد بات عضواً مرتبطاً بالنظام لدرجة لا يحق له الدفاع عن ظله أو امتلاك ظله، مهمة نبذ هذه الشخصية التي ابتدأها الميثولوجيا السومرية، وارتبطت بأسس وقواعد دينية أكثر تصلباً وتعتناً من طرف الأديان التوحيدية، فهي تقوم بطبع كل فكر خلاق أو مشاعر خلاقة

للفرد في أية مواضع بطابع الذنب والجريمة، مما يفتح المجال أمام نبد أو رفض ذلك الفرد من طرف المجتمع، والفرد الذي لا يستطيع التصدي لذلك أو الصمود، يستسلم للأفكار المهيمنة على المجتمع فوراً، ولهذا فإن الاستبداد الذي ينتشر ويتوسع يفرض نفسه على كل الأفراد في الشرق بنحو قوي على شكل مفهوم القدر، مما يسهّل الانقياد والانصياع.

ناهيك عن ثقة الفرد بأفكاره، يصبح الفرد غير مُدرِك لتوفر مثل هذه الموهبة لديه أم لا، وكل ما يقع على عاتقه هو أن يقبل بما يقدّم إليه كما هو، وبات الارتضاء بالنظام العبودي تحت أسم النظام الإلهي أو النظام السماوي، وتقوية وترسيخ ذلك النظام باستمرار، وفقدان الفرد لطاقاته باستمرار أمراً طبيعياً، بل يتم قبوله على شكل قدر مكتوب، وكل دولة أو حكم استبدادي يأتي لا يقوم بأي دور سوى أن يقوم بترسيخ هذا النظام بخطوة متقدمة أكثر.

ب . الرد الذي أعطاه الفرد في المجتمع الشرقي للإيديولوجية الرسمية هو : "التصوف"، أي الجري وراء الفكر الرسمي، ولكن الطرق الصوفية الأولى التي كانت مجموعات تفسير الدين الرسمي لم تستطع أن تصبح بديلاً للنظام مطلقاً، وبينما قامت الفلسفة والفكر الفلسفي بترسيخ أسس الحضارة الغربية، كانت الميثولوجيا التي تتطور باستمرار تجعل من الدين عقيدة سائدة وشاملة، مما زاد من التصلب والتعنت، والشكوك المخلوذة التي كانت موجودة في البدايات تركت مكانها للإيمان القوي بالدوغماتيات، فبعد أن يُقال هو كلام الله لا يبقى أي مجال أمام الفكر الحر المستقل ولا يبقى له أي معنى، بل محاولة التمسك بذلك يعني معصية أوامر الله، ولا يمكن لأي فرد أن يقول كلاماً أكثر صحة من قول الله، ولا يوجد للفرد الشرقي أية أفكار تعود إليه أو تخصه، والكلشيهاة التي تم حفظها عن ظهر قلب، والقوالب الفكرية الموضوعية مسبقاً لا تترك مجالاً أمام الجري وراء الأفكار الخلاقة والمبدعة، فكل شيء مكتوب في الكتب، فالشخصية العلمية الواعية هي تلك التي تحفظ المعلومات الواردة في الكتب عن ظهر قلب، وكل تفسير صوفي يجلب لصاحبه جريمة الزندقة والكفر، وبذلك تتحقق هيمنة الإيديولوجية الرسمية على الفرد بنحو مضاعف.

هذا النمط الذي ساد في آسيا والشرق الأوسط تعرض للانكسار لدى الإغريق، حيث لم يقبل المجتمع الإغريقي بذلك النمط ولم يوفر الأرضية اللازمة له، مما هيّأ الأجواء أمام تبني الفلسفة وخصائصها التقدمية، حيث أُرست الحضارة الغربية أولى دعائمها بذلك الفكر الفلسفي، حيث يكمن الاعتراف بالفكر الفردي في جوهره، وبهذا الشكل يتحقق الاختلاف بين الشرق والغرب على أساس الفردية، فبينما كانت قوة الفكر للفرد وخلاقته وإبداعه تتطور في الغرب، كان الفرد الشرقي يَخْتَنق تدريجياً في الدوغماتيات، ويفقد معناه ليزول وجوده بالكامل.

التصعّر الموجود في الشرق يعتمد على هذه الدوغماتية، حيث يجب على الأفراد أن ينظروا إلى كل ظواهر الكون من خلال منظار الدوغماتية، أي الأبيض أو الأسود فقط، حيث تم تحديد اللون الذي سيراه الفرد من خلال ذلك المنظار مسبقاً، كما تم ربط مشاعره بقواعد وقوانين مسبقة حتى أدق التفاصيل، ونظراً لأنه تم تحديد ما سيراه الفرد وما سيتحدث به جوهرياً مسبقاً منذ آلاف السنين بل ومنذ الأزل فلا يبقى شيء يستطيع الفرد اكتشافه أو خلقه، والنتيجة هي أن ينظر الفرد إلى المجريات بمنتهى البلادة والغباء، و يعد الدنيا والوطن مؤلفاً من الماء الملون، ويجب أن يبحث عن القوانين والاكتشافات في الطبيعة، لأن لكل ذلك أمور خاصة بالخالق، وهو الذي يفكر ويبلغنا بما بأقواله وكلامه، وجوهرياً يفقد الفرد الشرقي بهذا النمط من التفكير كل مواهبه وقدراته الفكرية، كما يفقد كل إنجازاته الحضارية، بينما كان الفرد الغربي يخرج وكأنه يكتشف الغابة من جديد، ويرى العالم كالجنة بأفكاره ومشاعره الجديدة التي يتوصل إليها كل يوم،

ويجعل ذلك مصدراً غزيراً ليستمد منه قوته ويكتشف المزيد.

ج . الذنب الذي ارتكبه منذ طفولتي في الحقيقة هو أنني تمردت على التقاليد الموروثة منذ خمسة آلاف سنة، حيث سوء التفاهم الذي يخيم على القرية والشكوك أموراً مرتبطة بالنظام القائم في الأعماق، وأنا لا أقبل بكل شي لا يتوافق مع العقل سواء داخل الأسرة أو داخل مجتمع القرية على أنها أوامر، وهذا كان يعني زعزعة التقاليد المتوارثة من خمسة آلاف سنة، والوضع الخاص بالوالد والوالدة، والقضاء على تأثير بعضهما البعض، وكون المجتمع الإقطاعي يمر في وضع ضعيف، وعدم وجود رأس متسلط في القرية، كل ذلك يعني تحطم الأجواء التقليدية، بينما الخصائص النيوليتية الموجودة لدى الوالدة تسهم في إضعاف القوالب العبودية أيضاً، بينما عدم تمتع والدي بطموحات باسم النظام يسهم في فتح المجال أمامي، لتقوم فرديتي بالافادة من هذه الأجواء، وكلما تقدمت هذه الفردية تزداد ثقفتها بنفسها، بينما استهزاء القرويين لم يقلل من همّتي شيئاً، حيث لم تبق سلطة أخرى تقف عائقاً أمامي، فالتمرّد على الوالد في أجواء القرية الذي يعني أكبر سلطة كان في الحقيقة زعزعة نظام الكهنة السومريين الممتد منذ خمسة آلاف سنة من جذوره، وقوة القرية والأسرة لا تكفي لتربيتي كما تريد، لأنني وصلت إلى الثقة بالنفس التي تمكنني من السير في طريقي، ويمكن ربط الآمال بالطفولة التي تحطم القوالب الاجتماعية الشرقية.

وبنسبة الصديق الموجود في مقولة: "الطبع الموجود في السابعة يدوم حتى السبعين" يصعب على المجتمع البرجوازي وعلى مؤسسات الجمهورية إيقافي، علماً بأن هناك تناقض ولو شكلي بينها وبين المجتمع الإقطاعي في كثير من الجوانب، وهذا هو الأمر الذي يفيدني، بالإضافة إلى الميول الثورية الموجودة إلى جانبي التي ستفيدني أكثر، وعندما توجهت إلى الشرق الأوسط بما يشبه تحطيم إبراهيم للأصنام، كنت قد حطمت الجزء الأكبر من التقاليد المتوارثة منذ خمسة آلاف سنة، وبالطبع لا يمكن البقاء كما أنا فإما أن أنسحب إلى الجبال وإما أن أهاجر، وإما أن تكون عاقبتني عملاً بطولياً، والإبراهيمية ستفهم فيما بعد بأنها قامت بعمل جيد بعد تأخير دام ألفي سنة، فحتى لو لم أدرك منذ البداية بأنني منذ طفولتي، وبحسب الظروف الخاصة كنت في الحقيقة أقوم بالتمرد على النظام الحضاري الذي ساد على مدى خمسة آلاف سنة، وهذا ما توضح لديّ فيما بعد، وهذه الحقيقة بذاتها تمثل ثورية خاصة في نفس الوقت.

د . أما اليسار التركي والماركسية كانت تمثل ثورية مرحلية بالنسبة لي حقاً، فهم الذين يزرعون غرسات مناهضة للرأسمالية، ولكنهم يفشلون في النضال ضد الشخصية، وذلك هو السبب الأساس لفشلهم، وفي الحقيقة لم يستطيعوا الانقطاع عن النظام الرأسمالي في جوهرهم، إذ إن حسن النوايا، ومناهضة الرأسمالية بنحو متطرف لا يكفيان لوحدهما لأجل تجاوز النظام الرأسمالي، فالحياة القائمة وشخصياتها لا تتمتع بالقوة الكافية اللازمة لأجل تجاوز النظام الرأسمالي والدولة التي تعتمد على هذا النظام، أو إحداث تحولات في الدولة، وهم لا يتجاوزون أن يكونوا طرازاً معاصراً ومتطوراً من الطرق الصوفية التي كانت لها بعض الأسس العلمية في العصور القديمة، كما لا يستطيعون تجاوز وضع تمثيل اليسار المتطرف في النظام الرأسمالي، فالثورية الرأسمالية وكل أشكال مناهضة الإقطاع ستنشأ وتزعزع في مشتل الرأسمالية، كما يتم تبني الكثير من القوالب الروحية والذهنية في ذلك المكان، والحضارة التي تمثل الشكل العام للمجتمع الطبقي، ستمنع الخصائص الرئيسة المشتركة للمجتمع.

إن الحضارة نفسها نظام تكاملي، والثورة الحقيقية يمكن أن تدعي بأنها ثورة اجتماعية بمقدار ما تحقق الانحلال لهذا

النظام المتكامل، وكل حضارة جديدة لا تقوم بدم سابقاتها ستؤدي دوراً في ترسيخها، وهذا ما فعلته الاشتراكية المشيدة أيضاً، ووضعها يثبت عدم قدرتها على تجاوز النظام القائم، وانعكاس هذا النظام على مجتمع تركيا يتحقق بيمينه ويساره، ولكن بنحو أضعف وأكثر انحلالاً، أما موقعي فهو قادر على التحالف المؤقت مع المجتمع البرجوازي الرسمي من جهة، ومع امتداده اليساري من جهة أخرى ولا يمكن انتظار ذوبانها بنحو متداخل، وهذا الأمر الذي يبدو صحيحاً على الصعيد النظري يمكن أن يتحقق عملياً، حيث ساقف بعيداً نسبياً عن الماركسية عموماً، وعن الاشتراكية المشيدة، كما أنني سأقبلها على النحو الذي يشبه النسخة التركية منها، ومن الطبيعي أن التزم بموقف مشابه نحو الصورة الأكثر تشوهاً في الشرق الأوسط، حيث لا يمكن أن أعرض للذوبان في دولتهم، ولا في ثورتهم ولا في بنيانهم اليساري، وكان لابد أن أسير في الطريق الخاص بي رغم كوني وحيداً، ولأن المفهوم والمضمون العميق للنهج الذي رسمته لنفسه، وقديسته كانت واضحة، فأول مرة أناهض الأنظمة الاستعمارية الجديدة والقديمة كلها من بين مجتمعات الشرق الأوسط، وأعرب عن قدرتي على متابعة المساواة والتحرر إلى حدودها الأخيرة، النظام الذي أبحث عنه يعبر عن العمق القادر على تجاوز الحضارة المتحذرة في الشرق الأوسط، ومرتبطة بالهوية إلى درجة أنه لا يقبل بالنظام الغربي كما هو، ووضعني هذا بالنتيجة أدى إلى وقوف كل النظام الرأسمالي العالمي ضدي، فمن المؤكد أنني أبحث عما يستطيع إنقاذ كل الشرق الأوسط من الدوغمائية، فحتى ولو لم تتوافر المواهب لمخترعات جديدة فإن التخلص من كل الأشكال القديمة والحديثة للدوغمائية يمنح الإنسان مشاعر مختلفة وأفكار جديدة.

هـ. أنني تعرفت على المتعة والقوة الكامنتين في هذه المشاعر والأفكار المتحررة، وربما أستطيع تقييم مرئياتي من خلال ما يشبه الرؤية بنحو مطوّل، لأحدث عن تصوراتي للحياة، ولكن المؤكد هو أنني توصلت إلى حل للعقدة الكأداء، واستطعت التخلص من منظار الأبيض والأسود، أو ما يشبه (قناع الحصان)، وتم تقليص الدوغمائية التي كانت محمية بقوة الآلهة منذ خمسة آلاف سنة وتقرّمت إلى درجة يمكن وضعها في المتاحف بكل قداستها، وتم التقرب من العلماء الحقيقيين للشرق الأوسط والذين هم الثوريون الحقيقيون، ويتم التقرب من التاريخ الغني جداً سواء بتدفق العواطف مثل السيل الجارف، أم بالأفكار الساطعة كبريق الرعد، وذهب الوطن المتصخّر، ليصل كل جانب منه إلى قديسته السابقة ويمتلئ بالألوان، وكأن كل زاوية منه تناديني وتقول: " تعال وضع تحليلك عني لتفهمي " وكأن كل الذين كانوا في المقابر انبعثوا كما في يوم الحشر وأصبحوا أقرب إلينا وكسبوا الحيوية، وفي الحقيقة عندما تم تمزيق الستار الأسود للدوغمائية، أصبح كل شيء يكسب لونه الزاهي، ويرسل بصوته ويعرب عن معانيه الغنية، وجماله وينادي، وعندما أقول تمزيق الستار فما أصبح كل شيء موجود أمام الأنظار ويتحدث عن نفسه، فالوطن الذي فرضت الآلهة والمستبدون عليه الخطر والمنع، والإنسان الذي منعت عن التفكير بدأ يملك نفسه، ويلتقي مع عالم المقدسات الذي تم إبعاده عنه منذ خمسة آلاف سنة، ويلتقي بإنسانية الصديق، ويجب أن يكون هذا ما يسمى بتحطيم الجدران التي بنتها الطبقة الحاكمة أو الواقع الذي تفرضه، وهكذا تبدأ الإنسانية الجديدة والنهضة المرتقبة، وأنا أفهم أن الأفراد الأوروبيين قد بدأوا بهذا النحو عندما قاموا بتطوير حضارتهم، ولكن هذا ليس تقليداً، بل هو مسيرة على أرض الشرق الأوسط، ولا يمكن أن يكون تكراراً أو تقليداً لما جرى في أوروبا، فهي مثل الطفل الذي كان في الباردة، وستكون نهضة الشرق الأوسط على أرضها وعلى جذورها، ولا يمكن لأوروبا إلا أن تكون جزءاً من ملحمة الحرية في هذا الكتاب، هكذا يفتح العالم النقدي ويتطور، وينمو ليُورق ويتفرع، والأمر المهم هو أن تتحول الاعتراضات على الحياة إلى سلاح النقد، ويعتمد على أسس عملية ليقوم بتمزيق

الدوغمائيات، ويحطم الخيالات المتعفنة، وكأنني وصلت إلى النظام الفكري واليوتوبيا والمشاعر الأقرب إلى الإنسانية، والأكثر ارتباطاً بالتاريخ والمستقبل في أجواء الغنى الملموس إلى أبعد الحدود.

و . إنني لا أعتبر نفسي بريئاً بالكامل من الدوغمائية، ومن المحزن جداً أنني بقيت طويلاً تحت تأثير الدوغمائيات وذلك أمر صحيح، وقد ارتكبت خطأ بوضع الدوغمائيات فوق أو أمام الإنسان مهما كان ذلك صحيحاً أو ضرورياً، فمن المؤكد أن تلك قاعدة متوارثة، أو تقليد متوارث من نظام الكهنة السومريين لأجل الاعتماد على تسيير الإنسان، وعقد الآمال عليهم، فعندما يقال: "هذا قانون، قاعدة، أو نظام" يجب علينا أن نتذكر النظام الاستعادي دائماً، إن القواعد لازمة وضرورية، ولكن يجب أن لا تصل إلى مستوى المجرد الذي تتحكم في الإنسان بنحو مطلق، وكان يجب عدم السماح بذلك إطلاقاً، فربما القواعد ترتقي بالإنسان وتفتح الطريق أمامه لتأسيس أعظم الدول والحضارات، ولكن الأمر الذي يتحقق في النهاية هو استبعاد الإنسان والنسل الإنساني، ولا يمكن اعتبار أي حدث سبباً أو مبرراً للعبودية، ولا يمكن أن يكون لأي نظام أية قيمة أو مكان سوى بدرجة ما يحقق التسهيلات للإنسان وعالمه المليء بالصعوبات، ولا يمكننا أن نقبل بأي نظام بأسم النظام الإنساني إذا كان يسمح بتقلص الإنسان ضحية بأسم المستقبل، أو الرب أو الدولة أو الأمة أو أية عظمة أخرى، ففي هذه الأيام تصدر أصوات عن القوانين، وتدعي بأنها لأجل الدولة ولأجل الإنسان، وحتى الكلام الذي يقول "يجب أن تكون كذلك" هو الدليل المثبت على مدى الخيانة التي يتم القيام بها، وليس هناك أي معنى آخر لذلك الكلام.

إن سقوطي في هذا التقليد الملعون، رغم أنني طالبت بالأفضل دائماً بأسم الرفاقية في الأقل، وعدم قيامي بحساب قوة هذه التقاليد هو النقد الحقيقي لذاتي، ألم أكن أنا الذي فكرت دائماً: لقد أعطيت ما هو صحيح حتى النهاية، وقمت بالذات بالتدريب الأدنى اللازم لهم، أما ما تبقى فهو من مهامهم، حيث لا يمكن التفكير في عدم نجاحهم في ساحات العمل، وكنت بعيداً عن فهم الإنسان ضمن واقعه الملموس، فقد كنت واثقاً من قوة القواعد، فإذا كان ضمن قوانين الطرف المقابل عندها يستحق ما يجري بحقه حتى ولو كان من الملائكة، وهذا معتقد متوارث من الإرث الملعون للحكام، بل هو الدوغمائية بنفسها، فعندما كان يسير المئات من الرفاق ضمن مجموعات ومجموعات، كنت كالذي آمن بربه، فهم سينجحون في مهامهم بما يشبه المعجزة للقيام بمتطلبات الأوامر المقدسة تحت كل الظروف، وهذه هي الدوغمائية التي غرقت فيها حتى العنق.

إذا ادعينا أن العلم قد تخلص من الدوغمائية في عصرنا فإننا نعبر عن خداع كبير، بل على العكس من ذلك فإن الدوغمائية التي يحياها العلماء تحت أسم العلمية، تمثل خطراً أكبر من دوغمائية الكهنة الذين أنتجوا الميثولوجيا، ففي الأقل لم يكن الكهنة يمتلكون القنابل النووية، بالإضافة إلى اهتمامهم البالغ بنتائج كل عمل كانوا ينجزونه، أما رجال العلم الذين هم بمثابة رهبان معاصرون، وكذلك أساتذة الجامعات، لا يذلون أية جهود في هذا المنحى، وإذا عقدنا مقارنة بين تصرفاتهم واهتماماتهم التي لا تخرج عن نطاق معابد العلم المتمثلة في الجامعات والأكاديميات، سنرى أنهم بعيدون جداً عن الكهنة الذين وضعوا أسس الميثولوجيا، وعن الرسل الذين جاءوا بالأديان، ويتصرفون بمنتهى اللا مسؤولية مقارنة بهم، ثم حقيقة أخرى يجب رؤيتها في يومنا هذا وهي أن ممثلي الدوغمائية التي تسود في كل المؤسسات بنحو كثيف وعلى رأسها الدولة، وكل المؤسسات والجهات التي تتطلب بالغ المسؤولية، يتصرفون كأسرى لهذه الدوغمائيات، ويجب أن

نراهم أسرى للدوغمانيات المتحكمة فيهم، وأخطر جانب في دوغمائية عصرنا أنها تتخادع نفسها بالعلمية، والنتيجة ستكون هيروشيما وحليجات جديدة، فالدوغمانية بنحو عام هي ثمرة للواقع الاجتماعي، وثمره لظاهرة الفرز الطبقي بنحو خاص، وهي أقوى أسلحة التدريب، حيث لا يمكن التفكير في التخلص منها بسهولة، والسلاح المضاد والوحيد المؤثر يمر عبر التكاثر الأعظم للفكر والممارسة لدى الفرد، وإذا أردنا وضع صيغة لذلك. فهو: "أعمل بقدر ما تفكر، وفكر بقدر ما تعمل" بمعنى الإبداع والخلاقية الذاتية وبشرط أن تقوم بحساب كل النتائج، حيث لا يمكن رؤية أي حل آخر في الآفاق في الوقت الراهن، سوى التصرف بمنتهى المسؤولية أمام هذا المرض المتفشي.

ز . وعندها يجب عليّ توجيه هذه الأسئلة إلى نفسي بنحو متتابع: ألم يكن من الضروري النزول إلى الساحات العملية بالذات، عند تغيير المواقع وعندما تكبر الهوة بين الواقع القائم والأمور الصحيحة؟، ألم يكن ذلك هو التصرف السليم...؟ لقد حاولت تحليل الأجوبة العامة التي يجب عليّ إجابتها في الفصول الماضية، وسأحاول تكرارها في جملة واحدة، لقد كان التمرد على الأسرة والقرية ضرورياً، وسأحترم دائماً هذه الممارسة الأصلية، وسأعطي الأولوية دائماً للأطفال الذين يتمردون على الدوغمانيات المتوارثة منذ آلاف السنين وخيالنا، وسأستمر في إيجاد الأجوبة على محاولاتي التي قمت بها فيما بعد، وعلى الرغم من استمراري في مفهومي التعلق بالبحث عن الوفاق العام في مؤسسات الجمهورية ومجتمعها البرجوازي، واعتقادي بأن ذلك هو التوجه الصحيح، فإنني سأحاول دائماً وضع وتطوير البديل، والبحث عن الجوانب التي يجب تصحيحها، وبدلاً من ممارسة متطرفة تتسبب في تدمير وتطهير كل شيء، يجب مواجهتها بقوة نظام الدفاع المشروع، وتعميق الوفاق لأجل إجراء التحولات بنحو صحيح وجذري، لامتسك بهذا التوجه وأتبهذه، حيث لا يسمح المفهوم الإنساني بوسيلة عنف للعبور إلى الدولة سوى بمفاهيم ووسائل الدفاع المشروع الضرورية، ولن ألتقي مع آلة الدولة . التي هي وسيلة للإدارة الطبقية التقليدية . في مواجهة المجتمع والبشر، ولن أعطي مكاناً في ممارستي ومفاهيمي لمنط الإرادة الاجتماعية المتمثل في الدولة التقليدية، ومناهضة ذلك بقوة مضادة لأجل تحطيمها وتأسيس الجديد بدلاً منها هو خداع كبير، وبدلاً من ذلك يجب الاعتماد على التنسيق العام بين المجتمع وترتيب التقنية اللازمة دون استخدام السلاح أو القوة الفيزيائية، بل إدارتها بفرق مدنية، لأجعل من ذلك أساساً لي، ولن أنزلق إلى انحراف الاشتراكية المشيدة، وسأستمر في التمسك بالدفاع المشروع ضد العالم كله ابتداءً من إنسان وحيد، لأصل إلى كل الإنسانية وكل المجتمعات، حتى أصل إلى النتيجة المطلوبة، وبهذا المعنى سأبقى على مقولة: "إنسان بمفرده يتغلب على العالم بأسره".

بناءً عليه فإن الدفاع عن حركة التحرر كان أمراً صحيحاً ولو بمواجهة العالم كله، أما من الناحية التكتيكية، فهل من الأفضل السير بين صفوفهم كان سيسفر عن نتائج أفضل، أم اللجوء إلى الجبال أو الانسحاب إلى بين الجماهير...؟ وفي بدايات الثمانينيات لو تركزت في جبال زاغروس ربما كان ذلك سبيلاً، ولو توجهت إلى هناك مع بدايات التسعينيات، وفي ظروف حرب الخليج لاشك أنه كان سيفتح المجال أمام تطورات ونتائج مهمة جداً سلباً أو إيجاباً، ولكن كل ذلك يبقى ضمن إطار الافتراضات، وربما أصبحت ضحية لحادث مروري، أو للخيانة التي شهدنا أمثلة عديدة منها في الداخل والخارج في تلك المرحلة، وكذلك يمكن التفكير في تغييرات عام ١٩٩٦، من حيث التوجه إلى الوطن لأن كل ما كنت أقوم به وألقته كان يتحول ضحية وكأنه يتعرض للطحن والزوال تحت التأثير الحيواني لطاحونة الجبال ويزول،

وكتدبير للحيلولة دون ذلك ربما كان من الأفضل أن أذهب إلى هناك بنفسني، وربما فتح ذلك المجال أمام تطورات مهمة، وقد توافرت هذه الإمكانيات والضرورة في بدايات صيف عام ١٩٩٨، وكانت المعلومات الاستخباراتية الجادة متوافرة لدينا، وربما كان الأصح هو ترك تلك الساحة نهائياً بعد حادثة التفجير في دمشق عام ١٩٩٦، ولكن هناك ثمة مفهوم آخر، وهو حماية المواقع الرئيسة حتى الرمح الأخير التزاماً بمتطلبات الصداقة، وهو مفهوم يتعلق بالشرف، فإذا كنت في أحد المواقع مع أصدقائك، فأني تصرف يشبه التهرب يعني خيانة للصداقة، ولهذا وعلى الرغم من الأخطار الكبيرة الواضحة، ورغم إرغام التطورات التاريخية، لم أجد إلى تغيير موقعي، إن ضعف أصدقائي، وعدم تصرفهم بما تتطلبه المبادئ المعنوية هو شأنهم، فأنا لم أكن الإنسان الذي يتخلى بسهولة عن مفاهيم الصداقة، ولن أكون كذلك مطلقاً، فحتى لو خدعني طفل في الخامسة من عمره بأسم الصداقة حتى الموت فسأبقى ملتزماً بسبل الصداقة لأسير فيه حتى الموت، هذه ليست قضية الرغبة أو الخيار، بل هي قضية تتعلق بالشخصية والأخلاق.

ح . لقد ظهرت النواقص التي سادت لدى مركزية PKK والكوادر المتقدمة فيه بما فيه الكفاية، فهل يمكن أن يكون تدريب آلاف الشباب كافياً للرد على تلك النواقص؟.. أليس من الأفضل لو تمسكت بمجموعة ضيقة من هؤلاء لأقوم بتكثيف الجهود عليهم؟.. إن هذه أسئلة مهمة جداً، ولها علاقة بالأسئلة السابقة، أما ردي على ذلك فإما أن يكون الذهاب مباشرة إلى ساحة الممارسة، وتولي المهام والمسؤوليات السياسية والعسكرية مباشرة أو التركيز على شريحة ضيقة بشكل أكثر كثافة، وفي الحقيقة فقد تمت ممارسة قريبة جداً من هاتين الممارستين معاً، فقد اعتمدنا على التقنية الموجودة بالكتابات والأشرطة المسجلة الشفوية ومن خلال اللاسلكي والهاتف، حيث قمنا بتركيز كثيف بما يشبه تولي مسؤولية قيادة الساحة العملية، ولكن البنية تمسكت باللامبالاة والنواقص، فالذين تجرعوا مخدر الدوغمائية على مدى خمسة آلاف سنة لم يكونوا يتجاوبون مع صرخاتي، في حين كانوا يقومون بحرق أنفسهم بمنتهى الجرأة، ولكنهم عاجزون على أن يكونوا رداً لنداءاتي، فقد كنت قد تركت الميادين العسكرية والسياسية والعملية لهم حتى يستطيعوا أن يكون جواباً كافياً، فهل يمكن أن يكون ذلك خطأ؟.. فبعد تلقي كل هذا التدريب والتعليم الذي لا يمكن وجود مثيل له في التاريخ من حيث الكثافة والنوعية، لا بد من أن يظهر من يتميز بالكفاءة اللازمة، تلك كانت قناعاتي القوية، ولكن التطورات دلت على أن مفاهيم العصابات هي التي تغلبت على مفاهيمي، فقد استطاعت المفاهيم العصابية استغلال جهودنا التي تعاضمت كالجبال ضد المركزية والكوادر مستفيدة من عدم قدرة هؤلاء القضاء على نواقصهم في حينه وعدم قدرة قيامهم بمهام القيادة العسكرية والسياسية في وقتها، لدرجة إيصال الأمور إلى خيانة كبيرة، وفي الحقيقة فإن توجيه النقد وطلب النقد الذاتي يقع على عاتق مركزية PKK وكوادره لأجل التجديد وإجراء التحول اللازم، أما أنا فلا أستطيع سوى التأسف والتألم الكبير على عدم اللياقة بجهودتي التي بذلتها، علماً بأنني أقوم بشرح ونشر الدروس والنتائج التي استطعت استنباطها.

ك . كما يجب عليّ توضيح أنني أعطيت مكانة للمبادئ المعنوية الجمالية مثل نمط الحياة، والمحبة والاحترام، وارتباطي الوثيق قائم بمفهوم "إما الحياة الحرة و إما اللا حياة" هو المبدأ الذي التزمت به منذ ميلادي وحتى مماتي أو إلى الأبد، أما المحبة والاحترام والجمال فهي ممكنة بالأخلاق الحرة، وقيامي بوضع المرأة في مركز هذا الأمر هو تصرف سليم،

فالمراة التي تولد بممارستها الحرة، يمكن أن تكون مركزاً للحياة الأكثر جمالاً والأكثر صداقة، ولم أشك في هذه الحقيقة مطلقاً. ولم أنزلق إلى التعقيد، فبدلاً من المجتمع والدين والاهتمام بسيادة وهيمنة الرجل، أبدت الاهتمام وأعطيت المعنى لمفاهيم المجتمع والدين الذي يمثل الربة المرأة التي تبدي الاهتمام اللازم بالمساواة في الأقل، ولأجل هذا التكوين جاهدت وعملت لأجل حرية المرأة وعشقها العظيمين، ولم أنظر بعين التملك إلى أية امرأة بل وإلى أي إنسان، ولم أدع الآخرين يفعلون ذلك، والسير على هذا النهج وهذا الطريق من دون أي تنازل عن القيمة الأخلاقية والجمالية والاستمرار حتى النهاية هو نتيجة طبيعية متولدة من تكويني الشخصي.

بدلاً من تحليل موضوع النقد والنقد الذاتي، يجب عكس الحلول العملية في المواضيع المطروحة، ويجب معرفة إنني كنت حريصاً على هذا الأمر دائماً، وبخاصة أنني قمت بتفقد نفسي بنحو خاص مع مرحلة إيمرالي من الأعماق، وداومت على جهودي لأجل الوصول إلى الوعي الذاتي والمشاعر الحرة، ولأجل اقتسام ذلك مع الآخرين ولم أبخل في بذل الجهود اللازمة، والتطورات الراهنة تثبت أن وعودي تنعكس على الممارسة العملية، وكافية لتوضيح هذا الأمر.

الخاتمة الاولى

بناءً على الدعوى المتعلقة بي والتي يجري النظر فيها أمام محكمة حقوق الإنسان الأوروبية الموقرة، وأمام الحضارة الأوروبية، قمت بوضع مرافعتي هذه بنحو مختلف، لتضم ألوأناً كثيرة، والطرف الذي يتحكم بمصيري في الأساس هو الحضارة الأوروبية، ويجب أن يكون الإنسان غيباً حتى لا يعرف هذه الحقيقة، فالدور الذي فصلته الدول الأوروبية البارزة لتركيا هو دور كلب الصيد على قول المثل: "أهرب يا أرنب، والحق به يا كلب الصيد"، فمن الواضح أنهم قد وضعوا الكرد موضع الأرنب منذ زمن بعيد، والإدعاء الكبير في مرافعتي هو أن أوروبا تمارس الظلم الكبير والرياء الكبير في الموضوع الكردي، إن موقفني هذا ليس عاطفياً، وحتى أثبت هذا الأمر قمت بمحاولة كبيرة وصعبة جداً، ابتداءً من التعريف العلمي للمجتمع الإنساني ووصولاً إلى تحليل تاريخ الحضارة، لأنني شعرت بالحاجة إلى ذلك، فحتى لو أدت محدودة معلوماتي التاريخية إلى بعض النواقص والأخطاء، إلا أنني واثق من أن تحليلي صحيح وسليم، ويمكن رؤية التقييمات الجريئة في مرافعتي، حيث لا بد من محاسبة تاريخية مع الواقع الحضاري للذات، حتى تستطيع مرافعتي لعب الدور التاريخي المطلوب منها، ولا سبيل سوى ذلك، فلست أنا الذي أصبح في وضع محرج أمام الحضارة الأوروبية، بل هي حضارة الشرق الأوسط، ومن هذه الناحية حاولت إيجاد مخرج للتاريخ ولحضارة الشرق الأوسط التي تشبه الجاثم في قبره وسط حشدٍ من الأقزام الأحياء الذين يثيرون الاستهزاء من حولهم، وكان لا بد من إجراء التحليل لابرار الواقع الراهن للشرق الأوسط.

إنني مؤمن دائماً بما يلي: "لا يحق لمن لا يقوم بتحليل ذاته أن ينتظر أي حق من الآخرين"، ومثلما يرد في الأقوال الشعبية: "لا يمكن دخول الزفاف بمساعدة الآخرين"، ولكن شعوب شرق الأوسط وكل المجتمعات في أنحاء العالم فيما عدا المنحدرين من أصل أوروبي، لا يكتفون بدخول الزفاف بمساعدة الآخرين، بل الأسوأ من ذلك أنهم يضعون الأوروبي في فراش الزفاف أولاً، ثم يتمددون في فراشهم ويبحثون عن السعادة، وهذه حقيقة قائمة، وهذا تصرف ليس فيه أي جانب أخلاقي أو سياسي يمكن قبوله والارتضاء به، وبالنسبة لي كان ردي على هذا الخطر المائل هو مسيرتي إلى الحرية التي قمت بها، لقد تمكنت من تخطي سدود الأسرة والقرية بسهولة، وتناولت إلى المجتمع البرجوازي في تركيا، ثم تمكنت من خرق أو تجاوز جدران مؤسسات الجمهورية، ويد الوفاق التي مددتها إلى اليسار التركي، وإلى التقدميين والمتنورين فيها، ظلت في الهواء ولا تزال، فتركيا نفسها كانت مرتبطة وتابعة للآخرين، وتعتقد أن الرجعية الداخلية هي الحل وتلجأ إليها، والقومية أصبحت السلاح الأمضى في يد اليمين واليسار والمركز في تركيا ووضعهم لم يسمح لهم بالتخلي عن هذا السلاح والاحوء إلى حقوق الأخوة وإعطائه المعنى اللازم بدلاً منه، ودخلوا في أزمة كبيرة بذريعة إنه سينفصل وينقسم الوطن، ولم يتطور أي شيء لديهم سوى ردود فعل وتشنجات الهجوم بدافع حماية الذات، ولم تظهر أية موهبة أخرى لديهم.

حتى لو كنت وحيداً كان لابد لي أن أتمرد، إذ لم يبق حل سوى ذلك في مواجهة كل هذا الظلم وعدم الفهم، ففي عالم لا يوجد فيه أية قيود حتى على أصوات الحيوانات، وصل القمع إلى درجة حظر اللغة على شعب أنتمي إليه،

انه امر يبعث على الألم، مما يدفع إلى الدخول في بعض ردود الفعل لأجل إنقاذ شرف وكرامة الإنسانية، وفي تلك الأيام والظروف شكلت هذه المقاومة أكثر من أن تكون ردة فعل على تلك الممارسات حيث لم يكن غير ذلك ممكناً، والتعبير الملموس عن ذلك جاء على شكل ظهور PKK، واللجوء العاجل إلى الدوغماتيات الإيديولوجية التي كان يعتقد أنها أكثر تقدمية في العصر، والدخول في مرحلة جديدة باتت ظاهرة تاريخية، وتم السعي إلى القيام بما يقوم به الآخرون باسم الشعوب كلها في العصر الحديث، حيث لا يمكن عيش العصر بوسيلة أخرى، وأقرب مثال على ذلك كان الجمهورية التركية نفسها، وبمقدار ما كانت الخطوة الملقاة غير صحيحة بالكامل إلا أننا لا يمكن أن نصفها بأنها خطأ كبير أو وضع مريض أيضاً، فالتغيرات الناجمة عنها تمثل الجانب الأثقل لو تم وضعها في كفة ميزان العدالة، ولكن الصحيح وحده لا يكفي لأجل الحل والنجاح.

نظراً لأنّ عالم السياسة والحرب هو الذي تكاثفت فيه الدوغماتيات الطبقيّة الاستغلالية على الأغلب على مدى التاريخ، فهو عالم بإمكانه ابتلاع الأمور الصحيحة بكل سهولة، ولهذه الأسباب يجب القيام بالتطوير الصحيح لمعايير وخصائص ممارسة السياسة والحرب ووضع الإيديولوجية السلمية باسم الشعوب والمسحوقين، وقد تم بذل جهود كبيرة جداً في الشرق الأوسط لأجل هذا الهدف بشكل خاص، وتم الاستمرار بحرص شديد على تكوين الإرادة التحررية للشعب الكردي بشكل مرن كي لا تتعرض للنكسة مرة أخرى وتبقى أبدية، وتم الخروج إلى الجبال إلى العالم الإنساني بشكل مستمر وكثيف، وبذلت الجهود لأجل إقامة صداقات حتى لو لم تكن كافية لأجل تحقيق صحوّة إنسانية عالمية ومهما كانت الآلام والخسائر كبيرة، فقد تم الارتضاء بذلك كثمان يجب دفعه مقابل خلق الوعي والإرادة الكردية الحرة، وفي النتيجة ظهرت الظاهرة الكردية الحرة المطلوبة التي تستحق الاحترام والوفاء، فحتى لو لم يكن ذلك متوافقاً مع لغة الطبقة المهيمنة، فقد تحقق الحد الأدنى لأجل حل القضية الكردية من خلال تلك الظاهرة، وتم الدخول في مرحلة سلام متواضع ولكنه شريف، وبات من الممكن تأسيس سلام ذو معنى في عالم الأخوة مع الشعوب المجاورة، وكان يجب على إدارات الدول أن تبدأ بإلقاء الخطوات نحو السلام، ومع الوصول إلى هذه النقطة تماماً تفجرت مؤامرة ١٥ شباط المعروفة، هذه المؤامرة التي تورطت فيها أوروبا وأمريكا عبر إسرائيل أكثر من تركيا نفسها التي لم تكن تستهدفني، بل هي مؤامرة استهدفت مؤسسة قيادية ارتبط بها القسم الأكبر الساحق من الكرد حتى الموت، وكان يتم عكس المؤامرة على أنها تستهدف شخصاً إرهابياً لوحده عملياً، ولكن الهدف الحقيقي هو كل الكرد الوطنيين المستقيمين المرتبطين بقيادتهم بالإضافة إلى PKK وأصدقائه، حيث تم التخطيط لإبادة جذرية، ولكن التحرك بمنتهى الحكمة والحساسية، دون اللجوء إلى المشاعر والقوالب كان هو المطلوب.

لقد تم إظهار الحقائق التي ترتبط بها المصالح الحقيقية لتركيا، وتم تعريف الأخوة الحقيقية والوحدة بنحو صحيح في هذه المرحلة، وتم طرح وتبني مفهوم الدفاع عن الذات من طرف الشعب الكردي و PKK وتمت ممارسته أيضاً، وإلقاء مثل هذه الخطوات حظي باهتمام بالغ وكانت أهميتها لا تقل عن أهمية الحرب، وباتت الشخصية تتمسك بالسلام مثلما كانت تتمسك بالحرب سابقاً، ورغم الثقل والصعوبات فقد تم التجاوب مع تحليل وتطبيق مرحلة السلام بنسبة كافية، وباتت هذه حقيقة واضحة، أما ما تبقى فهو مرتبط بمواقف الجمهورية التركية بل حتى بمواقف الدول المجاورة، وفي ظل هذه الظروف لا يمكن اعتبار مرحلة محكمة حقوق الإنسان الأوروبية مرحلة بسيطة، وتقرير هذه الدعوى من خلال تدقيق

بسيط، وكان تحليل الحضارة الأوروبية شرطاً لأجل إضفاء المعنى اللازم عليها، لست أنا الذي يمثل أمام القضاء وتبت المحكمة في دعواه، بل هو الشعب الكردي الذي كاد بواقعه ان يخرج من الإنسانية تحت مسؤولية أوروبا، فإذا لم نقم بإبراز هذه الحقيقة بكل أبعادها التاريخية في اليوم الراهن، لا يمكن أن يكون الحكم عادلاً، وإذا فعلنا ذلك نرتكب خطأ كبيراً، قد يؤدي إلى نتائج فظيعة وتكون بمثابة آلة أو وسيلة لاستمرار المؤامرة، ولهذا السبب لا يمكن التهرب من التركيز على الواقع الكردي والقضية الكردية.

إن الحقائق التاريخية والاجتماعية التي أبرزتها، ستفتح المجال أمام نقاشات عديدة حول هذه الجوانب، ولكنني رغم ذلك واثق من أن كل ذلك سيدخل في خدمة زيادة المعرفة والعلم ويحقق الانفتاح الذهني، وكما أنني متأكد بأن هناك أطروحات تطرح لأول مرة في الكثير من المواضيع، وبخاصة أن القرنين الأخيرين التاسع عشر والعشرين، اللذين مضيا تحت المسؤولية الأوروبية يحتاجان إلى تحليل سليم، فمن دون ذلك لا يمكننا فهم يومنا الراهن بنحو صحيح، لقد أجرينا تحليلات القرن الراهن حتى لو كان ذلك بالخطوط العريضة، ولاشك أن ذلك سيسهم كثيراً في الوصول إلى مفاهيم أكثر صحة وسلامة في الميادين السياسية والعسكرية والممارسة العملية، كما أنني مقتنع بأن التحليلات التي أجريت بصدد PKK الذي يمثل إرادة التحرر للشعب الكردي بخطوطها العامة، هي تحليلات صحيحة وتكفي لاستنباط الدروس والعبر، حيث هناك آلاف الدعاوى التي يجري البث فيها لدى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية ولها علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع PKK، ودعواي هي واحدة من هذه الدعاوى، وحتى تتمكن المحكمة من الوصول إلى القرار والنتائج الصحيحة كان لا بد من تقييم واقع الشعب الكردي، وواقع PKK بنحو موضوعي، حيث لا يمكن عزل دعواي عن قضية الشعب وعن حقيقة وجود PKK، فهذا أمر غير مقبول لأن ذلك يعني التحول إلى آلة في خدمة المؤامرة بنحو غير مباشر، وحتى لا نفتتح الطريق أمام ذلك، كان لا بد لي أن أتطرق إلى جوانب وأبعاد مختلفة عند تقييمي لـ PKK قبل أن تقوم محكمة حقوق الإنسان الأوروبية بالتدقيق في قضيتي، وقبل أن تتوصل إلى أي قرار، أو في نفس المرحلة هناك حاجة ماسة للقيام ببحث وتدقيق علمي حول واقع الشعب الكردي و PKK من المنظور الديمقراطي الأوروبي وحقوقه، وإلى اتخاذ قرار بهذا الشأن أولاً، وبذلك تتمكن قبل كل شيء من وضع القضايا الفردية التي يجري فيها البث حتى الآن بنحو منفصل ضمن المقاييس والمعايير الحقوقية الديمقراطية الواقعية، الأمر الذي شكل نقصاً حاداً لم يجر حتى الآن على هذا الصعيد، وعند القيام بتقييم الحضارة الأوروبية، أبدت اهتماماً بتحليل الشرق الأوسط وواقعه في يومنا الراهن، بالإضافة إلى التأكيد على مفهومي للاشتراكية، وحاولت الإجابة عن مستوى التعريف على بعض الأسئلة من قبيل: أين موقع أوروبا من تاريخ الحضارة؟ وكيف أهما مدينة لمجتمعات الشرق الأوسط وتاريخ حضارته؟ وما التغييرات الكونية التي كانت سبباً فيها؟ فمن دون فهم واستيعاب البنية الفلسفية والمعنوية الأساسية لأوروبا، لا يمكن إعطاء جواب سليم على كونها نظاماً فرض الاستعمار والإمبريالية على العالم في الماضي، حتى النمط الماركسي الذي فتح الطريق أمام الاشتراكية المشيدة، وتعرض للاختيار استطاع الكشف عن كثير من النواقص والأخطاء التي تم ارتكابها، إذاً كيف يجب أن تكون المواقف نحو الحضارة الأوروبية التي تقوم بوضع مصطلحات ومفاهيم الحقوق الديمقراطية في يومنا الراهن؟.. فهل يمكن أن يكون الموقف الماركسي الدوغمائي كافياً لذلك مرة أخرى؟.. وماذا سيحقق مناهضة العولمة التي هي سمة جديدة من مناهضة الإمبريالية القديمة لأجل تحرر الشعوب؟.. وحاولنا شرح الكثير من الأسئلة الأساسية التي تشبه ذلك، فحتى إن بدا ذلك بعيداً عن الموضوع، إلا أنه كان لا بد لنا من التطرق إلى هذه المصطلحات والمفاهيم ليطمأنهم واستيعاب

الحقيقة بنحو كامل، ولم يكن أمامنا أي سبيل آخر.

إنني أؤمن إيجابياً الحضارة الديمقراطية المعاصرة على أنها تطور تحليلي على صعيد تطور الحضارة الأوروبية، ولا أقيمتها ضمن إطار النظام الرأسمالي بالكامل، بل أؤمنها عالياً على أنها إرث مشترك للتاريخ البشري، ولهذا فأني مقتنع بأن الحضارة الديمقراطية تتضمن جهد الكادحين على مدى آلاف السنين، وهي قادرة على التجاوب مع ذلك، وبخاصة على صعيد حقوق الإنسان بأجياها الثلاثة التي يجب عدم تناولها بنحو بسيط، حيث يمكن الاعتماد على هذه الحقوق في كل بلد لتبني المواقف البناءة نحو القضايا القائمة على أرض الواقع والتوصل إلى حلول وفاقية مناسبة لها حسب قناعاتي، وكذلك "المجتمع المدني" الذي ينظر إليه "كساحة ثالثة" هو مصطلح لا يمكن استصغار شأنه أو إهماله، حيث لا يستطيع المجتمع الرسمي للدولة ولا المجتمع الإقطاعي أو البرجوازي تقديم حلول للقضايا، بل على العكس هذان المجتمعان يزيدان القضايا القائمة تعقيداً، بل ويشكلان منبع المشكلات حسبما تأكد حتى الآن، وبناءً عليه ومع الاحتفاظ بحق الدفاع المشروع فإن مؤسسات المجتمع المدني السلمية يمكن أن تكون وسيلة تؤدي دوراً مثيراً في حل القضايا اليومية القائمة.

رغم أن بعض أوساط اليسار التقليدي تقيم هذه المؤسسات على أنها "وسائل جديدة" للإمبريالية، ولكنني أرى ذلك تحمة باطلة ولا مسؤولة، بل أرى أن موقفهم هذا يعبر عن الوقوع في مكائد الإمبريالية.

مع ذلك نظرت إلى مصطلح الدفاع المشروع من زاوية أوسع، فبعد أن أوضحت أن وضع "اللاحرب واللاسلام" المفروض سيؤدي لمزيد من الفساد وفرض الاهتراء، وإذا لم تقم القوى المسؤولة والدول والحكومات بإلقاء الخطوات اللازمة، فإن الشعب الكردي قد اتخذ استعداده من حيث النوعية والكمية للقيام بالمهام التي تشكل رداً مناسباً لكل أشكال الاعتداء، بعبوره إلى نظام الدفاع المشروع لأجل حماية وجوده، وهذا هو الخيار الوحيد الشريف الذي يمكن للشعب الكردي أن يلجأ إليه، وحتى لا نعطي المجال للمآسي معاصرة جديدة، على جميع الأطراف أن تستوعب وتفهم هذه الحقيقة وتقوم بمسؤولياتها، وإنني أرى هذا الموضوع مثيراً بحسب تقييمي، كما أكدت على أن تجاوب الشرق الأوسط مع الحضارة الأوروبية يمر عبر تطوير أنظمتها الديمقراطية الخاصة به، ونهضة الشرق الأوسط الجديدة المعتمدة على الأسس الحضارية تمر عبر التحول الديمقراطي الذي سيقوم به، بل إن ذلك هو السبيل الوحيد لأجل حل كل القضايا القائمة، فالقومية العقيمة ومأساة فلسطين وإسرائيل التي هي ثمرة لهذه القومية في القرن الأخير باتت تفرض التخلص من هذه العلة، وترغم على العودة إلى القيم الديمقراطية، وإعطاءها الأولوية اللازمة، فالقضايا خرجت من كونها قضايا سياسية، ووصلت إلى أبعاد أزمة أخلاقية تماماً، فإذا اعتمد الشرق الأوسط على إرثه التاريخي ووجوده الثقافي ولجأ إلى الخيار الديمقراطي، يستطيع أن يتقدم بطرحه المضاد أمام طرح أوروبا لحضارتها على العالم من جانب واحد، وبذلك يمكن التوصل إلى تركيب علمي جديد ويوتوبيا عالمية جديدة أفضل معنى ومضموناً، وعبرت عن آمالي وإيماني القوي بأن الشرق الأوسط يمكن أن يقدم هذه المساهمة التاريخية.

الرأي العام السائد هو أن الحضارة الأوروبية تعيش آخر مرحلة من مراحلها، وأزادت أوروبا إيقاف هذا الانحيار الحضاري بالفاشية، وعندما لم تنجح في ذلك لم يبق أمامها فرصة سوى العبور إلى الحضارة الديمقراطية المفتوحة على التحول السلمي، ورغم أن الذي تعرض للاختيار هو نظام الاشتراكية المشيدة، فإن الرأسمالية الأوروبية أيضاً اضطرت إلى إجراء تحولات كبيرة تمكنها من الخروج عن الرأسمالية، وتم الوصول إلى نهاية عشق "تريستان وإيسولت"، كما باتت المسيرة

الجريئة الخلاقة لـ "بارز يفال" في الغابات المجهولة قريبة من نفس النهاية بسبب التعب والتقدم في العمر، وإن العشق الذي تعيشه ربة العشق "عشتار" هو عشقها الأخير من دون شك، ويجب عليها أن تترك مكانها لعشق جديد كما يبدو واضحاً، ولا مجال للنقاش حول أن مسيرة "بارز يفال" تمثل البطولة الأخيرة للبطل "جلجامش"، ولكن لا بد أن يظهر سائرون جدد أكفاء في بلاد "جلجامش"، حيث هناك حاجة إلى من يليق بهذه المسيرة، وهذا أمر مؤكد.

لقد تحولت القضية الكردية إلى مفتاح بالنسبة لتركيا وامتحان لها للعبور إلى الحضارة المعاصرة، فإما أن تحل هذه القضية لتعبر إليها، وإما أن تتخلى عن تطلعاتها هذه، فهي لن تستطيع التخلي عن توجهات مؤسسها أتاتورك بشأن الحضارة بسهولة، فحتى لو لاقت بعض الصعوبات، فعليها أن تقوم بحل القضية الكردية ضمن إطار العلاقات مع الاتحاد الأوروبي كاحتمال كبير، وحتى لا تخلق تركيا مزيداً من الإحراج لأوروبا يجب عليها أن لا تقوم بتأجيل حل القضية داخلياً، حيث أن هذا التوجه مهم لأجل إزالة الأسباب التي أدت بها إلى الأزمة، ولأجل الارتقاء بتاريخها الديمقراطي فإن هذا التوجه يشكل فرصة سائغة لها يجب الاستفادة منها، حيث أن التكامل القوي للأوطان والوحدة الراسخة للدول تمر عبر هذا الطريق، والدول الراسخة القوية في العالم تؤكد هذه الحقيقة.

إن المجلس الأوروبي الذي يمثل القوة التنفيذية لقرارات محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، وبموجب معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية التي هي الوثيقة الحقوقية الأساسية لأوروبا، يجب عليه أن يقدم دعمه ومساندته النوعية، وتعبير موافقه عن مسؤولية أكبر نحو تطوير تركيا على مسار الحقوق الديمقراطي، بالاستفادة من قضيتي هذه. فحل هذه القضية القائمة في أهم مناطق العالم تاريخياً، والتي تحولت إلى بؤرة مصابة بالكراز من دون إلحاق مزيد من الخسائر وفقدان القوة للأطراف، ومن دون التسبب في مزيد من الإحراج هو أمر يجلب المنفعة لكل الأطراف المعنية، مثلما لا يلحق من حلها أي ضرر بأحد، فإنه سيجعلها تستعيد ما خسرت بل وتعود بالأطراف إلى إنسانيتها من جديد بعد أن تم نسيانها منذ زمن بعيد، فهل هناك مكسب وإنجاز أفضل من ذلك...؟.

أخيراً تطرقت في مرافعتي إلى سيرتي الفردية وهويتي وحاولت شرحها وتحليلها، وهذا يستهدف الرد على الانتقادات الكثيرة إيجابياً أو سلبياً التي وردت بسبب مرافعتي، حيث توجب الرد عليها، فقد تم تأليف الكثير من الكتب بحقي وصدرت مقالات وكتابات كثيرة، ومازلت موضوعاً لنقاشات كثيفة، فقد كان يصعب الرد عليها حتى عندما كنت في الخارج، كما وجدت مزيداً من الصعوبة عندما أصبحت في السجن، وكان لا بد لي أن أستخدم حقي هذا، وبهذه الوسيلة فإن الرد بنحو موجز وبالخطوط العريضة يمكن أن يصبح أرضية بعد إعطاء رؤوس الأقلام، وهذا سيكون مفيداً بحسب قناعتي، وقد تبينت موقفاً خلاقاً، والحقيقة إن كل شخص سيرى موقعه من خلال هذه المرأة، وكان هدفي الآخر هو وضع مرآة كبيرة أمام الذين يصرون على النظر بعيون عوراء لأقول لهم: "إن موقعك هذا في هذه المرأة، وهذا هو شكلك"، وكذلك بالنسبة لأولئك الذين يرغبون في الرفاقية والصداقة ليكونوا على علم بالمخلوق الذي يواجهونه، وقد حاولت إظهار ذلك من الصميم وبكل قوتي، وجعلت من ذلك مهمة لا تقبل الإهمال، وكذلك أردت أن أبين لأولئك الذين يكتون العداء لي من دون معنى. من أنا، وماذا فعلت، وماذا أستطيع أن أفعل، والأمور التي يمكن أن أكون سبباً لها بشكل واضح وبمنتهى الصراحة، وأعتقد أن الجميع سواء كانوا أشخاصاً أم مؤسسات سيتبنون موقفاً صادقاً نحوني وسيتوصلون إلى نتائج خيرة.

لاشك في إن مرافعتي تتناول وتعكس كثيراً من المواضيع بأسلوب مختلف، ويتم تناول الإنسانية، وشعب وتنظيم، على شكل: ما هو...؟ وماذا يريد أن يكون...؟ بكل وضوح وبمتهى المسؤولية، حيث يتم إضفاء المعنى على كثير من الأطراف والمعنيين، وتلقي على عاتقهم أدواراً، وليس بإمكانني التهرب من هذا الموقف، وأردت قول ما لم يقله آلاف الشهداء المجاهدين في التاريخ، والسبب الذي دفعهم إلى لفظ أنفاسهم الأخيرة، ولم يستطيعوا قول ما يريدونه، وأردت أن أكون صدى صرخات واقع شعب تعرض لأشد أنواع الخيانة على مدى التاريخ، وتم قطع لسانه وترك عاجزاً لا يدري من أين وكيف تلحق به الضربات، مع أنه من أقدم شعوب التاريخ، كما حاولت الدفاع عنه والتعريف بحزب يملك آلاف الشهداء الأبطال ويتعرض للخيانة الداخلية والخارجية، لأشرح ماهية PKK الحقيقية، وكيف يجب أن يكون بمتهى المسؤولية.

إنني أدرك تماماً المؤامرة التي تعرضت لها، ومرافعتي هذه تشكل جواباً ناجعاً لأول مرة لأولئك المتآمرين الذين يحاولون التفوق بالمؤامرات، ولا يفعلون ذلك ضدي فقط بل ضد الإنسانية بكاملها، فأنا لا أتنازل إلى الانتقام والأخذ بالثأر، ولا أرى ذلك الأسلوب يليق بي، فمن خصائص الإنسانية هو السعي إلى كسب صداقة الإنسان، إذا كانت فيه خصائص جوهرية إنسانية ولو بنسبة واحد من الألف، وهذه الصفة جزء لا يتجزأ من تكويني، ولكن إذا وجدت الفرصة، ورأيت ذلك ضرورياً فإنني سأثبت كيف يتم الانتقام من هؤلاء المتآمرين، وكنت أرغب في أن أثبت لهم كيف تكون الحرب والبطولة في الممارسة لتجعلهم يستعيدون رشدهم حتى لا يرتكبوا هذه المواقف الملعونة نحو الإنسانية كلها مرة أخرى.

ستنتصر الإنسانية والحرية،

وسيحسر كل المتآمرين والهمجيين والكاذبين.

الخاتمة الثانية

لقد كنت مضطراً إلى جعل مرافعتي تعتمد على تحليل الحضارة، فالتشكلات الفوقية للمجتمعات، والتحوليات الجارية في أساسها تشكل جوهر هذا التحليل، والقيام بتوضيح جوهر الديالكتيك الذي تعتمد عليه التطورات، يعطي تعريفاً للظاهرة الاجتماعية المقصودة، ويبقى الالتزام بأن الفرز الطبقي والتحول إلى دولة يكمن في أساس الحضارة التاريخية، التاريخ بذاته يحيا على شكل سلسلة حلقات مستمرة حتى يومنا هذا، من خلال التطورات التي ترتبط ببعضها بعلاقات عضوية متكاملة، والمفهوم الحركي والعضوي للتاريخ يمكن أن يقيم على أنه تعبير عن المرحلة الديالكتيكية المعتمدة على الفرز الطبقي والنتيجة الطبيعية لهذا المفهوم، ونرى الحقائق الباقية من الأمس ليست بعيدة كثيراً عن الحقائق التي ستتكون غداً في الجوهر كما يبدو نظرياً.

إن نفعي التاريخي يشمل أمرين محطيان بأهمية المفتاح، أولهما: الفرز الطبقي المعتمد على فائض الإنتاج، وأن النظام السياسي في أساسه يعتمد على ثقافة معابد الكهنة السومريين، والحضارة بأحد معانيها هي افتتاح ثقافة المعابد هذه وانتشارها، حيث هناك علاقة وثيقة جداً بين الميثولوجيا التي تعتمد عليها هذه المعابد وفائض الإنتاج، ويقول آخر إن الإنتاج الميثولوجي للكهنة، وفائض الإنتاج هما التطوران الأساسيان للذات طبعاً التاريخ بطابعهما، فالكهنة السومريون أسسوا أول زمرة حاكمة أصيلة، وهذا ما يجمع عليه كل المؤرخين، ولهذا فإن تحليل ثقافة المعابد السومرية يحظى بالأولوية على تحليل "ماركس لرأس المال"، بل إن تحليل رأس المال لوحده يتضمن نواقص كثيرة ولا يكفي، أما فائض القيمة فهو أحد الفروع التاريخية لفائض الإنتاج، وظهر فيما بعد بوقت طويل، أما الفرز الطبقي الذي تكون حول ذلك على شكل "برجوازية . و بروليتاريا" فهو يحظى بموقع محدود ضمن التكامل التاريخي، وهو لوحده بعيد عن تعريف الفكر والدولة والأخلاق والفنون، بل حتى يتم تناول الصراع الطبقي ضمن منطق النظام الاستغلالي المهيمن، وبالنتيجة لا يتجاوز أن يفتح الطريق أمام نظام جديد لفائض القيمة كما رأينا في مثال الاشتراكية المشيدة، وبأي شكل لا يتم فتح الطريق أمام التوجه نحو النظام الاجتماعي الذي يتم تحيئه والذي يسمى "باليو توبيا الشيوعية"، لا شك في أن هناك تأثير مصري للطريق الذي يجري إتباعه أو الأسلوب الذي يتم الالتزام به، فالهدف بذاته مع عظمة الجهود المبذولة والبطولات ليس كافياً، وحتى يصبح التخلص من هذا المأزق ممكناً، يجب تحليل ثقافة المعابد السومرية التي تقدم مساهمة في تجاوز الوضع، وفي الأقل يجب وضع التفسير الصحيح لمحمل التطور التاريخي، مما يوفر الإمكانية لتعريف التحول الاجتماعي التكاملي.

يجب النظر إلى تحليلي للحضارة على أنها خطوة من قبيل التجربة على هذا الطريق دون أن أكون مستعداً لها ومع عدم توافر الظروف الصحية اللازمة، كما يمكن تقييم ذلك على أنه مخطط تجريبي، ولكنني واثق من أن المصطلح الذي تم وضعه والأسلوب الذي تم الالتزام به قد وصل إلى الحقيقة، ويحظى بقيمة علمية وبناءً عليه يتضمن تفوقاً مهماً، فإذا نظرنا إلى التاريخ ضمن هذا الإطار سنرى أن كل ما حصل كان نتيجة لتأمس فائض الإنتاج وفائض القيمة على شكل

مثنولوجيا حول محور المعابد، وتوسع هذا الأمر وتعمق وانتشر كما يبدو واضحاً، فمثلاً لننظر الى الاستغلال الجنسي الذي يمكن النظر إليه كأمر تافه، وربما يكون الميدان الذي يشهد أقل العلاقات، وبتقييم ذلك نستطيع التعرف على مدى صحة هذا الموقف التاريخي بنحو أفضل، ويمكن اعتبار مؤسستي "بلاي بوي وهو ليوود" الأمريكيتين لا تتوازن أن تكونا جزءاً سلبياً من ثقافة المعابد السومرية، وتمثلان شكلاً بليداً محلياً من مؤسسة الكاهن والكاهنة، وهكذا فإن المصانع والقصور ومؤسسات الدولة والحقوق والمعتقدات والمساجد والكنائس والكنيس وكل فروع الفنون والفنانين ما هي إلا ظواهر نشأت وظهرت من رحم أم ثقافة المعابد، وكلها لن تتخلف عن ترك مكانها للأشكال الأكثر تطوراً والولادة من جديد إذا حان الوقت والظروف المناسبة لذلك، وبهذا الشكل نرى أن يومنا يختبئ في التاريخ وأن التاريخ يختبئ في يومنا الراهن بشكل واضح وصریح، ولا يصح مطلقاً أن نرى أنفسنا فوق التاريخ أو خارجه، وأن التاريخ لا يقبع في المتاحف أو في الأطلال، بل هو أمر مستمر في يومنا هذا، وهو ما يجب أن نقبله على أرض الواقع.

الحقيقة التي تظهر أمامنا هنا، هي أن كل مرحلة تاريخية ذات معنى أو كل مؤسسة أو كل فكر أو معتقد يحاول أن يجعل من نفسه أساساً ويظهر نفسه على أنه هو الأصل والاستمرارية بين اليوم الراهن والتاريخ، وهو أمر ناجم عن قوة الدعاية الرسمية المهيمنة، فهؤلاء مرغمون على القول بأنهم الجديد والأوائل حتى يبقوا حاكمين ومهيمنين، ولكن هنا يجب التفريق بين أمرين، فمن الأهمية معرفة التجديد الناجم عن التحول الحقيقي، والدوغمائية البليدة التي تتضمن الكذب والخداع وتعتمد على القوة الدعائية، والتخلي عن واقعها البليد المتبرج، وعندما لا نعطي الفرصة للانخداع بالمظاهر التي تتحمل بالمكياف والدماغوجية في تاريخ الحضارة، فإن ما يتبقى هو حقيقة التاريخ النقية الصافية التي تحدد اليوم الراهن الصحيح، وإنني واثق من أنني طرحت الصحيح على هذا المسار الحضاري في تحليلاتي، وبناءً عليه فإن المؤامرة الدولية الأشمل في القرن العشرين ستجد حقيقتها في هذه الحضارة.

إن الحضارة نفسها تعتمد على القمع والإرغام الفيزيائي الذي مارسه الكهنة السومريون على الإنسانية وعلى المجتمع النيوليتي الذي لم يعرف على الدولة والفرز الطبقي بعد، على هذا الأساس تم خداعهم بالمعتقد والفكر المثنولوجي، ليتحول ذلك إلى نظام قائم فيما بعد، والحقوق يبدو كاقرب مؤسسة إلى العدالة ضمن كل التطورات الحضارية، والحقوق الذي نتحدث عنه هنا هو الحقوق الذي تكون حول فائض الإنتاج، والحقوق القائم في الحضارة الأوروبية يعتمد في شكله الأخير على التطورات المهمة التي تحققت على صعيد الحقوق الديمقراطية وفي مجال حقوق الإنسان، حيث يتيح النظام الحقوقي الأوروبي فرصاً للشعوب والأفراد للمطالبة ببعض الحقوق، ولو بنحو محدود اعتماداً على ديمقراطية أوروبا وحقوق الإنسان.

البعد المهم الثاني في نهجي التاريخي: يتعلق بموقع الشرائح الاجتماعية التي يتحقق منها فائض الإنتاج، فالتطبقات الفوقية في المجتمع الطبقي وعلى مدى التاريخ حققت تفوقاً في المؤسسات الاجتماعية العلوية والسفلية بشكل مضاد لهذه الشرائح، فحتى لو سعت هذه الشرائح للدفاع عن نفسها كمجموعات أئنية، فقد تعرضت لفقدان موقعها نظراً للفرز الطبقي الذي تطور في أحشائها باستمرار، فالضغط المستمر والتخلف الملحوظ في الظروف الفكرية والمادية مهد المجال تاريخياً أمام بقاء هذه الشعوب تحيا بعد وضع المجتمع النيوليتي. بينما الحضارة استمدت القوة دائماً من مجتمع المدينة ضد المجتمع القروي الموجود في الريف، ومقابل الواقع الشعبي في الريف كان المجتمع الطبقي يحقق النمو والتطور دائماً في ظروف

المدينة، والفرز الطبقي القائم في الواقع الاجتماعي للشعوب لم يحقق نمواً كبيراً سوى لدى أقلية صغيرة، والسبب الأهم في ذلك هو المقاومات التي حصلت ضد الاستغلال والضعوط، فالبشرية لم تقبل بالمؤسسات العبودية من تلقاء نفسها في أي وقت من الأوقات، بل واجهت الأنظمة الاجتماعية الطبقيّة التي حاولت فرض نفسها عن طريق القوة والجهود الإيديولوجية الكبيرة بالتمرد الدائم والبحث عن الحرية باستمرار، وكلما وجدت الفرصة المناسبة قامت بتطوير فكرها التحرري ومؤسساتها ولم تتردد في الإعلان عنها.

إن الاشتراكية العلمية التي اعتمدت على تحليل الحضارة الرأسمالية، استطاعت أن تؤدي دور المرشد الإيديولوجي للنضال الذي تخوضه شرائح المجتمع التي تتعرض للسحق والاستغلال لأول مرة، ولكن عدم قدرتها على تجاوز تأثيرات المجتمع الطبقي الذي ترعرعت في أحضانه، أصبح السبب الأساس في فشل الاشتراكية المشيدة، وهذه الحقيقة يمكن أن تتعرض للتجاوز على أساس فرض ظروف المساواة والحرية البدائية التي تحياها المجتمعات النيوليتية كمنخرج على الحركات الاجتماعية التي تبحث عن المساواة والحرية، فواقع الشعوب التي توقفت في مكانها وظلت تحيا ظروف المجتمع النيوليتي، قد تم إرغامها على العيش في مصير مشترك متشابه في كل المراحل الحضارية، وتداخل القمع والضغط القومي والثقافي والأثني والطبقي، لتبقى المرأة في أدنى المستويات دائماً، وبذلك عاشت تاريخاً خاصاً بها حتى يومنا الراهن، فبعضها استطاع حماية وجوده الثقافي تحت سلسلة الاستغلال والقمع المستمر بنحو قليل، والبعض الآخر بنحو أكثر، وبعضها بشكل مستمر والآخرين لمدة قصيرة، وقامت بتصعيد مقاومتها واستطاعت تكوين الجزء غير الرسمي من التاريخ، وحتى لو كان ذلك التاريخ ممسوخاً غير معتبر، فقد استطاع حماية وجوده في جميع التشكيلات الفكرية العلمية والفلسفية والدينية والمثولوجية، وقام بخوض النضال ضد الأفكار الرسمية المهيمنة في مراحلها على شكل مذاهب شبه سرية أو زمر مختلفة لتكون قوة للإرادة وتثير سبل البحث عن الحرية، وتخدم تلك التوجهات.

إن موقفنا من تاريخ الحضارة، نظراً لعلاقته بالموضوع الكردي الذي تجري محاكمتي بسببه وارتباط ذلك بالقضية الكردية، إذا لم يتم تحديد مكان الكرد في تاريخ الحضارة بنحو صحيح، يستحيل استيعاب قضاياهم بنحو صحيح أيضاً، وقد استطعت تحليل تاريخ الكرد حتى لو كان ذلك بخطوطه العريضة، فالكرد يأتون في مقدمة الشعوب التي خلقت الحضارة النيوليتية، وحتى لو حدث تفرع الشعوب بعد ذلك فإن المجموعات الأتنية الأصيلة هي الجذور التي تعتمد عليها الشعوب، وبهذا الجانب فإن دورهم مؤكد وبارز في تطوير الثورة النيوليتية والمجتمع الزراعي وتربية الحيوان، فكل علوم الآثار والأعراق والجغرافية تؤكد صحة هذا الدور، وأكبر مساهمة للشعب الكردي في التاريخ هو بقاءه على شكل مجتمع زراعي ومربياً للحيوانات على مدى خمسة عشر ألف سنة تقريباً منذ ميلاده وإلى يومنا هذا بشكل مستمر، وهذا هو السبب الذي جعل هذا المجتمع مستمراً في الظروف النيوليتية عبر كل مراحل تاريخ الحضارة.

إن التاريخ يدل على أن الشعوب والثقافات التي تحيا شكلاً اجتماعياً من الأعماق ولفترة طويلة لا يمكن أن تكون مركزاً للأشكال الاجتماعية التي تأتي بعدها ولا تقوم باحتضانها، ولا تعترف بالفرصة للجديد نظراً للتأثير الكثيف الذي تحياه للمجتمع القديم، بينما يتطور المجتمع الجديد كطرح مضاد للمجتمع القديم في الأماكن والظروف التي تشهد أضعف تأثير للنظام القديم، وسوء حظ الكرد هو أنهم عاشوا النيوليتية من الأعماق ولأطول مدة، فالزراعة وتربية الحيوان على مدى آلاف السنين هي التي حددت عالم الكرد بشكل رئيس، وهذه الحقيقة في الوقت نفسه تأتي بمعنى الاغتراب عن

مجتمع المدينة، والعيش على شكل عشائر، فالکرد الذين أدوا دور الحاضن لمجتمع المدينة السومرية كانوا في علاقة واشتباك دائم معه منذ ميلاده، وأمام تزايد قوة مجتمع المدنية في وقت قصير، فتح المجال أمام التفوق العسكري حينها لجأ الكرد إلى الجبال أي منذ خمسة آلاف سنة ليصبحوا بحسب التسمية السومرية اما هوريون "شعب التلال المرتفعة" أو كوتيين "شعب الجبال المرتفعة"، حتى يتمكنوا من حماية وجودهم، ولم يجدوا الفرصة لأي شكل آخر من التطور بسهولة، ففي مواجهة الاعتداءات والغزوات من الجهات الأربع عليهم، لم يكن أمامهم سوى الانسحاب إلى النقاط الوعرة جداً على شكل وحدات عشائرية صغيرة كي يتمكنوا من الحفاظ على وجودهم، ولم يجدوا الفرصة لأجل التحول إلى مجتمع متمدد بقواهم الذاتية فيما عدا بعض الأوضاع الاستثنائية وبنحو محدود، حيث كان يتعرض لاحتلال جديد بعد مدة قصيرة وكان ذلك قدرهم.

إن هذه الحقيقة تفسر لنا سبب بقاء الكرد على شكل وحدات عشائرية ضيقة ولكنها قوية، وسبب عدم تطور حياتهم الاجتماعية كثيراً، وفي الوقت نفسه سبب عدم معاشيتهم للفرز الطبقي في داخلهم، باستثناء شريحة ضيقة من المتواطين والعلماء، حيث يتحقق الفرز الطبقي كظاهرة قادمة من الخارج، سواء لدى الطبقة الفوقية المتواطنة العميلة أو الطبقة التحتية المسحوقة المستغلة، حيث تتكون هاتان الطبقتان في ظروف الحضارة الغربية، وهذا هو السبب أيضاً في عدم قدرتهم على تطوير لغتهم وثقافتهم نظراً لسياسة الصهر والتذويب الكبيرة التي تطبق عليهم، أما إذا نظرنا إلى الحقيقة التاريخية بصورة أقرب نرى أن وضع لا يمثل الهيمنة الخارجية تماماً كما لا يمثل السيادة الداخلية تماماً، فكلما اتجهنا نحو الخارج نرى أن الصهر والتذويب يفعل فعله، وكلما توجهنا نحو الداخل نرى أكثر أشكال القبائل تحلفاً والوحدات العشائرية والأسرية التي تحيا التجريد، والابتعاد عن الحضارة تماماً، أي يعيشون التهميش وبناء عليه وضعاً اجتماعياً خطيراً، وهذا يشبه وضع العجوز القابلة التي أولدت البشرية، وتقع في الزاوية ولا يمكن فهم شيء من لغتها ومن الواضح أن هذا وضع ظالم وغير مفهوم لا يمكن القبول به.

أما إذا تناولنا الموضوع من زاوية أخرى مختلفة، أي من زاوية أبعاد الدين والأخلاق، نرى أن المجتمع الكردي هو الذي يتضمن مفاهيم القداسة والذنوب واللعنة في أحشائه لتقوم بتحديد ظروفه الاجتماعية، فالقداسة تعتمد على أول الإنجازات التي قدمها هذا المجتمع للبشرية على شكل الحبوب والثمار والحيوانات المدجنة، والقدسية التي يتميز بها الخبز والشراب والحليب ترمز إلى هذا الجانب من حقيقة القداسة، لدرجة أننا لا نستطيع إنكار وجود القدسية في مورثات الكرد بنحو متوارث، وحيوية هذه القداسة في حياتهم، ولكن هذه حقيقة بقيت مخفية ولا تستطيع أن تعبر عن نفسها تماماً، أما الذنوب لدى الكرد فهي ناجمة عن عدم قدرتهم الحفاظ على هذه المقدسات كما يجب، وبناءً عليه فإن امتلاك كل هذه المقدسات من دون أن يستطيع تحقيق مجتمع حر ليكون لائقاً بها، يجعل المجتمع كله مذنباً، أي أنه شعور بالذنب على شكل جماعي شامل، أما الدين لدى الكرد فلا يهدف إلى الطهارة من الذنوب، بل يحقق لهم التستر عليها، وهذا أمر يتعلق بكون كل الأديان القادمة بعد الربة الأم التي سادت في ظروف المجتمع النيوليتي وثقافتها هي أديان ومعتقدات خارجية المنشأ، وذلك هو السبب الأساس في هذا الوضع.

تلك الأديان وألهتها التي أصبحت وسيلة للاستعمار والانتشار بالنسبة للمجتمعات الأخرى قامت بتخريب الجوهر والوعي والمعتقدات الموجودة لدى الكرد، وتركتهم في وضع متخلف جداً على الصعيد الفكري والعاطفي، وأصبحوا

غير قادرين على إنتاج المشاعر والأفكار الخلاقة التي تعتمد عليها ظروف حياتهم، وتسفر عن الفقر المدقع على الصعيد المادي والمعنوي، أما الشعور باللعة فهو الرد الأخلاقي على كل حركات الاحتلال والاستيلاء والهدم والنهب على مدى التاريخ الطويل، وهذا يشكل أكبر شعور بالذنب على الصعيد الديني أيضاً، فلا يوجد أي مجتمع تعرض لكل هذا الاحتلال والاستيلاء والهدم على مدى تاريخه بهذا الشكل المتداخل وبهذه الاستمرارية، ولهذا فإن الكرد هم الذين تعرضوا إلى اللعنات أكثر من غيرهم، وأصبحوا شعباً بلا حظ ومستقبل، وحُكِمَ عليه بالألم والظلمة، وهذه اللعة حدثت على يد كل أشكال الحضارات ومن طرف أفضل قواها، وأسفرت عن الكوارث على مدى قرون طويلة وعلى نحو موجات حتى وصلت إلى يومنا هذا حيث مازال تأثيرها قائماً. إن الآلام الناجمة عن كون الكرد مجتمعاً ملعوناً، والظلام الناجم عن هذا الوضع جعلت المجتمع خجولاً، وهذه الحقائق هي التي ترسم لنا صورة تعبر عن مأساة القدااسة والشعور بالذنب واللعة لدى الكرد.

إن تنوير القضية الكردية من الأهداف الأساسية لمرافعتي، فالقضية الكردية أكثر من أن تكون قضية وطنية بالمعنى الضيق، هي قضية إنسانية كبيرة يتطلب تحليلها من كل الجوانب التاريخية والاجتماعية، فهي لا تشبه القضايا الوطنية التي تشكلت حول السوق الوطنية وتطورت في أحضان النظام الرأسمالي قط، والأسس التاريخية والاجتماعية لها لم تعطِ الفرصة لمثل هذا التشكل، فهي قضية ذات مزايا وخصوصيات ولدت ونشأت مع تطور وتضاعد المجتمع الطبقي إلى جوارها كالمثال السومري، وبمكنا القول بأن المجتمع الكردي تأثر بنحو مباشر وأكثر من أي مجتمع آخر بالأنظمة العبودية والإقطاعية، بل يمكن القول أن كل الحضارات التي تأسست وتطورت في الشرق الأوسط، فتحت المجال أمام قضايا وتعقيدات عميقة في الموضوع الكردي، فكل الإمبراطوريات التي وُجدت مثل السومريين والبابليين والآشوريين والحثيين والإغريق والرومان والبيزنطيين والبرس والساسانيين والإمبراطورية الإسلامية، حولت الجغرافيا الكردية إلى ساحة حرب، أما الرد الكردي على تلك القوى، فقد كان على شكل الانسحاب إلى أعماق الجبال على شكل مجموعات عشائرية وقلبية صغيرة، لتستطيع حماية وجودها على أساس الدفاع عن الذات، أما بالنسبة لأولئك الذين بقوا في السهول فقد تعرضوا للانضمار ضمن ثقافة المهيمين والمستعمرين، وآلو إلى وضع فقدان شخصيتهم، والصفة الموجودة لدى الطبقة الفوقية هي " القادم هو سيدي والذاهب هو الباشا"، وهي خصوصية متوارثة من هذا الوضع وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من شخصيتهم.

في ظل هذه الظروف نرى أن القضية الكردية غير قادرة على الارتقاء إلى مستوى قضية سياسية، فكل ما قام به الكرد هو أنهم حاولوا المحافظة على وجودهم الفيزيائي في مواجهة كل هذا الاحتلال والاستعمار الظالم، فحماية الوجود الفيزيائي في ظروف التهديدات التي تصل إلى درجة الإبادة، أصبح الهدف والمسؤولية الأولى للمجتمع الكردي، وبدلاً من القيام بمهمة سياسية وثقافية لأجل النجاح، كانت كل جهودهم منصبة على العمل لأجل أن لا يخرجوا من كونهم مجتمعاً، ورغم أنهم كانوا عشائر مختلفة وقبائل وحتى عائلات صغيرة استطاعت الصمود والبقاء، فهم كانوا شاكرين يحمدون رغم ويعدون ذلك نجاحاً، لأن الوضع الأسوأ من ذلك هو ان يخرجوا من كونهم مجتمعاً، أو يتعرضوا للإبادة العرقية، فالثنائية الكامنة هنا هي إما البقاء الفيزيائي أو الانتهاء والزوال، أما المصطلحات والسياسة والتحول إلى تنظيم سياسي وتحقيق التحرر السياسي والثقافي فهو وضع محدود جداً، ولم يحدث مثل هذه التطورات إلا في الظروف القائمة في يومنا هذا، أما

الأمر الأشد خطورة فهو العمل على إخراج الأكراد من شخصيتهم من خلال سياسات الصهر والإرغام حتى لو لم يصل ذلك إلى درجة الإبادة الفيزيائية، وهذا هو الجانب الأكثر خصوصية الذي يواجهها باستمرار على مدى التاريخ، فالكرد يمكن أن يعبروا عن تطلعاتهم بعد أن يُثبتوا وجودهم أولاً كمسألة أساسية للحرية.

إن القضية الكردية بخصائصها هذه تتضمن مفهومين أساسيين، أولهما: المقاومة ضد إخراج المجتمع الكردي من ذاته، وثانيهما: الوصول إلى إمكانات الحياة الحرة. والتعقيدات الموجودة في القضية وأبعادها الكثيرة، ناجمة من هذه المزايا التاريخية والاجتماعية، فالاستعمار الذي تطور اعتماداً على الرأسمالية، قام بمزيد من التعقيد والتعميق للقضايا التي يحياها الكرد على مدى تاريخهم عندما مارس الضغوط القومية والاستغلال الاقتصادي والصهر الثقافي، فهذا المجتمع الذي يعاني من الصعوبات دائماً وكأنه يسير على الصراط المستقيم للحفاظ على كيانه، لم يكن يملك أية أسلحة دفاعية في مواجهة القوى المختلفة السياسية التي نظمت صفوفها وعززت تنظيمها في ظروف النظام الرأسمالي، فالقمع التقليدي أخذ شكلاً أقوى من خلال القمع الوطني المعاصر الأقوى الذي مارس سياسات الصهر والاستغلال الحديثة، دفع إلى وضع أشد وطأة على الكرد، حيث وصلوا إلى وضع يتجاوز الاستسلام، حيث العجز والتهرب من ذاتهم طوعاً، والشعور بالاغتراب عن أنفسهم، واللجوء إلى تبني هوية أعدائهم، أما المقاومات المحدودة التي ظهرت لأجل الحرية، فقد أسفرت عن نتائج عكسية تماماً بعد إخمادها بالمؤامرات الداخلية والخارجية في مدة قصيرة.

الكرد الذين يعيشون هذا الواقع لا يمكنهم أن يطوروا أفكارهم ومعتقداتهم، والفنون ومواهبهم السياسية بنحو سليم، وهذا جانب يمكن فهمه، فهم غير قادرين على التنفس السليم في وضع يشبه تلقي اللكمات على وجهه من طرف كل قادم وكل عابر، فمن الواضح أنهم لن يتمكنوا من تطوير إنجازاتهم العلمية والفنية ومبادئهم تحت هذه الظروف، فالجنون المتداخل مع العجز القائم وطلب الرحمة المتداخل مع التمردات البدائية في التوجهات الكردية، أدى إلى تكرار عجيب في حياتهم كمثال الحصان الذي يدير حجر الطاحون، والتي لم تعد تعبر عن معنى، وقضى على شكلهم ليتحولوا إلى أكوام حطام، وهذا أيضاً ناجم عن الأسباب التي تحدثنا عنها، أما اللعنات والذنوب التي تتحدث عنها الأديان فهي نتيجة أخرى لهذا الواقع، فالأبعاد التي وصلت إليها القضية الكردية هي التهرب من الذات، وعمق الخيانة الموضوعية، واللجوء الطوعي إلى هوية الأعداء والأغراب، وهذا وضع ناجم عن الوضع الملعون والمحتمل بالذنوب، ففي ظل هذه الظروف والأجواء لا يمكن أين ينمو الصوت الجميل، ولا الألوان الجميلة، ولا المظهر الجميل، ولا يمكن الوصول إلى أعماق العواطف الصحيحة والجودة والجمال، وباختصار فإنه لا يمكن العيش بحرية وكرامة في ظروف الافتقار إلى البيئة المعنوية والمادية التي نسميها بالإنسانية.

أما واقع PKK الذي يحتل مكاناً مهماً في مرافعاتي، ومن خلال التحليلات حاولت إثبات أن PKK قد استهدف خلق وضع يستطيع الكرد أن يقولوا "إنني إنسان" في الأقل، وعلى صعيد القضية الكردية، فحتى لو تم الوصول إلى عمق إيديولوجي شامل وقوة ممارسة عملية شاملة، إلا أنه في الأساس يبحث عن موقف إنساني صادق في الظاهرة الكردية، ويحاول إظهار وإبراز واقعه، ولا يمكن أن يكون له دور سوى الدفاع المشروع عن الذات في جوهره، رغم أنه بعيد عن تحقيق نجاح عن طريق العنف، وعدم استطاعته القيام بلعب دور الدفاع المشروع عن الذات في مواجهة الإرهاب المتعدد الجوانب الذي يستهدف الإبادة، هو جانبه الذي يستحق النقد على الأغلب، ويوجه له الاتهام، فالواقع الذي

يحياه الكرد في كل الميادين الإيديولوجية والمعنوية والسياسية والعسكرية والثقافية، تفرض عليهم التمسك بالدفاع المشروع عن الذات، وبغير ذلك سيفقدون مزاياهم الإنسانية، ولا يمكنهم أن يعتبروا أنفسهم من البشر، فأى مقاومة كردية يجب ان تضع في أولوياتها ضمان الوجود كإنسان وشعب، وتطالب بالاعتراف لهم بالعدالة والحرية حتى يكونوا شعباً، وليس سوى ذلك إطلاقاً، ولا يمكن تقييمها بشكل آخر، أما القيام باستغلال تلك المقاومة وجعلها وسيلة للمنافع الشخصية والأسرية البسيطة، وجعلها ضحية للأعيب سياسية أكبر من ذلك، لا يغير شيئاً من جوهر القضية القائمة والسبر عن الوضع السليم، ولا ينفي التعريف الأساس للقضية، إن الأمر الذي نجح فيه PKK هو أنه استطاع إبراز القضية، وجعلها ملكاً للأمة والرأي العام العالمي، وإبرازه للسبل السلمية للحل، فحتى لو كانت له أخطاء ونواقص إلا أنه لعب دوره التاريخي كما ذكرناه بحسب قناعتنا، ولا يمكن التغاضي عن أن PKK يحتاج إلى تحولات مهمة في أعوام الألفين.

لقد سعيث في مرافعاتي إلى التأكيد على أن الحل المعاصر للقضية الكردية يمر عبر الديمقراطية الكاملة ومعايير الدولة الحقوقية، فالحلول القومية التي ترجع في أساسها الى القرن التاسع عشر والقرن العشرين أثبتت بأنها أخذت أكثر مما منحت للشعوب، حيث حلت الإيديولوجية القومية وأساليبها محل العشائرية والصراعات الدينية، لتعتمد على الأسس العاطفية والشوفينية بدلاً من الأسس العلمية، وهكذا أسفرت بالنتيجة عن حربين عالميتين كبيرتين، إلى جانب كثير من الحروب الإقليمية والمحلية لتكون حصيلتها سحق كل شعوب العالم، وعندما أفلست الفاشية التي رأتها الرأسمالية مخزجاً لأزمته، وجدت الرأسمالية أن النظام الديمقراطي هو النظام الذي يواكب مصالحها في نهايات القرن العشرين، حيث تأكد انتصار النظام الديمقراطي بنحو حاسم، ومع زوال معنى الحدود القائمة حيث لا حاجة للتلاعب بالحدود السياسية، وفقدان العنف لأهميته في مواجهة التورات التكنولوجية العلمية، تأكد أن أعقد القضايا يمكن أن تصل إلى الحلول المناسبة لها عن طريق الوفاق الديمقراطي بفضل الإمكانيات المتوافرة. فالنظام الديمقراطي الذي هو أكبر إنجاز حققته الحضارة الأوروبية، استطاع ترسيخ السلام مع توفير الإمكانيات للنمو الاقتصادي، مما جعله قوة جاذبة على الصعيد العالمي، ومع قيام هذه الحضارة بوضع تعريف لحقوق الإنسان بنحو شامل كقيمة حقوقية راقية، جلب معها تركيبة قوية للنظام الديمقراطي مع مفهوم الدولة الحقوقية، حيث لا يصعب التوصل إلى الحلول للقضايا الوطنية والاجتماعية ضمن تركيبة الدولة الحقوقية الديمقراطية. إن التجارب الكبيرة للحضارة الأوروبية هي التي أسفرت عن الوصول إلى هذه المفاهيم، فمن المؤكد أيضاً أن الحضارة الأوروبية استمدت قوتها من حل قضاياها بهذه الوسيلة.

إن وجود الشعب الكردي في مركز ثلاثة شعوب كبيرة في جغرافية الشرق الأوسط، العرب والأتراك والإيرانيين، هي محنة تاريخية بحد ذاتها، وهذا الأمر الذي كان سلبياً حتى الآن، يمكن أن يتحول إلى موقع إيجابي في يومنا الراهن، فعندما يتم اتخاذ القومية أساساً لا بد أن يفتح ذلك المجال أمام التناحر، كما كان يحدث في الاشتباكات التاريخية العشائرية والمذهبية والدينية، فالقومية على صعيد القضية الكردية لا تعني شيئاً سوى الكارثة الكبيرة على الشعوب المهممة والشعب الكردي معاً، والتطورات التي حدثت في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، أثبتت بما فيه الكفاية النتائج المؤلمة لهذه السياسات التي تمت ممارستها على كردستان، وحتى الصراع العربي - الإسرائيلي الذي يجري مؤخراً هو دليل قاطع على إفلاس السياسات القومية، وهو المثال البارز الذي يدل على مدى المآسي والآلام، إن التاريخ يمنح الفرصة مرة أخرى للكرد في عصر الحضارة الديمقراطية، ليقوموا بدورهم المهم في الشرق الأوسط، فمثلما قام الكرد المجسدين في السومريين

الذين هم أمهات و آباء الكرد بلعب دورهم في فجر الحضارة ليكونوا أساساً لميلاد الحضارة واحتضانها، اليوم أيضاً على الشعب الكردي لعب دوره مرة أخرى لاحتضان الحضارة الديمقراطية في نفس الجغرافيا، فعندما يقوم الشعب الكردي بإجراء التحولات الديمقراطية في ذاته، فهو يرغم الحضارة النابعة من ميزوبوتاميا، ويرغم الشرق الأوسط أيضاً على تحقيق التحول الديمقراطي في الوقت نفسه، وبذلك يؤدي دور الولادة والاحتضان للحضارة الديمقراطية التي هي النظام الأقرب إلى تحقيق العدالة والحرية ضمن المقاييس الديمقراطية، ويتحول هذا النظام إلى ضمانة لذلك، إن ترسيخ هذا النظام في العراق الذي هو موطن السومريين الأوائل باتت ضرورة يعترف بها النظام الدولي بشكل واضح، فحتى لو لم يتم الوصول إلى الحل الديمقراطي يبدو أن هذا الموضوع له أسباب متجذرة لن تدعه يفقد شيئاً من أهميته، ويبدو أن البروز الديمقراطي للكرد، وحل قضيتهم بهذه الوسيلة يشكل المصير الجديد لحضارة الشرق الأوسط.

عندما تبحث الثورة الإيرانية عن مخرج لها بالإسلام الديمقراطي فإن دور الكرد أيضاً لا مثيل له في هذا التوجه، ومصير الديمقراطية الإيرانية يكمن في ممارسة الكرد ويتبرعم في يقظة الكرد وأشكال حياتهم الجديدة، أما التحولات الديمقراطية في تركيا سواء في الدولة أو في المجتمع أو في المؤسسات السياسية كافة، فقد وصلت إلى حتمية لا بد منها، فالقومية التركية التي تعتمد على أسس برجوازية واهية وضعيفة منذ بداية القرن العشرين، وقيامها بالنكر لحضارة الأناضول، أصبحت العائق الأكبر بتطرفها وشكلها الشوفيني أمام التطور المعاصر للأمة التركية، وحتى أن قومية أتاتورك مؤسس الجمهورية التركية والتي تعتمد على حماية الوطن والثقافة، تكاد تتعرض للإنكار بدرجة كبيرة، وكذلك القومية الكردية الأضعف لم تستطع تحقيق أي شيء للكرد على مدى قرن من الزمن ولم تبعث فيهم الأمل، ولم تؤدي سوى دور القوة التي تمهد الأجواء للكوارث، والقيام بالتحريض القومي بين الشعبين يعني تمهيد الأجواء لكوارث جديدة ولا شيء سواه، وكل الظروف الوطنية والإقليمية والدولية باتت تفرض برنامج الديمقراطية الكاملة على تركيا في أعوام الألفين، وتم الوصول إلى مرحلة يمكن فيها حل كل القضايا الاقتصادية الاجتماعية السياسية وفي مقدمتها القضية الكردية من خلال معايير دولة الحقوق الديمقراطية، وسبيل وصول تركيا إلى شعارها الذي جعلته هدفاً لها في كل وقت وهو "الحضارة المعاصرة" يمر عبر هذا الحل فقط كما يبدو واضحاً.

لقد برز الدور الكردي في تاريخ الأتراك خلال ثلاث مراحل تاريخية إستراتيجية ليثبت أهميته، فلو لا الكرد في عام ١٠٧١ لما تحقق انتصار "ملاذكرت"، وهذا أمر مؤكد تاريخياً، وهكذا تحقق انتشار وتوسع الإمبراطورية العثمانية وتحولها إلى قوة عالمية بعد تطوير العلاقات مع الكرد في بداية القرن السادس عشر، حيث كان دور الكرد كبيراً في تحقيق انتصارات عديدة وفي مقدمتها معركة "جالديران" في عام ١٥١٧، وعندما دخلت الإمبراطورية العثمانية في مرحلة الانهيار في عام ١٩١٨، دخل الأتراك في أخطر مرحلة على مدى تاريخهم، وكان دور الكرد بارزاً في إنقاذهم أيضاً وهذا أمر واضح من خلال أحداث أتاتورك الذي هو منقذ تركيا، وكان دورهم إستراتيجياً بحسب الكلام الوارد على لسان أتاتورك بالذات، فلولا الكرد لما تحقق للأتراك ذلك، ويمكننا تفسير هذه الحقيقة بأن التكوينات السياسية التي يهيأها الأتراك هي من إنجاز الكرد أيضاً وتعبر عن واقعهم، فدور الكرد يأتي في المرتبة الأولى بعد الأتراك في التكوينات السياسية التي حدثت في الأناضول وميزوبوتاميا خلال الألف سنة الأخيرة، والتكوين السياسي الذي نراه اليوم يجب أن يكون جمهورية ديمقراطية علمانية، ومثلما حدث عند تأسيس الجمهورية، فلولا الكرد يستحيل تحقيق ذلك، قد تأكد هذا الأمر من خلال

التمردات والإدارات الأوليغارشية، وأخيراً التمرد الذي قاده PKK، فجمهورية تركيا الديمقراطية العلمانية يمكن أن تكون حقيقة واقعة من خلال الانضمام الحر والعدل للکرد فقط، فمثلما ترغمهم الجذور التاريخية على هذا الأمر، فإن الأزمات التي تمر بها تركيا كل يوم ترغمهم على هذا التوجه حتى يتخلصوا منها، بالإضافة إلى أن الطريق إلى السمو التاريخي مرة أخرى واستمداد القوة يمر عبر الانضمام الديمقراطي.

في مرافعتي يتم التأكيد على قوة الحل الحقوقية، فمهما كان الحقوق ديمقراطياً ويمثل القواعد الإلزامية للإرادة الاجتماعية تكون قوته كبيرة على صعيد الحلول، فالحقوق الذي يتم عكسه على أنه مصدر إلهي في حضارات الشرق الأوسط يمكن تعريفه على صعيد الجوهر على أنه أوامر صادرة من أفواه المونارشية والاستبداد الإقطاعي والعبودي ومن طرف واحد، حيث انعدام إرادة الشعوب، بينما الحقوق الأوروبية الذي يستند أساساً إلى نظام حقوق روما، فهو يعتمد أساساً على إرادة القوة الاجتماعية بنحو واضح، وانفتاحه على التطورات الديمقراطية هو الصفة الأساسية لهذا النظام الحقوقي، ورغم أن الحقوق الأوروبية في يومنا يتخذ من إرادة الطبقة البرجوازية أساساً له، إلا أنه يضم إرادات كثيرة تمثل الشعب، والإرادات الفردية بنحو خاص وصفة الحقوق الديمقراطي أمر يرتبط بهذه التطورات، فبمقدار ما تنعكس إرادات الأفراد والشعوب ومصالحهم الأساسية وحقوقهم على المواد الحقوقية وبنوده، فإن مستوى قدرته على تقديم الحلول تزداد بنفس النسبة، ونظراً لأن تطور الحقوق على ذلك المسار يأتي بمعنى ضمانات للعدالة والحريات، فإن السلام الاجتماعي يزداد ترسيخاً، وتتحقق التنمية والاستقرار في البلاد، وبعد التجارب الطويلة والمهمة التي عاشتها الحضارة الأوروبية تحاول لم شملها على شكل قوة سياسية ضمن الاتحاد الأوروبي ومعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية التي تحظى بقيمة الدستور، تشكل الأساس الحقوقي لهذا الأمر والمواصفات الأساسية لها، والاتحاد الأوروبي يعبر عن الوحدة الحقوقية حول محور معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، أما التعبير عن المؤسسات لمعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية فهو محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، ولاشك أن هذه المحكمة تؤدي دوراً مهماً على صعيد ضمان حقوق الإنسان الأساسية للشعوب والأفراد.

لقد تم نقل دعواي إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية لوجود خرق لكثير من بنود معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، فأكثر من خرق كثير من حقوقي الفردية، تحظى هذه الدعوى بأهمية بالغة على صعيد الخروق التي حدثت لحقوق الكرد كشعب لإظهار هذا الواقع. إن إعراب المحكمة عن إرادتها على صعيد خرق الحقوق الفردية سيكون موقفاً ضيقاً جداً، و يتضمن خطر التغاضي عن البعد الحقوقي لحقوق الشعوب، وبناءً عليه يفتح المجال أمام خطر الخلل في العدالة، وعلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية أن تقوم برفع هذا الخطر، وفي حال عدم حدوث ذلك، وقيام المحكمة الموقرة بتفصيل ثوب حقوقي بحسب مقاييس حادث اختطافي الذي تم ضمن إطار مؤامرة دولية شاملة ويتناقض تماماً مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، فهذه المحكمة عندها ستصبح آلة لهذه المؤامرة. فمن الناحية الموضوعية هناك طرفان في هذا الاشتباك الذي وصفه الطرفان على أنه حرب متدنية الكثافة، ولهذا يمكن تقييمها على أن الطرف الكردي قد استخدم حق الدفاع المشروع عن الذات، وفي حال ارتكاب أية ممارسات تعد من جرائم الحرب، فيجب البحث عن مرتكبي هذه الجرائم من بين الطرفين، لتجري محاكمتهم من جانب محكمة خاصة تتأسس لهذا الغرض، ذلك من متطلبات العدالة والحقوق المعاصرة. إن المحاكمة التي حدثت في تركيا في إيمرالي تعد من هذه الناحية متناقضة تماماً مع معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية من حيث المضمون ومن حيث الحقوق الإيجابي، وكما حدث في أمثلة كثيرة يمكن إقامة محكمة

محايدة لمحاكمة مجرمي الحرب، وهذه هي المهمة الأخلاقية والسياسية الملقة على عاتق المجلس الأوروبي الذي يمثل السلطة التنفيذية لمحكمة حقوق الإنسان الأوروبية، حيث أن تركيا من الأعضاء المؤسسين في المجلس الأوروبي.

لا يمكن تقييم اشتباك أو صراع راح ضحيته أربعون ألف قتيل وتم إحراق وتفرغ ما يقارب أربعة آلاف قرية ومزرعة، على أنه عمل إرهابي، كما لا يمكن إلقاء مسؤولية ذلك على عاتق شخص واحد وهو أنا، فحتى سليمان ديميريل الذي كان رئيساً للجمهورية لا يتورع عن القول: "أحياناً يتم خرق الروتين" وكذلك قالت رئيسة الوزراء في تلك المرحلة تانسو جيلر: "إن قائمة الذين يجب أن يُقتلوا موجودة في جيبي" وكذلك هناك قول لـ "محمد آغار" الذي كان وزيراً للدخول في تلك المرحلة، مشيراً إلى حادثة سوسورلوك: "لقد حدثت الآلاف من العمليات المماثلة"، كل ذلك يدل على مدى خرق القوانين والقواعد الحقوقية على أعلى المستويات وأبعاد ذلك الخرق، وآلاف الدعاوى التي وصلت إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية تدل على مدى عدم سريان الحقوق، ولا يمكن تلافي هذا الوضع اللا حقوقي الثقيل بعدة آلاف من الدورات، أما إذا حدث تمرير ذلك فإن محكمة حقوق الإنسان الأوروبية والمجلس الأوروبي يجعلان من معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية آلة تعمل ضد الكرد، وسيتم ارتكاب خرق جوهري للحقوق، ولهذا فإن دعاوى تحظى بأهمية عظيمة من حيث عدم ارتكاب خرق كبير للحقوق، ونظراً لأن الجمهورية التركية هي أحد الأعضاء المؤسسين للمجلس الأوروبي، وكونها عضواً مرشحاً للاتحاد الأوروبي يجب عليها أن تتصرف بما تمليه عليها معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية وتلتزم بها.

ورفض الكرد كطرف لعدم وجود دولة تمثلهم، لا يمكن أن يكون موقفاً عادلاً، وبناءً عليه فإن البحث عن الحق على شكل أفراد أمر يتناقض مع الحقيقة التي تقرها معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، وتعترف بكل الشعوب موضوعياً، وتضع تعريفها الحقوقي على شكل "حقوق الأجيال الثلاثة"، ولأجل الكرد الذين يعيشون وضعاً أصعب بكثير من القضايا الموجودة في البلقان يجب أن يتم فتح الطريق أمام محاكمة خاصة أكثر عدالة، وذلك هو الأمر الذي يتناسب مع جوهر معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، حيث أنني أتناول مرافعتي ضمن هذا الإطار، واعتمد في جوهرها على هذه الحقيقة، وإلا فإن الخرق التي جرت بحقي في إيمرلي فإنني أقيّمها في الدرجة الثانية من الأهمية، ولاشك في أن البطش السياسي الذي هبت رياحه في تركيا على مدى استمرار محاكمتي، ثم بقائي بمفردي في جزيرة نائية في الظروف الجوية التي لا تتناسب مع أوضاعي الصحية، وكأنني معلق بالصليب في غرفة تشبه الثابت، هي أوضاع تتناقض تماماً مع النظام الذي تبناه لجنة حظر التعذيب الأوروبية، وكان يجب اتخاذ التدابير المناسبة لجوهر الحقوق في كل هذه المواضيع.

ثمّة أمر آخر أريد توضيحه للأهمية، هو أنني أرى مسؤولية هذه الخروق الحقوقية تقع بالدرجة الأولى على عاتق اليونان وروسيا وإيطاليا بخاصة أكثر من الجمهورية التركية، فالخروج على الحقوق ناتج عن الموقف التأمري لهذه الدول، كما شرحت تفاصيل ذلك في مرافعتي، فقد تم خرق حقوقي في اللجوء السياسي، وتم تسليمي بشكل مُعَلَّب إلى تركيا بأوامر صادرة من الرئيس الأمريكي كليتتون مباشرة، كما تم التصريح بذلك على لسان مستشاره الخاص بليندكن للصحافة، وهذا أمر أصبح واضحاً للرأي العام، إن العديد من الحكومات وعملائها إبتداءً من رأس النظام مسؤولة عن هذا الخرق الحقوقي، وإذا لم تقم محكمة حقوق الإنسان الأوروبية بحل هذه القضية، ولم تضع نهاية لهذا الخروج على الحقوق والقوانين، وبناءً عليه ما لم تقم بإبطال وإلغاء محاكمة إيمرلي، ولم تقم بإسقاطها فإن موقفها لن يكون عادلاً، ولن

تستطيع إنقاذها من خطر الوقوع تحت تأثير مؤامرة جرى إعدادها وتنفيذها ضد الشعب الكردي من خلال شخصي، وإذا أدت محكمة حقوق الإنسان الأوروبية الموقرة دورها التاريخي من خلال دعواي هذه، تكون قد أخذت مكانها الحقيقي في تحويل تركيا إلى دولة ديمقراطية علمانية حقوقية، كما يجب عليّ أن أوضح للمحكمة الموقرة بهذه المناسبة بأنني على استعداد لأسلوب "الحل الودي" أيضاً تحت رعاية وتوجيهات المحكمة الموقرة، وفي حال قبول المسؤولين الأتراك لهذا الأسلوب فإننا على استعداد للتخلي عن السلاح، وإجراء الحوار اللازم انطلاقاً من جعل الحدود القائمة للدولة أساساً، والوفاق بحسب المعايير الديمقراطية، وأعتبر أن هذه المحاولة هي أفضل سبيل، كما أحب أن أوضح بأن PKK قد أعرب عن هذه الإرادة في هذا الموضوع بكل وضوح.

إن عدم قيام كل من محكمة الإنسان الأوروبية والمسؤول الآخر الذي هو مؤسسات الاتحاد الأوروبي بتناول القضية على شكل حقوق فردية ضيقة وعدم اكتشافها بهذا التوجه، وقيامها بتحليل القضية على أسس التناسب مع الثوابت الديمقراطية وعلاقتها بالسياسة والحقوق، سيشكل مساهمة كبيرة ودعمًا جيداً للجهود المبذولة لأجل إنقاذ الكرد والجمهورية التركية من القضايا الثقيلة التي يعانون منها، بالإضافة إلى أن مثل هذا التوجه سيؤثر إيجابياً على سبل تكامل تركيا مع الاتحاد الأوروبي، وسيسارع من مرحلة الانضمام، وفي التاريخ نرى أن الحقوق يؤدي دوراً كبيراً في القضايا الكبيرة لإجراء التحولات الإيجابية في الدول، وهذا أمر حدث كثيراً، ويمكن للحقوق الديمقراطية الأوروبية أن تؤدي دوراً إيجابياً في إجراء مثل ذلك التحول، وأكرر مرة أخرى بأن مثل هذا الحدث يشكل في الوقت نفسه مهمة أخلاقية وسياسية ملقاة على عاتق أوروبا.

المواقف الأوروبية في العهد الاستعماري لها تأثير كبير، وهي مصدر القضايا الكردية التركية، وهذا التأثير لم يفقد من سرعته وثقله شيئاً حتى وصل إلى يومنا الراهن، وعندما نطالب أوروبا بأن تؤدي دوراً إيجابياً هذه المرة فنقصد أن نقوم بإزالة تلك التأثيرات، وكذلك أقصد أن تقوم أوروبا بمهامها الأخلاقية والسياسية وأن تلي متطلبات معاهدة حقوق الإنسان الأوروبية، بما يتناسب مع جوهرها الديمقراطي، دون أن تلجأ أو تقع في الازدواجية، وإنني واثق من أن المرافعة التي تقدمتُ بها ستلقي الضوء على سبل الحل في ذلك الاتجاه، كما إنني أتناول الموضوع كصاحب عقيدة راسخة، ليس على صعيد القضية الكردية فحسب، بل من إيماني بأن الحضارة الأوروبية مع حطام حضارة الشرق الأوسط الذي هو ثمرة أخيرة لها وضمن المعايير الديمقراطية يمكن أن تشكل تراكيباً إيجابياً، ولهذا يجب القيام بإجراء هذه التحليلات مما يشكل وضعاً إيجابياً وصحيحاً بحسب قناعتي.

إنني لأرى المفهوم المجرد من مناهضة الإمبريالية الأوروبية مفهوماً واقعياً وتقدماً، لأنه مفهوم متوارث من عصر القومية، ويدخل في خدمة الرجعية المحلية على الأغلب، والشئ الذي يجب القيام به هو ليس بث وزرع العداء بين الحضارات، بل إبراز قابلية مساهمتها في التركيب بجوانبها الخاصة والتحررية، وبهذا التوجه يمكن تقديم الدعم والمساندة لمسيرة التاريخ العادلة والتحررية، وهذا هو المعنى والنتيجة التي توصلت إليها مرافعتي، ولا اشك مطلقاً في أن التاريخ التحرري وخلقه بالذات سيكسب الحق وسينتصر.

سيهزم النظام الذي يعتمد على الكذب والعنجهية،
وسينتصر النظام المعتمد على الحرية والعدالة.

عبد الله أوج آلان

جزيرة إيمرالي . السجن المغلق ذات الغرفة الواحدة

١١ . نيسان إلى ٢٨ . آب ٢٠٠١ م